الشَّبَابُ العَرَبِيُّ

أَزْمَةُ هُوِيَّةٍ ومُسْتَقْبَلٌ مُهَدَّدٌ

يَحْيَى السَّيِّد عُمَر



الشَّبَابُ العَرَبِيُّ

أَزْمَةُ هُوِيَّةٍ ومُسْتَقْبَلٌ مُهَدَّدٌ

يحيى السَّيِّد عمر

2021 – 1442



اسم الكتاب	**الشَّبَابُ العَرَبيُّ: أَزْمَةُ هُوِيَّةٍ ومُسْتَقْبَلٌ مُهَدَّدٌ**
اسم المؤلف	يَحْيَى السَّيِّدِ عُمَرَ
رقم الإصدار	86
رئيس التحرير	رجب صونكَول
الاخراج الفني	AsaletAjans ajans@asaletyayinlari.com.tr
الترقيم الدولي	978-625-7297-14-1
الطبعة	الأولى - مارس 2021م - رجب 1442هـ
المطبعة	Step Ajans Matbaa Ltd. Şti. Göztepe Mh. Bosna Cd. No: 11 Bağcılar/İSTANBUL Tel: +90 212 446 88 46 | Sertifika No: 45522
دار النشر	Asalet Eğitim Danışmanlık Yayın Hizmetleri İç ve Dış Ticaret Balabanağa Mh. Büyük Reşit Paşa Cd. Yümni İş Merkezi, No: 16B/16 Fatih/İSTANBUL Tel: +90 212 511 85 47 | Sertifika No:40687 www.asaletyayinlari.com.tr asalet@asaletyayinlari.com.tr
للتواصل مع المؤلف	www.yahyaomar.com yahya@yahyaomar.com @yahyaomarYO /yahya-sayed-omar-5733a2141



﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

[سورة طه: 114]

اللَّهُمَّ لك الحَمْـدُ أَكْمَلُهُ..

ولك الثَّـنَاءُ أَجْمَلُهُ.. ولك القَـوْلُ أَبْلَغُهُ..

ولك العِلْمُ أَحْكَمُهُ.. ولك السُّلْطَانُ أَقْوَمُهُ.. ولك الجَلالُ أَعْظَمُهُ..

الحَمْدُ لِلَّهِ بِما اخْتَصَّ به عِبادَهُ مِنْ سَمْعٍ وبَصَرٍ وأَفْئِدةٍ، وبِما هَيّأَ لَهُمْ من صُنُوفِ العِلْمِ، وبِما أَعانَهُمْ بِهِ على تَوْثِيقِ خِطابِهِمْ على وجْهٍ يَرْضاهُ..

حَمْدًا كَثِيرًا يَلِيقُ بِجَلالِهِ ومَقامِهِ، وثَناءً وهو أَهْلٌ لِعَظِيمِ الثّناءِ..

وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى المَبعوثِ رَحْمةً للعَالَمِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،

وَعَلَى آلِه وصَحْبِهِ في الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ..

وَفِي الْمَلأِ الأَعْلَى إِلَى يَوْمِ الْدِّينِ..

أُهْدِي هذا الكِتابَ

إلى **والِدي** -رَحِمَهُ الله- وإلى **والِدَتي**..
صَاحِبَي الفَضْلِ، وأَبْلَغِ الأَثَرِ في سابِقِ مَحَطّاتِ حَياتي وقادِمِها..

إلى **زَوْجَتِي**..
رَفِيقةِ الدّرْبِ، أَمانةِ اللَّهِ عِنْدِي ووَصِيّةِ رَسُولِهِ.

وَأَبْنائي..
حَصادِ العُمْرِ، وقُرّةِ العَيْنِ..
في حِفْظِ اللَّهِ وكَلاءَتِهِ.

شُكْرٌ وعِرْفانٌ

وَما وُفِّقَ سَعْيٌ واجْتِهادٌ وبَحْثٌ إلّا بِفَضْلِ اللّهِ ومِنَّتِهِ، فالحَمْدُ لِلّهِ أَوّلًا وآخِرًا، أَنْ أَيّدَنا بِنِعَمِهِ..

وَصادِقُ الشُّكْرِ، وعَظِيمُ الامْتِنانِ، لِمَنْ أَسْدَى لِيَ المَشُورةَ وأَعانَنِي لِإتمْامِ هذه الدِّراسةِ..

ولأَساتِذَتي الكِرام، ولِمَنْ أَشارَ إليَّ بنُصْحٍ أَوْ فِكْرةٍ..
إقْرارًا بِفَضْلِهِمْ ودَوْرِهِمْ..
فَجَزاهُمْ اللَّهُ خَيْراً، وأَعْلَى مَقامَهُمْ..

مُقَدِّمَة

بِالتَّمَعُّــن جَيِّدًا في حَرَكَاتِ التَّغْيير الرَّائِدَة حَوْلَ العَالَــم، والَّتي حَفِظَتْها الأَقْلَامُ وسَجَّلها التَّاريخُ بين طيَّاته، يَتَّضِحُ أَنَّها اتَّجَهَتْ جَميعُها إلى الشَّبَابِ؛ كَيْ تَجْعَلَ مِنْهُ وسِيلَتَها، ومَادَّتَها، ومَحَلَّ أَفْكَارِها، وإِطَارَ حَرَكَتِها، والمُسْتَفِيدَ الرَّئِيسَ من تَضْحِيَاتِها، وليس هذا غَرِيبًا؛ فَدَائمًا وأَبَدًا سَــتَظَلُّ هذه الفِئَةُ مُسْــتَقْبَلَ الأُمَمِ ومَصْدَرَ قُوَّةِ ونَهْضَةِ المُجْتَمَعَاتِ على اخْتِلَافِها، شَرِيطَةَ تَوافُرِ الرِّعَايَةِ والدَّعْمِ والتَّوْجِيهِ الكَافي؛ حَتَّى تَتَحَوَّلَ هذه الطَّاقَاتُ البَشَرِيَّةُ إلى عَوامِلَ بِنَاءٍ وتَنْمِيَةٍ وتَقَدُّمٍ.

لقد أَصْبَحَ العَالَمُ اليَوْمَ يُولي أَهَمِّيَّةً كُبْرَى للبِنَاءِ الفِكْرِيِّ لِلشَّــبَاب، وتَأْسِــيسِ وتَنْمِيَةِ طَاقَاتِهِ الإِيجَابِيَّةِ؛ أَيْ: تَوْظِيفُ جُهُودِ مُخْتَلِفِ شَرَائِحِ المُجْتَمَعِ والمُؤَسَّسَاتِ المُخْتَلِفَةِ في المَدَارِسِ والجَامِعَاتِ لِتَحْقِيقِ فُرَصِ الشَّبَاب، وتَعْزِيزِ مَهارَاتِهِم وقُدُرَاتِهِم، بما يُجَنِّبُهُم الانْخِرَاطَ في السُّــلُوكِيَّاتِ المُنْحَرِفَةِ في ظِلِّ وُجُودِ الكَثِــيرِ من البرَامِجِ الَّتي تَهْدِفُ لِتَدْمِيرِ الشَّــبَاب وتَشْــكِيكِهِ في انْتِمَائِهِ لِأُمَّتِهِ، وذَلِكَ كي يَتَيَسَّرَ اسْتِغْلَالُهُ فِيما بَعْدُ في أَعْمَالٍ شَتَّى أَبْرَزُها التَّطَرُّفُ، فَضْلًا عن تَوْجِيهِهِ إلى الانْحِرَافَاتِ الأَخْلَاقِيَّةِ والسُّلُوكِيَّةِ، وإِلْهائِهِ عن دَوْرِهِ الرَّئِيسِ المَنُوطِ به في عَمَلِيَّاتِ البِنَاءِ والتَّنْمِيَةِ.

من هنا، تَكْمُــنُ أَهَمِّيَّةُ مُواجَهَةِ هذه المُخَطَّطَاتِ من خِــلَالِ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ بِمُخْتَلِفِ أَنْمَاطِها الاقْتِصَادِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ والسِّيَاسِــيَّةِ والتِّكْنُولُوجِيَّةِ، والَّتي تَهْدُفُ في الأَسَاسِ لِتَعْزِيزِ الإِحْسَــاسِ بِالأَمَانِ والانْتِمَاءِ لَدَى الشَّبَاب، وإِشْعَارِهِ بِأَهَمِّيَّةِ الدَّوْرِ المُنْتَظَرِ مِنْهُ، والرَّغْبَــةِ الحَقِيقِيَّةُ في إِشْرَاكِهِ في عَمَلِيَّــاتِ التَّنْمِيَةِ؛ عن طَرِيقِ تَحْقِيقِ هَيْكَلَةِ الفُرَصِ، وإِنْشَــاءِ العَلَاقَاتِ الدَّاعِمَةِ، وإِتَاحَةِ الفُرَصِ المُحَقِّقَــةِ للمَعَايِيرِ الإِيجَابِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، والعَمَلِ على المَسْــؤُولِيَّاتِ والمُشَارَكَةِ في اتِّخَاذِ القَرَارِ بما يَضْمَنُ التَّغَلُّبَ عليها، وتَوْفِيرَ كَافَّةِ الفُرَصِ لِتَدْعِيمِ مَهارَاتِهِ الحَيَاتِيَّةِ والعَمَلِيَّةِ المُتَنَوِّعَةِ والعَمَلِ على تَطْوِيرِها بِاسْتِمْرَارٍ.

لم يَعُد الحَدِيثُ عن تَأْهِيلِ الشَّــبَابِ والعَمَلِ على تمَكْيِنِه سِيَاسِيًّا واجْتِمَاعِيًّا واقْتِصَادِيًّا مــن الترَّفِ أو الرَّفَاهِيَة، بَلْ بَاتَ من الأَوْلَوِيَّاتِ الضَّرُورِيَّةِ المُلِحَّة؛ نَظرًا لما يَشْــهَدُهُ العَــصْرُ الحَاليُّ من تَغيُّرَاتٍ مُتَسَــارِعَةٍ في جَمِيعِ جَوانِبِ الحَيَاة، بَــدَأَتْ مَعَ الثَّوْرَةِ المَعْلُومَاتِيَّةِ الكُبْرَى نِهايَةَ فَتْرَةِ التِّسْعِينِيَّات، وما أَعْقَبَها من تَطَوُّرَاتٍ اقْتِصَادِيَّةٍ أُخْرَى وانْفِتَاحٍ هائِلٍ في أَنْظِمَةِ الاتِّصَالَاتِ والإِعْلَامِ، حَتَّى أَصْبَحَ العَالَمُ أَشْــبَهَ بِدَوْلَةٍ واحِدَةٍ صَغِــيرَةٍ تَتَلَاحَقُ الأَحْدَاثُ فِيها تِبَاعًا، وهِيَ عَوامِــلُ صَبَغَت العَصْرَ بِصِفَاتِ السُّرْعَةِ والتَّغَــيرُّ وعَدَمِ الثَّبَاتِ، ما أَنْتَجَ الكَثِيرَ من التَّحَدِّيَــاتِ الرَّاهِنَةِ بَدَأً من أَزْمَةِ البَطَالَةِ والإِدْمَانِ، والحُرُوبِ الطَّائِفِيَّةِ، وُصُولًا إلى أَشْكَالٍ مُتَعَدِّدَةٍ من عَدَمِ المُسَاواةِ والاسْتِعْبَادِ، ما يَسْتَوْجِبُ ضَرُورَةَ مَنْحِ الشَّبَابِ تَرْبِيَةً قَوِيمَةً ومَرِنَةً في الوقْتِ ذَاتِهِ، وتَعْلِيمًا مُتَطَوِّرًا مُواكِبًا لِتَطَــوُّرَاتِ هذا العَصْرِ، وبِصُورَةٍ أَكْثَرَ دِقَّةً "تَعْلِيمُهُــمْ كَيْفَ يَتَعَلَّمُونَ، لَا مَاذَا يَتَعَلَّمُونَ؟" مَعَ فُرَصٍ واعِدَةٍ للعَمَلِ والإِبْدَاعِ، وهذا لَا يَتَأَتَّى دُونَ الإِيمَانِ بِقُدُرَاتِهِمْ أَوَّلًا، ثُمَّ إِتَاحَةُ المَجَالِ واسِــعًا لَهُمْ لإِدَارَةِ مُخْتَلِفِ المُؤَسَّسَاتِ والمُشَارَكَةِ في صُنْعِ السِّيَاسَاتِ واتِّخَاذِ القَرَارَاتِ الحَيَوِيَّةِ، وحَثُّهُمْ على التَّخْطِيطِ البَنَّاءِ وتَحَمُّلِ المَسْــؤُولِيَّاتِ كَامِلَةً، فَعِنْدَما تَنْتَقِلُ تِلْكَ المَهامُّ الجِسَــامِ إلى الشَّــبَابِ فَإِنَّهُ بِدَوْرِهِ سَيَسْعَى بِقَدْرِ طَاقَتِهِ إلى إِثْبَاتِ ذَاتِهِ، والتَّغَلُّبِ على التَّحَدِّيَــاتِ الَّتِي تُواجِهُهُ كَافَّةً، والعَمَلِ على تَحْقِيقِ التَّنْمِيَةِ المَنْشُودَةِ، والقِيَامِ بِدَوْرٍ مُؤَثِّرٍ في نَهْضَةِ مُجْتَمَعِهِ.

لذلــك أَصْبَــحَ الحَدِيثُ عن كَيْفِيَّةِ التَّعَايُشِ والتَّأَقْلُمِ في ظِلِّ هــذا النِّظَامِ واقِعًا لَا مَفَرَّ مِنْهُ، بَلْ إِنَّهُ غَدَا من أَسَاسِــيَّاتِ حَيَاتِنَا اليَوْمِيَّة؛ ومن ثَــمَّ فَإِنَّ الحَدِيثَ عن التَّحَدِّيَاتِ الَّتِي تُواجِهُ الشَّــبَابَ العَرَبِيَّ في ظِلِّ نِظَامِ العَوْلَمَــةِ الجَدِيدِ بَاتَ من الصُّعُوبَةِ بِمكَانٍ، بِالنَّظَرِ إلى تَعَدُّدِ تِلْكَ التَّحَدِّيَاتِ وإِشْــكَالِيَّاتِها العِلاجِيَّةِ والَّتِي مِنْها على سَــبِيلِ المِثَالِ؛ تَحَدِّيَاتُ التَّعْلِيمِ، الهِجْرَةُ، النُّمُوّ السُّــكَّانِيُّ، المَعْلُومَــاتُ، الاتِّصَالَاتُ، المُخَدِّرَاتُ، البِيئَةُ، البَطَالَةُ، الفَرَاغُ، فِقْدَانُ الهُوِيَّةِ، الضُّغُوطَاتُ الاقْتِصَادِيَّةُ والأَمْرَاضُ المُسْــتَعْصِيَةُ، إِضَافَةً إلى الجَانِبِ الأَمْنِيِّ الَّذِي يُواجِهُهُ الوطَنُ العَرَبِيُّ بِرُمَّتِهِ، وكَذَا التَّحَدِّيَاتُ السِّيَاسِــيَّةُ الَّتِي تُخَيِّــمُ على الحَيَاةِ اليَوْمِيَّةِ لِلمُواطِنِ العَرَبِيِّ، وخَاصَّةً الشَّــبَابَ مِنْهُمْ، لِتَبْرُزَ على أَثَرِها

حَاجَاتٍ مُلِحَّةً أُخْرَى؛ كَالدِّيمُقْرَاطِيَّةِ، حُرِّيَّةِ التَّعْبِيرِ، المُشَارَكَةِ السِّيَاسِيَّةِ، حُقُوقِ الإِنْسَانِ، والعَدَالَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ. وكَذَلِكَ التَّحَدِّيَاتُ الشَّخْصِيَّةُ الأَبْرَزُ؛ كَمُشْكِلَةِ الصِّرَاعِ مَعَ الذَّاتِ، التَّحْصِيلِ العِلْمِيِّ والثَّقَافِيِّ، المَشَاكِلِ الأُسَرِيَّةِ، الزَّوَاجِ، الإِدْمَانِ، القَلَقِ والاكْتِئَابِ، العُنْفِ، الفَشَلِ، وغَيْرِهَا من المُعْضِلَاتِ. وفي هذا السِّيَاقِ، نَجِدُ الشَّبَابَ يَتَّخِذُ وضْعِيَّتَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا؛ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ من ضَحَايَا العَوْلَمَةِ، وإِمَّا أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا مُسْتَفِيدًا منها.

بِالإِضَافَةِ إلى ما سَبَقَ، فَإِنَّ هذا الجِيلَ من الشَّبَابِ يَتَّسِمُ أَيْضًا بِأَنَّهُ الأَكْثَرُ عَدَدًا من أَيِّ وقْتٍ مَضَى مُقَارَنَةً بِالفِئَاتِ العُمْرِيَّةِ الأُخْرَى، وبِالتَّالِي تُتَاحُ لَهُ الفُرَصُ المُؤَثِّرَةُ لِلتَّوَاصُلِ والعَمَلِ الَّتِي لم يَسْبِقْ لها مَثِيلٌ، فَوِفْقًا لِتَقْدِيرَاتِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ، فَإِنَّ نِسْبَةَ الشَّبَابِ دُونَ التَّاسِعَةِ والعِشْرِينَ من العُمْرِ في العَالَمِ العَرَبِيِّ تَصِلُ إلى 57 % من إِجْمَالِيِّ السُّكَّانِ(1)، وهُوَ ما يَعْنِي قُوَّةً بَشَرِيَّةً هَائِلَةً ومَوْرِدًا مُهِمًّا من مَوَارِدِ الوطَنِ العَرَبِيِّ، وسِلَاحًا ذَا حَدَّيْنِ يُمْكِنُ اسْتِغْلَالُهُ على أَحْسَنِ وجْهٍ، لِبُلُوغِ آفَاقِ النُّمُوِّ والتَّطَوُّرِ المَأْمُولَةِ.

غَيْرَ أَنَّهُ ورَغْمَ هذه القُوَّةِ العَدَدِيَّةِ إِلَّا أَنَّ الدُّوَلَ العَرَبِيَّةَ لَا زَالَتْ تَتَأَخَّرُ عَالَمِيًّا في مَجَالِ تَوْفِيرِ فُرَصِ العَمَلِ لِشَبَابِها وهذا لِعِدَّةِ أَسْبَابٍ؛ أَبْرَزُهَا وُجُودُ خَلَلٍ بَيِّنٍ الهَيْكَلَةِ المُؤَسَّسِيَّةِ والتَّوْزِيعِ العَادِلِ لِلفُرَصِ، وغِيَابُ سِيَاسَاتِ التَّنْمِيَةِ والإِعْلَامِ والتَّشْغِيلِ والتَّرْبِيَةِ والتَّعْلِيمِ، وكَذَا غِيَابُ عَوَامِلِ التَّنْشِئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ السَّلِيمَةِ، كَمَا أَنَّ المُتَغَيِّرَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةَ في العَصْرِ الحَدِيثِ سَاهَمَتْ في إِحْدَاثِ خَلَلٍ كَبِيرٍ في الأُسْرَةِ العَرَبِيَّةِ؛ الأَمْرُ الَّذِي غَيَّرَ من شَكْلِ العَلَاقَاتِ الأُسَرِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ؛ وما واكَبَها من خَلْخَلَةٍ لِبَعْضِ القِيَمِ والمَبَادِئِ لَدَى الشَّبَابِ، وظُهُورِ هُمُومٍ ومُشْكِلَاتٍ مُسْتَجَدَّةٍ جَرَّاءَ هذا الأَمْرِ.

وما يُؤَكِّدُ ذلك دِرَاسَةٌ ورَدَتْ في تَقْرِيرٍ بِعُنْوَانِ "الشَّبَابُ والتَّنْمِيَةُ الإِنْسَانِيَّةُ في البُلْدَانِ العَرَبِيَّةِ" صَدَرَتْ عن بَرْنَامَجِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ الإِنْمَائِيِّ العَامَّ 2016م؛ إِذْ تَنَاوَلَتْ ظُرُوفَ

1. بَرْنَامَجُ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ الإِنْمَائِيِّ، **تَقْرِيرُ التَّنْمِيَةِ الإِنْسَانِيَةِ العَرَبِيَّةِ لِعَامِ 2016م**، الشَّبَاب والتَّنْمِيَةُ الإِنْسَانِيَّةُ في البُلْدَانِ العربيَّة.. تَحَدِّيَاتُ مَرْحَلَةِ التَّحَوُّلِ، 2016م، ص 22.

حَيَاةِ الشَّبَاب بين 15 و 29 عَامًا في 183 دَوْلَةً حَوْلَ العَالَم، و"حَلَّلَ القَائِمُونَ عليها الفُرَصَ المُسْتَقْبَلِيَّةَ أمام هؤلاء الشَّبَاب وفق 18 مُؤَشِّرًا في خَمْسَةِ مَوَاضِيعَ شَامِلَةٍ، وهِيَ: فُرَصُ العَمَلِ، التَّعْلِيمُ، الصِّحَّةُ، المُشَارَكَةُ السِّيَاسِيَّةُ والمُبَادَرَاتُ المَدَنِيَّةُ، واسْتَرْشَدَتِ الدِّرَاسَةُ بِمُؤَشِّرِ "تَنْمِيَةِ الشَّبَاب" وفقَ مَنْهَجِيَّةِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ، فَجَاءَتْ مَمْلَكَةُ البَحْرَيْنِ في المَرْتَبَةِ الأُولَى عَرَبِيًّا والـ 41 عَالَمِيًّا، تَلِيهَا السُّعُودِيَّةُ في المَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ عَرَبِيًّا والـ 54 عَالَمِيًّا، ثُمَّ الكُوَيْتُ في المَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ عَرَبِيًّا والـ 56 عَالَمِيًّا(1).

لقد أَصْبَحَتْ مَشَاكِلُ الشَّبَابِ الآنَ إِحْدَى قَضَايَا "الأَمْنِ القَوْمِيِّ" الَّتِي يَجِبُ الالتِفَاتُ لهَا من هذا المُنْطَلَقِ الحَيَوِيِّ، حَتَّى يَكُونَ عِلَاجُهَا شَامِلًا وجَذْرِيًّا، وضِمْنَ أَوْلَوِيَّاتِ الحُكُومَاتِ العَرَبِيَّةِ وصُنَّاعِ القَرَارِ، وهُو ما يَحْتَاجُ فَتْرَةً طَوِيلَةً تَسْتَلْزِمُ التَّأَنِّيَ والجُهْدَ الكَثِيرَ؛ إِذْ تَرْتَبِطُ هذه المُشْكِلَاتُ بالكَثِيرِ من العَوامِلِ، في مُقَدِّمَتِها التَّعْلِيمُ؛ إِذْ تُسَجِّلُ الأُمِّيَّةُ في الوطَنِ العَرَبِيِّ ما نِسْبَتُهُ 21 % حَسَبَ إِحْصَائِيَّاتِ المُنَظَّمَةِ العَرَبِيَّةِ للتَّرْبِيَةِ والثَّقَافَةِ والعُلُوم (**ألكسو**)(2) لِعَامِ 2019م، والَّذِي يَرْتَفِعُ كَثِيرًا عن مُتَوسِّطِ نِسْبَةِ الأُمِّيَّةِ العَالَمِيَّةِ الَّتِي تَبْلُغُ 13,6 %، وهُو مُعَدَّلٌ قَابِلٌ للزِّيَادَةِ بالنَّظَرِ إلى الأَحْوالِ الَّتِي تَمُرُّ بِها الدُّولُ العَرَبِيَّةُ في الوقْتِ الحَالِيِّ، ويُبَيِّنُ تَقْرِيرُ المُنَظَّمَةِ أيضًا أَنَّ الأُمِّيِّينَ المُنْتَسِبِينَ إلى الفِئَةِ العُمْرِيَّةِ من 15 سَنَةً فما فَوْقُ حَوالَيْ 54 مِلْيُونِ أُمِّيٍّ وأُمِّيَّةٍ، منهم 6 مَلَايِينَ من فِئَةِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ (15 - 25 سَنَة) أَيْ بِنِسْبَةٍ تَتَجَاوزُ 11 % من مَجْمُوعِ الأُمِّيِّينَ البَالِغِينَ 15 سَنَةً فما فَوْقُ، كما تُقِرُّ كَذلك بِأَنَّ عَدَمَ وضْعِ بَرَامِجَ طَمُوحَةٍ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِ العَقْدِ العَرَبِيِّ لِمَحْوِ الأُمِّيَّةِ 2015-2024، والسَّعْيَ إلى ابْتِكَارِ الحُلُولِ الإِبْدَاعِيَّةِ

1. **"أَلْمَانيا البَلَدُ الأَكْثَرُ فُرَصًا للشَّبَاب عَالَمِيًّا.. والبَحْرَيْن عَرَبِيًّا"**، دويتش فيله، 21 أكتوبر 2016م، تَارِيخُ الزِّيارَةِ 6 فبراير 2017م، مُتَاح على الرَّابط: goo.gl/q12JlI
2. **المُنَظَّمَةُ العَرَبِيَّةُ للتَرْبِيَة والثَّقَافَة والعُلُوم (ألكسو)**: إِحْدَى مُنَظَّمات جَامِعَة الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ كَهَيْئَةٍ مَعْنِيَّةٍ بالحِفَاظِ عَلَى الثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ، تَأَسَّسَت عَامَ 1970م وَيَقَعُ مَقَرُّهَا في العَاصِمَةِ التُّونِسِيَّة، وَيَتْبَعُ لَهَا عِدَّةُ مَرَاكِزَ ومَعَاهِد مِنْهَا مَعْهَدُ المَخْطُوطَاتِ العَرَبِيَّةُ، وَبَدَأَت في عَامِ 2016م بَرْنَامجًا جَدِيدًا لسُفَرَاءِ النَّوَايَا الحَسَنَةِ الَّذِي يَهْدِفُ لِلْقِيَامِ بِأَعْمَالٍ خَيْرِيَّةٍ لِصَالحِ المَدَارِسِ الابْتِدَائِيَّةِ في العَالَمِ العَرَبِيِّ، لِلْمَزِيد : مَوْقِع ويكيبيديا المَوسُوعَةُ الحُرَّةُ ، مُتَاحٌ عَلَى الرَّابِط: https://cutt.us/q8aoB

المُنَاسِـــبَةِ، والبَحْثَ عن مُقَارَبَات عَالَمِيَّةٍ بِالتَّوازِي مَعَ التَّجَارِبِ الوطَنِيَّة، فَإِنَّ تَرَاجُعَ عَدَدِ الأُمِّيِّينَ بِالدُّولِ العَرَبِيَّةِ لن يَكُونَ في المُسْـــتَوَى المَأْمُـــولِ، إِذْ يُتَوقَّعُ أَنْ يَبْلُغَ عَدَدُ الأُمِّيِّينَ في الوطَنِ العَرَبِيِّ حَوالَيْ 49 مِلْيُونَ أُمِّيٍّ وأُمِّيَّةٍ(1).

أَمَّـــا البَطَالَةُ فَهِيَ أَيْضًا من أَبْرَزِ ما يُواجِهُ الشَّـــبَابُ العَرَبِيُّ من تَحَدِّيَات، ويُمْكِنُ اعْتِبَارُهَا بِدَايَةَ الدَّائِرَةِ المُفْرَغَةِ الَّتِي يَدُورُ فِيهَا، إِذْ تَنْتَهِي بِه عَادَةً إلى الكَثِيرِ من المَشَـــاكِلِ، هذا دُونَ الحَدِيثِ عن الانْحِرَافَاتِ النَّفْسِـــيَّةِ والخُلُقِيَّةِ الَّتِي تَتَسَبَّبُ فِيهَا على غِرَارِ عُزُوفِ نِسْبَةٍ كَبِيرَةٍ من الشَّبَابِ عن الزَّوَاجِ، وزِيَادَةِ مُعَدَّلَاتِ الطَّلَاقِ بين المُتَزَوِّجِينَ مِنْهُمْ، وهُو ما يَبْدُو في كُلِّ الأَحْـــوالِ مَنْطِقِيًّا حَيْثُ يَرْتَبِطُ غِيَابُ العَمَـــلِ بِانْقِطَاعِ الدَّخْلِ المَادِّيِّ ومن ثَمَّ صُعُوبَةُ الحَيَاةِ نَتِيجَةَ العَجْزِ عن تَلْبِيَةِ الحَاجَاتِ الضَّرُورِيَّةِ للعَيْشِ. وتُسَـــجِّلُ البَطَالَةُ مُعَدَّلَاتٍ مُرْتَفِعَةً للغَايَةِ في أَوْسَاطِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ خَاصَّةً بين الخِرِّيجِينَ، وعلى رَأْسِهِمْ خِرِّيجُو الجَامِعَاتِ (التَّعْلِيمُ العَالِي)، فَعلى سَـــبِيلِ المِثَالِ بَلَغَتْ نِسْـــبَتُهَا في اليَمَنِ 60 % وفي فِلَسْطِينَ 27,4 % وفي لِيبْيَا 19,2 %، أَمَّا الأُرْدُنُّ فَوصَلَتْ نِسْبَتُهَا فِيهِ إلى 18 % وسَلْطَنَةُ عُمَانَ 17,5 %، وأَمَّا في تُونِسَ فَبَلَغَتْ نِسْبَتُهَا 15,3 %، وفي العِرَاقِ 14 %، في حِينِ بَلَغَتْ في السُّعُودِيَّةِ 12,8 % وفي الجَزَائِرِ 10,7 % وفي مِصْرَ 10,6 %، وهذا حَسَـــبَ تَقْرِيرِ مُنَظَّمَةِ العَمَلِ الدَّوْلِيَّةِ والبَنْكِ الدَّوْلِيِّ لِعَامِ 2018م(2).

بِالإِضَافَةِ إلى ما سَبَقَ، هُنَاكَ تَحَدِّيَاتٌ أُخْرَى تَتَمَثَّلُ في انْحِدَارِ القِيَمِ الدِّينِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ لَدَى قِطَاعٍ عَرِيضٍ من الشَّبَابِ العَرَبِيِّ، وتَغْيِيبِهِم قَسْرًا عن المُشَارَكَةِ السِّيَاسِيَّةِ والإِعْلَامِيَّةِ والثَّقَافِيَّةِ، نَاهِيكَ عن الفَجْوَةِ الكَبِيرَةِ بين القُدُرَاتِ الفِعْلِيَّةِ لِهؤلاءِ الشَّـــبَابِ وتَطَلُّعَاتِهِم الاقْتِصَادِيَّةِ الطَّمُوحَةِ، لَا سِـــيَّمَا بَعْدَ الانْفِتَاحِ المَعْـــرِفِيِّ والتِّكْنُولُوجِيِّ الهَائِلِ بين دُوَلِ العَالَـــمِ؛ الأَمْرُ الَّذِي أَدَّى إلى زِيَـــادَةِ تَطَلُّعَاتِهِمْ نَحْوَ الثَّرَاءِ ورَغْبَتِهِمْ في زِيَادَةِ دُخُولِهِمْ عِوضًا عن أَحْلَامِهِمْ بِرَغَدِ العَيْشِ، بِغَضِّ النَّظَرِ عن مَصْدَرِهِ أو سُبُلِ إِنْفَاقِهِ.

1. **بَيَانُ الألكســو بِمُنَاسَـبَةِ اليَوْمِ العَرَبِيِّ لِمَحْوِ الأُمِّيَّةِ القِرَائِيَّةِ** 8 يناير 2019م، المَوْقِع الرَّسْـميُّ للمُنَظَّمَةِ العَرَبِيَّةِ للتَّرْبِيَةِ والثَّقَافَةِ والعُلُومِ، 7 يناير 2019م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ:: https://cutt.us/0ETNX
2. **تَقْرِيـــرُ مُنَظَّمَةِ العَمَلِ الدَّوْلِيَّةِ لعام 2018م**، المَوْقِع الرَّسْـمِيّ لِمُنَظَّمَـةِ العَمَلِ الدَّوْلِيَّةِ، 22 يناير 2018م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/fxYod

إنَّ العَوامِلَ السَّـــابِقَةَ مُجْتَمِعَةً إضَافَةً إلى اسْـــتِمْرَارِ الواقِعِ العَرَبِيِّ المُزْرِي وغِيَابِ بَوادِرِ الإِصْلَاحِ والتَّغْيِيرِ، قد زَادَتْ من حَالَةِ الغَضَبِ لَدَى قِطَاعَاتٍ عَرِيضَةٍ دَاخِلَ هذه المُجْتَمَعَاتِ، لَا سِيَّما الشَّبَابُ الَّذِينَ ضَاقُوا بِمُعَانَاتِهِمْ، والَّتِي هِيَ أَسَاسًا جُزْءٌ رَئِيسٌ من مُعَانَاةِ المُجْتَمَعَاتِ الَّتِي يَعِيشُـــونَ فِيها، تَمَامًا كَما ضَاقُوا بالاسْتِبْدَادِ والفَسَادِ، واسْـــتِئْثَارِ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ بالسُّلْطَةِ والـــثَّرْوَةِ، وعَوْدَةِ الإِقْطَاعِ بِثَوْبٍ جَدِيدٍ، وغِيَـــابِ الإِنْصَافِ، وتَفَشِّي مَظَاهِرِ الجُوعِ والفَقْرِ والتَّهْمِيشِ، وغِيَابِ العَدَالَةِ في التَّوْظِيفِ، وهَكَذَا فَقَد انْقَسَـــمَ الشَّبَابُ إلى اتِّجَاهَيْنِ؛ فَمنهم مَـــنْ فَضَّلَ الهِجْرَةَ واللُّجُوءَ إلى أُورُوبَّـــا وأَمْرِيكَا وغَيْرِها من الدُّوَلِ، ومنهم مَنْ ظَلَّ دَاخِلَ الوطَـــنِ بِانْتِظَـــارِ الرَّبِيعِ الَّذِي لم يَأْتِهِمْ إِلَّا مَطْلَعَ عَامِ 2011م، حِينَما خَرَجَ الشَّـــبَابُ إلى الشَّوارِعِ لِلتَّعْبِيرِ عن هذا السَّخَطِ، ونَجَحُوا في دُوَلٍ عِدَّةٍ في إِسْقَاطِ الأَنْظِمَةِ الحَاكِمَةِ، كَمَا في مِصْرَ وتُونِسَ ولِيبْيَا واليَمَنِ، فِيما يُعْرَفُ اليَوْمَ بِمَوْجَةِ "الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ"(1).

1. **الرَّبِيعُ العَرَبِيُّ** هِي ثوراتٌ وَحَرَكَاتٌ احتجاجيَّة سـلميَّة ضَخْمَةٌ انْطَلَقَتْ في بَعْضِ البُلْدَانِ العربيَّة أَوَاخِرِ عَامِ 2010م ومطلع عَامِ 2011م، وكَانَ مِنْ أَسْبَابِهَا الرَّئِيسَة اِنْتِشارُ الفَسادِ والرُّكودِ الاقتصاديّ وَسُوءِ الأَحْوَالِ المَعيشيَّة إِضَافَةً إِلَى التَّضْيِيقِ السِّيَاسِيّ والأَمْنِـيّ وَعَـدَمِ نَزَاهَةِ الانْتِخَابَات في مُعْظَمِ البِلَاد العربيَّة. لقد انْطَلَقَت ثوراتُ الرَّبيع العَرَبيّ مُتَأَثِّرَةً بالثَّوْرةِ التونسـيَّة الَّتي اِنْدَلَعَت جَرَّاءَ إِحْرَاقِ البَائِع المتجوّل مُحَمَّد البُوعَزِيزي لِنَفْسِه وَالَّتي نَجَحْت فِيمَا بَعْدُ في الإِطاحَة بالرَّئِيسِ السَّابق زَيْنِ العَابِدِينَ بْـنِ عَـلِيٍّ، وَعَلَى إِثْرِهَا اِنْدَلَعَت ثَـوْرَة 25 يَنايِر المِصْرِيّة 2011م وَالَّتِي نَادَت بالحريَّة وَالعَدَالَـة الاجتماعيَّة ونَجَحتْ بَعْد قُرَابَة أُسْبُوعَيْنِ مِن الحَشْدِ والكرِّ والفرِّ في إِسْقَاطِ نِظَام الرَّئِيس السَّابق مُحَمَّد حُسْنِي مُبَارك الَّذي سُجِنَ بَعْدَهَا وحُوكِمَ بِتُهْمَةِ قَتْلِ المُتَظاهِرِينَ خِلَالَ الثَّوْرَة. وَفي 17 فَبْرَاير 2011م انْدَلَعَت الانْتِفاضَةُ الليبيَّةُ الَّتي سُرعان مَا تَحَوَّلَتْ إِلَى ثَوْرَةٍ مُسَلَّحَة، فَبَعْد صِرَاعٍ طَوِيل تَمَكَّنَ الثُّوَّارُ مِنَ السَّـيْطَرَةِ عَلَى العَاصِمَة طَرَابُلُسَ في أَوَاخِرِ شَـهْرِ أُغُسْـطُس 2011م لِيُقْتَل مُعمَّر القَذَّافي في 20 أُكْتُوبَر ويتسلَّم السُّلْطَةَ بَعْدَهَا في البِلَادِ المَجْلِسُ الوَطَنِيُّ الانتقالي. وَخِلَالَ تِلْك الفَتْرَة تقريبًا انْدَلَعَت أيضًا الثَّوْرَةُ اليمنيَّةُ الَّتي أَجْبَرَت الرَّئِيسَ السَّابِقَ عَلِيّ عَبْدالله صَالح عَلَى التَّنَحِّي. فَفِي أَوَاخِرِ شَهْرِ فَبْرَاير مِنْ عَام 2012م أَعْلَن عَلِيّ عَبْدالله صَالح تَنَحِّيه عَن السُّلْطَة التزامًا بِبُنودِ المُبَادَرَة الخليجيَّة لِحَلِّ الأَزْمَة اليمنيَّة، الَّتي كَانَ قَدْ وقَّع عَلَيْهَا قَبْلَ بِضْعَة شُهُورٍ عقبَ الاحْتِجَاجَات العَارِمَة الَّتي عَصَفَت بِالبِلَاد لِعَامٍ كَامِل. وَبَعْدَ بَدْءِ الثَّوْرَة الليبيَّة بِشَهْرٍ تقريبًا، انْدَلَعَت حَرَكَةُ احْتِجَاجَات سلميَّةٍ وَاسِعَةُ النِّطَاق في سُوريا في 15 مَارس 2011م نَتِيجَةَ الأَوْضَاعِ الاجْتِمَاعيَّة والاقْتِصَاديَّة المُزْرِيَة وَالفَسَادِ وَالظُّلْمِ وَالقَمْعِ السِّياسِيّ والبُولِيسي؛ حَيْث أَدَّت إِلَى رَفْعِ حَالَةِ الطَّوَارِئ السَّارِيَة مُنْذ 48 عامًا وَإِجْرَاءِ تَعْدِيلات عَلَى الدُّسْتُورِ وَدَفَعَت المُجْتَمَعَ الدَّوْليَّ إِلَى مُطالبة الرَّئِيسَ بَشَّارِ الأَسَد بِالتَّنَحِّي عَن السُّلْطَة، وَمَا زَالَتْ الحَرَكَاتُ الاحتجاجيَّةُ في سُوريا تَدُور رَحاهَا إِلَى اليَوْمِ .
وأَمَّا الثَّوْرَةُ السُّـودانيَّةُ فَقَد بَدَأَت في أَبْرِيل 2019م حِينَ نَزَلَ إِلَى الشَّـوَارِعِ ملايين السـودانيِّينَ يَهْتِفُون ضِدَّ نِظَامِ عُمَر البَشِـير؛ احتجاجًا عَلَى طَرِيقَة تَعَامُله مَع المُوَاطِنِين وَكَذَلك بِسَـبَب ارْتِفَاع نِسَـب الفَقْرِ والبَطَالَة وَارْتِفَاع الأَسْعَارِ خاصةً أَسْعَارَ الوَقُود وَالخُبْز وَالمَوَادِّ الاسـتهلاكيَّة، وَقَد واجهت الشُّرْطَة هَذِه الاحْتِجَاجَات بالكَثِيرِ مِنْ العُنْف إِلَى أَنْ تمكَّن المُتَظاهرون من الإِطاحَة بِه، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّ الرِّيَاح تَأْتِي بمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ فَقَد اعْتَلَى النِّظَامَ السُّودَانيَّ اليَوْم مَجْلِسٌ عَسْكَرِيٌّ لَا يَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنْ نِظَامِ البَشِير في تَعَاطِيه مَع الاحْتِجَاجَات والمتظاهرين . وَهُوَ الوَضْعُ المُتَكَرِّرُ في العَدِيدِ مِنَ بُلْدانِ الرَّبِيع العَرَبيّ كَمِصْر مَثَلًا، للمَزِيدِ: الرَّبِيعُ العَرَبيُّ، مَوقع ويكيبيديا المَوسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/cWQgJ

وبشَــكْلٍ عَامٍّ، فقد أَثْبَتَتْ ثَوْرَاتِ الرَّبِيــعِ العَرَبِيِّ، وما أَعْقَبَها من تَطَوُّرَاتٍ على جَمِيعِ المُسْتَويَاتِ؛ أَنَّ مُشْكِلاَتِ الشَّبَابِ في الوطَنِ العَرَبِيِّ تَتَطَلَّبُ مُرَاجَعَةً شَامِلَةً لِعَدَدٍ كَبِيرٍ من التَّشْرِيعَاتِ والأَنْظِمَةِ وكَذَا تَطْوِيرها وهذا لإِكْسَابِ الشَّبَابِ الشُّعُورَ بالهُوِيَّةِ والانْتِمَاءَ للوطَنِ، والَّذي يمُرُّ حَتْمًا عبرَ شُعُورِهِمْ أَوَّلًا بالمُواطَنَةِ والأَمْنِ والعَدَالَةِ والحُرِّيَّةِ والرَّفَاهِ وعَدَالَةِ التَّوْزِيعِ وتَوافُرِ الخِدْمَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ والصِّحِّيَّةِ وغَيْرِها، بالإِضَافَةِ إلى المُشَارَكَةِ السِّيَاسِــيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ؛ أَيْ أَنَّ ذلك يَنْبُعُ من أَهَمِّيَّةِ الدَّوْرِ الَّذي يَقُومُ به الشَّــبَابُ لِلنُّهُوضِ بمُجْتَمَعَاتِهِمْ.

وقَبْلَ ذلك، أَثْبَتَتْ هذه الثَّوْرَاتُ أَنَّهُ رَغْمَ الاضْطِرَابَاتِ الجيُوسِيَاسِــيَّةِ الَّتي تَعُمُّ الكَثِيرَ من البُلْدَانِ إِلَّا أَنَّ الشَّبَابَ سَيَظَلُّ يَعْكِسُ الآمَالَ الكَبِيرَةَ حَوْلَ الثِّقَةِ في المُسْتَقْبَلِ المُتَنَاغِمِ باحْتِرَامِهِ مَبَادِئَ التَّسَــامُحِ وقَبُولِ الاخْتِلاَفِ مَــعَ الآخَرِ والإِيمَانِ بِرُوحِ المُبَادَرَةِ لَدَيْهِ وبِقُدْرَتِهِ على النُّهُوضِ بمُجْتَمَعَاتِهِ وبُلُوغِ واقعٍ ومُسْتَقْبَلٍ أَفْضَلَ.

لِــذَا تَتَعَاظَمُ أَهَمِّيَّتُهُ في المُجْتَمَعَاتِ كَافَّةً بِصِفَةٍ عَامَّةٍ والمُجْتَمَعَاتِ العَرَبِيَّةِ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ؛ مِــنْ خِلَالِ الدَّوْرِ الَّــذِي يَلْعَبُهُ فِيها، وبالنَّظَرِ إلى خَصَائِصِــهِ البَيُولُوجِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ والنَّفْسِــيَّةِ، فَضْلًا عن ارْتِفَاعِ نِسْــبَةِ تَمْثِيلِهِ في المُجْتَمَعِ، فَوِفْقًا لِتَقْدِيرَاتِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ، فَإِنَّ نِسْبَةَ الشَّبَابِ دُونَ التَّاسِعَةِ والعِشْرِينَ من العُمْرِ في العَالَمِ العَرَبِيِّ تَصِلُ إلى 57 % من إِجْمَالِيِّ السُّكَّانِ(1).

ومن ثَمَّ فعليه مَسْــؤُولِيَّةٌ كَبِيرَةٌ تَنْبُعُ من أَنَّهُ الأَكْثَرُ طُمُوحًا في المُجْتَمَعِ، والأَقْدَرُ على قِيَادَةِ عَمَلِيَّةِ التَّغْيِيرِ والتَّقَدُّمِ، وهُو الفِئَةُ الأَكْثَرُ تَقَبُّلًا لذلك، والأَكْثَرُ اسْتِعْدَادًا لِلتَّعَاطِي مَعَ الواقِــعِ الجَدِيدِ والإِبْدَاعِ فِيهِ دُونَ ارْتِبَاكٍ، ممَّا يَجْعَلُ دَوْرَهُ أَسَاسِــيًّا في إِحْدَاثِ التَّغْيِيرِ في مُجْتَمَعَاتِهِ، لذلك وجَبَ اسْــتِقْطَابُ طَاقَاتِهِ وتَوْظِيفُها في جَمِيعِ المُؤَسَّسَاتِ

1. بَرْنَامَجُ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ الإِنْمَائِيِّ، **تَقْرِيرُ التَّنْمِيَةِ الإِنْسَانِيَّةِ العربيَّةِ لعام 2016م**، الشَّبَاب والتَّنْمِيَةُ الإِنْسَانِيَّةُ في البُلْدان العَرَبِيَّة: تَحَدِّيَاتُ مَرْحَلَةِ التَّحَوُّلِ، 2016م، ص 22.

والمَجْمُوعَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تَسْــعَى لِلتَّغْيِيرِ، كَما يَجِبُ أَنْ تَتَضَافَرَ جُهُودُ الشَّبَابِ مَعَ جُهُودِ السُّلُطَاتِ الحُكُوميَّةِ لِتَحْسِينِ الظُّرُوفِ المَعِيشِيَّةِ لِلمُجْتَمَعَاتِ المَحَلِّيَّةِ، لَا سِيَّما على المُسْتَوَيَيْنِ الاقْتِصَادِيِّ والسِّيَاسِيِّ.

أَمَّا عن دَوْرِ هؤلاء الشَّبَابِ في تَفْعِيلِ **التَّنْمِيَةِ الاقْتِصَادِيَّةِ**، فَتَنْطَلِقُ من كَوْنِ المُجْتَمَعَاتِ المُتَقَدِّمَةِ تَسْــبِقُ غَيْرَها مُعْتَمِدَةً على الفَارِقِ الزَّمَنِيِّ في إِطْلَاقِ طَاقَاتِ شَبَابِها، لذلك كَانَتْ إِعَانَةُ الشَّــبَابِ على خِدْمَةِ أُمَّتِهِ، وتَطْوِيعُ قُدُرَاتِهِ لِدَفْــعِ عَجَلَةِ تَقَدُّمِ مُجْتَمِعَةٍ، مَسْــؤُولِيَّةً كُبْرَى، تَتَلَاقَى مَعَ ضَخَامَةِ دَوْرِهِ، فَإِذَا كَانَ الإِنْتَاجُ الاقْتِصَادِيُّ في سَــائِرِ مَيَادِينِــهِ الزِّرَاعِيَّــةِ والصِّنَاعِيَّةِ والتِّجَارِيَّةِ يَحْتَاجُ إلى السَّــوَاعِدِ المَفْتُولَةِ والطَّاقَاتِ المُتَفَجِّــرَةِ فَإِنَّ الشَّــبَابَ هُم الأَقْدَرُ من بَيْنِ فِئَاتِ المُجْتَمَعِ عــلى الإِنْتَاجِ ودَفْعِ عَجَلَةِ التَّقَدُّمِ الاقْتِصَادِيِّ للوطَنِ في طَرِيقِ التَّطَوُّرِ والنَّمَاءِ.

أَمَّا على مُسْتَوَى **المُشَــارَكَةِ السِّيَاسِيَّةِ**، فَلَم تَبْرُزْ أَهَمِّيَّةُ دَوْرِ الشَّبَابِ فِيها عَرَبِيًّا على مَدَى عُقُــودٍ بِقَدْرِ ما بَرَزَتْ خِلَالَ حِقْبَةِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ العَامِ 2011م، ورَغْمَ أَنَّ المِنْطَقَةَ العَرَبِيَّةَ قد شَــهِدَتْ بِالفِعْلِ الكَثِيرَ من الثَّوْرَاتِ والهَبَّاتِ الاحْتِجَاجِيَّةِ طَوالَ تَارِيخِها إِلَّا أَنَّها كَانَتْ دَائِمًا ما تَرْتَبِطُ إِمَّا بِالتَّغْيِيرِ العَسْكَرِيِّ الَّذِي يَقُومُ به الجَيْشُ كَما حَدَثَ في انْقِلَابِ الجُيُوشِ العَرَبِيَّةِ على الأَنْظِمَةِ المَلَكِيَّةِ مُنْتَصَفَ القَرْنِ المَاضِي في مِصْرَ ولِيبْيَا والجَزَائِرِ واليَمَنِ، أو من خِلَالِ ارْتِبَاطِها بِغَالِبِيَّةِ فِئَاتِ المُجْتَمَعِ كَما حَدَثَ في ثَوْرَةِ 1919م في مِصْرَ(1).

1. **ثورة 1919:** ثَوْرَةٌ مِصْرِيَّةٌ قَامَت عَامَ 1919م ضدَّ الاحْتِلَالِ البريطانيِّ لِمِصْر وَالسُّــودَان بقيادة سَــعْد زَغْلُول، وَشَارك فِيهَا أَعْضَــاءٌ مِــنْ حِزْبِ الْوَفْدِ وطلّاب الْجَامِعَة المِصْرِيّة والأَزْهَر وَطَوَائِفُ مِنَ الشّــعْب المِصْرِيِّ؛ فَفِي الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ مَارس 1919م سَــارَ أَكْثَرُ مِنْ 10 آلَاف طَالِب ومُهَنْدِس وَعَامِلٍ ومهنيٍّ إِلَى قَصْرِ عَابدِينَ فِي مَدِينَةِ الْقَاهِرَة، كَمَا نُظِّمَتْ حَمَلَاتُ مَقَاطَعَة للسِّلَعِ الأَجْنَبِيَّة كَمَا أَعْلَنَ القُضَاةُ والمُحامُون والعَامِلُون فِي مَجَالاتِ النَّقْلِ إِضْرَابَهم عَنِ العَمَلِ. وَقَد انْدَلَعَت الثَّوْرَةُ بِسَبَبِ الْمُعَامَلَة الْقَاسِيَة الَّتِي تعرَّض لَهَا الشَّعْبُ المِصْرِيُّ مِن قِبَلِ الاحْتِلَالِ البْرِيطَانِيّ، وَكَانَتْ أَوَّلَ ثَوْرَةٍ فِي إِفْرِيقْيا وَالشَّرْق الْأَوْسَــط حَيْثُ إِســتمدَّتْ قوّتها مِن نِضال الشَّعْب المَصْرِيّ وَمِن الظُّرُوف المعيشيّة الصَّعْبَة الَّتِي كَانَ يَعِيشهَا مَا جَعَلَهُ يُطَالِبُ بِاسْتِقْلَالِه والتَّخلُّص مِن تبعيَّة الاسْتِعْمار، وَلأَنَّ الْحُكُومَةَ البريطانيّة أَدْرَكَتْ أَنَّ الأُمُورَ بَدَأَت تَخْرُجُ عَنْ نِطَاق سيطرتها فِي مِصْرَ فَقَد عَمَدَت إِلَى تَنْفِيذِ مَجْمُوعَةٍ مِن التَّغْيِيرَاتِ فِي الْبِلَادِ مِنْهَا إِقَالَةُ المفوِّض السَّامِي البْرِيطانِيِّ والإِفْرَاج عَن الْقَادَةِ المَنْفِيِّينَ وَالسَّماح لَهُم بِالسَّفَر إِلَى باريس، وَفِي أَوَائِل شَهْر أَبْرِيل 1919م أَضْرَبَ المِصْرِيّون مُدَّةً طَوِيلَةً حَتَّى أَعْلَنَت بريطانيا فِي 28 شُبَاط مِنْ عَام 1922م اسْتِقْلَالَ مِصْرَ بِشَكْلٍ مَحْدُودٍ مَع احْتِفَاظ بريطانيا بِحَقِّها فِي الدِّفَاع عَن الْمَصَالِح الأَجْنَبِيَّة فِي مِصْرَ، وَفِي عَامِ 1923م تمَّ إِصْدَارُ دُسْتُور جَدِيدٍ لِلْبِلَادِ، وَفِي عَام 1924م أَصْبَح سَعْدُ زَغْلُول أَوَّلَ رَئِيس وُزَرَاء مُنْتَخَبٍ مِن قِبَلِ الشَّعْبِ. للمَزِيدِ: مَوقعُ ويكيبيديا الموسُوعَة الحُرَّة، مُتاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/YBUWY

إِنَّ ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ وخَاصَّةً في بِدَايَاتِها في تُونِسَ ومِصْرَ قد قَامَتْ في الأَسَاسِ على حَرَاكِ الشَّـــبَابِ وتَصَدِّيهِمْ لِوحْدِهِمْ في بِدَايَةِ الأَمْرِ لآلَةِ القَمْعِ الأَمْنِيَّةِ الدَّاعِمَةِ للأَنْظِمَةِ الحَاكِمَةِ الَّتِي سَـــقَطَتْ قَبْلَ أَنْ يَنْضَمَّ إِلَيْها كَافَّةُ أَطْيَافِ الشَّعْبِ؛ الأَمْرُ الَّذِي يُؤَكِّدُ أَهَمِّيَّةَ دَوْرِ الشَّبَابِ في الحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ.

غَيْرَ أَنَّهُ ثَمَّةَ إِشْـــكَالِيَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ يُعَانِي مِنْها الشَّبَابُ العَرَبِيُّ في شَأْنِ المُشَارَكَةِ السِّيَاسِيَّةِ تَتَمَثَّلُ في العُزُوفِ عَنْها بِشَكْلٍ عَامٍّ وتَجَاهُلِها بِمَعْنَاها الإِجْرَائِيِّ؛ أَيْ من حَيْثُ التَّصْوِيتُ في الانْتِخَابَاتِ العَامَّةِ أو المُبَادَرَةُ للعَمَلِ في المَجَالِ السِّيَاسِيِّ بِوجْهِهِ العَامِّ، وقد تَفَشَّى ذلك في أَوْسَاطِ الشَّبَابِ وفي مُعْظَمِ المَنَاطِقِ حَوْلَ العَالَمِ؛ حَيْثُ إِنَّ تَرَاجُعَ الأَيْدِيُولُوجِيَّاتِ الكُبْرَى وتَعَاظُمَ الفَشَلِ السِّيَاسِيِّ في مُعْظَمِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ لِصَالِحِ الأَنْظِمَةِ الحَاكِمَةِ مَعَ تَرَاجُعٍ عَامٍّ في الحُرِّيَّاتِ والحُقُوقِ المَدَنِيَّةِ نَاهِيكَ عن فِقْدَانِ الدَّافِعِيَّةِ الفِكْرِيَّةِ أَحْبَطَ تَيَّارَاتٍ شَبَابِيَّةً واسِعَةَ النِّطَاقِ، فلَم تَعُدْ تلك الفَاعِلِيَّةُ ظَاهِرَةً أو مَرْئِيَّةً، سَواءٌ في أَوْسَاطِ التَّجَمُّعَاتِ الجَامِعِيَّةِ أو غَيْرِها، كَما أَنَّ انْتِشَارَ وسَائِلِ الاتِّصَالِ الحَدِيثَةِ وثَوْرَةِ التَّواصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ سَاهَما في التَّبَادُلِ المَعْرِفِيِّ بين الشَّبَابِ، لَكِنَّهُ في المُقَابِلِ زَكَّى إِحْبَاطَ العَمَلِ الجَمَاعِيِّ الفَاعِلِ من جِهَةٍ أُخْرَى، فَأَصْبَحَ الاطِّلَاعُ والمُتَابَعَةُ عَبْرَ الإِنْتَرْنِت بَدِيلَيْنِ عن العَمَلِ السِّيَاسِيِّ الحَقِيقِيِّ على الأَرْضِ.

لقَـــد حَمَلَتْ مَوْجَةُ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ مَعَها رِيَاحَ التَّغْيِيرِ على جَمِيعِ المُسْـــتَوِيَاتِ، بَدْءًا من الشَّـــبَابِ الَّذِي كَشَفَ عن كَفَاءَةٍ وعُلُوِّ هِمَّةٍ ومُواصَلَةٍ ومُثَابَرَةٍ وتَحَمُّلٍ وتَضْحِيَةٍ وطَاقَةِ تَغْيِيرٍ كَامِنَةٍ حَمَلَها بين جَنَبَاتِهِ على الرَّغْمِ من عُقُودِ التَّهْمِيشِ والإِقْصَاءِ الَّتِي مُورِسَتْ ضِـــدَّهُ؛ الأَمْرُ الَّذِي أَصْبَحَ يُحَتِّمُ إِجْرَاءَ مُرَاجَعَةٍ شَـــامِلَةٍ لَدَى كَافَّةِ أَطْيَافِ المُجْتَمَعَاتِ العَرَبِيَّةِ، أَفْرَادًا ومُؤَسَّسَـــاتٍ، لِلنَّظَرِ إلى الدَّوْرِ الطَّلِيعِيِّ الَّذِي أَخَذَهُ الشَّبَابُ في حِقْبَةِ ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ؛ من حَيْـــثُ دَوْرُهُ في القِيَادَةِ وتَجْدِيدِها وتَطْوِيرِها، أو دَوْرُهُ في عَمَلِيَّةِ البِنَاءِ الجَدِيدَةِ للوطَنِ العَرَبِيِّ ومَشْرُوعِهِ الحَضَارِيِّ.

لَكِـــنَّ هذا الدَّوْرَ الطَّلِيعِيَّ رُبَّما يَصْطَـــدِمُ من جِهَةٍ أُخْرَى بِتَحَدِّيَاتٍ عِدَّةٍ، منها: ضَيَاعُ الهُوِيَّةِ العَرَبِيَّةِ لِلشَّبَابِ الَّتِي طَالَما كَانَتْ مَحَطَّ أَنْظَارِ شُعُوبِ المِنْطَقَةِ؛ وازْدَادَتْ فَجْوتُها

مَعَ تَصَاعُدِ وتيرةِ التَّطَرُّفِ والعُنْفِ خِلَالَ حِقْبَةِ ما بَعْدَ الرَّبيعِ العَرَبيِّ؛ إِذْ تَزَعْزَعَت الهُوِيَّةُ العَرَبِيَّةُ أَكْثَرَ فَأَكْثَر، من خِلَالِ حُرُوبِ التَّشَـــدُّدِ والتَّعَصُّبِ الفِكْرِيَّةِ والأَيْدِيُولُوجِيَّة، مَعَ التَّأْكِيدِ على بَقَاءِ شَرَائِحَ قَلِيلَةٍ لَا تَزَالُ تَسْعَى شَامِخَةً لِإِثْبَاتِ هُوِيَّتِها وانْتِمَائِها الإِسْلَامِيِّ السَّمْحِ، في مَجْمُوعَةٍ من الدُّوَلِ المُمَزَّقَة، فَفي ظِلِّ هذه التَّحَدِّيَاتِ الَّتي تَعْصِفُ بِالأُمَّة العَرَبِيَّةِ والَّتي يُواجِهُها الشَّـــبَابُ العَرَبِيُّ في ظِلِّ تَحَدِّيَاتِ العَوْلَمَةِ أَيْضًا؛ غَدَتْ مُشْكِلَةَ الهُوِيَّةِ والانْتِمَاءِ مُشْـــكِلَةً رَئِيسَةً تُعَانِي من تَبِعَاتِها كَثِير من المُجْتَمَعَاتِ العَرَبِيَّةِ خَاصَّةً فِئَةَ الشَّبَابِ المُعَاصِر.

كَما يُؤَثِّرُ غِيَابُ الوعْي السِّيَاسِيِّ لَدَى الشَّبَابِ العَرَبيِّ على القِيَامِ بهذا الدَّوْرِ المُجْتَمَعِيِّ البَارِزِ على أَكْمَلِ وجْه، فَهذا الغِيَابُ يَعْني فِقْدَانَ التَّوازُنِ السِّـــيَاسِيِّ، وانْعِدَامَ الرُّؤْيَةِ القَوِيمَةِ للأَحْدَاثِ وتَحْليلِها، ونَتِيجَتُهُ ضَيَاعُ المَصَالِحِ العَامَّةِ وفِقْدَانُ البُوصَلَةِ السَّلِيمَة، وبِالتَّالي تَفَتُّتُ أَرْكَانِ الدَّوْلَةِ ومُؤَسَّسَـــاتِها وضَعْفُ المُجْتَمَعِ وانْهِيَارِه، فَأَيُّ شَـــعْبٍ أو مُجْتَمَـــعٍ لَا يُمْكِنُهُ التَّعَرُّفُ على واقِعِهِ ورَصْدُ مَواطِنِ القُوَّةِ والضَّعْفِ، والعَوامِلِ المُؤَثِّرَةِ فِيه، سَيَجْنِي تَدَاعِيَاتٍ سَلْبِيَّةً رُبَّمَا لَا يُمْكِنُ تَدَارُكُها على المَدَى البَعِيد.

لكنْ يُمكنُ القَوْلُ: إِنَّهُ رَغْمَ تَعَدُّدِ الآثَارِ السَّلْبِيَّةِ لِغِيَابِ الوعْي السِّيَاسِيِّ عن الشَّبَابِ العَرَبِيِّ، إِلَّا أَنَّ ثَمَّةَ تَحَوُّلَاتٍ واضِحَةً بِاتِّجَاهِ ارْتِفَاعِ مُسْـــتَوِيَاتِ هذا الوعْي بَرَزَتْ في حِقْبَةِ ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبيِّ، لَكِنَّها تَبْدُو بَطِيئَةً جِدًّا حَتَّى الآنَ؛ إِذْ لَعِبَ هؤلاء الشَّـــبَابُ دَوْرًا حَاسِمًا في تَعْزِيـــزِ حَرَكَةِ التَّغَيُّرَاتِ دَاخِلَ أَوْطَانِهِمْ، ومن ثَمَّ جَاءَتْ أَهَمِّيَّةُ إِشْرَاكِهِمْ بِفَاعِلِيَّةٍ في هذه العَمَلِيَّةِ وتَوْجِيهِهِمْ وتَنْظِيمِهِمْ بِشَـــكْلٍ أَكْبَرَ، ورُبَّمَا يُؤَدِّي ذلك بِالمُقَابِلِ لِنَشْرِ مُقَارَبَةٍ شَبَابِيَّةٍ تَشَـــارُكِيَّةٍ للدِّيمُقْرَاطِيَّةِ والحُكْمِ الرَّشِيدِ؛ لِذَا فَإِنَّ تَفْعِيلَ دَوْرِ الشَّبَابِ في عَمَلِيَّاتِ التَّنْمِيَةِ يَتَطَلَّبُ زِيَادَةَ وعْيِهِم السِّيَاسِيِّ والاجْتِمَاعِيِّ وانْخِرَاطِهِم الجَادِّ في عَمَلِيَّةِ صُنْعِ القَرَار.

ومن هُنَا، أَصْبَحَ وعْيُ الشَّبَابِ بِالمُسْتَقْبَلِ واسْتِشْرَافِ آفَاقِهِ وفَهْمِ تَحَدِّيَاتِهِ ضَرُورَةً من ضَرُورَاتِ العَصْر، ومَطْلَبًا أَسَاسِيًّا من مَطَالِبِ التَّنْمِيَةِ المَنْشُودَةِ؛ كَيْ تَتَمَكَّنَ الدُّوَلُ، على اخْتِلَافِ تَصْنِيفَاتِها، من مُواكَبَةِ التَّطَوُّرِ السَّرِيعِ، وتَحْقِيقِ تَطَلُّعَاتِ الشُّعُوبِ، والاحْتِفَاظِ لِنَفْسِها بِمَكَانَةٍ لَائِقَةٍ بين الأُمَم.

ويَتَطَلَّبُ الوعْيُ الجَيِّدُ بالمُسْتَقْبَلِ الدِّرَاسَةَ المُسْتَفِيضَةَ للمَاضِي بما فِيهِ من نِقَاطِ قُوَّةٍ أو ضَعْفٍ، وفَهْمٍ للحَاضِرِ ومُكَوِّنَاتِهِ، واسْتِشْرَاف للمُسْتَقْبَلِ وكُلِّ ما يَجْرِي حَوْلَنَا من تَغَيُّرَاتٍ في مُخْتَلِفِ المُجْتَمَعَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ، سَواءٌ في عَالَمِ السِّيَاسَةِ أو الاقْتِصَادِ أو الاجْتِمَاعِ أو التَّعْلِيمِ والتَّرْبِيَةِ أو الإِعْلَامِ ووسَائِلِ الاتِّصَالِ الأُخْرَى، أو التِّكْنُولُوجِيَا والتِّقْنِيَّةِ، وغَيْرُ ذلك كَثِيرٌ.

فَفِي الغَرْبِ يُوجَدُ الكَثِيرُ من المَرَاكِزِ الَّتِي تُعْنَى بِشُؤُونِ المُسْتَقْبَلِ وقَضَايَاهُ، كَمَا يُوجَدُ الكَثِيرُ من الدِّرَاسَاتِ الَّتِي تَتَنَاوَلُهُ، كَمَا تَصْدُرُ الكَثِيرُ من المَجَلَّاتِ المُتَخَصِّصَةِ الَّتِي تَرْصُد قَضَايَاه ومَعَالِمَهُ[1].

ومن المُؤْسِفِ للغَايَةِ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ في العَالَمِ العَرَبِيِّ أَيُّ اهْتِمَامٍ يُذْكَرُ بِقَضَايَا المُسْتَقْبَلِ إِلَّا نَادِرًا، مِمَّا سَاهَمَ في غِيَابِ اسْتِرَاتِيجِيَّةٍ واضِحَةٍ في هذا الشَّأْنِ، وما يَرْتَبِطُ به من قَضَايَا وأَبْعَادٍ؛ سَواءٌ ما تَعَلَّقَ بالدُّولِ أو المُجْتَمَعَاتِ أو الأَفْرَادِ.

وتُحِيلُنَا قَضِيَّةُ "اسْتِشْرَافِ المُسْتَقْبَلِ" بِدَوْرِها على نُقْطَةٍ أُخْرَى لَا تَقِلُّ أَهَمِّيَّةً في مِلَفِّ إِعْدَادِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ، وهِيَ تَحْلِيلُ دَوْرِ الدَّوْلَةِ في تَنْمِيَةِ قُدُرَاتِ شَبَابِها وتَدَاعِيَاتِ تَهْمِيشِهِمْ وعَدَمِ اسْتِثْمَارِ هذه الطَّاقَاتِ البَشَرِيَّةِ وتَشْجِيعِها على الإِبْدَاعِ والابْتِكَارِ وإِهْمَالِ الاسْتِثْمَارِ في العُقُولِ واكْتِشَافِ الكَفَاءَاتِ الشَّابَّةِ وعَدَمِ السَّعْيِ الجَادِّ لإِشْرَاكِها في الإِدَارَةِ المُؤَسَّسِيَّةِ وتَوْفِيرِ المُقَوِّمَاتِ المَادِّيَّةِ والمَعْنَوِيَّةِ لِتَمْكِينِها من المَسْؤُولِيَّةِ واتِّخَاذِ القَرَارَاتِ فَالاسْتِمْرَارُ في هذه السِّيَاسَاتِ الَّتِي تُعَارِضُ مَبَادِئَ الطَّبِيعَةِ بِضَرُورَةِ تَسْلِيمِ الرَّايَةِ إلى جِيلِ الشَّبَابِ يُؤَدِّي إلى الجُمُودِ المُؤَسَّسِيِّ وتَوَقُّفِ عَجَلَةِ التَّطَوُّرِ والتَّنْمِيَةِ وتَفَاقُمِ الأَزَمَاتِ المُخْتَلِفَةِ نَتِيجَةَ غِيَابِ رُوحِ الحَمَاسِ والرَّغْبَةِ في التَّجْرِبَةِ والتَّغْيِيرِ.

وفي مُوَاجَهَةِ الأَزَمَاتِ الاقْتِصَادِيَّةِ والمُنَاخِيَّةِ والغِذَائِيَّةِ الرَّاهِنَةِ، سَيَظَلُّ تَطْوِيرُ القُدُرَاتِ المُؤَسَّسِيَّةِ والمُجْتَمَعِيَّةِ لِتَصْمِيمِ وتَنْفِيذِ الاسْتِرَاتِيجِيَّاتِ الفَاعِلَةِ في تَمْكِينِ وتَأْهِيلِ الشَّبَابِ

1. أبو دَاوُد، سَيِّد. "صِنَاعَةُ الوعْيِ السِّيَاسِيِّ مَسْؤولِيَّة مَن؟"، الإِسلامُ اليَوْمَ، 10 يونيو 2003م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 14 يناير 2017م، مُتَاح على الرَّابِط: goo.gl/eQye2o

أَمْرًا ضَرُورِيًّا وحَيَوِيًّا لَا مَفَرَّ مِنْهُ؛ لِلتَّقْلِيلِ من تَأْثِيرِ هذه الأَزَمَاتِ، ولِضَمَانِ اسْـتِمْرَارِ العَمَلِيَّـةِ الرَّامِيَةِ إلى تَحْقِيقِ الأَهْدَافِ الإِنْمَائِيَّةِ في هذا الصَّدَدِ؛ ولَا سِـيَّمَا الأَهْدَافُ الإِنْمَائِيَّـةُ للأَلْفِيَّةِ؛ والَّتِي تَضُمُّ ثَمَانِيَةَ أَهْدَافٍ كَانَ من المَأْمُولِ تَحْقِيقُهَا بِحُلُولِ العَامِ 2015م، بِحَسَـبِ ما وقَّعَهُ 147 من رُؤَسَاءِ الدُّوَلِ والحُكُومَاتِ خِلَالَ قِمَّةِ الأَلْفِيَّةِ في سِبْتَمْبَرَ 2000م(1).

وأخـيرًا، يَجِبُ التَّأْكِيدُ على أَنَّ الشَّـبَابَ لم يَعُدْ تلك الفِئَةَ المُفْتَقِرَةَ إلى النُّضْجِ الكَامِلِ والمُمَثِّلَةَ لِجُمْلَةِ مَشَاكِلَ وإِشْكَالَاتٍ شَائِكَةٍ للمُجْتَمَعِ، بَلْ هُم القَاعِدَةُ الأَسَاسِيَّةُ في البِنَاءِ، ومن أَهَمِّ المُرْتَكَـزَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ في التَّنْمِيَةِ البَشَرِيَّةِ؛ حَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ نَلْمَسَ بِوُضُوحٍ تَأْثِيرَ تَهْمِيشِهِمْ وإِقْصَائِهِمْ عن المُشَارَكَةِ في المَسِيرَةِ التَّنْمَوِيَّةِ، والَّتِي تَبْقَى لِهذا السَّبَبِ مُتَعَـثِّرَةً في المُجْتَمَعَاتِ العَرَبِيَّةِ على وجْهِ الخُصُوصِ؛ إِذْ تُوَاجِهُ هذه الدُّوَلُ مُشْـكِلَةً بَالِغَةَ الخُطُورَةِ في آلِيَّاتِ تَمْكِينِ فِئَةِ الشَّـبَابِ لَدَيْهَا، وعَدَمَ السَّـعْيِ الجَادِّ لِإِشْرَاكِهَا في المَسْؤُولِيَّاتِ الحَيَوِيَّةِ وعَمَلِيَّاتِ البِنَاءِ والتَّنْمِيَةِ، بل وحِرْمَانُهَا من التَّعْبِيرِ عن الآرَاءِ بِحُرِّيَّةٍ فِيما تَمُرُّ به من صُعُوبَاتٍ، أو ما يَنْتَظِرُهَا من مُسْـتَقْبَلٍ، وهُو ما يُعَرِّضُهَا إلى تَحَدِّيَـاتٍ عِدَّةٍ على جَمِيعِ المُسْـتَوَيَاتِ، تَصُبُّ في نِهَايَةِ الأَمْرِ في مُؤَشِّرَاتٍ اقْتِصَادِيَّةٍ مُتَدَنِّيَةٍ وتَفَاقُمِ مَشَـاكِلِ البَطَالَةِ والعُنُوسَـةِ والهِجْرَةِ غَيْرِ الشَّرْعِيَّةِ، وانْتِشَارِ الجَرَائِمِ والانْحِدَارِ السُّـلُوكِيِّ، وضَيَاعِ القِيَمِ الدِّينِيَّةِ والمُجْتَمَعِيَّةِ، وبِالتَّالِي تَأَخُّرُهَا عن اللَّحَاقِ بِرَكْبِ الدُّوَلِ المُتَقَدِّمَةِ والبَقَاءِ في المُؤَخِّرَةِ دَائِمًا.

وبِالنَّظَرِ إلى ما سَـبَقَ ذِكْرُهُ، فَإِنَّ قَضِيَّةَ إِدْمَاجِ الشَّـبَابِ في عَمَلِيَّةِ التَّنْمِيَةِ، تُعَدّ من أَكْـبَرِ التَّحَدِّيَاتِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يُوَاجِهَهَا المَسْـؤُولُونَ في القِطَاعَيْنِ؛ العَامِّ والخَاصِّ، ومَعَهُمْ فَعَالِيَّاتُ المُجْتَمَعِ المَدَنِيِّ؛ إِذْ إِنَّ الآثَارَ الَّتِي تَتَرَتَّبُ عليها، لَا تَتَجَسَّـدُ فَقَطْ في النَّتَائِجِ المُسَجَّلَةِ في الحَاضِرِ فَحَسْبُ، بَلْ أَيْضًا تَنْعَكِسُ على الأَهْدَافِ المُنْتَظَرَةِ والمَنْشُودَةِ

1. تَقْرِيرُ التَّنْمِيَةِ الإِنْسَانِيَّةِ العَرَبِيَّةِ للعامِ 2016م، الشَّبَابُ وآفَاقُ التَّنْمِيَةِ الإِنْسَانِيَّةِ في واقِعٍ مُتَغَيِّرٍ، مَرْجِعٌ سَابِق.

بِالنِّسْبَةِ للمُسْتَقْبَلِ. لِذَا فَإِنَّ الحَاجَةَ إلى سِيَاسَةٍ مُلَائِمَةٍ ومُلْتَزِمَةٍ بِقَضَايَا الشَّبَابِ تُعْتَبَرُ اليَوْمَ من الأَوْلَوِيَّاتِ الرَّئِيسَةِ والَّتِي تَسْتَوْجِبُ تَوافُقًا واسِعًا مَعَ رُؤْيَةٍ طَوِيلَةِ الأَجَلِ. والتَّوافُقُ في هذا الصَّدَدِ يُتِيحُ لِصَانِعِي القَرَارِ العَمَلَ ليس فَقَطْ لِأَجْلِ الشَّبَابِ، ولَكِنْ أَيْضًا التَّعَاوُنَ والتَّشَاوُرَ مَعًا، لِلتَّوصُّلِ إلى اتِّفَاقٍ وتَوافُقٍ يَفِي بِاحْتِيَاجَاتِ الشَّبَابِ وتَطَلُّعَاتِهِمْ، ويَعْتَرِفُ بِإِمْكَانَاتِهِمْ كَإِطَارٍ لِتَطْوِيرِ سِيَاسَةٍ وطَنِيَّةٍ شَامِلَةٍ لِلشَّبَابِ.

وبِطَبِيعَةِ الحَالِ، فَإِنَّ صِيَاغَةَ سِيَاسَةٍ لِلشَّبَابِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ عَمَلِيَّةً تُدَارُ بِصُورَةٍ إِجْبَارِيَّةٍ وتَقْلِيدِيَّةٍ، من أَعْلَى إلى أَسْفَلَ، فَوَضْعُ سِيَاسَةٍ نَاجِحَةٍ في ذلك الصَّدَدِ، يَتَطَلَّبُ إِشْرَاكَ جَمِيعِ الفَاعِلِينَ المُجْتَمِعِينَ، وانْخِرَاطَ نُظَرَائِهِم السِّيَاسِيِّينَ، ومَدَّ جُسُورِ التَّشَاوُرِ والثِّقَةِ مَعَ الشَّبَابِ على نِطَاقٍ واسِعٍ، وكَذلك الحِفَاظُ على عَلَاقَةِ تَعَاوُنٍ وثِيقَةٍ مَعَ مُنَظَّمَاتِ المُجْتَمَعِ المَدَنِيِّ كَافَّةً.

فَآفَاقُ التَّنْمِيَةِ ونَجَاحُ التَّغَيُّرَاتِ السِّيَاسِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ المَنْشُودَةِ في الوطَنِ العَرَبِيِّ تَتَوقَّفُ على جُمْلَةٍ من الأُمُورِ؛ أَهَمُّها الانْكِبَابُ على اسْتِرَاتِيجِيَّاتٍ فَعَّالَةٍ، يَتَمَحْوَرُ جُزْءٌ مُهِمٌّ مِنْها على ظُرُوفِ التَّنْشِئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ لِلشَّبَابِ، ووضْعُ سِيَاسَةٍ عَامَّةٍ مُتَعَدِّدَةِ الأَقْطَابِ والأَبْعَادِ لِصَالِحِ الشَّبَابِ قَيْدَ التَّنْفِيذِ، ومُواجَهَةُ التَّحَدِّيَاتِ المَطْرُوحَةِ بِإِشْرَاكِ المُجْتَمَعِ المَدَنِيِّ، وتَعْزِيزُ دَوْرِ الشَّبَابِ في فَعَالِيَّاتِهِ كَقَاطِرَةٍ لِلتَّطْوِيرِ والتَّغْيِيرِ. هذا دُونَ إِغْفَالِ أَهَمِّيَّةِ تَوْسِيعِ مَجَالِ الحِوارِ حَوْلَ الشَّأْنِ الشَّبَابِيِّ، إِضَافَةً إلى تَدَخُّلَاتٍ أُخْرَى مُتَمَاسِكَةٍ ومُنَسَّقَةٍ في مُخْتَلِفِ المَجَالَاتِ الَّتِي تَبْرُزُ فِيها الحَاجَةُ مُلِحَّةً إلى رُوحِ وجَذْوةِ الشَّبَابِ المُشْتَعِلَةِ؛ بِواسِطَةِ هذه التَّعْبِئَةِ يُمْكِنُ وضْعُ الأُسُسِ المَتِينَةِ لِفَلْسَفَةٍ جَدِيدَةٍ تُثَمِّنُ فُرَصَ وُلُوجِ الشَّبَابِ إلى تَوَلِّي المَسْؤُولِيَّةِ والقِيَامِ بِأَدْوارِ المُواطَنَةِ الكَامِلَةِ والنَّشِطَةِ، وتَبْعَثُ على التَّغْيِيرِ الإِيجَابِيِّ في عَقْلِيَّاتِهِمْ وسُلُوكِيَّاتِهِمْ.

الإِشْكَالِيَّةُ البَحْثِيَّةُ

الشَّبَابُ العَرَبِيُّ قُوَّةٌ ضَخْمَةٌ غَيْرُ مُفَعَّلَةٍ، تَمَّ إِهْمَالُها لِفَتَرَاتٍ طَوِيلَةٍ من قِبَلِ الحُكُومَاتِ والمُجْتَمَعَاتِ العَرَبِيَّةِ، وتَمَّ تَغْيِيبُ وعْيِها بِشَكْلٍ مُتَعَمَّدٍ، وشُغِلَتْ بِقَضَايَا جَانِبِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وتَمَّ

إلْهاؤُها عن قَضَايَا أُمَّتِها المَصيريَّة، نَاهيكَ عن تَحَدِّيَاتِ الفَسَادِ، والاسْتِبْدَادِ السِّيَاسِيِّ، وضَعْفِ الوعْي، وانْخِفَاضِ مُسْتوى التَّعْليم، والبَطَالَة، وانْتِشَارِ المُخَدِّرَات، وغَيْرِها من التَّحَدِّيَاتِ الَّتي تَعْتَرِضُها. وإذَا ما أَرَادَت الدُّولُ العَرَبِيَّةُ تَحْقِيقَ ازْدِهارٍ وتَقَدُّمٍ على مُخْتَلِفِ الجَوانِب، فَيَجِبُ عليها أَنْ تَعْمَلَ على تَمْكِينِ الشَّبَاب، وتَحْسِينِ أَوْضَاعِهِمْ، وإشْرَاكِهِمْ في قَضَايَا أَوْطَانِهِمْ، وبَثِّ الوعْيِ السِّيَاسِيِّ والوطَنِيِّ فِيما بينهم.

وتَسْعَى هذه الدِّرَاسَةُ إلى الإجَابَةِ عن تَسَاؤُلٍ رَئِيسٍ أَلَا وهُو: **ما مُسْتَقْبَلُ الشَّبَاب العَرَبيِّ في ظِلِّ التَّحَدِّيَاتِ الَّتي تُحِيطُ بالأُمَّةِ والعَالَم من حَوْلِهِمْ؟ وكَيْفَ يُمْكِنُ الانْطِلاَقُ من الواقِعِ الحَاليِّ لِلشَّبَاب في عَمَلِيَّةِ بِنَاءِ مُسْتَقْبَلٍ لَهُمْ ولِلمُجْتَمَعِ العَرَبيِّ بِشَكْلٍ عَامٍّ؟ وما هِيَ أَبْرَزُ التَّحَدِّيَاتِ والعَقَبَاتِ الَّتي تَقِفُ في وجْهِ الشَّبَاب؟**
هذه الإشْكَاليَّةُ البَحْثِيَّةُ هِيَ مِحْوَرُ بِنَاءِ وتَصْمِيمِ هذه الدِّرَاسَةِ الَّتي بين أَيْدِينَا؛ من حَيْثُ تَحْدِيدُ الأَهْدَافِ الغَائِيَّةِ المَطْلُوبَةِ منها، ومَقْتَرَبُهَا البَحْثِيُّ المُلاَئِمُ، ومن ثَمَّ تَقْسِيمُها المَبَاحِثي المُتَسَلْسِل.

تساؤلات الدِّرَاسَة

تُثِير الإشكاليَّة البَحْثِيَّة الرَّئِيسَة للدِّرَاسَة عددًا من التساؤلات الفَرعِيَّة، ، وعلَيْه، تَسْعَى هذه الدِّرَاسَةُ للبَحْثِ عن إجَابَاتٍ وافِيَةٍ لَها، تَكْتَمِلُ من خِلاَلِها مَنْظُومَةُ الإجَابَةِ عن الإشْكَاليَّةِ الرَّئِيسَةِ مَحَلِّ البَحْث، ومن ثَمَّ تَتَحَقَّقُ أَهْدَافُ الدِّرَاسَةِ والغَرَضُ الَّذي قَامَتْ من أَجْلِهِ.

ولَعَلَّ أبرز هذه التساؤلات ما يلي:

- ما المَقْصُودُ بالشَّبَابِ لُغَويًّا واصْطِلاَحِيًّا؟
- ما أَهَمِّيَّةُ الشَّبَابِ بِالنِّسْبَةِ لِلمُجْتَمَعِ العَرَبيِّ؟
- ما الدَّوْرُ المُنَاطُ بِالشَّبَابِ في عَمَلِيَّةِ بِنَاءِ المُجْتَمَعِ؟
- ما أَبْرَزُ المَشَاكِلِ والعَقَبَاتِ الحَالِيَّةِ الَّتي تُواجِهُ الشَّبَابَ العَرَبِيَّ؟
- إلى أَيِّ مَدًى شَكَّلَت العَوْلَمَةُ بِتَجَلِّيَاتِها المُخْتَلِفَةِ تَحَدِّيَاتٍ حَقِيقِيَّةً أمام الشَّبَابِ العَرَبيِّ وما أَبْرَزَ تلك التَّحَدِّيَات؟

- ما المَقْصُودُ بِأَزْمَةِ الهُوِيَّةِ عِنْدَ الشَّـــبَابِ العَرَبِيِّ؟، ومـــا تَأْثِيرُ هذه الأَزْمَةِ على عَلَاقَةِ الشَّبَابِ بِبِيئَتِهِ ومُجْتَمَعِهِ؟
- ما واقِعُ هُوِيَّةِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ الثَّقَافِيَّةِ؟ وما التَّحَدِّيَاتُ الَّتِي تُواجِهُ هذه الهُوِيَّةَ؟
- ما مَفْهُومُ صِرَاعِ الأَجْيَالِ؟ وما أَسْبَابُ هذا الصِّرَاعِ؟ وما تَأْثِيرُ هذه الظَّاهِرَةِ على الشَّبَابِ؟
- ما أَهَمِّيَّةُ الوعْيِ السِّـــيَاسِيِّ بِالنِّسْبَةِ لِلشَّـــبَابِ؟ وكَيْفَ أَثَّرَ غِيَابُ أو تَغْيِيبِ هذا الوعْيِ على واقِعِ الأُمَّةِ؟
- ما أَسْـــبَابُ هِجْرَةِ الكَفَاءَاتِ العَرَبِيَّةِ من الشَّبَابِ؟ وما تَأْثِيرُها على الشَّبَابِ والمُجْتَمَعِ والدَّوْلَةِ؟ وما الإِسْتِرَاتِيجِيَّاتُ الكَفِيلَةُ للحَدِّ من هذه الظَّاهِرَةِ؟
- ما المَقْصُودُ بِتَمْكِينِ الشَّـــبَابِ؟ وما أَبْعَادُ هذا التَّمْكِينِ؟ وما الوسَائِلُ والبَرَامِجُ الكَفِيلَةُ بِتَفْعِيلِ تَمْكِينِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ؟
- ما تَأْثِيرُ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ على واقِعِ الشَّـــبَابِ العَرَبِيِّ؟ وما أَبْرَزُ الدُّرُوسِ المُسْتَفَادَةِ من هذا الحَرَاكِ؟

أَهْدَافُ الدِّرَاسَةِ

تَسْـــعَى الدِّرَاسَـــةُ عَبْرَ مُقْتَرَبَاتِها النَّظَرِيَّةِ وأُطُرِها التَّطْبِيقِيَّةِ إلى تَحْقِيقِ مَجْمُوعَةٍ من الأَهْدَافِ البِنْيَوِيَّةِ والمُتَمَاسِكَةِ، والَّتِي تُسْفِرُ في النِّهَايَةِ عن تَقْدِيمِ عِدَّةِ مُخْرَجَاتٍ تَحْلِيلِيَّةٍ **تَتَعَلَّقُ بِالنِّقَاطِ التَّالِيَةِ:**

- تَحْدِيدٌ دَقِيقٌ لِمَفْهُومِ الشَّـــبَابِ كَشَرِيحَةٍ عُمْرِيَّةٍ وتَصَرُّفَاتٍ سَيْكُولُوجِيَّةٍ، وإِبْرَازُ أَهَمِّيَّةِ الشَّبَابِ في المُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ.
- مَعْرِفَةُ المَشَاكِلِ والتَّحَدِّيَاتِ الَّتِي تُواجِهُ الشَّبَابَ في العَالَمِ العَرَبِيِّ، ومَعْرِفَةُ تَأْثِيرِ هذه التَّحَدِّيَاتِ على واقِعِ ومُسْتَقْبَلِ الشَّبَابِ، إِضَافَةً إلى تَحْدِيدِ النِّقَاطِ الَّتِي تُؤَثِّرُ بها هذه التَّحَدِّيَاتُ على حَيَاةِ الشَّبَابِ ومن خَلْفِهِم المُجْتَمَعُ العَرَبِيُّ بِالكَامِلِ.
- إِلْقَاءُ الضَّوْءِ على الواقِعِ الحَقِيقِيِّ للوعْيِ الجَمْعِيِّ لِلشَّـــبَابِ العَرَبِيِّ، لَا سِـــيَّما الوعْيُ السِّيَاسِيُّ، ومَعْرِفَةُ الأَسْـــبَابِ الحَقِيقِيَّةِ لِتَرَاجُعِ هذا الوعْيِ، وتَأْثِيرُ هذا التَّرَاجُعِ على المُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ بِالكَامِلِ.

- تَحْدِيدُ الأَبْعَادِ الحَقِيقِيَّةِ للهُوِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ لِلشَّبَابِ العَرَبِيِّ، ومَدَى تَنَاغُمِ هذه الهُوِيَّةِ مع الهُوِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ للمُجْتَمَعِ بالكَامِلِ.
- دِرَاسَةُ مَدَى انْسِجَامِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ مَعَ بِيئَتِهِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وهَلْ تَصِلُ الاخْتِلَافَاتُ بين الشَّبَابِ وبَاقِي الشَّرَائِحِ الاجْتِمَاعِيَّةِ إلى حَدِّ الصِّرَاعِ الثَّقَافِيِّ والأَيْدِيُولُوجِيِّ.
- رَصْدُ ظَاهِرَةِ هِجْرَةِ الكَفَاءَاتِ العَرَبِيَّةِ بين الشَّبَابِ، وتَحْدِيدُ وتَحْلِيلُ العَوامِلِ الرَّئِيسَةِ المُسَبِّبَةِ لَها.
- إِلْقَاءُ الضَّوْءِ على تَأْثِيرِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ على الشَّبَابِ العَرَبِيِّ بِسَلْبِيَّاتِهِ وإِيجَابِيَّاتِهِ.

أَهَمِّيَّةُ الدِّرَاسَةِ

البَحْثُ العِلْمِيُّ بِطَبِيعَتِهِ عَمَلِيَّةٌ مَنْطِقِيَّةٌ ومُنَظَّمَةٌ ضِمْنَ تَسَلْسُلٍ مُتَنَاسِقِ المُنْطَلَقَاتِ والنَّتَائِجِ، يَهْدِفُ إلى ضَبْطِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي يَقُومُ البَاحِثُ بِدِرَاسَتِها وفْقًا لِأَدَوَاتٍ عِلْمِيَّةٍ مُنْضَبِطَةٍ، من هُنَا تَبْرُزُ أَهَمِّيَّةُ هذه الدِّرَاسَةِ مُسْتَنِدَةً بالأَسَاسِ على بُعْدَيْنِ رَئِيسَيْنِ؛ أَحَدُهُما عِلْمِيٌّ والآخَرُ عَمَلِيٌّ؛ وإِنْ كَانَ الفَصْلُ بين كِلَا البُعْدَيْنِ مِنَ النَّاحِيَةِ الواقِعِيَّةِ قد يَبْدُو أَمْرًا تَعَسُّفِيًّا وصَعْبًا بِاعْتِبَارِ أَنَّ كِلَيْهِما مُكَمِّلٌ للآخَرِ ومُتَقَاطِعٌ مَعَهُ بِشَكْلٍ كُلِّيٍّ أو جُزْئِيٍّ.

الأَهَمِّيَّةُ العِلْمِيَّةُ:

- تَوْفِيرُ إِطَارٍ عِلْمِيٍّ تَحْلِيلِيٍّ مُنْضَبِطٍ، مَفَاهِيمِيًّا وإِجْرَائِيًّا، حَوْلَ مَفْهُومِ الشَّبَابِ، ودِرَاسَةُ خَصَائِصِ هذه الشَّرِيحَةِ من المُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ من النَّاحِيَةِ العُمْرِيَّةِ والسَّيْكُولُوجِيَّةِ.
- التَّأْصِيلُ المَفَاهِيمِيُّ لِكُلِّ ما يَتَعَلَّقُ بِدِرَاسَاتِ الشَّبَابِ من حَيْثُ التَّعْرِيفُ بِالشَّبَابِ والأَبْعَادُ التَّنْمَوِيَّةِ والتَّرْبَوِيَّةِ المَنُوطُ بها، وخَرِيطَةُ تَشَابُكِها الاصْطِلَاحِيِّ.
- تَقْدِيمُ مُقَارَبَةٍ جَدِيدَةٍ تَحْلِيلِيَّةٍ للمَفَاهِيمِ ذَاتِ التَّأْثِيرِ المُتَبَادَلِ مَعَ الشَّبَابِ، كَالوعْيِ الجَمْعِيِّ والوعْيِ السِّيَاسِيِّ وأَزْمَةِ الهُوِيَّةِ.
- رَفْدُ المَكْتَبَةِ العَرَبِيَّةِ بِدِرَاسَةٍ جَدِيدَةٍ لِشَرِيحَةِ الشَّبَابِ، تَتَنَاوَلُ هذه الشَّرِيحَةَ وفْقَ مَحَاوِرَ جَدِيدَةٍ، تَتَقَاطَعُ فِيها التَّأْثِيرَاتُ الاقْتِصَادِيَّةُ والاجْتِمَاعِيَّةُ والسِّيَاسِيَّةُ والثَّقَافِيَّةُ.

- تَقْدِيمُ دِرَاسَــــةٍ مُتَكَامِلَةِ الأَبْعَادِ لِشَرِيحَةِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ، وخَاصَّةً في ظِلِّ اقْتِصَارِ غَالِبِيَّةِ الدِّرَاسَــــاتِ السَّابِقَةِ على دِرَاسَــــةِ جَانِبٍ واحِدٍ أو اثْنَيْنِ من جَوانِبِ حَيَاةِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ، فَهذه الدِّرَاسَةُ تُوفِّرُ البِيئَةَ العِلْمِيَّةَ المُنَاسِبَةَ لِدِرَاسَةِ التَّدَاخُلِ بين هذه الأَبْعَادِ، خَاصَّةً أَنَّ دِرَاسَةَ كُلِّ بُعْدٍ على حِدَةٍ لا يُقَدِّمُ تَصَوُّرًا دَقِيقًا حَوْلَ التَّأْثِيرِ المُتَبَادَلِ لِهذه الأَبْعَادِ وأَثَرِ هذا التَّدَاخُلِ على الشَّبَابِ.
- التَّعْرِيــــفُ بِأَبْرَزِ التَّحَدِّيَاتِ الَّتِي تُحِيطُ بِالشَّــــبَابِ كَالعَوْلَمَةِ والوعْيِ والاغْتِرَابِ والهُوِيَّةِ والتَّهْمِيشِ والتَّمْكِينِ ونَحْوِ ذلك من مَفَاهِيمَ ذَاتِ صِلَةٍ.

الأَهَمِّيَّةُ العَمَلِيَّةُ

- تَوْفِيرُ تَحْلِيلٍ جَدِيدٍ للبَيَانَاتِ المُتَعَلِّقَةِ بِالشَّــــبَابِ، بما يُسَــــاعِدُ في تَقْدِيمِ قِيمَةٍ مَعْرِفِيَّةٍ مُضَافَةٍ لِصُنَّاعِ القَرَارِ في العَالَمِ العَرَبِيِّ، وخَاصَّةً فيما يَتَعَلَّقُ بِإِدَارَةِ قَضَايَا الشَّبَابِ.
- بِنَاءُ تَصَوُّرٍ دَقِيقٍ حَوْلَ الواقِعِ الحَالِيِّ لِلشَّبَابِ العَرَبِيِّ، بِحَيْثُ تَسْتَنِدُ أَيُّ بَرَامِجَ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ تَسْتَهْدِفُ الشَّبَابَ العَرَبِيَّ على بَيَانَاتِ ومُعْطَيَاتِ هذا الواقِعِ.
- فَصْلُ أَسْــــبَابِ تَرَدِّي واقِعِ الشَّبَابِ عن نَتَائِجَ هذا التَّرَدِّي، إِذْ غَالِبًا ما يَتِمُّ الخَلْطُ بين السَّبَبِ والعَرَضِ، ونَتِيجَةً لهذا الخَلْطِ تَتَوجَّهُ بَرَامِجُ المُعَالَجَةِ للعَرَضِ مَعَ اسْتِمْرَارِ السَّبَبِ قَائِمًا وبِالتَّالِي تُصْبِحُ المُعَالَجَةُ آنِيَّةً لا تَتْرُكُ أَيَّ أَثَرٍ بَعِيدِ المَدَى.
- تَحْدِيدُ المَجَالاتِ الأَكْثَرِ إِلْحَاحًا وأَهَمِّيَّةً في حَيَاةِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ، وبِالتَّالِي تَرْكِيزُ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ على هذه المَجَالاتِ.
- بِنَاءُ جُمْلَةٍ من المُقْتَرَحَاتِ المُسْتَنِدَةِ على نَتَائِجَ ومُخْرَجَاتِ الدِّرَاسَةِ تُسَاعِدُ في تَحْسِينِ واقِعِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ ومن خَلْفِهِم المُجْتَمَعُ العَرَبِيُّ بِالكَامِلِ.

مَنْهَجُ البَحْثِ

يُنْظَرُ إلى المَنْهَجِ بِاعْتِبَارِهِ مَجْمُوعَةً من القَواعِدِ والإِجْرَاءَاتِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَّبِعَهَا البَحْثُ العِلْمِيُّ للوُصُولِ إلى النَّتَائِجِ البَحْثِيَّةِ المُســــتَهْدَفَةِ؛ حَيْثُ يَجِبُ أَنْ تَتِمَّ هذه الإِجْرَاءَاتُ والقَواعِدُ في إِطَارِ خُطُواتٍ مُنْتَظِمَةٍ ومُحَدَّدَةٍ سَــــلَفًا، وفْقًا لِنَوْعِيَّةِ الدِّرَاسَةِ والمَفَاهِيمِ

الَّتِي تَتَنَاولُها والمَنَاهِجُ المُسْـــتَخْدَمَةُ فِيها، ومـــا يَتَعَلَّقُ بذلك من عَمَلِيَّاتِ بِنَاءِ المَقَايِيسِ وأَدَواتِ جَمْعِ البَيَانَاتِ وتَحْلِيلِها؛ كَمًّا وكَيْفًا.

وتَسْتَخْدِمُ هذه الدِّرَاسَـــةُ خَلِيطًا مَنْهَجِيًّا يَقُومُ على اثْنَيْنِ من مَنَاهِجِ البَحْثِ العِلْمِيِّ، وهُما المَنْهَجُ الاسْـــتِقْرَائِيُّ والمَنْهَجُ الاسْـــتِنْبَاطِيُّ، وتَمَّ اعْتِمَادُ هَذَيْنِ المَنْهَجَيْنِ كَوْنهما مُتَعَارِضَيْنِ في الأُسْـــلُوبِ، فَالتَّعَارُضُ هُنَا قد يَقُودُ إلى تَغْطِيَةِ جَوانِبِ الدِّرَاسَةِ تَغْطِيَةً تَامَّةً، وبالتَّأْكِيدِ فَإِنَّنَا هُنَا لَا نَدَّعِي أَنَّ المَنْهَجَيْنِ سَـــيَتِمُّ اسْتِخْدَامُهُما في ذَاتِ المَحَاوِرِ، فَبَعْضُ التَّسَـــاؤُلَاتِ البَحْثِيَّةِ قد يُلْجَأُ للمَنْهَجِ الاسْتِقْرَائِيِّ في مُعَالَجَتِها والإِجَابَةُ عليها، وبَعْضُ التَّسَاؤُلَاتِ الأُخْرَى قد تَتَطَلَّبُ طَبِيعَتُها الاسْتِنَادَ على المَنْهَجِ الاسْتِنْبَاطِيِّ.

المَنْهَجُ الأَوَّلُ: المَنْهَجُ الاسْتِقْرَائِيُّ:

ويَقُومُ هذا المَنْهَجُ على الاعْتِمَادِ على الاسْتِدْلَالِ الَّذِي يَنْتَقِلُ من الجُزْئِيِّ إلى الكُلِّيِّ، بِمَعْنَى الحُكْمِ على الكُلِّ بما يُوجَدُ في الجُزْئِيَّاتِ، ويُعَدُّ هذا المَنْهَجُ من أَقْدَمِ مَنَاهِجِ البَحْثِ العِلْمِيِّ، وفي دِرَاسَتِنَا هذه يُمْكِنُ الاعْتِمَادُ على هذا المَنْهَجِ في تَعْمِيمِ الاسْتِنْتَاجَاتِ والمُلَاحَظَاتِ المُتَعَلِّقَةِ بِحَالَةٍ ما أو بِظَاهِرَةٍ جُزْئِيَّةٍ على كَامِلِ الحَالَاتِ الشَّبِيهَةِ، بِحَيْثُ يَكُونُ الاسْتِنْتَاجُ الجُزْئِيُّ مَدْخَلًا للتَّعْمِيمِ الكُلِّيِّ. وتَتَمَثَّلُ مُبَرِّرَاتُ اسْتِخْدَامِ هذا المَنْهَجِ في صُعُوبَةِ حَصْرِ جَمِيعِ مُفْرَدَاتِ المُجْتَمَعِ المَدْرُوسِ، فَلَا يُمْكِنُ دِرَاسَةُ جَمِيعِ الحَالَاتِ المَوْجُودَةِ في المُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ، خَاصَّةً في ظِلِّ الاخْتِلَافِ الواضِحِ بين الشَّرَائِحِ الشَّبَابِيَّةِ تَبَعًا لاخْتِلَافِ الخَلْفِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ ومُسْتَوى التَّعَلُّمِ وغَيْرِها من أَنْمَاطِ الاخْتِلَافِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، ولَكِنْ يُمْكِنُ دِرَاسَةُ نَمَاذِجَ مُحَدَّدَةٍ، أو الاعْتِمَادُ على دِرَاسَـــةٍ نَظَرِيَّةٍ وعِنْدَ الوُثُوقِ من صِحَّةِ ما تَمَّ التَّوصُّلُ إِلَيْهِ يُصْبِح بِالإِمْكَانِ تَعْمِيمُ هذه النَّتَائِجِ على مُفْرَدَاتِ البِيئَةِ المَدْرُوسَةِ.

المَنْهَجُ الثَّانِي: المَنْهَجُ الاسْتِنْبَاطِيُّ:

ويَخْتَلِفُ هذا المَنْهَجُ عن الاسْتِقْرَائِيِّ في الاتِّجَاهِ، فَهُو يَنْتَقِلُ من التَّعْمِيمِ إلى التَّخْصِيصِ، ويَقُومُ هذا المَنْهَجُ على الانْطِلَاقِ من المُسَـــلَّمَاتِ والبَدِيهِيَّاتِ والمَعَارِفِ العَامَّةِ ومن ثَمَّ الانْتِقَالُ إلى الجُزْئِيَّاتِ، ويُطْلَقُ أَحْيَانًا على هذا المَنْهَجِ اسْمُ الاسْتِدْلَالِيِّ أو الاسْتِنْتَاجِيِّ،

وفي دِرَاسَتِنَا هذه تتَمَثَّلُ المُسَلَّمَاتُ في أَهَمِّيَّةِ دَوْرِ الشَّبَابِ في أَيِّ مُجْتَمَعٍ ومنها المُجْتَمَعُ العَرَبِيُّ، وتَنْتَقِلُ الدِّرَاسَــةُ من هذه المُسَــلَّمَةِ في إِطَارِها العَامِّ إلى الجُزْئِيَّاتِ المُتَمَثِّلَةِ بتَحْدِيدِ مَفْهُومِ الشَّــبَابِ اللُّغَوِيِّ والاصْطِلَاحِيِّ والسَّيْكُولُوجِيِّ، وتَوْضِيحُ العَوامِلِ الَّتِي يَتَأَثَّرُ ويُؤَثِّرُ بها الشَّــبَابُ، والَّتِي تَلْعَبُ دَوْرًا إيجَابِيًّا أو سَلْبِيًّا في تَعَاطِيهِ مَعَ بيئَتِهِ ومَعَ قَضَايَاها. وهنا نَرْغَبُ في التَّأْكِيدِ على أَنَّ المَنْهَجَ الاسْــتِنْبَاطِيَّ لَنْ يَتِمَّ الاعْتِمَادُ عَلَيْهِ بمُفْرَدِهِ اعْتِمَادًا مُطْلَقًا، بل سَــيَعْمِدُ البَاحِثُ إلى اسْتِخْدَامِ مَزِيجٍ من مَنَاهِجَ عِلْمِيَّةٍ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَ التَّسَــاؤُلَاتِ البَحْثِيَّةِ قد تَفْرِضُ مَيْلًا لاسْتِخْدَامِ المَنْهَجِ الاسْتِنْبَاطِيِّ أَكْثَرَ من غَيْرِهِ من المَنَاهِجِ، ويُمْكِنُ تَبْرِيرُ هذا الاعْتِمَادِ على المَنْهَجِ الاسْــتِنْبَاطِيِّ في كَوْنِهِ عَادَةً ما يُلْجَأُ إِلَيْهِ في العُلُومِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وبالتَّأْكِيدِ فَإِنَّ قَضِيَّةَ الشَّبَابِ تَنْدَرِجُ بِشَكْلٍ بَدِيهِيٍّ ووثِيقٍ في خَانَةِ العُلُومِ الاجْتِمَاعِيَّةِ.

الدِّرَاسَات السَّابِقَة

على الرَّغْمِ من كَثْرَةِ ما تَمَّ تَدْوِينُهُ أَكَادِيمِيًّا وبَحْثِيًّا حَوْلَ الشَّبَابِ وقَضَايَاهُ في المَكْتَبَتَيْنِ العَرَبِيَّةِ والأَجْنَبِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ ثمَّةَ فَجْوَةً مَفَاهِيمِيَّةً كَبِيرَةً يَشْهَدُها هذا الحَقْلُ الدِّرَاسِيُّ على مُسْتَوَيَاتٍ عِدَّةٍ، تَتَقَاطَعُ ما بين الجُزْئِيَّةِ والكُلِّيَّةِ، المَادِّيَّةِ والرُّوحِيَّةِ، التَّنْمَوِيَّةِ والنَّفْسِيَّةِ. الأَمْرُ الَّذِي يَجْعَلُ هذه الدِّرَاسَــاتِ السَّابِقَةَ، على كَثْرَتِها، بمَثَابَةِ جُزُرٍ مُنْعَزِلَةٍ وحُدُودٍ مَيْدَانِيَّةٍ فَاصِلَةٍ؛ لِذَا تَسْــعَى هذه الدِّرَاسَــةُ إلى جَمْعِ شَتَاتِ مَسَــائِلِها، ونَظْمِ خُيُوطِ إِشْكَالِيَّاتِها، وصَهْرِ مُفْرَدَاتِها في بَوْتَقَةٍ واحِدَةٍ؛ لِتَحْقِيقِ أَقْصَى اسْتِفَادَةٍ عِلْمِيَّةٍ وعَمَلِيَّةٍ فِيما يَتَعَلَّقُ بحَقْلِ الدِّرَاسَــاتِ الشَّــبَابِيَّةِ، كَمُرْتَكَزٍ رَئِيسٍ لِحُقُولٍ مَعْرِفِيَّةٍ عِدَّةٍ تَنْمَوِيَّةٍ واجْتِمَاعِيَّةٍ، واقْتِصَادِيَّةٍ وسِيَاسِيَّةٍ، وثَقَافِيَّةٍ ومَعْرِفِيَّةٍ.

وبِشَكْلٍ عَامٍّ، فَإِنَّهُ يُمْكِنُ إِلْقَاءُ الضَّوْءِ على مَجْمُوعَةٍ من الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ الَّتِي تَنَاوَلَتْ أَحَدَ أو بَعْضَ أَبْعَادِ الإِشْكَالِيَّةِ البَحْثِيَّةِ، مَحَلَّ الدِّرَاسَةِ، وتَسَاؤُلَاتِها الفَرْعِيَّةَ المُنْبَثِقَةَ عنها، بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ أو غَيْرِ مُبَاشِرٍ، والَّتِي يُمْكِنُ في هذا الإِطَارِ، لاعْتِبَارَاتِ البَحْثِ، تَقْسِيمُها وفْقًا لِعَدَدٍ من الاتِّجَاهاتِ البَحْثِيَّةِ.

الاتِّجَاهُ الأَوَّلُ: الدِّرَاسَاتُ التَّرْبَوِيَّةُ

وقد عُنِيَتْ دِرَاسَــــاتُ هذا الاتِّجَاهِ بِالجَوانِبِ التَّرْبَوِيَّةِ الرُّوحِيَّةِ المُتَعَلِّقَةِ بِالشَّبَابِ تَنْشِئَةً وإِعْدَادًا، وتَتَّسِــمُ غَالِبِيَّةُ تلك الدِّرَاسَاتِ بِصِبْغَةٍ دِينِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ ذَاتِ بُعْدٍ رِسَالِيٍّ قِيَمِيٍّ، تُنَاقِشُ المَسْــأَلَةَ الشَّبَابِيَّةَ من مَنْظُورٍ دِينِيٍّ قِيَمِيٍّ، ذِي خُصُوصِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ، بِالنَّظَرِ إلى أَنَّ غَالِبِيَّةَ المُجْتَمَعَاتِ العَرَبِيَّةِ هِيَ مُجْتَمَعَاتٌ إِسْلَامِيَّةٌ، دِينًا وثَقَافَةً.

ومن هذه الدِّرَاسَاتِ كِتَابُ عَبَّاس مَحْجُوب (1986م)، بِعُنْوانِ " **مُشْكِلَاتُ الشَّبَابِ.. الحُلُولُ المَطْرُوحَةُ والحَلُّ الإِسْلَامِيُّ** "[1]، إذ يَتَطَرَّقُ الكِتَابُ إلى أَهَمِّيَّةِ تَنْشِئَةِ الشَّبَابِ تَنْشِئَةً عِلْمِيَّةً وتَرْبَوِيَّةً وسِيَاسِــيَّةً تَمْزُجُ ما بين العُلُومِ الحَدِيثَةِ والاتِّجَاهاتِ السَّــائِدَةِ مَعَ الأَخْذِ بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ القِيَمَ الإِسْلَامِيَّةَ، بِحَيْثُ لَا يَتَأَخَّرُ الشَّبَابُ عِلْمِيًّا عن نُظَرَائِهِم الغَرْبِيِّينَ ولَا يَبْتَعِدُونَ عن دِينِهِمْ وأَخْلَاقِهِ، فَالكَاتِبُ هُنَا دَعَا إلى مُوَاءَمَةٍ ومَزْجٍ بين العُلُومِ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ.

كــما عَالَجَ كِتَابُ عَلِيّ الطَّنْطَاوِيّ (2004م)، "**المَثَلُ الأعلى للشَّــبَابِ المُسْــلِم**"[2] دَوْرَ التَّرْبِيَةِ الأَخْلَاقِيَّةِ القَوِيمَةِ في بِنَاءِ جِيلٍ عَرَبِيٍّ من الشَّــبَابِ القَادِرِ على القِيَامِ بِأَعْبَاءِ التَّنْمِيَةِ، فَهذا الكِتَابُ رَبَطَ ما بين التَّرْبِيَةِ وعَمَلِيَّةِ التَّنْمِيَةِ، ورَأَى أَنَّ التَّنْمِيَةَ تَتَعَلَّقُ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ بِالانْتِمَاءِ للمُجْتَمَعِ، ولَا انْتِمَاءَ حَقِيقِيًّا في حَالِ غِيَابِ التَّرْبِيَةِ، وبِالتَّالِي فَالتَّرْبِيَةُ والتَّنْمِيَةُ يَرْتَبِطَانِ بِبَعْضِهِما ارْتِبَاطًا غَيْرَ مُبَاشِرٍ.

كما تُشَــكِّلُ دِرَاسَــةُ مُحَمَّد إِقْبَال النَّائِطِيّ النَّدوِيّ (2012م) بِعُنْوَانِ "**مَنْهَجُ الإِسْلَامِ في تَرْبِيَةِ الشَّــبَابِ**"[3] إِضَافَةً جَدِيدَةً لِذَاتِ المِحْوَرِ، فَتَرَكَّزُ الدِّرَاسَةُ على دَوْرِ التَّرْبِيَةِ المُعْتَمِدَةِ على القِيَمِ الإِسْلَامِيَّةِ في مُوَاجَهَةِ مُفْرَزَاتِ العَوْلَمَةِ، وتَرَى الدِّرَاسَةُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ

1. مَحْجُوب، عَبَّاس. مُشْــكِلاتُ الشَّــبَابِ.. الحُلُولُ المَطْرُوحَةُ والحَلُّ الإِسْــلامِيُّ. الدوحة: رِئَاسَةُ المَحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ والشُّؤُونِ الدِّينِيَّةِ، 1406هـ / 1986م.
2. الطَّنْطَاوِيّ، عَلِي. **المَثَلُ الأعلى للشَّبَابِ المُسْلِم**. القَاهِرَة: دَارُ ابْنِ حَزْمٍ للطِّبَاعَةِ والنَّشْرِ والتَّوزِيعِ، 2004م.
3. النَّدوي، مُحمَّد إِقْبَال النَّائطيّ. "مَنْهَجُ الإِسْلَامِ في تَرْبِيَةِ الشَّبَابِ"، شَبَكَةُ الأَلُوكَةِ، 12 يوليو 2012م.

السَّـــيْطَرَةُ على تَغَلْغُلِ العَوْلَمَةِ في العَالَمِ العَرَبِيِّ وخَاصَّةً في المَجَالِ الثَّقَافِيِّ إلَّا بِتَفْعِيلِ التَّرْبِيَةِ وإِحْيَاءِ القِيَمِ الإِسْـــلَامِيَّةِ واسْتِحْضَارِ الأُسُسِ التَّرْبَوِيَّةِ لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ والعَمَلِ على تَطْوِيرِها بما يَتَنَاسَبُ مَعَ رُوحِ العَصْرِ.

الاتِّجَاهُ الثَّاني: الدِّرَاسَاتُ التَّنْمَوِيَّةُ:

حَيْثُ عُنِيَتْ دِرَاسَـــاتُ هذا الاتِّجَاهِ بالأَبْعَادِ التَّنْمَوِيَّةِ في دِرَاسَـــةِ الظَّاهِرَةِ الشَّبَابِيَّةِ في المُجْتَمَعَاتِ الإِنْسَـــانِيَّةِ، في إِطَارٍ مُؤَشِّرَاتِيٍّ إِجْـــرَاءَاتِي يَنْزَعُ إلى التَّكْمِيمِ الرَّقْمِيِّ الإِحْصَائِيِّ، البَعِيدِ عن القِيَمِ الرُّوحِيَّةِ، باعْتِبَارِ التَّنْمِيَةِ المُجْتَمَعِيَّةِ نَشَاطًا إِنْسَانِيًّا مَادِّيًّا، يَأْتِي الشَّـــبَابُ في مُقَدِّمَةِ الفَاعِلِينَ في مَنْظُومَتِها المُتَعَلِّقَةِ بِدَوْرِ العَامِلِ البَشَرِيِّ سَواءٌ في إِنْجَاحِ أو إِفْشَالِ التَّنْمِيَةِ المُسْتَدَامَةِ بِأَبْعَادِها المُخْتَلِفَةِ.

ومِنْ هذه الدِّرَاسَـــاتِ دِرَاسَةُ قَادِري حَلِيمَة (2016م) بعُنْوَانِ "**اتِّجَاهاتُ الشَّبَابِ نَحْوَ المَسْؤُولِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ**"(1)، وقد اعْتَمَدَ البَاحِثُ في هذه الدِّرَاسَةِ على الدِّرَاسَةِ المَيْدَانِيَّةِ، وذلك لاسْـــتِطْلَاعِ آرَاءِ الشَّبَابِ تُجَاهَ المَسْؤُولِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وخَلَصَتْ هذه الدِّرَاسَةُ إلى مُلَاحَظَةِ عَدَمِ وُجُودِ فَوارِقَ بين الذُّكُورِ والإِنَاثِ في مَوْقِفِهِمْ من المَسْؤُولِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، كَما أَكَّدَت الدِّرَاسَـــةُ عـــلى وُجُودِ عَلَاقَةٍ مُوجِبَةٍ وطَرْدِيَّةٍ بين المَوْقِفِ من المَسْـــؤُولِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وبين المُشَارَكَةِ في عَمَلِيَّةِ التَّنْمِيَةِ، إِضَافَةً لِوُجُودِ عَلَاقَةٍ مُوجِبَةٍ بين المُسْتَوى التَّعْلِيمِيِّ وبين المَوْقِفِ تُجَاهَ المَسْؤُولِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ.

وفي ذَاتِ المِحْـــوَرِ نَجِدُ التَّقْرِيرَ الصَّادِرَ عن بَرْنَامَجِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ الإِنْمَائِيِّ (2016م) بعُنْوانِ "**الشَّبَابُ والتَّنْمِيَةُ الإِنْسَانِيَّةُ في البُلْدَانِ العَرَبِيَّةِ.. تَحَدِّيَاتُ مَرْحَلَةِ التَّحَوُّلِ**"(2)، يَتَنَاوَلُ التَّقْرِيرُ بِالدِّرَاسَةِ التَّحَدِّيَاتِ والفُرَصَ الَّتِي تُواجِهُ الشَّبَابَ في المِنْطَقَةِ العَرَبِيَّةِ،

1. قَادِري، حَلِيمَة. **اتِّجَاهَاتُ الشَّـــبَابِ نَحْوَ المَسْـــؤُولِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ : دِرَاسَـــةٌ مُقَارَنَةٌ على عَيِّنَةٍ من شَـــبَابِ مَدِينَةِ وَهْرَان**. دِرَاسَاتٌ نَفْسِيَّةٌ وتَرْبَوِيَّةٌ ع. 16 (حُزَيْرَان 2016)، ص. 142-129.
2. **بَرْنَامجُ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ الإِنْمَائِيِّ، تَقْرِيرُ التَّنْمِيَةِ الإِنْسَـــانِيَّةِ العربِيَّةِ لعَامِ 2016م**، الشَّـــبَابُ والتَّنْمِيَةُ الإِنْسَانِيَّةُ في البُلْدَانِ العربِيَّةِ: تَحَدِّيَاتُ مَرْحَلَةِ التَّحَوُّلِ، 2016م.

لَا سِيَّما في ظِلِّ التَّحَوُّلَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الكَبِيرَةِ الَّتِي اجْتَاحَت الكَثِيرَ من دُولِها مع مَوْجَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ العَامِ 2011م، وما تَبِعَها من تَغَيُّرَاتٍ على جَمِيعِ المُسْتَوِيَاتِ؛ الاقْتِصَادِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ والثَّقَافِيَّةِ.

ويَسْعَى التَّقْرِيرُ إلى تَقْدِيمِ لَمْحَةٍ عَامَّةٍ عن الشَّبَابِ في المِنْطَقَةِ، وتَحْفِيزِ حِوارٍ واسِعٍ بين الشَّبَابِ وأَصْحَابِ المَصْلَحَةِ الرَّئِيسِيِّينَ في المُجْتَمَعِ بشَأْنِ مُسْتَقْبَلِ التَّنْمِيَةِ في الدُّولِ العَرَبِيَّةِ، وسُبُلِ إعْطَاءِ هؤلاء الشَّبَابِ المَوْقِعَ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ كَشُرَكَاءَ في تَشْكِيلِ مُسْتَقْبَلِهِمْ ومُسْتَقْبَلِ بُلْدَانِهِمْ، مُحَذِّرًا من اسْتِمْرَارِ تَهْمِيشِهِمْ وتَجَاهُلِ أَصْواتِهِمْ والاكْتِفَاءِ بمُبَادَرَاتٍ صُورِيَّةٍ أو مُجْتَزَأَةٍ لَا تُغَيِّرُ واقِعَهُمْ في شَيْءٍ، بما يُهَدِّدُ إِجْهاضَ جُهُودِ التَّنْمِيَةِ في المِنْطَقَةِ ويُذْكِي اغْتِرَابَهم عن مُجْتَمَعَاتِهِم.

الاتِّجَاهُ الثَّالِثُ: الدِّرَاسَاتُ النَّوْعِيَّةُ

وقد عُنِيَتْ دِرَاسَاتُ هذا الاتِّجَاهِ بطَيْفٍ واسِعٍ من القَضَايَا النَّوْعِيَّةِ المُتَعَلِّقَةِ بالشَّبَابِ، مِثْلُ السِّيَاقَاتِ السِّيَاسِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ والثَّقَافِيَّةِ ذَاتِ التَّأْثِيرِ الفَاعِلِ في حَيَاةِ الشَّبَابِ؛ من حَيْثُ العَمَلُ، التَّعْلِيمُ، الوعْيُ، المُشَارَكَةُ السِّيَاسِيَّةُ، الدَّوْرُ الاجْتِمَاعِيُّ، الدِّرَاسَاتُ القِيَادِيَّةُ، قَضَايَا الهِجْرَةِ، والتَّمْكِينُ السِّيَاسِيُّ والاقْتِصَادِيُّ، ونَحْو ذلك من دِرَاسَاتٍ مُهِمَّةٍ ومُكَمِّلَةٍ للأَبْعَادِ التَّرْبَوِيَّةِ والتَّنْمَوِيَّةِ الَّتِي عُنِيَتْ بها الاتِّجَاهَاتُ البَحْثِيَّةُ سَالِفَةَ البَيَانِ.

ومن هذه الدِّرَاسَاتِ كِتَابُ مُحَمَّد حَسَن غَانِم (2009م) بعُنْوَان **"الشَّبَابُ المُعَاصِرُ وأَزماته"**(1)، ويَهْتَمُّ هذا الكِتَابُ بجَوانِبَ عَدِيدَةٍ من حَيَاةِ الشَّبَابِ ابْتِدَاءً من الجَوانِبِ الشَّخْصِيَّةِ والنَّفْسِيَّةِ والسُّلُوكِيَّةِ والصِّحِّيَّةِ، كَدِرَاسَةِ السُّلُوك العُدْوانِيِّ للشَّبَابِ، وأَثَرِ التَّفَكُّكِ الأُسَرِيِّ على الانْدِمَاجِ في المُجْتَمَعِ ومَشَاكِلِ الإِدْمَانِ وغَيْرِها، كَما يَرْصُدُ الكِتَابُ مَوْقِفَ الشَّبَابِ من قَضِيَّةِ الزَّواجِ العُرْفِيِّ وانْتِشَارِ الطَّلَاقِ والعُزُوفِ عن الزَّواجِ وغَيْرِها

1. غَانِم، مُحمَّد حَسَن. **الشَّبَابُ المُعاصِرُ وأَزَمَاتُه**. القَاهِرَةُ: مَكْتَبة دَار العَرَبِيَّة، 2009م.

من القَضَايَا، فَالكِتَابُ يَحْمِلُ بِشَكْلٍ عَامٍّ صِبْغَةَ الدِّرَاسَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، ويَرَى الكَاتِبُ أَنَّهُ من غَيْرِ المُجْدِي مُحَاوَلَةُ دِرَاسَةِ كُلِّ جَانِبٍ على حِدَة من الجَوانِبِ السَّابِقَةِ، فَهِيَ تُؤَثِّرُ وتَتَأَثَّرُ بِبَعْضِها، لِذَا يَتوجَّبُ على أَيِّ مُحَاوَلَةٍ فِعْلِيَّةٍ تَسْتَهْدِفُ إِيجَادَ حُلُولٍ لِهذه القَضَايَا أَنْ تَنْظُرَ لهذه القَضَايَا كَكُلٍّ مُتَكَامِلٍ وأَنْ يَكُونَ الحَلُّ مُتَوازِيًا في جَمِيعِ المَحَاوِرِ.

وتَنْدَرِجُ في ذَاتِ المِحْوَرِ دِرَاسَــةُ عَلِيّ الصَّاوِي (2005م) بِعُنْوَانِ **"الشَّــبَابُ والحُكْمُ الجَيِّدُ والحُرِّيَّاتُ"**(1)، وتَهْتَمُّ هذه الدِّرَاسَــةُ بِتَحْلِيلِ الواقِعِ السِّيَاسِيِّ لِلشَّبَابِ العَرَبِيِّ، كَما تَطْرَحُ الدِّرَاسَــةُ جُمْلَةً من المُقْتَرَحَاتِ الخَاصَّةِ بِأُسُــسِ التَّحَوُّلِ الدِّيمُقْرَاطِيِّ في العَالَمِ العَرَبِيِّ وانْعِكَاسِ هذا التَّحَوُّلِ في حَالِ حُدُوثِهِ على واقِعِ ومُسْــتَقْبَلِ الشَّــبَابِ، وأَكَّدَتِ الدِّرَاسَــةُ على أَهَمِّيَّةِ بِنَاءِ قَواعِدِ بَيَانَاتٍ خَاصَّةٍ بالشَّــبَابِ العَرَبِيِّ، خَاصَّةً أَنَّ غَالِبِيَّــةَ البَيَانَاتِ المُتَوفِّرَةِ هِيَ بَيَانَاتٌ كَمِّيَّةٌ مَعَ افْتِقَارٍ واضِحٍ لِلبَيَانَاتِ النَّوْعِيَّةِ، ويُؤَثِّرُ هذا الافْتِقَارُ سَــلْبًا على أَيِّ بَرَامِجَ حَالِيَّةٍ ومُسْــتَقْبَلِيَّةٍ تَسْتَهْدِفُ تَحْسِينَ واقِعِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ؛ وأَكَّدَتِ الدِّرَاسَةُ على افْتِقَارِ مُعْظَمِ التَّجَارِبِ العَرَبِيَّةِ الَّتِي اسْتَهْدَفَتْ مُعَالَجَةَ ظَاهِرَةِ البَطَالَةِ لِلمَنْهَجِيَّةِ العِلْمِيَّةِ الواضِحَةِ، إِضَافَةً لافْتِقَارِها لِآلِيَّاتِ المُتَابَعَةِ والتَّقْيِيمِ الدَّوْرِيِّ لِتَحْدِيدِ جَوانِبِ الخَلَلِ والقُصُورِ والعَمَلِ على تَرْمِيمِها.

إِضَافَةً لِدِرَاسَــةِ وَارم العِيد (2014م) بِعُنْوَانِ **"البُعْدُ الثَّقَــافِيُّ لِلعَوْلَمَةِ وَأَثَرُهُ عَلَى الهُوِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ لِلشَّــبَابِ العَرَبِيِّ"**(2)، والَّتِي تَتَنَــاوَلُ البُعْدَ الثَّقَافِيَّ لِظَاهِرَةِ العَوْلَمَةِ وتَأْثِيرِها على انْتِمَاءِ الشَّــبَابِ العَرَبِيِّ لِبِيئَتِهِ الثَّقَافِيَّــةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ، واهْتَمَّ البَاحِثُ بِتَحْلِيلِ ظَاهِرَةِ العَوْلَمَةِ في كَوْنِها ظَاهِرَةً ثَقَافِيَّةً أو اقْتِصَادِيَّةً أو سِيَاسِيَّةً أو أَنَّها تَشْتَمِلُ على مُخْتَلِفِ الجَوانِبِ السَّــابِقَةِ، وتَنَاوَلَتِ الدِّرَاسَــةُ بِالتَّحْلِيلِ أَثَرَ كُلِّ بُعْدٍ من الأَبْعَادِ السَّابِقَةِ على الهُوِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ لِلشَّبَابِ العَرَبِيِّ.

1. الصَّاوِي، عَلِيّ. **"الشَّبَابُ والحُكْمُ الجَيِّدُ والحُرِّيَّات"**. وَرَقَةٌ بحثيَّة مُقَدَّمَة إلى وَرْشَةِ العَمَلِ الإقليميَّةِ الثَّالثة، برعايَة بَرْنَامَجِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ الإِنْمَائِيِّ، الرِّباط، المَغْرِب. 2005م.
2. العِــيد، وارم. **البُعْــدُ الثَّقَــافِيُّ لِلعَوْلَمَةِ وأَثَرُه على الهُوِيَّة الثقافيَّةِ لِلشَّــبَابِ العَرِبيِّ**، جامِعَة البَشَــيرِ الإِبْرَاهِيمِي. الجَزائِر، 2014م.

وَيُشَكِّلُ كِتَابُ عَمَّار حَمَادَة (2005م) بعُنْوَانِ "**الوعْيُ والتَّحْليلُ السِّياسِيُّ**"[1]، إضَافَةً لِـذَاتِ المِحْوَر، ويَتَنَاوَلُ هذا الكِتَابُ لَمْحَةً عن الوعْي السِّـيَاسِيِّ؛ تَعْرِيفُهُ، مُرْتَكَزَاتُهُ، وأَرْكَانُـهُ، وكَذلك أَهَمِّيَّةُ التَّحْلِيلِ السِّـيَاسِيِّ، كَوْنُهُ يَتَدَاخَلُ مَـعَ جَمِيعِ تَفَاصِيلِ حَيَاةِ الإِنْسَـانِ، بَلْ ويُشَكِّلُ بالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ هَمًّا يَوْمِيًّا يَتَّصِلُ بحَاضِرِهِ ومُسْتَقْبَلِهِ، ومُحِيطًا يُحَدِّدُ نَشَاطَهُ وطُمُوحَهُ وسَلَامَتَهُ ومَدَى فَاعِلِيَّتِهِ في البِيئَةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيها.
كَما يَرْبُطُ البَاحِثُ بين الوعْي السِّـيَاسِيِّ وبين الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ؛ كَوْنُ العَمَلِ السِّيَاسِيِّ إِحْدَى المَسْـؤُولِيَّاتِ الشَّرْعِيَّةِ المُلْقَاةِ على عَاتِقِ المُسْـلِمِينَ بمُوجِبِ الشَّرْعِ، مُؤَكِّدًا أَنَّ الإِسْلَامَ ليس دِينًا سَمَاوِيًّا فَقَطْ جَاءَ لِيُنَظِّمَ الأُمُورَ الدِّينِيَّةَ، بَلْ جَاءَ لِيُنَظِّمَ أُمُورَ الدِّينِ والدُّنْيَا، وأَنَّ الرُّؤْيَةَ الكَوْنِيَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ تَرْفُضُ فِكْرَةَ "فَصْلِ الدِّينِ عن السِّيَاسَةِ".
ويَسُـوقُ الكَاتِبُ الكَثِيرَ من الشَّـواهِدِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي تَدُلُّ على وُجُوبِ تَحْصِيلِ الوعْي السِّـيَاسِيِّ، لَا سِـيَّما بين الشَّـبَابِ المُسْـلِمِ، في ظِلِّ الانْفِتَاحِ الثَّقَافِيِّ والاجْتِمَاعِيِّ والاقْتِصَادِيِّ والتِّكْنُولُوجِيِّ على الأُمَمِ الأُخْرَى، وما يَتْبَعُهُ من مُحَاوَلَاتِ القُوى الكُبْرَى السَّيْطَرَةَ على الدُّوَلِ الصَّغِيرَةِ، ونَهْبَ ثَرَواتِها وطَيِّها تَحْتَ لِوائِها ومُحَاوَلاتِها المُسْتَمِرَّةِ لِهَدْمِ عَقَائِدِها وثَقَافَتِها وتُرَاثِها، ما يَتَطَلَّبُ من هؤلاء الشَّبَابِ امْتِلَاكَ الرُّؤْيَةِ السِّيَاسِيَّةِ العَمِيقَةِ والبَصِيرَةِ النَّافِذَةِ للمُؤَامَرَاتِ الَّتِي تُحَاكُ ضِدَّهُمْ.
كما أَتَى كِتَـابٌ لمَجْمُوعَةٍ من المُؤَلِّفِينَ (2007م) بعُنْوانِ "**الشَّـبَابُ والتَّنْمِيَةُ.. رُؤْيَةٌ تَنْمَوِيَّةٌ لمُنَاصَرَةِ حُقُوقِ الشَّبَابِ المَغْرِبيِّ والعَرَبِيِّ**"[2] على ذَاتِ المِحْوَرِ، فَيَتَنَاوَلُ الكِتَابُ الكَثِيرَ من التَّحَدِّيَاتِ الرَّاهِنَةِ الَّتِي تُواجِهُ الشَّبَابَ العَرَبِيَّ وتُقْعِدُهُمْ عن رَكْبِ المُشَارَكَةِ في العَمَلِيَّةِ التَّنْمَوِيَّةِ دَاخِلَ بُلْدَانِهِمْ، ومن أَبْرَزِ هذه العَوائِقِ الفَجْوَةُ الزَّمَنِيَّةُ والمُجْتَمَعِيَّةُ بين الأَجْيَالِ الجَدِيدَةِ والأَجْيَالِ السَّابِقَةِ لَها، أو ما يُعْرَفُ بِـ"صِرَاعُ الأَجْيَالِ".

---

1. عمار، حمادة. **الوَعْيُ والتَّحْليلُ السِّياسيُّ**. بَيْروت: دَارُ الهَادِي للنَّشْرِ والتَّوزيع، الطَّبْعَة الأُولَى، 2005م.
2. ندوي، محسن. **الشَّبَابُ والتَّنْمِيَةُ.. رُؤْيَةٌ تنمويَّةٌ لمُناصَرَةِ حُقُوقِ الشَّبَابِ المَغْرِبيِّ والعَرَبي**. طَنْجَة المَغْرِب، 2007م.

ويُؤَكِّدُ الكِتَابُ أَنَّ القَاعِدَةَ العَرِيضَةَ من الشَّبَابِ العَرَبيِّ تَشْعُرُ بِفَاصِلٍ زَمَنِيٍّ ومسَاحَةٍ في التَّفْكِيرِ المُخْتَلِفِ بينها وبين الأَجْيَالِ السَّابِقَةِ الَّتي تُسَطِّحُ النَّظَرَ إلى أَفْكَارِ الشَّبَابِ، وتَمْنَحُهُ مُقَطَّرَاتٍ من الخِبْرَةِ مَعَ كَثِيرٍ من المَنِّ، ولَا تَتْرُكُ مَقَاعِدَها لِمَنْحِ الفُرَصِ لِلشَّبَابِ لِإِثْبَاتِ وُجُودِهِمْ وتَحْقِيقِ مُسْتَجَدَّاتِ نَظَرِيَّاتِهِمْ وأَفْكَارِهِم الَّتي هِيَ في الغَالِبِ أَكْثَرُ مُواءَمَةً ومُلَائِمَةً لِمُتَغَيِّرَاتِ العَصْرِ.

و"**صِرَاعُ الأَجْيَالِ**" -وفْقًا للكِتَابِ- مُشْكِلَةٌ مُتَجَذِّرَةٌ في الواقِعِ العَرَبيِّ وتَزْدَادُ فَجْوتُها مَعَ مُعَانَاةِ الكَثِيرِ من الشَّبَابِ نَتِيجَةَ الإِحْبَاطِ واليَأْسِ من الواقِع، وعَدَمِ امْتِلَاكِ السُّلْطَةِ والإِرَادَةِ، بالرَّغْمِ من وُجُودِ الرَّغْبَةِ في التَّغْيِيرِ وتَحْقِيقِ الأَفْضَلِ؛ وذلك فقط؛ لِأَنَّ الآبَاءَ الَّذِينَ يمْتَلِكُونَ زِمَامَ السُّلْطَةِ والمُبَادَرَةِ لَا يَتَفَهَّمُونَ مَشَاكِلَ الشَّبَابِ، لذلك يَزْدَادُ وضْعُهُمْ سُوءًا وتَفَاقُمًا وتَنْشَأُ المُعْضِلَةُ.

ويَتَطَرَّقُ الكِتَابُ إلى أَسْبَابِ هذه المُشْكِلَةِ من وُجْهَةِ نَظَرِ عُلَمَاءِ التَّرْبِيَةِ والاجْتِمَاعِ وعِلْمِ النَّفْسِ؛ وهُو: الاخْتِلَافُ في الرُّؤَى بين الجِيلَيْنِ؛ الشَّبَابِ والكِبَارِ، واضْطِرَابُ العَلَاقَةِ بين الآبَاءِ والأَبْنَاءِ، وتَأَزُّمُها؛ فَالأَبْنَاءَ يَتَّهِمُونَ الآبَاءَ بِأَنَّهُمْ مُتَأَخِّرُونَ عن إِيقَاعِ العَصْرِ الحَدِيثِ، ويَصِفُونَهُمْ بِالتَّزَمُّتِ، بَيْنَما يَصِفُ الآبَاءُ الأَبْنَاءَ بِالتَّهَوُّرِ وعَدَمِ تَقْدِيرِ جُهُودِ السَّابِقِينَ، والرَّغْبَةِ في التَّغْيِيرِ دُونَ الاسْتِفَادَةِ من خِبْرَاتِ المَاضِي.

الدِّرَاسَةُ مَحَلُّ البَحْثِ

تَتَّفِقُ الدِّرَاسَةُ الحَالِيَّةُ مَعَ الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ في مِحْوَرِ الدِّرَاسَةِ العَامِّ المُتَمَثِّلِ بِدِرَاسَةِ واقِعِ ومُسْتَقْبَلِ الشَّبَابِ، إِلَّا أَنَّها تَخْتَلِفُ عن السَّابِقَةِ في شُمُولِها مُخْتَلَفَ الجَوانِبِ المُتَعَلِّقَةِ بِالشَّبَابِ، فَمِن المُلَاحَظِ أَنَّ جَمِيعَ الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ تَنَاولَتْ جَانِبًا مُحَدَّدًا من العَوامِلِ المُؤَثِّرَةِ على الشَّبَابِ، وفِيما يَخُصُّ مَنْهَجِيَّةَ البَحْثِ المُتَّبَعَةِ تَتَّفِقُ الدِّرَاسَةُ مَعَ غَالِبِيَّةِ الدِّرَاسَاتِ في المَنْهَجِ المُتَّبَعِ، وتَخْتَلِفُ مَعَ البَعْضِ كَدِرَاسَةِ قَادري حَلِيمَة (2016م) الَّتي اتَّبَعَتْ مَنْهَجَ التَّحْلِيلِ الوصْفيِّ والدِّرَاسَةِ المَيْدَانِيَّةِ، فِيما اعْتَمَدَتْ هذه الدِّرَاسَةُ على المَنْهَجِ الاسْتِقْرَائيِّ والاسْتِنْبَاطِيِّ.

وبِشَكْلٍ عَامٍّ اسْتَفَادَتْ هذه الدِّرَاسَةُ من الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ في صِيَاغَةِ إِشْكَالِيَّةِ البَحْثِ وتَسَــاؤُلَاتِه، وفي بِنَاءِ الإِطَارِ النَّظَرِيِّ الَّــذِي اعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ في تَحْلِيلِها للبَيَانَاتِ وفي تَشْــكِيلِ إِجَابَاتٍ مَبْدَئِيَّةٍ وأَوَّلِيَّةٍ عن التَّسَــاؤُلَاتِ المَطْرُوحَةِ، لِتَعْمَل على تَطْوِيرِ وتَنْقِيحِ هذه الإِجَابَاتِ، وإِخْرَاجِها بِصُورَةٍ جَدِيدَةٍ.

ومن أَجْلِ مُعَالَجَةِ نَقْصِ وعَدَمِ شُــمُولِيَّةِ الدِّرَاسَــاتِ التَّطْبِيقِيَّةِ المَعْنِيَّةِ بواقعِ الشَّبَابِ العَــرَبِيِّ بَعْد ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ، وأَثَرِها على قَضَايَاهُم المُخْتَلِفَةِ، تُغَطِّي دِرَاسَــتُنَا هَذِهِ، بِكَثِيرٍ من التَّفْصِيلِ والنَّمَاذِجِ التَّطْبِيقِيَّةِ، خِبْرَاتِ الكَثِيرِ من شَــبَابِ بَعْضِ دُوَلِ الرَّبِيعِ، من خِلَالِ رَصْدِ الآلَامِ الَّتِي تَحَمَّلَها هؤلاءِ الشَّــبَابِ المُطَالِبِ بالتَّغْيِيرِ، ومن ثَمَّ الآمَالُ الَّتِي عَاشُــوها حِينَما لَاحَتْ بَوادِرُ أُفُقٍ جَدِيدٍ، قَبْلَ أَنْ تَتَنَازَعَهُمْ أَنْواءُ الإِحْبَاطِ بَعْدَ أُفُولِ مَوْجَتِهِم الثَّوْرِيَّةِ، وما آلَتْ إِلَيْهِ من إِخْفَاقَاتٍ دَفَعَ ضَرِيبَتَها الشَّبَابُ أَنْفُسُهُمْ.

وأخيراً، يُمْكِنُ القَوْلُ: إِنَّ دِرَاسَــتَنَا تَلْفِتُ النَّظَرَ لِأَهَمِّيَّةِ وُجُودِ وعْيٍ عَرَبِيٍّ مُشْــتَرَكٍ بِخُطُورَةِ تَرْكِ مِلَفِّ الشَّــبَابِ الشَّائِكِ دُونَ مُعَالَجَةٍ حَقِيقِيَّةٍ، لَا سِيَّماً وأَنَّ تَجْرِبَةَ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ المَرِيرَةَ ما زَالَتْ مَاثِلَةً في الأَذْهانِ، ومَعَها مَحَاذِيرُ عَوْلَمَةٍ كَاسِحَةٍ تُنْذِرُ بما هُوَ أَسْــوأُ حَالَ اسْتِمْرَارِ هذا المِلَفِّ الإِسْتِراتِيجِيِّ من دُونِ حَلْحَلَةٍ حَقِيقِيَّةٍ، فَسَيَظَلُّ الشَّبَابُ العَرَبِيُّ رَكِيزَةً من رَكَائِزِ التَّقَدُّمِ والتَّخَلُّفِ على السَّواءِ، بِمِقْدَارِ ودَرَجَةِ وحَجْمِ الاهْتِمَامِ والاسْــتِثْمَارِ المُخَصَّصِ لَهُ، ويَحْمِلُ بين طَيَّاتِهِ كُلَّ مَصَادِرِ الخَطَرِ والقَلَقِ والخَوْفِ، إِذَا ما بَقِيَ رَهْنَ الإِهْمَالِ وتَرَاجُعِ الاهْتِمَامِ.

ويَتَّضِحُ من العَرْضِ السَّــابِقِ، أَنَّهُ على الرَّغْمِ من أَهَمِّيَّةِ تلك الاتِّجَاهاتِ الدِّرَاسِيَّةِ سَالِفَةَ البَيَانِ، إِلَّا أَنَّها اتَّسَمَتْ بِعَدَمِ الاسْتِغْرَاقِ والشُّمُولِ، بِمَعْنَى أَنَّ كُلًّا مِنْها تَنَاوَلَ بُعْدًا أو جُزْءًا من قَضَايَا الشَّــبَابِ، ومن ثَمَّ غَابَتْ عَنْها الصِّبْغَةُ الشُّــمُولِيَّةُ المُسْتَغْرِقَةُ لِكَافَّةِ الجَوانِبِ المُحِيطَةِ بالشَّــبَابِ دِرَاسَــةً وتَحْلِيلًا، وهُو الأَمْرُ الَّذِي يَسْــعَى البَاحِثُ إلى تَحْقِيقِهِ عَبْرَ هذه الدِّرَاسَــةِ؛ مَحَلِّ البَحْثِ، والَّتِي يَحْرِصُ فِيها على تَحْلِيلِ كَافَّةِ السِّــيَاقَاتِ المُحِيطَةِ، تَنْظِيرًا وتَطْبِيقًا، بِدِرَاسَاتِ الشَّــبَابِ العَرَبِيِّ، كَمُنْطَلَقٍ نَهْضَوِيٍّ لِإِحْدَاثِ التَّقَدُّمِ المَنْشُودِ

على مُسْتوى الأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ من خِلَالِ شَبَابِها الواعِدِ، عَصَبَ الحَاضِرِ وكُلِّ المُسْتَقْبَلِ. وقد اسْــتَفَادَ البَاحِثُ من هذه الطَّائِفَةِ من الدِّرَاسَاتِ عِنْدَ مُعَالَجَتِه الجَوانِبَ المَادِّيَّةَ المُتَعَلِّقَةَ بِدِرَاسَاتِ الشَّبَابِ والمُؤَشِّرَاتِ التَّنْمَوِيَّةِ المَعْنِيَّةِ بِقَضَايَا الشَّبَابِ ومَشَاكِلِهِمْ في المُجْتَمَعَاتِ العَرَبِيَّةِ، مَحَلِّ البَحْثِ، وأَهَمِّيَّتِها كَمُحَدِّدٍ رَئِيسٍ في قَضَايَا التَّنْمِيَةِ والنَّهْضَةِ المُجْتَمَعِيَّةِ.

حُدودُ الدِّرَاسَةِ

تَتَنَاولُ الدِّرَاسَــةُ بِالتَّحْلِيلِ المُسْتَفِيضِ واقِعَ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ؛ أَحْلَامَهُ وطُمُوحَاتِهِ، وأَبْرَزَ مَشَاكِلِهُ الَّتِي تُعِيقُهُ عن تَحْقِيقِها، وفي مُقَدِّمَتِها البَطَالَةُ، الإِدْمَانُ، صِرَاعُ الأَجْيَالِ، وأَزْمَةُ الهُوِيَّةِ والانْتِمَاءِ في ظِلِّ العَوْلَمَةِ، كَما تَسْــتَعْرِضُ الأَدْوارَ المُهِمَّةَ المَنُوطَةَ به للمُشَارَكَةِ في نَهْضَةِ بُلْدَانِهِ العَرَبِيَّةِ على جَمِيعِ المُسْــتَوِيَاتِ؛ السِّيَاسِــيَّةِ، الاقْتِصَادِيَّةِ، والتَّنْمَوِيَّةِ؛ بِاعْتِبَارِهِم الحَجَرَ الأَسَاسَ لِلتَّغْيِيرِ.

وبِطَبِيعَةِ الحَالِ، تَطَرَّقَت الدِّرَاسَــةُ لِثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ الَّتِي قَادَها الشَّبَابُ، وكَانُوا مُحَرِّكَها الأَوَّلَ؛ إِذْ شَكَّلَتْ هذه المَوْجَةُ من الأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ عَلَامَةً تَارِيخِيَّةً واجْتِمَاعِيَّةً فَارِقَةً في حَيَاةِ الشَّــبَابِ العَرَبِيِّ، وتَسْتَعْرِضُ نَمَاذِجَ مُخْتَلِفَةً من بُلْدَانِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ؛ تَشَابَهَتْ في البِدَايَاتِ، لَكِنَّ نِهَايَاتِ الأَزْمَةِ كَانَتْ مُخْتَلِفَةً.
وانْطِلَاقًا من هذه النِّقَاطِ سَالِفَةِ الذِّكْرِ يُمْكِنُ القَوْلُ بِأَنَّ حُدُودَ الدِّرَاسَةِ الَّتِي سَيَلْتَزِمُ بِها البَاحِثُ، والَّتِي سَــتَكُونُ مَجَالًا لِتَطْبِيقِ آلِيَّاتِ البَحْثِ المُقْتَرَحَةِ، وبِالتَّأْكِيدِ سَتَكُونُ النَّتَائِجُ الَّتِي سَــتَتَوصَّلُ إِلَيْها هذه الدِّرَاسَةُ مُلْزِمَةً عِلْمِيًّا لِهذه الحُدُودِ المُقْتَرَحَةِ فقط، وفِيما يَلِي تِبْيَانُ هذه الحُدُودِ بِشِقَّيْها الزَّمَانِيِّ والمَكَانِيِّ.

الحُدُودُ الزَّمَانِيَّةُ:

تَشْــمَلُ الحُدُودُ الزَّمَانِيَّةُ لِهذه الدِّرَاسَةِ بِشَكْلٍ رَئِيسٍ الفَتْرَةَ الحَالِيَّةَ من حَيَاةِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ، إِضَافَةً لِشُمُولِها فَتَرَاتٍ أُخْرَى سَابِقَةٍ تُشَكِّلُ مَصْدَرًا للبَيَانَاتِ ووسِيلَةً للمُقَارَنَةِ بين الواقِعِ الحَالِيِّ والسَّــابِقِ، بِحَيْثُ تُشَكِّلُ هذه المُقَارَنَةُ مَنْهَجًا اسْتِنْبَاطِيًّا للمَعْلُومَاتِ، بِحَيْثُ يُمْكِنُ إِسْقَاطُها على الواقِعِ الحَالِيِّ.

الحُدُودُ المَكانِيَّةُ:

وتَشْـــمَلُ كَافَّةَ البِلَادِ العَرَبِيَّةِ بِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ، مَعَ شُمُولٍ بَسِيطٍ لِحُدُودٍ عَالَمِيَّةٍ من خِلَالِ دِرَاسَةِ تَجَارِبَ عَالَمِيَّةٍ رَائِدَةٍ في التَّعَامُلِ مَعَ قَضَايَا الشَّبَابِ، وبِشَكْلٍ عَامٍّ قد تَضِيقُ أو تَتَوسَّـــعُ الحُدُودُ المَكَانِيَّةُ مَعَ فُصُولِ الدِّرَاسَةِ، إِلَّا أَنَّ النَّتَائِجَ المُسْتَخْلَصَةَ يُمْكِنُ تَعْمِيمُها وفْقًا لِكُلِّ حَالَةٍ أو قَضِيَّةٍ، وهذا ما سَـــيَتِمُّ بَيَانُهُ في مَتْنِ هذه الدِّرَاسَـــةِ وبِما تَقْتَضِيهِ الضَّرُورَةُ العِلْمِيَّةُ.

الفَصْل الأَوَّل

الشَّبَاب العَرَبِيّ: طَاقَات وانطلاقات .. آمال وآلام

- **مُقَدِّمَة**
- **المَبْحَث الأَوَّل: الشَّبَاب .. التعريف والأهَمِّيَّة**
  - تعريف الشَّبَاب.
  - الشَّبَاب والتنمية.
- **المَبْحَث الثَّاني: الشَّبَاب العَرَبِيّ بين الآلام والآمال**
  - أبرز المشاكل الَّتِي يعاني منها الشَّبَاب

الفَصْل الأَوَّل

الشَّبَاب العَرَبِيّ: طَاقَات وانطلاقات آمال وآلام

مُقَدِّمَة

يَزْدَادُ الاهْتِمَامُ العَالَمِيُّ بِشَــكْلٍ عَامٍّ بجيلِ الشَّبَاب، وهذا الاهْتِمَامُ المُتَزَايِدُ مَرَدُّه إلى دَوْرِ هـــذه الفِئَة من المُجْتَمَع في صُنْعِ الحضـــارة وبناء الدَّوْلَة، ومن تجليَّات هذا الاهتمام حَجْم الدِّرَاسَـــات الحُكُومِيَّة والمُسْـــتَقِلَّة المُوَجَّهَة لدِرَاسَة شريحة الشَّبَاب، فتَمَّ دراســة هذه الشَّريحَة من جوانبَ عِدَّة، منها ما هو مُرْتَبِطٌ بالجوانب النَّفْسِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والسُّلُوكِيَّة، ومنها ما تناولَ التَّحَدِّيَات والعَقَبَات الحائلة دون تمْكِينهم، وأخرى اهتمَّت بدَوْرِهم الاقْتِصَادِيّ والاجْتِمَاعِيّ؛ وهذا الاهتمام في تَزَايُدٍ مستمرّ، مُستنداً على الإيمان التَّامّ بأنَّ أيّ نهضةٍ مُستهدَفَة لن يُكتَب لها النَّجاح ما لم يكن عِمَادها الشَّبَاب، مُحَرِّكُها اندفاع الفُتُوَّة.

وحتَّى على الصَّعِيد الشَّــخْصِيّ للفَرْد، نَجِدُ الإنسان مَيَّالاً بِطَبِيعَتِهِ للعَوْدة إلى الشَّبَاب؛ لما فيه من خصائص وَصِفَاتٍ تجعل الإنسان يرغبُ بالعَوْدَة إلى هذه المرحلة، وخَاصَّة كَوْنَهَا مرحلة الإنتاج والقُوَّة والعُنْفُوان، فالشَّــاعر أبو العتاهية[1] وقبل أكثر من ألف عام تَحَسَّر على زوال شبابه، وشَكا إليه فعل المَشِيبُ به فيقول:

فيا لَيْتَ الشَّبَاب يعودُ يومًا فَأُخْبِرَهُ بما فَعَلَ المَشِيبُ[2]

---

1. **أبو العتاهية**: إســماعيل بن القاســم بن سويد العنزي، (826-747م)، وُلِدَ في كَرْبلاءَ، كان بائعًا للجِرار، مَالَ إلى الْعِلْـم والأدب ونظَم الشِّـعر حتَّى نَبَغَ فيه، ثُمَّ انتقل إلى بغــداد، واتَّصل بالخلفاء، فمَدَح الخليفة المَهْدِيَّ والهادي وهــارون الرَّشـيد. وأبــو العتاهية كُنْيَةٌ غَلَبَت عليه لِمَا عُرِفَ به في شــبابه من مُجُــون ولكنَّه كفَّ عن حياة اللَّهو والمُجُــون، ومــالَ إلى التَّنَسُّــك والزُّهْد، وانصرف عن ملذَّات الدُّنْيا والحياة، وشُـغِلَ بخواطر الموت، ودعا النَّاس إلى التَّزَوُّد من دار الفناء إلى دار البقاء. للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/nBmGz
2. قصيدة "بَكَيْتُ الشَّبَابَ بِدَمْعِ عَيْنِي"، موقع الديوان، مُتاحَةٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/WlUro

ولم يتوقَّف استلهام طاقة الشَّبَاب عند قَرَائِحِ الشُّعَرَاء، فالعديد من الأحزاب والحركاتِ السِّيَاسِيَّة وَجَدَتْ في عُنْفُوَان الشَّبَاب ضالّتها، فالعديد منها يحمل اسمَ الشَّبَاب، كنايةً عن توجُّهاتها، وعنواناً لِعَمَلِهَا، وحافزًا للانخراط في صفوفها، سواءً في المحيط العَرَبِيّ أو الإقْلِيمِيّ أو العَالَمِيّ، فقلَّما تَخْلُو بيئة سِيَاسِيَّة من حزبٍ يحمل اسم الشَّبَاب، وحتَّى على مستوى الحُكُومَات يمكن ملاحظة العديد من الوَزارات الَّتِي يُعْهَد لها الاهتمام بالشَّبَاب وتهيئة الظُّروف لاستثمار طاقاتهم؛ فمن يتفحَّص الواقع السِّيَاسِيّ العَرَبِيّ الرَّسْمِيّ والمُسْتَقِلّ، ويرى عدد الأحزاب الَّتِي تَحْمِل اسم الشَّبَاب، وعدد الوَزارات المُخَصَّصَة للاهتمام بشؤونهم، اعْتَقَدَ جازمًا بأنَّ حالَ الشَّبَاب العَرَبِيّ على خيرِ ما يُرَام، ولقَطَعَ الشَّكَّ باليَقِين بأنَّ الشَّبَاب العَرَبِيّ له الكَلِمَةُ الفَصْل في تدبير شؤون أُمَّة العرب؛ إلَّا أنَّ الواقع الفِعْلِيّ يُنَافِي هذه الاعتقادات، والحقيقة المأساويَّة تَدْحَض هذه الآمال؛ فللأسف لمْ تَقْتَرِنْ هذه العناوين السِّيَاسِيَّة ولا التَّوَجُّهَات الحُكُومِيَّة بفعلٍ ملموسٍ، ولا بنجاحٍ محسوسٍ، فَبَقِيَتْ الشِّعَارات المرفوعة كلماتٍ لم يُكْتَب لها إبصارُ الفِعْلِ.

إنَّ استمرار الإهمال والتَّهْمِيش للشَّبَاب ولدَوْرِهم في المنطقة العَرَبِيَّة لن يقودَ إلى حِرْمَانِ دُوَلهم من طاقاتهم فحسب، بل سيتعدَّى ذلك إلى آثارٍ سَلْبِيَّة تَطَالُ مُخْتَلَف جَوَانِبِ الحياة، ابتداءً من الجُمُود السِّيَاسِيّ، مروراً بانخفاض النُّمُوّ الاقْتِصَادِيّ، وليس انتهاءً بالتَّرَهُّل الاجْتِمَاعِيّ، والتَّأثِير الأخطر لهذا التَّهْمِيش قد يكون في ضَعْفِ ثِقَة جِيلِ الشَّبَاب بنفسه، ولا يَخْفَى ما لهذا من تأثيرٍ خطيرٍ في انحرافِ الشَّبَاب أو دَفْعهم نحو تَبَنِّي ثقافاتٍ أخرى قد تكون بعيدةً عن تَوَجُّه الثَّقَافَة العَرَبِيَّة، الأمر الَّذِي يُعَرِّضُ الهُوِيَّةَ العَرَبِيَّةَ لِلخَطَرِ. فالأُمَم إمَّا تنهضُ بجهودِ أبنائها، لا سِيَّمَا الشَّبَاب منهم، فالشَّبَاب هم القُوَّة الأولى والأبرز في المُجْتَمَع العَرَبِيّ، وفي أيِّ مُجْتَمَعٍ آخر على وَجْه الأرض، فَهُم الَّذِينَ يَقَع على عاتقهم عِبْءُ القيام بأعباء النَّهْضَة، بعزيمتهم، والتزامهم، وتضحِيَّاتهم الجِسَام؛ لتحقيق الازدهار والرِّيادة، فعلى أكتافهم تُبْنَى الدُّول، وتزدهر الأُمَم والحضارات؛ وبِهِم يُدْحَرُ الباطِل، ويعلو الحقّ، وتُقْتَلَعُ شَوْكَةُ الظُّلْم والفساد، وتُغْرَسُ نَبْتَة الخَيْر؛ وهم أيضاً صانعو الأفكار، ومنتجو التَّغْيِير الَّذِي

بدونه لا يتقدّم الإنسان؛ وهم بمثابة الرُمَّانة في ميزان الصَّلاح والهُدَى، إنْ صَلَحُوا. غَيْرَ أنَّه ورَغْمَ كُلّ المَيْزَات الَّتِي يتَّســـمُ بها الشَّـــبَاب في أيّ مُجْتَمَع في العالِم ومنه المُجْتَمَعَات العَرَبِيَّة إلَّا أنَّهم لطالما هُمِّشُـــوا وأُقْصُوا من الحياة السِّيَاسِيَّة والاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة؛ ولكنْ رَغْم ذلك إلَّا أنَّ الواقع اليوم يعكِس صوراً مُغَايِرةً بل وحتى مُبْهِرَة تدعونا للتفاؤل والثِّقَة في شـــباب الأُمَّة، ما يجعَلنا مُلْزَمِينَ باستغلال القُوَّة والطاقة والحماســـة الَّتِي يمتلكها هؤلاء الشَّبَاب من أجل تغيير المُجْتَمَعَات إلى الأفضل وخَلْق مستقبلٍ أرقى وأنجح.

إنَّ أيَّ اهتمامٍ بشريحة الشَّـــبَاب لا بُدَّ أن ينطلق من التَّحديد الدَّقيق لهذه الشَّرِيحَة، مُستَنِدًا على معايير عِدَّة، منها العُمْرِيَّة والنَّفْسِيَّة والسُّلُوكِيَّة وغيرها، لذلك سنُخَصّصُ هذا الفصل لتحديد مفهوم الشَّبَاب ودراسة دوره في التَّنْمِيَة بمُخْتَلَف جوانبها.

المبحث الأَوَّل

الشَّبَاب .. التعريف والأهَمِّيَّة

يُعَدُّ تعريف الشَّبَاب من المواضيع الجَدَليَّة، فحتَّى الآن لا يُوجد تعريفٌ جامعٌ مانعٌ لهذا المصطلح، ويبدو هذا الأمر مُبرَّراً، فمفهوم الشَّبَاب ليس من المفاهيم المُطْلَقَة، فيُلَاحَظ اختلاف هذا المفهوم بين ثقافةٍ وأخرى، وبين شـعـبٍ وآخر، ويختلف هذا المفهوم أيضاً بحسـب وِجْهَة النَّظَر إليه، فمنهم مَن بنَى مفهومه حول الشَّبَاب بناءً على الحالة العُمْرِيَّة، ومنهم على الجانب السُّلُوكيّ والنَّفْسيّ، وآخرون اعتماداً على الجانب الفِيسـيُولُوجِيّ؛ ولكنْ وعلى اختلاف هذه المفاهيم إلَّا أنَّه بالإمكان القَوْلُ بأنَّ غَالِبيَّة هذه المفاهيم تدور في فَلَكٍ واحدٍ، وتشير إلى دلالاتٍ مُتقَارِبَة.

فبِشَكْلٍ عَامّ يشير مفهوم الشَّبَاب إلى مرحلة عُمْرِيَّة مُحَدَّدَة من عُمْر الإنسان، يُمَيِّزها مجموعة من الصِّفَات الفيزيولوجيَّة والنَّفْسـيَّة والسُّلُوكِيَّة، وتُؤَثِّر هذه الصِّفَات في بعضها البعض لتُنْتِجَ سُـلُوكاً عَامّاً فكريّاً وفِعْلِيّاً يُمَيِّز الشَّـابّ عن غيره من الفئات العُمْرِيَّـة، وتُعْتَبر هذه الصِّفَات والخصائص مَحَلّ اهتمام الدَّارِسـينَ والحُكُومَات والمراكـز البَحْثِيَّة؛ كَوْن هذه الصِّفَات هي الحامل الحقيقـيّ للطَّاقَة الَّتِي يكتَنِزُها الشَّبَاب، وكَوْنَهَا الوسيلةَ الأبْرَز الَّتِي تُعَوِّل عليها الأُمَم في تَقَدُّمها، لذلك نجد أنَّ قَضِيَّة وَضْع تعريف ومفهوم مُحَدَّد للشَّبَاب لاقَى اهتماماً ملحوظاً من قِبَل غَالِبيَّة المُجْتَمَعَات والمراكز البَحْثِيَّة، لذلك لا يمكن اعتبار أنَّ الاهتمام بتوضيح مفهوم الشَّـبَاب وتبيان الجوانـب الَّتِي يرتبط بها، من القضايا النَّظَرِيَّة البَحْتَة ذاتِ النَّفْع العَمَليّ المُنْخَفِض، فالواقع يُجافي هذا الطَّرْح؛ إذ لا يمكن البَدْء بدراسـة مرحلة الشَّـبَاب والعمل على الاستثمار الفِعْلِيّ لهذه الشَّريحَة، وتجهيز البيئة الملائمَة لتمكينها وإزالة العراقيل من طريقها ما لم نَكُن على بَيِّنَةٍ تامَّةٍ وواضحة حول ما يَعْنِيه هذا المفهوم، فمن غير المعقول دراسـة أمرٍ لا نملكُ مفهوماً واضحاً عنه؛ إذ يبدو الأمر في تلك الحال أَقْرَبَ لدراسة

المجهول؛ وهذا ما يُؤَكِّد عليه عالِم الاجتماع الفَرَنْسِيّ "إميل دور كايم"(1)، فيقول: إنَّ للمفاهيــــم أهَمِّيَّةً بالِغةً في البحوث الاجْتِمَاعِيَّة؛ إذ لا يمكن للباحث أن يَحْصُر مجال بَحْثِهِ إلَّا بتحديد المفاهيم وتعريفها تعريفاً عِلْمِيّاً حتَّى تكتسب سياقاً اجْتِمَاعِيّاً، واعتبر تحديد المفاهيم وتعريفها تعريفاً عِلْمِيّاً إجرائيّاً من القواعد الأسَاسِيَّة الَّتِي تكوّن المَنْهَجَ في عِلمِ الاجتماع(2)؛ لذلكَ كُلِّــه يبدو جَلِيًّا دور توضيح المفاهيم وتعريف المصطلحات كنقطةٍ أُولَى ومُنْطَلَقٍ أساسٍ في أيّ بحثٍ اجْتِمَاعِيّ، وهذا ما يمكن إسقاطه على الشَّبَاب.

وعموماً ومنذ ســـتينيَّات القرن الماضي بدأ الاهتمام بقضايا الشَّبَاب بالتَّزَايُد، ونتيجةً لهذا الاهتمام المُتَزَايِد، ولوُجُود اتِّجَاهـــات أيديولوجيَّة مُتَعَدِّدَة ترعى هذا الاهتمام، بدأت تظهر تعاريف عِدَّة ومفاهيم مُتَنَوِّعَة حول الشَّبَاب، وتتقاطع جميع هذه المفاهيم حول جُمْلَةٍ من النِّقَاط الأسَاســيَّة، منها أهَمِّيَّة الشَّـــبَاب ومِحْوَرِيَّة دَوْرهم في الحياة العَامَّة، وأنَّ هؤلاء الشَّبَاب همُ الاستثمار الأفضل والأجدى للأُمَم، ويتقاطع هذا الطَّرْح مـــع مفهوم الموارد البَشَرِيَّة، ومع وِجْهَة النَّظَر لهذه الموارد بأنَّها الأَهَمّ والأكثر ديمومةً وتأثيراً في حياة الشُّعُوب والأُمَم، سواءً على المستوى الحكوميّ أو على مستوى المُنَظَّمَات الرِّبْحِيَّة، فالاستثمار في الإنسان هو الاستثمار الحقيقيّ والوحيد، وما خَلا ذلك يبقى شكلًا من أشكال الاستفادة الاقْتِصَادِيَّة المحدُودة والمَرْهُونَة بجُمْلةِ شروطٍ، يُؤدِّي غياب أحدها إلى الإخلال بهذه الاســـتفادة، بينما الاستثمار في الإنسان هو استثمارٌ مستقلٌّ وقائمٌ بحَدّ ذاتهِ، والاستثمار في الإنسان يكون أجْدَى ما يكون في حال اقترن بالشَّرائحِ الأكثرِ حيويَّة، والأعلى مرونةً، والأغزرِ إنتاجًا، ألَا وهيَ مرحلةُ الشَّبَاب.

1. **إميل دوركايم:** (1917-1858م)، فيلســوفٌ وعالِم اجتماعٍ فرنسيّ. أحد مُؤسِّــسيّ عِلْم الاجتماع الحديث، وُضَع لهذا العِلْم منهجيَّة مستقلَّة تقوم على النظريَّة والتجريب في آنٍ معاً. أبرز آثاره «في تقسيم العمل الاجْتِمَاعِيّ» (عام 1893م)، و«قواعد المَنْهَج السُوسْــيُولُوجي» (عام 1895م)، يُستشــهَد به عادةً باعتباره المؤسِّــس الرَّئيسيّ للعلوم الاجْتِمَاعِيَّة الحديثة. للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابِط: https://cutt.us/uan6z

2. كردمين، وفاء. "**الشَّبَاب والتَّنْمِيَة، المفاهيم والإشكاليَات**". المعهد العالي للعلوم الاجْتِمَاعِيَّة بتونس. مَجَلَّة جيل الدِّرَاسَات السِّيَاسِيَّة والعلاقات الدَّوْلِيَّة، العدد 11، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/pGcra

تعريف الشَّبَاب

كما أســـلفنا في مستهلّ هذا المبحث، لا يوجد تعريفٌ جَامِعٌ للشَّبَاب، بل هناك تعاريف عِـــدَّة لهذا المفهوم، وجميعها تُشِـــير إلى ذات المرحلة ونفس الشَّريحَة، مع اختلافات بسيطة لا تُؤَثِّر تأثيراً واضحاً على المفهوم العامّ، وفيما يأتي سنبيِّن أَهَمّ التعاريف الَّتِي تَخُصّ مفهوم الشَّبَاب، مُبْتَدِئِينَ بالتعريف اللُّغَوِيّ له، ومِن ثَمَّ نَلِج إلى بقيَّة التعاريف، علَّنـــا في النهاية نتمكَّن من إيجاد تعريف يجمـــع معظم الخصائص والصِّفَات الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا جملة التعاريف المُنْتَشِرَة.

فمن الجَانِب اللُّغَوِيّ، يُشْـــتَقّ لَفْظ الشَّـــبَاب في اللُّغَة من (شبَّ)، وهذه اللَّفْظَة تَدُلّ على: الفُتُوَّة، والقُوَّة والنَّشَاط، والحَرَكَة، والحُسْن، والارتفاع، والزِّيادَة في النَّمَاء[1]؛وعند النَّظَر إلى مفهوم الشَّبَاب في المعجم اللُّغَوِيّ، فسوف نَجِدُ أَنَّ مصطلح "الشَّبَاب" عبارة عن جمع مُذَكَّرٍ ومُؤَنَّثٍ معًا، وتَعْنِي الْفَتَاءَ والحَداثة، ويُطلق لَفْظُ شُـــبَّان، وشَبِيبَة، كجمع مُذَكَّرٍ لمُفْرَدِ شـــابّ، ويُطلق لَفْظُ شابَّات، وشائِب، وشَـــوَابّ، كجمع مُؤَنَّثٍ على مُفْرَدِ شَابَّة، وأصلُ كلمة شَبَاب هو شَبَّب بمعنى صارَ فتيّاً، أيْ "من أدرك سنَّ البُلُوغ ولم يصل إلى سنِّ الرُّجُولَة"[2]. أَمَّا في المُعْجَمِ اللُّغَوِيّ الإنجليزيّ أوكســـفورد (Oxford) فإنَّ لفظ الشَّبَاب يقابلهُ في اللُّغَـــة الإنجليزيَّة كُلٌّ من اللَّفْظَتَيْنِ يوث (Youth) ويونغ (Young) والتِّي "تُطلق على المرحلة العُمْرِيَّة الَّتِي تَمْتَدّ ابتداءً من مرحلة الطفولة إلى ما قبل الرُّشْد"[3].

ويبدو من خلال المعجم اللُّغَوِيّ، أنَّ الشَّبَاب في المُعْجَمِ العَرَبِيّ، يَدُلُّ على المرحلة الَّتِي يكون فيها الفَرْد في مظهرٍ حَسَن، ووجهٍ حَسَنٍ، وجَسَدٍ مُفْعَمٍ بالحَيَوِيَّة، في حين نجد المعجمَ الإنجليزيّ يشير إلى أنَّ المراهَقَة تُستَعْمَل كمرادِفٍ لمفهوم الشَّبَاب؛ لأنَّ المرحلة

1. القيسي، ليث ســعود. "التَّحَدِّيَات المُعَاصِرَة وآثارها على ســلوك الشَّـــبَاب الدَّعَوِيّ"، موقع الإسلام اليوم، 4 مارس 2015م، تاريخ الزيارة: 18 مارس 2017م، مُتَاح على الرَّابط: goo.gl/NSx8fu
2. المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدَّوْلِيَّة، الطبعة الرَّابِعَة، 2004م، ص470.
3. Oxford Learners Pocket Dictionary, Fourth edition 2008, p. 518.

العُمْرِيَّة الَّتِي تحدث ما بين الطفولة وسِنّ الرُّشْد يحصل فيها مجموعة من التَّغَيُّرَات النَّفْسِيَّة والبيولوجيَّة والاجْتِمَاعِيَّة(1).
أمَّا فيما يخصُّ مفهوم الشَّـــبَاب من النَّاحية العُمْرِيَّة، فيتباين المُخْتَصُّونَ في حقول دراسة الشَّبَاب في النَّظَر إليهم من حيث كَوْنُهُمْ شريحةً اجْتِمَاعِيَّةً أو فئةً عُمْرِيَّةً تتراوح ما بين 15 و24 سنة أو 15 و29 عاماً، وذلك باختلاف الخُصُوصِيَّات الاجْتِمَاعِيَّة، وما يَرْتَبِط بالمستويات الثَّقَافِيَّة والاقْتِصَادِيَّة والأوضاع السِّيَاسِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة في الدُّوَل والمُجْتَمَعَات(2)، في حين يرى البعض أنَّ الشَّـــبَاب "همُ الأشخاصُ في الفئةِ العُمْرِيَّة الواقعةِ ما بينَ الخامسةِ عشرة وحتى الخامسةِ والثلاثينَ عاماً"(3).
الشَّـــبَاب، إذن، هم عِمَاد الأُمَم، وسَـــبَب نهضتها، ومَنْبَع قُوَّتهَا، وعاقدو أَلْوِيتهَا، ووَقُودُ حروبِها، ومَبْعَثُ فَخْرِها وعِزّها، فالشَّبَاب قُوَّةٌ دافعة، وعزيمةٌ ماضية، وحَرَكَةٌ دائبةٌ، فإنْ لم تُسْتَثْمَر فيما يعود على النَّاس بالخير رَجَعَتْ بالشَّرّ على الشَّبَاب أنفسِهم، وعلى المُجْتَمَع بأَسْرِه؛ ونُقِلَ عن الرَّسُول -صلَّى الله عليه وسلَّم- قوله: "الشَّبَاب شُعْبَةٌ من الجنون"(4).
ومـــن الأَهَمِّيَّة هنا التَّأْكِيد على حالة الجَدَلِيَّة الَّتِي يثيرها مفهوم الشَّـــبَاب بين الباحثين في العلوم الاجْتِمَاعِيَّة، والَّتِي رُبَّمَا تتقاطع تعريفاتهم للمفهوم حول خصائِصِه الذاتيَّة الَّتِي تَتَمَثَّل أساســـاً في القُوَّة والحَيَوِيَّة والطَّاقَة، والقدرة على التَّحَمُّل وعلى العَمَل والإنتاج في مرحلة مُعَيَّنَة من عُمْر الفَرْد. واتِّســـاقاً مع أهداف مُنَظَّمَة الأُمَم المُتَّحِدَة الإنمائيَّة، فإنَّها تُرَكِّز في نَهْجها المَفَاهِيمِيّ حول الشَّـــبَاب على نطاقٍ أوســـع من القضايا الاجْتِمَاعِيَّة والثَّقَافِيَّة والسِّيَاقِيَّة الَّتِي

1. بلقاسم، زغدود & سعدي وحيدة. "**الإعلام الجديد كمُحَرِّك للوَعْي السِّيَاسِيّ لدى الشَّبَاب**". مَجَلَّة آفاق للعلوم، المجلد الثاني، العدد الثالث، 2017م، ص351، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/lcTWh
2. عضيبات، عاطف. "**البروز الشَّـــبَابي في المنطقة العَرَبِيَّة: الأوضاع والتَّبِعَات السِّيَاســـيَّة**". ورقة مُقَدَّمَة إلى: اجتماع الخبراء حول تعزيز الإنصاف الاجْتِمَاعِيّ: إدماج الشَّبَاب في عمليَّة التَّنْمِيَة، مُؤَسَّسَة التَّنْمِيَة الأسريَّة بأبوظبي، بالتعاون مع اللَّجْنَة الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة لغَرْبِي آسيا الإسكوا، مارس 2009م.
3. خاطر، محمد إبراهيم. "**الشَّبَاب ودورهم في التغيير والإصلاح**".مصر، الإسكندريَّة: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنَّشْر، ، الطبعة الأُولَى، 2014م، ص 15.
4. أخرجه القضاعي (1/66، رقم 55)، والديلمي (2/373، رقم 3665). قال المناوي (4/171): قال العامري في شرح الشهاب: صحيح.

تُحِيطُ بعَمَلِيَّةِ التَّنْمِيَةِ المستدامة وَفْقًا للخبرات الدَّوْلِيَّة المختلفة، كي تُجِيز مُواءَمَة البرمجة مع الحقائق الوَطَنِيَّة والمَحَلِّيَّة في الأُطُر الدَّوْلِيَّة المختلفة؛ فمرونة الشَّبَاب الَّتِي تفرضها خصائصه الجيليَّة والذَّاتيَّة تَفْرِض مُرُونةً برامجيَّة لاسْتِرَاتِيجيَّات التَّنْمِيَة المستدامة، لا سِيَّمَا في أُطُر الأزمات وما بعد الأزمات الَّتِي تَفْرِض على المُجْتَمَعَات الإِنْسَانِيَّة الهادفة إلى التَّنْمِيَة، طبيعيّاً كالكوارث البيئيَّة، أو بِفِعْلِ الصِّرَاعات والحروب والسِّيَاقَات العنيفة؛ حيث يمكن بسهولة فُقْدَان سنوات "الطفولة" و"الشَّبَاب"(1).

ويُشَدِّد التَّعْرِيف السُّوسيُولجِيّ(2) للشَّبَاب على كلمة "المُرَاهَقَة Adolescence"، والمُشْتَقَّة من الفِعْل اللَّاتِينِيّ "Adolescere"، والَّذِي يشير إلى "التَّدَرُّج نحو النُّضْج البَدَنِيّ والجِنْسِيّ والعَقْلِيّ والانفعالي". وهيَ كلمة لا يُقصَد بها مرحلة عُمْرِيَّة مُحَدَّدَة بقَدْرِ ما تشير إلى مجموعة من الخصائص النَّفْسِيَّة والجسميَّة الَّتِي تكون في حالة نشاط وقُوَّة وفي حالة من التَّهَوُّر والاندفاع أيضاً، سواءً بالنِّسْبَة للفتى أو الفتاة، وهذه المرحلة بالذَّات تَشْهَدُ تَغَيُّرَات أَسَاسِيَّة في جميع الجوانب على المستوى الجِسْمِيّ والعَقْلِيّ والاجْتِمَاعِيّ، وحتى الانْفِعَالِيّ، ثُمَّ إنَّها تختلف عن كلمة "البُلُوغ" الَّتِي تقتصر فقط على الناحية الجِنْسِيَّة(3).

أمَّا دراسات الأنثروبولوجيا(4) الَّتِي اهتَمَّت بالشَّبَاب، فقد شدَّدت على الاختلافات حول الشَّبَاب من مُجْتَمَعٍ لآخَر ومن ثقافةٍ لأخرى؛ حيث تلعب الثَّقَافَة تأثيراً كبيراً على انتقال الأطفال إلى سنّ الشَّبَاب.

---

1. **برنامج الأمم المُتَّحِدَة الإنمائيّ، استراتيجيَّة برنامج الأمم المُتَّحِدَة الإنمائيّ للمساواة بين الجنسين** 2014-2017م، نيويورك، 2014م، ص 9.
2. **سُوسْيُولُوجي:** عِلْمُ الاجتماع، وهو العِلْم الَّذِي يَدْرُسُ المجتمعات والقوانين الَّتِي تَحْكُمُ تَطَوُّرَه وتَغَيُّرَه، وترجع البدايات الأُولَى لهذا العِلْم إلى حضارة اليونان القديمة، وذلك من خلال محاولة أفلاطون وأرسطو وسُقراط تقديم تفسيرات مُحَدَّدَة للظَّواهر الاجْتِمَاعِيَّة، وفي العصر الحديث شُهِدَ هذا العلم قفزات متسارعة، للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/aM5Xx
3. مصطفى فهمي، **سيكولوجيَّة الطفولة والمراهَقَة**، القاهرة، مكتبة مصر، 1998م، ص162.
4. **الأَنْثرُوبُولوجيا** هي العلمُ الَّذِي يَدْرُس الإنسان من حيث هو كائنٌ عضويّ حيّ يعيش في مجتمع تسوده نُظُمٌ وأَنْسَاق اجْتِمَاعِيَّة في ظلّ ثقافة مُعَيَّنة، ويقوم بأعمالٍ متعدِّدَة ويسلك سلوكاً مُحَدَّداً، وهو أيضاً العِلْم الَّذِي يدرس الحياة البدائيَّة والحياة الحديثة المُعَاصِرَة ويحاول التَّنَبُّؤ بمستقبل الإنسان معتَمِدًا على تطوُّره عبر التاريخ الإنسانيّ الطويل. (انْظُر: أحمد أبو هلال: مُقَدِّمَة في الأَنْثرُوبُولوجيا التربويَّة، المطابع التعاونيَّة، عمَّان، الأردن، 1974م، ص 9).

وهناك الكثير من الدِّرَاسَـــات في هذا الشَّأن، من بينها دراسة عَالِمَةِ الأنثروبولوجيا الأمريكيَّة مارجريت ميد(1) حول مُجْتَمَعَات الســـاموا "Samoa" وهي مجموعة من الجُزُر الَّتِي تقع بين نيوزلندا وأســـتراليا، فشباب "الساموا" يصبحون ناضجين منذ طفولتهـــم، ومندفعين تِجَاه المخاطر ومواجهة الصِّرَاعـــات، ومُتَحَرِّرِينَ من القيود المُجْتَمَعِيَّة والدِّينِيَّة؛ حيث يَتَعَلَّمُون كيف يَعْتَمِدُونَ على أنفســـهم، وكيف يعيشـــون مع أنفســـهم، ويَظْهَرُ لديهم المَيْل للقيادة وإلى المُنَافَسَة، ممَّا يسمح لهم بالمرور إلى سنَ الشَّـــبَاب بسهولة، فشباب "ســـاموا" يختلف عن شباب القرون الوسطى الَّذِينَ كانوا يجدون أنفسهم مُضْطَرِّينَ للانقطاع عن العَالَم لخدمة الإِلَه، كما يختلف عن الشَّبَاب الهنود الَّذِينَ يَضْطرُّونَ لقطع أصابعهم كقُرْبَان دِينِيّ(2).

وفي دراستها أيضاً حول "غينيا الجديدة"، وَصَفَتْ مارجريت ميد الشَّبَاب، أيْ: سنوات ما بعد البلوغ" بأنَّها ســـنوات التَّوَتُّر والقَلَق، وَالْقَهْرِ والصِّرَاع؛ إذ تُعْتَبَرُ هذه السَّنَوات بالنِّسْـــبَة للإناث سنوات السَّلبيَّة المفروضة، وبالنِّسْبَة لِكِلَا الجنسين تُعْتَبَرَ هذه الفترة السَّنَوات الأخيرة للحريَّة"(3).

وما يمكن اســـتنتاجه من كُلّ ما سبق ذِكْرُه أنَّ تحديد مرحلة الشَّبَاب في أيِّ سنٍّ يبدأ وفي أيِّ سِـــنٍّ ينتهي من أكثر الصُّعُوبَات الَّتِـــي تُوَاجِه أيَّ باحث، فقد اعتبر إدريس بن سعيد(4) بأنَّ مفهوم الشَّـــبَاب على المستوى السُّوسيُولُوجِيّ مفهومٌ ليس له حدودٌ

1. **مارغريت ميد** عَالِمَة اجتماع أمريكيَّة (1978-1901م)، نَالَتْ شُـــهْرَةً كبيرة في السِّـــتِّينيَّات والسَّـــبْعينيَّات من القرن الماضي بدراســـاتها الَّتِـــي وُصِفَتْ بالرَّائدة في مجال الأنثروبولوجيا الثَّقَافِيَّة، حاصلـــة على درجة البكالوريوس من كُلِّيَّة برنارد في مدينـــة نيويورك ودرجتَي الماجســـتير والدكتوراه من جامعة كولومبيا، للمزيد يُنْظَـــر موقع ويكيبيديا على الرَّابِط: https:// cutt.us/cy6Vy
2. الزايدي، منجي. **الدُّخُول إلى الحياة: الشَّبَاب والثقافة والتَّحَوُّلات الاجْتِمَاعِيَّة**. تونس: منشورات تبر الزمان، 2005م، ص 61.
3. مصطفى، عبدالمعطي. **أبحاث في علم الاجتماع: نظريَّات ونقد**. دمشق: منشورات دار هادي، الطبعة الأُولَى، 2002م، ص 191.
4. **إدريس بن سعيد**: أستاذ عِلْم الاجتماع بجامعة محمَّد الخامس، من مواليد عام 1949م بمكْناس وفيها تلقَّى تعليمه الأساسيّ والثَّانَوِيّ، يحمل عضويَّة اتحاد كُتَّاب المغرب، كما أنَّه عضو مُؤَسِّـــس بمجموعة الأبحاث والدِّرَاسَـــات السُوسْيولوجيَّة بجامعة مُحَمَّد الخامس ومُنَسِّق لأعمالها، عَمِلَ خبيراً دوليّاً لصالح العديد من المُؤَسَّسَات الدَّوْلِيَّة في مجال الشَّبَاب والصِّحَّة ومحاربة الأُمِّيَّـــة، وعَمِلَ أيضاً أســـتاذاً زائـــراً في عدد من الجامعات العَرَبِيَّة، من مُؤَلَّفَاته "الثقافة والسُّـــلْطَة" و"الثقافة والخُصُوبَة" و"الشَّـــبَاب والحجاب" و"الطلبة الجامعِيُّون القِيَم والاســـتراتيجيَّات"؛ للمزيد: غسان الكشوري، إدريس بن سعيد أكثر شيءٍ يُهدِّد المغرب هو الفراغ السِّيَاسِيّ، موقع زمان، 14 أغسطس 2019م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/42Zx2

واضِحَةٌ ومَضْبُوطَةٌ، وتشـــير إلى ذات الأمر بعض تقارير ودراســـات عِلمِ الاجتماع، فحَصْرُ مَرْحَلَةِ الشَّباب بمجالٍ محددٍ يعتمد على العُمرِ كمتغيرٍ وحيد قد لا يَصِحُّ دائماً، ففي بعض البيئات الاجْتماعِيّة قد يَتَمَدَّدُ عُمرُ الشَّباب إلى فوق الثلاثين عام، وهو ما يُسَمَّى بِعِلمِ الاجْتماع "تَمَطْمُطُ مَرْحَلَةِ الشَّبَاب"(1)، ففي هذه البيئات قد تطول المرحلة الّتي يبقى معها الشَّابُّ ضمن كَنَفِ الأُسْرَةِ.

الشَّبَاب والتَّنْمِيَة

قد لا تَقِلّ أهَمِّيَّة التَّنْمِيَة في المُجْتَمَع عن أهَمِّيَّة الشَّبَاب، فغياب التَّنْمِيَة هو جُمُودٌ مَكَانيّ وزَمَانيّ، وتَأَخُّرٌ اقْتِصَاديّ واجْتِمَاعِيّ وسِيَاسِيّ، وفي العقود الأخيرة من القرن السَّابق، غَدَتْ مُؤَشِّرَات التَّنْمِيَة مقياساً لنجاح الحُكُومَات في مَهامّهَا، وتعبيراً عن حَيَوِيَّة الأفراد في الوصول إليها، وممَّا لا شَكَّ به أنَّ جميع أفراد المُجْتَمَع مدْعُوُّون للمُشَارَكَة في التَّنْمِيَة، لا ســيَّمَا المستدامة منها، إلَّا أنَّ التَّنْمِيَة وكمصطلح ومفهوم يشير إلى النَّماءِ والازدياد، فإنَّ ارتباطها بالشَّبَاب يبدو أكثر وضوحاً وظهوراً من باقي الشَرائح الاجْتِمَاعِيَّة، وفيما يأتي سنبين أبرز النِّقاط الَّتِي تُوَضِّحُ ارتباط الشَّبَاب بالتَّنْمِيَة.

- **الشَّبَاب همُ الأكثر طموحاً في المُجْتَمَع:** وهذا يعني أنَّهم أساسُ عَمَلِيَّة التَّغْيير والتَّقَدُّم.
- **الشَّبَاب همُ الأكثر تَقَبُّلاً للتَّغْيير:** هذه الحقيقة تُعْتبر مَيْزَة رَئِيسِيةً فيهم؛ فلديهم استعدادٌ نحو التَّغْيير وتَقَبُّلِ الجديد والتَّعَامُل معه بروحٍ خلَّاقة ومبْدِعَة.
- **الشَّبَاب همُ الأكثر حماسًا وحَيَوِيَّة:** فلديهم طاقةٌ جَبَّارة نحو التَّقَدُّم والتَّعَامُل مع معطيَات المُجْتَمَع ومُتَطَلَّبَاته.
- **الشَّـــبَاب همُ الأكثر اقتناعًا ووَعْيًا:** ولكـــن أوَّلًا لا بُدَّ من الاقتناع بمعنى احترام العقل، والتَّعَامُل مع الشَّـــبَاب بمفهوم كَيَانيّ وليـــس مُجَرَّد أدوات تنفيذ. وثانيًا،

1. بن يحيى، الحبيب. **"دراسة أوضاع الشَّباب المَغَاربِيّ"**. اتحاد المغرب العربي، الأمانة العامة، ، 2011م،ص29، مُتاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/7g1GJ

الإدراك لما يقوم به الشَّـــبَاب، أيْ الإلمام بالأهداف والاقتناع بالوسائل والطُّرُقِ الموصِّلة إلى تحقيق الهدف.

- **الشَّـــبَاب قُوَّة اقْتِصَادِيَّة جبَّارة:** فالعُمَّالُ الشَّبَاب هم الَّذِينَ يُنْتِجُونَ بسواعدهم، والشَّبَاب المُتَعَلِّم بجهدهم الذِّهْنِيّ يُنْتِجُونَ ما يحتاجه المُجْتَمَع وهم الَّذِينَ يَبْنُونَ صرح الوطن، ويضمنون تحقق التَّنْمِيَة الشَّـــاملة والتَّقَدُّم الاقْتِصَادِيّ بناءً على التَقَدُّم العِلْمِيّ، وعقول الشَّبَاب النَّيرة والمستنيرة هي الَّتِي توفِّر القاعدة العِلْمِيَّة الَّتِي تضمن النَّجَاح والتَّقَدُّم في الجهد الاقْتِصَادِيّ وفي الجهد التَنْمَوِيّ أيضاً.
- **الشَّـــبَاب قُوَّة اجْتِمَاعِيَّة مُهِمَّة:** وكَسْبُ هذا القطاع الاجْتِمَاعِيّ الرَّئِيسِيّ من قِبَلِ صانعي القرار والسِّيَاسِيّينَ يعني كَسْبَ معركة التَّغْيير.

وهذا ما يقودنـــا للتَّأكِيد على وُجُوب أن تكون التَّرْبِيَة مُتَقَاطِعَة ومُتَطَابِقَة مع عوامل البيئة المَحَلِّيَّة، فيَجِبُ أن تكون تربيةَ جيلِ الشَّبَاب والتَّعَامُل معه مُسْتَمَدَّة من الأخلاق الدِّينِيَّة ومن الأخلاق الوضعيَّة السَّائِدَة في البيئة العَرَبِيَّة، فمن غيرِ المُمْكِنِ أن يكون الشَّـــبَاب أصحابَ دَوْرٍ مُهِمّ في التَّنْمِيَة ما لم يكن مَشْرَبهم الثَّقَافيّ من ذات البيئة، وكذلك من غير المعقول أن يســـاهمَ شـــابٌّ مُتَأَثِّر بالثَّقَافَة الغَرْبِيَّة تأَثُّرًا تامًّا إلى حَدّ تفضيلهـــا عـــلى ثقافته الأُمّ بالتَّنْمِيَة في المنطقة العَرَبِيَّة، وفي حال شـــارك في هذه التَّنْمِيَة فإنَّ مشاركته قد تكون مُنْخَفِضَة الفَاعِلِيَّة إنْ لم تكن سَلْبِيَّة في بعض الحالات؛ وهذا ما يُحَتِّم ضرورة الاهتمام بالتَّوَاصُل مع الشَّبَاب، فالتَّعَامُل الخاطئ مع الشَّبَاب، تربويًّا ودينيًّا يُسبِّب نُفُورهم من دينهم ومن بيئتهم، فعند محاولة فَرْض تعاليم الدِّين أو أخلاق البيئة بالقُوَّة على الشَّـــبَاب، لا بُدَّ أن نتوقَّع منهم نُفُوراً إنْ لم يكن محاربةً لهذه الأخلاق والتَّعَالِيم الدِّينِيَّة، وبالتَّالي لن يكون لهم أيّ مُسَاهَمَة تُذْكَر في التَّنْمِيَة المُسْـــتَهْدَفَة، فالانتماء إلى البيئة هو العَامِل الحَاسِم والأَهَمّ الَّذِي يدفع الشَّبَاب إلى المُسَاهَمَة والمُشَارَكَة في التَّنْمِيَة.

وهنا لا بُدَّ من التَّأْكِيد على ضرورة التَّوْجِيه للشَّبَاب، والعَمَل على دَفْعه سُلُوكِيّاً وذِهْنِيّاً لتَبَنِّي ثقافته وحتَّى للوصـــول إلى مرحلة الفَخْر بها، فغياب التَّوْجِيه قد يفتح المجال

للانحراف وخَاصَّةً في حال وُجِدَ مَن يُزَيِّن لهم طُرُق الانحراف، ويأخذ بأيديهم إلى مهاوي التِّيه ومتاهات العَبَث واللَامُبالاة؛ ولكنَّ التَّوْجِيه القَسْرِيّ وغَيْر المَدْرُوس قد لا يكون أفضل من عدم التَّوْجِيه، فقَسْر الشَّـــبَاب على سُلُوك مُعَيَّن لن يَدْفَعه إلَّا للنُّفُور من هذا السُّــلُوك، وهنا تَبْرُز حِكْمَةُ المُوَجِّهينَ والمُرْشِدِينَ، وكما أسلفنا بقَدْرِ ما يَتَمَكَّن هؤلاء المُرْشِدُونَ من دَمْج الشَّبَاب بثقافتهم ودَفْعهم لتَبَنِّيهَا بقَدْرِ ما يكونوا قد مَهَّدُوا لانخراط الشَّبَاب في التَّنْمِيَة المَحَلِّيَّة، اجْتِمَاعِيّاً واقْتِصَادِيّاً وثَقَافِيّاً.

ويجب أن يهتمَّ هؤلاء المتخصِّصُون برعاية الشَّـــبَاب بنـــاءً على عِدَّة مُتغيِّرات تتعَلَّق بطبيعة الشَّـــبَاب؛ أوّلها الاختلاف والتمايُز بين شخصيات الشَّبَاب، ومِن ثَمَّ الأهداف المُجْتَمَعِيَّة، وأخيرًا إيمان المُجْتَمَع نفســـه بأنَّ رعاية الشَّبَاب ومساعدتهم هي السَّبِيل الوحيـــدة لتغيير المُجْتَمَع والنُّهُوض به؛ وذلك لأنَّ الرِّعَاية الَّتِي تُقَدَّم للشَّـــبَاب تُعزِّز من ثقتهم بأنفســـهم وشعورهم بالانتماء وإقبالهم على ممارسة أدوارهم الاجْتِمَاعِيَّة والاقْتِصَادِيَّة وإحساسهم بالمسؤوليَّة الاجْتِمَاعِيَّة، وسَعْيِهِم لحلّ مشكلات المُجْتَمَع"[1].

ولا تقتصر رعاية الشَّبَاب على الجوانب النَّفْسِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة، بل يجب أن تمتدَّ أيضاً إلى الجوانب الجســـديَّة والصِّحِّيَّة وتوفير أهمّ الموارد الَّتـــي تُؤَمِّن مُقَوِّمَات الحياة الصِّحِّيَّة، والَّتِي تساعد الشَّبَاب على امتلاك أجساد سليمة تُمَكِّنهم من العَمَل والإنتاج، وتُقَلِّل من نِسَبِ إصابتهم بالأمراض، وبالتَّالِي تُقَلِّل من نِسَبِ الوفيات.

1. الصيرفي، محمد، **المســؤوليَّة الاجْتِمَاعِيَّة للإدارة**. مصر، الإســكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنَّشْر، 2007م، ص 15.

المَبْحَث الثَّاني

الشَّبَاب العَرَبِيّ بين الآلام والآمال

يُشَكِّل الشَّبَاب العَرَبيّ نسبةً مُرْتَفِعَة من مجموع السُّكَّان العرب، إلَّا أنَّهم لم ينالوا حتَّى الآن الأهَمِّيَّة الكافِيَة والمُتَناسِــبَة مع نِسْبَتِهم المُرْتَفِعَة، ومع الدَّوْر المُنَاط بهم، فهم ما زالوا يعانون التَّهْميش والإقصاء، والحرمان من بعض الحقوق، وهذا الواقع انعكس عــلى مُخْتَلَف الشَّرائح، وعلى مُخْتَلَف جوانب الحياة، فقَلَّمَا نجد في البيئة العَرَبيَّة جانب من جوانب الحياة لا يعاني من سَــلْبِيَّة هنا أو نقص هناك، ومع أنَّ المُجْتَمَعَات العَرَبِيَّة تُوصَفُ بالمُجْتَمَعَات الفَتِيَّة ديمغرافيّاً، وهي أحوجُ من غيرها لجهود الشَّبَاب ومشاركتهم في الحياة الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والثَّقَافِيَّة وحتى السِّيَاسِيَّة، وخَاصَّةً أنَّ البُلْدَان العَرَبِيَّة تُصَنّف من البُلْدَان النَّامِيَة، وهي بحاجة لاستثمار كُلّ الطَّاقَات، واستنهاض كُلّ الهمم، إلّا أنَّ هذا المنطق لَمْ يَلْقَ دائماً آذاناً صاغية، إمَّا عن قصدٍ ونيَّة لإفراغ البلاد العَرَبِيَّة من طاقاتها، أو عن جهلٍ وقلَّةِ بصيرة، وفي كلتا الحالَيْن كانت النتيجة سيِّئَة، مُجْتَمَع عَرَبيّ مُترَهِّل، شَبَاب عَاطِل ومُعَطَّل.

وعلى الرَّغْمِ من كُلّ ما ذكرناه ســابقاً حول أهَمِّيَّة ودور الشَّــبَاب في المُجْتَمَعَات إلَّا أنَّ هناك مُجْتَمَعَات تَتَجاهَلُ هذه الحقائق، وتتَجاهلُ الشَّــبَاب، وتتعامل معهم بطُرُق تُحَوِّلهم من طاقة مُنْتِجَة إلى طاقة لا قيمة لها، وقد تكون مُدَمِّرَة في كثير من الأحيان؛ **من أبرز هذه السُّلُوكِيّات:**

- **النَّبْذ والاضطهاد والتَّهْمِيش، وإهمال الشَّبَاب**، وعدم الاكتراث بهم بِشَكْلٍ عَامّ، وغالباً ما تشــيع هذه الطرق في المُجْتَمَعَات المُتَخَلِّفَــة والَّتِي ينتشر فيها الجَهْلُ والأُمِّيَّة، وغالباً ما يَنْتُجُ عن هذا الأسلوب التَّمَرُّد والثورة.
- **التَّتَبُّــع والمُرَاقَبَة الدَّائمَة**، ورَصْد كُلّ حركةٍ يقوم بها الشَّــبَاب خوفاً من القُوَّة والطَّاقَة الَّتِي يمتلكَوْنَهَا والَّتِي لا يستَغِلُّونَهَا بشكلٍ صحيحٍ، والَّتِي يمكن أن تتحوَّل إلى طاقةِ تدميرٍ هائلةٍ.

- **المُبَالَغَة في التَّوْجِيه والإرشـــاد**، فوَفْق هذا المبدأ في التَّعَامُل، يُحْرَم الشَّبَاب من دَوْرهم وحقّهم في رَسْم ملامحِ حياتهم، ويَهْدِف هذا الأسلوب أيضاً إلى محاولة تَغْلِيبِ الأفكار، وإجبار الشَّـــبَاب على تَبَنِّي أفكار نمطيَّة وتقليديَّة، دون الاكتراث فيما إذا كانت تلائمهم أم لا، ولا يَخْفَى الأَثَرُ السَّـــلْبِيّ لهذه الأساليب في التَّسَبُّب بالمشكلات النَّفْسِيَّة للشَّبَاب، كالقَلَقِ والإحباط وانخفاض الثِّقَة بالنَّفْس، والحَيْرَة والصِّرَاع الدَّاخِلِيّ، والصِّرَاع مع باقي فئات المُجْتَمَع.

لم تَعُدْ هذه الأســـاليب صالحةً ولا يمكن لها أن تُطَبَّق دون أن يكون هناك ردودُ أفعال سَـــلْبِيَّة، لذا لا بُدَّ أَنْ تَفْهم المُجْتَمَعَات ابتداءً من الأُسْرَة إلى المُؤَسَّسَـــات التَّعْلِيمِيَّة وقادَةِ الـــرَّأْي وُصُولاً إلى الحكومـــة وأجهزَتِها هذا الأمر وتَقْبَلُ أَنْ تتغيَّر وتُغَيِّر في منهجها في التَّعَامُل مع الشَّبَاب، وتبدأ في اســـتبدال الأساليب التَّقْلِيدِيَّة القديمة بأساليبَ عَصْرِيَّة أكثرُ حداثة، وتتناسب مع الشَّبَاب وتُلَبِّي حاجاتهم النَّفْسِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة، ولا يمكن الجَزْم والتكَهُّنُ بأساليبَ بعَيْنِهَا والقول بأنَّ الحلول تكمن بها، إلَّا أنَّه قد تُشَكِّل دليل عمل، ومُرْشِد طريق للتَّعَامُل مع الشَّبَاب، وفيما يلي أَهَمّ هذه الوسائل في خُطُوطها العريضة.

- **التقبُّل**: وخَاصَّةً لِجِهَةِ تقبُّل اختلافهم عن باقي شرائح المُجْتَمَع، ســـواءً في طُرُق تفكيرهم أو في أنماط أفعالهم، والعَمَل على إدارة الاختلاف في التَّفْكِير والسُّلُوك بطُرُقٍ تَحْفَظُ للشَّبَاب كرامَتَهُم وتُمَكِّنهم من تنفيذ ما يُفَكِّرُون به.
- **التَّوْجِيه الذَّاتِيّ**: وذلك بمَنْح الشَّـــبَاب قَدْرًا أكبر من الحُرِّيَّة في تحديد الغَثّ من الثَّمِين فيما يَتَعَلَّق بقراراتهم، والابتعاد عن التَّسَلُّط والتَّوْجِيه القَسْرِيّ.
- **حَقّ التَّعْبِير**: وإتاحة الفرصة للشَّـــبَاب للتعبير عن أنفُسِهم ومُيُولِهم وأفكارِهِم، وتقديم أفكار حول حَلّ المشاكل الَّتِي تُواجههم والَّتِي تُوَاجِه المُجْتَمَع بالعموم.
- **تجديـــد الخطاب التربويّ**: والابتعاد عن النَّمَطِيَّـــة والتَّقْلِيدِيَّة في التَّعَامُل مع الشَّـــبَاب، والانفتاح في التَّرْبِيَة والإرشـــاد على الثَّقَافَات الأخرى، والعَمَل على مُوَازَنَـــة الثَّقَافَة المَحَلِّيَّة مع الثَّقَافَات الأخرى، بحيث لا تَطْغَى الثَّقَافَات الأَجْنَبِيَّة ولا تفقِد الثَّقَافَة المَحَلِّيَّة مِحْوَرِيّتها.

أبرز المشاكل الَّتِي يعاني منها الشَّبَاب

التَّعَامُل مع مشـــكلات الشَّبَاب يجب أن يكون مدروساً ومخططّاً له بحكمة؛ فالشَّبَاب هم قَضِيَّة أمنٍ قوميّ لأَيَّةِ دولة، وبالتَّالِي يجب أن يُنْظَر لهم بعَينٍ مختلفة تسعَى لحلِّ مشكلاتهم بشكلٍ جذريّ مع محاولة تحسين أوضاعهم في المُجْتَمَع لتحقيق طُمُوحاتِ هذا المُجْتَمَع، خَاصَّةً في مُجْتَمَعَاتنا العَرَبِيَّة الَّتِي تصلُ فيها نسبة الشَّبَاب دون التَّاسعة والعشرين إلى 57 % من إجماليّ السُّكَّان وفقًا لإحْصَائِيَّات الأُمَم المُتَّحِدَة(1)، وهو ما يعني أنَّ لدينا قُوَّةً بَشَرِيَّة لا يمكن أن نستهين بها ولا بُدَّ أن نَقُودَهَا ونستثمرها بالشَّكْلِ الصَّحِيحِ الَّذِي يجعلها إضافةً للأُمَّة وليس طريقاً لتدميرها.

وللأسف يعاني الشَّبَاب في مُجْتَمَعَاتنا العَرَبِيَّة من العديد من المشكلات الَّتِي قد تجعل أُفُقَ الشَـــبَابِ مســـدودًا، ومليئًا بعَقَباتٍ قد تُؤَثّرُ على مستقبلهم ومن خَلْفِهِم مستقبل الأُمَّةِ بالكامل، وفيما يلي تبيان لأَهَمِّ هذه المشاكل.

- **التَّطَلُّعاتُ الاجْتِمَاعِيّـــةُ الخاطئة**: والَّتِي تقوم على التَّحَرُّرِ وَفْقَ المنظور الغَرْبِيِّ له، دون أَخْذِ منظومة القِيَم العَرَبِيَّةِ والإِسْلامِيَّةِ بعين الاعتبار، والرَّغْبَةِ في تقليد واقتباس أســـلوب حياة الشَّـــباب الغَرْبِيّ، وخَاصَّةً في ظِلِّ السَّيطرة الغَرْبِيَةِ على وسائل الإعلام وغَزْوِ نَمَطِ الحياة الغَرْبِيةِ لِمُخْتَلَفِ وسائل الإعلام مقابل شِبْهِ خُلُوٍّ لنمط الحياة الشَّرْقِيَّة عن هذه الوسائل.
- **المبالَغـــة في التطلُّعاتِ الاقْتِصَادِيَّة**: وخاصةً في ظِـــلِّ الانفتاح الاقْتِصادِيِّ في العديـــد من الدُّوَلِ العَرَبِيَّة، والطَّفْرَةِ النَّفْطِيَّةِ التي ضاعفت دخول الشَّـــباب في الـــدُّوَلِ النَّفطية مقابل تَدَنِّي الدُّخُولِ في باقي الـــدُّول، الأمر الَّذِي دفع بعض الشَّـــباب لِتَبَنِّي تَوَقُّعاتِ آمالٍ اقتصاديّةٍ لا تتناســـب مع الواقع الحَقِيقِيِّ المَعِيشِ، والتِي انعكست فشلاً وبالتَّالِي أَثَّرَتْ سلبًا على ثقة هؤلاء الشَّباب بأنفسهم.

1. برنامج الأمم المُتَّحِدَة الإِنْمَائِيّ، تقرير التَّنْمِيَة الإِنْسَـانِيَّة العَرَبِيَّة للعام 2016م، **الشَّـبَاب والتَّنْمِيَة الإِنْسَـانِيَّة في البلدان العَرَبِيَّة: تَحَدِّيَات مرحلة التَّحَوُّل**، 2016م، ص 22.

- **انتشـــار الأُمِّيَّةِ في العالَم العَرَبي:** والَّتِي تصل نسبَتُها إلى 22 % أيْ ما يعادل 52 مليون نَسَمَةٍ حوالي ثُلُثَيْهِم من النِّسَاء البالِغَات، كما تشير الإحصائيَّات إلى تَسَرُّب 11 % مـــن الأطفال العرب من التَّعْلِيم الابتدائي، بما يعني 4.5 مليون طفل، كما أنَّ الدُّوَل العَرَبِيَّة تُنفق أقَل من 3 % فقط من ناتجها المَحَلِّيّ على التَّعْلِيم والبحث العِلْمِـــيّ، وهذا يُعَدُّ رقماً ضئيلاً جدّاً إذا ما قارَنَّاه بما تُنْفِقُه الدُّوَل المُتَقَدِّمَة الَّتِي تُخَصِّص ما يقارب 10 % من ناتجها القَوْمِيّ على التَّعْلِيم(1).
- **انخفاض مســـتوى الحُرِّيَات في العالَم العَرَبي:** ويندرج ضمن هذه الحُريات حُرِّيَّةُ التعبير وحريةُ العمل السِّـــياسِيِّ وحريةُ الصّحافَةِ والإعلام، فمعظم هذه الحُرّيات مُقَيّدَةٌ في البيئة العَربِية بقيود تَحُدّ من فَاعِلِيَّتَها، وهذه الحُريات تُشَكِّلُ دُعَامَةً مُهِمَّة للشَّباب في أداء واجباتهم وممارسة حقوقهم، وحِرمَانِهِم منها يُعْتَبَرُ عَقَبَةً في وجه مشاريعهم.
- **غيابُ العَدَالَةِ في تَوْزِيعِ الدَّخْلِ والثَّرَواتِ:** والَّتِي تعاني منها معظم الشُّـــعُوب العربية، إضافة إلى متتاليـــة العَدْلِ المفقود، مع أنَّ الدُّوَل العَرَبِيَّة تمتلك ثروات طبيعيَّـــة هائلة، بإمكانها توفير الرَّفَاهية للشـــعوب العَرَبِيَّة، إلَّا أنَّ هذه الثروات تَحْتَكِرُها فئة قليلة، ولا يحصل المواطن العاديّ، وخَاصَّة فئة الشَّـــبَاب، على شيء مـــن هذه المزايا لإقامة مشروعات إنْتَاجِيَّة صغيرة؛ هذه الازدواجية الَّتِي تتعامل بها الأنظمة العَرَبِيَّة الحاكمة على مُخْتَلَف المســـتويات، خَلَقَتْ حالةً من السُّخْطِ العَـــامِّ وعدم الرِّضَا لدى الجماهير، يُنْذِر بحدوث هَزَّات وثورات اجْتِمَاعِيَّة، كما تدفع الشَّباب إلى الهجرة وإلى انخفاض إنْتَاجِهم الاقتِصاديّ والفِكْرِيّ.
- **ارتفاع مُعَدَّلات البَطَالَة في أوســـاط الشَّبَاب خَاصَّة من الخريجين**، وفي القَلْب منهم خريجي التَّعْلِيم العالي، وبمقارنةِ نِسَـــبِ البَطَالَةِ في العَالَمِ العَربي خِلالَ

1. مُنَظَّمَـــة الأمـــم المُتَّحِدَة للتربية والعلم والثقافة، **التقرير العَالَمـــي لرَصد التعليم للجميع لعام 2015-2000م**: الإنجازات والتَّحَدِّيَات، تقرير إقْلِيمِيّ عن الدول العَرَبِيَّة، 2015م، ص 5.

السنوات العَشْرِ الأخيرة قد نلاحظ انخفاض في نِسْبَتِها، فعلى سبيل المثال بَلَغَتِ البَطَالَة في الأردن عام 2011م نحو 16 %، وفي المغرب وصلت النِّسْبَة إلى 22 %، عام 2013م، وفي تونس وصلت النِّسْبَة إلى 13 % عام 2010م، أمَّا نِسبة البَطَالَة في ليبيا فإنَّها تصل إلى نحو 48.9 %، وفي موريتانيا 46 %، وفي مِصْرَ زادت نِسَب البَطَالَة بنحو 12.6 % خلال العَقْدَيْنِ الماضِيَيْنِ؛ إذ ارتفعت النِّسْبَة من 29.4 % في العام 1991م، لتصل إلى 42 % في العام 2014م، وفيما يَتَعَلَّق بحجم البَطَالَة الكُلِّيَّة، عَرَبِيّاً، فهي تصل إلى ما نِسْبَته 29 % وفقاً لتقديرات عام 2013م(1)؛ أمَّا في عام 2019م، فَتَبْلُغُ نسبة البَطالَةِ في دول مجلس التعاون الخَليجِيّ 7.6 % وضَعْفِ هذا الرقم في باقي الدُّوَلِ العَربية، بينما تبلغ نسبة البَطالَةِ بين الشَّباب العَربي أكثر من 30 %(2)، وهذه النِّسبَةُ تُعَدُّ من أعلى النِّسَبِ العَالَمِيّة.

- **انتشار الأزَمَات الاجْتماعية:** فالأزمات الاقْتِصادية قَادَتْ الشَّباب العَرَبيّ إلى العَقَبَاتِ الاجتماعِيّة، فالبَطَالَة تُعتبرُ مِفتاحَ دُخُولِ الشَّباب إلى عالَم المشاكل الاجْتماعية والأزَمَاتِ الأُسْرِيّة، كالطَّلاق وانتشار الإدمان وعُزُوفِ الشَّباب عن الزَّواج وانتشار الجريمة والجريمة المُنَظَّمَة.
- **الأَزَماتُ السِّياسِيَّةُ:** فالاستقرار السِّياسِيُّ يُعَدُّ من المُتَطَلَّبَاتِ الأَسَاسِيَّةِ في توفير بيئة مناسبة لعمل وإبداع الشَّباب، والبيئة العَرَبية مُشَبَّعَةٌ بالأزَمَاتِ السِّياسِيَّةِ والّتِي قسم لا بأس منها يَتَحَوَّلُ لأَزَمَاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ، تُجْبِرُ الشَّباب على الانخراط بها، فالشَّباب هم الوَقُودُ الرَّئِيسُ للصِّراعات والنِّزاعَاتِ العَسكرِيّةِ، الأَمْرُ الكفيل بتدمير حاضِر ومستقبل هؤلاء الشَّباب.

1. برنامج الأمم المُتَّحِدَة الإنمائي، تقرير التَّنْمِيَة الإنْسَانِيَّة العَرَبِيَّة للعام 2016م، **الشَّبَاب وآفاق التَّنْمِيَة الإنسانيَّة في واقع مُتَغَيِّر**، 2016م، ص 131، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/0YWcC
2. **"تقرير أممي: رَغْمَ تراجع البَطالَة، ما زالت ظروف التوظيف السَّيِّئَة تَحَدِّيًا مَاثِلًا على مستوى العالَم"**. أخبار الأمم المتحدة، 13 فبراير 2019مـ مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/Usa5C

أخيراً .. فإنَّ الشَّبَاب هُمُ الشَّرِيحَة الأكبر والأهمّ من السُّكَّان والَّتِي تطمح إلى مزيدٍ من الحُرِّيَّة ومزيدٍ من التَّطَلُّعَات المباحة والمسموحة، وهو ما يجب أن نستغلَّه ونستثمره خَاصَّةً أنَّه يأتي معَ كثيرٍ من الحماس والديناميَّة والاستعداد للمغامرات.
لا معنى لتهميش الشَّــبَاب وجَعْلِهم قُوَّة مهملة لا قيمةَ لها، فهذه الفئة من البشر هي مزيجٌ من الحَيَوِيَّة والقُوَّة الَّتِي لا بُدَّ أن نعطيها الفرصة لكي تنمو وتزداد قُوَّة، وتعمل على بناء المُجْتَمَع والوصول إلى التَّنْمِيَة المستدامة وتحقيق أهداف المُجْتَمَع.

في ختــام هذا الفصل لا بُدَّ أنْ نَعِيَ أنَّ للشَّــبَاب أهَمِّيَّــةً بالغةً في نهضة المُجْتَمَعَات العَالَمِيَّة والعَرَبِيَّة منها عــلى وَجْه الخصوص بالنَّظَر إلى الأعداد الكبيرة لهذه الفئة في بلداننا العَرَبِيَّة وخصائصها النَّفْسيَّة والبيولوجيَّة الَّتِي تسمح لها دون غيرها ببناء مُجْتَمَعَاتها على أحسنِ وَجْهٍ، وإنَّ على الحُكُومَات العَرَبِيَّة إدراك هذه الأهَمِّيَّة حضاريّاً بالنَّظَــر لكَوْن هؤلاء عَمُودَ التَّقَدُّم الحاصل اليوم في أيّ مُجْتَمَعٍ وخصوصاً في عصر العولمــة الَّذِي نعيش فيه والَّذِي يَتَغَيَّر دَوْرِيّاً كُلّ يــومٍ، وخُصُوصاً من ناحية الأفكار والتكنولوجيَّات والتِّقنيات؛ والشَّــبَاب -كما هو معروف- هُمُ الأكثر كفاءةً وقدرةً على احتضان مثل هذه التَّغْييرات والمُشَــارَكَة في إبداعها واســتغلالها لفائدة المُجْتَمَع، وبالتَّــالِي مُوَاكَبَة العَالَمِ في تطوُّره التاريخيّ المُتَسَــارِع، وفي هذا الإطار يجب على الحُكُومَــات العَرَبِيَّة إيلاء كُلّ الاهتمام لهذه الفئة بتوفير فُرَص العَمَل لهم وتعليمهم ودَمْجهم في الحياة السِّيَاسِيَّة والاقْتِصَادِيَّة والثَّقَافِيَّة ليس فقط ليكونوا قيمةً مضافةً في مُجْتَمَعَاتهم حاضراً ومستقبلاً، وإنَّما حتَّى يَتَجَنَّب أيضاً تحوُّلهم إلى عناصر هدَّامَة ومريضة في المُجْتَمَع كما هو حاصل اليوم في أغلب المُجْتَمَعَات العَرَبِيَّة.

الفَصْل الثَّانِي

مشاكل الشَّبَاب العَرَبِيّ

- **مُقَدِّمَة**
- **المَبْحَث الأَوَّل: تأمين سُبُلِ المعيشة**
    - أوّلًا: الْمَسْكَنُ
    - ثانيًا: الزَّوَاج وبناء الْأُسْرَة
    - ثالثًا: المشاكل الزَّوْجِيَّة والطلاق
    - رابعًا: الحصول على وظيفة
    - خامسًا: المَقْعَدُ الْجَامِعِيُّ
- **المَبْحَث الثَّانِي: البَطَالَة**
- **المَبْحَث الثَّالِث: الْمَلَلُ، الْيَأْسُ وَالْفَرَاغُ**
    - أمراض عَصْرِيَّة يَجُرُّ بَعْضُهَا بعضًا
    - الْعِلَاجُ الضرورة الْمُلِحَّةُ.

الفَصْل الثَّاني

مشاكل الشَّبَاب العَرَبِيِّ

مُقَدِّمَة

إنَّ الحديث الحماسيّ والشاعريّ عن الشَّبَاب، كحِقْبَةٍ عُمْرِيَّةٍ مُعَيَّنَة وشريحة مُجْتَمَعِيَّة مُتَمَيِّزَة، رُبمَّا يَصْدُقُ على فِئَةٍ من الأُمَم والشُّعُوب الَّتي امْتَطَتْ صَهْوَةَ التَّقَدُّم والرُّقِيِّ، بَيْدَ أنَّه حينما نُديرُ الدَّفَّةَ باتِّجَاه شـــبابنا العَـــرَبيِّ، سَرْعَانَ ما يَتَحَوَّل الحديث إلى شُجُون، وذلك بالنَّظَر إلى حَالِ أُمَّتنا الْمُتَدَهْوِرِ، وواقع شبابها الْأَكْثَر تَدَهْوُرًا.

وَلْنَرْجِـــعْ إلى الوراء، وَبِالضَّبْطِ في ثلاثينيَّـــات القرن الماضي، حيث نجد وصفًا بليغًا لأزمة الهُوِيَّة والإرادة عند الشَّـــبَاب العَرَبِيّ في نموذجه المغَرْبيّ آنذاك، والَّذي ساقَهُ الكاتب "ســـعيد حِجِّيّ" في مقالته المعروفة "شـــبابٌ غُفْلٌ"؛ إذ يقول فيها: "إنَّنا نَرْبَأُ بالمَدَنيَّة العصريَّة أَنْ تُمَثِّلها لدى شعبنا هذه الطائفة من الشَّبَاب المهَدَّم الآمال المحَطَّم الأعمال، فإنَّ الصورة الَّتي يظهرون بها لا تُمَثِّل مَدَنِيَّةَ الْعَصْرِ في شيء، و.. إنَّ مظاهر هذه الطائفـــة شَيْءٌ ومظاهر المَدَنِيَّة العصريَّة شيءٌ آخَرُ لا صِلَةَ بينهما بتاتًا، وبذلك لا تســـقط المَدَنيَّة العصريَّة في نظره، بل يُقَدِّرُهَا ويَحْترم رجالها، ويعمل على اقتباس حَسَـــنَاتِهَا؛ فإنَّ الشَّـــبَاب الَّذي تَعَلَّم اللُّغَة الفرنسيَّة أساءَ فَهْم مَهَمَّته، ولم يؤدِّ رسالته للحياة المغَرْبِيَّة في أيَّةِ صورة من الصُّوَر، وهو فوق هذا وذاكَ كَسُـــولٌ قَنُوعٌ لا يَحُسّ بآلامٍ ولا يَشْـــعُرُ بآمال، ولا يطلب رِفْعَةً، ولا يفكِّر في مَجْدٍ لا لنفسه ولا لأُمَّته، فهو إذن شَبَابٌ غُفْلٌ لا يُرْجَى خيرُهُ ولا يُخْشَى شَرُّهُ، تلك مَرْتَبَتُهُ فليقدِّرها إنْ شاء"(1).

---

1. حِجِّي، عبدالرؤوف بن عبدالرحمن. **سعيد حِجِّي، فجر الصحافة الوطنيَّة المغربيَّة**، الناشر: كيبور ورلد لبنفن، لفال، 2003م، ص 126-125.

هذا في ثلاثينيَّات القرن الماضي فما بالُكَ اليوم، بشباب الأَلْفيَّة الجديدة "الَّذِي يَلْبَسُ سروالًا مُمَزَّقًا عند الرُّكْبَة، ويَتَحَدَّث وهو يشــير بأصابعه في الهواء، ويَهُزّ رأســه في جميع الاتِّجَاهات.. خَصْلَاتُ شَــعْرِهِ واقفة كالدِّيك الَّذِي أنهى لِلتَّوِّ مباراة قتاليَّة مع دِيكٍ آخر.. يعيش حياته عَرْضًا وطولًا، ويســتنزفها يومًا بيوم، المستقبل شيءٌ لا يهمّه، والمــاضي كلمةٌ تافهة في قاموس اللَّافَهْم لديه، أمَّا الحاضر فهو توقيتٌ لزمنٍ يؤمنُ بأنَّه فُرِضَ عليه، تَتَقَاذَفُهُ رياحُ الغَفْلَةِ وَالتِّيهِ أنَّى شــاءَ، لِيَجِدَ نفسه في الأخير عُرْضَةً للضَّياع والتَّشَرُّد الذِّهْنِيّ"، أمَّا الفتاة فمظهرها المُتَبَرِّج بَاتَ مثل "سلعةٍ عَفِنَةٍ معروضةٍ خَلْفَ زجاجِ مَحَلٍّ تِجَارِيٍّ.."(1).

هذه وغيرها، ليســت صورةً متشــائمةً، لكنَّها واقعٌ مُعَاشٌ وحياةٌ مُخْتَبَرَة، تَتَطَلَّب أوَّل ما تَتَطَلَّب المكاشــفة بالحقيقة، بعيدًا عن أدَبِيَّات التلميع والتَّمَنِّي، للبحث في كينونتها وأسبابها، كتشخيصٍ مَبْدَئِيٍّ لِمَرَضٍ عُضَالٍ يُوشِكُ أن يَفْتِكَ بأُمَّتِنا، إنْ لَمْ يتداركه العقلاء وَيَضْطَلِعَ بوصفته العلاجيَّة الخبراءُ الأُمَنَاءِ، وذلك على كَافَّة المستويات، إذ تعتبر مشكلات الشَّبَاب في العالَم العَرَبِيّ إحدى القضايا المُهِمَّة والأسَاسِيَّة؛ باعتبارهم يشكِّلُون الطَّاقَة البَشَرِيَّة والحَيَوِيَّة القادرة على القيــام بالعَمَلِيّات النهضويَّة والتَّنْمَوِيَّة بالانطلاق من التَّعْلِيم والتَّرْبِيَة والثَّقَافَة والإعلام والقِيَم الدِّينِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة، بل إنَّ مســألة الاهتمام بالشَّبَاب لم تَعُدْ ظاهرةً مَحَلِّيَّة وإقْلِيمِيّة، بل أضحت ظاهرة عَالَمِيَّة في ظلّ رياح العولمة. والحديث عن قضايا الشَّــبَاب ومشكلاتهم حديثٌ مُتَشَعِّبٌ وذو إشكالاتٍ مُرَكَّبَةٍ، وفي كُلّ الأحوال لا نســتطيع الحديث عنها بمَعْزِلٍ عن السِّــياقِ الاجْتِمَاعِيّ، والسِّــيَاسِيّ والاقْتِصَادِيّ القائِم، فالشَّبَابُ جزءٌ لا يَتَجَزَّأُ من التَّرْكِيبَة الاجْتِمَاعِيَّة لأيِّ مُجْتَمَعٍ من المُجْتَمَعَات البَشَرِيَّة، وبالتَّالِي فإنَّ الحديث عن قضايا الشَّبَاب ومشكلاتهم هو حديثٌ عن قضايا المُجْتَمَع برمّته، ولا ســيَّمَا أنَّ مشــكلاتهم هي بالنَّتِيجة جزءٌ من مشكلات المُجْتَمَع كُكُلّ، بنيويَّة كانت أَمْ سلُوكِيَّة.

1. كرمي، يوســف. شــباب غُفْل، هســبريس، 04 يناير 2008م، تاريخ الزيارة 24 أبريل 2020م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/b6mGt

وعلى هذا الأساس، فإنَّ التَّفْكِير بأيِّ حَلٍّ، أو مشروعٍ لحَلِّ مشكلات الشَّبَاب لن يُكْتَبَ له النَّجَاح إذا لم يَأْخُذْ بعين الاعتبار الظروفَ المُجْتَمَعِيَّة المحيطة بهذه الشَّرِيحَة، ولا سِيَّمَا أنَّ الشَّبَاب بحُكْمِ نِسْبَتِهِمُ العَدَدِيَّة الكبيرة، وحَيَوِيّتهم وقُدُرَاتهم خَيْرُ مَن يُؤَثِّر ويَتَأَثَّر سلبًا وإيجابًا بما يدور في المُجْتَمَع من أحداثٍ، فوضعيَّة الشَّبَاب في التركيبة الاجْتِمَاعِيَّة، وإمكاناتهم ومشكلاتهم تختلف من فترةٍ زمنيَّةٍ إلى أخرى، ومن ثقافةٍ إلى أخرى، ومن مُجْتَمَعٍ إلى آخر، وقد تختلف داخل المُجْتَمَع الواحد في فترةٍ زمنيَّةٍ مُحَدَّدَة.

لذا لا غَرْوَ في أن يُنظر إلى الشَّبَاب في كثير من دول العالَم، ومنها المنطقة العَرَبِيَّة، على أنَّهم مُؤَشِّرٌ بارز للتنمية، وعلى قُدْرَةِ الدَّوْلَة والمُجْتَمَع على توجيه المستقبَل نحو الأفضل، وتوظيف الحاضر نحو المُمْكِن، وتكفي نظرةٌ وَجِيزَةٌ إلى شباب الوطن العَرَبِيّ لتأكيد الأهَمِّيَّة الملقاة على كاهلهم، ودورهم الرِّيَادِيّ في قيادة مسيرة البناء والإنماء، باعتبارهم مشروعًا وطنيًّا وقوميًّا للوطن والأُمَّة، وبهم ومن خلالهم تتَحَدَّد ملامح الحاضر والمستقبل(1).

فيُمْكن وَصْف رعاية الشَّبَاب بالعَمَلِيَّة الاستثماريَّة الطويلة الأجل، فبقَدْر ما يَتِمّ مَنْح الشَّبَاب الوقت والاهتمام والرِّعَايَة والإرشاد بقَدْر ما يعود هذا العطاءُ سَخِيًّا على شَكْلِ خِبْراتٍ بَشَرِيَّة ومشاركاتٍ مُجْتَمَعِيَّة في الإنتاج والتَّنْمِيَة، وفي نفس الوقت إنَّ إهمال الشَّبَاب وتَرْكَهُ عُرْضَةً لفريسة الانحراف والغَرَق في اللَّامُبَالَاةِ سيكون بمثابةِ قنبلةٍ موقوتةٍ مَغْرُوسَةٍ داخل المُجْتَمَع، ستَطَالُ بتأثيرها التَّدْمِيرِيّ الجميع.

وهذا ما يسعى إلى تناوله بالدَّرْسِ والتحليل، الفصلُ الَّذي بين أيدينا، من خلال توصيف أبرز الآلام والإشْكاليَّات والهموم الَّتي يعاني منها شباب الأُمَّة العَرَبِيَّة، والَّتي تلقي بظلالها السَّلبيَّة على واقع الأُمَّة ككُلّ، بالنَّظَر إلى كَوْنِ الشَّبَاب العَرَبِيّ هو قاطرةُ

1. السرحان، محمود قظام. **"الشَّبَاب في البادية الأردنيَّة"**. مركز الثريا للدراسات، تاريخ الزيارة 2 فبراير 2017م، مُتَاح على الرَّابِط: http://www.thoriacenter.org/projects.asp?id=10

النَّهْضَة لأيٍّ جهودٍ تَنْمَوِيَّة من شـــأنها إيقاظ هذه الأُمَّة من سُبَاتها الَّذِي طال، قَصْدَ اللَّحَاقِ برَكْب الحضارة الإِنْسَـــانِيَّة الْمُنْطَلِق بسرعاتٍ غيرِ مســـبوقة، بفِعْلِ الثَّوْرَات العِلْمِيَّة والتِّكْنُولُوجِيّة المتلاحِقَة.

المَبْحَث الأَوَّل

تأمين سُبُل المعيشة

إنْ أردتَ أن تَخْلُـــقَ مُجْتَمَعًا متوازنًا، وأَنْ تَخْلُقَ مواطنًا قادرًا على العطاء والإبداع والعَمَل وتحقيق أهداف المُجْتَمَع يجب أن توفِّر لهذا المواطن كافَّة السُّبُل الَّتِي تجعله يشـــعر بالاستقرار، فتأمينُ سُبُلِ المعيشة يجعل الفَرْدَ يشعرُ بالانتماء، وهذا الانتماء يُحفِّزه على القيام بكلِّ ما هو إيجابيّ من أجل رِفْعَة ونَهْضَة مُجْتَمَعه.

كما لا يمكننا أن نُطَالِب مُواطِنًا فقيرًا مُعْدَمًا لا يمتلك مَسْكَنًا ولا يمتلك أُسْرةً أو مُؤَهِّلًا عِلْمِيًّا أن يقدِّم للمُجْتَمَع أيّ شيء؛ لأنَّه في الأســـاس لا يمتلك ما يمكنُ تقديمه، إذ من حقِّ كُلِّ مواطن أن يشعر بآدميّته وإنسانيّته، وأَنْ يشعر أنَّه يمتلك حقوقَهُ الأَسَاسِيَّة من مَسْكَنٍ ومأكلٍ وَمَشْرَبٍ وَمَلْبَسٍ وتعليم.

وإذا كانت الأُمَم لا تُبْنَى إلَّا بالإنسان؛ فإنَّه من الأَهَمِّيَّة بمكان أنْ نَعِي أهَمِّيَّة الاستثمار في الإنسان وأهَمِّيَّة توفير حياةٍ كريمةٍ تليق بآدميَّته، وأوَّل ما سنناقشه في هذا الفصل هو "المَسْـــكَنُ" كأحد أهمّ الحقوق الَّتِي يجب أن يمتلكها الفَرْد وتســـاعده في الحياة بشـــكلٍ طبيعيّ، كذلك ســـنتناول حَقَّهُ في تكوين أسرة، وحَقَّهُ في الحصول على عمل، وأخيرًا حقَّهُ في أن يحصل على حِصَّتِهِ من التعليم الجامعي الَّذِي يَسْتَحِقَّهُ.

أَوَّلًا: المَسْكَنُ

الحقّ في السَّكَن اللَّائِق هو أحد أهمّ حقوق الإنسان الأَسَاسِيَّة الَّتِي لا يمكن الاستغناء عنها، ولا تَقِلّ أَهَمِّيَّةُ المَسْكَن الملائِم عن أَهَمِّيَّة المأكل والمَشْرَب كاحتياجٍ إنسانيّ أساسيّ، وفي هذا تنصّ كافَّة المواثيق والمعاهدات الدَّوْلِيَّة بدايةً من إعلان حقوق الإنسان عام (1948م) على أَهَمِّيَّة المَسْكَن كحقٍّ إنسانيّ يضمن العيشَ بكرامةٍ.

وحين نتحدَّث عن السَّكَن يجب أن يترافق مع كلمة "لائق"؛ فالسَّكَن ليس فقط سقفًا وجدرانًا، بل هو أكثرُ من هذا، إذ لا بُدَّ أن يوفِّر السَّكَن الخصوصيَّة والْمِسَاحَة الكافية، كما يجب أن يكون من السَّهْلِ الوصول إليه، ويتوفّر فيه الأمن وَالْجَوْدَةُ وَالْمَتَانَةُ، وكذلك الإنارة والتدفئة والتهوية المناسبة، وكافَّة المرافق الأَسَاسِيَّة لاستمرار الحياة من إمدادات الماء والكهرباء والمرافِقِ الصِّحِّيَّة.

فلكلِّ إنسانٍ الحَقّ في السَّكَن اللاَّئِق الَّذِي يضمنُ له الكرامة ويتلاءم مع حاجاته الإنسانيَّة، بِالطَّبْعِ لا يمكن أَنْ نتحدَّث عَنْ وافر السَّكَن اللاَّئِق دون أن نتناول قدرة الشَّخْص نفسه على تحمُّل تكاليف السَّكَن؛ إذ يجب أن يمتلك الفَرْد القدرة المَادِّيَّة على الدَّفْعِ مقابل السَّكَن، وبما لا يُؤَثِّر على قدرته في الحصول على باقي احتياجاته الأَسَاسِيَّة في الحياة، وهو ما يأخذنا لضرورة توفير مساكن ملائِمَة لمُخْتَلَف الطبقات الاجْتِمَاعِيَّة والمتوافِقَة مع قُدُرَاتها المَادِّيَّة، وتوفير أنواع من المساكن تتلاءم مع مُخْتَلَف أصحاب القُدُرَات المادية.

والسَّكَن لدى الكثير من النَّاسِ ليس فقط مساحة تَشْغَلُهَا بعض الإنشاءات أو الأبنية، ولكنَّه أيضًا مكان يتَّخِذُ الطَّابع الأُسَرِيّ، وله العديد من الخصائص الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة؛ حيث إنَّ تَوَافُرَ السَّكَن يعني وجود بَذْرَة أَسَاسِيَّة للادِّخَار، خَاصَّةً للعائلات من أصحاب الدُّخُولِ المُتَوَسِّطَة والمُتَدَنِّيَة، فسواءٌ كان السَّكَن فرديًّا أو جماعيًّا يُعتبر هذا السَّكَن بمثابة حجز لِمَبَالِغَ جَيِّدَة تَمَّ الاستثمار فيها في امتلاك السَّكَن.

وَبِالطَّبْعِ تتحدَّد أهَمِّيَّة السَّكَن من طبيعة الموقع والإمكانات المتاحة لهذا الموقع خَاصَّةً ما يتعلَّق بشبكات المواصلات وَتَوَافُرُ الخدمات كالمدارس وَالْمُنْشَآتِ الخَدَمِيَّة، والسَّكَن من الأدوات الَّتِي يَعتبرها الاقْتِصَادِيّون أداةَ تنميةٍ اقْتِصَادِيَّة وهو مُكَمِّلٌ لكافَّة القطاعات الاقْتِصَادِيَّة الأخرى الموجودة في المُجْتَمَع.

وفيما يَخُصّ الشَّبَاب العَرَبِيّ، تُعَدّ مشكلة السَّكَن من المشاكل القديمة الجديدة، والَّتِي لَمَّا يُقْدَر على حلّها، ويزداد تأثير هذه المشكلة في ظِلّ تكاليف السَّكَن المُرْتَفِعَة مقارنةً مع

مستوى الدُّخُول السَّائد، وكما يظهر تأثيرها السَّلْبِيّ في اضطرار العديد من الشَّبَاب إلى الإقامة في مناطق السَّكَن العَشْوَائِيّ، المحيطة بالمُدُن الكبرى، ومنها ما تسمَّى بمناطق العَشْوَائِيّات، أو مساكن الصَّفيح، أو سَكَنِ المُخَالَفَات؛ إذ تختلف هذه التَّسْمِيَات بين مدينةٍ وأخرى. وبين بيئةٍ وأخرى، إلَّا أنَّها جميعها تشير إلى ذات المدلول؛ وتختلف نِسْبَة سَكَن الشَّبَاب في مناطق السَّكَن العَشْوَائِيّ هذه من مدينةٍ لأخرى ومن دولةٍ لأخرى، وذلك تَبعًا لعِدَّة أسبابٍ؛ منها تفاوت مستوى الدُّخُول، وتكاليف الحصول على سَكَنٍ جديدٍ، ومُعَدَّلَات الهجرة من الرِّيفِ إلى المدينة، وغيرها من الأسباب، ففي مِصْرَ -مثلًا- تبلغ نسبة الشَّبَاب القاطنين في مناطق السَّكَن العَشْوَائِيّ حوالي (30 %) من مجموع السُّكَّان العَامّ، أمَّا في سوريا فتبلغ نِسْبَتُهُمْ قُرَابَةَ (40 %)، وفي لبنان والأردن (30 %)(1)، وهذه النِّسَب المُرْتَفِعَة نِسْبِيًّا تُوضِّح مدَى فداحة مشكلة السَّكَن أمام الشَّبَاب العَرَبِيّ.

وتوضِّح الدِّرَاسَات أنَّ ما نسبته (73 %) من مجمل السَّكَن العَشْوَائِيّ ليس بحالةٍ جَيِّدَة وأنه مُعَرَّض للانهيار، وأنَّ نسبة (45 %) منها مُؤَلَّفَة من غرفةٍ واحدةٍ، يَقْطُن بها جميع أفراد الأُسْرَة، وأنَّ (74 %) منها لا يشتمل على مَطْبَخٍ مُسْتَقِلّ، و(60 %) منها لا تحوي حَمَّامًا(2)، نَاهِيكَ عن عَدَم تَوَافُر شبكات الصَّرْف الصِّحِّيّ وعَدَم تَوَافُر الكهرباء والماء؛ إنَّ التَّوصِيف السَّابق لحالة السَّكَن يَقْطَع الشَّكّ باليَقِين بأنَّ مشكلة السَّكَن لدى الشَّبَاب العَرَبِيّ من المشاكل المُلِحَّة والخَطِيرَة، خَاصَّةً وأنَّ الظروف الَّتِي يقطن بها هؤلاء الشَّبَاب في غَالِبِيَّتِهَا غيرُ إنسانيَّة، ولا تتناسب مع أبسط مُقَوِّمَات الْعَيْشِ الكريم والصِّحِّيّ، ولا تَتَوَقَّف مشكلة السَّكَن عند قَضِيَّة السَّكَن العَشْوَائِيّ، بل تتعدَّاها إلى ارتباطها بظاهرة التَّشَرُّد، والَّتِي قد تكون قُنْبُلَةً مَوْقُوتَة، تقود الجميع، وليس فقط شريحةَ الشَّبَاب، إلى ما لا يُحْمَد عُقْبَاه.

1. الربداوي، قاسم. "**مشكلة السَّكَن العَشْوَائِيّ في المُدُن العَرَبِيَّة الكبرى**". مَجَلَّة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد 12، ص 461، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/PFylJ
2. الربداوي، قاسم. "**مشكلة السَّكَن العَشْوَائِيّ في المُدُن العَرَبِيَّة الكبرى**"، مرجع سابق، ص 466-465.

ثانيًا: الزَّوَاج وبناء الأُسْرَة

إنَّ من أبرز ما يُوَاجِه الشَّــبَاب العَرَبيّ من مَخَاطِر وتَحَدِّيَات تلك المشاكل الَّتِي تَتَعَلَّق بأبســط حقوقه الإِنْسَانِيَّة، وهي الزَّوَاج؛ حيث يعاني أغلب الشَّبَاب العَرَبيّ من تَأَخُّر سِنّ الزَّوَاج، وهو ما يجعله يُعَدُّ أكبر هموم ذلك الشَّبَاب الَّتِي تَعُوقُه عن أداء دَوْره في النَّهْضَة والتَّنْمِيَة.

ثمَّة جوانِبُ مُتَعَدِّدَة للمعاناة في الحياة الاجْتِمَاعِيَّة للشَّبَاب، تَمْتَدّ في الجذور العميقة للشَّــخص والمُجْتَمَع، فالشَّبَاب باتوا غيْرَ قادرين على الزَّوَاج في ظِلّ الظروف المَادِّيَّة الصَّعْبَة الَّتِي تعيشــها غَالِبِيَّة المُجْتَمَعَات العَرَبِيَّة، لا سِــيَّمَا مع تعقيد مراحل الزَّوَاج، وارتفاع التكاليف المطلوبة منهم، وإذا رَغِبَ أيّ شَــابٍّ تحقيقَ ذلك الحُلْم فإنَّه يَقِفُ عاجزًا أمام اســتئجار أو شراءِ منزلٍ مُنَاسِــبٍ، والَّذِي أصبح ثَمَنُه يفوق أيّ تَصَوُّر أو أيّ خيالٍ، بل إنَّ ثَمَنَ منزلٍ في العالَم العَرَبِيّ باتَ يتجاوز مثيله في الدُّوَل الصِّنَاعِيَّة المُتَقَدِّمَة.

كــما أنَّ تَطَوُّر الحياة وكثرة الأفــراد في الأُسْرَة الواحدة وصعوبة التَّفَاهُم تجعل من الصعوبة بمكان أَنْ يَتَزَوَّج الشَّــابّ أو الفتاة في بيــت العائلة مِمَّا ينعكس على وَضْع الشَّــبَاب الاجْتِمَاعِيّ ســلبًا، ويجعله مُحْبَطًا ضَائِعًا لا يعرفُ ماذا يفعل، ولا أيّ طريقٍ يَسْلُكُ، ومن ثَمَّ فإنَّ تفاقم الأزمة الاجْتِمَاعِيَّة للشَّبَاب نتيجة تَأَخُّر الزَّوَاج من شأنه أن يُؤَدِّي إلى الإحباط الَّذِي قد يَتَمَلَّك الشَّــابّ، وبالتَّالي نتائج وتَحَدِّيَات أخرى قد تنشأ جَرَّاء ذلك؛ إنَّ جانبًا لا بَأس به من مشاكِلِ الشَّبَاب يؤكِّد على أنَّ الأُسْرَة قد تكون مَصْدَرَ الضَّغْط على الشَّبَاب وقد تكون عاملاً من عوامل دَعْمه وتقويته، لذلك فإنَّ الاهتمام بالأُسْرَة بشَكْلٍ عَامّ يُعَدّ اهتمامًا مُبَاشِرًا بالشَّبَاب، وخَاصَّةً أنَّ شَخْصِيَّة الشَّبَاب أَوَّل ما تبدأ بالتَّشَكُّل والتَّبَلْوُر في نِطَاق الأُسْرَة، لتنتقل -لاحقًا- المَهَمَّةُ إلى المُجْتَمَع.

وكَنَتِيجَةٍ حتميَّةٍ لما سَبَقَ بَيَانُهُ، يعاني الشَّبَاب العَرَبِيّ من الكَبْت العَاطِفِيّ، وخَاصَّةً في الإطارِ الأُسَرِيّ، والَّذِي يقود بدوره إلى مُشْــكِلَاتٍ أكثرَ تعقيدًا، وأصعبَ حلًّا، بدءًا من

الحِرْمَان العَاطِفِيّ وليس انتهاءً بالمشاكل الجِنْسِيَّة؛ وهذه المشاكل المُتَعَدِّدَة أضحت من القواسم المُشْتَرَكَة بين الشَّبَاب العَرَبِيّ، وَغَدَتْ سِمَةً رئيسة من سِمَاتِ حياتهم، **ويمكن إجمال هذا المشاكل العَاطِفِيَّة بالنِّقَاط التَّالية:**

- **غير المُهَيَّئ لتَحَمُّلها**، وخَاصَّةً وأنَّها تَتَطَلَّبُ منهم مُوَاجَهَةً ذِهْنِيَّة وأَخْلَاقِيَّة وتربويَّة عاليـــة، قد لا يكون جَاهِزًا لتَحَمُّلها خَاصَّةً في ظِلِّ بيئـــةٍ تَفْتَقِرُ للدَّعْم العَاطِفِيّ وللتَّحْفِيز الإيجابيّ.
- **انفصال دَوْر المدرســـة عن دَوْر الأُسْرَة:** فالحالة المثاليَّة تَتَمَثَّل في تكامل الأدوار بين خلايا المُجْتَمَع الواحد، وهو ما يُهَيِّئ لبناء الشَّبَاب بِنَاءً نَفْسِيًّا واجْتِمَاعِيًّا سَلِيمًا، ولكـــن في المُجْتَمَع العَرَبِيّ، لا يوجد هذا التكامل بصُورته المِثَالِيَّة، مِمَّا يترك أثرًا سلبيًّا على الشَّبَاب.
- **الاتِّكَال التَّامّ على الأُسْرَة:** ففي ظِلّ الضُّغُوط الكبيرة الَّتِي يَتَعَرَّض لها الشَّـــبَاب العَرَبِيّ، يلجأ هذا الشَّـــبَاب إلى الإفراط في الاتِّكال على الأَبَوَيْنِ، مِمَّا يقود في نهاية المطاف إلى بناءِ جِيلٍ اتِّكَالِيّ غيرِ قادرٍ على تحمُّل مَسْؤُوليَّاته.
- **التَّحَيُّز للذُّكور:** فغَلَبَةُ صِفَةِ الذُّكُـــورة على المُجْتَمَع العَرَبِيّ، وتَحَيُّز هذا المُجْتَمَع للذُّكُور من الشَّبَاب، يقود إلى خَلَلٍ عَاطِفِيّ في الأُسْرَة والمُجْتَمَع.
- **غَلَبَة الحِسّ العَاطِفِيّ على العقلانيَّة:** فالضُّغُوط المُسْتَمِرَّة تقود الشَّبَاب العَرَبِيّ إلى اللُّجُوء إلى الحُكْمُ العَاطِفِيّ، وَتُبْعِدُهُ عن المقاربات العقلانيَّة والمنطقيَّة، الأمر الَّذِي يُؤَثِّر سلبًا على قراراته.
- **الأنانيَّة:** وهي من نِتَاجِ الخَلَلِ العَاطِفِيّ الأُسَرِيّ والمُجْتَمَعِيّ، ولا يَخْفَى ما للأنانيَّة من دَوْرٍ سَـــلْبِيّ على صعيد الفَرْد والأُسْرَة والمُجْتَمَع، وخَاصَّةً أنَّ الشَّـــبَاب الَّذِي يعتاد الأنانيَّة في التَّصَرُّف وَالْفِعْلِ، قد يصبحُ من الصعوبة بمكانٍ تَخَلِّيهِ عن هذه الصِّفَة السَّلْبِيَّة.

وفي هذا السِّياق، تَتَعَدَّد المشكلات الَّتِي يُحْتَمَلُ حدوثها لدى الشَّبَاب سواءٌ قبل الزَّوَاج أو بَعْدَهُ، فَقَبْلَ الزَّوَاج، تأتي مشكلة اختيار الزَّوْج/الزَّوْجة والَّتِي قد تحدث عن طريق

الصُّدْفَةِ، وقد تحدث نتيجة للحبِّ أو لِتَعَارُفٍ مُسْبَقٍ، وقد تحدث كاستجابَةٍ لأَوَّلِ قادم نتيجةَ تَأَخُّرِ الزَّوَاج، وكثيرًا مِمَّن فَشَلَ في زواجه يعزو أَهَمّ أسبابِ فَشَلِهِ بعد إرادة الله إلى عَمَلِيَّة الاختيار في الأســـاس، والَّتِي لم تكن تَلْقَى أَهَمِّيَّة أو أولويَّة بمســـألة الدِّين والخُلُق، بل إِنَّ كَثِيرًا من الخاطبين يشـــترطُ الجمالَ أو النَّسَـــب أو المال أو الوظيفة، كما يحصل في الوقت الحَاليِّ، وربما على حســـاب الدِّين والخُلُق، وما إِنْ يَتَحَقَّق له المطلوب حتَّى يدرك خَطَأَهُ الفادِح، وربما دَخَل في دوَّامَة من المشـــكلات النَّفْسيَّة أو الاجْتِمَاعِيَّة المختلفة.

ويعاني الذُّكُورُ والإناث من مشكلة تَأَخُّرِ سِنِّ الزَّوَاج، وهذه المشكلة تُفْضِي إلى مشاكِلَ اجْتِمَاعِيَّةٍ أُخَرَ، تختلف طَبِيعَتُها بين الجنسين، فَتَأَخُّرُ سِنَّ الزَّوَاج لدى الذُّكُورِ أو حتى عُزُوفُهُمْ عن الزَّوَاج بالْمُطَلَّق، سيقودُ حُكْمًا لانتشار ظاهرة الْعُنُوسَةِ بين الْفَتَيَاتِ، وهذا ما قد يَخْلُقُ لدى الفتاة مشاعر الْغِيرَةِ مِمَّنْ تَزَوَّجْنَ، إضافةً إلى شعورها الدَّائِمِ بِعَدَمِ الاســـتقرار الاجْتِمَاعِيّ، وهذه الضُّغُوطُ الاجْتِمَاعِيَّةُ سَتَتَحَوَّلُ بالضَّرورة إلى ضغوطٍ نَفْســـيَّةٍ تُرْهِقُ الشَّـــباب، وتودي بهم إلى انخفاضِ الإِنْتَاجِيَّةِ وَعُزُوفِهِمْ عن المشارَكَة الاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّة ضِمْنَ بيئتهم.

ثالثًا: المشاكل الزَّوْجِيَّة والطَّلاق

يُعْتَبَرَ تَأْسِـــيس الأُسْرَة هو المرحلة الأُولَى في طريق الاستقرار الاجْتِمَاعِيّ والعَاطِفِيّ والنَّفْسيّ، ولا يَخْفَى دَوْر الأُسْرَة المُتَمَاسِـــكَة والمُسْـــتَقِرَّة اجْتِمَاعِيًّا وعَاطِفِيًّا في تقديم الدَّعْم للشَّـــبَاب، إلَّا أنَّ بناءَ الأُسْرَة ليس المرحلة الأخيرة، بل هو الخُطْوَة الأُولَى، ففي حالِ لم يُكَلَّلِ الزَّوَاج بأُسْرَةٍ مُتَمَاسِكَة، سيتحوَّل إلى عاملِ ضَغْطٍ إضَافيّ على الشَّبَاب، ولعلَّـــه أَخْطَرُ أنواع الضُّغُوط وَأَكْثَرُهَا تأثيرًا، وللأســـف يُلَاحَظُ في المُجْتَمَع العَرَبِيّ، وخَاصَّةً بين الشَّـــبَاب، ارتفاعُ مُعَدَّلَات الخِلافات الزَّوْجِيَّة، والَّتِي ينتهي قِسْمٌ لا بَأْسَ منها بالطَّلاق وتفكُّك الأُسْرَة؛ وَبِلُغَةِ الأرقام يبدو واقعُ الطَّلَاق بين الشَّـــبَاب العَرَبِيّ خطيرًا لِلْغَاية، فوَصَل إلى مرحلةٍ أَضْحَى معها يُهَدِّد تَمَاسُـــك المُجْتَمَع بالكامل، فَمِصْرُ

على سـبيل المثال تتصدَّر أَعْدَادَ حالات الطَّلَاق على مسـتوى العالَم أَجْمَعَ(1)؛ ففي عـام (2018م) بَلَغَتْ حالات الطلاق في مِصْرَ وَفْقًا لبيانات الجهاز الْمَرْكَزي للتعبئة العامَّة والإحصاء ما يزيد عن (211) ألف حالة طَلَاقٍ(2)، وفي العراق وَوَفْقًا لبيانات مجلس القضاء الأعلى فَإِنَّ عدد حالات الطَّلَاق الْمُسَـجَّلَة في البلاد عام (2018م) تُقَارِبُ (75) ألـف حالة(3)، والواقع في باقي الدُّوَل العَرَبِيَّة لَيْسَ بأفضلَ مِمَّا ذكرنا، ومـن الملَاحَظ هنا أَنَّ غَالِبِيَّة حالات الطَّلَاق تَحْدُثُ في السَّـنة الأُولَى من الزَّواج، بمعنى أَنَّ غَالِبِيَّة حالات الطَّلَاق هي بين الشَّـبَاب المتزوِّجين حديثًا، فَوَفْقًا لبيانات الجهاز الْمَرْكَزِيّ لِلتَّعْبِئَة والإحصاء في مِصْرَ تبلغ نسبة الطَّلَاق بين الشَّباب إلى نسبة مجمـوع حالات الطَّلَاق في البلاد أكثر من (40 %)(4)، وفيما يَخُصُّ نسـبة الطَّلَاق بين الشَّـباب الْعَرَبيّ بشـكلٍ عامٍّ، لا توجد إِحْصَائِيَّة رَسْمِيَّة تُوَثِّق هذه الظَّاهِرَة على المسـتوى الْجَمْعِي الْعَرَبِيّ، لَكِنَّهَا تُقَدَّر وَفْقَ تقارير صَحَفِيَّة بأَنَّهَا تتجاوز (60 %) من عدد حالات الطَّلَاق الْمُجْمَلَة(5)، وهي نسـبةٌ مرتفعة جِدًّا، وتُعْتَبَر مُؤَشِّرًا خطيرًا على الصِّحَّة الاجْتِمَاعِيَّة للشَّـبَاب، ويمكن عَزْوُ هذه النِّسَب الْمُرْتَفِعَة إلى انخفاض التَّأهيل الاجْتِمَاعِيّ للشَّـبَاب، وإلى جملةِ الضُّغُوط الَّتي تُمَارَس عليهم، من ضُغُوطٍ اجْتِمَاعِيَّة واقْتِصَادِيَّة وثقافيَّة وغيرها.

1. عبدالرحيم، عزت. "**التعبئة والإحصاء: مِصْرُ تَتَصَدَّرُ أعلى نِسْبَةِ طلاق في العالَم**"، صحيفة البوابة، 20 يوليو 2018م، تاريخ الزيارة، 3 مايو 2020م، متاح على الرابط: https://cutt.us/PqtZh
2. "**عدد حالات الطَّلاق في مِصْرَ في عام 2018م**"، الجهاز الْمَرْكَزِيّ للتعبئة العَامَّة والإحصاء، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/SXaeE
3. "**إحصائيـات الطَّـلاق في العراق لعام 2018م**"، مجلس القضاء الأعلى في جُمْهُورِيَّةِ العراق، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/Lv8SC
4. "**عدد حالات الطَّلاق في مِصْرَ في عام 2018م**،" الجهاز الْمَرْكَزِيّ للتعبئة العَامَّة والإحصاء، مرجع سابق.
5. منياوي، ابتهاج. "**مُؤَشِّرَات انهيار منظومة الأُسْرَة تظهر بالشُّـهُورِ الأُولَى**"، صحيفة المدينة، 15 فبراير 2020م، تاريخ الزيارة 24 أبريل 2020م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/iRLfS

ولا تقتصر مشاكل الشَّبَاب مع الزَّوَاج على الطَّلَاق فقط، فمشكلة العُنُوسَة بَاتَتْ ظاهرةً اجْتِمَاعِيَّة سـائدةً بين الشَّبَاب العَرَبِيّ، ففي العراق تبلغ نِسْبَة العُنُوسَة (85 %)، وهي نسـبة مُرْتَفِعَة جِدًّا وتُشَـكِّل تهديدًا بالغَ الخُطُورَة للشَّبَاب العِرَاقِيّ، وفي سوريا بلغت نسـبة العازبات (60 %) والعُزَّاب (50 %)، وَثُلُثُ سُـكَّان الجَزَائِر من الشَّبَاب عُزَّاب وعَازِبَات(1)؛ وتَتَعَدَّد الأسـباب المُؤَدِّيَة إلى عُزُوف الشَّبَاب عن الزَّوَاج، إلَّا أنَّ العَامِل الاقْتِصَادِيّ قد يكونُ أبرزَ هذه الأسباب، نَاهِيكَ عن دَوْر الاضطرابات الأمنيَّة والحروب الدَّاخِلِيَّة في إفراغ الوَطَن العَرَبِيّ من شبابه، وبالتَّالِي ازدياد نِسَب العُنُوسَة.

وفي هذا السِّيَاقِ يمكن أن نَعْزُوَ المشاكل الزَّوْجِيَّة إلى جُمْلَةٍ من الأسباب لَعَلَّ أهمّها:

- **الضُّغُوط الاقْتِصَادِيَّة: فالضُّغُوط المَالِيَّة على الأُسْرَة بِشَـكْلٍ عَامّ وعلى الزَّوْج بشـكلٍ خَاصّ**، وخَاصَّةً في ظِلّ تزايُد مُتَطَلَّبَات الحياة، ستقودُ حَتْمًا إلى التَّوَتُّر الَّذِي قد يتصاعـد لِيَصِلَ لمرحلةِ الخِلاف، والَّتِي قـد تَتَطَوَّر لِتَصِلَ إلى مرحلة الطَّلَاق وتفكُّك الأُسْرَة.
- **مشاكل العلاقة الجِنْسِيَّة بين الزَّوْجَيْن**: وتُعَدّ من المشاكل المُهِمَّة الَّتِي قد تُقَوِّض المُؤَسَّسَـة الزَّوْجِيَّة، وتظهر هذه المشـكلة في الفـترات اللَّاحِقَة من الزَّوَاج؛ إذ يميل الزَّوْجَان للتَّخْفِيف من العلاقة الجِنْسِـيَّة بينهما بدون قصدٍ، كنتيجةٍ للتَّعَب وضُغُوط الحياة والتَّوَتُّر المصاحِب للحياة العصريَّة، ويُعَدّ التخفيف من مسـتوى العلاقة الجِنْسِـيَّة بين الزَّوْجَيْن أحدَ مصادر التَّوَتُّر الأُسَرِيّ والَّذِي قد يَتَصَاعَد ويُؤَدِّي في فتراتٍ لاحقةٍ إلى الطَّلَاق.
- **قضايا الإنجاب**: تُشَـكِّل قضايا الإنجاب أحد المحـاور الَّتِي قد تُودِي بالعلاقة الزَّوْجِيَّة، فعدم القُدْرَة على الإنجاب سـواءٌ أكانَ بعجزٍ جِنْسِيّ أَمْ بعُقْمٍ قد يكون

1. بن دريدي، فوزي. "**الشَّـبَاب والعُنُوسَـة في الوطن العربيّ**". مَجَلَّة الشَّـبَاب والمشـكلات الاجْتِمَاعِيَّة، جـامعـة محمـد الشـريف مساعـدية، العدد الأول، السنة الأُولَى، 2013م، ص144، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/Y2XH5

أحد أسباب الخلاف بين الزَّوْجَيْنِ، كما أَنَّ عدم استعداد أحد الزَّوْجَيْنِ للإنجاب وَرَغْبَتَهُ في التَّأجيل قد يكون أحد أسباب الخلاف أيضًا.

- **اختلاف طُرُق تربية الأولاد:** وخَاصَّةً في حال كَوْن الزَّوْجَيْنِ من بيئاتٍ مُتَبَايِنَة؛ كالرِّيف والمدينة، ويزداد الأمر سوءًا في حال إصرار كلا الطَّرَفَيْن على صِحَّة طريقته في التَّرْبِيَة، وبالتَّالي قد يصبح هذا الأمر موضعَ خِلافٍ وتَوَتُّرٍ دَائم.
- **فُقْدَان الحَيَوِيَّة بين الزَّوْجَيْن:** وانتشار المَلَل بينهما، وفُقْدَان الحَيَوِيَّة وسيطرة المَلَل أحدُ المشاكل النَّفْسِيَّة الَّتِي قد تسيطر على الزَّوْجَيْنِ أو على أحدهما، وهذا الأمر من طبيعَةِ الحياة، شريطةَ أن يكونَ مُؤَقَّتًا، ولكن يمكن أن يتحوَّل لمشكلةٍ ولمصدرِ قلقٍ وتَوَتُّر في حالِ كان دائمًا.

وقد تَنْتُجُ هذه المشاكل نتيجة الحالة الاِنْتِقَالِيَّةِ الَّتِي يعيشها الزَّوْجان في بداية حياتِهِمَا الزَّوْجِيَّةِ، وخاصَّةً في حال عدم إِلْمَامِهِمَا كِلَيْهِمَا أو أحدهما بالواجبات الَّتِي يلقيها الزَّوَاج على كاهل الْمُتَزَوِّجَيْنِ، كما أَنَّ الْمُشَاحَنَاتِ الزَّوْجية نتيجةُ اختلاف الطِّبَاعِ وعدم تَحَلِّي الأزواج بِالْمُرُونَةِ الكافية لِتَجَاوُز هذه الاختلافات قد يُودِي بالزَّوَاج من بدايته، ولا بُدَّ من الإشارة إلى أَنْ تَدَخُّلَ الْأُسْرَةِ الْمُفْرِطَ في حياة حَدِيثِي الزَّوَاج قد يكون من أسباب انهيار هذه الْمُؤَسَّسَةِ، فَمُؤَسَّسَةُ الزَّوَاج يجب أن يكون لها من الاِسْتِقْلَالِيَّةِ ما يكفيها لضمان اسْتِمْرَارِيَّتِهَا، فالزَّوْجان بحاجةٍ لهامِشٍ جَيِّدٍ من الْحُرِّيَّةِ يسمحُ لهما بِالتَّعَرُّفِ عَلَى طِبَاعِ الطرف الآخر بعيدًا عن أَيّ ضغوطٍ أُسَرِيَّة.

ويمكن علاج تلك المشكلات من خلال بعض السُّلُوكِيَّات، منها:

- **تغليب الصِّدَاقَة:** فعلى الزَّوْجَيْنِ العَمَل على إيجاد رُوح الصَّدَاقَة بينهما، وخَاصَّةً أنَّ الزَّوَاج الْمُدَعَّمَ بالصَّدَاقَة يكون أَقْدَرَ على حَلّ العَقَبَات الَّتِي تعترضه، ويكون الزَّوْجان في حالةِ وئامٍ دائمة في ظِلّ وُجُود الصَّدَاقَة في علاقتهما.
- **الحصول على إجازات:** بحيث يَتَخَلَّوْنَ خلال هذه الإجازات عن بعض الوَاجبات الثَّانويَّة، ويتفرَّغُون لتجديد طاقتهما العَاطِفِيَّة، وتكون مُنْطَلَقًا للتَّجديد وإعادة الرُّوح للعلاقة الزَّوْجِيَّة.

- **الالتـــزام بالحقوق والوَاجبَات:** والعِلْم بهذه الحقوق والواجبات والإدراك التَّامّ لها هو الخُطْوَة الأُولَى في الالتزام بها، فعلى كُلّ طرفٍ في مُؤَسَّسَة الزَّوَاج إدراكُ حقوقِهِ وواجباتِهِ وحقوقِ وواجباتِ الشَّريك، وفي حالِ الالتزام بها يمكن القول بأنَّ قِسْمًا كبيرًا من العَقَبَات والمشاكل قد أُزيحت عن درب الزَّوَاج؛ وبهذا الالتزام يمكن أن يكونَ كُلّ طرفٍ هو مَنْبَعَ سعادةِ الشَّريك، والَّذِي يُعْرَفُ بالاحتواء النَّفْسيّ بين الزَّوْجَيْنِ.
- **تفعيل التَّشاركيَّة:** وهذا التفعيل يبدأ بقناعة الشَّرِيكَيْنِ بأنَّ التَّشَارُك في كُلّ شيءٍ هو ضمانة للزَّوَاج، وهذه التَّشَـــارُكِيَّة تبدأ من القضايا النَّفْسيَّة وضُغُوط الحياة وُصُولًا للأعباء الاقْتِصَاديَّة، وقضايا تربية الأولاد.
- **الاسْتِقْلَاليَّة:** بمعنى عَزْلِ مُؤَسَّسَة الزَّوَاج عن أيّ تَدَخُّلات خارجيَّة، خَاصَّةً تَدَخُّلات الأهل في فترة الزَّوَاج الأُولَى، وتَرْك الزَّوْجَيْنِ يحلّان مشاكلهما بِنَفْسَيْهِمَا، خَاصَّةً أنَّ الفترة الأُولَى من الزَّوَاج تكون فترة تَعَارُفٍ حَقِيقِيّ بعيدًا عن تَكَلُّف الخطوبة ورَسَمْيَّتِهَا.

رابعًا: الحصول على وظيفة

من حقّ كُلّ إنسان أن يمتلك عملًا، وواجبُ الدَّوْلَة أَنْ تُتِيح فُرَص عَمَلٍ للجميع بناءً على المهارات الَّتِي يمتلكَوْنَهَا والخبرات العِلْمِيَّة والعَمَليَّة، وخَاصَّةً لأولئك الَّذِينَ لا يمكنهم إيجادُ فُرَصِ عمل لأنفســـهم أو لا تُتَاح أمامهم فُرَصُ عمل تناسبهم، وعلى الرَّغْم من الأَهَمِّيَّـــة الكبيرة للعمل في حياةِ الفَرْد وفيما يتعلَّق بدوره في المُجْتَمَع؛ إلَّا أنَّنا نجد أَنَّ نِسَبًا قليلة من المعاهدات والصكوك الدَّوْليَّة هي الَّتِي ناقشت هذا الحَقّ، وأبرزها كان اتفاقيَّة مُنَظَّمَة العَمَل الدوليَّة رقم (122)، والَّتِي تناولت سياسة العَمَالَة، وَتَمَّ اعتمادها عام (1964م)(1).

1. مُنَظَّمَـــة العمـــل الدَّوْليَّة، "**الاتِّفَاقيَّة الْخَاصَّة بسياســـة العَمَالَة رقـــم 122**"، 9 يوليو 1964م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/viavc

ويتـــمّ النَّظرَ إلى العَمَل على أنَّه حقٌّ من الحقوق الَّتي يجب أَنْ يتمتَّع بها كُلُّ فردٍ مِثْلُ الحَقّ في الغذاء والتعليم والسَّكَن والمحاكمة العادِلَة وحُرِّيَّة التَّعْبير، وخَاصَّةً أنَّ العَمَل يتضمَّـــن العديد مـــن الجوانب الَّتي يجب أن يَتِمّ الالتفـــات لها، مثل ظروف العَمَل والإجهاد وساعات العَمَل، وما إلى ذلك.

وبحســـب المادة السَّادســـة من الْعَهْدِ الدوليّ الخاص بحقوق الإنســـان الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والثَّقَافِيَّة[1] يجب أن يُتَاح لكُلّ شـــخصٍ الحَقّ في كَسْـــبِ رزقِهِ من عملٍ يَخْتَارُهُ وَيَقْبَلُه بحُرِّيَّتِه، وَالْكَسْـــبُ هنا يُقصَدُ به الْكَسْـــب المَادِّيّ والمعنويّ والأخلاقيّ؛ وذلك لِأَنَّ تحقيق المكاسب المَادِّيَّة يوفِّر النُّقُودَ الَّتي تساعد في تحقيق الرَّفَاهِيَّة المَادِّيَّة، بالإضافـــة إلى أنَّ العَمَل يرتبط بالعلاقات الاجْتِمَاعِيَّة والمســـاهَمَات الَّتي يقوم بها الأفراد من أنشـــطة داخل المُجْتَمَع والأُسْرَة، وكذلك يشمل شعور الفَرْد بِقَبُولِ المُجْتَمَع وَرِضَاهُ عنه.

ولـــكي توفِّر كُلّ دولة لمواطنيها الفرصة في الحصول على حقّ العَمَل يجب أن تَعْتَرِفَ وتُقِرّ بمســـؤوليَّاتها الأَسَاسِـــيَّة في تحقيق أعلى قَدْرٍ من الاستقرار عن طريق توفير وظائف لكُلّ الأفراد بالمُجْتَمَع، كذلك توفير الحماية الفعَّالة لكُلّ عاملٍ بما يســـاعده في اختيار عَمَلِه بحُرِّيَّة، وكذلك إنشاء العديد من الخدمات المَجَّانِيَّة في مجال العَمَل والَّتي تُدَعِّم وتضمن استمراريَّة العَمَل، وأخيرًا تأمين وتشجيع وتعليم وتأهيل كُلّ عاملٍ في المجال المناسب له[2].

وقـــد يقول قائل: كيـــف لِلدَّوْلَة أَنْ تضمن حصول جميع أفرادها على وظائف، وقد لا يســـتطيع جهازها الحكوميّ اســـتيعاب جميع الأفراد والمُوَاطِنِينَ، هذا القول مشروعٌ

1. مُنَظَّمَـــة الأمم المُتَّحِـــدَة، "الْعَهْد الدَّوْلي الْخَـــاصّ بالحقوق الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّـــة والثَّقَافِيَّة"، 16 ديسمبر 1966م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/eSmUb
2. فليكـــس مورقا، دليـــل تَدْرِيبيّ لِدُعَاة الحقـــوق الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والثَّقَافِيَّة، جامعة منيســـوتا، ص190-191، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/41nsf

وصحيحٌ؛ إذ يســـتحيل توفير وظيفة حُكُومِيَّة لكُلّ مُواطِن، لذا تستطيع الدَّوْلَة تأمين ذلك من خلال جُمْلَة من الخُطُوَات، **منها:**

- **العَمَل على تحقيق أعلى مُعَدَّلَات التَّنْمِيَة في المُجْتَمَع**، وهذه التَّنْمِيَة تساعِد بِشَكْلٍ مُبَـــاشِرٍ وغيرِ مُبَاشِرٍ على تأمين فُرَص عَمَلٍ؛ من خلال تحفيز الاقتصاد وتحفيز الطَّلَب الكُلِّيّ وَالطَّلَب الفَعَّال.
- **تنظيم سُوق العَمَل**، وحِفْظ حقوق العامِلين في السُّوق، وبالتَّالِي ضَمَان استقرار السُّوق، الأمر الَّذِي يحمي العُمَّال من تذبذب العَمَل.
- **العَمَل على جَذْب استثمارات خارجِيَّة**، وهذه الاستثمارات تعمل على خَلْقِ فُرَصِ عَمَل جديدة، بالإضافة إلى اعتبارها مِنَصَّة يمكن للشَّـــبَاب الاســـتفادة منها في تحسين خِبْرَاتِهم العَمَلِيَّة.
- **فتح أســـواق جديدة لِعَمَالَتِها الفائِضة للخارج**، وذلك بتقديم تسهيلات للشَّبَاب للسَّفَر، وتوقيع اتِّفَاقَات مع الشركات والحُكُومَات الخارجِيَّة، بما يكفل لمُوَاطِنِيهَا حِفْظًا للكرامة والحقوق.
- **إطلاق المُبَادَرَات والمشاريع** الَّتِي تضمن توفير فُرَص عَمَل جديدة للمُوَاطِنِينَ.
- **الاســـتثمار في الكفاءات والموهوبين**، كَوْن هؤلاء المَوْهُوبِينَ قَادِرِينَ على خَلْق فُرَص عَمَل لهم ولغيرهم من خلال الابتكارات الَّتِي قد يُقَدِّمُونهَا.
- **دراسة واقع السُّوق الحَالِيّ** وَتَوْجِيهه لِلْمَسَارَات الَّتِي قد يَنْتُج عنها فُرَص عمل إضَافِيَّة.
- **زيادة الطَّاقَة والكفاءة الإنتاجيَّة للسُّوق**، فبزيادة طَاقَة الإنتاج سيكون السُّوق بحاجة إضافيَّة للعَمَالَة، الأمر الَّذِي سيُحقِّق الْمَنْفَعَة للسُّوق وللمُنَظَّمَات وللشَّبَاب.
- **الحَدّ من الهجرة إلى الْمُدُن الكبيرة والعَمَل على تنمية الأرياف والمُدُن الصَّغِيرَة والبعيدة**، وخَاصَّةً أَنَّ غَالِبِيَّة المُدُن الرَّئِيسَة في الوطن العَرَبِيّ قد أصبحت مُتْخَمَة بالعَمَالَة، ولم تَعُدْ قادرةً على توفير المزيد من فُرَص العَمَل، لذلك يُشَـــكِّل التَّوَجُّه لتنمية الرِّيف وَالْمُدُن البعيدة خِيَارًا استراتيجيًّا وفعّالًا.
- **تنمية القطاعات الإنتاجيَّة الضَّعِيفَة في المُجْتَمَع**، والَّتِي سَتَسْتَقْطِبُ عُمَّالًا جُدُدًا في حالِ تنميتها.

- **تشــجيع المشــاريع الصَّغِيرة والمُتَوَسِّــطَة وَدَعْمها**، وخاصَّةً أنَّ ريادة الأعمال والمشــاريع الصَّغِيرَة أَثْبَتَتْ فَاعِلِيَّةً على مستوى مُخْتَلَف دُوَل العَالَم في التَّخْفِيف من حِدَّة البَطَالَة.

وبالعودة للحديث عن حَقّ المُوَاطِنِينَ في الحصول على وظيفة، يجب أن نتذكَّر أنَّ الحَقّ في العَمَل مقترنٌ بمجموعة من الحقوق الأخرى، من أهمّها:

- **الحَقّ في ظُرُوف عمل تَصُون الكرامة:**

يجــب أن تحرص كُلّ دولة على أن توفِّر ظروفَ عملٍ تَكْفُلُ كرامة كُلّ عامل فيها، وأن تتصــدَّى لأيِّ محاولاتٍ للظُّلْم أو الحِرْمــان؛ فالعَمَل يجب أن يكون ضمن الظُّرُوف والأحوال الإنســانيَّة، ويجب أن يبتعد العَمَل كُلَّ البُعْدِ عن الاســترقاق وَالعُبُودِيَّة والسُّخْرَة.

- **الحَقّ في القيام بعمَلٍ يَخْتَارُه الشَّخْص بحُرِّيَّة:**

يجب أن يكون العَمَل بحُرِّيَّة الشَّــخْص لا بالسُّــخْرَة، كما يجب أن يكون طواعِيَةً وبحُرِّيَّةٍ تامَّة. إذ هناك العديد من الحالات الَّتِي يتمُّ فيها الإغفال عن هذا الحَقّ كالمعاقَبِين في السُّــجُون وَالَّذِينَ يُحكَم عليهم بالعَمَــل الجَبرْيّ، كما أَنَّ هناك العديد من الدُّوَل والوظائف الَّتِي تمنع الاستقالة أو توقع عقوبات جِنائيَّة شديدة على أولئــك الَّذِينَ يقومون بإضرابات عن العَمَل، وهنــاك دُوَلٌ أخرى تَفْرِض الخدمة العســكريَّة على المُوَاطِنِينَ ويعمل المجنَّدون فيها في العديد من الأنشطة الَّتِي لا علاقة بها بالأمور العسكريَّة.

- **الحَقّ في الأَجْرِ الكافي "الحَدّ الأدنى للأجور":**

يجب أن تضمن القوانــين في الدَّوْلَة أن يُعطَى كُلُّ موظَّف الأَجْرَ الَّذِي يوفِّر له ولأسرته العَيْشَ الكريم، غيرَ أنَّ المشكلة في هذا الحَقّ أنَّ الأساليب الَّتِي تُسْتَخْدَمُ لتحديد الحدّ الأدنى للأجور غالبًا ما تتمّ مِن قِبَل أصحاب العَمَل، وبدونِ التشاور مع العُمَّال أو مُمَثِّلِيهم، كَالنِّقَابَات.

- **الحَقّ في العَمَل عدد ساعات مُحَدَّدَة والحَق في يوم عطلة:**

وذلك بهدف ضمان العَمَل وبدون التَّسَبُّب بالإرهاق للعَامِل، فالعَمَل بساعات طويلة يوميًّا وبأعطالٍ قليلة ونادرة سيسهم في أَذِيَّةِ العامِل جَسَديًّا وَنَفْسِيًّا، وَحِرْمَان أُسْرَته من التواجد معه ساعاتٍ كافية، كَوْن العَمَل يستغرقُ معظمَ وقتِهِ.

هذا وتجدر الإشارة إلى أنَّ نِسَبَ البَطَالَة مُرْتَفِعَة في الوطن العَرَبيّ لا سِيَّمَا بين الشَّبَاب، وفي بعض الدُّوَل العَرَبيَّة وصلت إلى نِسَب مُرْتَفِعَة للغاية بدأت تُشَكِّل تهديدًا حقيقيًّا لِأَمْن واستقرار المُجْتَمَع والشَّبَاب اقْتِصَاديًّا واجْتِمَاعِيًّا، ففي مِصْرَ بلغت نِسْبَة البَطَالَة لعام (2013م) (13.2 %) وانخفضت إلى (7.0 %) عام (2019م)، وَتَبْلُغ البَطَالَة بين الإناث (21 %)(1)، وفي السُّعُودِيَّة بَلَغَتْ نسبة البَطَالَة (6 %) عام (2014م)، وانخفضت إلى (5.7 %) عام (2019م)(2)، وفي المغرب بلغت نِسْبَة البَطَالَة لعام (2019م) (13.1 %)(3)، ولا توجد إحْصَائِيَّات دقيقة لمُعَدَّل البَطَالَة في بعض الدُّوَل العَرَبيَّة، وخاصَّةً تلك الَّتِي تَشْهَد عدم استقرار سِيَاسِيّ وَأَمْنِيّ، وَتَمَّ تقدير نِسَب البَطَالَة في هذه الدُّوَل بالاعتماد على بيانات بعض المُنَظَّمَات الأُمَمِيَّة، ففي اليمن تُقَدَّر نِسْبَة البَطَالَة (60 %)، وهي نسبةٌ خَطِيرة للغاية، وفي فلسطين (27.4 %)(4)، فهذه النِّسَب المُرْتَفِعَة تَدُلُّ على مشكلةٍ جديدة تصاحِبُ الشَّبَاب العَرَبِيّ، والَّتِي تحتاج إلى حلولٍ جذريَّة، وإلَّا فإنَّها ستتفاقم وقد تُؤَدِّي إلى الهجرة ونزيف العقولِ والكفاءات، وكما قد تنتهي في بعض الحالات بالإدمان وامتهان الإجرام وانتشار الجريمة المُنَظَّمَة.

1. **مُعَدَّل البِّطَالَة السَّنَوِيّ 2019م**، الجهاز المَرْكَزِيّ للتعبة والإحصاء، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/qucsf
2. **مُعَدَّل البِّطَالَة (2019م)**، الهيئة العَامَّة للإحصاء، المملكة العَرَبيَّة السُّعُودِيَّة، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/hVbJF
3. **مُذَكِّرَة إِخْبَارِيَّة للمَنْدُوبِيَّة السَّامِيَة للتخطيط حول البِّطَالَة لعام (2019م)**، المَنْدُوبِيَّة السَّامِيَة للتخطيط، المملكة المَغْرِبِيَّة، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/cWXtL
4. مُنَظَّمَة العمل الدَّوْلِيَّة، **"البِّطَالَة والنَّقْص في العمل اللَّائق سَيَظَلَّان مرتفعان في عام 2018م"**، المكتب الإقْلِيمِيّ للدُّوَل العَرَبِيَّة، 22 يناير 2018م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/qsWDT

وعـــلى الرَّغْم من ضرورة أن تحافظ الــــدُّوَل والمُجْتَمَعَات على حقوقِ العاملين لكي يستقيم المُجْتَمَع إلَّا أنَّ أغلبَ الدُّوَل لا تَلْتَفِتُ لأغلَبِ هذه الحقوق، ولا تعطيها الاهتمام أو التَّرْكِيز الكافي لكي يتمّ تطبيقها بشكْلٍ صحيح، وغالبًا ما يَتْرك هذا لدى العاملين شُعُورًا عامًّا بالسَّخَط وَالْكَرَاهِيَة للعمل والإدارة، وهو ما يعني أنَّ العاملين لن يتمكَّنوا من تحقيقِ أيّ إنجازاتٍ حقيقيَّة في هذا الشَّأْن لأنَّهم في ظِلّ ظروف عملٍ ظالِمَةٍ ولن يمتلكوا أيّ تحفيزٍ لِلْإِنْجَاز والإبداع.

خامسًا: المَقْعَد الْجَامِعِيّ

التعليم هو أحد أهمّ حقوق الإنسان على الإطلاق في كافَّة المُجْتَمَعَات وعبْرَ كُلّ المراحل التاريخيَّة؛ وذلك لأنَّ التعليم هو وســـيلة تنمية الفَرْد والمُجْتَمَع، ولا يمكن لأيّ مُجْتَمَعٍ أن يحافِـــظَ على كرامةِ أفراده إلَّا بالتعليم، وَيَنُـــصّ العهد الدَّوْليّ الْخَاصّ بالحقوق الاقْتِصَاديَّة والاجْتِمَاعِيَّة والثَّقَافِيَّة على أنَّ التعليم حقٌّ لكُلّ فردٍ، وأنَّ التعليم هو العاملُ الأَسَاسِيّ في تنمية الشَّخْصِيّة الكاملة للأفراد، وهو ما جعلَ المادة (13) و(14) تتناول الحقوق التَّالِية(1):

- **التعليم الابْتِدَائيّ إلزاميّ**، ويجب أن يُتَاحَ للجميع.
- **التعليم الثَّانَوِيّ يجب أن يكونَ متاحًا للجميع**، ويتمّ تقديمه بمُخْتَلَف الوســـائل الَّتِي تساعد على إيصال المعلومة بالإضافة إلى تدريج عَمَلِيَّة مَجَّانِيَّة التعليم.
- **التعليم العالي يجب أن يُتاح للجميع**، وأن يكونَ هناكَ مساواةٌ في الحصول عليه وَفْقًا لمبدأ الكفاءة وأَنْ يُسْتَخْدَمَ فيه الوسائل المناسبة.
- **تشجيع التَّرْبِيَة الأَسَاسِيَّة**، وتوفيرُ ظروفٍ إِنْسَانِيَّة واجْتِمَاعِيَّة أفضلَ للعامِلِين في مجالاتِ التعليم والتَّعَامُل باحترامٍ مع كافةِ أطرافِ العَمَلِيَّة التَّعْلِيمِيَّة.

1. مُنَظَّمَــة الأمم المُتَّحِــدَة، "العَهْد الدُّوَليّ الخَــاصّ بالحقوق الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّــة والثَّقَافِيَّة"، 16 ديسمبر 1966م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/eSmUb

التعليم الْجَامِعِيّ

إنَّ التعليـــم العالي مـــن الحقوق الَّتِي يجب أن يَحْـــرِصَ كُلّ مُجْتَمَع على أن يوفّرها لأفـــراده؛ فالتعليم العالي هو العَمَلِيَّة الَّتِي تُصنَع بها الأجيال المســـتقبليَّة، وهو أهَمّ اســـتثمارٍ قد تقوم بـــه الدَّوْلَة وَأَكْثَرُهَا فائدةً لها؛ وذلك لأنَّ الاســـتثمار في التعليم الْجَامِعِـــيّ والمُتَعَلِّمِـــيْنَ فيه يعني أنْ يتمّ تغذية المُجْتَمَع بقياداتٍ مســـتقبليَّة في كافَّة المجـــالات. وقد يختلـــف دَوْر الجامعات من مُجْتَمَع إلى آخـــر، فالجامعة في الدُّوَل المتقدِّمـــة تَهْتَمّ بالمجالات الصِّنَاعِيَّة، والجامعات الموجودة في البيئات الزِّرَاعيَّة تهتمّ بالمجالات الزِّرَاعِيَّة وَتُولِي اهتمَامًا خاصًّا بتحسين المجالات الزِّرَاعِيَّة وتحسين البيئة وزيادة قدرة المُجْتَمَع التنافسيَّة.

ولا ينحصر دَوْر الجامعات في رَفْدِ سُـــوق العَمَل بالمُخْتَصِّينَ والخبراء، بل لها أَدْوَارٌ أخرى ليسَ أَوَّلها تحسين القُدْرَة المَعْرِفيَّة للشَّبَاب، ورَفْدَهُمْ بمنهجيَّات البحث وأساليب التَّفْكِير العِلْميّ، فالتعليم هو وســـيلةٌ أسَاســـيَّة لكُلّ فردٍ لـــكي يَحْصُل على الخبرات والمهـــارات العِلْمِيَّة النَّظَرِيَّة والتطبيقيَّة الَّتِي تُؤهِّله لتولِّي المســـؤوليَّات في العَمَل في القطاعـــات المختلفة للمُجْتَمَع، وكذلك يوفِّر التعليـــم الْجَامِعِيّ للطَّالِب الفُرَص الَّتِي تساعده على التَّدَرُّب والبحث والتنقيب وَجَمْعِ المعلومات من أجلِ الوصول إلى معارفَ جديدة تُضاف إلى رصيده العِلْمِيّ.

وَبِالطَّبْـــعِ لا يحصل الطُّلَّابُ الجامعيُّـــون على التعليم العَمَليّ فقط، بل يَحْصُلُونَ على الفَهْم والمهارات النَّظَرِيَّة الَّتِي تســـاعدهم على تحســـين حالةِ المُجْتَمَع وتحقيق أعلى حالات الرُّقِيّ والرَّفَاهِيَّة وتيســـير حياة الأفراد، وكذلك تنمية المُجْتَمَع بناءً على العِلْم والمعرفة من خلال تطوير البحث العِلْمِيّ وتوجيهه من أجْلِ خدمة المُجْتَمَع وَالنُّهُوض به والارتقاء بالمجالات التكنولوجيَّة، الاقْتِصَادِيَّة، الصِّحِّيَّة، الثَّقَافِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة، وكذلك معالَجَةُ مشكلات المُجْتَمَع وتنمية قطاعاته المختلفة.

والجامعة كذلك مسؤولةٌ عن قيادة الحركة الفِكْرِيَّة والثَّقَافِيَّة في المُجْتَمَع وأيضًا نَشْر الأفكار المســـتنيرة وتصحيح المفاهيم الخاطئة في المُجْتَمَع، وكذا تقويم وتعديل مسار

الحركات الثَّقَافِيَّة والفِكْرِيَّة الهدَّامـــة والوقوف ضدَّ الاختلالات والاهتزازات الَّتِي يمكـــن أن يتعرَّض لها المُجْتَمَع، وَالَّتِي قد تُؤدِّي إلى حدوث انحرافاتٍ فِكْرِيَّة أو لَبْس وتضليلٍ في أفكار النَّاسِ في المُجْتَمَع.

أمَّا بالنِّسْـــبَة للطَّالِب فيساعد التعليم الجامعي على التكوين العِلْمِيّ العالي من خلال ما يتلقَّاه من مناهجَ ودروسٍ في الجامعة وهو ما يُؤدِّي إلى تعميق معارفه ومعلوماته وثقافته بالعلوم الَّتِي يدرسها.

كذلك يُسْـــهِم التعليم الجامعيّ في تَأْهِيلِ الطَّالِب نفسيًّا واجْتِمَاعِيًّا من أجل التَّوَاصُل مع الحياة ومع الآخرينَ بِشـــكلٍ أفضل، وكذلك تَحَمُّل المسؤوليَّات، خَاصَّةً أنَّ الطَّالِب الجَامِعِيّ يلتحق بهذه المرحلة في سِنِّ الثَّامِنَةَ عشرة أو التَّاسِعةَ عشرة وهو سِنّ يحتاجُ إلى تأهيلٍ نفسيّ واجْتِمَاعِيّ يســـاعده فيما بعد على أن ينخرط في المُجْتَمَع بشـــكلٍ أفضل، ويتواصل مع مُخْتَلَف فئاته، وبالتَّالِي تُعَدُّ الجامعة أفضلَ مكانٍ للحصول على هذا التَّأْهيل.

فالتَّأْهيل النَّفْسيّ يشمل النُّضْج والقُدُرَات النَّفْسيَّة والعقليَّة، وكذلك فَهْم حقائق الحياة، والقدرة على مقاومة الصَّدَمَات ومواجهة كافَّة التَّحَدِّيَات، والقدرة على الوقوفِ بقُوَّةٍ وعدم الانهزام أمام أيّ ظَرْف من الظُّرُوف؛ لأنَّ الطَّالِب سَوَاءٌ أثناء المرحلة الجامعيَّة أو ما بعدها سَـــيُوَاجِهُ مُخْتَلَف أنواع المواقف والتَّحَدِّيَات والَّتِي تحتاج مهاراتٍ عِلْمِيَّة وإداريَّة وإنْسَانِيَّة.

كذلك تلعب البيئة الجَامِعِيَّة في تعزيز التجربة الإِنْسَـــانِيَّة للطَّلَبَة، فالحياة الجَامِعِيَّة تُوَفِّـــر للطَّالِب تجارب اجْتِمَاعِيَّة غَنِيَّة قد لا تُوَفِّرهَـــا له بيئته المَحَلِّيَّة الضَّيِّقَة، وذلك من خلال التَّوَاصُل الاجْتِمَاعِيّ مع الزُّمَلَاء ومع الكادر التَّدْرِيسِيّ، وتُشَـــكِّل الجامعات مُلْتَقًى للطُّلَاب الوافدين من بيئاتٍ اجْتِمَاعِيَّة مُتَغَايِرَة، مِمَّا يســـمح بتعزيز التَّجَانُس الاجْتِمَاعِـــيّ في المجتمعِ كَكُلٍّ، فالجامعات بهذا المفهوم تُشَـــكِّل مركـــزًا عِلْمِيًّا بَحْثِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا.

وفيما يَخُصّ تعليم الشَّـــبَاب في الوطن العَرَبيّ، لا سِـــيَّمَا التعليم العالي، فنجدُ تَبَايُنًا في مســـتوى التَّعليم بين الدُّوَل العَرَبِيَّة، إلَّا أنَّه وبالعموم يمكن وَصْف التَّعليم العالي في البلاد العَرَبِيَّة بِالضَّعِيفِ نِسْـــبِيًّا، ففي التَّصنيف الأكاديميّ للجامعات في العالَم، لم يظهر في قائمة الْخَمْسِـــمِائَةِ جامعة إلَّا ثلاثُ جامعات(1)؛ كلُّهَا من المملكة العَرَبيَّة السُّـــعُودِيَّة فقط، هذا فيما يخصّ نوعيَّة التَّعليم، أمَّا فيما يتعلّق بتوفُّر التعليم، فعدد الجامعـــات في الوطن العَرَبيّ حقَّق قَفَزَاتٍ كبـــيرة خلال العقود الأخيرة، فبَلَغَ عدد الجامعـــات في الوطن العَرَبيّ عام (2017م) ما يزيدُ عن (500) جامعة مقابل (10) جامعـــات في منتصف القرن الماضي(2)، إلَّا أنَّ هذا الازدياد الأُفُقِيّ الواضح في عَدَد الجامعات لم يَحُلّ مشكلة الشَّبَاب العَرَبيّ في التَّعليم العالي حَلًّا تامًّا فنوعيَّة التَّعليم لا تزال مُنْخَفِضَة وبما يُهدّد الشَّـــبَاب العَرَبيّ بالحصول على معلوماتٍ ضَحْلَة، وعلى شهادات قد لا تُخَوِّلهم مُنَافَسَة الخِرِّيجِينَ من خارج البلاد العَرَبِيَّة.

1. **Academic Ranking of world university,** 2019, last visit on 25 April 2020, on site: https://cutt.us/mASBc
2. مدياني، محمد. **"واقع قطاع التَّعليم العالي والبحث العلميّ في الدُّوَل العَرَبِيَّة"**، جامعة أدرار، الجزائر، يناير 2018م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/ns8pe

المَبْحَث الثَّاني

البَطَالَة

يرتبط مفهوم البَطَالَة بوصفِ حالة المُتَعَطِّلِينَ عن العَمَل وهم قادرون عليه ويبحثون عنه، إلَّا أنَّهم لا يجدونه، ويعتبر مفهوم البَطَالَة من المفاهيم الَّتِي أَخَذَتْ أَهَمِّيَّةً كبرى في المُجْتَمَعَات المعاصِرَة من البحث والتحليل، لذا اسْتَحْوَذَ بشكلٍ رَئِيس على عنايةِ صُنَّاعِ القرارات السِّيَاسِيَّة، وكذلك على اهتمام الباحثين الاجْتِمَاعِيّينَ والاقْتِصَادِيّينَ، بوصفه موضوعًا يَفْرِضُ نفسَهُ بِشَكْلٍ دَائِم ومُلِحٍّ على السَّاحَة الدَّوْلِيَّة، لهذا لا تكاد تصدر دَوْرِيَّة عِلْمِيَّة مُتَخَصِّصة ذات علاقة بِعِلْمِ الاقتصاد والاجتماع والجريمة إلَّا وتَتَعَرَّض لموضوع البَطَالَة[1].

وتُعَدُّ البَطَالَة المشكلة الأَبْرَزَ لدى الشَّبَاب، ويمكن اعتبارها بدايةَ الدَّائِرَة المُفَرَّغَة الَّتِي يدور فيها الشَّبَاب، وتنتهي به إلى الإدمان والانحرافات النَّفْسِيَّة والخُلقيَّة، وهو ما يبدو منطقيًّا حيث ترتبط البَطَالَة بانقطاعِ الدَّخْل، ومن ثَمَّ صعوبة الحياة نتيجة العَجْزِ في تلبية الحاجات الضَرُورِيّة.

وقد أصدرت مُنَظَّمَة العَمَل الدوليَّة والبنك الدوليّ في عام (2018م) دراسةً تؤكِّد على أنَّ نِسَب البَطَالَة في ارتفاعٍ كبير خَاصَّةً بعد أحداث الرَّبِيعِ العَرَبيّ والثورات، وقد بلغت البَطَالَة في اليمن أعلى مستوى؛ حيث كانت النِّسْبَة (60 %)، وتتراوح النِّسَب بين (10 %) إلى (27 %) في أغلب الدُّوَل العَرَبِيَّة الأخرى[2].

1. محمود، علي. **مفهوم البَطَالَة**، موقع منارات إفريقيَّة، 29 مارس 2011م، تاريخ الزيارة 31 يوليو 2017م، مُتَاح على الرَّابِط: http://cutt.us/rBJr
2. "**انفوجراف أعلى وأدنى مُعَدَّلات البَطَالَة في العالم العربي**". تقرير مُنَظَّمَة العمل الدَّوْلِيَّة والبنك الدَّوْليّ، يوليو 2018م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/ehGea

وللبَطَالَة تأثيرات سَــلْبيَّة حَادَّة على المُجْتَمَعَات، بعضها فَرْدِيّ شَــخْصِيّ، يَتَعَلَّق بالجوانب النَّفسيَّة للأفراد المُتَعَطِّلِينَ عن العَمَل وأُسَرِهم، وبعضها الآخر يَتَعَلَّق بالسِّيَاقَاتِ الأَمْنِيَّة، وهو شِقٌّ مُشْتَرَكٌ يُلْقِي بِظِلَالِهِ السَّلْبِيَّة على الفَرْد والمُجْتَمَع على حَدٍّ سواء، في حين يَتَعَلَّق بعضها الثَّالِث بالمُحَدِّدَات الاقْتِصَادِيَّة الَّتِي تُعَدّ إشْكَالِيَّة البَطَالَة أبْرزَ مُعَوِّقَاتها التَّنْمَوِيَّة بِشَكْلٍ عَامّ. فعــلى الجانب النَّفْسيّ، تُؤَدِّي حالة البَطَالَة عند الشَّــبَاب إلى تعرُّضِ كثيرٍ منهم إلى مظاهــر عدم التَّوَافُقِ النَّفْــسيّ والاجْتِمَاعِيّ، إضافةً إلى أنَّ كثيرًا من العاطلين عن العَمَل يتَّصِفُون بحالات من الاضطرابات النَّفْســيَّة والشَّخْصِيّة، فمثلًا يَتَّسِم كثيرٌ من العاطلين بعدم السَّــعَادَة وعدم الرِّضَا والشُّعُور بالعَجْز وعدمِ الكفاءة، ممَّا يُؤَدِّي إلى اعتلالٍ في الصِّحَّة النَّفْسيَّة لديهم، كما أنَّهم قد يَتَعَرَّضُونَ لِلضُّغُوطِ النَّفْسيَّة أكثرَ من غيرهم بسبب معاناتهم من الضائقة المَالِيَّة الَّتِي تَنْتُجُ عن البَطَالَة.

أمَّا على الجانب الأمنيّ، فتشــير الدِّرَاسَات إلى أنَّ هناك علاقةً بين البَطَالَة والجريمة، فكُلَّمَا زادت نســبة البَطَالَة ارتفعت نســبة الجريمة، فمثلًا تُعَدُّ جريمة السَّرِقَة من أبرز الجرائم المُرْتَبِطة بالبَطَالَة، وكذا جرائم القَتْل، الاغتصاب، السَّطْو، الإيذاء والعنف وغيرها من الجرائم المُتَعَلِّقَة إمَّا بالبَطَالَة ذَاتِهَا من فَقْرٍ وعَوَزٍ أو مُتَعَلِّقَاتها من فراغٍ ومَلَل(1).

بينما على الجانب الاقْتِصَادِيّ، فلا شَــكَّ أنَّ الإنســانَ هو المَوْرِدُ الاقْتِصَادِيّ الأَوَّل، وبالتَّــالي فإنَّ أيّ تقدُّم اقْتِصَادِيّ يَعْتَمِدُ أَوَّل ما يعتمدُ على الإنســان بإعداده عِلْمِيًّا حتَّى يَتَحَقَّق دوره في الإســهام في نهضــة المُجْتَمَع، وَتُضْعِفُ البَطَالَة من قيمة الفَرْد كموردٍ اقْتِصَادِيّ، وتعمل على إهــدار الطَّاقَات البَشَرِيَّة وتَعَطُّلها وتُحَوِّلها إلى مِعْوَلِ هَدْمٍ لا بِناء(2).

1. البكــر، محمد عبدالله. **"أثر البَطَالَة في البناء الاجْتِمَاعِيّ، دراســة تحليليَّــة للبَطَالَة وأثرها في المملكة العَرَبِيَّة الســعوديَّة"**. مَجَلَّة العلوم الاجْتِمَاعِيَّة، المجلد 32، العدد 2، 2004م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/Jgpov
2. عامر، عادل. **"دراسة هموم الشَّبَاب المِصْرِيّ بعد ثورتين"**. موقع دنيا الوطن، 11 أكتوبر 2014م، تاريخ الزيارة 25 أبريل 2020م، مُتَاح على الرَّابِط: goo.gl/lYbsRr

وتَتَّخذ البَطَالَة إحدى صورتين:

- **البَطَالَة الكاملة:** وهي فَقْدُ الكَسْـــب بسبب عَجْزٍ شَخْصِيّ عن الحصول على عمَلٍ مناسب رَغْمِ كونِهِ قادرًا على العَمَل ومستعِدًّا له، باحثًا بالْفِعْلِ عنه.
- **البَطَالَة الجُزئيَّة:** وهي تخفيضٌ مُؤَقَّت في ســاعات العَمَل العاديَّة أو القانونيَّة، وكذلك تَوَقُّفُ أو نَقْصُ الكَسْب بسببِ وَقْفٍ مؤقَّتٍ للعمل دون إنهاءِ علاقةِ العَمَل.

أمَّا من حيث أشكال البَطَالَة فيمكن في هذا الصَّدَدِ أَنْ نشير إلى ثلاثةِ أنماطٍ رَئِيسَة منها، وهي:

- **البَطَالَة الدَّوْريَّة (البنيويَّة):** النَّاتِجَةُ عن دوريَّة النِّظَام الرَّأْسَماليّ المتنقلَّة دومًا بين الانتعاش والتَّوَسُّع الاقْتِصَاديّ وبين الانكماش والأزمة الاقْتِصَاديَّة الَّتِي يَنْتُجُ عنها وقف التَّوْظِيف وَالتَّنْفِيسِ عن الأزمة بتسريح العُمَّالِ.
- **البَطَالَــة المُرْتَبِطة بهيكلة الاقتصاد:** وهي ناتجة عن تَغَيُّرٍ في هَيْكَلِ الطَّلَب على المنتجات أو التَّقَدُّم التِّكْنُولُوجِيّ، أو انتقال الصِّنَاعات إلى بلدانٍ أخرى بحثًا عن شروطِ استغلالٍ أفضلَ ومن أجل رِبْحٍ أعلى.
- **البَطَالَة المُقَنَّعَة:** وهي تَتَمَثَّل بحالة من يُؤدِّي عملًا ثانويًّا لا يوفّر لهُ كِفَايَتَهُ من سُـبُل الْعَيْشِ، أو إنَّ بِضْعَةَ أفراد يعملون سويَّة في عملٍ يمكن أن يُؤدِّيه فَرْدٌ واحد أو اثنين(1).

ومن تَبِعَاتِ البَطَالَة قد يصبح الشَّـــابُّ أكثرَ ميلًا نحو الانخراط في عددٍ من الجرائم الاجْتِمَاعِيَّة والإرهاب وَالعُنْفِ والجرائم الأَخْلَاقِيَّة. وَبِالطَّبْعِ ليس كُلّ العاطلين يسلكون سبيل الجريمة، ولكن الدِّرَاسَات تُؤَكِّد اقتراب الشَّابِّ من الجريمة عندما يكون عاطلًا عن العَمَل(2)؛ حيث يعتبر المَيْلُ نحو الإجرام أسلوبًا مُمَيَّزًا لحياة العاطِلِ عن العمل، لا

1. **البَطَالَة وأنواعها**، ويكيبيديا، الموسوعة الحُرَّة، تاريخ الزيارة 31 يوليو 2017م، مُتَاح على الرَّابط: http://cutt.us/GwzwI
2. السهلي، محمد بن علي بن عبدالله. "**علاقة البَطَالَة بالجرائم الماليَّة، دراسة مسحيَّة على نزلاء إصلاحيَّة الحائر**". أَكَادِيميَّة نايف للعلوم الأَمْنِيَّة، 2002م، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/vZbHH

سِيَّمَا حين يَغْلِبُ عليه الشُّعُور بِالْفَشَلِ وَالظُّلْم، فيعمل على ردّ ذلك إلى المُجْتَمَع فيَتَّخِذُ موقفًا عدوانيًّا مُتَمَثِّلًا في الجريمة.

كما تُؤَثِّر البَطَالَة على تَغَيُّرٍ في النَّسَق الْعَامّ لِلْقِيَم الاجْتِمَاعِيَّة، خَاصَّةً تلك المُتَعَلِّقَة بقِيَمِ العَمَل والتَّعْلِيم والمَسْـــكَن، والاستهلاك، فنرى قِيَمًا مثل "الْفَهْلَوَة" والنَّصْب والاحتيال تطفو على السَّــطْحِ، مقابِلَ اختفاءِ قِيَمِ الأمانة والمُثُلِ العليا وإتقان العَمَل؛ كذلك تُؤَثِّر البَطَالَة على انتماء الشَّبَاب لأوطانهم، فالمُجْتَمَع لا يكون مُجْتَمَعًا دون انتماءٍ وارتباطٍ بـــين أفراده بفكرة الوطـــن، وهو ما يُؤَدِّي دورًا بالغًا في إنجـــاز الأهداف القَوْمِيّة والاسترَاتِيجِيَّة للدَّوْلَة بِالْكَامِل.

وتُعَدّ البَطَالَة من العوامل المُهِمَّة وذات الوزن النِّسْـــبِيّ الكبير والَّتِي تُؤَثِّر في إضعافِ شُعُور الشَّابّ بالانتماء، لمُجْتَمَعه وبيئته ودولته، وتؤدِّي إلى صراعٍ حَادّ مع الذَّات، وإلى انخفاض مستوى الثِّقَة بالنَّفْس، كما تقود إلى مشاكِلَ نفسيَّة واجْتِمَاعِيَّة عِدَّة، كالكآبة والانطوائيَّة، وانخفاض المُشَـــارَكَة الفاعِلَة في أيّ نشاطاتٍ مُحِيطَة، فيَتَحَوَّل الشَّبَاب العاطلون إلى طاقاتٍ مُهْـــدَرَةٍ، وبالتَّالِي يَخْسَرُ الاقتصاد هذه الطَّاقَات، فيصبحون عبئًا على الاقتصاد القَوْمِيّ؛ حيث يستهلكون دونَ أيّ مقابل يُقدِّمُونه للمُجْتَمَع.

وفيـــما يلي بعض الحلول المُقْتَرَحَة لعلاج تلك المشـــكلة، هذا مع التَّأْكِيد على دور الدَّوْلَة في تحســـين الدَّخْل من خلال أدوات السِّيَاسَة الاقْتِصَادِيَّة الَّتِي تلعب دورًا أسَاسِـــيًّا في التأثير على مُعَدَّلَات البَطَالَة مِمَّا يُلْقِي على عاتقها مَسْؤُولِيَّات رَئِيسَة، ومنها:

- التَّوَسُّع في دور القطاع الخَاصّ للاضطلاع بمَهَمَّتِهِ في خَلْقِ فُرَصِ عملٍ جديدة.
- إعداد قاعدةِ مَعْلُومَاتٍ وطنيَّة عن الوظائف المطروحة والباحثين عنها؛ لأَنَّ غياب تلك القاعدة يُؤَدِّي إلى غُمُوضِ سوق العَمَل.
- زيادة مُعَدَّلَات استيعاب القطاعات الإنْتَاجِيَّة من العَمَالَة، سواءٌ أكانت قطاعات زراعيَّة أَمْ صناعيَّة أَمْ تجاريَّة.

- تنشـــيط دور قطاع الأعمال كهدفٍ رئيس لبرنامج الإصـــلاح الاقْتِصَادِيّ الَّتِي انْتَهَجَتْهُ الدَّوْلَة في السَّنَوات الماضية.
- تنميـــة المُجْتَمَعَـــات العمرانيَّة الجديدة مع التَّرْكِيز على مشروعات اســـتصلاح الأراضي وتوزيعها على طالبي العَمَل، في ضوءِ مساحاتٍ تتناسب مع إمكانيَّاتهم.
- إحلال التِّكْنُولُوجِيَا كثيفة العَمَالَة بدلًا من التِّكْنُولُوجِيَا كثيفة رأس المال.
- وَضْعُ خريطة شاملة للصِّنَاعَات الحِرَفِيَّة، تمكّن من دعم هذه الصِّنَاعَات وتوفير المُعَدَّات ومستلزمات الانتاج وتسويق مُنْتَجَاتِهَا وخَلْقِ فُرَصٍ جديدة لِرَاغِبي العَمَل.
- تغيير شامل للسِّيَاسَة التَّعْلِيمِيَّة لإكساب الخِرِّيجِينَ مهاراتٍ عَمَلِيَّة، بجانب المعارف والمعلومات النَّظَرِيَّة.
- الاهتمام بعَمَلِيَّة التصدير، لتوفير ســـوقٍ خارجِيّ لِمُنْتَجَات الشَّـــبَاب، مع إعطاء الأولويَّة للاهتمام بصناعة التصدير خَاصَّةً ذاتَ الكثافة في اســـتخدام العَمَالَة البَشَرِيَّة والَّتِي تحقّق فائدةً مزدوجة، من خلال توفير العَمَالَة وَالنَّقْد الأجنبيّ.
- تحفيز النُّمُوّ الاقْتِصَادِيّ باعتبارِهِ الشَّرْطَ الموضوعيّ لِخَلْق فُرَصٍ عمل جديدة.
- تحفيز مُعَدَّلَات الاستثمار الخَاصّ سواءً المَحَلِّيّ أو الْأَجْنَبِيّ.
- تأمين برامـــج تدريبيَّة لتحقيق كفاءة أعلى للعَمَالَـــة، وبالتَّالِي يُصْبِح بالإمكان التَّأَقْلُم مع التغيُّرات التكنولوجيا والتِّقْنِيَّة المُتَسَارِعَة.
- تنظيم عَمَلِيَّة استقدام العَمَالَة الأَجْنَبِيَّة وتقنينها.
- إتاحة الفرصة أمام عمل المرأة، وَالسَّـــمَاح لها بالعَمَل في المجالات الَّتِي تتناسب مع طبيعتها النَّفْسِيَّة وَالْفِيزْيُولُوجِيَّة.
- تقوية الرَّابِطَة بين التَّعْلِيم والمِهَن والمهارات المُؤَهِّلَة لسُّوق العَمَل.
- توفير حدود دنيا للأجور تتناسب مع واقع الحياة ومُتَطَلَّبَات العَيْش.
- الحَضّ على تشـــكيل صناديقَ تَكَافُل اجْتِمَاعِيّ؛ لما لها هـــذه الصَّنَادِيق من أثرٍ إيجَابِيّ على فئات الدَّخْل المَحْدُود.

المَبْحَث الثَّالِث

المَلَل، الْيَأْس وَالْفَرَاغ

أحيانًا يشعر الفَرْد بأنَّ العديد من المشاعر السَّلْبِيَّة تَتَمَلَّكُهُ، وأنَّ حياتَهُ تمضي بِدُونِ أيِّ معنًى أو هدف، ولا تَسْتَحِقّ أنْ يعيشها، فلا يوجد ما يَسْتَحِقّ أنْ يكافِحَ الشَّخْص من أجله أو يتحمَّل أَزَمَاتِه، وقد يُصابُ الفَرْد بحالةٍ نفسيَّة من اليَأْسِ تجعلُهُ لا يرى أَمَامَهُ إلَّا التوقُّعات السَّلْبِيَّة تِجَاهَ كُلِّ ما هو آتٍ في المستقبل، وهو ما يجعله يَفْقِدُ الدَّافعَ للسَّعْي أو العَمَل، فهو في هذه الحالة يشعر بِالتَّشَاؤُمِ والرَّغْبَة في الموت، وكذلك يفقدُ شُعُورَهُ بأيّ أملٍ في الحياة.

أمَّا المَلَل فهو شعور الفَرْد بأنَّ حياته ثابتة لا تَتَغَيَّر، تسير على وتيرةٍ واحدة، وأنَّ ما يفعله في يومه يَتَكَرَّر، وكلّ ما يشعر به هو الرُّوتِينُ، فيجدُ نفسه أنَّه يفتقد إلى كُلِّ ما هو جديد؛ فالأيام متشابهة، وكأنَّ حياتَهُ نسخةٌ واحدة مكرَّرة من حياة الأفراد الآخرين، وقد يتطوَّر هذا الشُّعُورُ لدى الفَرْد بأنْ يمتنع تمامًا عن ممارسة أيِّ نشاطٍ جديد، أو يحاولَ أن يَجِدَ أنشطة حَيَوِيَّة تُسَاعِدُهُ في تحسين حياته وحالته النَّفْسيَّة[1].

وبما أنَّ العولمة قد أدَّت مَهَمّتها في نشرِ وتوزيعِ إيجَابِيّاتها ومساوِئِهَا بصورةٍ "ديمقراطيَّة" على كَافَّة أرجاء المعمورة، فشباب الوطن العَرَبيّ يعاني بدورهِ مشاكلَ لا تُعدّ ولا تُحصَى، بمَوْرُوثِهَا وَدَخِيلِهَا على السَّوَاء، وتَتَلَخَّص هذه التصنيفات على المستوى العَاطِفِيّ وَالْعَلَائِقِيّ في: العُزْلَة، القَلَق، الإحساس بالذَّنْب، الْغَضَب، الكآبة، عدم الثِّقَة في النَّفْس والميلِ إلى الانتحار، العلاقات العابِرَة، الرُّفْقَة السَّيِّئَة، تأثير الجماعة،

1. شاهين، إيمان فوزي. "**الخصائص السيكومتريَّة لمقياس الفَرَاغِ الوجوديّ لدى شباب الجامعة**". مَجَلَّة الإرشاد النفسي، العدد 50، 2017م، ص 498.

الإقصاء والاضطهاد، الوَسْــوَاس والانفصال عن الواقع، وإذا ما أخذنا عنصر الكآبة بمفرده نجده من نتائج الفراغ.

والبَطَالَة -كما أسلفنا- جاثِمَةٌ على شبابنا منذ أجيالٍ عِدَّة، أمام انسدادِ أُفُقِ أحلامهم وطموحاتهم مِمَّا جعلت الكثير منهم يســقط بسهولَةٍ فريسةً للاكتئاب النَّفْسِيّ، بل إنَّه يعتبر من مُسَــبِّبَات "الاحتراق النَّفْسِيّ"(1)، والَّذِي يُعْرَف بـ" حالة من التَّعَب والكَبْت والإحبــاط النَّاتِجَة عن التفاني لأجلِ قَضِيَّةٍ ما أو أســلوبِ حياةٍ أو علاقةٍ إنْسَــانِيَّة تفشــلُ في تحقيق النَّتَائِجِ المرجوَّة"، فما بالُكَ بِالْيَأْسِ والفرَاغِ اللَّذَيْن خَصَّصَتْ لهما الدُّوَل المُتَقَدِّمَة ميزانيَّاتٍ كبيرةً ومُؤَسَّسَات مُتَخَصِّصة للدِّرَاسَة والعلاج، بما أنَّهما من المُسَبِّبَات المُبَاشِرَة للانتحار والانحراف؟

أمراضٌ عَصْرِيَّة يجرُّ بعضُها البعض

يكاد التقسيم الوَظِيفِيّ للشَّبَاب العَرَبِيّ في مُجْتَمَعَاتنا أن يَفْرِضَ تصنيفًا لا يخرج عن حالتين؛ الأولى: تَخُصّ الشَّبَاب الناجحين الَّذِينَ يعانون الإرهاق المُزْمِن جرَّاء ضغط العَمَل والمَسْــؤُوليَّات المتزايدة، وبالتَّالِي يَجْذِبُونَ إليهم الأنظار والاهتمام، والثانية: تَخُــصّ من يعانــون فُقْدَانَ الاهتمام أو الرَّتَابَة في إطارِ نشــاطٍ ما أو التَّواجد في وضعيَّاتٍ صعبة من الجمودِ وانسداد الأُفُق.

إنَّه المَلَل المُزْمِن الَّذِي يرتبط بشــعور الْيَأْسِ والافتقار إلى الحافز المَعْنَوِيّ وأعراضِ عدم القدرة على النَّوْم والاســتمتاع بمباهج الحياة كما تفترض سِــنّ الشَّبَاب. والمَلَل بطبيعته جدُّ مغرٍ إذ يُقْنِع الذَّات بالإبقاء على حالة السَّــلْبِيَّة الَّتِي تتواجد فيها وعدم الانشــغال بأمرٍ أو عملٍ ما له معنًى بالنِّسْــبَة لها، إنَّه مأزقُ الشُّــعُور بعدمِ معرفة ما

1. الاحــتراق النَّفْسِي Burnout مصطلح اســتعمله أوَّل مَــرَّة المُحَلِّل النَّفْسِي الأَمْرِيــكِيَ هربرت فردنبرجر Herbert Freudenberger، في دراســة لفائــدة مَجَلَّــة مُتَخَصِّصَــة Journal of Social Issues ســنة 1974م، مفادها أنَّ الأشــخاص يحترقون من الدَّاخِل مثل المباني بعوامل نفســيَّة. للمزيد: مجيد، سوسن شــاكر. "الاحتراق النفسيّ، أعراضه ومصادره"، مَجَلَّة الحوار المتمدِّن، العدد 3723، 2012م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/sADHH

يريده الإنســـان فعلًا، بل وعدم القدرة على تعريف حاجاته وأهدافه أيضًا. وإذا كان المَلَـــل مُنْتِجًا لمضادَّات التجديد والتَّغْيير والحركيَّة (هذه الأخيرة في معناها الإيجَابيّ من سمات الشَّـــبَاب ومن مبادئ حِراكِ ربيعِ عَرَبيّ لم تَتَفَتَّح ورود نتائجه)؛ فَالْيَأْسُ المُطْبِق عـــلى مرحلة ما بعد الرَّبِيع العَرَبِيّ، والنَّاتِجُ عن أحلامٍ مسروقة وآمالٍ ضائعة لجيلٍ بأكمله، غذَّته جحافل العاطلين عن العَمَل والمحترقين بواقع الفســـاد والإقصاء والتَّهْمِيش؛ ويمكن اختزالُ وضعيَّة الشَّـــبَاب العَرَبِيّ اليوم، في افتقاد التَّوْجِيه المَعْنَوِيّ من طرفِ مُجْتَمَعٍ بدأ يعتمد أوْلَويَّات أخرى، اقْتِصَاديَّةً وأمنيَّة وغيرها، والافتقاد هنا يُحِيلُ على الفُقْدَان التَّدْرِيجِيّ للمعتقدات السِّيَاسِيَّة والأَخْلَاقِيَّة بدونِ معالِمَ دالَّةٍ على الاتِّجَاهات، والَّتِي تُدخل الفَرْد في مرحلة اللَّايَقِين والشُّعُور بعدم الجدوى والاكتئاب، إلى دَرَجَةِ القطيعة مع الجماعة والواقع، وتُشَكِّل هنا عوامل المَلَل وَالْيَأْس والفراغ دافعًا قَوِيًّا نحو تَشَظِّي الهُوِيَّة الاجْتِمَاعِيَّة ورَفْضٍ لِلْقِيَم الاجْتِمَاعِيَّة.

إنَّ وجود الشَّبَاب العَرَبِيّ في سياقِ منطقةٍ عاصفة وحِقْبَة مُضْطَرَبَة، يطرح أكثر من علامة استفهام وقَلَقٍ حول حَاضِرٍ ومستقبلِ شبيبةٍ تعيشُ واقعَ العُنْفِ وَالْفَقْرِ والبَطَالَة المُنْتِج لأمراضٍ اجْتِمَاعِيَّة ونفســـيَّة شَتَّى، فالمنطقة العَرَبِيَّة الَّتِي تحتضن نحو(5 %) من سُكَّانِ العالَم أُصيبت في مُفَارَقَةٍ غير منطقيَّة بـ(45 %) من الهجمات الإرهابيَّة العَالَمِيَّة، وتكبَّدت (68 %) من الوَفَيَاتِ المُرْتَبِطة بالنِّزَاعَات في سنة (2014)[1]، وهو مـــا يُتِيح فَهْمَ جَانِبٍ مُؤَثِّر من المُنَاخ العَامّ العَـــرَبِيّ المُتَوَتِّر، والَّذِي تُوِّجَ بربيعٍ عَرَبِيّ صادم، حَوْل المستقبل المشرق إلى أُفُق مُظْلِم واحتمالات التَّغْيِير إلى مُجَرَّد خيطِ ضوءٍ رفيعٍ وبعيدِ المنال.

والنتيجة كانت عدم استثمار عولمة التِّكْنُولُوجِيَا الموسومة بالتَّغَيُّرَات السَّرِيعَة وإقلاع قطار التَّارِيخ تاركًا وراءَهُ ملايين الشَّـــبَاب العَرَبِيّ في حالةِ عجْزٍ ويَأْسٍ تَامّ، ومُنَاخٍ

1. برنامج الأمم المُتَّحِدَة للتنمية، "التقرير السَّادس ضمن مجموعة "التَّنْمِيَة العَرَبِيَّة"، المكتب الإقْلِيمِيّ للدُّوَل العَرَبِيَّة، 29 نوفمبر 2016م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/PNjuH

مُوات لإعادة إنتاج نفس الأنظمة المُفْلِسَة والبِنْيَات الاجْتِمَاعِيَّة والاقْتِصَادِيَّة غَيْرِ الآمنة، وبالتَّــالي فإنَّ التَّعَاطِيَ مع ظواهرِ المَلَل والْيَأْس والْفَرَاغ المُرْتَبِطة بالظُّرُوف والنَّتَائج المذكورة سابقًا يَسْتَلْزِم تَدَخُّلًا ذاتيًّا ومُؤَسَّسَاتيًا بِنْيَوِيًّا ووَظِيفِيًّا، وكذلك الاستفادة من الخبرات الدَّوْلِيَّة والأُمَمِيَّة في هذا المجال.

العِلاج.. الضرورة المُلِحَّة

لم تَتَوَقَّف الْإِحْصَائِيَّات الاجْتِمَاعِيَّة عن دقِّ ناقوسِ الخَطَرِ طيلةَ السَّــنَوات السَّابِقَة في الوطــن الْعَرَبِيّ، حيث أكثر من (78 %) من الَّذِينَ اتَّخَذَوا قرارَ الانتحار، تتحدَّد أعمارهـــم ما بين (17) و(40) عامًا(1)، والانتحـــار هنا كمثالٍ وكَقَرَارٍ يَائِسٍ وَرَدٍّ فِعْلٍ بَائِسٍ، يُتَّخَذُ بعد الوصول إلى طريقٍ مسدود، بُغْيَة التَّخَلُّص نهائيًّا من وضعيَّةٍ لا تُطاق، يمُرّ حَتْمًا عبر عِلَلِ المَلَلِ المُزْمِن وَالْيَأْس المُســتَحْكِم وَالْفَرَاغ الرُّوحِيّ والعَمَلِيّ المُطبق على شبابنا والمؤدِّي إلى قَطْع تذكرة اللَّاعَوْدَة عبر الكآبة الحَادَّة والانهيار النَّفْسِيّ.

وَلَعَلَّ حادثة انتحار محمد البوعزيزي(2) من أشهر حالات الانتحار في العالَم الْعَرَبِيّ خـــلال العِقْدِ الماضي، فحادثة انتحاره مَثَّلَتْ نموذجًـــا واضحًا لحالة التَّرَدِّي الْعَرَبِيّ الاقْتِصَادِيّ والاجْتِمَاعِيّ والسِّـــيَاسِيّ وَالَّذِي يدفع أبناء وشـــباب العالَم الْعَرَبِيّ دفعًا لإنهاء حياتهم بالانتحار، ومِمَّا لا شَكَّ به أَنَّ الانتحار ليس حَلًّا لِأَيِّ مشكلةٍ ناهيك عن

1. إبراهيم، عبدالعزيز. "**الانتحار.. أرقامٌ مُخيفَة وأسبابٌ مُتَعَدِّدَةٌ وحالاتٌ شهيرة**". موقع العربية نت، 11 سبتمبر 2018م، تاريخ الزيارة 3 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/sXCg8
"**إحباط الرَّبيع العربيّ يقود عددًا كبيراً من الشَّبَاب إلى الانتحار**"، جريدة العرب الدَّوْلِيَّة، العدد (10392)، ص7، 10 سبتمبر 2016م، تاريخ الزيارة 25 أبريل 2020م، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/4Nzbj
2. وُلِدَ **محمد البُوعَزِيزي**، واســمه الكامل طارق الطَّيِّب محمد البُوعَزِيزي، في 29 مارس 1984م، أضْرَم النَّار في نفســه يوم الجمعة 17 ديســمبر 2010م، أمام مَقَرّ ولاية ســيدي بوزيد بتونس، احتجاجًا على مصــادرة شرطيَّــة عَرَبَتــه الَّتِي كان يبيــع عليها الفواكه والخُضَر، بعــد صَفْعِهَا له. وأشْــعَلَ انتحارَهُ نَارَ الاحتجاجــات في المدينــة، لِتَجْتَاحَ باقي مُدُنٍ ومناطق تونــس، ووصفه كثيرون بأنَّه مُطْلِق شرارة ثورات الرَّبيع العربي. للتعريف به، للمزيد: "**محمد البُوعَزِيزي.. شرارة أطلقت الرَّبِيع الْعَرَبِيّ**"، الجزيرة. نت، 17 ديسمبر 2015م، مُتَاح على الرَّابط: goo.gl/O9UHfx

موقف الدِّينِ السَّلْبِيّ منه، إِلَّا أَنَّهُ يقدم صورة واضحة عن الواقع المُعَاشِ والَّذِي يدفع الشَّبَاب الْعَرَبِيّ لهذا الطريق.

تَتَعَدَّد الأمثلة والنماذج في هذا السِّيَاق المأساوِيّ، والَّتِي لم تنجُ منها حتَّى تلك الدُّوَل المعروفة في الخليج برخائها الاقْتِصَادِيّ على غِرَارِ حادثة انتحار شَابّ سُعُودِيّ(1) قفزًا من الْجِسْرِ المُعَلَّق بِالرِّيَاضِ، بدافع اليأسِ من الحصول على وظيفة في بلدٍ قيل عنه: إنَّه يُوَفِّر آلاف فُرَص العَمَل للعَمَالَة الوافدة من بلدان أخرى!

يتوالى هذا مع حوادث انتحار كُلّ من نورهان حمود(2)، الشَّابَّة اللبنانيَّة، الَّتِي لم تتجاوز الثلاثة والعشرين ربيعًا، والناشطة الفاعلة في حِرَاكِ بيروت المَدَنِيّ ضِدّ انتشار النفايات، وعبد الظاهر مكاوي(3)، الكاتب المصريّ الشَّابّ، جَرَّاء إصابته باكتئاب حَادّ من أوضاع الثَّوْرَة المسروقة والأحلام الموءودة في مِصْر.

1. أَقْدَمَ شابّ سُعُودِيّ على الإلقاء بنفسه من على جِسْر وادي لَبَن الواقع على طريق مكة غرب مدينة الرياض، وكان الشابّ قد أوقف سَيَّارَتَهُ بجانب الْجِسْرِ وأقدم على الانتحار وَسْطَ ذهول المارَّة، وذلك بتاريخ 2 أكتوبر 2012م، ولم تتَّضِح الظروف الَّتِي دفَعت الشابّ للانتحار حتَّى الآن، للمزيد: **"انتحار شابّ أَلْقَى بنفسه من كوبري وادي لَبَن بالرياض"**، موقع أخبار 24، 2 أكتوبر 2012م، تاريخ الزيارة 25 أبريل 2020م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/rk0AN
2. **نورهان حمود:** ناشطة مدنيَّة وسياسيَّة لُبنانيَّة، انتحرت في شهر أغسطس 2016م بِإِلْقَاءِ نفسها من شُرْفَة غرفتها في الطَّابق الثَّامن في منطقة الصَّنائع في العاصمة اللُّبْنانيَّة بيروت، عن عُمْرٍ لم يتجاوز 23 عامًا، ويبدو أنَّ نورهان قرَّرت الانتحار بعدما فَشَلَتْ في مواجهة المشاكل الَّتِي تمُرّ بها، ومازالت الدَّوَافع المباشرة لهذا الانتحار غامضة، للمزيد: حسين البدوي، **"قصة انتحار النَّاشطة نورهان حمود تَشْغَل الرَّأْي الْعَامَّ اللُّبْنَانِيّ"**، موقع القيادي، 31 أغسطس 2016م، تاريخ الزيارة 25 أبريل 2020م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/MLSjx
3. **عبد الظاهر مكاوي:** أديبٌ مصريّ شابّ من مواليد الصعيد 1975م، سَكَنَ في محافظة الْعَرِيش وفيها أصدر أوَّلَ مجموعة قصصيَّة له، بِالرَّغْمِ من أنَّه لم يتلقَّ تعليمًا جامعيًّا إلَّا أنَّه أبدى موهبةً عَالِيَةً في الأدب والكتابة، إلَّا أنَّه اضطُرّ للعمل كَأَجِيرٍ يوميّ في إحدى المِهَنِ لإعالة زوجته وابنه، إلَّا أَنَّ عمله لم يكف لإعالتهم فَأَقْدَمَ على الانتحار، للمزيد: نهلة النمر، **"الأديب النَّاشئ عبد الظَّاهر مكَّاوي يُلْقِي بنفسه من الدَّور الرَّابع بعد أن أصابه الاكتئاب"**، صحيفة الوفد المِصْرِيَّة، 4 سبتمبر 2016م،تاريخ الزيارة 25 أبريل 2020م، مُتَاح على الرَّابِط: goo.gl/kRd5Lj

وأيضا ميساء شروف[1]، التونسيَّة (18سنة)، والَّتِي لم تَتَقَبَّل ما تعتبره سيطرة المُجْتَمَع الذُّكوريّ الَّذِي يقف عائقا صلبًا أمام حُرِّيَّة سـلُوكيّاتها، فيما لم يصمد حسن رابح[2] الرَّاقِصُ السُّورِيّ ذو الـ(25) ربيعًا أمام الظُّرُوف النَّفْسيَّة الصَّعْبَة الَّتِي واكبت هجرته إلى لبنان بسـبب الحرب في سـوريا، ومعه آلاف اللَّاجئـين والمهاجرين السِّرِّيِّين السُّـورِيِّينَ الَّذِينَ يرتمون يوميًّا في أحضان البحر في انتحارٍ غيرِ مُبَاشِرٍ هربًا من جحيم بشّار وباقي الفرقاء.

ولعلَّ اللَّافِت في الظَّاهِرَة أنَّ خيار الانتحار كَحَلٍّ نهائيّ يائِس، يُتَّخَذ عن وَعْي بالظُّرُوف والدَّوَافع، كما في تدوينة الرَّاحِلَة التونسـيَّة ميسـاء شروف، ذات ساعة مُتَأَخِّرَة من ليـالي مايو (2016م)، تقول فيها: "حَوَّلْتُ رجائي للمعرفة فإنِّي مَلَلْتُ جُبْنِي وعجزي عـن الانتحار، لم أَعُدْ أبحث عن حَلٍّ لهذه الحياة، وكم يزعجني جهلي بالَّذِي يحدث حولي وأنا أشـاهد ولا أرى ولا أستشعر شـيئًا، إنِّي أَفْقِدُ إِنْسَانِيّتي ورغم هذا يزداد التزامي تِجَاهها"[3].

وَالْخَيْطُ النَّاظِم هنا، في إطارِ منظومةِ إشكالاتٍ اجْتِمَاعِيَّة وعِلَلٍ نفسيَّةٍ تتشابه وتنسحب على كامل خريطة الوطن العَرَبِيّ، هو الأَلَمُ الوجوديّ المُتَشَـكِّل من المَلَل والعَجْز عن

1. **ميساء شروف:** فتاة تونسيَّة أَقْدَمَتْ على الانتحار بعمر 18 عامًا، والسَّبَب حَنَقُهَا على المجتمع الذكوريّ، خاصَّة بعض ضَرْب أخيها المُتَكَرِّر لها حين علم بِأَنَّهَا تُدخّن السَّجَائِر، وكتبت عِدَّةَ عبارات على صفحتها الشَّخْصيَّة على حساب فيسبوك قبيل انتحارها، تشرح سبب إقدامها على هذا الْفِعْل، وتوضّح أنَّها ضاقت ذرعًا، للمزيد: **"ميسـاء شروف التونسـيَّة الَّتِي انتحرت غَضَبًا من المجتمع الذُّكُورِيّ"**، موقع رام الله، 2 يوليو 2016م، تاريخ الزيارة 25 أبريل 2020م، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/Q5DdT
2. **حسـن رابح:** شـابٌّ سـوريّ راقِص، لجأ إلى لبنان مع اندلاع الحرب في بلاده، انتسـبَ إلى فرقة رَقْصٍ في لبنان "سـيما"، أنهى حياته بإلقاء نفسـه من شرفة بيته في الطَّابق الرَّابِع، وذلك بعد اتِّخاذ الحكومة اللبنانيَّة جُمْلَةً من القرارات الَّتِي ضيَّقت على اللَّاجئين السُّـوريِّينَ، وخاصَّةً فيما يتعلّق بالعمل والتَّنَقُّل، مِمَّا دفَع حسن للانتحار كَرِدَّة فِعْلٍ على الواقع الَّذِي يعيشه هو والسُّوريُّون في لبنان بشكلٍ عَامٍّ، للمزيد: **"انتحار الشَّاب السُّوريّ حسن رابح راقص فرقة (SIMA) في بيروت"**، موقع أبواب، 15 فبراير 2016م، تاريخ الزيارة 25 أبريل 2020م، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/zw5cL
3. **"إحبـاط الرَّبيـع العَرَبيّ يقود عددًا كبيراً من الشَّـبَاب إلى الانتحار"**. جريدة العـرب الدَّوْلِيَّة، العدد: (10392)، ص 7، 10 سبتمبر 2016م.

التَّصَرُّف (إلَّا في حالة اختيار حَلّ التَّخَلُّص من الحياة)، وَاليَأْسِ من إيجادِ حلولٍ ناجعة، وأيضًا التعتيم والخَلْط المقصود المُمَارَس على المستوى السِّيَاسِيّ المولِّد لحالةٍ من الجهل القَسْرِيّ بحقائقِ الأمور، وهي أمورٌ مُتَفَاقِمَةٌ بدأت تتجاوز وظيفة الدِّين والمُجْتَمَع في مُجْتَمَعَاتنا العَرَبِيَّة، عَبْرَ الوقاية والحَدّ من تداعياتها، وهو ما يستدعي التَّعَامُلَ مع عِلَل الشَّبَاب العَرَبِيّ الدَّاخِلِيّة باعتبارها مشكلةَ صِحَّةٍ عَامَّةً وليست مشكلةً فرديَّة تُعَالَجُ بكلِّ بساطة على المستوى الذَّاتِيّ أو الأُسَرِيّ.

ويُؤَكِّد المُختَصُّون في هذا الميدان أنَّ مَدّ يَدِ المساعدة إلى من يعانون من الاكتئاب وَالمُعَرَّضِينَ لهيمنَةِ الأفكار الانتحاريَّة في الوقت المناسب على سبيل المثال، يَعُوقُهُ أولًا إخفاء المرضى النَّفْسِيّينَ لمعاناتهم ولو لأقرب النَّاسِ إليهم، وَالنَّظْرَة المَعِيبَة وَالتَّابُوهَات الاجْتِمَاعِيَّة المُتَعَلِّقَة بهذا الصِّنْفِ من الأمراض، ومن ثَمَّ فإنَّنا بحاجةٍ كعالمٍ عَرَبِيّ إلى إعادةِ ترتيب الأَوْلَوِيَّات المترابطَة، سِيَاسِيًّا واقْتِصَادِيًّا واجْتِمَاعِيًّا، وأيضًا المُرْتَبِطة بسوءِ أحوال الشَّبَاب بعد الرَّبِيعِ العَرَبِيّ، على النمط التَّالِي:

- إنشاء مجموعة من بِنْيَات القُرْب الخَاصَّة بالاستشارات والإحصاء والعلاج على صعيد المُؤَسَّسَات التَّرْبَوِيَّة والشَّبَابيَّة والإصلاحيَّة.
- تقوية الشراكات في كُلّ المجالات وتدعيم الحوار مع الشَّبَاب بالانفتاح والهدوء اللَّازِمَيْنِ، وجعل جمعيَّات المُجْتَمَع المَدَنِيّ ركيزَةً أَسَاسِيَّة لتنويع أنشطة الشَّبَاب العَرَبِيّ وتهيئته لتَحَمُّل المَسْؤُولِيَّات الكبرى.
- اعتبار الشَّبَاب فاعلًا أَسَاسِيًّا في إرساءِ دعائِمَ تنميَةٍ مستدامة مُنْدمِجَة وَحَوْكَمَة مَحَلِّيَّة ووَطَنِيَّة جَيِّدَة(1).

1. على غِرَارِ برنامج الأمم المُتَّحِدَة "أجندة 2020 من أجل تنمية مستدامة"، الَّذي يهدف إلى بناء مستقبل أكثر سلميَّة، مزدهر، مستدام وشامل، باعتبار الشَّبَاب، ذكورًا وإناثًا، عوامل أساسيَّة في التغيير، وَلَازِمَة رَئِيسَة لتحقيق التَّنْمِيَة المستدامة، للمزيد: الموقع الرَّسْمِيّ لِمُنَظَّمَة الأمم المُتَّحِدَة، **"أهداف التَّنْمِيَة المستدامة"**، مُتَاح على الرَّابِط: goo.gl/Lc7V5V

أمَّا على الصَّعِيد الموضوعيّ النَّفْسيّ، فالشَّـــبَاب العَرَبِيّ في حاجةٍ أيضًا إلى مُوَاكَبَة تواصليَّة وتوجيهيَّة للتوصُّل إلى الأهداف الآتية:

- فَهْم الذَّات قُدُرَاتها وحدود تَكَيُّفها مع الْوَسَط والمحيط.
- بناء الثِّقَة مع الآخر؛ الأُسْرَة، المُجْتَمَع، السُّلْطَة، على أُسُسٍ سليمة وواعية.
- التَّحَكُّم بالمشاعر والانفعالات عبر قراءةٍ موضوعيَّة للأحداث والعلاقات وامتلاك الحِسّ النَّقْدِيّ البنَّاء.
- المُوَازَنَة بين الحياة الشَّخْصِيّة والعَامَّة.
- تطوير مهارات التَّعَامُل مع الأشخاص والأحداث.
- تشجيع القراءة والنَّشَاطَات الفنيَّة والرِّيَاضيَّة، ومعها المقاهي الأدبيَّة والعِلْمِيَّة.
- بناء شبكة من العلاقات البَنَّاءَة والمفيدة.
- التوعية بِأَعْرَاضِ المَـــرَضِ النَّفْسيّ وعِلَل مَخَاطِر المَلَـــل وَالْيَأْس وَالْفَرَاغ، طُرُق الوقاية والتَّعَامُل معه.

إنَّ هذه الاستراتيجيَّة ليست معزولةً عن أيّ استراتيجيَّة أخرى تَستهدِفُ دعم الشَّبَاب، بل على العكس من ذلك، فهي تَتَدَاخَل وتتكامل مع باقي الاســـتراتيجيَّات في مُخْتَلَف المُؤَسَّسَـــات الاجْتِمَاعِيَّة الَّتِي تُعْنَى بقضايا الشَّبَاب، وهذا التَّكَامُل مع الإِسْتِرَاتِيجِيَّات ســـيُؤَدِّي إلى تعزيز الصِّحَّة النَّفْسيَّة، والتخلُّص من الاضْطِرَابَات النَّفْسيَّة والسُّلُوكِيَّة، والانتقال من نطاقٍ يكون الشَّابّ مُتَلَقِّيًا فيه، إلى آخَرَ تكون العلاقة فيه تبادليَّة يَأْخُذُ الشَّبَاب في هذا النِّطاق وَيُعْطُون بموجب علاقة تبادليَّة وتفَاعِلِيَّة.

وبنهايـــة العَقْد الأوَّل من القرن الْحَالِيّ، كانت الشرق الأوســـط وشـــمال إفريقيا المِنْطَقَة الوحيدة في العالَم الَّتِي شَهِدَتْ تَرَاجُعَات حادَّة في الرَّفَاه الشَّخْصِيّ. وتُظهِر الإحصاءات المســـتقاة من مُسُوح الرَّفَاه والَّتِي وَرَدَتْ في التقرير زيادةَ مشاعرِ عدم الرِّضَا عن الخدمات الحُكُومِيَّة الَّتِي تُؤَثِّر على مســـتويات المعيشة في المنطقة. ومن بين هذه الإحصاءات، كانت نســـبةَ من يشعرون بعدم الرِّضَا عن مدى تَوَفُّر مساكن ميسورة التَّكْلِفَة هي الأكثر شِدَّة، لكن كان هناك أيضًا زيادةٌ في نسبة السُّكَّان الَّذِينَ

يشعرون بعدم الرِّضَا عن وسائل النَّقل العامّ، ونوعيَّة الرِّعَايَة الصِّحِّيَّة، وَتَوَفُّرِ وظائف جَيِّدَة(1)، فهذا الواقع قد يكون أحد الأسباب الرَّئِيسَة في دَفْعِ الشَّباب للانتحار، خاصَّةً وَأَنَّ الظُّروف السَّيِّئَة المُعَاشَة لا تظهر أَنَّهَا في طريقها لِلْحَلِّ في المدى المنظور.

وختامًا لهذا الفصل لا بُدَّ من التأكيد على أنَّ المشكلات وَالْعَقَبَات الَّتِي تواجه الشَّباب وَالَّتِي أوردناها في سـياق هذا الفصل ليست المشكلات الوحيدة الَّتِي تواجه الشَّباب الْعَرَبِيّ، وَلَكِنَّهَا أبرز هذه المشكلات وَأَهَمُّهَا، كما ينبغي التوضيح أَنَّ حِدَّةَ هذه المشكلات تختلف من بيئةٍ لأخرى، وذلك تَبَعًا لظروف كُلِّ بيئَةِ الاجْتِمَاعيَّة وَالاقْتِصَاديَّة وَالثَّقَافيَّة وَالدِّيمُغْرَافيَّة، ففي الدُّوَل الْعَرَبِيَّة الْغَنِيَّة وذات الدَّخْل الْقَوْمِيّ المرتفع قد نجد مشكلة البَطَالَـةِ أَقَلَّ وَطْأَةً من الدُّوَل الفقيرة وذاتِ التَّعْدَاد السُّـكَّانيّ المرتفع، كما تختلف المشـاكل الاجْتِمَاعِيَّة من بيئةٍ لأخرى حسَبَ درجة الثقافة السَّائدة، وحسب العادات والتقاليد المَحَلِّيَّة؛ وهذا يقتضي بالضَّرورة أن تكون أَيَّةُ حلولٍ تسـتهدِفُ معالجة هذه المشاكل والتقليل من حِدَّةِ هذه العقبات متناسبةً مع ظروف كُلِّ بيئة، فلا يجوز التَّوَقُّع بِأَنَّ شمولية الحلول على مستوى الْأُمَّة كَكُلٍّ قد تكونُ ناجِعَةً، فيجب استهداف كُلِّ بيئةٍ بِجُمْلَةِ حلول قائمة على حقيقة الْعَقَبَاتِ الموجودة.

1. **"إحباطات الطبقة المُتَوَسِّطَة أجّجت ثورات الرَّبِيع الْعَرَبِيّ"**. مجموعة البنك الدَّوْليّ، مُتَاحٌ على الرَّابِط :https://bit.ly/3ekOIGY

الفَصْل الثَّالِث

التَّحَدِّيَات الَّتِي يُواجهها الشَّبَاب

- **مُقَدِّمَة**
- **المَبْحَث الأَوَّل: البحث عن الهُوِيَّة**
  - تَشَكُّل الهُوِيَّة.
  - أزمة الهُوِيَّة.
  - تصنيفات الهُوِيَّة.
- **المَبْحَث الثَّاني: بناء الذَّات**
  - الشَّبَاب وتحقيق الذَّات.
  - الثِّقَة بالنَّفْس وعلاقتها ببناء الذَّات.
- **المَبْحَث الثَّالِث: الثَّقَافَة الغَرْبِيَّة والإعلام**
  - أدوات السَّيْطَرَة النَّاعِمَة.
  - ملامح السَّيْطَرَة النَّاعِمَة.
  - الشَّبَاب العَرَبِيّ وتأثُّرهم بالعولمة.
- **المبحث الرَّابِع: بين قيود الماضي والانفتاح على الحاضر**
  - مراحل التَّنْمِيَة والتطوير.

الفَصْل الثَّالِث

التَّحَدِّيَات الَّتِي يُواجهها الشَّبَاب

مُقَدِّمَة

إنَّ وِجْهَات نَظَرِ شــباب القرن الـ(21) وتَجارِبهم وحياتهم تختلف بِشَــكْلٍ كبير عمَّا كان ســائدًا حتَّى وقتٍ قريب، لا سِــيَّمَا مع ما يُوَاجِهُهُ الشَّبَاب الَّذِينَ يعيشون في بُلْدَانٍ ناميةٍ من تَحَدِّيَات ناشِــئَةٍ عن الوصول المحــدود إلى الموارد، والرِّعَايَة الصِّحِّيَّة، والتَّعْلِيم، والتَّدْرِيب والتَّشْغِيل، إضَافَةً إلى وصولهم المحدود إلى الفُرَص الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والسِّيَاسِيَّة.

وفي أنحــاءَ عديدةٍ من دول العالَم، يواجه الشَّــبَابُ الْفَقْرَ، والجُوعَ، والعوائِقَ أمام الوصول إلى التَّعْلِيم، وأشْــكَالًا مُتَعَدِّدَةً ومتشابكَةً من التَّمييزِ وَالْعُنْف، وتُتَاح أمامهم فُرَصٌ محدودةٌ للنُّمُوّ وآفاق التَّشْــغِيل. فالشَّــبَاب -إلَّا ما نَدَرَ- مستبْعَدُون عمومًا عن عَمَلِيّات اتِّخَاذ القرار. كما أنَّ أكثر من (600) مليون من الشَّبَاب حول العالَم يعيشون في بُلْدَانٍ وأراضٍ هشَّــةٍ مُتَأَثِّرَةٍ بالنِّزَاعَات(1)؛ بينما وفي أَمَاكِنَ أخرى، فإنَّ الشَّبَاب هــم المبتكِرُون والمُبْدِعُون في التِّكْنُولُوجيَا الرقميَّة بمُجْتَمَعَاتهم المَحَلِّيَّة، ويشــاركون كمُوَاطِنِينَ فاعلين توَّاقين للمُسَــاهَمَة الإيجَابِيَّة في التَّنْمِيَة المُســتَدَامَة. وفي أَمَاكِنَ ثالثة، فإنَّ الشَّبَاب هُمْ ضحايا الجرائم ومرتكِبُوها كذلك في المُجْتَمَعَات الَّتِي يعيشون فيها؛ ويُفَسِّر هذا التَّنَوُّع في الأوضاع سَبَبَ اعتبار الشَّبَاب مَصْدَرًا للقلَق ومَنَارَةً للأمل والتَّفْكِير الإيجَابِيّ في الآن ذاته.

لقد أصبح المشهد الإنْمَائِيّ العامُّ أكثرَ تعقيدًا، فالتَّفْكِير بالتَّنْمِيَة والمعرفة بها والتجارب بشأنها مُتَوَفِّرَةٌ، بَيْدَ أنَّ التنبؤ بالفُرَص والمَخَاطِر البيئيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والاقْتِصَادِيَّة يبدو

1. "شــباب مُمَكَّن، مُســتقبل مُستدام"، اسْــتِرَاتِيجِيَّة برنامج الأمم المُتَّحِدَة الإنمائيّ لِلْمُسَاوَاةِ بين الجنسين 2014-2017م، الموقع الرسميّ لِمُنَظَّمَة الأمم المُتَّحِدَة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/rtPj5

أكثرَ صعوبة، وفي الوقت الَّذي يُشَـــكِّلُ فيـــه تعقيد القضايا الاجْتِمَاعِيَّة والاقْتِصَادِيَّة والسِّيَاسِـــيَّة والبيئيَّة الحاضِرَة تَحَدِّيًا كبيرًا، إلَّا أنَّه يُقَدِّم أيضًا فُرَصًا هائلة للشَّبَاب كَيْ يثبتوا كَيْنُونَتَهُمْ كقُوَّة مُنَظَّمَة ذاتيًّا تَتَمَتَّع بإمكانيَّة الابتكار وقيادة التَّغْيير.

ربما يفسّر ذلك تعامل برنامج الأُمَم المُتَّحِدَة الإنْمَائيّ مع الشَّـــبَاب على أنَّهم ليســـوا مجموعة متجانسة وبأنَّ احتياجاتهم وتجاربهم في الحياة تختلف كثيرًا فيما بينهم(1)، فعِدَّة مجموعات من الشَّـــابَّات والشُّـــبَّان تَتَطَلَّب اهتمامًا مُحَدَّدًا؛ لأنَّهم يواجهون تَحَدِّيَاتٍ مُعَيَّنَةً من الاستبعاد وعدم المساواة وأشكالًا مُتَعَدِّدَة من التمييز.

وعلى الرَّغْم من القُدُرَات الكبيرة الَّتِي يمتلكها الشَّـــبَاب العَرَبيّ والَّتِي تضمن له القُدْرَةَ على التغيير الإيجابيّ؛ إلَّا أنَّهم للأسف ليسوا طَرَفًا في عَمَلِيَّة صياغة سياسات الدُّوَل أو أيِّ قراراتٍ تَتَعَلَّق بمســـتقبل الدُّوَل الَّتِي يعيشون فيها، وَأَغْلَبُ الشَّبَاب يعاني بِشَكْلٍ كبيرٍ من التَّهْمِيش ومن الثَّقَافَة الأبويَّة الَّتِي تســـيطرُ على مجريات الأمور في الدُّوَل العَرَبِيَّة والَّتِي حَافَظَتْ على نِظَامٍ واحدٍ كُلُّ هَدَفِهِ إقصاءُ وتهميشُ الشَّـــبَاب في كافَّة المجالات، والنَّظَر إلى أيّ حَقّ من حقوق الشَّـــبَاب على أنَّه امتيازٌ أَتَاحَهُ لهم الجيل الأكبر وهو ما يَخْلُقُ العديد من الصُّعُوبَات والتَّحَدِّيَات الَّتِي تواجه الشَّبَاب والَّتِي تتمحور حول انعدام قدرة الشَّبَاب على التَّعْبِير عن أنفسهم أو امتلاك أيّ طموحاتٍ أو تطلُّعاتٍ حقيقيَّةٍ.

وَبِالطَّبْعِ لا يمكـــن أن ننسى الأوضاع الاقْتِصَادِيَّة المُزْرِيَـــة في أَغْلَبِ الدُّوَل العَرَبِيَّة وهو الأمر الَّذي خَلَقَ العديد من المشـــكلات؛ أوَّلُها ارتفاع نِسْبَة البَطَالَة بين الشَّبَاب، وكذلك التَّضَخُّم وارتفاع الأسعار الَّذي جعل من الحقوق الطبيعيَّة للشَّبَاب في المَسْكَنِ والـــزَّوَاجِ، وَالمأْكَلِ والمَشْرَبِ أحلامًا وَرَفَاهِيَةً لا يَتَوَفَّـــر أَدْنَى بَرِيقِ أَمَلٍ لتَحَقُّقِهَا يومًا ما؛ كذلك يوجد لدى الشَّـــبَاب العديدُ من المُعَوِّقَات والتَّحَدِّيَات الاجْتِمَاعِيَّة والثَّقَافِيَّة والاقْتِصَادِيَّة الأخرى والَّتِي تقف عائِقًا بين الشَّبَاب وبين تحقيقِ طموحه وآماله.

---

1. "شـــباب مُمَكَّن، مُســـتقبل مُستدَام"، اسْـــترَاتِيجِيَّة برنامج الأمم المُتَّحِدَة الإنمائيّ لِلْمُسَاوَاةِ بين الجنسين 2014-2017م، مرجع سابق.

المبحث الأَوَّل

البحث عن الهُوِيَّة

لا يوجد تعريفٌ مُحَدَّدٌ للهُويَّة؛ وذلك لأنَّ كُلّ شـخص يمكنه أن يُعرِّف الهُوِيَّة من وجْهَة نَظَرِه أو من رُؤْيَتِه الخَاصَّة؛ فالهُوِيَّةُ مصطلَحٌ فَضْفَاضٌ يتَّصف بأنَّه مفهوم أُنْطُولُوجِيّ(1) وُجُودِيّ وله صفة العُمُومِيَّة والتجريد.

والهُوِيَّة بمفهومها اللُّغَوِيّ تقابل كلمة "Identity" في اللُّغَة الإنجليزيَّة والفَرَنْسِيَّة(2)، وهـي تعني بالإنجليزيَّة الشَّيْءَ نفسه أو ماهيَّة الشَّيْءِ، وفي اللُّغَة الفَرَنْسِيَّة تعني المواصفات الَّتِي تجعل شخصًا ما معروفًا، وفي العَرَبِيَّة يقالُ: إنَّها تتكوَّن مِنْ "هو" -ضمير الغائب- و"الـ" أداة تعريف، وتنتهي بالياء المشدَّدة وتاء التأنيث(3).

الهُوِيَّة عند الإغريق هي المُوَاطَنَة في أثينا، والهُوِيَّة الفَرْدِيَّة تُنَاقِض هُوِيَّة الدَّوْلَة، وقد ناقَشَ أرسطو(4) الهُوِيَّة في قوانين الفِكْر الأَسَاسِيَّة، وفي الهُوِيَّة يقول أرسطو "الهُوِيَّة

1. **أُنْطُولُوجِي:** عِلْمُ الوجود، أحد الأفرع الأكثر أصالةً وأَهَمِّيَّة في المِيَتَافِيزِيقْيَا، يُدرَسُ هذا العلم في البحث في كشف طبيعة الوُجُود غير المادِّيّ في القضايا الميتافيزيقيَّة المُتَرَتِّبَة على التَّصَوُّرَات أو المفاهيم والقَوَانِينَ العِلْمِيَّة، مثل المادَّة والطَّاقَة والزَّمَان والمكان والكَمّ والكَيْف والعِلَّة والقانون والوجود الذِّهْنِيّ وغيرها الكينونة، ويُعْتَبَر بارمينيدس من أوائل الفلاسفة في التقليد اليونانيّ الَّذِينَ اقترحوا وصفًا أُنْطُولُوجِيًّا لطبيعة الوجود الأساسيَّة، للمزيد: للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابِط: https://cutt.us/r6Z32
2. **ترجمة ومعنى identity** في قاموس المعاني، قاموس عربي إنجليزي، للمزيد حول هذه الترجمة: قاموس المعاني، **مادة هُوِيَّة**، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/mowMw
3. الشريف، عبدالعزيز خالد. **الإعلام والتربية**، الأردن، عمان: دار يافا للنَّشْر والتوزيع،2014.
4. **أرسطو:** (322-384ق م)، فيلسوف يونانيّ، تلميذ أفلاطون ومُعَلِّم الإسكندر الأكبر، وواحدٌ من أهمّ مُؤَسِّسِيّ الفلسفة الغربيَّة، وكان أرسطو أوَّل فيلسوف قَامَ بتحليل العمليَّة الَّتِي بموجبها يمكن منطقيًّا استنتاج أَنَّ أيّ قضية من الممكن أن تكون صحيحة استنادًا إلى صِحَّة قضايا أخرى، جُمِعَتْ كلّ مُؤَلَّفات أرسطو في المنطق تحت اسم "الأورجانون". للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابِط: https://cutt.us/UCyNb

هي واحِدِيَّة الوُجُود ســـواءٌ أكان وجودًا لأكثَرَ مِن شيءٍ واحد أَمْ لشيءٍ واحد عندما يُعالَج على أنَّه شيءٌ واحدٌ في ذاته"(1)؛ فمن هذا التعريف يمكن القول بأنَّ الهُويَّة عند أرســـطو تُمَثِّل كينونة الشَّيْءِ، وَصِفَتَهُ اللَّازِمَةَ؛ أمَّا الهُويَّة عند الفارابي(2) فهي: "هُويَّة الشَّيْءِ وعينيَّتُهُ وتشـــخُّصُهُ وَخُصُوصِيَّتُهُ ووُجُودُهُ المُنْفَرِدُ له كُلٌّ واحدٌ، وهي إشارة إلى خصوصيّته وَوُجُودِهِ المُنْفَرِدِ له الَّذي لا يقع فيه اشتراكٌ"(3).

كما اســـتُخْدِمَ مفهوم الهُويَّة بِصِفَتِهِ مفهومًا مُستقلًّا بحَدّ ذاته للمَرَّة الأُولَى في القرن السَّـــابِع عشر، وأشارَ له مُعْجَمُ أكســـفورد في ذِكْرِ "الذَّات التَّنويريَّة"(4) وقد تناول ستيوارت هول(5) الحديث عن هذا مُرْجِعًا المفهوم إلى علاقته بالإنسان على أنَّه مَرْكَزٌ وَفَرْدٌ متكيِّفٌ بذاته، وذلك عن طريق امتلاكِهِ الْعَقَلَ والوَعْي والفِعْل، وبالتَّالي فالمركز الجوهريّ للذَّات هو الهُوِيَّة بالنِّسْبَة للإنسان(6).

وكتَبْسيطٍ لمفهوم الهُويَّة، يمكن القول بأنَّها إجابةٌ على السُّؤالِ "مَن أنت؟"، إلَّا أنَّ المقصود بالإجابة هنا ليس الاسم والمعلومات التعريفيَّة الأَسَاسِيَّة، بل المقصود مَن أنتَ مِن الدَّاخِلِ، بمعنـــى ما أنت عليه من مواقِفَ وآراءَ تِجَاه قضايا الحياة الرَّئِيسَـــة، فالهُوِيَّة هي ذاكَ الشَّيْءُ العميق والمعقَّدُ وغير المَلْمُوس، والمسؤول عن مَوَاقِفِي واتِّجَاهاتي وَمُيُولِي.

1. النَّشَّـــار، مصطفى. **"جَدَلُ الهُويَّة والاختلاف في الفلســـفة الْهِيلِينِيَّة"**. مؤمنون بلا حدود للدِّرَاسَـــات والأبحاث، 2 مايو 2016م، ص4، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/v4KTW
2. **الفارابيّ**: (950-874م)، أبو نصر محمد الفارابيّ، فيلســـوف وطبيب مســـلم، وُلِدَ في تركســـتان، اشتُهِرَ بإتقان العلومِ الحِكْمِيَّة وكانت له قُوَّة في صناعة الطِّبّ، تأثَّر به كُلٌّ من ابن ســـينا وابن رشـــد، سُـــمِّيَ الفارابي "المُعلِّم الثاني" نِسْـــبَةً للمُعلِّم الأَوَّل أرســـطو؛ وذلك بســـبب اهتمامه بِالْمَنْطِقِ؛ لأَنَّ الفارابي هو شارح مُؤَلَّفات أرسطو المنطقيَّة. للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/m8QYo
3. صليبا، جميل. **المعجم الفلسفيّ**. لبنان، بيروت: دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأُولَى، 1973م، الجزء الثاني، ص530.
4. Oxford Learners Dictionaries, **identity**, on site: https://cutt.us/qqEDx
5. **ســـتيوارت هال**: (2014-1932م)، عالمُ اجتماعٍ بريطانيّ، يُعْتَبَرُ مُنَظِّرًا ثقافيًّا وناشـــطًا سياسيًّا، وهو أحد مُؤَسِّسِيّ مدرسة «الدِّرَاسَات الثَّقَافِيَّة البريطانيَّة» أو «مدرسة برمنغهام للدِّراسات الثَّقَافِيَّة»، يُعتَبر هال أحد أنصار نظريَّة الاســـتقبال، وطوّر نَظَرِيَّتَهُ المُتَعَلِّقَة بالتَّشـــفير وفكّ التشفير، يُرَكِّز هذا النَّهْج المُتَّبَع إزاء تحليل المضمون على حدود التَّفَاوُضِ ومعارضة الجمهور. للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/yXQcN
6. زاهر، ضياء الدين. **اللُّغَة ومستقبل الهُوِيَّة**. مصر: مكتبة الإسكندريَّة، 2017م، ص27.

تَشَكُّل الهُوِيَّة

تتطوَّر الهُوِيَّة الخَاصَّة بالشَّـــخْص وتنمو من خلال التَّارِيخ الشَّخْصِيّ له، وكلّ ما تَلَقَّاهُ من تدريبات أسَاسِـــيَّة على ضَبْطِ السُّلُوك أو إشـــباع الحاجات، والَّتِي ترتبطُ بشَكْلٍ مُبَـــاشِرٍ بتَحَدِّيَات اللُّغَة والعادات والمعايـــير والأدوار في إطار المنظومة الثَّقَافِيَّة في المُجْتَمَع، وهذه المعايير غالبًا ما تَفْرِضُهَا المُؤَسَّسَـــات الاجْتِمَاعِيَّة على الفَرْد، ومِنْ ثَمَّ عليه أن يَجِدَ لها حلولًا بِالطُّرُق الإيجابيَّة.

وبِشَـــكْلٍ عَامّ تمُرّ الهُوِيَّة خلال تشـــكُّلها بعددٍ من الطُّقُوس الَّتِي تُقَدِّمُ مَنْظُورًا خاصًّا لتفحُّص تحوُّلات الهُوِيَّة خَاصَّةً أثناء مرحلة الْبُلُوغِ وما يحدث من تآلف ســـيكولوجيّ واجْتِمَاعِـــيّ، وتحتاج الهُوِيَّة أن يَعْرِف الشَّـــخْص "أَنَاهُ"؛ وذلـــك لكي يطوِّر مفهوم الـــذَّات لَدَيْه، كما يجب أيضًا أن يُـــدْرِكَ الواقع الاجْتِمَاعِيّ؛ لأنَّه يرتبط بِبرُوز الهُوِيَّة الاجْتِمَاعِيَّة، فالمُجْتَمَع أيضًا يُسْـــهِمُ في تطوير ونُمُوّ الْأَنَا، ويساعد الأفراد على إيجاد أَدْوَارِهِمُ المناســـبة داخل النِّظَامِ الثَّقَافِيّ؛ فالفَرْد يُوَاجِه المُجْتَمَع بكلّ ما فيه من قِيَمٍ متضادَّة، لأنَّ التأثيراتِ الاجْتِمَاعِيَّةَ ليســـت دائمًا نافِعَةً، والقِيَمُ الَّتِي يُؤَكِّدها المُجْتَمَع تختلف من ثقافةٍ لأخرى، فالثَّقَافَة الَّتِي تَشْهَدُ تَصَارُعًا تُؤَثِّر إلى مدًى بعيدٍ في ضَعْف تكوين الثَّقَافَة، على عَكْسِ الثَّقَافَة المُسْتَقِرَّة(1).

ولا يمكن تحديد عوامِلَ حَصْرِيَّةٍ وَمُطْلَقَةٍ تُسَـــاهِمُ في تشـــكيل الهُوِيَّة، فهذه العوامل تختلف من بيئةٍ لأخرى ومن ثقافة لأخرى، ولكنَّها بِشَـــكْلٍ عَامّ تَرْتَبِطُ بعوامِلَ رَئِيسَةٍ يمكن القول بأنَّها مُشْـــتَرَكَة بين مُخْتَلَف الثَّقَافَات والبيئات، كَطُرُقِ إِشْبَاعِ الحاجات، وآليَّة التَّعْبِير عن المُيُولِ والاتِّجَاهات، والعادات السَّـــائِدَة؛ فعلى سبيل المثال يمكن من خلال تتبُّع ومُرَاقَبَة السُّـــلُوك الفَرْدِيّ أو الجَمَاعِيّ لعَيِّنَةٍ ما، وملاحظة طُرُق إشباعِهم

1. حمود، فريال. "مســـتويات تَشَـــكُّل الهُوِيَّة الاجْتِمَاعِيَّة وعلاقتها بالمجالات الأساســـيَّة المُكَوِّنَة لها". مَجَلَّة جامعة دمشق، المجلد 27، 2011م، ص 564، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/8SDYf

لحاجاتهم الأَسَاسِيَّة والثانويَّة معرفة هُوِيّتهم بدرجةِ دِقَّةٍ مُرْتَفِعَة نِسْبِيًّا، وهذه الاختلافات في طُرُق الإشباع وَالمُيُولِ والاتِّجَاهات تظهر بِشَكْلٍ جَلِيّ بين أبناء الرِّيفِ وَالمُدُنِ، أو بين البَدَاوَةِ والمدنيَّةِ، وبين دُوَل العالَم المُتَقَدِّم ذي الصِّبْغَة التكنولوجيَّة، وبين دُوَل العَالَم الثَّالِث.

وهنا يجب التَّنْوِيه إلى أنَّ تَشَكُّل الهُوِيَّة لا يَرْتَبِطُ بمرحلةٍ عُمْرِيَّة دون غيرها، فهيَ تبدأ بالتَّشَكُّل ابتداءً من ظُهُور وَعْيِ الطِّفْل وانتهاءً بموت العجوز، إلَّا أنَّه يمكن القول بأنَّ هناك مراحلَ عُمْرِيَّةً مُحَدَّدَةً تلعب دورًا أكبرَ من باقي المراحل في تَشَكُّل الهُوِيَّة، فالمُرَاهَقَة هي أهَمّ مراحل تَشَكُّل الهُوِيَّة لدى الإنسان، وفيها تَتَبَلْوَر الخصائص الرَّئِيسَة لهُوِيَّة الفَرْد، ومهما تعرَّضَت لظروفٍ اجْتِمَاعِيَّة وثقافيَّة ومَهْمَا أثَّرت بها المُيُول والاتِّجَاهات فإنَّها لن تَحِيد عن المسار الرَّئِيسِ الَّذِي تَمَّ رَسْمه في المُرَاهَقَة، ولكن يمكن في المراحل العُمْرِيَّة اللَّاحقة شَحْذُ هذه الهُوِيَّة وَتَشْذِيبُهَا، ولكنْ من الصُّعوبة بمكان تغييرها كُلِّيًّا. لذلك تُعْتَبَر مرحلة الشَّبَاب الأخطر والأهَمّ فيما يَخُصّ تَشَكُّل الهُوِيَّة، كَوْنَ الشَّبَاب كَمَرْحَلَةٍ عُمْرِيَّة يبدأ منذ بداية المُرَاهَقَة، وكما أسلفنا فإنَّ تغيير الهُوِيَّة في المراحل العُمْرِيَّة اللَّاحِقَة صَعْبٌ للغاية ويكاد يقترب من الاستحالة، لذلك يجب الحَذَر من أنْ تُبْنَى هُوِيَّة الشَّبَاب في ظِلّ عواملَ داخليَّةٍ وخارجيَّةٍ تقود لهُوِيَّةٍ ضعيفة، فالبيئة الاجْتِمَاعِيَّة المُشْبَعَة بالخلافات الأُسَرِيَّة والتَّمَايُزَات الطَّبَقِيَّة، والبيئة السِّيَاسِيَّة الغَنِيَّة بالنِّزَاعَات والتَّوَتُّرَات، لن تقود الشَّبَاب إلَّا لبناء هُوِيَّة مُزَعْزَعَة؛ هُوِيَّة قد تقوم على جَلْد الذَّات، وإطالة اللَّوْم على النَّفْس، أو غيرها من أنماط الهُوِيَّة السَّلْبِيَّة.

أزمة الهُوِيَّة

يرتبط مصطلح أزمة الهُوِيَّة بفترة المُرَاهَقَة، أيْ ببداية الشَّبَاب، فخلال فترة المُرَاهَقَة يتعرَّض جِسْم الشَّابّ لتغيُّرات جَسَدِيَّة وَهُرْمُونِيَّة وشَكليَّة، إضافةً لتغيُّرات نفسيَّة وعَاطِفِيَّة، بحيث لا تَقْدِر الخِبْرَة الشَّخْصِيَّة الموروثة من الطُّفُولة على التَّعَامُل مع تغييرات جذريَّة هكذا، وخَاصَّةً في ظِلّ نَزْعَةِ المُرَاهِق للاسْتِقْلَالِيَّة والحصول على قَبُولِ الرَّاشِدِينَ، فأزمة الهُوِيَّة هي مفهومٌ اجْتِمَاعِيّ يعني تحقيق الأفراد وخَاصَّةً

المُرَاهِقِينَ لأهدافهم بِشَـــكْلٍ عَامّ؛ وذلك من أجل التَّطَوُّر؛ حيث ينشـــغلون بتشـــكيل أهدافهم الشَّخْصِيَّة والقِيَم الخَاصَّة بهم ويُطوِّرون لديهم مفهوم الاسْتِقْلَالِيَّة، كذلك يعملون على اكتشاف قُدُرَاتهم وإرادتهم من أجل اختيار وتوجيه مستقبلهم.

وَيُعْتَبَرُ أريكســـون(1) أَوَّلَ من أطْلَقَ مصطلح أزمة الهُوِيَّة على ظاهرة التَّحَوُّل النَّفْسيّ عنـــد المُرَاهِقِينَ، واعتبرها مرحلة تَحَوُّل وعلامة انتقال من الطُّفُولَة للرَّشَـــاد، تتميَّز بوُجُود قَلَقٍ وصِرَاعَات لدى المُرَاهِقِينَ تتعلَّق بالاسْـــتِقْلَالِيَّة والتَّفَرُّد(2)، فأزمة الهُوِيَّة لا تَعْنِي أزمةً بالمعنى الْحَرْفِيِّ للكلمة، بل هي مرحلة طَبِيعِيَّة يَمُرُّ بها جميع المُرَاهِقِينَ، وهي ضَرُورِيَّةٌ لِلْمُرَاهِقِ وخَاصَّةً أنَّ المُرَاهَقَة هي بداية الشَّبَاب، فهذه الأزمة ضَرُورِيَّة للمُرَاهِق لحَسْـــم الجَدَل والصِّرَاع الدَّاخِـــلِيّ الَّذي يَعْتَمِلُ في ذاته حول قضايا الأُلْفَة والمَـــوَدَّة، والعلاقة مع الأُسْرَة والدَّوْر المُنَاط بالمُرَاهِـــق في ظلّها، وقضايا العلاقات الاجْتِمَاعِيَّة والمستقبل المِهَنِيّ، وغيرها من القضايا.

ويرتَبِطُ حَلّ أزمة الهُوِيَّة بِقُدْرَةِ ونجاحِ المُرَاهِق في إيجاد إجابات مُرْضِيَة ومُقْنِعَة على تَسَاؤُلَاتِهِ حول ذاته، ففي حال النَّجَاح يكون المُرَاهِق أو الشَّابّ قد بدأ بتطوير هُوِيّته الذَّاتيَّة، أمَّا في حال فشـــله فإنَّه يَدْخُلُ في دَوَّامَة من الارتباك حَوْل دَوْره الاجْتِمَاعِيّ وحَوْل علاقاته بمحيطه، كما يُصِيبـــه التَّوَتُّر ويكْتَنِف تَفْكِيرَهُ الْغُمُوضُ، وخَاصَّةً فيما يَتَعَلَّق بذاته ومســـتقبله؛ وهنا يجب التَّنْوِيـــه إلى أنَّ حَلّ أزمة الهُوِيَّة لا يترافق بنقطةٍ زمنيَّـــة مُحَدَّدَة ولا بحَدَثٍ بِعَيْنِه، فمنذ بداية المُرَاهَقَة تظهر هذه الأزمة، وتبدأ بالنُّمُوّ

1. **أَرِيك إِرِيكْسُـــون:** (1994-1902م)، عالِمُ نَفْس ومُحَلِّل نَفْسِيّ دَنمَارْكِي-أَلْمَانِيّ-أَمْرِيكِيّ معروف بِنَظَرِيَّته في التَّطَوُّر الاجْتِمَاعِيّ للإنسان، وركَّز على العوامل الحضاريَّة والثَّقَافِيَّة أكثر من البَيُولُوجِيَّة، وُصِفَ بأَنَّه "عالِمُ نَفْسِ الأنا، إريكسون له الْفَضْلُ أيضًا كمُنْشِئ لِعِلْم نَفْسِ الأنا، الَّذِي شدَّد على دور الأنا بأَنَّها أكثر من خَادِمٍ لِلهُوَ وباحثٌ لدراسة مراحل النُّمُوّ الَّذِي يمتدّ العمر كُلَّه، وقد اشْتُهِرَ بسبب ابتكاره لمفهوم أزمة الهُوِيَّة، للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابِط: https://cutt.us/nfcmr
2. حمود، فريال. **"مســـتويات تَشَـــكُّلِ الهُوِيَّة الاجْتِمَاعِيَّة وعلاقتها بالمجالات الأساسيَّة المُكَوِّنَة لها"**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، 2011م، ص 564، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/8SDYf

والتَّطَوُّر والتَّعَقُّد حتَّى تصل إلى ذُرْوتها، وبعدها تبدأ بالحَلّ، وهذا الحَلّ قد يستمرّ سنوات، ولا يمكن تأطيره وتحديد بدايته ونهايته بدِقَّة.

إنَّ تَطَوُّر الهُوِيَّة يُوَاكِب التَّطَوُّر المَعْرِفيّ للمُرَاهِق، وخَاصَّةً أنَّ التَّطَوُّر المعْرِفيّ يساعد المُرَاهِق على تطويرِ حلولٍ للمشاكل الَّتِي يواجهها، ومن ثَمَّ تجربة هذه الحلول والمُفَاضَلَة بينها، وهذه المقارَنَةُ والمُحَاكَمَة الَّتِي يُخْضِعها عَقْلُ المُرَاهِق للمُفَاضَلَة تلعب دورًا مباشِرًا في إنجاز الهُوِيَّة وتطويرها، وهنا يمكن للبيئة المحيطة الصُّغْرَى والكبرى لَعِبُ دَوْرٍ مُهِمّ في تشكيل الهُوِيَّة وإنهاء أَزْمَتِهَا، كما يمكن أن تُعَقِّدهَا.

وعمومًا تُوصَف أزمة الهُوِيَّة من الأزمات الَّتِي تَطَال الشَّبَاب؛ كَوْنَ الشَّبَاب كمرحلة عُمْرِيَّة يبدأ مع المُرَاهَقَة، وفي حال انتهت أزمة هُوِيَّة الشَّبَاب بتشكيل هُوِيَّة مُتَوَازِنَة ومُتَنَاسِبَة مع ذات الشَّابّ وشَخْصِيّته يمكن القول حينها بأنَّ هذه الهُوِيَّة تُعِين الشَّابّ على أن يكُونَ فَاعِلًا في بيئته ومُجْتَمَعه، والعَكْسُ صحيح.

وفيما يَخُصّ الشَّبَاب العَرَبِيّ، نُلاحظ أنَّ الفترة العُمْرِيَّة الَّتِي تَتَشَكَّلُ وَتَتَبَلْوَرُ بها هُوِيَّة هذا الشَّبَاب لَيْسَتْ بأفضلِ حالاتها، لا اجْتِمَاعِيًّا ولا ثقافيًّا ولا اقْتِصَادِيًّا أو حتَّى سياسيًّا، فبيئة الصِّرَاع الَّتِي تَتَغَلْغَلُ في الوطن العَرَبِيّ من شرقِهِ إلى غربه، ومع ما تُسَبِّبه من أزماتٍ سِيَاسِيَّة، لا تُهَيِّئ الظُّرُوف المُنَاسِبَة لتشكيل هُوِيَّة الشَّابّ العَرَبِيّ، وحتى الظُّرُوف الاقْتِصَادِيَّة تُشَكِّل عائقًا، والعوامِل الثَّقَافِيَّة قد تزيد التَّوَتُّرَ والارتباكَ الَّذِي يعاني الشَّابّ منهما خلال أزمة الهُوِيَّة، وخَاصَّةً مع عدم ظُهُور الثَّقَافَة العَرَبِيَّة كثقافةٍ مُسْتَقِلَّة ومُنَافِسَة للثقافات الغَرْبِيَّة السَّائِدَة، ممَّا أدَّى لتَرَاجُع دَوْر الثَّقَافَة العَرَبِيَّة والإسلاميَّة في تشكيل هُوِيَّة الشَّبَاب العَرَبِيّ، على حساب الثَّقَافَات الغَرْبِيَّة، وبالتَّالِي عدم تَنَاغُم هُوِيَّة الشَّابّ مع بيئته الثَّقَافِيَّة والحضاريَّة، وبالتَّالِي يزداد الشَّرْخ ما بين الشَّبَاب وواقعهم، وَيَنْتُجُ ما يمكن تسميتُه بالاغتراب الثَّقَافِيّ والحَضَارِيّ، الَّذِي يُهَدِّد انتماءَ الشَّابّ وإيمانَه بهذا الانتماء.

على الرَّغْم من كَوْن الهُوِيَّة مفهومًا غَيْرَ ملموسٍ ولا تَظْهر تأثيراته بشَكْلٍ مُبَاشِرٍ دائمًا، إلَّا أنَّه يُعْتَبر المُحَرِّك الأساس لغَالِبِيَّة الشَّبَاب، وعادةً ما يَتِمّ مُخَاطَبَة الشَّبَاب بأسلوبٍ يَتَقَاطَعُ مع هُوِيّتهم لكي يضمن تجاوبهم، وهنا قد يَتِمّ مُخَاطَبَة مُجْتَمَع الشَّبَاب وَفْق

مُعْطَيَــــات الحالَةَ المَطْلُوب منهم اتِّخاذُ مَوْقِف تِجَاهها، فعلى ســــبيل المثال في القضايا الاجْتِمَاعِيَّة يَتِمّ الطَّرْح بأسلوب يُدَغْدِغ الهُوِيَّة الاجْتِمَاعِيَّة للشَّبَاب، وهكذا بالنِّسْبَة للهُوِيَّة العِرْقِيَّة والدِّينِيَّة والسِّيَاسِيَّة، وَلَكِنَّنَا هنا وبالتَّأْكِيد لا نقصدُ أنَّ الهُوِيَّة يمكن تجزئتها أبدًا، فالهُوِيَّة كيانٌ واحدٌ بدون أدنى شَكّ، إلَّا أنَّها مزيجٌ مُتَجَانِس من هذه العوامل السِّيَاسِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والدِّينِيَّة والعِرْقِيَّة، والَّتِي تعمل مُجْتَمِعَةً على تشكيل هُوِيَّة الشَّابّ.

إنَّ هُوِيَّة الشَّبَاب كانت مَحَطّ اهتمام السَّاسَةِ وقَادَةِ الرَّأْي في المُجْتَمَعَات والباحثين في الجامعــــات والمعاهد، كُلُّ هؤلاء اهتمُّوا بالهُوِيَّة كَوْنَهَا المَدْخَلَ الحقيقيَّ للتَّعَامُل مع الشَّبَاب، وفي حال فَهْم هُوِيَّة الشَّبَاب فهمًا تامًّا يمكن التَّعَامُل معهم وتوجيههم بنجاحٍ تــــامّ، وهنا لا نقصد التَّوْجِيه الإيجابيّ فقط، فقد يُسْــــتَثْمَرُ مفهومُ الهُوِيَّة في قضايا سَــــلْبِيَّة، وقد يُحَقِّق نجاحًا، فتَعَامُل ألمانيا النَّازِيَّة مع الشَّــــبَاب الأَلْمَانيّ كان من بَوَّابَة الهُوِيَّــــة العِرْقِيَّة، وهو ما حَضَّ الشَّــــبَاب الألمانيّ على الانخراط وبحماسٍ في حروب هتلــــر(1)، ويمكن عَدّ "يوزف غوبلز"(2) وزير الدَّعَايَــــة في حكومة هتلر من أفضل السِّيَاسِــــيِّينَ الَّذِينَ تَمَكَّنُوا من اســــتثمار الهُوِيَّة وأزمة الهُوِيَّة لدى الشَّبَاب لتحقيق أَجِنْدَاتٍ سِيَاسِيَّة وعســــكريَّة مُحَدَّدَة، وذلك من خلال استغلال أزمة الهُوِيَّة العِرْقِيَّة والَّتِي حاول هتلر إِذْكاءَها من خلال إحياء العِرْق الآريّ الألمانيّ.

---

1. **أدولف هتلر:** (1945-1889م)، سياسيّ ألمانيّ نازيّ، وُلِدَ في النمسا، زعيم ومُؤَسِّس حزب العُمَّال الألمانيّ الاشتراكيّ الوطنيّ والمعروف باسم الحزب النَّازي. حَكَمَ ألمانيا في الفترة ما بين عامي 1933 و1945م؛ حيث شغَلَ مَنْصِبَ مستشار الدَّولة، وانتهج سياسةً خارجيَّة لها هَدَف مُعْلَن وهو الاستيلاء على ما أسماه بالمجال الحيويّ، ويقْصد به السَّــيْطَرة على مناطق مُعَيَّنَة لتأمين الوجود لألمانيا النَّازية، وضمان رخائها الاقتِصَاديّ، وتَمَكَّن هتلر من خلال الحرب العَالَمِيَّة الثانية الَّتِي أَشْعَلَهَا عام 1939م من احتلال معظم أوروبا وشــمال إفريقيًّا وَثُلُثَ مســاحة الاتِّحاد الســوفييتي، إلَّا أنَّه هُزِمَ في النِّهاية وَانْتَحَرَ عام 1945م، للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/wT2yx
2. **يوزف غوبلز:** (1945-1897م)، سياسيٌّ نازيّ ألمانيّ ووزير الدَّعَاية في ألمانيا النَّازية من عام 1933م إلى عام 1945م. كان أحد أَقْرَبِ شُرَكاء الزَّعِيم النَّازيّ أدولف هتلر وأكثرهم تَفَانِيًا، وكان معروفًا بمهاراته في التَّحَــدُّث أمــام الجمهور ومعاداته الصَّرِيحة لليهود، والَّتِي كانــت واضحةً في وِجْهَات نَظَرِه العلنيَّة، دافَــع تدريجيًّــا عن عمليَّات التمييز الأكثر قَسْــوَةً، بما في ذلك إبادة اليهــود في المَحرقة، للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابِط: https://cutt.us/Hdsct

تصنيفات الهُوِيَّة

هنـــاك تصنيفات قدَّمها المُفكِّرون لمفهـــوم الهُويَّة؛ وذلك من أجل الوصول إلى فَهْمٍ أَفْضَـــلَ لهذا المُصْطَلَح، وهذه التصنيفات تُوضِّح مـــا إذا كان هناك هُوِيَّة موحَّدة أو هُوِيَّات مُتَعَدِّدَة.

- **التصنيف الأَوَّل: هُوِيَّة إيجابيَّة / سلبيَّة:**

وفي هذه الحالة يكون تمثُّل الفَرْد لنفسه والخصائص الَّتِي يتمتَّع بها إمَّا سلبيًّا أو إيجابيًّا، وهذه العَمَليَّة تُعَدُّ عَمَلِيَّة إدراكيَّة لِمَا يَنْتَظِرُهُ الآخرون من الفَرْد.
والهُويَّـــة الإيجابيَّة تُعَبِّرُ عن إحســـاس الفَرْد بامتلاك عـــددٍ من الصِّفَات الَّتِي تســـاعده في التأثير فيمن حوله سَوَاءٌ بالقول أو بالسُّلُوك، وكذلك إدارة محيطه، وغالبًـــا ما يَنْتُج هذا التمثُّـــل الإيجابيّ بناءً على المقارَنَة الَّتِي يقوم بها الفَرْد بين شَخْصِهِ وباقي الأفراد المحيطين به. أمَّا الهُوِيَّة السَّلْبِيَّة فهي تُمَثِّل السِّمَات السَّلْبِيَّة الَّتِي يحملها الفَرْد حول نفســـه، والَّتِي تَنْتُج من خلال تفاعله مع الآخرين، وغالبًا ما يشعر الشَّـــخْص بالهُوِيَّة السَّلْبِيَّة والَّتِي تَنْتُج عن إحساس الفَرْد بعدم التقدير من طرف الآخرين، والنتائج غير المرغوبة الَّتِي تَنْتُج عن هذه التفاعلات، وغالبًا ما يُكَوِّن الفَرْد هذه النَّظْرَةَ عن نفسه بناءً على استجابات الآخرين لما يقوم به.

- **التصنيف الثاني: هُوِيَّة مفتوحة / مُغْلَقَة**

الهُوِيَّة المُغْلَقَة هي الَّتِي يعتمد أصحابها على تمثُّلات واحدة يحملونها عن أنفسهم، فالهُوِيَّة لديهم هي ما يريدون أن يُعْرَفُوا من خلالها بخصائص مُعيَّنَة يُحَدِّدُونهَا هم لأنفسهم، أمَّا الهُوِيَّة المفتوحة فهي ما يتمّ بِنَاؤُهُ وَفْقًا لتمثُّلات مُتَعَدِّدَة ومختلفة يَحْمِلُهَا الفَرْد حول نفسه، وكذلك يَحْمِلُهَا الآخرون عنه(1).

1. أمينة، كاري نادية. **"العامِل الْجَزَائِرِيّ بين الهُوِيَّة المهنَيَّة وثقافة المجتمع"**. كُلِّيَّة العلوم الإنسانيَّة والعلوم الاجْتِمَاعِيَّة، جامعة أبو بكر بالقيد، الجزائر، 2012م، ص 48 إلى 50

المبحث الثَّاني

بناء الذَّات

منذ لحظة ولادة كُلّ إنســـان تبدأ عَمَلِيَّة التَّنْمِيَة الذَّاتية وبناء الذَّات، فالطِّفْل في بداية عُمْرِه لا يعرف طريقة جلوسه أو كلامه أو أداء أيّ نشاط من الأنشطة، ولكِنَّه يبدأ في التَّعَلُّم بِشَـــكْل تدريجيّ وتصاعديّ، وَيَجِدُ نفسه دائمًا في حاجةٍ واضحة للتَّطَوُّر وتنمية ذاته كُلَّمَا كَبُرَ.

وَيَرْغَبُ الإنســـان وبشـــكلٍ فطريّ في بناء ذاته بحيث تكون مَثَـــارَ رضًا من النَّفْس وقَبُولٍ واحترامٍ من الآخرين، واهتمامُ الإنســـان بِشَـــكْلٍ عَامّ والشَّبَاب بِشَكْلٍ خاصّ بقَضِيَّة الذَّات وبنَائِهَا وتطويرها ليس عبثيًّا ولا محكومًا بالصُّدَف والاحتمالات، بل هو نتيجةٌ منطقيَّة لإشـــباع الحاجات الإنْسَانِيَّة، وتُعْتَبَر الحاجة لتحقيق الذَّات من أسمى الحاجات الإنْسَانِيَّة على الإطلاق وَفْق هَرَمِ ماسلو(1)(2)، فحاجةُ تحقيق الذَّات تتربَّع على ذُرْوَة الهَرَم، وهذا إنْ دلَّ على شيءٍ فهو يَدُلّ على أهَمِّيَّة هذه الحاجة بالنِّسْـــبَة للإنســـان بِشَكْلٍ عَامّ، وللشَّبَاب بِشَكْلٍ خاصّ؛ كَوْن الشَّبَاب في مقتبل عمرهم، وقَضِيَّةُ إثبات وتحقيق الذَّات تُعْتَبَرَ ذات أَهَمِّيَّة بالغة لهؤلاء الشَّـــبَاب؛ كَوْنَهُمْ بحاجة لبراهين ولأدِلَّة لأنفسهم وللآخرين بأنَّهم قَادِرُونَ على تحمُّل المسؤوليَّة وبأنَّهم بإمكانهم صَبْغُ أفعالهم وسلوكهم بصبغة شَخْصِيَّة تَدُلّ على ذاتهم.

---

1. **هَرَمُ ماســـلو للاحتياجات الإنســـانيَّة:** نظريَّة ســـيكولوجيَّة صمّمها ابراهام ماسلو، وانتشرت لِأَوَّلِ مَرَّة في سنة 1943م بعنوان "نظريَّة تحفيز الإنسان" أو "نظريَّة الدَّوَافع الإنسانيَّة"، وطَوَّر نَظَرِيَّتَهُ في وقتٍ لاحقٍ لِتَخْرُجَ بشكلها النهائيّ عام 1954م، فوَفْق هذا الهَرَم قام ماسلو بتقسيم الحاجات الإنسانيَّة إلى مجموعاتٍ مُتَعَاقِبَة، تبدأ بالحاجات الفيزيولوجيَّة وتنتهي بحاجة تحقيق الذَّات، ولا يتمّ الانتقال من حاجةٍ لأخرى قبل إشباع الحاجة الأُولَى، للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/zvdPO
2. **إبراهـــام ماســـلو** (1908-1970م) عَالِـمُ نَفْسٍ أمريكيّ، وُلِدَ في بروكلين، نيويـــورك. أَبَوَاهُ مهاجران من روسيا. اشْتُهِرَ بنَظَرِيَّتِه "تدرُّج الحاجات"، حصل علَى بكالوريوس في عِلْمِ النَّفْس (1930م)، وحصل علَى الماجســـتير فِي عِلْمِ النَّفْس عام (1931م)، ودكتوراه فِي الفلســـفة عام (1934م). وَهُوَ يُعَدُّ أحد مؤسِّـــسي معهد آيسالن فِي كاليفورنيا. للمزيد يُنْظَر الرَّابط: https://cutt.us/wVpcG

إنَّ بنــاءَ وتحقيقَ الذَّات حاجةٌ دَائِمَةٌ ومُتَجَــدِّدَة، فلا يمكن التوقُّع بأنَّ هذه الحاجة من الممكن أن تصل لحَدّ الاكتفاء والإشــباع، وحتَّى لو وصلت للإشباع فهو إشباعٌ آنيّ ومَرْحَلِيّ، لا بُدَّ أن تعود هذه الحاجة لِلنَّقْصِ ومحاولة الإشباع، ووَفْق هذا المعيار تتقاطع حاجَةُ تحقيق الذَّات مع باقي الحاجات من فيزيولوجيَّة وحاجات الأمن والاســتقرار وغيرها، فالإنســان قد يصل إلى مرحلة إشباع حاجَةِ الأكل والشُّرب، وبالتَّأْكِيد فهذا الإشباع آنِيٌّ، فريثما تعود هذه الحاجة للافتقار ويبدأ الفَرْد بإشباعها من جديد.

وقد يَقِلّ دافع الفَرْد للتطوُّر وبناء الذَّات، وهو ما يجعله لا ينمو بِالشَّكْلِ السَّلِيمِ، ولكيْ يَصِــلَ الفَرْد إلى مرحلة بناء وتطوُّر الذَّات عليه أن يدرك أنَّ أمامه الكثير لكي يتعلَّمه وَيَفْهَمَهُ عن نفسه بواسطة نفسه ومن أجل صالحه هو، وبالتَّالي عليه أَنْ يَبْذُلَ الكثير من الجهود من أجل أن يَصِلَ إلى قَدْره في النُّمُوّ التَّطَوُّر وبناء الذَّات.

الشَّبَاب وتحقيق الذَّات

يُعْتَبر تحقيق الذَّات هاجسًــا لجميع الشَّبَاب، وتبدأ هذه الحاجة في الظُّهور في بداية مرحلة الشَّــبَاب، عندما يكون الفَرْد قد ودَّع طفولتــه، وبدأ ينظر للحياة وقضاياها من منظورٍ آخَرَ جديد، ويكون قد بدأ الدُّخُول في شــبكةِ علاقاتٍ واسعةٍ تختلف كُلِّيًّا عن تلك الَّتِي صاحَبَتْهُ في سِــنِيّ طفولَتِهِ، كُلّ هذه التغيُّرات النَّفْسيَّة والسُّلُوكيَّة تعمَلُ مُجْتَمِعَــةً لتحقيقِ هدفٍ واحدٍ، هو تحقيــق الذَّات، أو بناء الذَّات، وتزداد أهَمِّيَّة هذا المفهوم بالنِّسْبَة للشَّبَاب؛ كَوْن تَحْقِيقِهِ يُعبِّر عن شُعُور الشَّابّ بقيمته وقُدُرَاته، إضافةً إلى أنَّ تحقيــق الذَّات وبِنَاءَهَا يرتبِطُ بالهُوِيَّــة وبأزمتها والَّتِي تكون في ذُرْوتها في فترة المُرَاهَقَة وبداية الشَّبَاب.

وبِشَــكْلٍ عَامّ، يرتبط مفهوم بناء الذَّات وتحقيقها بمفاهِيمَ أخرى منها مفهومُ الهُوِيَّة وأزمتها ومفهوم الثِّقَــة بالنَّفْس، ويتأثَّر مفهوم بناء الذَّات بهذه المفاهيم ويُؤَثِّر بها، بمعنــى إمكانيَّة وَصْفِ العلاقة بين هذه المفاهيــم بالتبادليَّة، وإن كان فيما يخصّ مفهــوم الثِّقَة بالنَّفْس، يميل الأخصائيُّون والخبراء لاعتبار الثِّقَة بالنَّفْس مَدْخلًا لبناء

الذَّات وليس العكس(1)، ويطمح الشَّــبَاب من خلال بناء الذَّات إلى زيادة القدرة على التَّحَكُّم بالنَّفْس والسَّيْطَرَة على الانفعالات والعواطف وجَعْل القرارات مائلةً لِأَنْ تكون عقلانيَّةً أكثرَ منها عَاطِفيَّةً.

وتُعَــدّ البيئة المُحِيطَةُ مُهِمَّةً للغاية في تمكين الشَّــابّ من بناء وتحقيق ذاته، وخَاصَّةً الأُسْرَة، من خلال قُدْرَةِ الأهل في تعزيز إدراك الشَّبَاب لذواتهم وخَاصَّةً في المراحل الأُولَى من الشَّــبَاب، وعن طريق مُســاعَدَة الشَّبَاب على وَضْع أهدافٍ مرحليَّة قابلةٍ للتحقيق بحيث يزيد تحقيقها من ثِقَةِ الشَّــابّ بنفسه، وبالتَّالي تحقيقه لذاته، وبنفس الوقت يُبْعِدُ الأَهْلُ الشَّابَّ عن الأهداف غير القابلة للتحقيق، أو لا تتناسب مع قُدُرَاته؛ كَوْن الْفَشَلِ فيها سينعكس ضَعْفًا في الثِّقَة بالنَّفْس وبالتَّالي تراجعًا في بناء الذَّات.

وهنا لا بُدَّ من الإشــارة إلى أنَّ حاجة تحقيق الذَّات وبنائها هي حاجة مُلِحَّة وليســت كمَاليَّة، وخَاصَّةً بالنِّسْــبَة للشَّبَاب، ويجب الانتباه إلى أنَّ فَشَلَ الشَّابّ في تحقيق ذاته قد يقوده للانطوائيَّة ويُسَــبِّب له ضَعْفًا في ثِقَتِه بنفســه؛ فالشَّــابّ عندما يَفْشَلُ في تحقيق ذاته بالطُّرُق المشروعة والمألوفة قد يلجأ لذلك بطُرُقٍ ووســائِلَ شاذَّةٍ، كاللُّجُوء إلى الاحتيال والسَّرِقَة وغيرها من السُّــلُوكيّات الشَّاذَّة، كما أَنَّ ضَعْف احترام الذَّات وتقديرها يقود الشَّابّ إلى عدم القدرة على تنمية مواهبه، والاستفادة من نقاط القُوَّة لديه(2)، وهذا تَتَبَيَّنُ وبشكلٍ جليّ وواضح أهَمِّيَّةُ بناءِ الذَّات بالنِّسْبَة للشَّبَاب، وضرورة تقديم البيئات المحيطة الصغرى والكبرى المساعدة للشَّبَاب في هذا الأمر.

الثِّقَة بالنَّفْس وعلاقتها ببناء الذَّات

إنَّ بناء الذَّات لا يمكن أن يَتِمّ بشكله السَّلِيم والصحيح ما لم يكن في ظِلّ ثقَةٍ بالنَّفْس ترعاهُ وَتُهَيِّئُ له سُبُل التَّمْكِين، والثِّقَةُ بالنَّفْس تُمَثِّل قُدْرَة الشَّابّ على اتِّخاذ القرارات

1. شاهين، أسامة. **الثِّقَة بالنَّفْسِ وتطوير الذَّات. مصر**، القاهرة: شمس للنشر والإعلام، الطبعة الأُولَى، 2018م، ص53.
2. عبيدات، لارا. "**تطوير الذَّات وبناء الشَّــخصيَّة**"، موقع موضوع، 28 مارس 2018م، تاريخ الزيارة 26 أبريل 2020م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/pSSUy

دُونَ خَـــوْف أو تَرَدُّد، ولعلَّ فُقْدَان الثِّقَة بالنَّفْس مـــن أكثر التَّحَدِّيَات الَّتِي يواجهها الشَّبَاب العَرَبِيّ خلال عَمَلِيَّة بناء الذَّات، وذلك لأسباب عِدَّة، **سنُجملها فيما يأتي:**

- **تحميل الشَّـــبَاب مســـؤوليَّاتٍ لا تتناسب مع قُدُرَاتهم الجَسَـــدِيَّة والإدراكيَّة،** ومُطالَبَتُهُمْ بواجباتٍ لا تتناســـب مع مراحلهم العُمْرِيَّة، وخَاصَّةً في ظِلّ الأوضاع الاقْتِصَادِيَّة المترديّة في العالَم العَرَبِيّ، فالعديد من الشَّـــبَاب يكونون مسؤولين عن إعالَةِ أنفسهم وأُسَرهم، ولا ينجح الشَّبَاب دائمًا في هذه الواجبات مِمَّا ينعكس ضَعْفًا في الشَّخْصِيَّة لديهم نتيجةَ الْفَشَلِ المُتَكَرِّر وخَاصَّةً فيما يَتَعَلَّق بالبحث عن العَمَـــل، ويمكن ملاحظة هذه النُّقْطَة في حالات الانتحـــار المتزايدة في العالَمِ العَرَبِيّ والَّتِي قدَّمنا نماذِجَ منها في الفَصْل السَّابق.
- **حِرْص الأهل على اتِّخاذ جميع القرارات نيابةً عن أبنائهم الشَّـــبَاب،** وَإِلْزَامُهُمْ بها، دون السَّـــماحِ لهم بالمُشَـــارَكَة أو إبداء الرَّأي أو الاعتراض، وهذا التَّهْمِيش يُفْضِي في النِّهَايَةِ إلى ضَعْفٍ في شَخْصِيَّة الشَّابّ، وَلَعَلَّ هذه القَضِيَّة تُمَثِّل إحدى التَّحَدِّيَات المُرْتَبِطة بالثَّقَافَة الاجْتِمَاعِيَّة للمُجْتَمَع العَرَبِيّ.

ويمكن **تقسيم الثِّقَة بالنَّفْس إلى نوعيْن مُتمايزيْن**، يختلفان عن بعضهما البعض تَبَعًا للظُّروف المحيطة بالشَّـــابّ، وَتَبَعًا لهُوِيَّة الشَّابّ نفسه، بمعنى أنَّ الثِّقَة بالنَّفْس تختلف باختلاف الهُوِيَّة وباختلاف البيئـــة، وكمثالٍ لتأثير البيئة المحيطة على الثِّقَة بالنَّفْس يمكن ملاحظة أنَّ الشَّبَاب الَّذِي يَحْيَا في بيئة تَكْتَنِفُهَا الصِّرَاعات والتَّوَتُّرات السِّيَاسِيَّة وانعـــدام الأمن يتمتَّع بثقة بالنَّفْس مُنْخَفِضَةً نِسْـــبِيًّا، وهذا حـــال غَالِبِيَّة المُجْتَمَعَات العَرَبِيَّة، وخَاصَّةً أَنَّهُ في ظِلّ بيئة هكذا يكون إنجاز الشَّـــبَاب شِـــبْهَ معدوم، وبالتَّالي ينعكس وبِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ ضَعْفًا في ثقته بنفسه؛ **وفيما يلي تبيان لِنَوْعَي الثِّقَة بالنَّفْس.**

- **الثِّقَة المُطْلَقَة بالنَّفْس:** وفي هذا النَّوْعِ يكون الشَّابّ قادرًا على مواجهة مُخْتَلَف المواقِفِ الَّتِي قد يصادفها، ولو لَمْ يكن له خبرة مُسْـــبَقَةٌ في التَّعَامُلِ مع بعضها، ولـــو كانت نتيجةُ تَعَامُلِهِ مع هذه المواقف غَـــيْرَ ناجحة فإنَّ النتيجة لن تنعكس بالضَّرُورة ســـلبًا على ثقته بنفسه؛ ويَتِمّ بناء هذه الثِّقَة بالنَّفْس من خلال تشجيع

الأهل، أو من خلال البيئة المحيطة وعاداتها وتقاليدها، فعلى سبيل المثال يَتَمَيَّز شباب البيئات الفلاحيَّة وبيئة البَدَاوَةِ بثقَةٍ بالنَّفْس تزيد عن أَقْرَانِهِمْ في البيئات الحضريَّة؛ كَوْنَهُمْ في هذه البيئات يشجَّعُون على تَوَلِّي شؤونهم بأنفسهم بدءًا من مرحلة البلوغ.

- **الثِّقَة المُقَيِّدَة بالنَّفْس:** وفي هذا النَّمط يتمتَّع الشَّابّ بثقةٍ بنفسه في مواقِفَ مُحَدَّدَة يكون ذا خِبْرَة مُسْبَقَة بها، ولذلك يُسَمَّى هذا النَّمَط بالمقيَّد، أمَّا في المواقِفِ الَّتِي لَمْ يسبق له التَّعَامُل معها فيَميلُ للإحجام عنها، وفي غالِبِ الأحيان يكون هذا النَّمَطُ أَقْرَبَ للخِبْرَة منه إلى الثِّقَة بالنَّفْس، وفي حالِ التعرُّض لِلْفَشَلِ ولو مَرَّة واحدة يُؤَدِّي هذا الْفَشَلُ إلى تَزَعْزُع الثِّقَة على عكس الثِّقَة المُطْلَقَة بالنَّفْس.

إنَّ البيئة العَرَبِيَّة بمُخْتَلَف مُكَوِّنَاتها الاجْتِمَاعِيَّة والثَّقَافِيَّة والديمغرافيَّة والسِّيَاسِيَّة والاقْتِصَادِيَّة تُشَكِّل تَحَدِّيَاتٍ جَمَّةً أمام الشَّبَاب العَرَبِيّ، لا سِيَّمَا فيما يَتَعَلَّق ببناء الذَّات وتعزيز الثِّقَة بالنَّفْس، ولعلَّ هذه البيئة بعواملها تلعب دورًا مُباشِرًا في تعزيز الإحباط لدى الشَّبَاب وتحطيم الذَّات الفَرْدِيَّة والجماعيَّة، وهنا يجب التَّنْوِيه إلى اختلاف مُعَدَّلَات الثِّقَة بالنَّفْس بين الذُّكُور من الشَّبَاب والإناث منهم، وهذا الاختلاف لصالح الذُّكُورِ يمكن عَزْوُهُ للعوامل الاجْتِمَاعِيَّة والثَّقَافِيَّة، والعادات والتَّقاليد الَّتِي تطلق يَدَ الشَّابّ بمقابل كفّ يَدِ الشَّابَّة، الأمر الَّذِي يقود -إضافةً إلى ضَعْفِ ثِقَةِ الشَّابَّاتِ بِأَنْفُسِهِنَّ- إلى خللٍ هيكليّ في المُجْتَمَع لا سِيَّمَا من الناحية الديمغرافيَّة.

المبحث الثَّالث

الثَّقَافَة الغَرْبِيَّة والإعلام

تمُثِّل الهيمنةُ الأمريكيَّة والغَرْبِيَّة على وسائل الإعلام حول العالم، عَقَبَةً أخرى في طريق تمكين الشَّبَاب، لقيامهم بدورهم المنشود في تنمية ونهضة مُجْتَمَعَاتهم، ففي الغَالِب يعيش الشَّابّ حالة اغتراب، ويبتعد عن هموم وطنه وآماله؛ من خلال التَّوْجيه الثَّقَافيّ والفِكْرِيّ الَّذي تمارسه وسائل الإعلام التَّابعة للغرب، والَّتي تنشر ثقافته في مُخْتَلَف البيوت العَرَبِيَّة تحت مُسَمَّى التنوير.

وهو ما يعود في الأساس إلى مفهوم "**العولمة الثَّقَافِيَّة**"، والَّتي تشير إلى أنَّ الثَّقَافَة أصبحت مِثْلَ السِّلَع التجاريَّة الَّتي يتمّ التسويقُ لها، والَّتي يَنْتُجُ عنها بروزُ مفاهيمَ وقناعاتٍ جديدة، وكذلك الرُّمُوز والوسائط الثَّقَافِيَّة الَّتي تتَّخذ الطَّابِعَ العَالَمِيّ، وهي في الحقيقة محاوَلَةٌ هَدَفُهَا وَضْعُ كافَّة شعوب العالَم في قوالبَ فِكْرِيَّةٍ موحَّدة، وهو ما يعني سَلْخ المُجْتَمَعَات عن ثقافتها الأصليَّة وموروثاتها الحضاريَّة؛ فالعولمة نظامٌ يتخطَّى حدودَ الوطن والدُّوَل والأُمَم، إذ ببساطة يَرْفَعُ أيّ حواجز أو حدود، ويعمل على منهجٍ الهدفُ منه تفريغُ الثَّقَافَة الخَاصَّة بأيّ مُجْتَمَعٍ من محتواها، ومن ثَمَّ تفتيتُ وتشتيت النَّاس والتَّحَوُّلُ من مُجْتَمَعَات مترابطة إلى مجموعات لا يربطهم ببعضهم إلَّا فكرة اللَّاأمَّة أو اللَّاوطن أو اللَّادولة.

وهناك طَرْحٌ آخَرُ فيما يَتَعَلَّق بالعولَمَةِ وآثارها، يقول هذا الطرح بأنَّ العولمة ليست إلَّا عَمَلِيَّة توحيد وتنميط لبعض الأفكار الَّتي تدور حول مواضيع مُحَدَّدَة، كقضايا المرأة والأُسْرَة وغيرِهَا من القضايا الاجْتِمَاعِيَّة، أو الأنماط الاستهلاكيَّة السَّائِدَة والحاجَات الإنْسَانِيَّة وطُرُق إشباعها، وخَاصَّةً فيما يَتَعَلَّق بقضايا الذَّوْقِ العامّ والمأْكَلِ والمَلْبَسِ، بمعنى أنَّها طريقة لتوحيد التَّفْكِير وتصويب وِجْهَات النَّظَر إلى الذَّات أو إلى الآخرين أو إلى القِيَم والسُّلُوكيّات؛ ويَقْصِد أصحابُ هذا الطَّرْح التَّخفيفَ من حِدَّة الاتِّهامات المُوَجَّهَة للعولمة، وخَاصَّةً فيما يَتَعَلَّق بِسَعْيِهَا لطَمْس هُوِيَّة الشُّعُوب على حساب هُوِيَّة ثقافيَّة مُوحَّدة لا تُرَاعِي الاختلافات الفَرْدِيَّة والجماعيَّة، وَتُهْمِلُ العوامل الَّتي تفاعلت مع بعضها لمئات السِّنِينَ حتَّى تمكَّنت من إنتاج هذه الثَّقَافَة.

ويمكن عَزْوُ هيمنة الثَّقَافَة الغَرْبِيَّة على غيرها من الثَّقَافَات ومنها الثَّقَافَة العَرَبِيَّة إلى عناصر التَّفَوُّق الغَرْبِيَّة، لا سِيَّمَا في المجالات العِلْمِيَّة النَّظَرِيَّة والمادِّيَّة، إضافةً للتَّطَوُّر التكنولوجـــيّ والحضاريّ الهائل للعالَم الغَرْبِيّ مقارنةً بدُوَل العَالَم الثَّالث الَّتي تبدو باهتةَ الأَثَرِ مقارنةً بدُوَل العَالَم الغَرْبِيّ، ممَّا ســاعد على عُزُوف الشَّبَاب عن ثقافته وَالْمَيْـــلِ للثقافة الغَرْبِيَّة الَّتِي وَجَد بها ضالّتـــه، وَلاَقَى بها ما يُبْهِرُ عَقْلَهُ وبَصَرَهُ، فهذ الإعجاب بالثَّقَافَة الغَرْبِيَّة والزُّهْد بالثَّقَافَة العَرَبِيَّة ســهَّل مَهَمَّة العوْلَمَة؛ وهنا يجب التَّنْويه إلى محاولات فَرْضِ الثَّقَافَة الغَرْبِيَّة على باقي ثقافات العالَم ليســت وليدةَ اللَّحْظَــةِ، ولا يمكن اعتبارها نَزْعَةً غَرْبِيَّة جديدةً، بل هي قديمة قِدَمَ التَّاريخ، ولكن في كُلّ المحطات السَّابقة لم يُكتب لها النَّجَاح؛ كَوْن الثَّقَافَة والحضارة العَرَبِيَّة كان لها الكلمة العليا وَالْقَوْلُ الفَصْل في النَّهْج الحضاريّ العَالَمِيّ، لذلك لم يكن من السُّــهُولَةِ بمكانٍ التأثيرُ بها والسَّــيْطَرَة عليها، فمِــنْ غَزْو اليونان للشَّرْق في القرن الرَّابِع قبل الميلاد على يَدِ الإســكندر الأكبر(1)، مرورًا بمحاولات الفُــرْس غَزْوَ المنطقة العَرَبِيَّة، إلى الحمــلات الصليبيَّة(2) على الشَّرق في القرن الحادي عشر الميلادي، جميع هذه الحَمَلات كان هدفها الرَّئِيسُ السَّيْطَرَةَ الجغرافيَّة والكَسْبَ العسكريّ، إلَّا أنَّها لم تخلو من محــاولاتٍ لِفَرْضِ ثقافة الغازي ونَمَط حياته، ولكن لم تنجح هذه المحاولات في

1. **الإسكندر الأكبر:** (323-356ق م)، أحد مُلُوكِ مقدونيا الإغريق، ومن أشهر القادة الْعَسْكَرِيِّينَ وَالْفَاتِحِينَ عبر التَّاريخ، تَتَلْمَذَ على يَدِ الفيلسوف والعالِم الشهير أرسطو حتى بَلَغَ ربيعه السَّادس عشر، وبحلول عامه الثلاثين، كان قد أسَّس إحدى أكبر وأعظم الإمبراطوريَّات الَّتي عرفها العالَم القديم، والَّتي امْتَدَّتْ من ســواحل البحر الْأَيوني غربًا وصولًا إلى سلســلة جبال الهيمالايا شرقًا، يُعَدّ أحد أنجح القادة الْعَسْكَرِيِّينَ في مســيرتهم، إذ لم يحصــل أَنْ هُزم في أيّ معركة خاضَهــا. للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابِط: https://cutt.us/87aw5
2. **الحمــلات الصليبيَّة:** (1291-1096م)، مصطلح يُطلق حَاليًا على مجموعة من الْحَمَلَاتِ والحروب الَّتِي قام بها أوروبيُّون مســيحيُّون من أواخر القرن الحادي عَشَرَ حتى الثلثَ الأخير من القرن الثالث عشر الميــلاديّ، وكانــت هذه الْحَمَــلَاتُ ذاتَ أهدافٍ دينيَّة مُعْلَنَةٍ، تَتَمَثَّل في اســتعادة القدس وباقي الأماكن المقدَّسة من سيطرة المسلمين، وَشَهِدَتْ هذه الحملات مجازر عِدَّةً، منها مجزرة أنطاكية ومجزرة القدس. للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابِط: https://cutt.us/kfSJF

تغيير ثقافة الشَّرق وانتمائه؛ وذلك كَوْنَ الوضع الحضاريّ للشَّرْق العَرَبِيّ والإسلاميّ آنذاك من التَّمَاسُك ما يسمح له بمُوَاجَهَة هذه المحاولات والانتصار عليها، أو الخروج منها بأقلّ الخسائر في أسوأ الأحوال كما حصل في التجربة الْجَزَائِرِيَّة(1)، في العصور الحديثة.

وفي العصور الحديثة استمَرَّ الغرب في نهجه القديم المُتَمَثِّل بغَزْوِ العالَم عَسْكَرِيًّا وثقافيًّا، من خلال التطهير والإبادة والتصفيَّة العِرْقِيَّة للشعوب غير الأُوروبِّيَّة واستعبادها في كُلّ من إفريقيا وآسيا وأمريكا الشَمَاليَّة والجنوبيَّة، وهو ما قادته العديد من الدُّوَل الأُوروبِّيَّة بدايةً من الإسبان والبرتغاليِّين في أمريكا الشَمَاليَّة والجنوبيَّة، فالإنجليز والفرنسيِّينَ والألمان والإيطاليِّينَ في العالَم العَرَبيّ، ثُمَّ الاتِّحاد السُّوفييتي قبل سقوطه مَطْلَعَ تسعينيَّات القرن الماضي في غَزْوِهِ لأفغانستان(2)، وفي نَشْرِ أَيْدِيُولُوجِيَّتِهِ في عِدَّة مناطق من العالَم، كبعض دول الشَّرق الأوسط وجنوب شرق

1. احتلَّتْ فرنسا **الجزائر** عام 1830م حتى عام 1962م، وخلال هذه الفترة الطويلة عَمِلَتْ فرنسا على اتِّخَاذِ عِدَّة تدابير هَدَفَتْ إلى تغيير هُويَّة الجزائر الثَّقَافِيَّة، وتحويلها للثَّقَافَةِ الفَرَنْسِيَّة تمهيدًا لِضَمِّهَا نهائيًّا لفرنسا، وهو ما عُرِفَ بسياسة الْفَرْنَسَة، ففي عام 1908م أصدرت الحَاكِمِيَّةُ الفَرَنْسِيَّة قرارًا حَظَرَتْ بموجبه افتتاح أيّ مدرسة لتعليم اللُّغَة العَرَبِيَّة دون ترخيص، وفي عام 1938م أصدر رئيس وزراء فرنسا كام يشوطون قرارًا اعتبر بموجبه اللُّغة العَرَبِيَّة لغة أَجْنَبِيَّة في الجزائر، وجعل اللُّغَة الفَرَنْسِيَّة اللُّغَةَ الرَّسْمِيَّةَ والوحيدة في البلاد، كما حاولت فرنسا القضاء على الدِّينِ الإِسْلَامِيّ وتنصير الجزائريين، تنفيذًا لتوجيه «لوفيبو» سكرتير المارشال بيجو الَّذي قال في تصريح له في سنة 1838م: «إنَّ العرب لا يطيعون فرنسا إلَّا إذا أصبحوا فَرَنْسِيِّينَ ولن يصبحوا فَرَنْسِيِّينَ إلَّا إذا أصبحوا مَسِيحِيِّينَ»؛ ونشأ حينها في الجزائر ما يسمى المقاومة الثَّقَافِيَّةَ وَالَّتِي حالت دون الطَّمْسِ التَّامِّ لِهُوِيَّةِ الْجَزَائِرِيِّينَ، وبعد الاستقلال تابعت الحكومات الْوَطَنِيَّةُ المُتَلَاحِقَةُ عَمَلِيَّةَ إعادة الهُوِيَّة العُرُوبِيَّة الإِسْلَامِيَّة للجزائر، للمزيد: كاظم الصالحي، الاستعمار الثَّقَافِي الفَرَنْسِي ... **الجزائر نموذجًا**، المركز الإسلامي للدِّرَاسَاتِ الإِسْتِرَاتِيجِيَّة، 23 أغسطس 2018م، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/q5M8a
2. **الْغَزْو السُّوفيَاتيّ لأفغانستان:** (1979-1989م)، هَدَفَتْ هذه الحرب لتأمين المساعدة لحكومة أفغانستان الصَّدِيقَة لِلاتِّحَاد السُّوفيَاتيِّ ضِدَّ هجمات الثُّوَّار المعارضين للسُّوفْييت، وسبَقَ الغَزْوَ اتِّفَاقِيَّةُ تعاون عَسْكَرِيّ بين الاتِّحَاد السُّوفْييتِّي والحكومة الأَفْغَانِيَّة برئاسة بابراك كارمال، وبعد الغَزْو لم تستطع القُوَّاتُ السُّوفْييتِّيَّةُ فَرْضَ سيطرتها إلَّا على العاصمة كابول، وَبَقِيَ أكثر من (80 %) من مساحة البلاد خارج سيطرة الحكومة الأَفْغَانِيَّة المدعومة من السوفييت، انتهى الغَزْو بانسحاب القُوَّات السُّوفْييتِّيَّة عام 1989م، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/bjKUY

آســيا وأمريكا اللاتينية، فالولايات المُتَّحِدَة الأمريكيَّة مُؤَخَّرًا، في غزوها لأفغانستان عام 2001م(1) وَغَزْوِهَا للعراق عام 2003م(2)، وَتَدَخُّلِهَا في الشؤون الدَّاخِلِيّة لغَالِبِيَّة دُوَل العَالَم الثَّالِث.

وبخلاف التَّاريخ نجد أنَّ الدِّين والعِرْق لعِبَا دورًا كبيرًا في تغذية تلك القُوَّة الإعْلاَمِيَّة، فأضافَ التَّعَصُّب الدِّينِيّ للمسيحيَّة وإقصاء الأديان الأخرى وإبادة أهْلِهَا أو تنصيرهم قَسْرًا كما حدث مع شعوب إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبيَّة والشمَالِيَّة، جانبًا مُهِمًّا من جوانب السَّيْطَرَة والقُوَّة على العالَم العَرَبِيّ، وشبابه.

كما سَــاهَم الفِكْر والثَّقَافَة الغَرْبِيَّة نفسها في تطوير تلك الأفكار حول القُوَّة والسَّيْطَرَة والنُّفُــوذ، فظهرت في الغرب كثير من الفلســفات الَّتِي تدعو إلى تمجيد القُوَّة والعَظَمَة والإنســان الأقوى والبقاء للأقوى خَاصَّةً مع نظريَّة داروين (التَّطَوُّر)(3)، ونظريَّة نيتشه

1. **الغَزْو الأَمْريكيّ لأفغانســتان:** بدأت عام 2001م، وسُــمِّيَتْ حَرَكِيًّا عَمَلِيَّةَ الحُرِّيَّة الباقية، شَنَّتْ الولايات المُتَّحِدَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ برئاسة جرج بوش الابن حربًا على حركة طالبان في أفغانستان عَقِبَ هجمات الحادي عشر من أيلول 2001م، وشارك في هذه الحرب (40) دولة، ولم تُحَقِّق الحرب أهدافها المُعْلَنَةَ في القضاء التَّــامِّ على حركــة طالبان، وتعتبر المفاوضات الَّتِي جرت بين الولاياتِ المُتَّحِــدَة الأَمْريكِيَّة ومُمَثِّلِينَ عن حركة طالبان في مطلع عام 2020م في قطر اعترافًا ضمنيًّا بفشل أهداف الحرب، وإيذانًا بانتهاء هذه الحرب الطويلة، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/zJbfs
2. **الاحتلال الأَمْريكيّ للعراق:** (2003-2011م)، أو كما تسمى حرب الحواسم، أو حرب الخليج الثالثة، بدأ الْغَزْو في 19 مارس 2003م، وتمَّت السَّــيْطَرَة الكاملة على العراق في 1 مايو من نفس العام، واشــترك في الحرب دول أخرى أَهَمُّهَا بريطانيا وأستراليا، واستندت الحرب على بعض التأييد الدَّاخِلِي من قبل الشيعة في الجنوب بزعامة رجال الدِّينِ المَحَلِّيينَ، والأكراد في الشَّمال بزعامة مسعود البرزاني وجلال الطالباني، وَسَبَّبَتِ الحرب أكبر خسائر بَشَرِيَّةٍ في صفوف المَدَنِيِّينَ العِرَاقِيِّينَ في العصر الحديث، وأكبر خســائر عَسْــكَرِيَّة في صفوف الجنود الأَمْريكِيِّينَ منذ عقود بســبب المقاومة الشَّعْبِيَّة العِرَاقِيَّة، وَشُــنَّ هذا الغَزْوُ بحجة امتلاك العراق لأَسْــلحة دمارٍ شــامل، وهذا ما نَفَتْهُ تقارير مفتشي الوكالة الدَّوْلِيَّة للطاقة الذَّرِّيَّة، وحتــى الآن لم يُعْــثَرْ على دليل واحد يُثْبِــتُ صِحَّةَ هذا الادِّعَاء، واعترفت الولايات المُتَّحِــدَة الأَمْريكِيَّة لاحقًا بِأَنَّ التقارير الَّتِي بُنِيَ عليها الغَزْو كانت خاطئة، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/HrYIU
3. **نظريَّة التطوُّر:** إحدى النظريَّات الَّتِي تتناول أصلَ الْجِنْسِ البَشَرِيّ، وَضَعَها تشارلز داروِن عام 1859م ضِمْن كتابه "أَصْلُ الأنواع"، وتقوم هذه النظريَّة على مبدأ أَنَّ الكائنات الحيَّة تتطوَّر من جنسٍ لآخر وَفْق ما تقتضيه ظروف البيئة، فَالسَّحَالِي وَفْق هذه النظرية تطوَّرت عن الأسماك بعد جفَافِ البِحار، وتقوم هذه النظريَّة أيضًا على عِدَّة قواعد، منها البقاء للأقوى أو للأصلح، وهذا ما يسمى بالاصطفاء الطبيعِيّ، بمعنــى أَنَّ التَّغَــيُّراتِ الَّتِي تحدث في البيئة تَقْتُلُ الكائنــات الضعيفة لتبقى الْقَوِيَّة والقادِرَةَ على التَّكَيُّف والتَّأَقْلُم مع هذه المُتَغَيِّرَات، للمزيد: نهاد زكي، "«نَظَرِيَّة التَّطَوُّر».. هل نحن مُجْبَرُون على الاختيار بين الْعِلْم وَالدِّين؟"، موقع ساسة بوست، 28 أكتوبر 2017م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/O1Aps

(الإنســـان الأقوى)(1)، كما ظهرت الكثير من الفلســـفات الَّتي تعطي الأولويَّة لِلْمَنْفَعَة والمصلحة على الأخلاق والقِيَم مثل البرَجْمَاتِيَّة(2) في كتاب "الأمير" للفيلســـوف الشهير "ميكافيللي"(3)، ونظريَّات أخرى تُحَذِّر من صِدَامِ الحضارات، وضرورة أن تكون الحضارة الأُوروبِّيَّـــة هي الأقوى والأفضل مثل ما ظَهَرَ في نظريَّة (صموئيل هنتنجتون)(4)، وهي نظريَّات جميعها، اتَّخَذَت العالَم الآخر عدوًّا يجب تركيعُه والقضاء عليه.

وكانت أبرز علامات العَدَاء الأوروبيّ للعرب، في وســـائل الإعلام الغَرْبِيَّة نفسها، ما ظهر في وقت مُبَكِّر في الكتب الدِّرَاسِـــيّة الفرنسيَّة إبَّان الاستعمار الفَرَنْسِيّ للجزائر،

---

1. **الإنســـان الأَقْوَى:** هي نظريَّة ســـاقها الفيلســـوف الألماني نيتشه عام 1883م، وتأتي أفكار نيتشه في هذا الصَّدد نتيجة تَأَثُّرِه بنظريَّة التَّطَوُّر لدارون، بَنَى نَظَرِيَّتَه هذه على هَدْمِ الأديان سِيَّمَا المسيحيَّة منها، وبناء الإنســـان المتفوِّق والأقوى وَالْمُجَرَّد من الأديان، ولكن يمكن ســـدّ النَّقْصِ في الحاجة الدينيَّة من خلال الأخلاق، ويرى أيضًا أنَّ سلســـلة التَّطَوُّر قد تَوَقَّفَتْ عند الإنســـان، لذلك لا بُدَّ من تحفيزها بالاصطفاء الطبيعيّ والصناعيّ لإيجاد إنسانٍ أقوى وأفضل من الحَاليّ؛ للمزيد: "هكذا تكلم زرادشت"، للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/ke7Ja
2. **البرَجْمَاتِيَّة:** أو الذَّرَائِعِيَّة، تقليدٌ فَلْسَـــفِيّ بدأ في الولايات المُتَّحِدَة حوالي عام 1870م، غالبًا ما تُنسـب أصولها إلى الفلاسفة تشارلز ساندرز بيرس وويليام جيمس وجون ديوي، وتقوم هذه الفلسفة أو طريقة الحياة على اعتقاد أنَّ المنفعة العمليَّة هي القياسُ الوحيد لصِحَّة الأشـــياء، كما يرى فلاســـفة هذا المذهب أنَّ وظيفـــة العَقْلِ ليســـت وظيفةً معرفيَّة، بل وظيفته خدمـــة الحياة، وَلَاقَتْ هذه النَّظَرِيَّةُ انتقادات حادَّة كَونها جَعَلَتْ المنفعة مقياسًـــا للمفاضلة بين الأشـــياء والأشخاص، وَبالتَّالي أَغْفَلَتْ كُلّ الاعتبارات الأخرى كالأخلاق على سبيل المثال. للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/PkJHT
3. **نيكولو مِيكَافِيلْلِي:** (1469-1527م) مُفَكِّر وفيلســـوف وسِـــياسيّ إيطاليّ شـــهير، ويُعتَبر مِيكَافِيلْلِي هو مُؤَسِّـــس التَّنْظِير الســـياسيّ الواقعيّ والنَّفْعِيَّة السِّياسِـــيَّة، أشهر كُتُبِه على الإطلاق كتاب الأمير (1513م) والَّـــذي وَجَّـــهَ فيه نصائح للحُكَّام لتطبيق مبادئ الواقعيَّة والنَّفْعِيَّة السِّياسِـــيَّة بعيـــدًا عن كُلّ الاعتبارات الأَخْلاقِيَّـــة، طُبِعَ الكتاب بعد وفاته، واشـــتُهرت نظرياتـــه وآراؤه في القرن العشرين. للمزيد يُنْظَر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/2QnDY
4. **نظرية هنتنجتون:** صِرَاعُ الحضارات، ترى هذه النظريَّة أنَّ الصِّراعات القادمة، لا سِـــيَّمَا بعد الحرب الباردة سَتَتَّسِمُ بأنَّها حروب بين الحضارات، وليس بين دُوَلٍ أو أعراق، وأنَّ الثقافة ستكون المُحَرِّك الأقوى لهذه الصِّراعات، ويرى هنتنجتون أنَّ الحضارات الرَّئِيسَة في عالَم اليوم هم خَمْسُ حضارات، (الإسلاميَّة والصينيَّة والهندوســـيَّة والغربيَّة وأمريكا اللاتينيَّة)، ومن الواضح أنَّ هذه النظريَّة اعتمدت على الدِّين في تصنيفهـــا للحضـــارات. للمزيد: د. محمد عجلان، "كل ما تريد معرفته عن صدام الحضارات"، موقع المكتبة العامة، 24 نوفمبر 2016م، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/4Cu1g

والَّذِي ذكره الكاتب الفَرَنْسِيّ الشـــهير مارك فيرو(1) في مُقَدِّمَته لكتاب "الاستعمار الكتاب الأســـود"؛ حيث قال: إنَّ الكتب المدرسيَّة في فرنسا لم تَسْلَمْ من تعبئة الأطفال على كراهية الشُّعُوب المُسْـــتَعْمَرَةِ فيقول: "لقد كانت الكتب المدرسيَّة في فرنسا تَسْرُدُ بابتهاج كيف كان بوجو وســـانت أرنو يحرقان الْقُرَى خلال احتلال الجزائر، وكيف كان الضُّبَّـــاطُ الإنجليز إبَّان ثورة 1857م، يضعون الهندوس والمســـلمين على أفواه المدافع(2).

أدوات السَّيْطَرَة النَّاعِمَة

التَّاريخ وَحْدَهُ لم يُؤَثِّر في الإعلام الغَرْبيّ، وهدفه في السَّيْطَرَة على عقول الشَّبَاب، بل دَعَّمَهُ تَفَوُّقٌ غَرْبيّ مَلْحُوظٌ في مجالات الإعلام والثَّقَافَة، حيث مَنَحَتْهُ حُكُومَات الدُّوَل الغَرْبِيَّة مَكَانَتَهُ الَّتي يَســـتَحِقُّهَا كرَأْسِ حَرْبَةٍ لاســـتعمارها الثَّقَافيّ والفِكْريّ الجديد، والبديل عن الاستعمار العَسْكَرِيّ، فَمَنَحَتْهُ أسبابَ القُوَّة والسَّيْطَرَة وسوَّغت له ممارسة الْهَيْمَنَةِ بدونِ حســـيبٍ ولا رقيب، عبر جُهْدٍ وتخطيطٍ بَشَرِيّ وعمَلٍ اجْتِمَاعِيّ وسياسيّ متواصِلٍ وَدَؤُوبٍ على مدى أجيال وسنوات طويلة، **وذلك من خلال:**

- **السَّـــيْطَرَة على العلوم المَادِّيَّة** من رياضيَّات وفيزيـــاء وكيمياء وميكانيكا وفَلَك وطِبّ.
- **الجامعات والمعاهد الأُوروبِّيَّة** الَّتِي باتت في ســـباقٍ محموم من أجل التَّنَافُس للظَّفَر بالسَّـــبْق بالاختراعات الجديدة، وهو ما نَتَـــجَ عنه قيام الثورة الصِّنَاعيَّة

1. **مارك فيرو**: مُؤَرِّخ ومُخْرِج فرنسيّ، وُلِدَ في باريس ســـنة 1924م، انْتَسَـــبَ إلى المقاومة الفرنســـيَّة إبَّان الاحتلال النَّازي لفرنســـا خلال الحرب العَالَمِيَّة الثانية، ويُعدّ الكتاب الأســـود للاستعمار أشهر كُتُبِه، وقد تمَّ كتابته من قبل 20 مُؤَرِّخ وبإشراف فيرو، ويتناول هذا الكتاب أفعال الاســـتعمار في شـــمال إفريقيا ومنطقة الْكَارِيبِي وغيرها، للمزيد، "الاســـتعمار الكتاب الأســـود"، موقع البيان، 26 يناير 2003م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/RddTB
2. فيرو، مارك وآخرون. **الاســـتعمار الكتاب الأســـود**، تحقيق: محمد صبح وزياد منى. ســـوريا، دمشق: دار قدمس للنشر والتوزيع،الطبعة الأُولَى، 2008م، ص

الَّتِي نقلت الإنســـان الأوروبيّ من مشروع السَّيْطَرَة على الطبيعة إلى التَّفْكِير في السَّيْطَرَة على الإنسان والشُّعُوب.

- **مُضَاعَفَةُ جهود العلـــماء في البحث العِلْمِيّ**، خَاصَّةً في مجال العلوم الطبيعيَّة الدقيقـــة حتَّى وصلت الثـــورة العِلْمِيَّة المعاصِرَةُ أَوْجَهَا في مجـــال التِّكْنُولُوجِيَا والمعلومات، وهو ما وسَّـــع من الْفَجْوَة الثَّقَافِيَّة والإعْلاَمِيَّة بين الشَّبَاب الغَرْبِيّ ونظيرِهِ في العالَم العَرَبِيّ.
- **تحجيم ومَنْعُ الْغَرْب انتشـــار العِلْم إلى الشرق**، وقد ظَلّ لسنواتٍ طويلة يحتفظ بالأسرار العِلْمِيَّة في العلوم الَّتِي مَكَّنَتْهُ من التَّفَوُّق والهيمنة وسَـــنِّ قوانين دوليَّة تمنع انتشارها، وتعاقب من يسعى إلى امتلاكها مثل اتِّفَاقيَّة حَظْر انتشار القُوَى النوويَّة(1).
- **السَّـــعْي إلى شراء العقول** أو تهجيرها أو حتَّـــى تَصْفيتهَا من دُوَل العَالَم الثالث وإغرائها أو إكراهها للعمل في الْغَرْب وحرمان هذه البُلْدَان من مواردها البَشَرِيَّة المُؤَهَّلَة حتَّى تظلّ هذه الدُّوَل فقيرة تابعة وضعيفة.
- **زيادة التَّفَوُّق الاقْتِصَادِيّ**؛ حيث سَـــارَ الخَطّ الاقْتِصَادِيّ مع نظيره العِلْمِيّ في خطٍّ متوازٍ، ما ســـاهم في تمكين المُجْتَمَعَات الأُوروبِّيَّة من الحصول على القُوَّة الاقْتِصَادِيَّة المُؤَهَّلَة للمنافسَة والتَّحدِّي.
- **تشجيع البحوث الإنْسَانِيَّة** في العديد من المجالات النَّفْسيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والقانونيَّة والاقْتِصَادِيَّـــة نَظريًّا وتطبيقيًّا، وهو ما نَتَجَ عنه ثروة مَعْرِفِيَّة سُرْعَانَ ما أحدثت ثورة اجْتِمَاعِيَّة كبرى وتغييرات مُهِمَّة على المستوى الاجْتِمَاعِيّ.

1. **اتفاقيَّة حَظْر انتشار القُوَى النوويَّة** وهي خُلَاصَةُ الجهود الدَّوْلِيَّة الَّتِي تسعى لِمَنْعِ زيادة انتشار الأسلحة النَّوَوِيَّة ودعم الاســـتخدامات السِّـــلميَّة للطاقة النوويَّة، وكذلك تشـــجيع هَدَفِ نَزْعِ السِّلاح النَّوَوِيّ، وقد بدأت المعاهدة في التنفيذ في يوليو 1970م وشارك فيها أكثر من 190 دولة، وتُعَدُّ المعاهدة الأكثر شيوعًا على مستوى العالَم من حيث عدد المُنْضَمِّينَ لها، الوكالة الدَّوْلِيَّة للطاقة الذَّرِّيَّة، "معاهدة عدم الانتشار"، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/o5WXw

- **توفير مُنَاخ ملائم من الحُرِّيَّة الفِكْرِيَّة والدِّيمُقْرَاطِيَّة ومبادئ حقوق الإنسان** وتطبيقاتها في الحَياة اليَوْمِيَّة، والتداول السِّلْمِيّ والسَّلِيم للسُّلْطة السِّيَاسِيَّة، مع توفير مبادئ الحُكْم الرَّشِيد.
- **التنظيم المُحْكَمُ والاعتماد على العلوم الإنْسَانِيَّة والتَّحكُّم في الْحِرَاكِ الاجْتِمَاعِيّ**؛ من خلال مُؤَسَّسَات سِيَاسِيَّة مَدَنِيَّة مُتَعَدِّدَة أَدَّتْ دَوْرَها بكفاءة واستقلال، وهي الأحزاب، والمُؤَسَّسَات التشريعيَّة والقضائيَّة والتَّنْفيذيَّة، وكذلك المُؤَسَّسَات المهنيَّة المُتَمَثِّلَة في النِّقَابَاتِ المِهَنِيَّة والمَدَنيَّة الَّتِي تَتَمَثَّل بدورها في الجمعيَّات والاتِّحَادَات.. إلخ.
- **تسويق الأفكار والنظريَّات النَّفْسِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة** الَّتِي تدعو إلى الانحلال الخُلقي وثقافة الجِنْس وَالْمَادَّة والاستهلاك؛ الأمر الَّذِي زادَ من أَزَمَاتِ دُوَل العَالَم الثالث، وَأَبْعَدَ أبناءها عن العلم والمعرفة القَيِّمَة[1].

من هنا أصبح الإعلام والثَّقَافَة الغَرْبِيَّة، قُوَّةً كبيرة يُحسَب لها ألف حساب، بل هي القُوَّة الوحيدة المُسَيْطِرَة والمُهَيْمِنَة على باقي وسائل الإعلام العَرَبِيَّة، والَّتِي استطاعت من خلالها توجيه الشَّبَاب العَرَبِيّ والسَّيْطَرَة عليه.

حيث أدرك العالَم الغَرْبِيّ منذ وقْتٍ مُبَكِّر أَهَمِّيَّة الإعلام في الإقناع، وتوجيه الرَّأْي العَامّ وصناعته، والتأثير في مجرى الأحداث، فعَمِل على تشكيل قُوَّته النَّاعِمَة الإِعْلَامِيَّة على أساس السَّيْطَرَة والهيمنة، وارتبط هذا بالحاجة إليه سِيَاسِيًّا واقْتِصَادِيًّا واجْتِمَاعِيًّا وتَرْبَوِيًّا كما ازدادت الحاجة إليه مع الحروب وتوظيف المعلومات في الحروب للتَّأْثير على الخَصْم فيما عُرِفَ بالحرب النَّفْسِيَّة[2].

1. الوزاني، الطيِّب بن المختار. "**ظاهرة الهيمنة الغربيَّة على العالَم: جذورها ومرتكزاتها**". شبكة الألوكة، 13 أبريل 2011م، تاريخ الزيارة 27 أبريل 2020م، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/b3xYy
2. **الحرب النفسيَّة** هي الاستعمال المُخَطَّط للدِّعَايَة ومختَلَف الأساليب النفسيَّة للتأثير على آراء ومشاعر وسلوكيَّات العَدُوّ بطريقة تُسَهِّل الوصول للأهداف. كما أنَّها وسيلة مناسبَة لتحقيق الاسْتِراتِيجِيَّة القوميَّة للدَّوْلَة، وتُشَنّ في وقت السِّلْم والحرب على السَّواء، وتُستخدم فيها كلّ إمكانيَّات الدَّوْلَة، ومُقَدَّرَاتها من سياسيَّة، واقْتِصَاديَّة، وعسكريَّة، وإعلاميَّة وغير ذلك من القُوَى الَّتِي تتفاعل مع بعضها البعض لتُحَدِّد كَيَانَ المجتمع وَشَكْلَهُ. ويمكن القول أيضًا إنَّها مُتَأَصِّلَة في جذور التاريخ الإنْسَانيّ، ولها أمثلة كثيرة لها في تاريخ الجنس البَشَرِيّ، للمزيد: للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/nn4th

ومع تَطَوُّر أدوات ووســـائل الإعلام وارتباطِهَا بالتَّطَـــوُّر التِّكْنُولُوجِيّ أصبح الإعلام سُلْطَةً قاهرةً وأصبحت الفجوة بين دُوَل العَالَم الثَّالث والغرب فَجْوَةً عميقة؛ إذ أصبح الغرب اليـــوم يَتَحَكَّم في تصدير التِّقْنِيَة الإعْلَامِيَّة وتوزيع المعلومة، في الوقت الَّذي يريـــده، وبالقَدْر الَّذي يرغبه؛ ويزداد اعتماد الغرب يومًا إثْر يومٍ على القُوَّة والهَيْمَنَة الإعلاميَّـــة، وخَاصَّةً مِن قِبَل الولايات المُتَّحِـــدَة الأمريكيَّة، كالحَمَلات الدعائيَّة الَّتي قامت بها قُبَيْل غَزْوها للعراق(1) وأثناء حَرْبها في فيتنام(2).

مَلَامِحُ السَّيْطَرَة النَّاعِمَة

تظهر ملامح تلك الهيمنة والسَّيْطَرَة من خلال مفهوم القرية الكونيَّة، والَّذي ظهر في منتصف الســـتينيَّات؛ حيث قال عالم الاتِّصَال مارشال ماكلوهان(3) في كتابه المنشور

1. سَـبَقَ الْغَـزْوَ الْأَمْرِيكيَّ للعراق حَمَلَاتٌ إِعْلَامِيَّةٌ وَدِعَائِيَـةٌ مُكَثَّفَةٌ هَدَفَتْ لإقناع المجتمع الدَّوْليّ والبيئة الْعِرَاقِيَّة الدَّاخِلِيَّة وَالْعَرَبِيَّة بِمُبَرِّرَات تُسَـوِّقُ لهذا الْغَزْو، ورَكَّزَتْ هذه الحَمَلَاتُ على امتلاك السُّـلُطَات الْعِرَاقِيَّة لأسلحة دمارٍ شامل، مع أنَّ الولايات المُتَّحِدَة برئاسة جورج بوش الابن كانت قد وضعت موعدًا للحـــرب قبـــل انتهاء عمل لجان التَّفْتِيش الدَّوْلِيَّة، كما رَكَّزَت الحملات الدِّعَائِيَّةُ أيضًا على وجود علاقات سِرِّيَّة تجمع الرَّئِيسَ الْعِرَاقِيّ صَدَّام حسين بتنظيم القاعدة، وَرَكَّزَتْ على ضرورة فَرْضِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ في الشَّرق الأوسط ولو بِالْقُوَّة الْعَسْكَرِيَّة، وللعِلْم فَإِنَّ جميع هذه الادِّعَاءَات تَمَّ تفنيدها لاحقًا، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الْحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/YW4QL
2. حرب فيتنام: (1955-1975م)، وتُسَمَّى بالحرب الْهِنْدُوصِينِيَّة الثانية، وكان طرفا الحرب الرَّئِيسَيْن فيتنام الْجَنُوبِيَّة والشَّـــمَالِيَّة، وَتَلَقَّت الشَّـــمَالِيَّة الدَّعْمَ مِن الصين والاتِّحَاد السُّـــوفْيِيتِّي والْجَنُوبِيَّة من الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة وأُســـتراليا، وبلغ عدد القُوَّات الأَمْرِيكِيَّة المشـــاركين في الحرب قُرَابَةَ 184 ألف جندي، وارتكبت الولَايات المُتَّحِدَة في هذه الحرب جرائمَ عِدَّة بحَقِّ المَدَنِيِّينَ الفيتنام، وَسَوَّغَت الولايات المُتَّحِدَة تَدَخُّلَهَا الْعَسْـــكَرِيّ المباشر بِحُجَج عِدَّة منها الدَّعْم الْإِنْسَـــانِيّ وغيرها، وشاركتْ عِدَّةُ مَحَطَّات تَلْفَزَة كبرى في هذا التسويق، إِلَّا أَنَّ هذه الحَمَلات لم تُحَقِّقْ نجاحًا وَبَقِيَ أكثر من 60 % من الشعب الْأَمْرِيكِيّ يرى أَنَّ هذه الحرب غير أَخْلَاقِيَّة، وَقُتِل في هذه الحرب ما يزيد عن 58 ألف جندي أَمْرِيكِيّ، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/fxaSo
3. مارشال ماكلوهان مفكِّر ومنظِّر عالميّ عَمِلَ مستشارًا للفاتيكان ومدرِّسًا مساعدًا لِلُّغَة الإنجليزية كما أَنَّهُ دَرَسَ في جامعـــة كامبريـــدج وحصل على الدكتوراه عام 1943م في الأدب الْإِنْجِلِيزِيّ، اســـتَكمَلَ دراســـته في الأدب الإنجليزيّ، وكان له العديد من المؤلَّفات في مجال الإعلام والاتِّصال، ويعدّ من أهمّ مُؤَسِّسِي الدِّرَاسَات الحديثة عن وسائل الإعلام؛ للمزيد: تواتي نور الدين، "ماكلوهان مارشال قراءة في نظريَّاته بين الْأَمْسِ واليوم"، مَجَلَّة العلوم الإنسانية والاجْتِمَاعِيَّة، العدد 10، مارس 2013، ص3-2، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/PX3x6

عام 1967م بعنوان الوســيلة هي الرِّسَالَةُ: "إنَّنا نعيش في قريةٍ عَالَمِيَّة، وإنَّ الوسائل الإلكترونيَّــة رَبَطَت كُلًّا منَّا بالآخر، وبالتَّالي فإنَّ المُجْتَمَع البَشَرِيّ لن يعيش في عُزْلَةٍ بعد الآن، فقد تغلَّبَت الوسائل الإلكترونيَّة على قيود الوقت والمسافة"(1).

ويرى "ماكلوهان" أنَّ وســائل الإعلام الإلكترونيَّــة خَاصَّة "التلفزيون" حينها، أدَّى إلى إعادة توحيد المُجْتَمَعَات البَشَرِيَّة، وإعادتها إلى الشَّــكْلِ الأَوَّليّ لها، وهو القرية الصَّغِــيرَة، ولكن من يَحْكُم تلك القريــة؟! وهو ما يَتَّفِق مع فكرة العقل العَالَمِيّ الَّتِي طُرِحَتْ بعدَ سَــنَوَاتٍ من أطروحة ماكلوهان والَّتِي رَأت أنَّ المستقبل القريب سوف يشــهد ما يُعرف باسم نشــأة الهُوِيَّة الجمعيَّة، وهو ما ظهر بِالْفِعْلِ من خلال شبكة الإنترنت، ومِنَصَّات التَّوَاصُل الاجْتِمَاعِيّ، والَّتِي وحَّدت كثيرًا من الشَّــبَاب العَرَبِيّ، ولكن للأسف خَلَّفَ قضايا ومعتقدات بعيدة نوعًا ما عن هموم مُجْتَمَعَاتها(2).

وفي هذا الإطار أيضًا يمكن الإشارة إلى نظريَّات نهاية الدَّوْلَة، والَّتِي طرحها البعض مــع تزايد نفوذ الشَّركات العابرَة للقارَّات، والَّتِي بات بعضها يمتلك نفوذًا ومالًا أكثرَ من بعض الدُّوَل النَّامِيَة، وهو ما ظهر من خلال ســيطرة الشَّركات الأمريكيَّة العابرَة للقَــارَّات على المجال الإِعْلَامِيّ، نهاية الأربعينيَّــات من القرن الماضي؛ حيث بدأت الشَّركات الأمريكيَّة في زيادة اســتثماراتها خارج الولايات المُتَّحِدَة، خَاصَّةً في مجال الإعــلام والإلكترونيَّات، فباتت هي الدَّوْلَــة الأُولَى في مجال الإلكترونيَّات، وَغَزَتْ منتجاتها مُخْتَلَف دُوَل العَالَم، وَتُحْكِمُ الولايات المُتَّحِدَة اليوم من خلال سيطرتها على العالَم الرَّقْمِيّ كَكُلّ، بل يرى جوزيف ناي(3) الأســتاذ بجامعة هارفارد الأمريكيَّة، أنَّ

1. الطويسي، باسـم. **"هل هي نهايــة الاتِّصالِ الجَمَاهِيرِيِّ؟"**. صحيفة الغد، 25 يوليو 2011م، تاريخ الزيارة 27 أبريل 2020م، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/Frnqh
2. طاهر، سمر. **الإعلام في عصر العولمة والهيمنة الأمريكيَّة**. مصر، القاهرة: دار نهضة مصر، 2011م، ص 77.
3. **جوزيف ناي:** باحث أمريكيّ وأستاذ العلوم السِّيَاسِيَّة في جامعة هارفارد، ولد عام 1937م، أسَّس بالاشتراك مع روبرت كوهين، مركز الدِّرَاسَات الليبراليَّة الجديدة في العلاقات الدَّوْلِيَّة، وتولَّى عدَّة مناصب رسميَّة منها مساعد وزير الدِّفَاع للشؤون الأمنية الدَّوْلِيَّة في حكومة بيل كلينتون ورئيس مجلس الاستخبارات الوطنيّ، اشْتُهِرَ بابتكاره مُصْطَلَحَي القُوَّة النَّاعِمَة والقُوَّة الذَّكِيَّة وشَــكَّلَت مُؤَلَّفَاته مصدرًا رَئِيسِــيًّا لتطوير السِّيَاسَة الخَارِجِيَّة الأمريكيَّة في عَهْدِ باراك أوباما، للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابِط: https://cutt.us/AZKya

القُوَّة المَعْلُومَاتيَّة النَّاعِمَة، ســـوف تجعل القرن الحادي والعشرين هو قرن الولايات المُتَّحِدَة الأمريكيَّة بامتياز(1).

وَبالرَّغْم من أنَّ مِلْكِيَّة وســـائل الإعلام الأمريكيَّة غير تابعة للسُّلُطَات الأمريكيَّة، ولكن كُلّ وسيلة إعْلاَمِيَّة يمكن أن يكون لها دور في زيادة القُوَّة الإعْلاَمِيَّة للدَّوْلَة الَّتِي تتبعها وتنتمي إليها، وبالتَّالِي زيادة تأثير هذه الدَّوْلَة في المُجْتَمَع الدوليّ، وهو ما يَحْدُثُ مع أمريكا بِالْفِعْلِ.

ويـــرى خبراء الإعلام في العالَم أنَّ الولايـــات المُتَّحِدَة الأمريكيَّة من خلال إعلامها استطاعت أن تُنْشِئَ نوعًا من الإمبراطوريَّات الإلكترونيَّة الَّتِي يَحْكُمُهَا أباطرة الإعلام، مثل بيل غيتس مُؤَسِّـــس ومالِك شركة مايكروسوفت(2)، وروبرت ماردوخ مالك وكالة سي إن إن الإخباريَّة السَّـــابق(3)، ومارك زوكربيرغ مالِك ومُؤَسِّس موقع فيسبوك(4)، وذلك على خلاف الإمبراطوريَّات في القرن التَّاسع عشر، الَّتِي كانت تعتمد على القُوَّة العَسْكَرِيّة فقط، ولكن تلك الإمبراطوريَّات تعتمد على الإقناع العَقْلِيّ للمتلقِّي، لمتابعة برامجها وشراء السِّلَع المعلَن عنها، وهو ما يعرف بغَزْو العقول واحتلالها.

---

1. Nye, Joseph S. **Is The American Century Over?**. 1st ed., Polity, 2015. pp 152.
2. **بيل غيتس:** رجل أعمال ومبرمج أَمْرِيكِي، أسَّس عام 1975م شركة مايكروسوفت مع بول آلان وقد صنع ثروته بنفسه، ويملك أكبر نصيب فَرْدِيّ من أسهمها المُقَدَّر بتسعة بالمئة من الأسهم المطروحة، في يونيو 2008م قـــرَّر غيتس التفرُّغ لمُنَظَّمَته الخيريَّة مُؤَسَّسَـــة بيل ومليـنـــدا غيتس، وهي أكبر جمعيَّة خيريَّة في العالَم والمُمَوَّلَة جزئيًّا من ثَرْوَتِه، للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/3DOK9
3. **كيـــث روبـــرت مردوخ:** رجل أعمال أُسْـــتُرَالِيّ أَمْرِيكِي (من مواليد 11 مـــارس 1931م) يعتبر قُطْبًا من أقطاب التِّجَارَة والإعلام الدَّوْلِيّ، وهو مُؤَسِّس، ورئيس مجلس الإدارة وَالرَّئِيسُ التَّنْفيذيّ للشَّرِكَة القابضة للإعلام الدَّوْلِيّ نيوز كوربوريشـــن (News corporation) الَّتِي تعتبر ثاني أكبر تَكَتُّل لوســـائل الإعلام في العالَـــم. يمتلك الإمبراطور الإِعْلَامِيّ مردوخ عِدَّة صحف محافِظَة مثل النيويورك بوســـت الأمريكيَّة والتايمز وَالصَّنْ الإنجليزيَّة، ويسيطر على شبكة فوكس نيوز، للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/GKPbX
4. **مـــارك زوكربـــيرغ**، (14 مايو 1984م)، رجـــل أعمال ومبرمج أَمْرِيكِيّ، وُلِـــدَ في وايت بلينس، نيويورك، الولايات المُتَّحِدَة الأمريكيَّة. اشْـــتُهِرَ بتأسيســـه موقع فيس بوك الاجْتِمَاعِيّ، وهو أكبر موقع اجْتِمَاعِيّ في العالَم، أنشأ الموقع مع زملائه في قسم علوم الحاسب داستن موسكوفيتز وكريس هيوز وهو في جامعة هارفـــارد. وهـــو بمَثَابَةِ الرَّئِيسِ التَّنْفِيذِيّ لموقع الفيســـبوك، للمزيد يُنْظَر موقـــع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/eWhE2

وتقـــوم الولايات المُتَّحِدَة من خلال تلك الإمبراطوريَّات بتحديد أجندةٍ مُعَيَّنَة للأخبار والموضوعات المثارة على مُخْتَلَف وســـائل الإعلام الأخرى، فَتَجِدُهَا مثلًا تَتَّهم العديد من الدُّوَل بامتلاك أسلحة دمار شامل، ما عدا إسرائيل، وحتَّى عندما تمَّ تقديم عِدَّة مبادرات عَرَبِيَّة ودوليَّة لجَعْل الشَّرْق الأوســـط خالٍ من أسلحة الدَّمَار الشَّامِل(1)، لم تَلْقَ هذه المُبَادَرَات التَّغْطِيَة الإعلاميَّة الكافية، بل على العكس قُوبِلَتْ بتعتيمٍ كامل، كما أَنَّ وســـائل الإعلام الأمريكيَّة لا تَكُفُّ عن التذكير بضحايا هجوم الحادي عشر من سبتمبر(2)، وتصفهم بالأبرياء في الوقت الَّذِي تَغُضُّ فيه الطرف عن ضحايا العدوان الأمريكي على أفغانستان.

فيمكن القول بأنَّ الإعلام بأســـاليبه المُتَعَدِّدَة غدَا من وسائل الحرب الرَّئِيسَة، ناهيكَ عن دَوْرِه في التَّوْجِيه الاجْتِمَاعِيّ والثَّقَافِيّ نحو قضايا مُحَدَّدَة بهدف تحقيق مَكاسِبَ سِيَاسِيَّةٍ واسْـــتِرَاتِيجِيَّة لاحقة، وتتعدَّد الأمثلة الَّتِي تُوَضِّح هذه الجزئيَّة، ففي سوريا ومنـــذ بداية الصِّرَاع فيها في عام 2011م، ســـاد هذا الـــصِّرَاعَ تعتيمٌ إعلاميٌّ حول حَجْم الخســـائر لا سِيَّمَا البَشَرِيَّة منها، فبعد تِسْع سنواتٍ من بداية الحرب، وفي ظِلّ التَّقَـــدُّم التكنولوجيّ الهائل قد يبـــدو من الغريب أن لا يملك أحدٌ إحصائيَّات دقيقة تُوثِّق الخســـائر البَشَرِيَّة، ولا يتوقَّف الأمر على سوريا، فهناك أمثلة عِدَّة منها التَّعتيم الإعلامِيّ على اضطهاد الصين للأقليَّات المُسْـــلِمَة فيها، فقَلَّمَا نَجِدُ وســـيلةً إعلاميَّةً

1. منصور، وليد. "**الجامعة العَرَبِيَّة تؤيِّد مُبَادَرَة مصر لإعلان الشرق الأوســط خَاليًا من الأســلحة النوويَّة**"، موقع الفتح، 15 يناير 2014م، تاريخ الزيارة 27 أبريل 2020م، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/DgMR7
2. **أحداث 11 من أيلول/سبتمبر 2001م** هي مجموعة من الْهَجَمَاتِ الَّتِي شهدتها الولايات المُتَّحِدَة في يوم الثلاثاء الموافق 11 سبتمبر 2001م. تَمَّ تحويل اتِّجَاه أربع طائرات نَقْلٍ مَدَنِيَّةٍ تجاريَّة وتوجيهها لتصطدم بأهـــداف مُحَـــدَّدَة نجحت في ذلك ثلاث منها. الأهداف تَمَثَّلَتْ في بُرْجَيْ مركز التجارة الدَّوْلِيَّة بمنهاتن ومَقَرّ وزارة الدِّفَاعِ الأمريكيَّة (البنتاجون). سَـــقَطَ نتيجة لهذه الأحداث (2973) ضحيَّة و (24) مفقودًا، إضافة لآلاف الْجَرْحَى والمصابين بأمراض جَرَّاء استنشاق دخان الحرائق وَالْأَبْخِرَة السَّامَّة. للمزيد: غالية ســـلامة، "حقائق سريعة حول هجمات 11 ســـبتمبر"، بوابة الوفد، 7 ســـبتمبر 2018م، تاريخ الزيارة 27 أبريل 2020م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/5jXfA

واحدة تتداول هذه القَضِيَّة، وصراع تركيا مع حزب العمال الكردستاني(1)، وغيرها من الأمثلة الَّتِي تُبْرِز دَوْر الإعلام الغَرْبيّ في الترويج لما فيه مصلحته، والتعتيم على قضايا أخرى ليس له مصلحة في تدويلها؛ هذا بالإضافة إلى استخدام الإعلام مِن قِبَل القُوَى الغَرْبيَّة لا سِيَّمَا الولايات المُتَّحِدَة الأمريكيَّة كوسائل ابتزازٍ داخليّ، من خلال تفجير فضائح أو قضايا إعلاميَّة وتركيز الإعلام العَالَمِيّ عليها، ولعلَّ في قَضِيَّة اغتيال الصَّحَفِيّ جمال خاشقجي(2) مثالًا حيًّا وقريبًا على استخدام الولايات المُتَّحِدَة الإعلام للضغط على الْعَرَبِيَّة السعوديَّة، وفي ذروة الانشغال الإعلاميّ بهذه القَضِيَّة، توقَّف الإعلام عن تناولها وَكَأَنَّ شيئًا لَمْ يَكُنْ.

وفي سبيل تلك السَّيْطَرَة، تقوم الشَّركات العابرة للقَارَّات، بالسَّيْطَرَة على وسائل الإعلام المَحَلِّيَّة، وتضييق السُّوق أمام الصحفيِّينَ، سعيًا منها إلى وجود تطابُقٍ أيديولوجيّ مع مُلَّاكِ وسائل الإعلام الأخرى، بحيث يَتِمّ حَجْب الكثير من الآراء الَّتِي تتعارض مع أجندة الولايات المُتَّحِدَة الأمريكيَّة، بل إنَّ الأمر وَصَل لفَرْضِ الصحفيِّينَ رقابَةً على أنفسهم، وَفْقًا للتوجُّهات الأمريكيَّة، حرصًا على استمرار عملهم.

1. **حزب العُمَّالِ الكردستانيّ:** جماعة مُسلَّحة كرديَّة يساريَّة نشأت في السبعينيَّات في منطقة ذات غالبيَّة كرديَّة في جنوب شرق تركيا كَحَرَكَةٍ انفصاليَّة بمزيج فِكْرِيّ بين القوميَّة الكرديَّة والثوريَّة الاشتراكيَّة تسعى لإقامة دولة "كردستان"، وفي مطلع الثمانينيَّات دَخَلَتْ بشكلٍ صريحٍ في صِرَاعٍ مُسَلَّح مع الدولة التركيَّة بُغْيَةَ نَيْل حقوق ثقافيَّة وسياسيَّة وتقرير المصير لأكراد تركيا، استمرَّت المُوَاجَهَة حتَّى نهاية التسعينيَّات، حيث قَبَضَتْ تركيا على زعيم الحزب عبدالله أوجلان وَسَجَنَتْهُ وَدَخَلَ الحزب مرحلة جديدة من التنظيم، للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابِط: https://cutt.us/2lIbM
2. **جمال خاشقجي:** (1958-2018م)، صَحفِيّ وإعلاميّ سُعوديّ، ترأَّس عدَّة مواقع في صُحُف السعوديَّة، وتقلَّد منصب مستشار في الدِّيوَانِ الملكيّ، كما كان مديرًا عامًّا لقناة الْعَرَب الإخباريَّة، ويكتب عمودًا في صحيفة واشنطن بوست منذ 2017م، وُصِفَ في الصُّحُف وأجهزة الإعلام العَالَمِيَّة بأنَّه "وَفِيّ للدَّوْلَة السعوديَّة" و"مُنْتَقِدٌ لسياساتها"، قُتِل خاشقجي في 2 أكتوبر 2018م في قنصليَّة بلاده في إسطنبول، واتُّهِمَتْ بلاده السعوديَّةُ بتدبير مَقْتَلِه، ممَّا أدَّى إلى دخول الدِّبْلُومَاسيَّة السُّعوديَّة في مأزقٍ استمرَّ عدَّة أشهرٍ، للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابِط: https://cutt.us/mtLBU

ومن خلال تلك السَّــيْطَرَة الأمريكيَّة تُصَدِّر الولايــات المُتَّحِدَة للعالَم، مجموعة من المفاهيم الَّتي تساعدها على غَزْو العالم فِكْرِيًّا، ومن بينها، مصطلح "محور الشَّرِّ"(1)، والَّــذِي وَصَفَتْ به الدُّوَل الَّتي تخالفُها في السِّيَاسَــات والتَّوَجُّهَات، وهو ما يَفْرِضُ على العالَم أيضًا أن يســير خَلْفَهَا في ذلك الوَّصْف. كما اسْــتَخْدَمَتْ مصطلح "نهاية التاريخ"(2)، والَّذي يعني الانتصار الحاسِم وَالنِّهَائِيّ للرأسمَاليَّة الأمريكيَّة؛ لبثّ الْيَأْسِ في نفوس الشَّــبَاب العَرَبِيّ، وأيضًا مصطلح "الإرهاب الدَّوْلِيّ"(3)، والَّذِي وَصَفَتْ به الولايات المُتَّحِدَة أعداءها في إيران وكوريا الشــمَاليَّة، من أَجل تعبئة شعوب العالَم ضَدَّهــم، وكذلك مصطلح "الْفَوْضَى الخَلَّاقَــة"(4)، والَّتي برَّرَت به الولايات المُتَّحِدَة

1. **محــور الــشَّرّ** عبارة تردَّدَت أَوَّلًا على لســان الرَّئِيس الْأَمْرِيكِيّ جــورج و. بوش في خطاب ألقاهُ بتاريخ 29 يناير 2002م لِيَصِفَ به حكومات كُلّ من: العراق، وإيران، وســوريا، وكوريا الشــماليَّة، وقد اسْــتَخْدَمَ هذه العبارة بحسب ما ذُكِرَ لأنَّه يعتقد بأنَّ تلك الدُّوَل تدعم الإرهاب، وتســعى لشراء أســلحة الدَّمَار الشــامل، ويرى الكثيرون بأنَّ فكرة بوش هذه هي الَّتي قادته لِبَدْءِ ما يسمى "بالْحَرْب على الإرهاب"؛ للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/cYAph
2. **نهاية التَاريخ والإنســانُ الأخير**، كتابٌ فَلسَــفيٌّ اجْتِمَاعِيّ، غيرُ روائيٍّ، من تأليف العَالِم والفيلسوف السِّيَاسِيّ الأمريكي فرانســيس فوكوياما، وأُطْرُوحَتُهُ الأساســيَّة أَنَّ الدِّيمُقْرَاطِيَّة الليبراليَّة بقِيَمِها عن الحرِّيَّة، الفرديَّة، المســاواة، السِّــيَادَة الشــعبيَّة، ومبادئ اللِّيبْرَاليَّة الاقْتِصَادِيَّة، تُشَــكِّلُ مرحلة نهاية التَّطَوُّر الأَيْدِيولوجيّ للإنسان وَبالتَّالي عولمة الديمقراطيَّة الليبراليَّة كصيغة نهائيَّة للحكومة البشريَّة، بِغَضِّ النَّظَر عن كيفيَّة تَجَلِّي هذه المبادئ في مجتمعات مختلفة، نهاية التَّاريخ لا تعني تَوَقُّف الأَحداث أو العَالَم عن الوجود، ولا تقترح تلقائيَّة تَبَنِّي كَافَّة مجتمعات العالَم للدِّيمُقْرَاطيَّة، المقصود وجود إجماع عند معظم النَّاس بصلاحيَّة وشرعيَّة الدِّيمُقْرَاطيَّة الليبراليَّة، أيّ انتصارها على صعيد الأفكار والمبادئ، لعدم وجود بديل يستطيع تحقيق نتائجَ أفضل؛ للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/1Ij3c
3. **الحَرْبُ على الإرهاب** وتسمَّى أيضًا الحرب العَالَمِيَّة على الإرهاب، ويُطلق عليه البعض تسمية الحرب الطويلة هي عبارة عن حَمْلَة عســكريَّة واقْتِصَادِيَّة وإعلاميَّة تقودها الولايات المُتَّحِدَة، وبمشــاركة بعض الدُّوَل المتحالِفَة معها، وَهَدَفَتْ هذه الحَملــة إلى القضــاء عــلى الإرهاب والدُّوَل الَّتي تدعم الإرهاب. بدأت هذه الْحَمْلَة عَقْبَ هجمات 11 ســبتمبر 2001م وأصبحت مِحْوَرًا مَركزيًّا في سياسة الرَّئِيس الْأَمْرِيكِيّ السَّابق جورج و. بوش على الصعيدين الدَّاخِلِيّ وَالْعَالَمِيّ، وشكَّلت هذه الحرب انعطافةً وَصَفَهَا العديد بالخطيرة وغير المسبوقة في التَّاريخ لكونها حَرْبًا غيرَ واضحة المعالِم وتختلف عن الحروب التقليديَّة بكونها مُتَعَدِّدَة الأبعاد والأهداف، للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/fM3jx
4. **الفَــوْضَى الخلَّاقــة** هو مصطلح ســياسي يُقصَد به تكوّن حالة سياســيَّة بعد مرحلة فوضى مُتعمَّــدَة الإحداث يقوم بها أشــخاص مُعَيَّنين بدون الكَشْــف عن هُويتهم؛ وذلك بهدف تعديل الأمور لصالحهم، أو تكون حالة إنســانيَّة مريحة بعد مرحلة فوضى مُتَعَمَّدَة من أشخاصٍ معروفة من أجل مُسَاعَدَة الآخرين في الاعتماد على أنفُسِهِمْ. في مطلع عام 2005م أَدْلَتْ وزيرة الخارجيَّة الأمريكيَّة "كونداليزا رايس" بحديث صَحَفِيّ مع جريدة واشنطن بوست الأمريكيَّة، أذاعت حينها وزيرة الخارجيَّة عن نيَّة الولايات المُتَّحِدَة بنشر الدِّيمُقْرَاطيَّة بالعالَم الْعَربِيّ وَالْبَدْءِ بتشكيل ما يُعرف ب "الشَّرق الأوسط الجديد "، كُلّ ذلك عبر نشر "الْفَوْضَى الخَلَّاقَة" في الشَّرق الأوسط عبر الإدارة الأمريكيَّة، للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/tOWeL

الأمريكيَّة غَزْوَهَا للعراق وحالة الفوضى الَّتِي خلّفتها، بأنَّها فوضى تسعى إلى إصلاح أحوال العراق وبناءِ عراقٍ دِيمُقْرَاطِيّ(1)!

أمَّـــا الواقع الإعلامي والثَّقَافيّ العَرَبيّ فإنَّه بات بصورة يمكن التَّعْبِير عنها بـ"غياب الأصالة" والاتِّجَاه نحو التقليد واســـتيراد الأفكار، فأضحى الإعلام العَرَبيّ في معظم أحواله نُسَخًا بَاهِتَةً من البرامج الغَرْبِيَّة خَاصَّة قطاع التلفزيون والفضَائيَّات العَرَبيَّة. وقد أثَّرَ هذا الأمر بصورةٍ سَـــلْبِيَّة وخطيرة في ثقافة الشَّـــبَاب في الوقت الَّذِي لم توجـــد فيه خطوط دفاع أو أرضيَّات صلبة (تحصين ومناعة) لمواجهة الْغَزْو الثَّقَافيّ؛ حيث إنَّ الأفكار الثَّقَافيَّة الغَرْبِيَّة تَتَسَرَّب ببطءٍ إلى نفوس الشَّبَاب وعقولهم فتتركهم فريســـةً للأوهام والأحزان والاستلاب والاغتراب. وفي حال عدم قُدْرَةِ أيّ أُمَّة على تحصين شبابها سيكون مصيرها التَّبَعِيَّة ورُبَّمَا الْهَلَاكُ لا سِيَّمَا بعد هذا الْغَزْوِ الهائل من المعلومات المُضَلِّلَة وانتشار وتطوُّر الاتِّصَالات وخَاصَّةً الفضائيَّة منها؛ فعلى سبيل المثـــال تُصْدِر وكالة (رويترز)(2) يوميًّا أكـــثر من 40 مليون كلمة تُوَزَّعُ على أكثر من 80 دولة، في حين لا توجد وســـائل إعْلَامِيَّة فعَّالة في العالَم العَرَبيّ تستطيع بموجبها المجابهة أو حماية الشَّبَاب(3).

ويعـــاني العالَم العَرَبيّ بِمُجْمَلِهِ من تَدَهْوُرٍ ثَقَافيّ يَطَالُ مختلف شرائحه، الأمر الَّذِي يَسْـــهُلُ معه التأثير في هذا العالَم، لا سِيَّمَا شريحة الشَّباب، فمعظم الشَّباب تَحَوَّلُوا

---

1. طاهر، سمر. **الإعلام في عصر العولمة وَالْهَيْمَنَةِ الأمريكيَّة**. مصر، القاهرة: دار نهضة مصر، 2011م، ص 77.
2. **وكالـــة رويترز**: وكالة أنباء عَالَمِيَّة تأسَّســـت في آخر عام 1851م عـــن طريق رجل الأعمال الْأَلْمَانيّ جوليوس رويتر، وقد بدأت بالأخبار الماليَّة، ثُمَّ توسَّعت في عام 1858م لتغطِّي الأخبار العامَّة كذلك، ومن الأخبار الأُولَى المُهِمَّة الَّتِي غَطَّتْهَا آنذاك الحرب الأهليَّة في الولايات المُتَّحِدَة الأمريكيَّة بين عامي 1861 و1865م، تملك الوكالة ما يقارب 200 موقع حول العالَم، كما تَنْقُلُ الأخبار باللُّغات الإنجليزيَّة والفَرَنْسيَّة والألمانيَّة والإيطاليَّة والإسبانيَّة والبرتغاليَّة والرُّوســـيَّة والأرديَّة والعَرَبيَّة واليابانيَّة والكوريَّة والصينيَّة، يَعْتَبِرُ البعض أنَّ المعلومات الَّتِي تُقدِّمها رويترز عالية الموثوقيَّة ويَبْنِي عليها العديد من مُتَّخِذِي القرارات في العالَم قراراتهم، وَتَبْلُغُ عوائدها السَّنويَّة ما يقارب اثنا عشر مليار دولار أمريكيّ، للمزيد يُنْظَر موقع ويكيبيديا على الرَّابط: https://cutt.us/USevN
3. **"العالَم الْعَرَبِيّ يشكو من أميَّة أبجديَّة في العصر الرَّقْمِيّ"**، صحيفة العرب اللندنيَّة، 8 سبتمبر 2015م، العدد (10,032)، ص7، تاريخ الزيارة 27 أبريل 2020م، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/9qd3w

لمُتَلَقِّينَ للثَّقافة الغَرْبِيَّة، فَالْعَمَلِيَّةُ الثَّقَافِيَّةُ يَجْدُرُ بها أن تكون تَبَادُلِيَّةً، وتقوم على التَّأَثُّرِ والتأثير، إلَّا أَنَّ عامل التأثير مفقود لصالح التَّأَثُّرِ، وَمِمَّا سَهَّل دور الوسائل الْإِعْلَامِيَّةِ في القيام بدورها عزوف الشَّباب عن الكتابِ كمصدرٍ للمعلومات، والاعتماد الكامل وشــبه المُطْلَق على الوســائل الْإِعْلَامِيَّةِ كالتلفزيون والإذاعة في السَّابق، وحاليًا على المَنَصَّاتِ الْإِلِكْتْرُونِيَّةِ ووسائل التَّوَاصُلِ الاجْتِمَاعِيّ لا سِيَّمَا الفيسبوك منها، وَيَتِمُّ تَلَقِّي المعلومة واعتمادها بدون أيّ محاولةٍ لتِبْيان صِحَّتِهَا من عدمها.

ومع تبلور ظاهرة العولمة، الَّتِي تسعى إلى تحقيق هدفٍ استراتيجيّ رئيس وهو إعادة تشكيل النِّظَام الاقْتِصَادِيّ لجميع الدُّوَلِ، وتحويلها إلى اقتصادِ السُّوق بهدف إدماجها جميعًا في إطار السُّوق العَالَمِيّ، ولتحقيق هذا الهدف الاقْتِصَادِيّ، تشتمل اسْتِرَاتِيجِيَّة العولمة على تَجَلِّيَات وآليَّاتٍ ذاتِ أبعادٍ سِيَاسِيَّة واجْتِمَاعِيَّة وثَقَافِيّة وعسكريَّة، تنعكس على الشُّعُوب العَرَبِيَّة؛ من خلال تبنّي الحُكُومَات لسياسات وبرامج العولمة، وتحويلها إلى سياسات عَامَّة وَطَنِيَّة يُؤَثِّر تطبيقها على حياة المُوَاطِنِينَ سلبًا أو إيجابًا(1).

الشَّبَاب العَرَبِيّ وتَأَثُّرهم بِالْعَوْلَمَةِ

وفي هذا السِّــياق، يمكن تقسيم الشَّبَاب إلى ثلاث فئات رَئِيسَةٍ تَبَعًا لتَأَثُّرهم بأدوات الْعَوْلَمَةِ التِّكْنُولُوجِيّة، الاتِّصَاليَّة، الإعْلامِيَّة والثَّقَافِيَّة:

الأولى: فئة الشَّبَاب مِمَّن حصل على فُرَصِ تعليمٍ جَيِّد، وامتلَكَ مهاراتٍ مُتَعَدِّدَة، ويُتْقِن أكــثرَ من لغة، حيث تنتمي هذه الفئــة اقْتِصَادِيًّا إلى المُوسِرِينَ القادرين على شراء الخدمات التَّعْلِيمِيَّة الحديثة، ومن ثَم فإنَّ أسواق العَمَل أمامهم متاحة وواسعة(2).

---

1. أبــو زيد، جيهان. "**الشَّــبَاب والأهــداف التنمويَّة للألفيَّة في الوطن الْعَرَبِيّ**". ورقة مُقَدَّمة إلى ورشــة عمل: الشَّبَاب العربي والعولمة، صنعاء 23-22 يونيو 2007م.
2. الزغبــي، خيام محمد. "**واقع الشَّــبَاب الْعَرَبِيّ**: بين التَّطَلُّعَات والتَّحَدِّيَــات". موقع الحوار المُتَمَدِّن، 10 نوفمبر 2013م، تاريخ الزيارة 31 يوليو 2017م، مُتَاح على الرَّابِط: http://cutt.us/pkQgr

فَهُمْ شـــباب يتَمَتَّعُون بِقَـــدْرٍ كبير من حُرِّيَّة الاختيار مقارنـــةً بِنُظَرَائِهِمْ، وتحكمهم علاقات أُسَرِيَّة أكثرَ مرونةً، وبصورة عَامَّة لا ينشـــغل شـــباب هذه الفئة -إلى حَدٍّ ما- بالقضايا السِّيَاسِـــيَّة المَحَلِّيَّة، وقد تَوَفَّر لهذه الفئـــة أدوات وإمكانيَّات عليا للمعرفة وَالْمُتْعَـــةِ، وفُرَص التَّعَلُّم؛ الأمر الَّذِي أمدَّها بعلاقات اتِّصَاليَّة أَعْمَقَ بالعالَم في حين أَضْعَفَ صِلتها بوطنها "ازدواج الجِنْسِيَّة"؛ حيث لم تَعُدْ هناك فَعَاليَّات مَحَلِّيَّة قادرة على جَذْبِهَا، وانتزاع اهتمامها كتلك الأحداث الوافدة عبر التِّكْنُولُوجِيَا والاتِّصَال الحديث، وهي الحالة الَّتِي يمكن أن نطلق عليها الْعَزْلَ الاخْتِيَارِيّ(1).

الثانية: فئة الشَّبَاب الَّذِينَ يستفيدون من الإمكانيات الوَطَنِيَّة المتاحة؛ والَّتِي تتيح لهم الحصول على شهادات دراســـيَّة مُتَنَوِّعَة؛ إلَّا أنَّها لا تمِدّهم بالمهارات والمعارف الَّتِي تفتح لهم سُـــوق العَمَل، وتَضُمّ هذه الفئة شباب الحَضَر وَالرِّيفِ الَّذِينَ يدركون من التكنولوجيا -إلى حَدٍّ ما- القنوات الفضائيَّة أكثرَ من الإنترنت لسهولة الوصول إليها، في حين يكون الثاني غالبًا أداةً للمتعة واللَّعِب والتَّمَرُّد على المحظورات أكثر من كونه وسيلة كَسْبٍ مَعْرِفِيَّة واتِّصَاليَّة مُتَاحَةً، وتَتَلَقَّى هذه الفئة قِيَمَهَا عبر القنوات الفضائيَّة، في حين تُقَلِّدُ الفئة الأُولَى سلُوكِيًّا، وهو ما ساهم في تغيير ثقافتها(2).

الثالثـــة: وهي فئة الشَّـــبَاب الَّذِينَ لم يَتَعَلَّمـــوا أو لم يَتَخَرَّجوا، أو أولئك الحاصلون على مُؤَهِّلَات مُتَوَسِّـــطَة والخارجون من عُمْق الْفَقْرِ والحرمان، وخَاصَّةً القادمون مـــن القرى الفقيرة ومناطق العَشْـــوَائِيَّات؛ هؤلاء إمَّا محرومـــون حرمانًا تامًّا من التكنولوجيا، أو مُســـتهْلِكُون للمَوَادّ الإعْلَامِيَّة الَّتِي تُبَث عبر الإعلام المَرْئِيّ والمسموع، وهم فئةٌ واسعة يختلف حجمها من بلدٍ لآخر، إلَّا أنَّ أخْطَرَ مشكلاتها هو هذا التَّعَرُّض

1. هلال، علي الدين & محســن يوســف. **الشَّـبَاب وثقافة الإصلاح**، تقديم إســماعيل سراج الدين. مصر: مكتبة الإسكندريَّة، 2008م.
2. الزغبي، خيام محمد. **واقع الشَّـبَاب الْعَرَبِيّ: بين التَّطَلُّعَـات والتَّحَدِّيَات**، موقع الحوار المُتَمَدِّن، مرجع سابق.

الكثيف لِقيَم جديدة تُقَدَّم بواسطة أَنْـدَادٍ لهم من شرائح أخرى، الأمر الَّذِي يدفع شباب تلك الفئة إلى التقليد بدون الاستناد إلى بناء فِكْرِيّ نَقْدِيّ يُقَلِّص من التقليد، فتكنولوجيا العولمة تكرّس الشعور بالدونيَّة وَالْحِرْمَانِ لدى هذه الفئة من الشَّبَاب وتدفع بهم إلى الْيَأْسِ وَالْعُنْفِ(1).

إنَّ التداعيات الثَّقَافِيَّة للعولَمَة على الشَّباب الْعَرَبِيّ قد لا تتشابه في تأثيرها على شرائح الشَّباب، وقد لا تَتِمُّ بصورةٍ واحدة، فالقائمين على الوسائط الْإِعْلَامِيَّة لا يستهدفون المجتمع كُلَّهُ بنمطٍ ثابت من الرَّسَائِلِ الْإِعْلَامِيَّة، بل يَتِمُّ التَّوَجُّهُ لِكُلِّ شريحة برسالةٍ خاصَّةٍ بها تتناسب مع خصائصها الثَّقَافِيَّة والدِّيمُغْرَافِيَّة بهدف الوصول للنَّتَائج المرغوب بها، فعلى سبيل المثال يَتِمُّ التَّوَجُّهُ للشَّباب ذَوُو الصِبغة الدِّينِيَّة برسَالَة إِعْلَامِيَّة تختلف عن تلك المُوَجَّهَة لباقي شرائح الشَّباب، وهذا التقسيم في الرَّسَائِلِ الْإِعْلَامِيَّة قد يَخْلُقُ على المدى الطويل ازْدِوَاجِيَّةَ قِيَم وانتماءات داخل أوساط الشَّباب ممَّا قد يقود إلى شرْخٍ اجْتِمَاعِيّ يُؤَدِّي إلى نتائجَ اجْتِمَاعِيَّة وَأَمْنِيَّة لا تُحْمَدُ عُقْبَاهَا. وبصفةٍ عَامَّة، فإنَّ الوَعْي في عَمَلِيَّة الاتِّصَال الثَّقَافِيّ يَتَطَلَّب تَوَفُّر النُّضْجَ النَّفْسِيّ والاجْتِمَاعِيّ، والاطِّلاَع بما يحدث في العالَم، وهو الأمر الَّذِي يَتَطَلَّب بحثًا عن الآليَّات الَّتِي تحقّق هذا الوَعْيَ، وإذا كان الشَّبَاب العَرَبِيّ اليوم مُضطَرًّا إلى الانخراط في الْعَوْلَمَة، لكنَّ مشكلة الانخراط هي تداعياته الَّتِي تُحَدِّد إلى درجة كبيرة مدى القدرة على التكيُّف، والمُشَارَكَة في أَوْجُهِ النَّشَاط داخِلَ الوسط الاجْتِمَاعِيّ المَحَلِّيّ، فالشَّبَاب العَرَبِيّ الآن تَحْكُمُه حالتان: الأُولَى تَتَعَلَّق بالتَّفَاعُلِ مع التِّكْنُولُوجِيَا القادمة والتَّدَفُّق الإعلاميّ والمعلومات القادمة إليه عبر الإنترنت والأقمار الصِّنَاعِيَّة والقنوات الفضائيَّة، أمَّا الثانية فتَتَعَلَّق بالانعزال عن التِّكْنُولُوجِيَا والحِفاظ على الهُوِيَّة العَرَبِيَّة للشَّاب العَرَبِيّ بخصوصِيَّتِه الثَّقَافِيَّة.

1. هلال، علي الدين & محسن يوسف. **الشَّبَاب وثقافة الإصلاح**، تقديم إسماعيل سراج الدين. مصر: مكتبة الإسكندريَّة، 2008م.

إنَّ الأمـــر الَّذِي يُحَدِّدُ التَّفَاعُلَ النِّهَائِيَّ للشَّـــباب مع مُفْرزَاتِ العولَمَة في كِلْتَا حَالَتَيْهِ التَّعَاطِي مع العولَمَة أو الانعزال عنها هو أَهْلِيَّةُ هذا الشَّباب لمعرفة الْغَثِّ من السَّمِينِ في المعلومات المُتَلَقَّاة، ففي حال التَّلَقِي الأعمى ســتكون النَّتَائجُ كَارِثِيَّةً على مستقبل وانتماء الشَّباب، أَمَّا في حالة التَّلَقِّي القائِم على الانتقاء وَالْفَرْزِ فَإِنَّ الشَّباب سيأخذ إِيجَابِيَّــاتِ العولَمَة وَيَتَخَلَّى عن ســلبياتها، فالمعيار الرَّئِيــسُ إذا هو مقدار التمكين الْقَوْمِيّ وَالدِّينِيّ وَالاجْتِمَاعِيّ للشَّباب الْعَرَبِيّ.

المبحث الرَّابِع

بين قيود الماضي والانفتاح على الحاضر

التغيرُّ هو سِـــمَةُ المُجْتَمَعَات وسِمَةُ الْبَشَرِ، والفَرْد الَّذِي يَعِي أهَمِّيَّة التغيرُّ وَيَعِي أنَّ التغـــيرُّ ضرورة يَتَمَكَّن من الْعَيْشِ بطريقة أفضل، ويتكيَّف مع محيطه بِشَـــكْلٍ أفضل، أمَّا أولئك الَّذِينَ يُفضِّلُون الثبات على مواقفهم فغالبًا ما تَهْزِمُهُمُ الحياة، ويعانون فيها، فَهُمْ ثابتون في وسطِ عالَمٍ مَيْزَتُهُ وجوهره التغيرُّ والتَّطَوُّر.

وعلى الرَّغْم من كُلِّ التَّطَوُّر الَّذي يعيشـــه العالَـــم اليوم تبقى بعض الدُّوَل مُحَافِظَةَ على دور المُشَـــاهِدِ الَّذي يرى العالَم كُلّه يتطوَّر ويخشى أن يخطو أيَّة خطوة في ذات الاتِّجَاه معهم، وبمعنى آخر، يُعْجِبُهُ ما هو فيه؛ فالأنظمة في هذه الدُّوَل تُفَضِّلُ الْفَقْرَ وَالْجَهْلَ على التَّنْمِيَة والعِلْم؛ إذ إنَّ الشُّعُوب حينما تتعلَّم سوف تطالِب بحقوقها، وحينما تحقِّق الاكتفاء والاستقرار المَادِّيّ سوف تبحث عن تحسين مُجْتَمَعِها، وهذا ما لا يريده الكثيرون من المســـتفيدين من الْفَسَادِ وحالةِ عدم الاستقرار والفوضى الَّتِي أصبحت سِمَةَ العديد من الدُّوَل النَّامِيَة والمُتَخَلِّفَة حول العالَم، وللأسف جزء من الدُّوَل العَرَبِيَّة تعاني من ارتفاع كبير في نِسَبِ الْجَهْلِ وَالْفَقْرِ وحتى نِسَب الموت.

وحالة الجُمُود والتَّشَبُّث بالماضي والحاضِر سِمَةٌ للمُجْتَمَعَات العَرَبِيَّة بِشَكْلٍ عَامّ، ومنها شريحةُ الشَّـــبَاب، ويمكن عَزْو بقاء الشَّـــبَاب العَرَبيّ على هـــذه الحالة إلى تأثُّرهم بالبيئة الَّتِي يعيشـــون بها، والتأثير الَّذِي يَفْرِضُهُ المُنَاخ العامّ المحيط، نَاهِيكَ عن أنَّ المُجْتَمَعَـــات الَّتِي تُعارِض التَّغيير لا تســـمح لأيٍّ شريحةٍ من شرائحها بالخُرُوج على المألوف، وخاصَّةً أنَّهم يَرَوْنَ هذا المألوف هو الأَنْسَـــبَ لهم، ويعتقدون اعتقادًا تامًّا بأنَّ مصلحتهم الحقيقيَّة تتَمَثَّل في البقاء وَفْق الوَضْع الرَّاهن، وأنَّ أيّ تغيير يحمل في طيَّاته مَخَاطِر ومُغَامَرَاتٍ غيرَ محســـوبةِ العواقب، وَهُمْ في غِنًى عنها، وهذا المنطق في التَّفْكِير ينسحب على الشَّبَاب بالتَّأثير أو بالْفَرْضِ.

وفيما يلي سـنتناول أهَمّ عَقَبَات التَّغيير في المُجْتَمَعَات العَرَبِيَّة، وهي تشمل الشَّبَاب بطبيعة الحال، ولعلَّها تُمَثِّل الشَّبَاب بنِسَبٍ أعلى من باقي الشَّرائح؛ كَوْن الشَّبَاب أقْدَرَ على التَّعَامُل مع المُسْتَجَدَّات والمُتَغَيِّرَات، وهم مَيَّالُونَ بطبيعتهم إلى المُسْتَحْدَث من الأمور والقضايا، ويَسْأَمُون من التَّقْليد الأعمى، وبِشَكْلٍ عَامّ يمكن وَصْف التغيير في عموم المُجْتَمَعَات بالصَّعْب، وقد يكون مستحيلًا ويواجِهُهُ العديد من الصُّعُوبَات، **من أبرزها:**

- **رفض مبدأ التغيير:** فالتغيير سـمةٌ من سِمَاتِ الحياة، وقانونٌ اجْتِمَاعِيٌّ دائم، وَنَقيضُـهُ الجمودُ، ومِمَّا لَا شَـكَّ به أَنَّ عَزْلَ المعايـير الاجْتِمَاعِيَّة والاقْتِصَادِيَّة والأَخْلاقِيَّةِ عن رياح التغيير سيقود حُكْمًا إلى الخروج من بوتقة التَّطَوُّر، وقد يكون مُبَرَّرًا -في لحظاتٍ ما- الخوفَ أو القَلَقَ من التغيير، فالإنسـان مَيَّالٌ للاستمرار في وَضْعِهِ الرَّاهِنِ خوفًا مِمَّا قد يحمله له التغيير، إِلَّا أَنَّ نَزْعَةَ الاستقرار لا يجب أن تَتَمَدَّدَ بحيث تَتَحَوَّلُ لنزعَةِ جُمُودٍ، وَلَعَلَّ في معظم الاختراعات الحديثة مثالًا واضحًـا لمعارضة النَّاسِ لها في البداية ثُمَّ تنخفض مُعَدَّلَاتُ الرَّفْضِ للتَّحَوُّلِ إلى قَبُولٍ وفي النِّهاية إلى تَبَنٍّ.
- **الاعتقاد بمِثَالِيَّةِ التغيير:** فالبعض ينظر للتغيير على أَنَّهُ انتقالٌ من واقع تشـوبُهُ بعض الثَّغَرَاتِ والنواقِص لواقعٍ مثالي، فعند أَيِّ تغيير يتفاجأ المجتمع بِأَنَّ الواقع الجديد ليس مِثَالِيًّا، بل يحمل في طياته بعضَ العيوب وَالثَّغَرَاتِ، مِمَّا يُسَـبِّبُ رِدَّةَ فِعْلٍ سَـلْبِيَّةً تِجَاهَ أَيِّ تغيير جديد، وهذا ما يحصل في بعض الثَّوْرَاتِ الاجْتِمَاعِيَّة، فالثُّـوَّارُ قد يعتقدون أَنَّ المِثَالِيَّة في انتظارهم، وهو ما يقودهم إلى خَيْبَاتِ أَمَلٍ وَرَدَّاتِ فِعْلٍ سَلْبِيَّةٍ تِجَاهَ أَيّ عَمَلِيَّة تغيير جديدة مُحْتَمَلَةٍ.
- **موقف القادة:** فالقادة السِّيَاسِـيُّونَ والاجْتِمَاعِيُّونَ وقادةُ الرَّأْيِ قد لا يكون في مصلحتهم أَيَّ تغيير، فالواقع الرَّاهِنُ يحملُ لهم بعضَ المكاسِـب يخشـون من فُقْدَانِهَا في ظِـلِّ أَيِّ تغيير مُحْتَمَلٍ، لذلك يُبَيِّنُونَ للنَّاس مدى مخاطر أَيِّ عَمَلِيَّةِ تغيير مُحْتَمَلَةٍ.

- **التأثير الْجَمْعِيُّ السَّلْبِيُّ:** فالتغيير عادةً ما يبدأ بفكرة لدى بعض الأفراد يحاولون نَشْرَهَا في أوساطهم الاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْحِزْبِيَّةِ لِكَسْبِ التأييد النَّظَرِيّ لها، ومِن ثَمَّ الانتقال لمرحلة التنفيذ، إِلَّا أَنَّ الموقف الْجَمْعِيّ للمجتمع قد يعارِض هذا التغيير ويعمل على وَأْدِهِ خوفًا من التغيير، وقد يَتِمُّ اتِّهَامُ هؤلاء الأفراد المقتنعين بالتغيير بِأَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ لِخَرَابِ المجتمع، فالانتقال من الْفَرِّ على ظهور الخَيْلِ والعَرَبَاتِ ذاتِ الأحصنة إلى القطارات لَاقَى معارَضَةً شَرِسَةً في بريطانيا والولايات المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ من عُمُومِ المجتمع في القرن التَّاسع عشر، وَتَمَّ اتِّهَامُ المُرَوِّجِينَ له بالتآمر على المجتمع كونه يُسَبِّبُ أضرارًا صِحِّيَّةً مُمِيتَةً(1)، وهذا حال أَيِّ تجديد أو تغيير اجْتِمَاعِيّ أو سِيَاسِيّ مُحْتَمَل في أَيِّ زمانٍ ومكان.

مراحل التَّنْمِيَة والتطوير

المُجْتَمَعَات هي مِلْكُ أهلها، وبالتَّالي على أهلها أن يَسْعَوْا إلى تنميتها من أجل الانطلاق إلى المستقبل من خلال إدراكهم لحاجات المُجْتَمَع والدَّوْر المنتظَر من كُلّ فردٍ فيه، ومَاهِيَّة البرامج الَّتِي يحتاج إليها المُجْتَمَع لكَيْ يتطوَّر، كذلك ضرورة أن يُفْرِز هؤلاء مجموعة من الأشخاص تتَّخذ شَكْلَ التنظيم الَّذِي يُدِيرُ عَمَلِيَّةَ التطوير والتَّنْمِيَة من أجل المستقبل، وممَّا لا شَكَّ به أنَّ الشَّبَاب هم أَقْدَرُ فئات المُجْتَمَع على قيادة التغيير، والَّذِي سيُفْضِي إلى التَّنْمِيَة والتَّطْوِير؛ فالتَّطْوِير هو في الحقيقة تغيير الشَّيء الموجود إلى شَيْءٍ أكثرَ حداثةً، فهو شكلٌ من أشكال التَّغيير الإيجابيّ، ومَنْ أَقْدَرُ من الشَّبَاب على القيام بهذه المَهَمَّة؟ وخَاصَّةً أنَّ التَّغيير من أَخَصِّ خصائص الشَّبَاب، وأكثرها تعبيرًا عن تَوْقِهِم لتبديل الواقع المُعَاش بسلبيَّاته وإيجابيَّاته بحالَةٍ أقرَبُ ما تكون للمِثَالِيَّة، فالتَّطوير والتغيير والتَّنْمِيَة لن تحدث من دون أن يكون للشَّبَاب بها كلمة

1. **"مـن اختـرع القطار".** موقع schkola4kotovo، 4 مارس 2020م، تاريخ الزيارة 4 مايو 2020م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/CS6vc

الفَصْـــل وَالْيَدُ الطُّولَى، **ولن تَتَحَقَّق هذه الثلاثيَّـــة (التَّنْمِيَة، التَّطوير، والتَّغيير) بدون المرور بالمراحل التَّالِية:**

- **التخطيـــط:** وهي المرحلة الأولى، وتُعْنَى بوضع التَّصَوُّرَات الأولى حَوْلَ ما يجبُ فِعْلُهُ، ورســـم مراحِلَ متسلسلة لما سَيَتِمُّ إنجازه، وفي هذه المرحلة يجب التَّواصل المُكَثَّف والواســـع مع المجتمع والشَّباب، لِكَسْـــبِ ثقتهم أَوَّلًا، ولمعرفة تَصَوُّرَاتِهِمُ الْخَاصَّةَ حولَ ما ســـيكون عليه واقعهم مســـتقبلًا، ويمكن الاعتماد على الْعَصْفِ الذِّهْنِـــيّ لتوليد أفكارٍ جديدة، وفي هذه المرحلة لا يجوز أن تكون مراحل العَمَلِ بدون جدولٍ زَمَنِيٍّ، فالتأخير في التطوير والتنمية قد يُفَرِّغُ أَيَّ عملٍ من جدواه الاجْتِمَاعِيَّة؛ وَلَا بُدَّ في هذه المرحلة من الاطِّلَاعِ على تجاربَ خَارِجِيَّة ناجحة، دون استنســـاخها، ولكن يمكن أَخْذُ إِيجَابِيَّاتِ هذه التجارب والعمل لتلافي سَلْبِيَّاتِهَا؛ وَكُلُّ هـــذا يجب أَنْ يَتِمَّ في ظِلِّ أخذ خصائِصِ البيئة الْعَرَبِيَّةِ على مَحْمَلِ الاهتمام الكافي.
- **التنفيذ:** ويعتبر التخطيط النَّاجِـــحُ مَدْخَلًا مُهِمًّا لإنجاح هذه المرحلة، وَيَتِمُّ هنا نقل ما تَمَّ التخطيط له لِحَيِّزِ التطبيق الْعَمَلِيّ، ولا يجوز أن يكون التنفيذ محصورًا بفئات مُحَدَّدَة، أو بلجانٍ بعينها، بل هو مَسْـــؤُولِيَّةٌ مُجْتَمَعِيَّةٌ، يجب أن يشـــارك بها الجميع بدونِ اســـتثناء، وفي حالِ إقصاءِ أَيِّ فئة أو شريحة عن هذه المُهِمَّةِ فسينعكس سلبًا على المُخْرَجَاتِ.
- **التقييم:** وهذه المرحلة لَيْسَتْ مَرْحَلَةً نِهَائِيَّةً، بل هي مُسْتَمِرَّةٌ طيلة فترة التطوير، فمـــن مرحلـــة التخطيط يتم تقييم ما تَمَّ إنجازه، إِلَّا أَنَّ الـــدَّوْرَ الرَّئِيسَ للتقييم يكـــونُ في مرحلة التنفيذ لِمُقَارَنَةِ ما تَمَّ إنجازه بما تَمَّ التخطيط له، وَيَتِمُّ تحديد الانحرافات الْخَاصَّةِ والعمل على تقويمها.

وفي ختام هذا الفصل لا بُدَّ من التَّأْكِيد على أنَّ التَّحَدِّيَات الَّتِي تُواجِهُ الشَّـــبَاب هي جزءٌ من التَّحَدِّيَات الَّتِي تُواجه المُجْتَمَع العَرَبِيّ بِشَـــكْلٍ عَامّ، وعند إيجاد حلول لهذه التَّحَدِّيَات؛ فإنَّ الأثرَ الإيجابيَّ لها لن ينحصر بالشَّـــبَاب فقط، بل ســـيطالُ المُجْتَمَع

بكامله، وَالْأَثَرُ الإيجابيّ لهذه الحلول سـيكونُ أثرًا مسـتدامًا، ولذلك فإنَّ مسؤوليَّة التَّعَامُـل مع هذه التَّحَدِّيَات لا تقعُ على كاهِلِ جهةٍ بعينها دُونَ أخرى، بل هي مُنَاطَةٌ بجميع فعاليَّات المُجْتَمَع، الثَّقَافِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والاقْتِصَادِيَّة والتربويَّة، كما يجب على الجهـات الحُكُومِيَّة الاضطلاع بدورها في تذليل هذه التَّحَدِّيَات؛ ويجب التَّأْكِيد على أنَّ التَّعَامُـل مع هذه التَّحَدِّيَات لن يُحَقِّقَ النَّتَائِجَ المَرْجُوَّة منه ما لم يَتِمّ التَّعَامُل معها على أنَّها حُزْمَةٌ واحدة، فتذليل التَّحَدِّيَات المُرْتَبِطة بالهُوِيَّة دون سواها من التَّحَدِّيَات سيُعْطِي نتائج مُنْخَفِضَة الفَاعِلِيَّة، والحَلّ المستدامُ هو الَّذِي يقوم على إشراك الشَّبَاب في وَضْع الحُلُول، مع التَّأْكِيد على ضرورة أن يكون لهم الكلمة العليا وَالْيَدُ الطُّولَى في اقتراح الحلول، وفي تنفيذها، وفي مُرَاقَبَتها.

الفَصْل الرَّابِع

دور الشَّبَاب في بناء المجتمع

- مُقَدِّمَة
- المَبْحَث الأَوَّل: النهضة المَرْجُوَّةُ ودور الشَّباب
  - الشَّباب العربيُّ والتنمية الاجْتِمَاعِيَّةُ.
  - الشَّباب والتنمية المسْتدامة.
  - الشَّباب حّجَرُ التَّغْيير الأساس.
- المَبْحَث الثَّاني: غياب الشَّباب عن قضايا الأُمَّةِ
  - أسباب غياب الشَّباب عن قضايا الأُمَّةِ.
- المَبْحَث الثَّالِث: أُسُسُ تفْعِيل دَوْرِ الشَّبَاب في تنمية المجتمع

الفصل الرَّابِع

دور الشَّبَاب في بناء المجتمع

مُقَدِّمَة

تُبْنَى المجتمعاتُ بسواعِدِ أبنائها، بمختلف شرائِحِهم، ويبقى للشَّباب الأَثَرُ الأكثرُ وضوحًا في هذا البناء، ليس لأَنَّهُمُ الشريحة الأكثرُ عددًا، بل لأَنَّهُمُ الأكثرُ مرونةً، والأكثرُ قُدْرَةً على التَّفَاعُلِ مع احتياجات المجتمع لا سِيَّمَا المستحدثة منها، فَأَيُّ تهميشٍ لدورِ الشَّباب في المجتمع، سيقود وبأدنى شَكٍّ إلى صورٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَبِنًى اقْتِصَادِيَّةٍ مُتَصَدِّعَةٍ وَشَاذَّةٍ؛ وفي مجتمعاتنا الْعَرَبِيَّةِ قد لا نجد بَصْمَةً واضحةً للشَّباب في بيئاتهم، ولا نَلْحَظُ لهم دورًا رائدًا في البِّنَاء الاجْتِمَاعِيّ أو الاقْتِصَادِيّ، وهذا مِمَّا لا شَكَّ به يُشَكِّلُ خسارةً مُحَتَّمَةً للمجتمعات الْعَرَبِيَّة، وإقصاءً لِلْفُتُوَّة عن سَيرِ الحياة الاجْتِمَاعِيَّة، وهذا سَرْعَانَ ما ستظهر آثاره السَّلْبِيَّةُ اجْتِمَاعِيًّا وَاقْتِصَادِيًّا وثقافيًّا، إلَّا أَنَّ الآثار السَّلْبِيَّةَ البعيدة المدى ستكونُ أَشَدَّ وطأةً وأكثرَ عمقًا؛ وَمِمَّا لا شَكَّ به أيضًا أَنَّهُ في حال مشاركةِ الشَّباب مشاركةً فِعْلِيَّةً وَحَقِيقِيَّةً في البناء الاجْتِمَاعِيّ وَالاقْتِصَادِيّ فَإِنَّ الآثار الإِيجَابِيَّة ستكونُ ماثلةً للْعِيَان، فلا داعِيَ للتَّعْرِيف بمشاركةِ الشَّبَاب في البناء الاجْتِمَاعِيّ لهذه البيئة أو تلك، فالنَّتائِج وواقِعُ الحياة الاجْتِمَاعِيَّة والاقْتِصَادِيَّة يَشِي بوجودِ دورٍ للشَّبَاب من عدمه.

وَلَعَلَّ نَزْعَةَ الشَّبَاب للجديد وتَوْقَهُمْ للغريب وَالمُسْتَحْدَثِ من الأمور والقضايا، وولَعَهُمْ بِالاسْتِثْنَائِيّ من الأفكار، أفضلُ مَيْزَاتهم في تحقيق التطوير الاجْتِمَاعِيّ والاقْتِصَادِيّ المنشود، إِلَّا أَنَّ هذه النَّزْعَةَ للتَّغْيِيرِ والتطوير نِسْبِيَّةٌ، فهي تختلفُ من بيئةٍ لأخرى، ومن مجتمعٍ لآخر، فعلى سبيل المثال تختلف نظرة الشَّبَاب في العالَم الْغَرْبِيّ الصِّنَاعِيّ للحياة والتغيير عن تلك المرتبطة بالشَّبَاب الشَّرْقِيّ ذي النَّزْعَةِ الاسْتِهْلَاكِيَّة؛ وحتى على صعيد المجتمع ذاته والشريحة ذاتها يمكن ملاحظة تَغَيُّرٍ للدَّوَافع والمُيُول نحو التغيير والتطوير خلال فتراتٍ زَمَنِيَّةٍ متلاحِقَة، فمن البَدِيهِيّ أَنَّ هُمومَ الشَّبَاب وَتَطَلُّعَاتِهمْ في

مجتمعٍ ما في بداية القرن الحادي والعشرين تختلِفُ وبشكْلٍ كبيرٍ عن هُمومِ وَتَطَلُّعَاتِ شبابِ ذاتِ البيئة قبل قَرْنٍ أو أَقَلَّ من الزَّمَن؛ والْوَعْيُ لهذه النِّسْبيَّة يُعْتَبَرُ بالغَ الْأَهَمِيَّة، فتحفيز الشَّــبَاب الْغَرْبِيّ للانخراط في التنمية وتفعيل دورِهِ الاجْتِمَاعِيّ والاقْتِصَادِيّ بِالتَّأْكِيدِ يختلف عن طُرُقِ وَآلِيَّاتِ ومناهجَ تحفيز الشَّــبَاب الشَّرْقِيّ، وهذا ما يقودنا لضرورة التأكيد على خطورة استنســاخ تجارِبَ شَبَابِيَّةٍ من الخارج ومحاولة تطبيقها في المجتمعات الْعَرَبِيَّةِ دون الأَخذِ بعــين الاعتبار خُصُوصِيَّة البيئة العَرَبِيَّة، فعندها قد تعطي هذه التجارب نتائج عَكْسِــيَّة، وقد تَصِلُ إلى حَدِّ إحداثِ شرْخٍ اجْتِمَاعِيّ أو تباطُؤٍ اقْتِصَادِيّ.

وتزدادُ ثقةُ المجتمعاتِ بِقُدْرَةِ شبابها على التغيير والتطوير، وتَتَعَزَّزُ هذه الثقة بِالرَّغْمِ من الاضْطِرَابَات الجُيُوسِيَاســيَّة الَّتِي تَعُمُّ قِسْمًا لا بأْسَ به من بلدانِ العالَم، وَلَعَلَّ في جهود الشَّبَاب وطاقاتهم الإِبْدَاعِيَّة استلهامٌ لحلولٍ تُخَفِّفُ من آثارِ هذه الاضْطِرابات لا سِــيَّمَا على الصعيد الاجْتِمَاعِــيّ؛ وانطلاقًا من كُلِّ ما ذكرنــاه من آمالٍ معقودة على الشَّــبَاب، وطاقاتٍ كامنة في دواخلهم، يُعْتَدّ بها لتكونَ وسيلةً من وسائل البناء الاجْتِمَاعِيّ بأبعاده المختلفة، سَــنُفْرِدُ هذا الفصل لمناقشة أدوار الشَّبَاب المأمولة في نهضة المجتمعــات الحديثة؛ ومِن ثَمَّ تحقيق النَّهْضَة المَرْجُوَّة وواقع الشَّــبَاب منها، وأخيرًا؛ التَّأكِيد على أنَّ الشَّــبَاب هُمْ حَجَرُ الزاوية في أيِّ تغيير منشــود نحو واقعٍ ومستقبل أفضل.

المبحث الأَوَّل

النَّهْضَة المَرْجُوَّة ودور الشَّبَاب

يعتبر التطوير في المجتمع اســـتجابةً لحركةِ الحياة ونداءِ الطبيعة، فَالتَّطَوُّرُ سُنَّةٌ من سُنَنِ الحياة وطبيعةٌ من طبائِع الوجود، وتختلف الأُمَمُ فيما بينها في سرعة استجابتها لهذا النِّداء الطَّبِيعيّ، فمنها مَنْ وَصَلَ لمستوياتٍ مُتَقَدِّمَةٍ من التَّطَوُّرِ والعمران، وأخرى أَقَلُّ مســـتوًى، والْبَعْضُ ما زال في بداياتِ اسْتِجَابَتِهِ؛ وعلى صعيد المجتمعات العَرَبِيَّة، فَإِنَّهـــا مـــا تزال في درجاتها الأولى في تطوُّرِها، ومـــا زالَ أمامَها العديدُ من المراحل للوصول إلى مستوًى يتناســـب مع تاريخها الحافِل، ومع تَنَوُّعِهَا الْبَشَرِيّ والطَّبِيعيّ؛ وإذا كانت النَّهْضَة بمختلَفِ أشـــكالها الاقْتِصَادِيَّة والْعُمْرَانِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والثَّقَافِيَّة مَطْلَبًا مُلِحًّا لمختلَفِ شرائح المجتمع العَرَبِيّ، فَإِنَّهَا وبدون أدنى شكٍّ أكثرُ إلحاحًا لفئة الشَّبَاب، فالشَّـــبَاب هُمُ الأكثرُ تَوْقًا للتطوير، والأكثرُ اندفاعًا للمشاركة في أيِّ نَهْضَة تستهدفُ نَقْلَ حَالِ الأُمَّةِ إلى واقِعٍ يتناسَبُ مع طموحاتِ أفرادها.

إنَّ النَّهْضَة العَرَبِيَّة المنشـــودة لن تُبْصِرَ النُّورَ، ولن يُكْتَبَ لها الاســـتمرارُ وَالنُّضْجُ إنْ لم تشـــتمل على شَرْطَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ؛ الأَوَّلُ أن تشمل هذه النَّهْضَةُ جوانبَ الحياة كافَّةً الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والثَّقَافِيَّة منها، والثَّاني أن تضمن مشاركة مُخْتَلَف الشَّرائحِ الاجْتِمَاعِيَّة بها، وأن يكون تمثيلُ كُلّ شريحةٍ يتناســـبُ مع تأثيرها وَثِقَلِهَا في المجتمع، فشريحةُ الشَّـــبَاب ومن ناحيةِ التَّمْثِيل الْعَدَدِيّ وَالْوَزْن النِّسْبِيّ، تُعَدّ الشَّريحةَ الأكبرَ في المجتمَع العَرَبِيّ، وهذا ما بيَّنَّاه في الفصل الأَوَّل من هذه الدِّرَاسَـــة، ومن ناحيةِ عُمْـــقِ التأثير وَفَاعِلِيَّة الأداء، فهي الأكثرُ فَاعِلِيَّةً في أيِّ عَمَلِيَّة تطوير وفي أيِّ نهضةٍ مُسْتَهْدَفَةٍ، كَوْنَ رُوحِ الشَّبَاب مَجْبُولَةٌ على حُبِّ التغيير؛ وسندرس في هذا المبحث دور الشَّـــبَاب العَرَبِيّ في النَّهْضَة المنشودة، وخاصَّةً فيما يَتَعَلَّقُ بالتنمية المستدامة والتنمية الاجْتِمَاعِيّـــة، فَكِلَا هذين النَّوْعَيْنِ من التنمية يُعْتَـــبَرَ بالغَ الأَهَمِيَّة والأَثَرِ في نهضةِ الأُمَمِ، وهذا ما سَنُبَيِّنُهُ في سِيَاق مبحثنا هذا.

الشَّبَابُ العَرَبيّ والتنمية الاجْتِمَاعِيّة

يُعْتَـــبَرُ الهيكل الاجْتِمَاعِيّ لِأَيّ مجتمـــع بمثابَةٍ مرآةٍ تُصوِّر نُضْجَ هذا المجتمع وَتَطَوُّرَهُ الحَضَارِيّ، ولا يَخْلُو شعبٌ ما أو أُمَّةٌ من الأُمَم من فَتَرَاتٍ يسوءُ بها الْهَيْكَل الاجْتِمَاعِيّ، لِيَظْلِمَ شرائحَ ويُقصِي أخرى، ويرفَعُ أفرادًا ويَخْفِضُ آخرين، وفي ظِلِّ هذه الظروف الاجْتِمَاعِيَّة السَّـــيِّئَة، ينسحب السُّوءُ إلى مختلف جوانب الحياةِ الاقْتِصَادِيَّة والثَّقَافِيَّة والسِّيَاسِيَّة وغيرها، إِلَّا أَنَّ المجتمعات البَشَرِيَّة عمومًا تقوم بإصلاح ذاتها عبر حَرَكاتٍ اجْتِمَاعِيَّة تُقَوِّمُ ما اعْوَجَّ من الْقِيَم، وتُهذِّب ما نَشَزَ منها، وليس أَقْدَرُ من الشَّبَاب على القيام بهذه المَهَامِّ، وهم الشَّريحة الأكثر اندفاعًا والأكثر حَيَوِيَّةً.

وهذه ما يمكن تســـميته بالثَّوَرَات الاجْتِمَاعِيّة، وهـــي إِنْ صَحَّ التعبير يمكن وصفها بالثَّوَرَات الأُفُقِيَّة، فالثَّوَرَات الْعَمُودِيَّة أو الرَّأْسِيَّة كانت تقوم على ثورة المجتمع بِغَالِبِيَّتِهِ ضِدَّ فئةٍ مُحَدَّدَةٍ سِيَاسِيَّة أو اجْتِمَاعِيَّة أو اقْتِصَادِيّة، أما في الثَّوَرَات الْأُفُقِيَّة فهي تقوم عـــلى ثورةِ فئات مُحَدَّدَة وشرائحَ بعينها، كان العامـــل فيها يتحدُّ مع العامِل لتحقيق مطالِبَ معينة، أو المرأة مع المرأة لِرَفْعِ حَيْفٍ وإيقاف جَوْر، أو الشَّـــابّ مع الشَّـــابّ لتحصيـــل حَقٍّ مهدور، وأَخْذِ دَوْرٍ مفقود، وهذه الثَّوَرَاتُ الْأُفُقِيَّة لا ينقطع أَثَرُهَا خارجَ حدود الدَّوْلَة، بل يمكن وصف تأثيرها بِالْعَالَمِيّ.

إِنَّ هذه الثَّوَرَات الاجْتِمَاعِيَّة الْأُفُقِيَّة بَرَزَتْ في أعقاب الحرب العَالَمِيَّة الثَّانِيَة لا سِيَّمَا في أوروبا والولايات المُتَّحِدَة الْأَمْرِيكِيَّة، وهذه الثَّوَرَات قام الشَّبَاب بمعظمها، وجميع المجتمعات الَّتِي شـــهدت هذه الثَّوَرَات الشَّبَابية لم يصبِحْ واقعها بعد الثَّوْرَة كما كان قَبْلَهَا، وهي كما أسلفنا ثوراتٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ لا دماءَ فيها ولا اعتقالَ ولا سجون؛ وَلَعَلَّ ثورة الطُّلَّاب الفَرَنْســـيين عام 1968م(1)من أبرز هذه الحركات؛ حيث كتابات الثُّوَّار على

1. **أحداث مايو عام 1968م في فرنسا** هي فترة من الاضْطِرَاب المَدَنيِّ سَـادَتْهَا الإِضْرَابَات الْعَامَّةُ والاعتصامات في المصانع والجامعات في أنحاء الجمهوريَّة الفرنسـيَّة بِدَفْعٍ من الطلبة والْعُمَّال والاشـتراكِيِّينَ والشـيوعِيِّينَ، وقد كانت الأحداث أكبرَ إضراب عَامٍّ شَـهِدَهُ تاريخ فرنسـا، والإضراب الأَوَّل من نوعه على مسـتوى البلاد. انتهـى الأمـر بالموافقة على حَلِّ الجمعيَّة الوطنيَّـة والإعلان عن عَقْدِ انتخابات برلمانيَّة جديدة في يونيو وَالَّتي خرجَ منها الدِّيجُولِيُّونَ أكثرَ قوةً، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/F0jum

الجدران تقول: "ابدؤوا من الْحُلْم" لإجراء التَّغْيير الَّذي غيرَّ وجهَ فرنسا فيما بعد، ولم يقولوا أبدًا ابدؤوا من خِبْرَة وَحِنْكَة الشَّيْب؛ وَلَعَلَّ في قول الشاعر الجَوَاهِرِيّ(1) خلال وصفه لرُوحِ الشَّبَاب وَأَنَّ حِنْكَة البالغين والرِّجَال قد لا ترقى في بعض المواقف لمدى تأثير اندفاع الشَّبَاب وَحُبِّه للمغامَرَة، تعبيرًا دَقِيقًا عن حالةِ الشَّبَاب وَتَوْقِهِ للتَّحَرُّر من المفاهيم الاجْتِمَاعِيَّةِ البَالِيَةِ إذ يقول:

يَا لِلشَّبَابِ يَغَارُ الْحُلْمُ مِنْ شِرَةٍ　　بِهِ وَتَحْسُدُ فِيهِ الْحِنْكَةُ النَّزَقَا

وقد أَكَّدَ العديد من قادةِ هذه الثَّوْرَة من الشَّبَاب، أَنَّ ثورتهم اجْتِمَاعِيَّة وليست سِيَاسِيَّة، ولا ترمي لِأَيِّ تغيير سِيَاسِيّ (2)؛ بل هدفها تصويب الخاطئ من الْبِنَى الاجْتِمَاعِيَّة في المجتمع. ومن القضايا الَّتِي ثَارَتْ عليها شريحة الشَّبَاب، تَحَكُّمُ الكبار بشؤون الشَّبَاب، والَّذِينَ غالبًا لا يَقْدِرُونَ على معرفة جوهر المشاكل الَّتِي يعاني منها الشَّبَاب، وغالبًا ما يُشْعِلُ الكبار حربًا بإرادتهم وقرارهم وَلَكِنَّ دماء الشَّبَاب من تُسْفَكُ بها، أفلا يَحِقُّ لمن سيكون وقودًا لهذه القرارات أَنْ يكون له الرَّأْيُ المُرَجِّحُ في هذه القرارات؟

ومن أمثلة الثَّوْرَات الاجْتِمَاعِيَّة السِّلْمِيَّة الَّتِي نَشِطَتْ في الْغَرْبِ حركة "الهيبيز"(3)؛ والَّتِي تَمَثَّلَتْ بخروجِ الشَّبَاب عن القواعد الاجْتِمَاعِيَّة الصَّارِمَة الَّتِي تَمَّ صياغتها خلال

1. **محمد مهدي الْجَوَاهِرِيّ:** (1997-1903م)، شاعر عَرَبِيّ عِرَاقِيّ، يعتبر من بين أَهَمِّ شعراء العرب في العصر الحديث، تَمَيَّزَتْ قصائده بِالْتِزَام عمود الشِّعر التَّقْلِيدِيّ، على جَمالٍ في الدِّيبَاجَة وَجَزَالَةٍ في النَّسيج، كما تميّزت بالثَّورة على بعض الأوضاع الاجْتِمَاعِيَّة وَالسِّيَاسِيَّة، وله ديوانٌ ضخم حافلٌ بالمطوَّلات، اعْتُقِلَ وَسُجِنَ مَرَّات عديدة بسبب آرائِهِ السِّيَاسِيَّة الثَّائرة على الاستعمار الْبِرِيطَانِيّ، ولاحقًا على حُكَّامِ العراق السِّيَاسِيِّينَ، لجأ سِيَاسِيًّا إلى التشيك عام 1961م، وعاد إلى العراق بعد عِدَّة سنوات بدعوة من الحكومة الْعِرَاقِيَّة، ولاحقًا سُحِبَتْ منه الجِنْسِيَّة العِرَاقِيَّة بسبب مواقفه السِّيَاسِيَّة أيضًا، انْتَقَلَ إلى سوريا عام 1980م وبَقِيَ فيها حتى وفاته، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/FsfaC
2. **أحداث مايو 1986م في فرنسا**، موقع المعرفة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/uZ9Dw
3. **الهيبيز:** ظاهرة اجْتِمَاعِيَّة كانت بالأصل حركة شَبَابِيَّة نشأت في الولايات المُتَّحِدَة في ستِّينِيَّات وَسَبْعِينِيَّات القرن العشرين ثُمَّ ما لَبِثَتْ أن انتشرت في باقي الدُّوَل الغَرْبِيَّة، وَتُعْتَبَرُ هذه الحركة مناهضة لِلْقِيَم الرَّأْسْمَالِيَّة، حيث ظهرت بين طُلَّاب بعض الجامعات في الولايات المُتَّحِدَة كظاهرة احتجاج وتَمَرُّد على قيادة الكبار ومظاهر المَادِيَّة وَالنَّفْعِيَّة وثقافة الاستهلاك، فقام بعض الشَّباب المُتَذَمِّر إلى التَّمَرُّد على هذه القِيَم وَالدَّعْوَة لعالَم تَسُودُهُ الحُرِّيَّة والمساواة والْحُبّ والسَّلام، مَيَّزُوا أنفسهم بإطالة الشَّعْر وَلُبْس الملابس المُهَلْهَلَة وَالفَضْفَاضَة والتَّجَوُّل والتَّنَقُّل على هَوَاهُمْ في مختلف الأنحاء كتعبيرٍ عن قُرْبِهِمْ من الطَّبِيعَة وَحُبِّهِمْ لها، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/Xkw6h

قرونٍ وعقود، والَّتي غالبًا ما تُكَبِّلُ الشَّـــبَاب وَتَحُدُّ من حُرِّيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ على التفكير، كما نادت هذه الحركة بإعطاءِ مجالٍ أَوْسَعَ للشَّبَاب في التَّصَرُّفِ بشؤونه، وَبِالرَّغْمِ مِمَّا لهذه الحركات من محاسِنَ وَمِمَّا عليها من مَسَاوِئَ إِلَّا أَنَّهَا تُؤَكِّدُ على قُدْرَة الشَّبَاب وَأَحَقِّيَّتِهِ بالتغيير الاجْتِمَاعِيّ للوصول إلى بِنًى اجْتِمَاعِيَّة تمكِّنُه من لَعِبِ دوره على أكملِ وَجْهٍ.

إن الشَّـــبَاب العَرَبِيّ أحوجُ ما يكونُ لبيئةٍ اجْتِمَاعِيَّة تُمَكِّنُهُ من تقديم ما لديه، إِلَّا أَنَّ الواقعَ الاجْتِمَاعِيّ الحَالِيّ ســـواءٌ على مستوى الأُسْرَة أو المجتمع كَكُلٍّ لا يُشَكِّل أَيّ بيئة تَحْفِيزِيَّةٍ للشَّباب، بل على العكس يُشَكِّل بيئة تَثْبِيطِيَّة بِكُلِّ معنى الكلمة، فعلى المستوى الأُسَرِيّ لا زالت بعض التقاليد الاجْتِمَاعِيَّة تَحُولُ دون مســـاهَمَتِهِ الفاعِلَة في المجتمع، كَالتَّسَـــلُّط الأَبَوِيّ وعدم السَّـــماح باتِّخَاذِ أَيّ قرارٍ بدون الحصول على موافقة رَبِّ الأُسْرَةِ، وعلى مستوى المجتمع ما زال يُنْظَر للشَّبَاب أَنَّهُمْ ضَعِيفُو الخبرة وَلَيِّنُو العَرِيكَةِ ولا يجب السَّـــمَاحُ لهم بِأَنْ يكونوا أصحاب مبـــادَرَة، وَأَنَّهُمْ بحاجة للمراقبة اللَّصِيقَةِ والتوجيه القريب، مِمَّا يُكَبِّلُ الشَّبَابَ ولا يُسْمَح لهم بأن يكونوا أصحابَ مبادرات.

الشَّبَابُ والتَّنْمِيَةُ المُسْتَدَامَةُ

تزداد قَنَاعَةُ الحكومات والشُّعوب بِأَنَّ للتَّنْمِيَة المُسْتَدَامَةِ فِعْلُ السِّحْرِ فيما يَتَعَلَّقُ بمشاكِلَ وَتَحَدِّيَاتِ المجتمع، فالتنمية ولا سِيَّمَا المستدامة منها تُشَكِّلُ حلًّا جَذْرِيًّا لِغَالِبِيَّة العَقَبَاتِ الَّتِي تعاني منها مجتمعات اليوم، بدءًا بالمشـــاكل الاقْتِصَادِيَّـــة مرورًا بالاجْتِمَاعِيَّة فالثَّقَافِيَّة وغيرها، وإذا كنت فاعِلِيَّة أَيّ عَمَلِيَّة تَنْمَوِيَّة ترتبط بمدى مُسَـــاهَمَة مختلف القطاعات الاقْتِصَادِيَّة والشَّرَائح الاجْتِمَاعِيَّة بها، فَإِنَّ لمساهَمَةِ الشَّبَاب الدَّوْرُ الرَّئِيسُ في هذه التنمية، خاصَّةً أَنَّ للشَّبَابِ قُدْرَاتٍ ظاهرةً وفاعِلة في التَّأَقْلُم مع المُسْتَجَدَّات من القضايا ومع المُسْتَحْدَث من الأمور، وَأَنَّ لهم كذلك قدرة فِكْرِيَّة واضحة تُعِينُ على التَّعَامل مع قضايا التطوير والتنمية، فالتطوير بمختلف قطاعاته يعتمد على استنباط الجديد واستبدال القديم، ولا أَقْدرَ من الشَّبَاب مرونةً وَفِكْرًا على الاستنباط والابتكار. وقبل الدُّخُولِ في دور الشَّبَاب في تحقيق التنمية لا بُدَّ من توضيح المقصود بالتنمية، ولا

بُدَّ من التَّنْوِيهِ إلى الْخَلْطِ الشَّائعِ بين مفهوم التنمية وَالنُّمُوّ، فكِلَا المَفْهُومَيْنِ قد يتقاطَعَا لُغَوِيًّا إلَّا أنَّ لِكُلٍّ منهما معنًى إجْرَائِيًّا يختلفُ عن الآخر، فَالنُّمُوّ هو ظاهرة طِبِيعِيَّة تَحْدُثُ من تلقاء نفسها مع مرور الزَّمَن، وبوجود مجموعة مُحَدَّدَة من عناصر الإنتاج، ويرتبط مفهوم النُّمُوّ بالنُّمُوّ الاقْتِصَادِيّ والَّذِي يُؤَثِّرُ في النَّاتِجِ القَوْمِيّ ومُتَوَسِّط الدَّخْلِ الفَرْدِيّ وغيره من المفاهيـــم الاقْتِصَادِيّة، وقد يختلف مُعَدَّل النُّمُوّ من مجتمَعٍ لآخَرَ بِحَسَـــبِ عنـــاصر الإنتاج الموجودة، ووَفْقًا للعلاقة التَّفَاعُلِيَّة بين هذه العناصر، أَمَّا التنمية فهي عَمَلِيَّة مقصودة ومُوَجَّهَة، وتحتملُ الْفَشَـــلَ أو النَّجَاح وذلك تَبَعًا للسِّيَاسَات المُسْتَخْدَمَة لتحفيزها؛ فالنُّمُوّ عَمَلِيَّة تراكُمٍ كَمِّيٍّ لعناصر الإنتاج، أَمَّا التنمية فهي عَمَلِيَّة تَرَاكُمٍ نَوْعِيّ لِذَاتِ العناصر والمُدَعَّمَة بالتخطيـــط والتوجيه والتنفيذ(1)، ولا يمكن فصل النُّمُوّ عن التنمية من الناحية التَّطْبِيقِيَّة، فهما متداخِلَان ومتكاملان، إلَّا أنَّ التنمية تُعْتَبَرُ أشـــمل وَأَعَـــمَّ، فالنُّمُوّ يقتصر على الجانب المَادِّيّ لعناصر الإنتاج، أَمَّا التنمية فتَمْتَدّ لتشـــمل الجوانب الاجْتِمَاعِيَّة والثَّقَافِيَّة والإِدَارِيَّة والتَّرْبَوِيَّة إضافةً إلى العناصر الاقْتِصَادِيّة.

ومن المفاهيم الحديثة والَّتِي ترتبط بمفهوم التنمية، مفهوم التنمية المســـتدامة، والَّذِي يُعْرَف على أنَّه "عَمَلِيَّة تَحَوُّلٍ تَارِيخِيٍّ مُتَعَدِّدِ الأبعاد، يَمَسُّ الهياكل الاقْتِصَادِيَّة والسِّيَاسِيَّة والاجْتِمَاعِيّـــة، وغيرها في الدَّوْلَة، ويكون مدفوعًا بقُـــوَى ذَاتِيَّة دَاخِلِيَّة، وليس مُجَرَّد اســـتجابة لِرَغَبَاتِ قُوًى خَارِجِيَّة، وهو يجري في إطار مُؤَسَّسَـــات الدَّوْلَة السِّيَاسِـــيَّة والاقْتِصَادِيَّـــة والاجْتِمَاعِيّة، ويَحْظَى بالقَبُول العَامِّ، وهذا القَبُولُ هو ســـببُ وعَصَبُ اسْـــتِمْرَارِيَّتِهَا، ويرى معظم أفراد المجتمع أنَّ إجراءات هذه التنمية يتماشى وينسجم مع القِيَم الأَسَاسِـــيَّة للمجتمع الثَّقَافِيَّة والاجْتِمَاعِيّة(2)؛ ومن هذا التعريف يمكن القول

1. كردمين، وفاء. "**الشـــباب والتنمية المفاهيم وَالإِشْـــكَالِيَّات**". المعهد العالي للعلوم الإِنْسَانِيَّة، مركز جيل الدِّرَاسَات السِّيَاسِيَّة والعلاقات الدَّوْلِيَّة، العدد الحادي عشر، ص128، 9 ديسمبر 2017م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/wD8PP
2. غانم، بســـام عمر & عودة عبد الجواد أبو ســـنينة. "**دور الشَّـــبَاب في التنمية الشَّاملة في المجتمع**". مجلة جامعة القدس المفتوحة لِلدِّرَاسَات والأبحاث، العدد الرَّابِع والثلاثون، أكتوبر 2014م، ص62، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/feKSI

بِأَنَّ التنمية المُسْـــتَدَامَة تقوم على جُمْلَةِ مفاهيمَ، أَهَمُّهَا ضرورة مشارَكَة مختلف شرائح المجتمع بها، وضرورة قَبُولِ واقتناع هؤلاء الأفراد بإجراءاتِ هذه التنمية.

ولكي تُحَقِّق التَّنْمِيَة المســـتدامة الأهداف المَرْجُوَّة منها فإنَّه من الضَرُورِيّ النَّظَرُ إلى الفئات الأكثر حاجة والأكثر تَضَرُّرًا، أو ما يُعْرَفُ بالفئات المُهَمَّشَـــة، وإفساح المجال أمامها للمشـــارَكة والتَّعْبير عن آرائها بحُرِّيَّة، دون أن يكونَ هناك سيطرة أو سطوة لفئةٍ على أخرى؛ وانطلاقًا من هذا الطرح يمكن القول بِأَنَّ نجاح التنمية المنشودة في البيئة العَرَبِيَّة، واكتســـابها صفةَ الاستدامة مرهونٌ بمشاركة الشَّبَاب العَرَبِيّ في هذه التنمية، ومشارَكَتِهم هذه لا يجب أن تقتصر على جانبٍ دون الآخر، بل يجب أن تبدأ من مرحلة التخطيط وصولًا لمرحلة الرِّقَابَة والتقييم، وهذه المشـــاركة لا تَتِمُّ بِالدَّعْوَة للمشـــارَكَة، بل تَتِمّ من خلال أساليبَ وطرائق عَمَلٍ تُمَكِّنُ الجميع ومنهم الشَّبَاب من المشارَكَة التِّلْقَائِيَّة، وبَقَدْر ما تَكُونُ مشارَكَة الشَّبَاب فاعِلة وعريضة بقَدْرِ ما يمكن أن تُحَقِّقَ التنميةُ المُسْتَدَامَة النَّتَائِجَ المَرْجُوَّةَ منها.

وكمُتَطَلَّبَات لعمليَّة التَّنْمِيَة المُسْتَدَامَة فإنَّ ذلك يَتَطَلَّب أن تكون الخطوات متتاليةً ومترابطة مع بعضها:

- **أَوَّلًا:** بناء قاعـــدة مَعْلُومَاتيَّة تُوَثِّق للإمكانات الموجودة داخل المجتمع وَالَّتِي من الممكـــن إدخالها في عَمَلِيَّـــة التنمية، بدءًا من عناصر الإنتـــاج وانتهاءً بالموارد البَشَرِيَّة النَّوْعِيَّة والكَمِّيَّة.
- **ثانيًا:** دراســـة وتحليل جميع احتياجات ومُتَطَلَّبَات المجتمع، ومدى تلبية التنمية الحَالِيَّـــة لهذه المُتَطَلَّبَات، ومدى النَّقْص والقُصُـــور في كَافَّةِ المجالات الْخَدَمِيَّة وَالْإِنْتَاجِيَّة.
- **ثالثًا:** اعتماد خُطَّة تُحدِّد الأهـــداف وَتُرَتِّب الأَوْلَوِيَّات المُرَاد تحقيقها مجتمعيًّا، وترســـم السِّيَاسَات، والبَدَائِل والمراحل الزَّمَنِيَّة للتنفيذ؛ استنادًا لجميع المُتَطَلَّبَات المُتَوَفِّرَة.

وكما أسلفنا فَإِنَّ ضمان مشاركة الشَّبَاب في عَمَلِيَّة التنمية والتنمية المُسْتَدَامَة لا تكون بتوجيه دعوةٍ لهم بالتَّأكيد، بل تكون من خلال اتِّخَاذ جُمْلَة من الإجراءات الَّتِي تَكْفُل مشاركتهم التِّلْقَائِيَّة وَالدَّائِمَة، **وفيما يلي سَنُوَضِّح أَهَمَّ هذه الإجراءات:**

- تشجيع عمل المشـــاريع الصغيرة والمُتَنَاهِيَة الصِّغَر، خاصَّةً وأَنَّ غَالِبِيَّة رُوَّادِ هذه المشاريع هُمُ الشَّبَاب.
- توفير المعلومات المُتَعَلِّقَة بالتنمية والاســـتثمار للجميع، والعمل على تأهيل شرائح الشَّبَاب مِهَنِيًّا بحيث يَتَمَكَّنُونَ من المشارَكَة الحَقِيقِيَّة في الإنتاج.
- توفير مُنَاخٍ سِيَاسِيّ واجْتِمَاعِيّ عَامّ يمتاز بالاستقرار مع ضمان الحُرِّيَّات العَامَّة، هذا النِّظَام بإمكانه تحفيز عَمَل التنمية المُسْتَدَامَة وتحفيز مشارَكَة الشَّبَاب.
- توجيه محاور التنمية بحيث يتحقَّق الانســـجام بين هذه المحاور وبين خصائص البيئة المُسْتَهْدَفَة ولا سِيَّمَا خصائص الشَّبَاب منهم، فعلى سبيل المثال ينبغي أن تكون التنمية المُسْتَدَامَة في الأرياف العَرَبِيَّة متقاطِعَة إلى درجةٍ كبيرة مع خصائص ابْنِ الرِّيفِ ومع حاجَةِ هذا الرِّيفِ الْفِعْلِيَّة ومع قدرات وَمُؤَهَّلاتِ الشَّبَاب.

إِنَّ الواقع الْحَالِيَّ في قســـمٍ لابَأْسَ به من دُوَلِ الوطن العَرَبِيّ يشيرُ إلى تراجُعٍ واضِحٍ في مُؤَشِّرات التنمية المُسْتَدَامَة(1)، وحتى على صعيد النُّمُوّ الاقْتِصَادِيّ تشير المُؤَشِّرَات إلى تراجُعٍ نِسْـــبِيّ أيضًا، ويمكن عَزْو هذا التراجع إلى أســـبابٍ عِدَّة؛ منها استنساخ التجارِب الغَرْبِيَّة النَّاجحة في مجال التنمية المستدامة، دون الأخذ بالاعتبار خُصُوصِيَّة المجتمع العَرَبِيّ وَخُصُوصِيَّة الشَّبَاب، فالشَّبَاب العَرَبِيّ في قسمٍ كبير منه شبابٌ رِيفِيّ، لا يصلح التَّوَجُّه إليه ببرامج تنمية مستَدَامَة مُسْتَنْسَخَة من تجارِبَ مُوَجَّهَةٍ لشباب بيئة تِكْنُولُوجِيَّة فائقَةِ التَّطَوُّر، كذلك من أســـبابِ تراجع دور الشَّـــبَاب في مجالِ التنمية

1. مرداوي، كمال & حبيبة شـــعور. "**الإطار التَّحْلِيلِيّ للتنمية المسْـــتدامة وتطبيقاته على الدُّوَل العَرَبِيَّة**". مجلة العلوم الإِنْسَانِيَّة، العدد الثَّالث والثلاثون، 2010م، ص292، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/mPu90

المُسْتَدَامَة تمَلُّصُ الحكومات العَرَبيَّة من دورها تِجَاهَ الشَّبَاب(1)؛ ممَّا أدى إلى فُقْدَان ثقة الشَّــبَاب العَرَبيّ بحكوماته، وَأَدَّى إلى شِــبْهِ أزمَةٍ اجْتِمَاعِيَّة، تمَثَّلَتْ ملامحها في إحجام الشَّــبَاب عن أيِّ مشارَكَةٍ فاعِلة سواءٌ في التنمية أو في غيرها من المُؤَشِّرات، كنتيجَةٍ لأَزْمَة الثِّقَة الحاصلة، وقادت هذه الأزمة الشَّبَاب العَرَبيّ من الالتزام بقضايا الأُمَّة وَأَوْلَوِيَّات المجتمع إلى العَبَثِيَّة واللَّامُبَالاة وعدم الاكتراث.

الشَّبَاب حجر التَّغْيير الأساس

يشــير مفهوم التغيير إلى قَضِيَّة طِبيعِيَّة ودائمة وَمُسْــتَمِرّة، ولا يجوز عَرْقَلَتُهَا أبدًا، فالتغيير حالة بطيئة قد لا تكون مَرْئِيَّة التفاصيل، لَكِنَّها تترك أثرًا واضحًا على المدى البعيــد، ولكن وفي حال عرقلة هذا التغيير ومحاولة تثبيت الواقع على حالَةٍ مُحَدَّدَةٍ، باعتقاد أَنَّ هذه الحالة الرَّاهِنَة تُشَــكِّل منفعَةً مَحْضَةً ويجب الحفاظ عليها، فَإِنَّ هذا الفِعْلَ ينافي النَّزْعَة الطِبيعِيَّة للتَّغَيُّرِ والتَّطَوُّر، وينافي قوانين الوجود؛ فالنُّمُوّ هو شكلٌ من أشــكال التغيير والتَّطَوُّر كذلك الأمر، أَمَّا الثَّبَاتُ والجمود فهو سَلْبِيٌّ مَحْضٌ؛ وَإِنَّ محاولة عرقلة مسيرة التغيير الطَّبِيعِيَّة، قد تنجح في بعض الحالات لَكِنَّه نجاحٌ مَؤَقَّتٌ، سَرْعَانَ ما تعود حركة التغيير لســابِقِ عهدها، إِلَّا أَنَّهَا قد تأتي بصورةٍ قَوِيَّةٍ قد تُسَبِّبُ أضرارًا؛ كَأَنْ تُعِيقَ مجرى النَّبْع وتَسُدَّهُ، سينقطِعُ حينها الماء لفترة قد تَطُولُ أو تَقْصُرُ، لكن ماء النَّبْعِ سَيَتَفَجَّرُ حتمًا من مكانٍ آخر وقد يَقْتَلِعُ معه أشجارًا وَيَجْرِفُ طُرُقَاتٍ. وغالبًا ما يشــار إلى التغيير على أَنَّهُ عَمَلِيَّة مقصودة وَاسْتِثْنَائِيَّةٌ، تحصل عند الحاجة لها فقط، وهذا بِالتَّأْكِيد من المفاهيم المغلوطة، فالتغيير يكون عَمَلِيَّةً مقصودة عندما تقــوم جهة ما بإعاقــة حركة المجتمع، فَلَا بُدّ حينها مــن التَّدَخُّلِ وتحريض التغيير عــلى الحصول، هذا من ناحيةِ المفهوم العَامِّ، وَبِالتَّخْصِيصِ يمكن القول بِأَنَّ التغيير

1. كردمين،وفاء. "الشَّبَاب والتنمية المفاهيم وَالْإِشْكَالِيَات". مرجع سابق، ص129.

الاجْتِمَاعِيّ وَالسِّـــيَاسِيّ هو سُنَّةٌ من سُنَن الحياة، وهذا التغيير يقوم به الشَّبَاب بشكلٍ رَئِيسٍ، مع دَوْرٍ ثَانَوِيٍّ لباقي شرائح المجتمع، وهذه الأَهَمِّيَّة البالِغة لدور الشَّـــبَاب في عَمَلِيَّة التغيير سببُهَا مَيْلُ الشَّبَاب الفِطْرِيّ والطَّبِيعِيّ للتغيير.

وفيـــما يَتَعَلَّقُ بالمجتمع العَرَبِيّ، فقد ســـادَ به الجُمود والثَّبَـــاتُ فترات طويلةً، وكما أســـلفنا، فَإِنَّ هذا الجمود لا يمكن أن يحمـــل أَيَّ شَيْءٍ إِيجَابِيّ، فالخضوع للقوانين الطِبِيعِيَّة والسَّـــيْرُ مع الفِطْرَة البَشَرِيَّة هو الأَصَحُّ والأنفع، وما خَلَا ذلك لا يعدو كَوْنَهُ اســـتثمارًا شَـــخْصِيًّا على حسابِ مجتمعٍ بأَكْمَلِه؛ لذلك لَا بُدَّ للشَّـــبَاب العَرَبِيّ القيام بالتغيير المطلوب، والتغيير المنشود هنا لا نعني به التغيير السِّيَاسِيَّ فقط، بل والتغيير الاجْتِمَاعِيّ، فالجُمود الاجْتِمَاعِيّ واســـتمرار العَيْـــشِ في تقاليدَ وعاداتٍ يصل عُمْرُ بعضهـــا لقرونٍ وقرون، لا يمكن أن يَدُلَّ على بيئةٍ قادرة على التَّطَوُّرِ وتقديم الجديد، فالتغيير المنشود على المستوى العَرَبِيّ يجب أن يشمل الجوانب السِّيَاسِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والثَّقَافِيَّة والإِدَارِيَّة وغيرها.

وقد أثبتت موجات ثورات الرَّبِيع العَرَبِيّ على الاســـتبداد والظُّلْم والفساد منذ العام 2011م، والَّتِي خاضها الشَّبَاب بكفاءةٍ وعُلُوِّ هِمَّةٍ، ومواصلَةٍ ومثابَرَةٍ، وتحمُّل وتضحية -أَنَّ الشَّـــبَاب العَرَبِيّ يحمل بين ضلوعه طاقةً كامنة وقويَّةً قادرة على التغيير، على الرَّغْـــمِ من عقودِ التَّهْمِيش والإقصاء الَّتِي مُورِسَـــت بحَقِّه، الأمر الَّذِي يُحَتِّم إجراءَ مراجعةٍ شاملة لدى كافَّة أطياف الأُمَّة، أفرادًا ومُؤَسَّسَات، حُكَّامًا ومحكومين، للنَّظَرِ إلى الدَّوْرِ الطَّلِيعِيّ الَّذِي أَخَذَهُ الشَّـــبَاب في حِقْبَة ثورات الرَّبِيع، من حيث دورُهُ في القيـــادة وتجديدها وتطويرها، ودورُهُ في عمليَّة البنـــاء الجديدة للأُمَّة ومشروعها الحَضَارِيّ.

إِنَّ التغيير في العالَم العَرَبِيّ الَّذِي يجب أن يكونَ الشَّـــبَاب جَذْوَتَهُ، يجب أن يَتَمَثَّلَ في اتِّجَاهَاتٍ ثلاثة، نُبَيِّنُهَا فيما يلي:

- **التخطيط:** ويقوم التخطيط على البَدْءِ بدراســـة التغيير المنشود، بحيث لا يكون عَشْوَائِيًّا، ولا يكون تغييرًا لأَجْلِ التغيير، بل لأَجْلِ تحسين الحياة.

- **التنفيذ**: وفي هذا الاتِّجَاه يَتِمّ اختيار الوسائل المتناسبة مع الهدف المنشود، ويجب أن تتناسب هذه الوسائل مع الواقع الْحَاليّ المُـرَاد تغييره أيضًا، فَأَيّ أسلوب للتغيير يجب أن يُحَقِّقَ التوازن بين الواقع الحَاليّ والواقع المَنْشُود، وهنا يجب أن يكون التغيير مُتَوَازِنًا من حيث السُّرْعةُ، فلا يجب أن يكون بطيئًا ولا بالغَ السُّرْعة؛ لِأَنَّ الْبُطْءَ يَفْقِد التغيير معناه، كما أَنَّ المبالغة بالسُّرْعة قد تُؤَدِّي إلى انفلاتٍ اجْتِمَاعِيّ، وخاصَّةً في ظِلِّ الخروج السَّريع إلى واقعٍ جديد مُتَغَيِّر بعْدَ عصور من الجمودِ والثَّبَات.
- **التقييم**: وفي هذا الاتِّجَاهِ يَتِمُّ مقارنة الأهداف مع النَّتَائِج، وهذا الاتِّجَاه لا يَتِمّ في نهاية التغيير، بل هو عَمَلِيَّة مُسْتَمِرَّة تصاحب مشروع التغيير من بدايته إلى نهايته.

وهنا لَا بُدَّ من التنويه إلى قضيَّةٍ بالغة الْأَهَمِّيَّة، وهي أَنَّ المجتمع العَرَبيّ وبعد عصورٍ من الجُمُودِ والثَّبَات فَإِنَّ أَيَّ تغيير قد لا يكونُ سَلِسًا، فمن الطَّبِيعِيّ أن تَشُوبَهُ بعض الفوضى وَالانْفِلَات، وهي مرحلة مُؤَقَّتَة لحين اعتياد المجتمع العَرَبيّ على الواقع الجديد، فَعَرْقَلَة مسار النَّهْرِ لفترات لَنْ تَمُرَّ بسلام حين إعادة إطلاق مجراه، فقد يَجْرِف الكثير أمامه، لَكِنَّه وبعد فترة قصيرة يعود للاستقرار، فَتَفَجُّرُ السَّيْلِ ليس دليلًا على أَنَّ حَبْسَهُ أجدى وأنفع، فَكُلَّمَا طال أَمَدُ حَبْسِ السَّيْلِ وَإِلْزَامِهِ بالثَّبَات في مكانه كُلَّمَا كان أَثَرُهُ تَخْرِيبِيًّا عند إعادة إطلاقه.

إنَّ مهمة تمكين الشَّبَاب العَرَبيّ لقيادة مشروع الأُمَّة النَّهْضَوِيّ التَنْمَوِيّ ليست نوعًا من التَّرَف النَّظَرِيّ أو الجِدَال الفِكْرِيّ، بل إنَّها مُهِمَّةٌ عاجلة وأولويَّة لازمة، مِن قِبَلَ الحكومات والنُّخَب والمجتمعات على حَدٍّ سواء، وذلك بالنَّظَرِ إلى حَجْم المخاطر والتَّحَدِّيَات الَّتِي تواجهها الدُّوَل والمجتمعات العَرَبِيَّة حاضرًا، وتلك المُتَوَقَّع أن تواجهها مستقبلًا، ولأنَّ الشَّبَاب هم حاضرُ الأُمَّة ومستقبَلُها فإنَّهم نقطة الْبَدْءِ الرَّئِيسَة وَالمُرْتَكَزُ الْأَسَاسِيُّ لأيِّ اسْتِرَاتِيجِيَّات تَنْمَوِيَّة لبناء غدٍ أفضل للأُمَّة يتواءَمُ مع تاريخها النَّاصِع وحضارتها الغَرَّاء.

وإجـــمالًا، فهذا التركيز على دور الشَّـــبَاب في النُّهوض وتنمية مجتمعاتهم، شـــكَّلَ مِحْور مُلْتَقَيات عِدَّة، منها [1]"Global Leaders Summit"، وذلك لتنشيط كُلّ أنواع التَّدْرِيـــب، والمؤتمرات، وورش العمل وَحَلَقَاتِ النقاش، وخُلَاصَةُ هذا النقاش الدَّائِرِ في هذا الملتقى وغيره؛ البحث عن اعتماد وسائل التَّوْجِيه المثلى، وإعادة نَسْجِ أواصر الثِّقَة وَالتَّوَافُق مع الشَّـــبَاب، مع تبنّي أربعة توصيات محوريَّة، تَتَمَثَّل في: تفعيل حركة تعليميَّـــة ومهنيَّة إدماجيَّة، وتطوير المهارات الرقميَّـــة، ودعم العمل التَّطَوُّعِيّ، وفتح الأبواب أمام تدريب العاملين في المجتمع المَحَلِّيّ، وعلى الصعيد الوَطَنِيّ والدولي.

1. **القِمَّـــة العالميَّة للقادة** هي قِمَّةٌ شـــبابيَّة عُقِـــدَتْ في الفترة ما بين 12 إلى 21 فبراير 2016م، بمدينة مراكش المغربيَّة، حضرها 400 من قادة الشَّـــبَاب يُمَثِّلُونَ 126 بلدًا من خَمْسِ قَارَّات، ومجموعة من الشَّركات الرَّائِدَة والوكالات المختلفة حول القيادة والتَّنْمِيَة المُسْتَدَامَة؛ موقع المصدر، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/mi3CP

المبحث الثَّاني

غِياب الشَّبَاب عن قضايا الأُمَّة

يعيش الكثير من الشَّبَاب العَرَبيّ مُعْضِلاَتٍ حَيَاتِيَّةً واحدة؛ يتقاسمون خلالها بَعْضَ الهمـــوم معًا، وَيَنْفَرِدُ كُلٌّ منهم كذلك بهمومه الخاصَّة النَّاجمَة عن بيئته الضَّيِّقَة، وإبعاده وتَغْييبه عن قضايا أُمَّته، والَّتي إنْ شِئْنَا الدِّقة، فَهِيَ قضايا تَتَعَلَّق بمصيرِه ومســـتقبله، بل ومســـتقبَلِ أولادِه وأحفادِه من بعدِه؛ الأمر الَّذي يمكن معه إلقاءُ الضَّـــوْءِ على واقعِ المخاطر الَّتِي تحيط بالشَّـــبَاب العَرَبيّ من المحيطِ إلى الخليج، بِشَيْءٍ من التعميم النَّاجِم عن تشـــابه السِّـــيَاقاتِ العَرَبيَّة، حتى وإنْ تَعَدَّدَت الدُّوَل والمجتمعات، والنَّاجِمَة عن أمر مِحْوَرِيّ ورئيس هو "تهميش الشَّبَاب".

وإزاءَ تلك المخاطر، تَتَعَدَّد صور انحرافات الشَّـــبَاب في المجتمعات العَرَبيَّة والمُسْلِمَة؛ ففي نفس الوقت الَّذِي نُؤَكِّد على أَهَمِّيَّة دور الشَّـــبَاب في بناء المســـتقبل، وتطوير المجتمعات ونهضَتِها؛ نجد أنَّ الكثير من الشَّبَاب يَقَعُونَ ضحيَّةً لِصُوَرٍ من الانحرافات المختلفة؛ وهذه الانحرافات منها ما هو انحرافٌ فِكْرِيٌّ أو سُلُوكِيٌّ، وبالتَّأْكِيدِ فَالانْحِرَافُ الْفِكْرِيّ والسُّـــلُوكِيّ هما وَجْهَانِ لِعُمْلَة واحدة؛ فالانحراف الْفِكْرِيّ لَا بُدَّ أن يقودَ لآخَرَ سُـــلُوكِيّ، وهذا الانحراف لَيْسَ إلَّا نتيجةً لأسبابٍ مَوْضُوعِيَّة يعيشها الشَّبَاب العَرَبيّ، فَهِيَ شـــكلٌ من أشـــكال الهروب من واقعٍ وبيئةٍ لا تُوَفِّر المُقَوِّمَات الضَّرُورِيَّة لعمل الشَّـــبَاب بشـــكلٍ طَبِيعِيّ، وقد يقول قائل هنا: إنَّ قضايا الأُمَّةِ من الكَثْرَةِ والتعقيد ما يكفي لإشـــغال الشَّبَاب بعملٍ وتفكيرٍ قد لا ينتهي، وهنا لَا بُدَّ من التوضيح بِأَنَّ عزوفَ الشَّبَاب عن الانهماك في هذه القضايا لَيْسَ زُهْدًا بها، ولا تَهَرُّبًا من المَسْؤُولِيَّة، ولَكِنَّهُ نتيجةُ ظروفٍ حَيَاتِيَّةٍ مُتَشَابِكَة ومُتَعَدِّدَة يمكن القول بِأَنَّ الشَّبَاب ضَحِيَّةٌ مباشرة لها، بمعنى آخر يمكن القول بِأَنَّ إحدى مظاهر الضَّغْطِ على الشَّبَاب العَرَبِيّ هو إشغالُهم عن قضاياهم وقضايا أُمَّتِهِمْ، فَهُمْ في ســـلوكهم اليَوْمِيّ الَّذِي قد يبدو فارغًا من أَيّ

مضمونٍ ليسوا مُنْتَهِجِينَ لهذا السُّلوك بِقَدْرِ ما هم مدفوعون له دفعًا؛ فلا يَصِحّ دعوةُ الشَّبَابِ للإقلاع عن السُّلوكِيَّات الفارِغَة المضمون؛ لِأَنَّ الحَلَّ ليس بِالدَّعْوَة، لكن الحَلَّ بانتفاء الأسباب الَّتِي دفعتهم لهذه السُّلوكِيَّات، فيجب في هذا الأمر التفريق بين السَّبَب وَالنَّتِيجَة.

وفيما يأتي سنحاول تِبْيان قضية ابتعاد الشَّبَاب عن قضايا الأُمَّة من حيث السَّبَبُ والنَّتِيجَة، فالسَّبَب ضَرُورِيّ من حيث معالَجَة هذه الْقَضِيَّة، أَمَّا النَّتِيجَة فَضَرُورِيَّة لدراسة مظاهر هذه الأزمة وَتَجَلِّيَاتِهَا، وسنبدأ هذا التحليل بدراسة أسباب هذا الغياب.

أسباب غياب الشَّبَاب العَرَبِيّ عن قضايا الْأُمَّة

من الصُّعُوبَة بمكانٍ حَصْرُ الأسبابِ الَّتِي تدفعُ الشَّبَاب العَرَبِيَّ للبُعْدِ عن قضايا أُمَّتِه، ويمكننا تقسيم هذه الأسباب إلى جُمْلَتَيْنِ مُتَمَايِزَتَيْنِ ومُتَكَامِلَتَيْنِ، الأولى أسبابٌ عَامَّةٌ والأخرى خَاصَّة، فَالْعَامَّة تشمل الشَّبَاب العَرَبِيَّ بمختلفِ انتماءاتِهِ وفئاتِهِ وتَوَجُّهَاتِهِ، كَالْفَقْرِ وانخفاض الدَّخْلِ وَالبَطَالَة وغيرها من الأسباب الَّتِي تناولناها تفصيلًا في الفصل الثَّالث من هذه الدِّرَاسَة، أَمَّا الخاصَّةُ فتتباين من بيئةٍ لأخرى ومن دولَةٍ لأخرى، ولكن عمومًا يمكن إجمال هذه الأسباب بسببَيْنِ رَئِيسَيْنِ سَنُبَيِّنُهُمَا فيما يلي.

أوَّلًا: متلازمة العُنْفِ والتَّهْمِيش:

يُعَدُّ العنف والتهميش من أبرز أسباب غياب الشَّبَاب عن قضايا أُمَّتِه، فالتَّهْمِيش يأتي مع شعورٍ بِتَسَلُّط الآخرين وممارستهم العُنْفَ النَّفْسِيّ على الشَّابّ، وكذلك شعورٌ عامٌّ بأنَّ رَأْيَهُ غيرُ مُقَدَّر، وأنَّ مجهوداته لا قيمة لها، بل قد يشعر الشَّبَاب أيضًا بالضِّعَة والحاجة لإثبات الذَّات فَيَلِجُون دوائرَ العُنْفِ لتحقيق ذلك.
فالشُّعور بالتَّهْمِيش يُحوِّل طاقة الشَّبَاب الإيجَابِيَّة السِّلْمِيَّة إلى كَرَاهِيَة وعدوانيَّة شديدة، إمَّا على مستوى التَّطَرُّف الفِكْرِيّ أو العُنْف السلُوكِيّ، وهو ما تُفْصِح عنه

مُؤَشِّرات الْعُنْف والجريمة والتَّطَــرُّف، على غِرَار تقرير مُؤَشِّر الجريمة العَالَمِيّ(1) لعام 2019م، والَّتِي يشــكِّل الشَّـــبَاب الفاعِلَ الأغلب فيها؛ فسوريا تَحْتَلّ المركز (16) عالميًــا بمُعَدَّل الجريمة، والصومالُ المَرْتَبَةَ (20)، وليبيا (22)، وَمِصْر (36)، والجزائر (43)(2)، وهذه الدُّوَل تُشَكِّلُ ما نِسْبَتُه أكثر من (60 %) من تَعْدَاد السُّكَّان في الوطن العَرَبِيّ، وباقي الدُّوَلِ تأتي في مراكزَ مُتَقَدِّمَةٍ نِسْــبِيًّا وَفْقَ هذا المُؤَشِّر باستثناء بعض الدُّوَلِ الْخَلِيجِيَّة، ووَفْقَ بيانات مُنَظَّمَة الصِّحَّة العَالَمِيَّة فَإِنَّ نِسْبَة الجرائم الَّتِي يَرْتَكِبُهَا الشَّـــبَاب تصل إلى (43 %) من عدد الجرائم الكُلِّيّ، وعلى الْأَخَصِّ في الدُّوَل النامية، والَّتِي يُصَنَّف الوطن العَرَبِيّ برُمَّتِهِ من ضمنها(3).

وَبِالنِّسْــبَةِ لِلتَّهْمِيش، فالشُّـــعور به يزداد عندما يُدْرِك الشَّـــبَاب أنَّه لا تُوجَد قوانينُ تَحميهم، أو تَحْفَظُ كَرَامَتَهُمْ، وتُشْــعِرهم بالأمان، ما يُحَــوِّل طاقاتهم الحَيَوِيَّة إلى ممارساتٍ وسلُوكِيّات عُدْوَانِيَّة تَتَمَثَّل في الْعُنْفِ والجريمة والتَّطَرُّف والانحراف الَّذي تَتَّســع دَائِرَتُهُ لتصلَ إلى الدَّائِرَة المقرَّبة منهم، وصولًا إلى الْعُنْف الأُسَرِيّ والمُجْتَمَعِيّ، وفي مراحلَ مُتَقَدِّمَة من الشُّعورِ بالتهميش، قد تَتَطَوَّر الأمور لتَصِلَ إلى حَدِّ الاكتئاب المُزْمِن، إضافةً إلى تنامي مشــاعرِ التَّمَــرُّد، والخروج على المجتمع، وعدم الاكتراث بقضايا المجتمع والبيئة المحيطة.

1. **مُــؤَشِّرُ الجريمــة العَالَمِيّ (نامبيو)**: مُــؤَشِّر عَالَمِيّ تُصْدِرُهُ قاعدة البيانات الشــهيرة نامبيو، وَيَتَضَمَّن تصنيفًــا لـــ117 دولة مــن دول العالَم، بترتيبها من الــدُّوَلِ الَّتِي تتَرَكَّزُ فيها المُعَدَّلَات المرتفعة لمســتوى الجريمة بأشــكالها المختلفة، إلى الدُّوَل الْأَقَلّ في معدلات الجريمة، وَيَصْدُر المُؤَشِّر بصورةٍ نصف سَــنَوِيَّة تقريبًا؛ إذ يجري العمل عليه طوال العام، ويُنْشَر تقرير عنه كُلّ سِتَّة أشهر، لقياس مُعَدَّلَات الجريمة في الدُّوَلِ، وأحيانًا في العواصم أيضًا، وَصَدَرَ المُؤَشِّرُ أَوَّلَ مَرَّة بتأســيس الموقع الإِلِكْتُرُونِيّ لموســوعة وقاعدة البيانات الخَاصَّة بـ«نامبيو»، وذلك عام 2009م، وَتَأَسَّسَتْ الموسوعة على يَدِ مهندس الْبَرْمَجِيَّات، ملادم آدموفيتش، وَالَّذِي عَمِلَ في شركة جوجل سابقًا لسنوات، للمزيد: موقع ساسة بوست، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/qfPyg
2. الموقع الرَّسْمِيّ لمُؤَشِّر الجريمة العَالَمِيّ، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/Ld2ug
3. **"عُنْــفُ الشَّــباب"**، مُنَظَّمَة الصحة الْعَالَمِيَّة، 30 ســبتمبر 2016م، مُتَاح عــلى الرَّابِط: https://cutt.us/pZymY

ثانيًا: الاغتراب النَّفْسيّ والاجْتِمَاعِيّ:

يُقْصَد بالاغتراب النَّفْسيّ شعور الفَرْد بالضَّيَاع والاستلاب(1)، وَلَعَلَّ أَهَمّ الأسباب الَّتِي تقود الفَرْد للاغتراب وَفْق فرويد(2) هي التَّبَايُن بين طموحات الشَّابّ وبين إِمْكَانيَّاته المَادِّيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والنَّفْسِيَّة(3)، ولا يَخْفَى على أَحَدٍ أَنَّهُ من الطَّبِيعِيّ أن تكونَ آمالُ وطموحات الشَّبَاب ذاتَ مستوًى عالٍ، إِلَّا أَنَّ اصطدام هذه الطموحات بعَقَبَات الواقع ومَتَاعِبِ الحياة تقودُ الشَّابّ للإحباط ولاحقًا للاغتراب، فالشَّبَاب العَرَبِيُّ تَائِهٌ في وطنه، وهذا ما يُؤَكِّدُ عليه عالِمُ النَّفْسِ الفَرَنْسِيّ دور كايم(4) فيقول: "تمُرّ المجتمعات الإِنْسَانيَّة خلال فَتَرَاتِ تَحَوُّلِهَا بمراحلَ تَتَغَيَّرُ فيها بعض القِيَمِ الأَسَاسِيَّة بسرعة، يصعب على الفَرْد معها التَّعَرُّف على الْقِيَم المِعْيَارِيَّة ويَجِدُ نفسه في حالَةٍ لا تُسْعِفُهُ معها الثقافة السَّائدة بتعريفاتٍ واضحة للقِيَم المقبولة"(5)، إِنَّ هذه المراحل وما تُسَبِّبُهُ من ضغوطٍ نَفْسِيَّة تقود الشَّبَاب للاغتراب النَّفْسِيّ، وخاصَّةً في المراحل

1. قاموس المعاني، **مَادَّة اغتراب**، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/xTzSA
2. **فرويد**: سيغيسموند شلومو فرويد يُعْرَف اختصارًا بسيغموند فرويد، (1939-1856م)، طبيب نمْسَاوِيّ، اخْتَصَّ بدراسة الطِّبّ الْعَصَبِيّ ومُفَكِّر حُرّ يُعْتَبَر مُؤَسِّس عِلْم التحليل النَّفْسِيّ، اشْتُهِرَ بنَظَرِيَّات العقل وَاللَّاوَعْي، وَآلِيَّة الدِّفَاع عن القَمْع وخَلْق المُمَارَسَة السَّريريَّة في التحليل النَّفْسِيّ لعلاج الأَمراض النَّفْسِيَّة عن طريق الحوار بين المريض والمُحَلِّل النَّفْسِيّ، كما اشْتُهِرَ بتَقْنِيَة إعادة تحديد الرَّغْبَة الْجِنْسِيَّة والطاقة التَّحْفِيزِيَّة الْأَوَّلِيَّة للحياة البَشَرِيَّة، فَضْلًا عن التَّقْنِيَّات الْعِلَاجِيَّة، بما في ذلك استخدام طريقة تكوين الجَمْعِيَّات وَحَلَقَات الْعِلَاج النَّفْسِيّ، وَنَظَرِيَّتُه من التَّحَوُّل في العلاقة العِلَاجِيَّة، وتفسير الأحلام كمصادر للنَّظْرَة الثاقبة عن رَغَبَات اللَّاوَعْي، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/kmL9n
3. بدر،عبدالمنعم محمد. **"الاغتراب وانحراف الشَّبَاب العَرَبِيّ"**. المجَلَّة العَرَبِيَّة للدِّرَاسَات الْأَمْنِيَّة، العدد 18، 1993م، ص86، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/N6yx1
4. **دايفيد إميل دوركايم:** (1917-1858م)، فَيْلسوف وعَالِم اجتماع فَرَنْسِيّ، أحد مُؤَسِّسي عِلْم الاجتماع الحديث، وقد وَضَع لهذا العِلْم مَنْهَجِيَّة مُسْتَقِلَّة تقوم على النَّظَرِيَّة والتجريب في آنٍ مَعًا، أَسَّسَ رسميًا الانضباط الْأَكَادِيمِيّ لِعِلْم الاجتماع مع دو بويز وكارل ماركس وماكس فيبر، يُستشهد به عَادَةً باعتباره المُؤَسِّس الرَّئِيسِيّ للعلوم الاجْتِمَاعِيَّة الحديثة، من أبرز آثَارِهِ الفِكْرِيَّة "في تقسيم العمل الاجْتِمَاعِيّ" و "قواعد المَنْهَج السُّوسيولُوجِيّ"، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/O7yr0
5. بدر، عبدالمنعم محمد. **"الاغتراب وانحراف الشَّبَاب العَرَبِيّ"**. المجلة العَرَبِيَّة للدِّرَاسَات الْأَمْنِيَّة، مرجع سابق، ص97.

الحَالِيَّة وفي ظِلّ العولمة وإفرازاتها؛ وهذا الطَّرْح تُدَعِّمُه وتُؤَيِّدُه العديد من الدِّرَاسَات والأبحاث، ففي دراســـةٍ بعنوان "الاغتراب الثَّقَافيّ عند الشَّـــبَاب العَرَبيّ في عصر العولمة والمعلومات"(1) خَلَصَتِ الدِّرَاسَةُ إلى اكتشاف علاقةٍ مَعْنَوِيَّة طَرْدِّيَّة وذاتِ دلالَةٍ إِحْصَائِيَّة بين مستوياتِ الاغتراب النَّفْسِيّ والثَّقَافيّ لدى الشَّبَاب العَرَبيّ وبين غيابِهِ عن قضايا أُمَّتِه وَمُجْتَمَعِه، وشـــعور الشَّبَاب بأنَّهم عناصرُ غيرُ مرغوبٍ في مشاركتها الفِعْلِيَّة في شـــؤون الوطن والمجتمع، مِمَّا يُؤَدِّي إلى زيادة الشُّعُورِ بعدم الانتماء إلى هذا المجتمع، وهذا ما يُفَسِّر بُعْدَ الشَّـــبَاب عن قضايا مجتمعه، وعزوفه عن المشاركة في أَيّ نشاطٍ تَنْمَوِيّ أو ثَقَافيّ أو اجْتِمَاعِي فَعَّال.

إنَّ هَذَيْنِ السَّبَبَيْنِ هما ما يقودان الشَّبَابَ لِلْبُعْدِ والغِيَاب عن قضايا أُمَّتِهِمْ، وانشغالهم عـــن هموم مجتمعهم، وهذا الغِيَاب يَتَجَلَّى في سُـــلُوكِيَّات عِـــدَّة، يمكن القول عند ملاحظتها بِأَيّ مجتمع أَنَّ شـــباب هذا المجتمع يعانون من الاغتراب النَّفْسِيّ، وبمعنى آخر يمكن القول بِأَنَّ لِلْغِيَابِ عن قضايا المجتمع والأُمَّة صُوَرًا ونتائجَ يظهر بها، وفيما يلي تِبْيان لهذه الصُّوَر.

- **الانحـــراف الْجِنْسِيّ**، والَّذي يأتي كتحدٍّ كبير أمام الشَّـــبَاب العَرَبِيّ، وأحد أبرز المخاطر الَّتي يقع فيها الشَّـــبَاب نتيجةَ تهميشه، وإبعادِهِ عن قضايا وطنه، وهو يأتي بمظاهِرَ عِدَّةٍ تبدأ من المُعَاكَسَة وَالتَّصَرُّفَات اللَّاأَخلاقِيَّة وَالتَّحَرُّش اللَّفْظِيّ، ومتابعة المحتويات الإِبَاحِيَّة، وتَصِلُ لحَدِّ الاغتصاب وإقامة العلاقات الْجِنْسِـــيّة خارج العلاقة الزَّوْجِيَّة.
- **الفَرَاغُ المَعْرِفِيّ والعقائِدِيّ**، وسوء استخدام أدوات التَّوَاصُل التِّقْنِيَة والاجْتِمَاعِيَّة الحديثة من أكثر المسبِّبات للانحرافات الجِنْسِيَّة، الَّتِي تُفْرِز تأثيراتٍ سَلْبِيَّةً وخيمةً على المجتمع وعلى الشَّـــبَاب أنفسهم، وعلى المجتمع كُكُلٍّ. فالانحرافات الجِنْسِيَّة

1. حســينات، محمد وآخرون. "**الاغتراب الثَّقَافي عند الشَّبَاب العَرَبيّ** في عصر العولمة والمعلومات". جامعة الكسليك، لبنان، مايو 2010م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/IeS39

تعبير عن شَـــخْصِيَّةٍ غيرِ سويَّةٍ نفسيًّا وســـلُوكِيًّا، تُوَلِّد لدى الشَّبَاب شعورًا عامًّا بالاضطراب وعدم الاتِّزَان، وتَعمل على استفحال نسبة الفَوَاحِش والعلاقات غير المشروعة والمُحَرَّمَة في المجتمـــع، والْفَرَاغُ المَعْرِفِيّ والْعَقَائِدِيّ يعتبر من تَجَلِّياتِ غياب الشَّبَابِ عن قضايا أُمَّتِهِ، وخاصَّةً أَنَّ الارتباط بهموم المجتمع والبيئة يقود إلى السَّعْي لإيجاد حلولٍ لهذه القضايا، وبالمقابل فَإِنَّ الغياب والْبُعْدَ سيقود حتمًا إلى عكس هذا التَّوَجُّه.

- **الإدمان**، وذلك نتيجة للشُّعُور بالتَّهْمِيش والاغتراب، والانحدار إلى هاوية اللَّاوَعْي، وهـــو من أكبر الابتلاءات الَّتِي قـــد تُصيب أيَّ مجتمَعٍ وتهدِّد حياة وصِحَّة فئات كبيرة من الشَّبَاب العَرَبِيّ؛ حيث تَتَعَدَّد أنواع الإدمان بين المُخَدِّرَات والكُحُولِّيَّات والأدوية الكيميائيَّة.

وتَتَعَدَّد الأسباب الَّتِي تُؤَدِّي إلى زيادة أعداد المدمنين ونسبة الإدمان، إذْ عادةً ما يبدأ الأمر كنَوْعٍ من المســـايَرَة ورَغْبَةً في تقليد الآخرين، أو خَلْقِ أجواءٍ من المرح، وهناك مَن يُؤَكِّد أنَّ ظاهرة الإدمان تزداد لرَغْبَةِ الشَّبَاب في نسيان ما يُحيط بهم من ظروف مُحْبِطَة، كنوْعٍ من أنواع الهروب من الواقع، وتزداد الظَّاهِرَة خطورةً كُلَّمَا قلَّتِ الرِّقَابَة الأبويَّة، وتزايدت الظُّرُوفُ الأُسَرِيَّة السِّـــيِّئَة لا سِيَّمَا مع ضَعْف الوازع الدِّينِيّ، وتُؤَكِّد التقارير الرَّسْمِيَّةُ العَالَمِيَّةُ ارتفاع نسبة المتعاطين للمُخَدِّرات في العالَم العَرَبِيّ وخاصَّةً في أوســـاط الشَّبَاب إلى مجموع المتعاطين في العالَم أَجْمَعَ، ففي تقرير أصدره البرنامج الْعَالَمِيّ لمكافحة المُخَدِّرَات والجريمة(1) لعام

1. **البرنامج العَالَمِيّ لمكافحة المُخَدِّرَات والجريمة:** رائد عَالَمِيّ في مجال مكافحة المُخَدِّرَات غير المشروعة والجريمة الدَّوْلِيَّة، علاوةً على كَوْنِهِ مَسْؤُولًا عن تنفيذ برنامج الأمم المُتَّحِدَة الرَّئِيسِيّ لمكافحة الإرهاب، وقد أُنْشِئَ في عام 1997م ويعمل فيه تقريبًا (500) مُوَظَّفٍ في مختلف أنحاء العالَم، ويوجد مَقَرُّه في فِيينَّا، ويقوم بتشـغيل (20) مَكْتَبًا مَيْدَانِيًّا ومكتبَيْنِ للاتِّصَال في نيويورك وبروكسل، ويعمل لِتَوْعِيَة النَّاس في العالَم بمَخَاطِر تعاطي المُخَدِّرَات ولتعزيـز العمـل على الصَّعيد الدَّوْلِيّ لمكافحة إنتـاج المُخَدِّرَات غير المشروع والاتِّجَار غير المشروع بها والجريمة المُتَّصِلَة بالمُخَدِّرَات، واسْـتَهَلَّ لتحقيق ذلك مجموعة مبادَرَات شَـمِلَتِ البَدَائِلَ في مجال زراعة محاصيل المُخَدِّرَات غير المشروعة، ورَصَدَ المحاصيل غير المشروعة وتنفيذ مشـاريع مكافحة غَسـيلِ الأموال، الموقع الرَّسْمِيّ للبرنامج العَالَمِيّ لمكافحة المُخَدِّرَات والجريمة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/X2rzC

2019م بيَّنَ هذا التقرير أَنَّ عدد المدمنين حول العالَم يتجاوز عتبة (250) مليون شـــخص، بما نِسْبَتُهُ (5 %) من عدد سُـــكَّان العالَم، وفيما يتَعَلَّقُ بحِصَّة الوطن العَرَبيّ من هذه النِّسَب فهي مرتفعة نِسْبِيًّا، ففي مِصْرَ على سبيل المثال يبلغ عدد المدمنين (9) مليون شـــخص، أَيْ بما نِسْبَتُهُ (10 %) من عدد السُّكَّان، وَغَالِبِيَّتهم من الشَّـــبَاب، وهي نِسْبَةٌ تفوقُ مُتَوَسِّط النِّسِب العَالَمِيَّة، وفي الكويت تبلغ نِسْبَةُ المدمنين (7 %) من عدد سُكَّانِ الدَّوْلَة(1)؛ وبالطَّبْع يُعَدّ الإدمان من المخاطِر الَّتِي يعود أَثَرُها السَّلْبِيّ على الْفَرْد والأسرة والمجتمع، ويُعَدّ لجوء الشَّبَابِ إلى الإدمان شَكْلًا من أشكال الهروب من الواقع، وعَرَضًا من أعراضِ غيابِ أو تغييب الشَّبَاب عن قضاياهم الرَّئِيسَة.

- **الإِلْحَاد**، وَهُوَ مِنْ أَكْثَرِ الآفاتِ الاجْتِمَاعِيَّة خُطُورَةً على جيل الشَّـــبابِ، وقَدْ يكُون الإِلْحَاد لم يَرْقَ حَتَّى الآنَ في العالَمِ الْعَرَبِيّ لِيُشَكِّلَ ظَاهِرةً، إِلَّا أَنَّه يَتنامَى وتزداد رُقْعَة انْتِشَارِهِ، ويُمْكِن القول بِأَنَّ الإلحاد هو النَّقِيضُ التَّامّ للإيمان، إِلَّا أَنَّ المسَافة بين الإيمان والإلحاد ليســـت فارِغَةً، فقد تَكُون اللَّاأَدْرِيَّة هي مُنْتَصَفَ المسافة بـــين هَذَيْنِ المُصْطَلَحَيْنِ، وقد تَكُـــون اللَّاأَدْرِيَّة مرحلَةً أُولَى وخطوةً مَبْدَئِيَّة في الوصول للإلحاد التَّامّ.

فالإلحـــاد هو إنكار وجود الرَّبّ، في حين اللَّادِينِيَّة هـــي إنكار المصدر الإِلَهِيّ للأديـــان، فكُلّ مُلْحِد هـــو لادِينِيّ بالضَّرُورَة، والعَكْس غَـــيْرُ صَحِيح، فَقَد يكون اللَّادِينـــيّ رُبُوبِيًّا مُؤْمِنًا بالخَالِق، وقد يكون لاأَدْرِيًّا، فَاللَّاأَدْرِيّ هو الَّذِي يَتَوقَّف عند ســـؤالِ وجود الخالق(2)؛ ويعتبر الإلحاد كظاهرة مدروسة بَالِغَة القِدَم، على عَكْسِ اللَّاأَدْرِيَة، فبِالرَّغْم من وجود ظاهرة اللَّادِين منذ القِدَم في عهد الدِّيَانَات

1. **تقرير البرنامج العَالَمِيّ لمكافحة المُخَدِّرَات والجريمة لعام 2019م**، الموقع الرَّسْمِيّ للبرنامج، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/rwnYL
2. دراز ، محمد عبدالله. **الدِّين، بُحُوث مُمَهِّدَة لدِراســـة تَارِيخ الأَدْيَان**. مصر، القاهرة: مُؤَسَّســـة هِنْداوي للتَّعْلِيم والثَّقَافَة، الطَّبعة الأُولى، 2012م.

الوَثَنِيَّـــة القديمة إِلَّا أَنَّ مصطلح اللَّاأَدْرِيّ مصطلَحٌ حديـــثُ العهد أَطْلَقَه عالِم الأحياء البريطَانيّ توماس هكسلي(1) في نهاية القرن التَّاسِع عشر(2).

وَبِالنِّسْبَةِ لظاهرة الإلحاد أو اللَّاأَدْرِيَّة بين الشَّبَاب العَرَبيّ فمن الصعوبة بمكان تحديد أعدادٍ دقيقة لعـــدد المُلْحِدِينَ أو اللَّادِينِيِّين، وذلك كون غَالِبِيَّة الملحدين واللَّادِينِيِّـــين لا يُفْصِحون عن مَوَاقِفِهِم، ويُفَضِّلون إبقاءها طَيَّ الكِتْمَان، إِلَّا أَنَّنا سنذكر بعض الإحصاءات الاســـتقصائيَّة حول نِسَب الإلحاد في الدُّوَل العَرَبِيَّة، ففي تقرير أَنْجَزَتْهُ شـــبكة "بارومتر العَرَبِيَّة"(3) المُسْـــتَقِلَّة، إشارةً إلى أَنَّ أعدادَ المُلْحِدِينَ العرب تَفُوقُ بكثير ما تُعْلِنُهُ الجهاتُ الرَّسْـــمِيَّة والدِّينِيَّة الْعَرَبِيَّة، ويقول هذا التقرير بِأَنَّ نِسْـــبَةَ المُلْحِدِينَ العرب ازْدَادَتْ من 8 % عام 2013م إلى 13 % عام 2018م، وَأَنَّ نِسْبَةَ الإلحاد بين الشَّبَابِ الْعَرَب تصل إلى 18 %، وأشار التقرير إلى وجود تفاوُت في هذه النِّسَب بين دولةٍ وأخرى، ففي تونس على سبيل المثال تَبْلُغُ نِسْـــبَةُ الشَّبَابِ الَّذِينَ يَصِفُونَ أنفسهم بغير المُتَدَيِّنِينَ 46 %(4)، وهذه النِّسَبُ المرتفعة تُؤَكِّدُ خُطورَةَ الْوَاقِعِ الدِّينِيِّ للشَّبَاب الْعَرَبِيّ.

---

1. الكعبي، داود سلمان. "**اللَّاأَدْرِيَّة (الفصل الأَوَّل): جُذُور اللَّاأَدْرِيَة التَّارِيخِيَّة**". الحِوَار المتمدِّن، العدد: 5594، 28 يوليو 2017م، تاريخ الزيارة 11 مايو 2020م، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/9dvzM
2. **تومـــاس هكســـاي**: (1825-1895م)، عالِم أحيـــاء بريطَانيّ، هو ابنُ مُعَلِّم رياضِيَّـــات، وهو جَدّ جوليان هكسلي (1887-1975) الإخِصَّائِيّ في عِلْمِ الحيوان والفيلسوف وَالمُرَبِّيّ والكاتب، وهو أيضاً جَدّ الرِّوَائِيّ والشَّاعِرِ الإِنْجِليزيّ ألدوس هكسلي، لقب بـ "كلب داروين" لدفاعه المُسْتَمِيت عن نَظَرِيّة النُّشُوء والتَّطَوُّر الَّتِي صَاغَهَا داروين، من أَهَمّ كتبه مَرْتَبَة الإنسان في الطَّبِيعَة، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/2eo6B
3. **شبكة بارومتر العَرَبيّ**: شبكة بَحْثِيَّة، مَقَرُّهَا مدينة لندن في بريطانيا، تُقَدِّم نظرة ثاقبة عن الاتِّجَاهَات وَالْقِيَم الاجْتِمَاعِيَّة والسِّيَاسِـيَّة والاقْتِصَادِيَّة للمواطنين العَادِيِّينَ في العَالَم العَرَبِيّ، تقوم الشَّبَكَة بإجراء إســـتطلاعات للرَّأْي العَامّ في الشَّرْق الأوســـط وشمالِ أفريقيا ذات مستوى عالٍ من الجَوْدَة والمِصْدَاقِيَّة منذ عام 2006م، تعتبر مستودع للبيانات المتاحة في متناول العَامَّة، للمزيد: الموقع الرَّسْمِيّ للشَّبَكَة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/gHhUm
4. كارل، نامان & توماس هبتوم. **هل أصبح الشَّرْق الأوســـط وشـــمال أفريقيا أَقَلّ تَدَيُّنًا؟**، موقع بارومتر العربي، 6 أبريل 2020م، تاريخ الزيارة 8 مايو 2020م، متاح على الرابط: https://cutt.us/Jzynl

إنَّ انتشار ظاهرة الإلحاد واللَّاتَدَيُّن بَيْنَ الشَّبَاب الْعَرَبيّ ليست مَحْضَ الصُّدْفَة وليست نتيجة حَدَثٍ بِعَيْنِهِ، بل هي نتيجةُ تَفَاعُلِ ظروفٍ اجْتِمَاعِيَّة وثَقَافِيَّة واقْتِصَادِيَّة وسِيَاسِيَّة ودِينِيَّة، **وفيما يلي سَنُوردُ أَهَمَّ الأسباب المُؤَدِّيَة للإلحاد بين الشَّبَاب العَرَبِيّ.**

- **التَّطرُّف الدِّينيّ:** إنَّ التَّطرُّف قد يقود الشَّبَاب إلى النُّفُور من الدِّين والتَّدَيُّن، فقِسمٌ كبير مِمَّن أَلْحَدوا في العَالِم العَرَبيّ تَرَبَّوْا في بيئاتٍ دِينِيَّةٍ مُتَشَدِّدَة، لا بل وبعضهم كان من حَفَظَة القرآن الكريم[1]، فالتَّطرُّف والاستبداد الدِّينيّ سيقود حُكْما إلى النُّفُور من الدِّين، كما أَنَّ ممارساتِ بعض الجماعات الجِهَادِيَّة المُتَشَدِّدَة تُسْهِم في إلحاد البعض.
- **الخِطَاب الدِّينيّ التَّقْلِيدِيّ:** فحتى الآن ما زالَ الخِطاب الدِّينيّ هو ذاته الَّذي كان سائدًا منذ قرون، والَّذي لا يراعي تَطوُّرات الحياة وتَبَدُّل الأحوال، كما أَنَّ هذا الخطاب يحاول إضفاء القَدَاسَة واليقين المُطْلَق على ما ليس مُقَدَّسًا، فعندما يكتشف الشَّابّ أَنَّ ما تَرَبَّى عليه بصفته مُقَدَّسًا وأَنَّه يَقِين مُطْلَق هو قَضِيَّة خِلَافِيَّة حتى بين رجال الدِّين أَنْفُسهم يقوده للزُّهْد بالدِّين وبرجاله وقد يقوده في نهاية المطاف إلى الإلحاد؛ وهنا أيضاً نجد نُفُور رجال الدِّين من نزعة التَّسَاؤُل لدى الشَّبَاب، ففَرضُوا هالةً من القَدَاسَة على كُلّ شيء، فرِجَال الدِّينِ لا يُرَاعُون الدَّافعَ الفُضُوليّ لدى الشَّبَاب، والإجابات الَّتِي يُقَدِّمُها رجال الدِّين على بعض التَّساؤُلَات قد لا تكون مُقْنِعة للشَّبَاب، كُلّ هذا يقودهم إلى النُّفُور الدِّينيّ، كما أَنَّهُ وفي العصر الحَاليّ وفي ظِلّ اختلاط الشُّعُوب والأديان لم يَعُد مقبولًا إصرار رجال الدِّينِ على الطُّلَّب من الجيل الجديد الاقتصار في التَّعَامُل مع الأديان الأخرى على الحدود الدُّنْيَا، وهنا يجب على رجال الدِّين توضيح الفروق بين المُسَالِم والمُحَارِب، وأَنْ يفصلوا مسائل الوَلَاء والبرَاء.

1. العوهلي، البرَاء. **لماذا يُلْحِد بعض شَبَابنا؟ محاولة لفَهْم ومُقارَبة ظاهرة الإلحاد.** موقع مقال، 12 فيراير 2012م، تاريخ الزيارة 12 مايو 2020م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/1gHhf

- **الإصرار على العَقْلِيَّة الأُسْطُوريَّة:** فرجال الدِّينِ قد يَرْوُوا قِصَصًا عن مَآثِر بعض المسلمين الأوائل ويَنْسِــبُوا إليهم بعض المعجزات الَّتِي تتنافى مع القوانين الَّتِي نَظَّم بها الله هذا الكَوْنَ، ممَّا يضع الشَّــبَاب في صراع داخِلِيٍّ مَعْرِفِيّ بين الدِّين والعِلْم، وقد يقوده إلى التَّشْــكِيك في كُلّ القِصَص والمَرْوِيَّات صَحِيحها وخَاطِئها، حَتَّى تلك الَّتِي ثَبَتَتْ صِحَّتُها في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة.
- **واقع المرأة المســلمة:** إصرار بعض البيئات الإِسْــلامِيَّة المُتَشَدِّدَة على فَرْض قيود صارِمَة على المرأة لا تتناسب مع روح القرن الحادي والعشرين، دَفْع بعض الإناث من الشَّبَابِ إلى النُّفُور من الدِّين، خَاصَّة أَنَّهُنَّ رَأَيْنَ فيه قَيْدًا لَهُنّ، فالإصرار في بعض البيئات على عدم جــواز خروج الفتاة من البيت بِأَيّ حَالٍ من الأحوال لا يُمْكن اعْتِبَارُه تعامُلًا يَهْدِف إلى تقوية الدِّين في قلوب هؤلاء الفتيات.
- **الهجوم الشَّرِس على المُلْحِدِينَ:** قد يكون إلحاد البعض رَدَّة فِعْلٍ على ظَاهِرَة ما، أو نَزْوَة عَابِرَة، وهنا يكون دور رجال الدِّين في اخْتِرَاع الوســائل اللَّازِمَة لإقناع الشَّبَاب بِالعُدُول عن هذا القرار، وتوضيح مَسَاوِئِه عليهم، ولا يكون الحَلّ بالتكفير الفَوْرِيّ لهم، وبِكَيْل الاتِّهامَات والتَّهَجُّم اللَّفْظِيّ، فهذا السُّلُوك قد يقطع الطريق على الرَّاغِبِين بِالْعَوْدَة عن هكذا قرار، وهنا نســتذكر الرَّسَائِل الَّتِي تبادلها بعض الكُتَّاب ورجال الدِّين المِصْرِيِّينَ في مطلع القرن العشرين، وَالَّتِي تَدُلّ على وَعْيٍ تَــامٍّ بِأَهَمِّيَّةِ الخطاب الدِّينِيِّ في الوقــوف في وجه الإلحاد، ففي عام 1937م نَشَرَ المُفَكِّرُ المِصْرِيُّ إِســماعيل أدهم(1) رِسَالَةً بِعُنْوَانِ "لِمَاذَا أَنَا مُلْحِدٌ" فَرَدَّ عَلَيْهِ

1. **إسماعيل أدهم:** (1940-1901م)، كاتب مِصْرِيّ وُلِدَ بالإِسْكَنْدَرِيَّة وتَعَلَّمَ بها، ثُمَّ أَحْرَزَ الدكتوراه في العلوم من جامعة موســكو عام 1931م، وعُيِّنَ مدرسًــا للرِّيَاضِيَّاتِ في جامعة ســانت بطرسبرغ، ثُمَّ انتقل إلى تركيا فكان مُدَرِّسًا للرِّيَاضِيَّات في معهد أتاتورك بأنقرة، وعاد إلى مِصْرَ سنة 1936م، وهو من الكُتَّاب المســلمين الَّذِيــنَ أعلنوا إلحادهم وكتبوا فيه ودافعوا عــن أفكارهم، وله في ذلك كتيّب بعنوان "لماذا أنا مُلْحِدٌ؟"، وقد أَعْلَنَ في هذا الكُتَيِّب أَنَّهُ سعيد مُطْمَئِنٌّ لهذا الإلحاد، تمَامًا كما يشعر المؤمن بالله بالسَّعَادة والسكينة، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/5QSDL

الكَاتِبُ أَحْمَدُ زَكِيّ[1] أَبُو شَــــادِي بِرِسَــــالَةٍ أُخْرَى بِعُنْوَانِ "لِمَاذَا أَنَا مُؤْمِنٌ" ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ الشَّـــيْخُ مُحَمَّد فَرِيد وَجْدِي[2] مُحَرِّرُ مَجَلَّةِ الْأَزْهَرِ بِرِسَالَةٍ بِعُنْوَانِ "لِمَاذا هُوَ مُلْحِدٌ"، نَاقَشَهُ فيها بالْحُجَجِ المَنْطِقيَّة وَالْعَقْلِيَّة واسْتَهَلَّ رِسَالَتَهُ بِقَوْلِهِ "إِلَى الأُسْتَاذ الدُّكْتُور إِسْـــمَاعِيل أَدْهَم"[3]، فَبَعْدَ مَا يُقَارِبُ الْقَرْنَ مِنْ هَذِهِ الحَادِثَةِ نَفْتَقِدُ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الخِطَابِ الدِّينِيِّ المَدْرُوس.

1. **أحمد زكي أبو شادي:** (1955-1892م)، شاعر وطبيب مِصْرِيٌّ مُؤَسِّسُ مدرسة أبولو الشِّعْرِيَّة الَّتِي ضَمَّتْ شـعراء الرُّومَانْسِـيَّةِ في العصر الحديث، وكان يعمل وكيلًا لِكُلِّيَّةِ الطِّبِّ، ثُمَّ هاجر إلى الولايات المتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة، وبَقِيَ هناك حتى وفاته، دَرَسَ الطِّبَّ في بريطانيا، وَأَسَّسَ عام 1932م رابطة أبولو الشِّعْرِيَّة الَّتِي دعا فيها لتجديد الشِّـعْر الْعَرَبِيّ وَالتَّخَلِّي عن ضوابطه الصَّارِمَة، إِلَّا أَنَّ هذه التَّوَجُّه لَاقَى مُعارَضَةً شــديدة من قِبَلِ الكلاسِـيكِيِّينَ في الشـعر الْعَرَبِيّ كالْعَقَّاد والمَازِنِيّ، وبعدما بلغت الانتقادات والضُّغُوط عليــه مبلغًا كبيرًا هاجــر إلى الولايات المتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة وبَقِيَ فيها حتى وفاته، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/IjaSG
2. **محمد فريد وجدي:** (1954-1878م)، كَاتِبٌ إِسْـلَامِيّ مِصْرِيّ الجِنْسِـيَّة من أصول شَرْكَسِيَّة، عمل على تحريــر مجلة الأزهر لبِضْعٍ وَعَشْرِ سـنوات، له العديد مــن المُؤَلَّفَات ذات طَابِعٍ دِينِيّ وَوَثَائِقِيّ ومن أَهَمِّ كتبــه كتــاب كنز العلوم واللُّغَة وكتاب دائرة معارف القرن الرَّابع عشر الْهِجْرِيّ والعشرين المِيلَادِيّ وتقع في عشرة مُجَلَّدَاتٍ، له كتاب مُهِمّ بعنوان صفوة العِرْفَان في تفسـير القرآن أُعِيدَ طَبْعُه عِدَّة مَرَّاتٍ، وله كتاب رائع في السـيرة اسـمه السِّـيرَة المُحَمَّدِيَّة تحت ضوء العلم والفلسفة، وله كتابٌ في شرح مباديء الإسلام وَرَدّ الشُّبَهَات عنه اسمه الإسلام دِينٌ عَامٌّ خَالِد، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/n4nTI
3. **"الإلحاد بين الشَّـبَاب أحد نتائج قُصُور الخِطَاب الدِّينِيّ وتَهْمِيش الْعَقْل"**، صحيفة العرب، 18 فبراير 2018م، تاريخ الزيارة 8 مايو 2020م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/quyxP

المبحث الثَّالِث

أُسُس تَفْعِيل دور الشَّبَاب في تنمية المجتمع

تقوم الأمم على ســـواعِدِ أبنائها وعلى نِتَاج أفكارهم، ويمكن الاستدلال على صِحَّةِ المجتمع وَحَيَوِيَّتِهِ بمقدارِ مســـاهمة الشَّبَاب في الأنشطة الرُّوتِينِيَّة والنَّوْعِيَّة الَّتِي تجري في المجتمع، فمشاركةُ الشَّبَاب في مختلف النَّشَاطَات الحَيَوِيَّة بَدْءًا من الحياة الاقْتِصَادِيَّة وانتهاءً بالحَيَاةِ السِّيَاسِيَّة أمْرٌ لا مَفرّ منه في حال الرَّغْبَة ببناءِ حاضرٍ ســـليم والتخطيط لمستقبلٍ ناجح، وفيما يَتَعَلَّق بواقع الشَّبَاب العَرَبِيّ ومشاركَتِه في مُجْمَل الأنشـــطة المُجْتَمَعِيَّة والاقْتِصَادِيَّة والسِّيَاسِيَّة فَإِنّ هذا الواقع ليْسَ بأفضلَ حالاته، مع أَنَّ الطاقات الكامنة في هؤلاء الشَّبَاب تُمَكِّنُه من القيامِ بأفضلِ الأدوار وبأفضلِ السُّبُل.

إِنَّ أَيَّ عَمَل يَسْـــتهدف تَفْعِيلَ دور الشَّبَاب في المجتمع لَا بُدَّ له أَنْ يَشْتَمِل على مختلف أبعاد الحياة الاجْتِمَاعِيَّة، فقُصُور أَيِّ جانبٍ من الجوانب كَفِيلٌ بتعطيل دور الشَّـــبَاب بالكامل، فمن البعد الاقْتِصَادِيّ إلى السِّـــيَاسِيّ والاجْتِمَاعِيّ والثَّقافِيّ، فهذه الأبعاد تُشَكِّل الحاضنة الفِعْلِيَّة التي يمكن من خلالها للشَّبَابِ القيام بالأدوارِ المَنُوطَةِ بهم.

وفيما يلي مجموعة من المُحَدِّدَات المؤطِّرَة لعمليَّة مساهمة الشَّبَاب في تنمية المجتمع العَرَبِيّ، وتَتَمحوَر حول أربعةِ ســـياقات رَئِيسَة، تُعدُّ السِّـــيَاجَ الفعَّالَ لتعظيم دور الشَّبَاب في بناء وتنمية المجتمعات، تَتَمَثَّل في:

- **المُحَدِّد القِيَمِيّ:** حيث تعتبر مشاركةُ الشَّبَاب في التَّنْمِيَة مَدْخَلًا من مداخِل التمكين لِقيمَةٍ اجتماعيَّة فـي المقـام الأَوَّل، ولا تكـونُ فاعلـة وناجحة دونَ أن يكونَ هناكَ مشارَكَةٌ حَقيقيَّة باعتبارِ أنَّ الشَّبَاب أصحابُ مصلَحةٍ حَقِيقِيَّة فـي التَّنْمِيَة.
- **المُحَدِّد الإِرَادِيّ:** بالنَّظَر إلى المشـــارَكَة في التمكـــين باعتبارها فِعْلًا إراديًّا حُرًّا وطَوْعِيًّا من قِبَلِ الشَّبَاب، وهـي بهذا السِّيَاق تعبرٌ عن جَوْهر الدِّيمُقْرَاطِيَّة وَالحُكْم الرَّشِيد.

- **المُحَدِّد الْجَمْعِيُّ:** بالتَّأكِيد على كَوْنِ تمكين الشَّــبَاب يعني المشارَكَة الشُمُولِيَّة من جميع قطاعاتِ المجتمـــع، صحيحٌ أنَّ الشَّــبَاب هم عِمَادُ الفِعْـــلِ التَّنْمَوِيّ، لكنْ قطاعات المجتمع الأخرى ليســـتْ بِمَعْزِلٍ عن ذلك، الأمر الَّذِي يعني أنَّ التمكينَ عَمَلٌ جَمْعِيٌّ بامتياز.
- **المُحَدِّد الشُّمُولِيّ:** فمشارَكَةُ الشَّبَاب يجبُ ألَّا تقتصرَ على أحدِ فروعِ التَّنْمِيَة المُجْتَمَعِيَّة دُونَ غيره، بل يجبُ أن تكونَ المشاركة شُمُولِيَّة ومستغرِقة لجميع النَّشَاطَات والفروع التَّنْمَوِيَّة المختلفة بشكلٍ مُتَوازٍ، وذلك من منطلق أَنَّ التمكين لا يَتِمّ بِشَكْلِهِ الصَّحِيح إلَّا بالمشارَكَة في مختلف النَّشَاطات الاقْتِصَادِيَّة والسِّيَاسِيَّة وَالْإِدَارِيَّة.

إنَّ مشـــاركة الشَّبَاب في تنمية المجتمع تَتَطَلَّب الْبَدْءَ باتِّخَاذ خطواتٍ هادفة لإفساح المجال أمام تفعيل دور الشباب ويمكن إجمال هذه الخطوات في النِّقَاط الْآتِيَة:

- إيجاد هياكِلَ مُؤَسَّســـيَّة وَأُطُر تَشْرِيعِيَّة وقَانُونِيَّة تَكْفُل للشَّــبَاب ضمانَ ممارسة حقوقه والقيامَ بواجباته، وهذه الممارسات هي الضمان الحَقِيقِيّ لصِحَّة المجتمع وضمانِ اسْتِمْرَارِيَّتِه وَنُمُوِّه الطَّبِيعِيّ.
- إيجاد آلِيَّات ووسائل تسمح للشَّبَاب بممارسة حقوقهم في إدارة مُؤَسَّسَات الدَّوْلَة والمجتمع، من خِلَال مشـــاركتهم في الحياة السِّيَاسِـــيَّة وَالْإِدَارِيَّة على مستوى الدَّوَائِر الاجْتِمَاعِيَّة الصغرى والمُتَوَسِّطَة في المجتمع.
- ضمان مشاركة الشَّبَاب في الحِرَاك الاجْتِمَاعِيّ المَحَلِّيّ، من خلال إتاحة الوصول للمعلومات الصحيحة والدَّقِيقَة حول الواقع المَحَلِّيّ.
- السَّـــمَاحُ للشَّبَاب بالدُّخُول وبفاعِلِيَّة في ســـوق العمل، من خلال العمل المباشِر الخَـــاصّ أو الْحُكُومِـــيّ، ومن خلال تفعيل دور ريادة الأعمال وقيام الشَّـــبَاب بدورهم في هذه الرِّيَادَة.
- سَـــنُّ القوانين والتشريعات اللَّازِمَة لضمان شَـــفَافِيَّة مُؤَسَّسَات الدَّوْلَة وتقليل مُعَدَّلَات الفســـاد لِأَقَلّ حَدّ ممكن، كَوْنَ الفســـاد يُعَدّ من العوائق الْهَامَّة في وَجْه تمكين الشَّبَاب.

- الإيمان بِأَنَّ تمكين الشَّـــبَاب اجتماعِيًّا واقْتِصَادِيًّا وسِيَاسِـــيًّا هو السَّبِيل الوحيد لضمان مشـــارَكَةٍ فاعلة للشَّـــبَاب في الحياة العَامَّة؛ لِأَنَّ أَيَّ فِعْلٍ يهدف لتمكين الشَّـــبَاب لا يمكن أن ينجح مَا لَمْ يُسْـــبَقْ بإيمانٍ تَامٍّ بضرورة هذا التمكين ليس للشَّبَاب فقط بل للمجتمع كَكُلٍّ.
- الاســـتناد في تمكين الشَّـــبَاب على رُؤًى واقِعِيَّة، بعيدةٍ قَدْرَ الإمكان عن المِثَالِيَّة واللَّاواقِعِيَّة.
- أن يكونَ برنامجُ تمكين الشَّـــبَاب متكامِلًا مع برامجَ تمكين المجتمع كَكُلٍّ، كبرامج تمكين المرأة وباقي شرائح المجتمع؛ لِأَنَّ التمكين عَمَلِيَّة متكاملة.
- تأهيل الشَّبَاب ثَقَافِيًّا وعِلْمِيًّا وتَدْرِيبِيًّا واجْتِمَاعِيًّا ليكون تمكينهم فَعَّالًا، وكيْ يكون التمكين مُسْتَنِدًا على أَرْضِيَّة ثابتة ومدروسة.
- العمل على التمكين التَّدْرِيجِيّ للشَّـــبَاب؛ فلا يمكن أن ينجح التمكين في حال تَمَّ استهداف الشَّبَاب بمشاريع تمكين تقوم على حَرْق المراحل.
- إشراك الشَّـــبَاب في التخطيط لمشاريع التمكين؛ فإشراك الشَّبَاب في التخطيط من شأنه المساهمة في إنجاح مشاريع التمكين.
- اســـتهداف الشَّـــبَاب ببرامجَ تمكينٍ تراعِي الاختلافات النِّسْبِيَّة بينهم، ودراسة خصائص الشَّبَاب الثَّقَافِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة وانتماءاتهم الدِّينِيَّة والمَذْهَبِيَّة واستهداف كُلِّ شريحةٍ ببرنامج تمكينٍ يختلف عن كُلِّ شريحة.
- تشـــجيع الشَّبَاب على القيام بخطواتٍ خاصَّةٍ بهم تَصُبُّ في النِّهَايَة في تمكينهم الذَّاتِيّ في إطار بيئتهم.
- الاعتماد على برامج تمكين تَفَاعُلِيَّة، بمعنى أَلَّا يقوم التمكين على إلزام الشَّـــبَاب ببرامجَ تمكينٍ قد لا يقتنعون بها، فلا يكفي الدِّرَاسَـــة النَّظَرِيَّة لمشاريع التمكين وَالتَّأَكُّد من فَاعِلِيَّتها النَّظرِيَّة، فيجب اقتناع الشَّبَاب بها أيضًا.
- الاعتماد في برامج التمكين على الحاجَـــة الفِعْلِيَّة للمجتمعات المَحَلِّيَّة، والابتعاد عن استنســـاخ برامج التمكين الخَارِجِيَّة، ولو كانت ناجحة؛ فالنَّاجِح في بيئَةٍ ما قد لا ينجح في بيئةٍ أخرى.

- التأكيد على أَنَّ مشاريع التمكين هي مشاريعُ مُسْتَمِرَّةٌ، ولا يمكن أن تنتهي، فهي مُسْتَمِرَّةٌ استمرارَ المجتمع.

خِتامًـــا لهـــذا الفصل لَا بُدَّ من التأكيد على أَنَّ الأدوار المَنُوطَةَ بالشَّـــبَاب العَرَبيّ لا يمكن أن تَتِمّ دون توفير بيئةٍ مناسبة لهؤلاء الشَّبَاب تسمَحُ لهم بِلَعِب أدوارهم بفاعِلِيَّة ونجـــاح، كما يجب التأكيد على أَنَّ أيَّ مشروعٍ يهدف لتمكين الشَّـــبَاب من لَعِب دورٍ فاعِلٍ في المجتمع العَرَبيّ لَا بُدَّ وأن يأخذ بالحُسْبَانِ الفوارق النِّسْبِيَّة بين الشَّبَاب وبين البيئات الَّتِي ينتمون إليها، فعلى سبيل المثال البرامج الَّتِي قد تستهدف شباب الرِّيفِ تختلف حتمًا عن تلك الَّتِي تستهدف شباب المدينة.

وفي نفس الوقت لَا بُدَّ من التأكيد على أَنَّ دور السِّيَاسَة العَامَّة كمُوَجِّهٍ ومُنَظِّمٍ لمختلف صُوَر الحياة في المجتمع يمكن أن يلعب دَوْرًا هَامًّا في تمكين الشَّـــبَاب في حالِ كان لهؤلاء الشَّـــبَاب مشاركَةٌ فاعِلةٌ بها؛ فالمبدأ العَامّ القائل بِأَنَّ السياسة ميدانٌ محصورٌ بِالرِّجَال وبفئاتٍ عُمْرِيَّة مُتَقَدِّمَة من باب أَنَّ الخبرة ضَرُورِيَّة في هذا الشَّـــأْن صحيحٌ نِسْـــبِيًّا ولكن صِحَّتُه ليســـت مُطْلَقَة؛ فبالإضافة إلى أَهَمِّيَّة الخبرة وَالْحِنْكَة في هذا المضمار، إِلَّا أَنَّ رُوح الشَّبَاب وحماسَتهم ضَرُورِيَّة أيضًا وخاصَّةً أَنَّهُمْ يحتاجون مُمَثِّلين عنهم في الدَّوَائِر السِّيَاسِيَّة تمثيلًا يتناسب مع نِسْبَتِهِمْ في المجتمع العَرَبيّ.

الفَصْل الخَامِس

الشَّبَاب العَرَبِيّ وتَحَدِّيَات الهُوِيَّة

- **مُقَدِّمَة**
- **المَبْحَث الأَوَّل: تَحَدِّيَات الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة**
  - العَوْلَمَة وتَحَدِّيَات الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة.
  - الشَّبَاب وتَحَدِّيَات الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة العَرَبِيَّة.
- **المَبْحَث الثَّاني: التحدي الاجْتِمَاعِيّ والعِلْمِيّ**
  - علاقة الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة بالبِيئَة الاجْتِمَاعِيَّة.
  - التَحَدِّيَات الاجْتِمَاعِيَّة للْهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة.
  - التَّحَدِّي المَعْرِفِيّ للْهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة للشَّبَاب العربي.
- **المَبْحَث الثَّالِث: الآثار الناجِمَة عن تَحَدِّيَات الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة**
  - مظاهر تَأَثُّرِ الشَّبَابِ العَرَبِيّ بتَحَدِّيَات الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة.
- **المَبْحَث الرَّابِع: الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة وأَزْمَة الانْتِمَاء**
  - أسباب تراجُع الانْتِمَاءِ لَدَى الشَّبَاب العَرَبِيّ.
  - نتائج تراجُع انتماءِ الشَّبَاب العَرَبِيّ لأُمَّته.

الفصل الخَامِس

الشَّبَاب العَرَبِيّ وتَحَدِّيَات الهُوِيَّة

مُقَدِّمَة

في ظِلّ نظام العَوْلَمَة (Globalization) يبدو العالَم قريةً كَوْنيّة صغيرةً، والَّتي أصبحت بمثابةِ هُويَّةٍ ثَقَافِيَّة، اجتماعيَّة، فِكْرِيَّة، وفنيَّة بديلَة، باتَتْ تغزو المُجْتَمَعَات والشُّعُوب من أقصاها إلى أقصاها، وعلى الرَّغْم من أنَّ كُلّ شعب مِن الشُّعُوب ينتمي إلى ثقافَةٍ مغايرَة ومتمايِزَة عن غيرها، فإنَّنا بصَدَدِ مُعْضِلَةٍ ثَقَافِيَّةٍ لا فِكَاك منها تستَوْجب إعادة التفكير بشأنَّ الاسْترَاتِيجيَّات الدِّفَاعيَّة الَّتي يمكن من خلالها التصدِّي للمُدْخَلَات السَّلبيَّة الَّتي تَفْرِضها تلك الثَّقَافَة المُشَـــاعِيَّة، مُتَعَدِّيَة الحُدودَ والأَجْنَاسَ، لا ســـيَّمَا أنَّ تَأَثُّرَ الهُوِيَّات الثَّقَافِيَّة المختلِفَة بها هو ما جَعَلَ كَيَانَ العَوْلَمَة ظاهِرَةً ديناميكيَّة مُتَطَوِّرَة باسْتِمْرَار، مَعَ تَسَارُعِ وَتِيرَةِ عجلَة الحيَاة الَّتي لا تَعْرِف التَّوَقُّف أو وضعيَّة الثَّبَات.

في مُقَدِّمَـــة كتابه "عَوْلَمَة الثَّقَافَة"، وصَف جان بيير فاريني(1) مُعْضِلَة العَوْلَمَة بقوله: "يرقُص النَّاس رَقْصَة التانغو الأرجنتينيَّة في باريس، ورَقْصَة البكوتسي الكامرونيَّة في دكَّار، والصالصا الكوبيَّة في لوس أنجلوس، ويُقَدِّم ماكدونالدز شـــطائرَ اللَّحْم المَفْرُوم (الهامبورغـــر) في بكِّين، ونَجِدُ أطْعِمَة كانتون في ســـوهو، ويثير فَنّ الرِّمَايَة بالقَوْس الرُّوح الجرْمَانِيَّة، وتَغْزُو الفَطِيرَة الباريسيَّة إفريقيا الغَرْبِيَّة، أمَّا الفيليبِّينيُّون فيَنُوحُون على الهَوَاء مُبَاشَرة أَمِيرَة بَلَادِ الغَال"(2)؛ ذلك التوصيف الدَّقيق لكُنْهِ العَوْلَمَة وجَوْهَرها

1. **جـــان بيـــير فاريني: (1914-2007م)**، فيلســـوف فَرَنْسي ومفكِّـــر معاصِر وأحَدُ المُقَاوِمِينَ اليَســـارِيِّينَ المُتَمَيِّزين ضِدَ النَّازيَّة، يعود له الفَضْل في تجديد الدِّراسَـــة حول اليونان القديمة، بفَضْل المنهج المُقَارَن والأنثروبولوجيـــا التَّاريخِيَّـــة، اهْتَمَّ بأصول الفِكْر والثَّقَافَة ونَشْـــأتها، ومن أهَـــمّ مؤلَّفَاته الكَوْن والآلِهَة والنَّاس، موقع ويكيبيديا المَوسُوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/I7l6Z
2. فاريـــي، جـــان بيير. **"عَوْلَمَة الثَّقَافة"**، ترجمة عبد الله الأزدي. مِصْر، القَاهِرَة: الدَّار المِصْرِيّة اللُّبْنانيَّة، 2003م، ص 7.

يُؤَكِّد حقيقةً سِيَاسِيَّة اجتماعيَّة رَئِيسَة مَفَادُها: أنَّه لا مَجَال للحدِيث عن السِّيَادة والمجَال المَحْجُوز، كمفاهيمَ سِيَاسِيَّةٍ قانونيَّة، كما أنَّه لا مَجَال للحدِيث عن اسْتِراتِيجيَّات الانْغِلَاق أو البَاب المُغْلَق في وَجْه الثَّقَافَات المغايِرَة، وَفْقاً للتربويِّينَ وعلماء الاجتماع.

وهُنَا نَسْــتَذْكِر قَوْل غَانْدِي: (1) "يَجِب أن أفْتَح نوافِذ بَيْتِــي لِكَيْ تَهُبَّ عَلَيْه رياحَ كُلّ الثَّقَافَاتِ، بِشَرْط أَلَّا تَقْتَلِعَنــي من جُذُوري"، فالانفتاح على مختلف الثَّقَافَات يُعْتَبر أمْــرًا ضروريًّا وحَيَويًّا لجَميع الأُمَم، وهَذَا الاخْتِلَاط الثَّقَافيُّ بَرَزَت نَتَائِجهُ الإِيجَابيَّة مُنْــذُ القِدَم مِنْ خِلَال التَّرْجَمَات لِنِتَاج الأُمَم وَالتَّبَادُل الثَّقَافيّ وَالحَضَاريّ، وَهَذَا مَا دَعَا إِلَيْه غَانْــدِي، إِلَّا أَنَّ تَحْذِير غَانْدِي مِنْ مَغَبَّة أَلَّا تَقْتَلع الرِّيَاح الثَّقَافِيَّة الخَارِجيَّة الشَّبَاب مِنْ جُذُورهِمْ لَمْ تَلْق آذانًا صَاغِيَة كَمَا يَجِب، فَالهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة لِلْمُجْتَمَع العَرَبيّ وَبِخَاصَّةٍ شَرِيحَة الشَّــبَاب بَاتَت ضَبَابِيَّة المَشْهَد، وَلَمْ تَعُد ذَاتَ صِبْغَة عَرَبيَّة، وَلَيْسَتْ عَــلَى صِبْغَة وَاحِدَة أَيًّا كَانَت هَذِهِ الصِّبْغَة، فَهِي خَلِيطٌ ثَقَافيّ غَيْرُ مُتَجَانِس وَبالإِمْكَان الاسْــتِدْلَال عَلَى هَذِهِ الضَّبَابِيَّة مِنْ خِلَال مُفْرَزَات سُــلُوكِيَّة وَمَعْرِفِيَّة عِدَّة لَيْسَ أَوَّلها اسْــتِخْدَام المُصْطَلَحَات الإِنْكليزيَّة بَدَلًا مِنَ اللُّغَة العَرَبِيَّة، وَلَيْسَ انْتِهَاءً بِشُيوع الأَسْمَاء الأَعْجَمِيَّة الَّتِي بَعْضهَا لَيْسَ لَهَا مَعْنًى حَتَّى فِي اللُّغَات الأَجْنَبِيَّة، وَبِالتَّأْكِيد فَإِنَّنَا هُنَا لَا نَسْعَى لِتَقْدِيم طَرْح يُصَوِّر المَشْهَد الثَّقَافِيَّ الجَمْعِيَّ العَرَبِيّ بِالحَال السَّيِّئَة، لَكِنَّنَا نَسْعَى لِتَوْصِيف ظَاهِرَةٍ لَيْســتْ بِالتَّأْكِيد عَامَّةً لَكِنَّهَا عَلَى نِسْبَة وَاسِعَة مِنَ الانْتِشَار بَاتَت مَعَهُ تُهَدِّد الانْتِمَاء الثَّقَافِيّ لِلشَّبَاب العَرَبِيّ.

1. **المهاتما غاندي: موهانداس كرمشــاند غاندي** (1948-1869م)، السِّيَاسِيّ البارز والزَّعِيم الرُّوحِيّ للهند خلال حَرَكَة اســتقلال الهند. كان رائدًا للســاتياغراها وهي مقاوَمَة الاستِبْداد من خِلال العِصْيان المَدَنيّ الشَّــامل، الَّتي تَأَسَّسَــتْ بقوَّة عَقِبَ اللَّاعُنْف الكَامِل، والَّتي أَدَّت إلى اســتِقْلال الهند وأَلْهَمَت الكثير من حَرَكَات الحقوق المَدَنِيَّة والحُرِّيَّة في جميع أنحاء العالَم، غاندي معروفٌ في جَميع أنحَاء العالَم باسْــمِ المهاتمــا غانــدي، المهاتما أَيْ "الــرُّوح العَظِيمة"، وهو تَشْريف تَمَّ تطبيقُه عَلَيْــهِ من قِبَل طاغُور، وأيضًا تَمَّ تَشْرِيفُه رَسْــمِيًّا في الهِنْد باعتِبَارِه أبو الأُمَّة؛ حيث إِنَّ عِيدَ مِيلَاده، 2 أُكْتُوبر يَتِمّ الاحْتِفَال بِهِ هُنَاكَ كَغَانْدِي جايانتي وَهُوَ عُطْلَة وَطَنِيَّة وَعَالَمِيًّا هُوَ اليَوْم الدَّوْلِيُّ لِلَّاعُنْف، مَوْقع ويكيبيديا الموسُوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/cAfBc

وَانْطِلاَقًا مِنْ أَهَمِّيَّة الانْتِمَاء الثَّقَافِيِّ لأَيّ شَعْب لِثَقَافَته المَحَلِّيَّة وَضَرُورَة اعْتِزَازه بِهَذِه الثَّقَافَة، كَوْنها حَامِلاً إرْثيًّا وَمُسْــتَنَدًا مَعْرِفِيًّا يَجب الحِفَاظ عَلَيْهِ وَتَنْميته، وَإِيمَانًا بِأَنَّ أَيّ انْسِلاَخ عَنِ البِيئَة وَالهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة سَيَتْرُك آثَارًا سَلْبِيَّة قَدْ تَكُون كَارِثيَّة عَلَى تمَاسُك أَيّ مُجْتَمَع، سَنُفْرِد هَذَا الفَصْل لِدِرَاسَة التَّحَدِّيَات الَّتِي تُوَاجِه الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة العَرَبِيَّة، وَإِنْ كُنَّا تَنَاوَلْنَا فِي الفَصْل الثَّالِث مِنْ هَذِهِ الدِّرَاسَــة تَحَدِّيَات الهُوِيَّة لَدَى الشَّــبَاب العَرَبِيّ، إِلَّا أَنَّنَا فِي هَذَا الفَصْل سَــنُخَصِّص الدِّرَاسَة فِي أَوْجُه التَّحَدِّيَات الَّتِي تُوَاجِه هَذِهِ الهُوِيَّة، عَلَّ هَذِهِ الدِّرَاسَة تَنْجَح فِي تِبْيَانِ مُوَاطِن التَّحَدِّيَات بِدِقَّة؛ لِتَكُون مُنْطَلَقًا لأَيّ جَهْدٍ هَادِف لِتَذْليل هَذِهِ التَّحَدِّيَات وَبِنَاءِ جِيلٍ شَابّ مُؤْمِنٍ بِهُوِيَّته الثَّقَافِيَّة، مُدْرِكٍ لأَبْعَادهَا التَّارِيخِيَّة وَالاجْتِمَاعِيَّة.

المبحث الأَوَّل

تَحَدِّيَات الهُوِيَّة الثَّقافيَّة

تُشــير الهُويَّة الثَّقَافيَّــة إلَى مَجْمُوعَة منَ الخَصائص وَالسِّــمَات الَّتي تَتَفَرَّد بهَا أُمَّةٌ منَ الأُمَم، بحَيْثُ تُكْسِــبُهَا خُصُوصيَّةً تمَنْحها تمَيُّزًا عَنْ بَاقي الأُمَم، وَتتَشَكَّل الهُويَّــة الثَّقَافيَّة نَتيجَةَ التَّفَاعُل بَيْنَ اللُّغَة وَالدِّين وَالعَادَات وَالتَّقَاليد، وَتَتَشَــكَّل هَــذِه الهُويَّة ضمْنَ فَتْرَات زَمَنيَّة طَويلَة قَــدْ تَصل لقُرُون، فَالهُويَّة الثَّقَافيَّة هي دَليل تَعْريفيّ جَمْعيّ، وَهي تَلْخيصٌ بَارع وَفَريد للتَّاريخ الإنْسَانيّ للأُمَّة، وَتفَاعُلٌ لهَذَا التَّلْخيص مَعَ الوَاقع الحَاليّ وَمَعَ الآمَال المُسْــتَقْبليَّة؛ وَعادَةً مَا يُنْظر للْهُويَّة الثَّقَافيَّة وفْق مَنْظُورَيْن مُتَبَاينَيْن: الأَوَّل يُنْظَر لهَا عَلَى أَنَّهَا تَرْكيبٌ نَفْسيّ وَعقَائديّ سَــابق تَشَكَّل وَأَخَذَ شَكْلَهُ الثَّقَافيّ في العصور السَّابقَة، وبالتَّالي فَهُوَ تَشْكيلٌ نَفْسيّ وَثَقَافيّ وَاجْتمَاعيّ ثَابتٌ غَيْرُ قَابل للتَّغْيير، وَالدَّوْر الحَاليّ للأَفْرَاد هُوَ اسْــتحْضَار هَذه الهُويَّــة وَإِدْرَاكها وَالمُحَافظَة عَلَيْهَا، أَمَّا الاتِّجَاه الثَّــاني فَيُنْظَر لَهَا عَلَى أَنَّهَا تَشْــكيل ثَقَافيٌّ وَاجْتمَاعيٌّ مَرن مُتَغَيرّ وَمُتَبَدِّل لَا يمُكْن حَصْرهُ وَتجَْميدهُ في قَالب وَاحد، إلَّا أَنَّ نسْــبَة التَّغَيرُّ وَالتَّبَدُّل فيــهُ قَدْ لَا تَكُون مَلْحُوظَة، فَهي تحَدُث ببُطْء وَبالتَّدْريج، وَوَفْقًا لهَذَا الطَّرْح يُنْظَر للْهُويَّة الثَّقَافيَّة عَلَى أَنَّهَا تَشْــكيلٌ مُسْــتَمرّ، وَبالتَّالي يَجب عَلَى الجَميع المُشَــارَكَة في تَشْكيله وَتَطْويره، فَالتَّغَيرُّات في العَادَات وَالتَّقَاليد وَالتَّغَيرُّات الدِّيمُغْرافيَّة وَالأَحْدَاث السِّيَاسِــيَّة الكُبْرَى سَتَتْرُكُ أَثَرهَا في الهُويَّة الثَّقَافيَّة لأَيّ أُمَّة منَ الأُمَم.

إنَّ التَّحَــدِّي الَّذي تُوَاجهُهُ الهُوِيَّة الثَّقَافيَّة للشَّــبَاب العَرَبيّ هُوَ أَحَدُ تَجَلِّيَات ضَعْف الانْتمَاء لهَذه الهُويَّة، وَبشَــكْلٍ عَامّ عَنْدَمَا تَضْعُف أَيّ أُمَّة اقْتصَاديًّا وَسيَاسيًّا يَنْسَحب هَذَا الضَّعْف عَلَى ثَقَافَتهَا وَعَلَى هُويَّتهَا الثَّقَافيَّة وَعَلَى انْتمَاء أَفْرَاد هَذه الأُمَّة لَهْويَّتهمْ،

وَهَـــذَا الضَّعْف يُصَنِّفُهُ بَعْض المُفَكِّرِينَ عَلَى أَنَّهُ صِرَاعٌ بَيْنَ الأنا وَالآخَر الجَمْعِيَّتَيْنِ(1)، فَعِنْـــدَ قُوَّة الأُمَّة وَازْدِهَارهَا لَا يَظْهَر هَذَا الـــصِّرَاع وَخَاصَّةً أَنَّ أَفْرَاد الأُمَّة يَتَعَامَلُون مَعَ الأُمَم الأُخْرَى مِنْ مُنْطَلَق قُوَّة، فَعَلَى سَـــبِيل المِثَال لَمْ يَظْهَر هَذَا الصِّرَاع بَيْنَ الأنا وَالآخِر إبَّان ازْدِهَار الحَضَارة العَرَبِيَّة وَالإِسْــلَامِيَّة، لا سِـــيَّمَا خِلَالَ العَصْر العَبَّاسِيِّ الأَوَّل والثَّاني، مَعَ أَنَّ الانْفِتَاح الحَضَارِيَّ عَلَى الأُمَم الأُخْرَى كَانَ عَلَى أَوْجِه، وَالتَّرْجَمَة وَطِبَاعَة الكُتُب الفَارِسِيَّة وَاليُونَانِيَّة كَانَت عَلَى قَدَمٍ وَسَاق، وَلَكِنْ وَبَعْدَ تَرَاجُع الحَضَارَة العَرَبِيَّة وَالإِسْـــلَامِيَّة بَدَأ هَذَا الصِّرَاع الثَّقَافِيّ النَّفْسِيّ الدَّاخِلِيّ بِالظُّهور، وَبَاتَ يُنْظَر إِلَى أَيّ ثَقَافَـــة جَدِيدَة وَافِدَة عَلَى أَنَّهَا غَـــزْوٌ ثَقَافِيّ، وَظَهَر الصِّرَاع بَيْنَ الأَنَا العَرَبِيَّة وَالآخَـــر الخَارِجِيّ؛ وَذَلِكَ مَرَدُّهُ إِلَى ضَعْف الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة العَرَبِيَّة، وَانْخِفَاض إيمَان الشَّبَاب العَرَبِيّ بِهَا؛ لِذَلِك تَغْدُو لُقْمَةً سَائِغَةً أَمَامَ المَدّ الثَّقَافِيّ الغَرْبِيّ.

العَوْلَمَة وتَحَدِّيَات الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة

إِنَّ هَاجِس أَيّ شَـــعْب بِهُوِيَّته الثَّقَافِيَّة مُرْتَبِطٌ ارْتِبَاطًا تَامًّا بِهَاجِس الاسْـــتِقْلَالِيَّة، فَلَا اسْتِقْلَالَ لِأَيّ شَعْب مَا لَمْ يَسْتَقِلّ ثَقَافِيًّا وَيَمْلِك هُوِيَّتَهُ الثَّقَافِيَّة الخَاصَّة بِه وَالمُتَفَرِّد بِهَا، وَالوُجُود المَادِّيّ لِلشُّعُوب لَيْسَ هُوَ الشَّرْط الوَحِيد لِقِيَام الدَّوْلَة، بَلْ يَتَعَدَّاهُ إِلَى التَّجَانُس الثَّقَافِيّ بَـــيْنَ أَفْرَاد المُجْتَمَع الوَاحِد، وَهَذَا التَّجَانُس بَيْنَ أَفْـــرَاد الدَّوْلَة الوَاحِدَة أَوِ المُجْتَمَع الوَاحِد يَجِب أَنْ يَكُون مُغَايِرًا وَمُتَبَايِنًا عَنْ بَاقِي الثَّقَافَات وَالهُوِيَّات الثَّقَافِيَّة، فَمِنْ شُرُوط الهُوِيَّة أَنْ تَكُون مُفْرَدَةً وَمُتَبَايِنَة عَنْ أَيّ هُوِيَّة أُخْرَى، وَإِلَّا فَقَدَتْ مَعْنَاهَا؛ وَعَمَلِيًّا مَا تَقُوم بِهِ العَوْلَمَة هُوَ إِزَالَة التَّمَايُز بَيْنَ الهُوِيَّات الثَّقَافِيَّة لِلشُّـــعُوب، وبالتَّالي هُوَ تَقْوِيضٌ لِمَبْدَأ الدَّوْلَة وَلِوُجُودهَا، وَلَعَلَّ الشَّـــبَابَ مِنْ أَكْثَر المُتَأَثِّرِين بِهَذِهِ العَوْلَمَة، لَيْسَ عَلَى مُسْـــتَوَى العَالَم العَرَبِيّ فَقَطْ، بَلْ عَلَى مُسْـــتَوَى العَالَم أَجْمَع، وَمِمَّا لَا شَكَّ

1. صالح، هُوَيْدا. **"الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة العَرَبِيَّة بين جَدَلِيَّة الأَنَا والآخَر"**. موقع مُؤمنون بلا حُدُود للدِّرَاساتِ والأَبْحَاث، 12 سبتمبر 2017م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/mwwnr

بِهِ أَنَّ التَّحَدِّيَات الثَّقَافِيَّة الَّتِي تَفْرِضهَا العَوْلَمَة عَلَى الأُمَم وَالشُّعُوب لَيْسَتْ وَاحِدَة، فَالدُّوَل النَّامِيَة وَذَاتُ المُسَاهَمَة الحَضَارِيَّة المُتَوَاضِعَة فِي التَّقَدُّم المَعْرِفِيّ وَالتِّكْنُولُوجِيّ الحَالِيّ قَدْ يكُونُونَ أَكْثَرَ تَأَثُّرًا مِنَ الدُّوَل الأَقْوَى وَالأَكْثَرَ إِسْهَامًا، وَعُمُومًا يُنْظَر فِي بَعْض الأَحْيَانِ لِلْعَوْلَمَة عَلَى أَنَّهَا فَرْض الثَّقَافَة الغَرْبِيَّة وَلا سِيَّمَا الأَمْرِيكِيَّة عَلَى شُعُوب العَالَم، مُقَابِلَ طَمْسِ ثَقَافَتهم وَوَأْدهَا.

لَا يَجُوز تَصْوِير العَوْلَمَة عَلَى أَنَّهَا شَرّ مُطْلَق لَا خَيْرَ فِيهُ وَيَجِب مُحَارَبَتهَا وَمُحَاوَلَة نَأْيِ النَّفْس عَنْهَا، وَالمَقْصُود بِالنَّفْس هُنَا النَّفْس الجَمْعِيَّة لَا الفَرْدِيَّة، فَالعَوْلَمَة قَدَّمَت إِسْهَامَات وَخِدْمَات لَا يَجُوز تَجَاهُلها أَوْ إِغْفَالُها، فَهِي فَتَحَتْ بُنُوك الثَّقَافَة عَلَى مِصْرَاعَيْها أَمَامَ المُجْتَمَع العَالَمِيّ بِأَسْره، بِغَضّ النَّظَر عَنْ كَوْنه مِنَ الدُّوَل المُتَقَدِّمَة أَوِ النَّامِيَة، بِالإِضَافَة إِلَى تِكْنُولُوجيَا الاتِّصَالَات وَالمَعْلُومَات وَالمَعْرِفَة الرَّقْمِيَّة وَغَيْرهَا مِنْ وَسَائِل الاتِّصَال الَّتِي تُعَدّ مِنْ إِفْرَازَات ظَاهِرَة العَوْلَمَة، وَهَذِهِ الوَسَائِل لَا يَخْفَى عَلَى أَحَد دَوْرهَا الهامّ فِي حَيَاة النَّاس اليَوْمِيَّة؛ فَنَحْنُ هُنَا لَسْنَا بصددِ إِفْرَاغ العَوْلَمَة مِنْ أَيِّ مَدْلُولٍ إِيجَابِيّ بَلْ نَعْمَد إِلَى تَبَنِّي وَجْهَة نَظَر وَحُكْمٍ مَوْضُوعِيّ مَا أَمْكَن فَالعَوْلَمَة حَمَلَت تَحَدِّيَات لا بَأْسَ بِهَا لِشُعُوب العَالَم لا سِيَّمَا الشَّبَاب مِنْهُمْ وَعَلَى الأَخَصّ فِي المُجْتَمَعَات النَّامِيَة، فَالشَّبَاب سَيَنْبَهِر بِالحَضَارة الغَرْبِيَّة وَتِكْنُولُوجيَا المَعْلُومَات الَّتِي تَتَطَوَّر وَتَتَغَيَّر بِمُعَدَّلٍ سَرِيع، وَهَذَا الانْبِهَار قَدْ يَقُود إِلَى إِهْمَال الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة الخَاصَّة بِهَؤُلَاءِ الشَّبَاب، وَحَتَّى الخَجَل مِنْهَا فِي بَعْض الحَالَات، وَقَدْ تَتَبَايَن مَظَاهِر تَأْثِير العَوْلَمَة عَلَى الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة بَيْنَ شَعْبٍ وَآخَر، **وَفِيمَا يَلِي تِبْيَانُ بَعْضِ مَظَاهِر تَأْثِير العَوْلَمَة عَلَى الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة لِلشَّبَاب العَرَبِيّ.**

- **سَيْطَرَة الثَّقَافَة الغَرْبِيَّة عَلَى حَيَاة الشَّبَاب العَرَبِيّ:** فَفِي بَعْض المُجْتَمَعَات العَرَبِيَّة أَضْحَى انْتِشَار مَظَاهِر الحَيَاة الغَرْبِيَّة مِنَ السِّمَات العَامَّة لِهَذِهِ المُجْتَمَعَات، كَاللِّبَاس ذِي الطِّرَاز الغَرْبِيّ، وَانْحِسَار عَادَات الطَّعَام وَالشَّرَاب العَرَبِيَّة عَلَى حِسَاب الغَرْبِيَّة.

- **تَرَاجُع اللُّغَة العَرَبِيَّة:** عَلَى حِسَاب انْتِشَار مُفْرَدَات أَعْجَمِيَّة وَخَاصَّة لَدَى الشَّبَاب، وَبَاتَ اسْتِخْدَام اللُّغَة الإِنْكِلِيزِيَّة بِكَثَافَةٍ خِلَالَ الحَدِيث دَلِيل عَلَى ثَقَافَة المُتَحَدِّث وَسِعَة اطِّلَاعه، وَممَّا عَزَّز تَرَاجُع دَوْر اللُّغَة العَرَبِيَّة اعْتِمَادُ بَعْض الجَامِعَات مَنَاهِجَ تَعْلِيمِيَّة إِنْكِلِيزِيَّة.
- **هَوَس الشَّبَاب بِالإِنْتَرْنِت ومَوَاقِع التَّواصل الاجْتِمَاعِيّ:** وَالخَلَل فِي هَذِهِ المَوَاقِع هُوَ إِدْمَان الشَّبَاب عَلَيْهَا، فَهِي لَيْسَتْ سَلْبِيَّةً بِحَدِّ ذَاتِها لَكِنْ سَلْبِيَّتهَا وَإِيجَابِيَّتها تَتَوَقَّف عَلَى طَرِيقَة تُعَامِل الشَّبَاب مَعهَا.

الشَّبَاب وتَحَدِّيَات الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة العَرَبِيَّة

تَتَعَرَّض الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة العَرَبِيَّة لِجُمْلَةٍ مِنَ التَّحَدِّيَات، وَهِي تَحَدِّيَات تَوَاجُه المُجْتَمَع العَرَبِيّ بِالكَامِل، إِلَّا أَنَّهَا تَظْهَر بِشَكْلٍ جَلِيٍّ فِي شَرِيحَة الشَّبَاب، وَهَذَا الأَمْر مَنْطِقِيٌّ وَمَقْبُول، فَشَرِيحَة الشَّبَاب هِي الأَكْثَر تَأَثُّرًا بِالإِفْرَازَات الثَّقَافِيَّة الأَجْنَبِيَّة؛ كَوْنهَا الأَكْثَر تَوْقًا لِلْجَدِيد وَلِلْمُسْتَهْجَن مِنَ القَضَايَا وَلِلْجَدِيد مِنَ الأَفْكَار، وَفِيمَا يَلِي سَنُبَيِّن أَهَمّ النِّقَاط الَّتِي تَظْهَر مَعَهَا جُمْلَةُ التَّحَدِّيَات الَّتِي تَوَاجُه الشَّبَاب العَرَبِيّ فِي هُوِيَّته الثَّقَافِيَّة.

- **عَدَم التَّكَافُؤ فِي حَجْم التَّبَادُل الثَّقَافِيّ:** بَيْنَ العَالَم العَرَبِيّ وَالعَالَم الغَرْبِيّ، وَالَّذِي يَصِل فِي بَعْض الأَحْيَانِ إِلَى التَّبَادُل أُحَادِيّ الجَانِب، وَهَذَا مَا يُضْعِف الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة العَرَبِيَّة فِي أَعْيُنِ الشَّبَاب العَرَبِيّ، وَيُعَزِّز زُهْدهُمْ بِهَا، وَيَزِيد مِنْ إِعْجَابهمْ بِالهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة الغَرْبِيَّة.
- **الهَيْمَنَة الإِعْلَامِيَّة لِلْغَرْب:** وَذَلِكَ مِنْ خِلَال الإِمْبرَاطُورِيَّات الإِعْلَامِيَّة الَّتِي تُسَوِّق لِلْمُجْتَمَع الغَرْبِيّ بِفَاعِلِيَّة وَنُجَّاح، وَتُقَلِّل مِنْ أَهَمِّيَّة الثَّقَافَة الشَّرْقِيَّة وَيَلْقَى الإِعْلَامُ الغَرْبِيّ آذَانًا صَاغِيَة بَيْنَ شَبَاب الوَطَن العَرَبِيّ.
- **التَّبَعِيَّة الثَّقَافِيَّة:** فَالعَالَم الحَالِيّ مُقَسَّم سِيَاسِيًّا لِتَابِعٍ وَمَتْبُوع، وَالتَّبَعِيَّة السِّيَاسِيَّة تَقُود لِلتَّبَعِيَّة الثَّقَافِيَّة، وَالتَّبَعِيَّة الثَّقَافِيَّة تُعْتَبَر مِنْ أَخْطَر أَشْكَال التَّبَعِيَات لِلْغَرْب؛ كَوْنهَا ذَاتَ آثَار سَلْبِيَّة طَوِيلَة المَدَى، قَدْ لَا تَزُول بِأَجْيَال عِدَّة.

- **إثَارَة الشُّــبهَات حَوْلَ أَصَالَة الهُويّة الثّقَافِيّة العَرَبِيّة وَالإسْلَامِيّة:** وَالادِّعَاء بِأَنَّ هَذِهِ الهُوِيَّة لَيْسَتْ أَصِيلَة.
- **مُحَاوَلَة إبدَال الهُويّة الثَّقَافِيّة العَرَبِيّة الجَامِعَة بهُويّات فَرْعِيّة مُجزَّأة:** وَذَلِكَ مِنْ خِلَال التَّشْــكِيك بِالانْتِمَاء القَوْمِيّ العُرُوبِيّ، وَمُحَاوَلَة إقْنَاع الشَّبَاب العَرَبِيّ بِأَنَّهُمْ لَيْسُــوا عَرَبًــا إِلَّا بِاللُّغَة، فَالأَجْدَى بِهِمْ عَدَم الدِّفَــاع عَنْ هُوِيَّة ثَقَافِيَّة لَا يَنْتَمُون لَهَا، وَفِي هَذَا الإِطَار يَتِمُّ التَّرْوِيجُ إِلَى أَنَّ سُكَّان الخَلِيج العَرَبِيّ هُمُ العَرَب الوَحِيدُون، بَيْنَمَا العِرَاقِيُّونَ ذَوُو جُذُور آشُورِيَّة، وَالسُّورِيُّونَ سُرْيَانٌ وَفِينِيقِيُّونَ، وَالمِصْرِيُّــونَ فَرَاعِنَةٌ، وَالمَغَارِبَة أَمَازِيغ، وَقَدْ سَــاهَم بَعْض العَرَب فِي دَعْم هَذَا التَّوَجُّه التَّجْزِيئِيّ، وَذَلِكَ لِأَهْدَاف سِيَاسِــيَّة، فَبَعْض الأَحْزَاب السِّيَاسِيَّة حَاوَلَتْ كَسْب مَزِيدٍ مِنَ الدَّعْم مِنْ خِلَالِ طَرْحِ أفكارٍ جَدِيدَةٍ وَإِنْ كَانَت هَدَّامَةً.

إِنَّ الهُوِيَّة العَرَبِيَّة وَالإِسْــلَامِيَّة بِأَجْزَائِها الثَّقَافِيَّة وَالاجْتِمَاعِيَّة وَالسِّيَاسِيَّة تَتَعَرَّض لِذَاتِ الضُّغُــوط النَّاجِمَة عَنِ العَوْلَمَة وَإِفْرَازَاتِهَا، وَتَفَاعُــل أَفْرَاد المُجْتَمَع العَرَبِيّ مَعَ مُفْرَزَات العَوْلَمَة يَزِيد مِنْ حَجْم هَذِهِ الضُّغُوط وَالتَّحَدِّيَات، فَهَوَس الشَّبَاب العَرَبِيّ بِالإِنْتَرْنِتْ يَزِيد مِنْ مِقْدَار الضَّغْط الَّذِي تَتَعَرَّض لَهُ الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة العَرَبِيَّة، كَمَا أَنَّ الوَاقِع المَعِيشِيَّ العَرَبِيّ يُعَزِّز مِنَ التَّحَدِّيَات أَيْضًا، فَمُسْــتَوَيَات البَطَالَة وَالفَقْر المُرْتَفِعَيْن يَدْفَعَان الشَّبَاب العَرَبِيَّ لِلتَّفْكِير وَالسَّــعْيّ لِلْهِجْرَة كَحَلٍّ لِلضُّغُوط الاقْتِصَادِيَّة، لِتَغْدُو الهِجْرَة حُلْمًا يَحْمِل فِي طَيَّاته إِنْقَاذًا لِلشَّــبَاب العَرَبِيّ مِنْ بَرَاثِنِ الفَقْر، إِلَّا أَنَّ ذَات الهِجْرَة تَحْمِلُ تَحَدِّيًا خطيرًا لِهُوِيَّة الشَّــبَاب العَرَبِيّ الثَّقَافِيَّة، كَمَا أَنَّ انْتِشَــارَ التَّطَرُّف بِكُلِّ أَشْكَاله الدِّينِيِّ وَالسِّيَاسِيّ يُشَكِّل تَحَدِّيًا وَتَهْدِيدًا لِهُوِيَّة الشَّبَاب العَرَبِيّ الثَّقَافِيَّة، وَهَذَا التَّهْدِيد يَقُود إِلَى زُهْد الشَّبَاب بِهُوِيَّته وَعَدَم إِيمَانه بِأَصَالَتِهَا، فَمُقَارَنَة الوَاقِع العَرَبِيّ وَالإِسْلَامِيّ المُجَزَّأ الَّذِي تَنْهشهُ الصِّرَاعَاتُ وَتُفَتِّتُهُ الأَطْمَاع مَعَ الوَاقِع الغَرْبِيّ المُسْتَقِرّ وَالمُتَطَوِّر عِلْمِيًّا وَتِكْنُولُوجِيًّا يَضَع الشَّبَاب العَرَبِيّ فِي مُوقِفٍ صَعْب تِجَاهَ هُوِيَّتهــم الثَّقَافِيَّة، فَارْتِبَاطهُمْ بِهُوِيَّتهمْ بَاتَ مِنْ مُنْطَلَق وِجْدَانِيٍّ فَقَــطْ، فَهُمْ غَيْرُ مُقْتَنِعِينَ بِهَذِهِ الهُوِيَّة نَتِيجَة انْخِفَاض مَدْلُولِيَّتِهَا المَعْرِفِيَّة وَالثَّقَافِيَّة أَمَامَ الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة الغَرْبِيَّة، وَهُنَا يَجِب العَمَل لِتَحْوِيل ارْتِبَاط الشَّبَاب العَرَبِيّ بِهُوِيَّته الثَّقَافِيَّة مِنْ مُجَرَّد ارْتِبَاطٍ وِجْدَانِيّ لِيَصِل إِلَى مَرْحَلَة الارْتِبَاط العَقْلِيِّ وَالمَنْطِقِيّ.

وَمِـــنْ ثَمَّ فَإِنَّ نَجَاح أَيّ بَلَد مِـــنَ البُلْدَان النَّامِيَة فِي الحِفَاظ عَلَى هُوِيَّته وَدِفَاعه عَنْ خُصُوصِيَّته مَشْرُوط بِمَدَى عُمْق عَمَلِيَّة الانْخِرَاط الوَاعِي فِي عَصْر العِلْم وَالتِّكْنُولُوجِيَا، وَالاسْـــتِفَادَة مِنَ الثَّوْرَة المَعْلُومَاتِيَّة الضَّخْمَة الَّتِي اجْتَاحَـــتِ العَالَم مُؤَخَّرًا، وَاعْتِمَاد الإِمْكَانِيَّـــات الَّتِي تُوَفِّرهَا الجَوَانِب الإِيجَابِيَّة مِنَ العَوْلَمَة المُعَاصِرَة؛ فَلَسْـــتُ مُجْبَرًا أَنْ أَكُون أَمْرِيكِيًّا أَوْ فَرَنْسِـــيًّا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؛ بَلْ يَجِب أَنْ أُحَافِظ عَلَى هُوِيَّتِي وَثَقَافَتِي وَعَادَاتِي وَأَخْلَاقِي، مَعَ الاسْتِفَادَة مِنَ الطَّفْرَة العِلْمِيَّة النَّاتِجَة عَنْ ثَقَافَة العَوْلَمَة.

المبحث الثَّاني

التَّحَدِّي الاجْتِمَاعيّ والعِلْمِيّ

تَتَشَكَّل الهُويَّة الثَّقَافِيَّة للإِنْسَان نَتِيجَة تَفَاعُل عِدَّة عَوَامِل في ظُرُوف مُحَدَّدَة، وَنَتِيجَةً لِتَفَاعُل الهُويَّة الثَّقَافِيَّة للأَفْرَاد مَع بَعْضِهِمْ تَتَشَكَّل الهُويَّة الثَّقَافِيَّة الجَمْعِيَّة الَّتِي تُعْطِي كُلّ شَعْب صِفَاتٍ وَمُمَيِّزَاتٍ سُلُوكِيَّة وَتَفْكِيرِيَّة تُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهُ مِنَ الشُّعُوب وَالأُمَم، فَالهُويَّة الجَمْعِيَّة لِلشَّبَاب هِي نِتَاج تَفَاعُل العَوَامِل الدِّينِيَّة وَالسِّيكُولُوجِيَّة وَالاجْتِمَاعِيَّة وَالبِيئِيَّة وَالسِّيَاسِيَّة، وَإِنَّ أَيّ خَلَلٍ فِي أحَد هَذِهِ العَوَامِل سَيَنْعَكِسُ سَلْبًا عَلَى مَفْهُوم الهُويَّة بِالكَامِل؛ وَكُلّ عَامِلٍ مِنَ العَوَامِل السَّابِقَة عَادَةً مَا يَتِمّ تَجْزِئَته إِلَى عَوَامِل فَرْعِيَّة، وَيَهْدِف هَذَا التَّجْزِيءُ إِلَى دِرَاسَة تَأْثِير كُلّ عَامِلٍ عَلَى الهُويَّة الثَّقَافِيَّة بِدِقَّة، كَمَا يَهْدِف لِمَعْرِفَة السُّبُل وَالوَسَائِل المُمْكِنَة لِتَطْوِير هَذِهِ الهُويَّة.

وَتُعَانِي الهُويَّة الثَّقَافِيَّة العَرَبِيَّة مَجْمُوعَةً مِنَ التَّحَدِّيَات ذَات المَنْشَأ الاجْتِمَاعِيّ، مِنْهَا مَا هُوَ قَدِيمٌ وَمِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَحْدَث، فَالقَدِيم مِنْهَا يَتَعَلَّق بِالعَادَات وَالتَّقَالِيد الَّتِي كَانَت صَالِحَةً فِي مَرَاحِلَ تَارِيخِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ وَتَرَاجَعَت صَلَاحِيَتهَا فِي الوَقْت الحَالِيّ؛ لِتَغْدُو شَكْلًا مِنْ أَشْكَال العَقَبَات وَالتَّحَدِّيَات، أَمَّا المُسْتَحْدَث فَهُوَ مِمَّا أَفْرَزَتْهُ الحَيَاة المُعَاصِرَة، إِلَّا أَنَّهُ تَرَكَ أَثَرًا سَلْبِيًّا عَلَى الهُويَّة الثَّقَافِيَّة العَرَبِيَّة وَعَلَى انْتِمَاء الشَّبَاب لِهَذِهِ الهُويَّة وَعَلَى ارْتِبَاطِهِمْ بِهَا، كَمَا أَنَّ أَحَد تَجَلِّيَات العَوْلَمَة فِيمَا يَتَعَلَّق بِالهُويَّة الثَّقَافِيَّة يَتَمَثَّل بِالانْفِتَاح الكَبِير وَالوَاسِع بَيْنَ الشُّعُوب وَالأُمَم، وَأَدَّى هَذَا الانْفِتَاح إِلَى تَبَادُلِ القِيَم الاجْتِمَاعِيَّة وأحيانًا إِلَى الغَزْو الاجْتِمَاعِيِّ، فَمَفْهُوم التَّبَادُل يَقُوم عَلَى مَبْدَأ الأَخْذ وَالمَنْح القَائِم عَلَى التَّرَاضِي، بَيْنَمَا فِي الغَزْو يَكُون الأَخْذ وَالمَنْح فِي اتِّجَاه وَاحِد، وَلَا يُشْتَرَط بِهِ أَنْ يَكُون قَائِمًا عَلَى التَّرَاضِي.

فَبَعْض المَفَاهِيم وَالسُّلُوكِيَات الاجْتِمَاعِيَّة دَخَلَتْ إِلَى المُجْتَمَع العَرَبِيّ وَبِالأَخَصّ إِلَى جِيل الشَّبَاب، مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ قَرِيبَةً مِنَ السُّلُوكِيَات العَرَبِيَّة وَلَا تَتَقَاطَع مَعَ مُخْرَجَات البِيئَة الاجْتِمَاعِيَّة فِي العَالَم العَرَبِيّ، وَنَحْنُ هُنَا لَا نَقْصِد أَنْ نَقُول: إِنَّ كُلّ مَا دَخَلَ

مِنْ مَفَاهِيم اجْتِمَاعِيَّة إِلَى العَالَم العَرَبِيّ هُوَ سَيِّئٌ، بَلْ نَقْصِد القَوْل بِأَنَّهُ غَيْرُ مُنَاسِب للتَّرْكِيبَة الاجْتِمَاعِيَّة العَرَبِيَّة، فَمَا هُوَ نَاجِح فِي بِيئَة مَا قَدْ يَكُون أَقَلّ نجاحًا وَقَدْ يَكُون فَاشِلًا فِي بِيئَة أُخْرَى؛ وَهَذَا مَا يَقُود لِضَرُورَة التَّنَاسُب وَالتَّنَاغُم بَيْنَ الوَعْي الاجْتِمَاعِيّ الَّذِي هُوَ حَصِيلَة تَطَوُّر تَارِيخِيٍّ طَوِيلٍ وَبَيْنَ الوَاقِع الاجْتِمَاعِيّ الَّذِي هُوَ نَتِيجَةُ تَفَاعُل الوَعْي الاجْتِمَاعِيّ مَعَ السُّلُوكِيَات وَالمَفَاهِيم الاجْتِمَاعِيَّة السَّائِدَة فِي بِيئَةٍ مَا.

علاقة الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة بالبِيئَة الاجْتِماعِيَّة

تَتَشَكَّل الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة الجَمْعِيَّة كَمَا أَسْلَفنَا مِنْ تَفَاعُل مُخْتَلِف العَنَاصِر المُحِيطَة بِأَفْرَاد المُجْتَمَع، وَالهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة الجَمْعِيَّة تَنْعَكِس مِنَ المُجْتَمَع عَلَى الفَرْد وَلَيْسَ العَكْس، وَهَذَا مَا يَقُودُنَا لِمَفْهُوم الذَّاكِرَة الجَمْعِيَّة وَتَقَاطُعها مَعَ الهُوِيَّة الجَمْعِيَّة، فَالأُولَى تُشِـــير إِلَى وَعْي الإِنْسَان لِمَاضِيه وَلِمَاضِي أُمَّته بِشَكْلٍ لَا وَاعٍ، فَسُلُوكه وَتَصَرُّفَاته تَسْتَنِد فِي قِسْمٍ كَبِيرٍ مِنْ تَبْرِيرَاته عَلَى مَاضِي أَجْدَادِه، وَهَذَا المَفْهُوم لَاقَى إِقْبَالًا وَاضِحًا مِنْ قِبَل رُوَّاد عِلْم النَّفْس فِي القَرْن التَّاســـع عَشَرَ، وَعَلَى رَأْســـهِمْ عَالِم الاجْتِمَاع الفَرَنْسِيّ مُورِيسَ هالبوكس(1) الَّذِي وَضَعَ الأُســـس النَّظَرِيَّة لِمَفْهُوم الذَّاكِـــرَة الجَمْعِيَّة، وَهَذَا المَفْهُوم يُؤَصِّل لِمَفْهُوم الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة، فَهَذِه الهُوِيَّة تُقَدِّم تَبْرِيرَات وَاضِحَةً لِبَعْض مَفَاهِيمنَا الخَاصَّـــة حَوْلَ الحَيَـــاة، فَقَدْ نَجِد أَنَّ أُمَّةً مَا لَهَا مَوَاقِف مُحَدَّدَة نَحو قَضِيَّةٍ مَا كَالمَوْت مَثَـــلًا أَوِ الانْتِمَاء لِلْأُسْرَة أَوْ غَيْرِهَا مِنَ المَفَاهِيم، وَهَذِهِ المَوَاقِف لَا تُلَقَّن لِلْفَرْد وَلَا يَتِمّ تَعْلِيمه إِيَّاهَا، بَلْ يَكْتَسِبهَا بِالفِطْرَة، فَمَوْقِف الشُّعُوب الشَّرْقِيَّة مِنَ الأُسْرَة وَإِضْفَاء شَيْءٍ مِنَ القَدَاسَـــة عَلَى الحَيَاة الأُسْرِيَّة قَدْ يَتَقَاطَع مَعَ مَفْهُوم الأُورُوبِّيِّين، وَهَذَا الاخْتِلَاف

1. مورِيـــس هالبوكس: (1945-1877م)، فَيْلَسُـــوف وَعَالِم اجْتِمَاع فَرَنْسِيّ مَعْـــرُوف بِتَطْوِير مَفْهُوم الذَّاكِرَة الْجَمْعِيَّة، سَـــاهَم أَيْضًا فِي عِلْم اجْتِمَاع الْمَعْرِفَة فِي دِرَاسَـــة بِعُنْوَان: "التَّضَارِيس الْأُسْطُورِيَّة لِلْأَنَاجِيل فِي الْأَرْض الْمُقَدَّسَـــة" وَهِي دِرَاسَـــة عَن الْبِنْيَة التَّحْتِيَّة الْمَكَانِيَّة لِلْعَهْد الْجَدِيد، أَهَمّ كُتُبه "الذَّاكِرَة الْجَمْعِيَّة" وَالَّـــذِي طَـــرَح فِيه فَرْضِيَّة أَنَّ الْمُجْتَمَع يُمْكِن أَنْ يَمْتَلِك ذَاكِرَة جَمْعِيَّة، وَأَنَّ تِلْكَ الذَّاكِرَة تَعْتَمِد عَلَى الْإِطَار الَّـــذِي تَعِيـــش ضِمْنَه مَجْمُوعَة مُعَيَّنَة فِي الْمُجْتَمَع، وَبِالتَّالِي لَا تُوجَد ذَاكِـــرَة فَرْدِيَّة فَقَطْ، بَلْ هُنَاكَ أَيْضًا ذَاكِـــرَة لِلْجَمَاعَـــة تَتَجَاوَز ذَاكِـــرَة الْفَرْد وَتَعِيش أَكْثَرَ مِنْـــهُ، موقع ويكيبيديا الموســـوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط:https://cutt.us/cJtvT

فِي المَوْقِف مَرَدُّه لِلظُّروف الاجْتِمَاعِيَّة الَّتِي تَشَكَّلَت ضِمْنَهَا الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة وَالذَّاكِرَة الجَمْعِيَّة لِلْأَجْدَاد وَانْتَقَلَتْ إِلَى الأَحْفَاد عَنْ طَرِيق الاقْتِبَاس غَيْرِ المُبَاشِر.

لِذَلِكَ يُمْكِن القَوْل بِأَنَّ الظُّروف الاجْتِمَاعِيَّة الَّتِي تُسَيْطِر عَلَى شَعْبٍ أَوْ أُمَّة مَا كَفِيلَةٌ بِصِيَاغَة هُوِيَّتِه الثَّقَافِيَّة الخَاصَّة بِه، وَالَّتِي تُمَيِّزُه عَنْ غَيْرِه مِنَ الشُّعُوب وَالأُمَم، وَهَذَا الشَّعْب قَادِر عَلَى الحَيَاة بِشَكْلٍ طَبِيعِيٍّ وَالعَمَل وَالإِنْتَاج فِي حَال كَانَت الظُّروف الاجْتِمَاعِيَّة الحَالِيَّة تَتَقَاطَع إِلَى حَدٍّ مَا مَعَ الظُّروف الَّتِي سَادَت أَثْنَاء تَشَكُّل هُوِيَّة أَجْدَاده الثَّقَافِيَّة، بِمَعْنَى أَنَّ الأَفْرَاد الَّذِينَ يَعِيشُون فِي ظِلِّ بِيئَةٍ اجْتِمَاعِيَّة تَهْتَمّ لِأَمْر الأُسْرَة كَجُزْءٍ مِنْ هُوِيَّتِهَا الثَّقَافِيَّة لَنْ تَتَمَكَّنَّ مِنَ العَيْش بِسَلَام دَاخِلِيٍّ وَحَيَاة طَبِيعِيَّة فِي حَال تَمّ مُخَالَفَة مَبَادِئ هُوِيَّتِهَا، فَإِذَا فَصَلْنَا أَيّ شَرْقِيٍّ عَنْ أُسْرَته لَنْ يَتَمَكَّنْ مِنَ العَيْش بِسَلَام، لَا هُوَ وَلَا أُسْرَتُه، بَيْنَمَا ذَاتُ الأَمْر قَدْ يَكُون طَبِيعِيًّا فِي بِيئَة اجْتِمَاعِيَّة أُخْرَى. وَالشَّبَابُ بِشَكْلٍ عَامّ قَدْ يَكُونُون أَقَلّ إِدْرَاكًا لِأَهَمِّيَّة الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة فِي إِرْسَاء دَعَائِم حَيَاةٍ مُسْتَقِرَّة وَآمِنَة اجْتِمَاعِيًّا؛ لِذَلِكَ قَدْ تَجِدهُمْ يَمِيلُون لِمُخَالَفَة مَا تَمْلِيه عَلَيْهِمْ هُوِيَّتُهُمْ الجَمْعِيَّة كَنَوْعٍ مِنَ الرَّغْبَة فِي التَّجْدِيد أَوْ تَقْدِيم نَمُوذَجٍ مُشَابِهٍ لِنَمَاذِج المُجْتَمَعَات الأُخْرَى، وَهَذَا مَا يُمْكِن مُلَاحَظَتُه لَدَى بَعْض الشَّبَاب العَرَبِيّ الَّذِينَ يَمِيلُون لِسُلُوكِيَات تَتَقَاطَع مَعَ الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة لِلْمُجْتَمَعَات الغَرْبِيَّة، وَهَذَا مِمَّا لَا شَكَّ بِه سَيَتْرُكُ أَكْبَرَ الأَثَر السَّلْبِيّ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَحَيَاةِ أُسَرِهِمْ وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ؛ كَوْنَ هَذِهِ السُّلُوكِيَات تُشَكِّل هَدْمًا لِهُوِيَّة تَشَكَّلَت خِلَالَ قُرُون طَوِيلَة وَتُهَدِّد أَيْضًا بِفَرَاغ الهُوِيَّة وَالانْتِمَاء، فَهَدْم الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة أَوِ الاسْتِغْنَاءِ عَنْهَا لَا يُمْكِن تَعْوِيضه بِاسْتِيرَادِ أُخْرَى أَوْ تَصْنِيع أُخْرَى، فَهِي عَمَلِيَّةٌ تَتِمّ فِي اللَّاوَعْي الجَمْعِيّ لَدَى الشُّعُوب خِلَالَ فَتَرَاتٍ زَمَنِيَّة قَدْ تَصِل لِقُرُون.

التَحَدِّيَات الاجْتِمَاعِيَّة لِلْهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة

تَتَعَدَّد التَّحَدِّيَات الاجْتِمَاعِيَّة الَّتِي تُوَاجِه الشَّبَاب العَرَبِيّ فِي هُوِيَّتِه الثَّقَافِيَّة وَفِيمَا يَلِي سَنُبَيِّنُ أَهَمَّ هَذِهِ التَّحَدِّيَات.

- **عَبَث فِكْرَة التَّحَرُّر الغَرْبِيّ بِعُقُول بَعْض الشَّبَاب العَرَبِيّ المُرَاهِق؛** وَخَاصَّةً فِي البُعْدِ عَنِ الأَهْل وَالأُسْرَة كَتَقْلِيدٍ لِلنَّمُوذَج الغَرْبِيّ الاجْتِمَاعِيّ، دُونَ الانْتِبَاه إِلَى

أَنَّ الظُّــــروف الاجْتِمَاعِيَّة وَالثَّقَافِيَّة في المُجْتَمَع الغَرْبيّ الَّتِي تُبَرِّر هَذَا السُّـــلُوك الأُسْرِيِّ لَيْسَتْ مَوْجُودَةً في المُجْتَمَع العَرَبيّ المُحَافِظ اجْتِمَاعيًّا.

- **تَفَشِّي لُغَة العُنْف بَيْنَ الأَطْفَال وَالشَّـــبَاب ممَّا أَدَّى إِلَى ظُهور بَعْض التَّصَرُّفَات العُدْوَانِيَّة في المَدَارِس**؛ وَالقِتَال في الشَّوَارِع، وَكُلّ هَذِهِ الأَعْمَال الَّتِي يَقُوم بِهَا كَثِير مِنَ الأَطْفَال وَالشَّبَاب تَرْجِع إِلَى بَعْض البَرَامِج الَّتِي تُسَوِّق لَهَا الثَّقَافَات الغَرْبِيَّة، وَكَذَلِكَ أَلْعَاب الفِيدْيُو الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى مُشَاهِد قَتْل وَتَعْذِيب وَسَرِقَة وَغَيْرِهَا.
- **غِيَاب الحِوَار البَنَّاء بَيْنَ مُؤَسَّسَات الدَّوْلَة وَجِيل الشَّبَاب**، وَهَذِهِ مِنْ أَبْرَز التَّحَدِّيَات الَّتِي يُعَانِيهَا الشَّـــبَاب العَرَبِيّ اليَوْم، خَاصَّةً أَنَّ الحِوَار مَعَ الشَّـــبَاب مِنْ شَأْنه أَنْ يُعْطِي ثِمَارهُ في تَعْمِيق المَشْرُوع الحَضَارِيّ وَالمُسْتَقْبَلِيّ البَنَّاء لِمُسْتَقْبَل الغَد المُشْرِق.
- **التَّسْوِيق لِلشُّـــهْرَة وَالمَال مِنْ خِلَال الفَنّ وَالغنَاء**؛ لِذَلِكَ نَجِد كثيرًا مِنَ الشَّبَاب العَرَبِيّ أَصْبَحَ هَمّهُ هُوَ المُشَارَكَة في مِثْل هَذِهِ البَرَامِج الَّتِي تُسَوِّق لَهَا كثيرٌ مِنَ الشَّاشَات العَرَبِيَّة.
- **الفَهْم الخَاطِئ لِمَفْهُوم التَّحَرُّر**، فَالبَعْض فَهِمَه عَلَى أَنَّهُ تَخَلٍّ عَنْ بَعْض المَبَادِئ، فَالمَبَادِئ لَيْسَتْ عَائِقًا في طَرِيق التَّحَرُّر أَبَدًا، وَمُخَالَفَة بَعْض تَعَالِيم الدِّين لَيْسَتْ مِنَ التَّحَرُّر بِشَيْء.
- **تَدَهْوُر الطَّبَقَة الوُسْـــطَى العَرَبِيَّة**، وَالَّتِي غَالِبًا مَا تُشَكِّل الأَغْلَبِيَّة السَّاحِقَة مِنْ تَعْدَاد السُّكَّان، وَهِي تُشَكِّل عَامِل تَوَازُن هَامٍّ في المُجْتَمَع وَلِلشَّبَاب، وَتَدَهْوَر هَذِهِ الطَّبَقَة أَدَّى بِشَكْلٍ غَيْرِ مُبَاشِر لِتَأَثُّر الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة الجَمْعِيَّة لَدَى الشَّبَاب العَرَبِيّ.
- **التَّغْيِيب الاجْتِمَاعِيُّ لِدَوْر الإِنَاث مِنَ الشَّـــبَاب**، وَالاسْتِنَاد عَلَى تَقَالِيدَ قَدِيمَةٍ في إِقْصَائهن اجْتِمَاعِيًّا، الأَمْر الَّذِي يَنْعَكِس سَلْبًا عَلَى وَاقِع الشَّبَاب بِشَكْلٍ عَامّ، وَعَلَى الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة بِشَـــكْلٍ غَيْرِ مُبَاشِر، وَإِظْهَارهَا كَهُوِيَّـــة قَاصِرَة عَنِ التَّنَاغُم مَعَ تَطَوُّرَات العَصْر.
- **التَّطَوُّر الاجْتِمَاعِيُّ وَالتِّكْنُولُوجِيُّ السَّرِيع**، وَبِالتَّالِي اخْتَلَفَت الحَاجَات الاجْتِمَاعِيَّة بَيْنَ جِيل اليَوْم وَجِيل الأَمْس، الأَمْر الَّذِي أَدَّى إِلَى تَعَارُضٍ اجْتِمَاعِيّ بَيْنَ الأَجْيَال الحَالِيَّة، فَالآبَاء قَدْ لَا يَقْتَنِعُون بِالحَاجَات الاجْتِمَاعِيَّة الجَدِيدَة لِلشَّـــبَاب العَرَبِيّ، وَقَدْ يَرَوْنهَا شَكْلًا مِنْ أَشْكَال الخُرُوج عَلَى القِيَم وَالتَّقَالِيد.

التَّحَدِّي المَعْرِفِيّ للْهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة للشَّبَاب العَرَبِيّ

فَرَضَ التَّقَدُّم العِلْمِيّ وَالمَعْرِفِيّ وَالتِّكْنُولُوجِيّ تَحَدِّيَاتٍ جَدِيدَةً فِي وَجْه الشَّبَاب العَرَبِيّ، فَبالإِضَافَــــة إِلَى المَنَافع الجَمَّة الَّتِي قَدَّمهَـــا التَّطَوُّر المَعْرِفِيّ، إِلَّا أَنَّه تَرك تَحَدِّيَاتٍ قَدْ طَالَت الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة العَرَبِيَّة، وَبالأَخَصّ لَدَى الشَّـــبَاب العَرَبِيّ، وَخَاصَّةً كَوْن غَالِبِيَّة الإِسْـــهَامَات المَعْرِفِيَّة تَكُون ذَاتَ مَصْدَر غَرْبِيّ، مَعَ انْحِسَارٍ وَاضِحٍ لِلدَّوْر العَرَبِيّ، مِمَّا دَفَعَ الشَّـــبَاب لِلزُّهْد مِنْ هُوِيَّته وَطَمَعه فِي اكْتِسَـــاب هُوِيَّةٍ جَدِيدَة، وَهَذَا الطَّرْح فِيهُ وَجْهٌ مِنَ الصِّحَّة وَوَجْهٌ مَغْلُوط، فَالصِّحَّة تَكْمُن فِي ضَرُورَة تَغْيِير الوَاقِع العَرَبِيّ الَّذِي يَبْدُو وَكَأَنَّهُ مُكَرَّسٌ لِتَلَقِّي الإِسْـــهَامَات العِلْمِيَّة دُونَ المُشَارَكَة فِيهَا، أَمَّا الوَجْه المَغْلُوط فَيَتَمَثَّـــل فِي الزُّهْد مِنَ الهُوِيَّة العَرَبِيَّة، فَالحَلّ لَيْسَ بِتَرْك أَوْ مُهَاجَمَة هَذِهِ الهُوِيَّة، بَلْ فِي دِرَاسَة أَسْـــبَاب التَّرَاجُع العَرَبِيّ وَالعَمَل عَلَى مُعَالَجَة مُوَاطِن الخَلَل، ولا بَأْسَ مِنَ التَّذْكِيرِ أَنَّهُ فِي مَرْحَلَة تَارِيخِيَّة سَابِقَة كَانَ العَرَب هُمُ المُصَدِّرِينَ الرَّئِيسِيِّينَ لِلْمَعْرِفَة، وَكَانَ الغَرْب الحَالِيّ مُتَلَقِّيًا لَهَا.

وَتَتَمَثَّل التَّحَدِّيَات المَعْرِفِيَّة وَالتَّرْبَوِيَة الَّتِي تَوَاجُه الشَّبَاب العَرَبِيّ بِجُمْلَةٍ مِنَ النِّقَاط تَنْبع فِي مُعْظَمِهَا مِنَ الفَارِق المَعْرِفِيّ الكَبِير بَيْنَ الشَّرْق وَالغَرْب، وَمِن اخْتِلَاف الأَسَـــالِيب التَّرْبَوِيَة المُتَّبَعَة بَيْنَ هَذَيْنِ العَالَمِينْ، **وَفِيمَا يَلِي تِبْيَانٌ لِأَهَمّ هَذِهِ النِّقَاط:**

- **بُرُوز مُشْـــكِلَة إِعَادَة دَمج الطُّلَّاب المُوفَدِينَ إِلَى الغَرْب بَعْدَ عَوْدَتهمْ لِأَوْطَانهمْ،** فَالحَيَاة لِسنوَاتٍ عَدِيدَة فِي الغَرْب وَفِي ظِلّ خِدْمَات تِكْنُولُوجِيَّة وَوَاقِع بَحْث عِلْمِيّ مُتَطَوِّر لِلغَايَّة مُقَارَنَةً بِالوَاقِع العَرَبِيّ المُتَوَاضِع نِسْـــبِيًّا تَخْلُق لَدَى العَائِد نَوْعًا مِنَ الصِّرَاعِ الدَّاخِلِيّ حَوْلَ جَـــدْوَى البَحْث العِلْمِيّ فِي البِيئَة العَرَبِيَّة المُتَوَاضِعَة، مِنْ حَيْثُ إِمْكَانَاتُ البَحْث العِلْمِيّ.
- **اعْتِمَاد المَنَاهِج العِلْمِيَّة وَخَاصَّة فِي العُلُوم الإِنْسَـــانِيَّة عَـــلَى مَنَاهِجَ مُتَرْجَمَة وَمُقْتَبَسَـــة مِنَ الغَرْب،** وَالَّتِي تَدْرُس ظَوَاهِر اجْتِمَاعِيَّة يُعَانِي مِنْهَا العَالَم الغَرْبِيّ، وَبِالتَّـــالِي يُصْبِح هَمّ الخِرِّيجِينَ العَرَب مِنَ الشَّـــبَاب التَّعَامُلَ مَعَ هَذِهِ الظَّوَاهِر الاجْتِمَاعِيَّة الَّتِي قَدْ لَا يَجِدُون إِسْـــقَاطَات عَرَبِيَّة لَهَـــا، وَبِالتَّالِي قَدْ تَخْلُق هَذِهِ

الحَالَــة فَجْوَة تَعْليمِيَّة وَمَعْرفِيَّة بَيْنَ مَا تَمّ اكْتِسَــابه عِلْميًّا وَبَيْنَ الوَاقع الحَقيقِيّ المُعَاش، فَعَلَى سَبِيل المِثَال قَدْ نَجِد دِرَاسَات اجْتِمَاعِيَّة غَرْبيَّة عَدِيدَة تَهْتَمّ بالأَطْفَال مَجْهُولِي النَّسَــب الَّذِينَ يَتِمّ إِنْجَابهمْ خَارِج العلاقة الزَّوْجِيَّة، بَيْنَمَا هَذِهِ الظَّاهِرَة الاجْتِمَاعِيَّــة تُعَدّ نَادِرَة الحُدوث فِي العَالَم العَــرَبِيّ، وَفِي حَال حُدوثهَا لَا تَرْقَى لِتَشُكِّل ظَاهِرَة تَسْتَحِقّ الدِّرَاسَة.

- **اعْتِــمَاد غَالِبيَّة المَنَاهِج التَّعْلِيمِيَّة فِي الجَامِعَات عَلَى اللُّغَة الإِنْكلِيزِيَّة** مِمَّا يَضَع الطَّالِــب العَرَبِيّ فِي مُفَارَقَة مَعْرفِيَّة بَيْنَ لُغَتــه الأُمّ وَبَيْنَ لُغَة التَّعَلُّم، وَمِمَّا يُعَزِّز النَّظَرِيَّة القَائِلَة بِأَنَّ اللُّغَة العَرَبِيَّة لُغَة أدَب وَلَيْسَتْ لُغَة عِلْم، وَبِالتَّالي يَضَع الشَّبَاب العَــرَبِيَّ فِي مُعْضِلَة أَمَامَ جَدْوَى الانْتِمَاء لِلْهُوِيَّــة الثَّقَافِيَّة العَرَبِيَّة مِنَ النَّاحِيَة العِلْمِيَّة.
- **انْتِشَار المُصْطَلَحَات الإِنكلِيزِيَّة بَيْنَ الشَّبَاب العَرَبِيّ حَتَّى فِي تَعَامُلهم اليَوْمِيّ**، الأَمْر الَّذِي يَقُود لِتَرَاجُع الانْتِمَاء لِلْهُوِيَّة وَلِلْمُجْتَمَع العَرَبِيّ.
- **اتِّبَاع بَعْض الشَّبَاب العَرَبِيّ الرَّأْيَ القَائِل بِأَنَّ العِلْم لِلْعِلْم**، وبِالتَّالي مُحَاوَلَة إِفْرَاغ العِلْم مِنْ أَدْوَاره الاجْتِمَاعِيَّة، وبالتَّــالِي خَلْق بِيئَة عِلْمِيَّة وَاجْتِمَاعِيَّة مُتَعَارِضَتَيْن بِالأَهْدَاف، الأَمْر الَّذِي قَدْ يَخْلُق نِزَاعًا دَاخِلِيًّا لِلشَّبَاب العَرَبِيّ بَيْنَ الانْتِمَاء لِلْهُوِيَّة وَبَيْنَ الجَانِب العِلْمِيّ وَالمَعْرِفِيّ، وَخَاصَّةً الأَكَادِيمِيّ.

المبحث الثَّالِث

الآثار النَّاجِمَة عن تَحَدِّيَات الهُوِيَّة الثَّقافيَّة

إنَّ التَّحَدِّيَات الَّتِي تُوَاجِه الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة لِلشَّبَاب العَرَبِيّ وَالَّتِي أَوْرَدْنَاهَا فِي سِيَاق هَذَا الفَصْل لَا تمُرّ بالتَّأْكِيد مُرُور الكِرَام عَلَى وَاقع الشَّبَاب العَرَبِيّ، فَوَاقع هَؤُلَاءِ الشَّبَاب لَيْسَ بِأفْضَلِ أَحْوَاله، فَالوَاقع الاقْتِصَادِيّ وَالسِّيَاسِيّ وَالأَمْنِيّ يُرْخِي بِظِلَالِه الثَّقِيلَة عَلَيْهُمْ، وَتَأْتِي التَّحَدِّيَات الَّتِي تُوَاجِه الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة الجَمْعِيَّة لِتَزِيد الطِّين بَلَّةً، وَلِتُعَقِّد المَشْهَد العَامّ المُوَاجِه لِلشَّبَاب العَرَبِيّ، وَقَدْ تَدْفَع هَذِهِ التَّحَدِّيَات الشَّبَاب إِلَى سُلُوكِيَاتٍ مُحَدَّدَة قَدْ لَا تُعبِّر بِالضَّرُورَة عَنْ قَنَاعَتهمْ وَاعْتِقَادهمْ بِهَا، وَلَكِنَّهَا تَأْتِي فِي سِيَاقِ رَدَّات الفِعْل تُجَاهَ هَذِهِ التَّحَدِّيَات؛ وَهَذَا التَّوْصِيف ضَرُورِيٌّ لِنَاحِيَة تِبْيَان عَدَم جَدْوَى مُعَالَجَة هَذِهِ السُّلُوكِيَات؛ لِأَنَّهَا نَتِيجَةٌ وَعَرَضٌ لِلتَّحَدِّيَات، بَيْنَمَا المُعَالَجَة الحَقِيقِيَّة تَكْمُن فِي انْتِهَاج أَسَالِيبَ سِيَاسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّة وَمَدَنِيَّة وَنِقَابِيَّة تَهْدِف لِاحْتِوَاء هَذِهِ التَّحَدِّيَات وَمُحَاوَلَة إِفْرَاغهَا مِنْ أَيّ تَهْدِيد تُشَكِّله عَلَى وَاقع الشَّبَاب.

إنَّ دِرَاسَة الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة لِأَيّ شَعْب مِنَ الشُّعُوب لَيْسَتْ قَضِيَّة أَكَادِيمِيّة فَارِغَة مِنْ أَيّ مَضْمُون تَطْبِيقِيّ عَمَلِيّ، وَلَا تُشَكِّلُ تَرَفًا عِلْمِيًّا قَلِيل النَّفْع، وَلَا يُمْكِنُ لِهَذِهِ الدِّرَاسَات أَنْ تَبْقَى حَبِيسَة المَكَاتِب الأَكَادِيمِيّة، بَلْ هِي تُشَكِّل مِنْهَاجًا عَمَلِيًّا وَتَطْبِيقِيًّا، فَالهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة تُشَكِّل المُوَجِّه الأَسَاس لِمُعْظَم التَّصَرُّفَات الَّتِي يَقُوم بِهَا الفَرْد، وَتُشَكِّل مُسْتَنَدًا فِكْرِيًّا وَمُنْطَلَقًا مَعْرِفِيًّا يُؤَسِّسُ لِمَوَاقِف الفَرْد تُجَاهَ مُخْتَلَف القَضَايَا الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يُوَاجِههَا، فَعَلَى سَبِيل المِثَال تَحْكُم الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة مَوْقِف الأَفْرَاد تُجَاهَ قَضَايَا المَرْأَة، فَلَا يُمْكِنُ الدَّعْوَة لِإِصْلَاح حَال المَرْأَة وَاسْتِهْجَان أَيّ سُلُوك يُعَاكِس هَذَا التَّوَجُّه فِي حَالِ كَانَت الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة وَمِنْ خَلْفهَا الذَّاكِرَة الجَمْعِيَّة تَنْظُر لِأَيّ اضْطِهَاد للمرأة عَلَى أَنَّهُ أَمْر طَبِيعِيّ؛ لِذَلِكَ يُمْكِن القَوْل بِأَنَّ أَيّ تَزَعْزُع فِي مَتَانَة وَتَمَاسُك الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة سَيَنْعَكِس حُكْمًا عَلَى مُخْتَلَف جَوَانِب الحَيَاة الاجْتِمَاعِيَّة بِشَكْلٍ غَيْرِ مُبَاشِر، وَهَذَا كُلُّهُ يُؤَكِّد بِأَنَّ دِرَاسَة الآثَار الَّتِي تُخَلِّفهَا تَحَدِّيَات الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة وَبِخَاصَّةٍ لِلشَّبَاب قَضِيَّةٌ

عَلَى جَانِبٍ كَبِيرٍ مِنَ الأَهَمِّيَّة التَّطْبِيقِيَّة وَالنَّظَرِيَّة، وَانْطِلَاقًا مِنْ أَهَمِّيَّة هَذِهِ الدِّرَاسَة سَتُفْرِد هَذَا المَبْحَث لِتَحْدِيد الآثَار المُرْتَبِطَة بِتَحَدِّيَات الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة عَلَى الشَّبَاب العَرَبِيّ.

مَظَاهِر تَأَثُّر الشَّبَاب بِتَحَدِّيَات الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة

تَتَعَدَّد الجَوَانِب الَّتِي تَتَأَثَّر بِتَحَدِّيَات الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة، فَهِي تَمْتَدّ لِتَطَال الجَوَانِب الاجْتِمَاعِيَّة وَالثَّقَافِيَّة وَالسِّيَاسِيَّة وَالاقْتِصَادِيَّة لِلشَّبَاب العَرَبِيّ، **وَفِيمَا يَلِي تِبْيَانٌ لِأَهَمّ مَظَاهِر التَّأَثُّر:**

- **خَيْبَة الآمَال فِي الوُصُول لِلْأَهْدَاف الكُبْرَى وَالعَامَّة:** فَمِنَ المَعْرُوف أَنَّ فِئَة الشَّبَاب هِي الفِئَة الأَكْثَرُ حَمَاسًا لِلْقَضَايَا الاجْتِمَاعِيَّة وَالسِّيَاسِيَّة العَامَّة، فَالقَضَايَا العَرَبِيَّة الكُبْرَى أَكْثَر مَا تَلْقَى تَأْيِيدًا مِنْ فِئَة الشَّبَاب، وَلَكِنَّ عِنْدَ اصْطِدَام حَمَاس هَؤُلَاءِ الشَّبَاب بِفَاعِلِيَّةٍ مُنْخَفِضَة عَلَى أَرْض الوَاقِع سَيَنْقَلِب هَذَا الحَمَاس رُكُونًا وَزُهْدًا، وَسَبَب هَذَا الانْقِلَاب يَكْمَن فِي تَرَاجُع الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة الَّتِي تَدْعُو الشَّبَاب لِلْانْخِرَاط فِي هَذِهِ القَضَايَا، فَعَلَى سَبِيل المِثَال: شَهِدَت فَتْرَة السِّتِّينِيَّاتُ مِنَ القَرْن المَاضِي ذُرْوَة النُّهُوض القَوْمِيّ لَدَى الشَّبَاب العَرَبِيّ وَبِخَاصَّةٍ تُجَاهَ قَضِيَّة فِلَسْطِين وَغَيْرِهَا مِنَ القَضَايَا القَوْمِيَّة، إِلَّا وَأَنَّهُ وَبَعْدَمَا دَبَّ الضَّعْف فِي الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة شَهِدَ هَذَا المَدُّ القَوْمِيّ تَرَاجُعًا مَلْحُوظًا، لَا بَلْ وَبَدَأ هَذَا الاتِّجَاه بِالانْقِلَاب كَدَعْوَات التَّطْبِيع مَعَ إِسْرَائِيل، وَالَّتِي بَدَأَت تَلْقَى رَوَاجًا بَيْنَ الشَّبَاب العَرَبِيّ وَلَوْ مَا زَالَ فِي حُدوده الدُّنْيَا، مَعَ أَنَّهُ وَقَبْلَ عِدَّة قُرُون كَانَ الأَقَلّ مِنْ هَذَا الطَّرْح يُعْتَبَر خِيَانَةً لِلْأُمَّة وَقَضَايَاهَا.
- **العُزْلَة والكَآبَة: وَهِيَ مِنَ الآثَار المُتَرَتِّبَة على شَخْصِيَّة الشَّابّ العَرَبِيّ**، وَخَاصَّةً أَنَّ الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة تُشَكِّل جَامِعًا لِأَفْرَاد الأُمَّة، فَضَعْفُ هَذِهِ الهُوِيَّة سَيَنْعَكِس ضَعْفًا فِي انْتِمَاء الشَّبَاب لِلْأُمَّة، وبالتَّالي ضَعْف الرَّوَابِط بَيْنَ أَفْرَاد الأُمَّة نَتِيجَة انْحِسَار الرَّابِط الجَامِع بَيْنَهُمْ وَهُوَ الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة.

- **تَرَاجُع الأَدَاء الفَعَّال وَالمُنْتج لِلشَّـــبَاب:** فَلَا يُمْكِنُ تَوَقُّع الإِنْتَاج مِنْ ذَوِي الانْتِمَاء الضَّعِيف، فَضَعْفُ الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة سَيَقُود إِلَى ضِعْف الانْتِمَاء وبالتَّالي عَدَم الرَّغْبَة بِالعَمَل وَالإِنْتَاج.
- **ضَعْفُ التَّحْصِيل العِلْمِيّ والثَّقَافِي:** فَكَثِير مِنَ الشَّبَاب العَرَبِيّ يَرْغَب بِالجَامِعَات الدَّوْلِيَّة وَالمَرْمُوقَة دُونَ الاهْتِمَام بِالدِّرَاسَـــة الدَّقِيقَة وَالأَبْحَاث المُجْدِيَة؛ إِذْ يُمْكِن عَزْوُ تَهَافُت الشَّـــبَاب العَرَبِيّ عَلَى تِلْكَ الجَامِعَات لِضَمَان حُصُولِهُمْ عَلَى وَظِيفَةٍ تَضْمَنُ لَهُم العَيْش الكَرِيم، خَاصَّةً أَنَّ سُوق العَمَل يُوَظِّف وَيُعْطِي الأَوَّلوية لِخرِّيجِي تِلْكَ الجَامِعَات.
- **حَلّ الهِجْرَة أَوَّلًا وأخيراً:** وَهُوَ الشِّعَار الَّذِي يَرْفَعهُ كَثِير مِنَ الشَّبَاب العَرَبِيّ؛ فَبَدَلًا من التفكير في المســـاهَمَة في تطوير أوطانهم، دُوَلهمْ أَصْبَحَ شُغْلهُمْ الشَّاغِل هُوَ رُكوب الأَمْوَاج لِبُلُوغ أُورُوبَّا وَأَمْرِيكَا، وَذَلِكَ فِي سَـــبِيل العَيْش الرَّغِيد وَالطُّمُوح اللَّامُتَنَاهِي.
- **انْهِيَار الجَانِب الأَمْنِيّ وَتَصَاعُد الخُرُوقات الإِرْهَابِيَّة:** وهِي مُشْـــكِلَة يُعَانِي مِنْهَا المُجْتَمَع العَرَبِيّ وَالغَرْبِيّ؛ لِذَلِكَ يَجِد الشَّابّ العَرَبِيّ نَفْسَه رَهِينَة الخَوْف اللَّاإِرَادِيّ وَالقَلَق مِنَ المُسْـــتَقْبَل المَجْهُول عَلَى مَصِير أُمَّة كَامِلَة لَا تَزَال تُعَانِي مِنَ الإِرْهَاب النَّفْسِيّ قَبْلَ الإِرْهَاب الأَمْنِيّ، وَهَذَا التَّصَاعُد المضْطَرِد فِي الخَلَل الأَمْنِيّ قَدْ يَكُون مِنْ إِحْدَى أَسْـــبَابه تَشَوُّه الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة تُشَوُّهًا تَامًّا، وَيَأْتِي ضِمْنَ تَوْلِيفَة مُعَقَّدَة مِنَ المُيُول وَالاتِّجَاهَات إذ تَقَع الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة المُشَوَّهَة فِي مَرْكَز العَوَامِل الدَّافِعَة لِهَذَا الخَلَل الأَمْنِيّ.
- **ضَيَاع الهُوِيَّة الثَّقافيَّة والفِكْرِيَّة العَرَبِيَّة:** وَهِي أَخْطَر الآثَار السَّلْبِيَّة الَّتِي تُعَرْقِل حَرَكَة التَّطَوُّر فِي المُجْتَمَع العَرَبِيّ الحَدِيث؛ فَكَثِير مِنَ الشَّبَاب العَرَبِيّ أَصْبَحَ تَائِها بِفِكْره وَهُوِيَّته، خَاصَّةً فِي زَمَن تَصَارَعَت فِيهُ تَيَّارَات العَلْمَانِيَّة مَعَ الدِّينِيَّة؛ مَا أَدَّى فِي الأَخِير إِلَى انْسِـــلَاخ كَثِير مِنَ الشَّـــبَاب عَنْ هَذِهِ الهُوِيَّة العَرَبِيَّة وَانْشَغَل كَثِير مِنْهُمْ بِتَوَافِه الأُمُور.

- **دَوْرُ وَسَائِل الإِعْلَام وتَهْمِيش الشَّبَاب العربي:** فَلَا تُوجَد تَوَجُّهَاتٌ أَدَبِيَّة وَلَا نَدْوَات ثَقَافِيَّة وَلَا بَرَامِجُ تَوْعَوِيَّةٌ عِلْمِيَّة حَتَّى لِتُحَاكِي فِكْر الشَّبَاب العَرَبِيّ وَتَسْأَل عَن احْتِيَاجَاتهم وَتُلَبِّي رَغْبَاتهم؛ بَلْ أَصْبَحَت القَنَوَات تَبْحَث وَتَتَهَافَت لِعَرْض بَرَامِج التَّرْفِيه وَالتَّسْلِيَة لِلشَّبَاب العَرَبِيّ.
- **عَدَمُ احتِضَان مَوَاهِب الشَّبَاب العَرَبِيّ الفِكْرِيَّة والإبداعيَّة:** وَذَلِكَ لِقِلَّة المَرَاكِز التَّأْهِيلِيَّة وَالبَرَامِج البَحْثِيَّة في البُلْدَان العَرَبِيَّة؛ فَلَوْلَا الأُولِمْبِيَاد الدَّوْلِيّ(1) مَا سَمِعْنَا بِأَسْمَاء عَبَاقِرَة الفِيزِيَاء وَالرِّيَاضِيَّات الشَّبَاب، وَلَوْلَا جَائِزَة نُوبَل(2) مَا عَرَفْنَا الأَبْطَال وَالأُدَبَاء العَرَب، وَرَغْم ظُهُور جَوَائِز عَرَبِيَّة تَشْجِيعِيَّة مِنْ قِبَل بَعْض البُلْدَان العَرَبِيَّة إِلَّا أَنَّهَا تَبْقَى خَجُولَة فِي الحَدِيث عَنْ مَوَاهِب الشَّبَاب العَرَبِيّ.

وَلَعَلَّ مِنْ أَبْرَز الآثَار المُتَرَتِّبَة عَلَى الشَّبَاب العَرَبِيّ وَأَخْطَرِهَا، بناءً عَلَى مَا سَبْق، هُوَ ظُهور التَّنْظِيمَات وَالجَمَاعَات المُتَطَرِّفَة، وَالَّتِي وَجَدَت بِيئَة خِصْبَة في عُقُول الشَّبَاب العَاطِلِينَ عَنِ العَمَل، سَرْعَانَ مَا زَرَعَت هَذِهِ التَّنْظِيمَات بُذور التَّطَرُّف وَالإِرْهَاب في نُفُوس جِيل الشَّبَاب، وَلَعَلَّ أَخْطَر هَذِهِ التَّنْظِيمَات هُوَ تَنْظِيم "الدَّوْلَة الإِسْلَامِيَّة في

1. **الأُولِمْبِيَاد الدَّوْلِيّ:** مَجْمُوعَة مِنَ الْمُسَابَقَات السَّنَوِيَّة الَّتِي تُجْرَى عَلَى مُسْتَوَى الْعَالَم فِي مُخْتَلِف مَجَالَات الْعُلُوم، خُصِّصَت الْمُسَابَقَات لِأَفْضَل فَرِيق يَتَأَلَّف مَنْ (4ل6) طُلَّاب مَدَارِس ثَانَوِيَّة مِنْ كُلِّ بَلَد مُشَارِك، بِاسْتِثْنَاء الأُولِمْبَيَاد الْعَالَمِيّ لِلُّغَات الَّذِي يَسْمَح بِفَرِيقَيْن مِنْ كُلّ بَلَد، وَالأُولِمْبَيَاد الْعَالَمِيّ لِلْمَعْلُومَاتِيَّة الَّذِي يَسْمَح بِفَرِيقَيْن مِنَ الْبَلَد الْمُضِيف، أَمَّا أولمبياد (IJSO) فَهُوَ مُخَصَّص لِطُلَّاب الْمَرْحَلَة الإِعْدَادِيَّة، انْطَلَق هَذَا الأُولِمْبَيَاد لِأَوَّل مَرَّةً عَامَ 1959م، وَكَانَ مُقْتَصِرا حِينَهَا عَلَى الرِّيَاضِيَّات. مَوْقِع ويكيبيديا الْمَوْسُوعَة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/JJ957
2. **جَائِزَة نُوبِل:** مَجْمُوعَة مِنْ سِتّ جَوَائِز دَوْلِيَّة سَنَوِيَّة تُمْنَح لِعِدَّة فِئَات مِنْ قِبَل الْمُؤَسَّسَات السُّوِيدِيَّة وَالنَّرْوِيجِيَّة تَقْدِيرًا لِلأَكَادِيمِيِّينَ وَالْمُثَقَّفِينَ أَوْ لِلتَّقَدُّم الْعِلْمِيّ. الأَب الرُّوحِيّ لِجَائِزَة نُوبَل هُوَ الصِّنَاعِيُّ السُّوِيدِيُّ وَمُخْتَرَع الدِّينَامِيت "أَلْفرِيد نُوبل" إِذْ قَامَ السُّوِيدِيُّ نُوبل بِالْمُصَادَقَة عَلَى الْجَائِزَة السَّنَوِيَّة فِي وَصِيَّته الَّتِي وَثَّقَهَا فِي النَّادِي (السُّوِيدِيّ-النَّرْوِيجِيّ) فِي نُوفَمبر 1895م. تَمّ مَنْح الْجَوَائِز فِي الْفِيزِيَاء، وَالْكِيمْيَاء، والأَدَب، والسَّلَام، وَالطِّبّ، وعِلْم وَظَائِف الأَعْضَاء لِأَوَّل مَرَّةً فِي عَام 1901م. مَوْقِع ويكيبيديا الْمَوْسُوعَة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/ptlH1

العِرَاق والشـــام" (داعش)[1] الَّذِي أَصْبَحَ أَبْرَز التَّهْدِيدَات الأَمْنِيَّة الَّتِي تُوَاجِه المِنْطَقَة برُمَّتِهَا، فِي حِينَ يُبْدِي أَقَلّ مِنْ نِصْف الشَّبَاب العَرَبِيّ ثِقَتهُمْ بِقُدْرَة حُكُومَاتهمْ الوَطَنِيَّة عَلَى مُوَاجَهَة هَذَا التَّنْظِيم[2].

إِنَّ الآثَار السَّلْبِيَّة سَالِفَة البَيَان عَلَى كَثْرَتهَا وَتَشَعُّبهَا وَتَرَابُط مُنْطَلَقَاتهَا وَنَتَائِجهَا، لَيْسَتْ ســـوَى غَيْضٍ مِنْ فَيْضٍ، وَقَلِيلٍ مَنْ كَثِيرٍ، وَتَبْقَى المُعْضِلَة الأَكْبَر أَنَّ الشَّبَاب العَرَبِيّ قَدْ مَلّ مِنْ تَدَاوُل المَفَاهِيم النَّظَرِيَّة وَالحُلُول الفَلْسَـــفِيَّة لِمَشَاكِلهمْ مِنْ جِهَة، وَضَجُّوا مِن اسْـــتِعْمَالهمْ كَدِيكُور لتَأْسِيس الفَضَاء السِّيَاسِيّ وَالمُنَاسَبَاتِيّ وَأَضْحَوْا تَوَّاقِيْنَ لِمُجْتَمَعٍ يَعْتَرِف بقُدُرَاتهم وَيَحْتَضِن إِبْدَاعَاتهُمْ، وَدُوَلٍ تَضْمَن تَنْمِيَة مَوَاهِبهمْ وَمُقَوِّمَات العَيْش الكَرِيم لَهُمْ، إِضَافَةً إِلَى المُشَارَكَة البَنَّاءَة فِي تَدْبِير شُؤُون مُجْتَمَعَاتهمْ.

1. **داعش**: تَنْظِيم مُسَلَّح يَتْبَع فِكْر جَمَاعَات السَّلَفِيَّة الْجِهَادِيَّة، وَيَهْدِف أَعْضَاؤُه حَسْبَ اعْتِقَادهمْ إِلَى إِعَادَة "الْخِلَافَة الإِسْـــلَامِيَّة وَتَطْبِيق الشَّرِيعَة"، وَيَتَوَاجَد أَفْرَادهُ وَيَنْتَشِر نُفُوذهُ بِشَـكْل رَئِيسي فِي الْعِرَاق وَسُورِيَا، مَـعَ أَنْبَـاء بِوُجُوده فِي الْمَنَاطِق دُوَل أُخْرَى هِي جَنُوب الْيَمَن وَلِيبْيَا وَسَـيْنَاء وَأَزْوَاد وَالصُّومَال وَشَـمَال شَرْق نَيْجِيرِيَا وَبَاكِسْـتَان، أَضْحَت دَاعِش مَعْرُوفَة بِفِيدِيوهات قَطْع الرُّؤُوس لِلْمَدَنِيِّينَ وَالْعَسْـكَرِيَّيْن عَلَى حَدٍّ سَوَاء، مِنْ ضِمْنهمْ صَحَفِيِّينَ وَعَامِلِينَ فِي الإِغَاثَة، وَبِتَدْمِيرهَا لِلْآثَار وَالْمَوَاقِع الأَثَرِيَّة، وَتُحَمِّل الْأُمَم الْمُتَّحِدَة دَاعِش مَسْؤُولِيَّة انْتِهَاكَات حُقُوق الإِنْسَان وَجَرَائِم حَرْب، كَمَا تَتَّهِم مُنَظَّمَة الْعَفْو الدَّوْلِيَّة التَّنْظِيم بِالتَّطْهِير الْعِرْقِيِّ عَلَى مُسْتَوًى تَارِيخي فِي شَمَالَ الْعِرَاق. مَوْقِع وِيكيبيديا الْمَوْسُوعَة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/3FtHb
2. **"اســتطلاع "أَصْدَاء" لِلرَّأْي**: وَاقِع الشَّـبَاب الْعَرَبِيّ فِي 10نقَاط". مَوْقِع رَصِيف 22، 22 أَبْرِيل 2015م، تَارِيخ الزِّيَارَة 3 أُغُسْطُس 2017م. مُتَاح عَلَى الرَّابِط: http://cutt.us/jG4Sw

المبحث الرَّابع

الهُوِيَّة الثَّقافِيَّة وَأَزْمَة الانْتِماء

الهُويَّة بِتَعْريفِها اللُغَويّ هي حَقيقَة الشَّيء أو الشَّخص المطْلَقَة، المُشْتَمِلَة على صِفَاته الجوهريَّة، والَّتي تمُيِّزُهُ عن غيره، وتُسَمَّى أيضًا وحدة الذَّات(1)، كَمَا تَتَحَدَّد الهُويَّة عِنْدَ "مَانُويل كاستلز"(2) باعْتِبَارِها عَمَلِيَّة بناء المَعْنَى عَلَى أَسَاس سِمَة ثَقَافيَّة مُفْرَدَة أَوْ مَنْظُومَة مِنَ السِّمَات الثَّقَافِيَّة، وَالَّتِي تُعْطِي الأَسْبَقيَّة عَلَى بَاقِي المَصَادر المُنْتِجَة لِلْمَعْنَى، لَكِنَّ مَعَ الهُويَّة العَرَبِيَّة هُنَاكَ تعاريف عَديدَة تَنْشَأ كُلَّ حِينَ وَتَتَغَيَّر مِنْ جيل إِلَى جيل، وَلَطَالَمَا كَانَت أَزْمَة الهُويَّة العَرَبِيَّة وَالانْتِمَاء هِي مَحَطّ أَنْظَار الشُّعُوب وَالمُجْتَمَعَات في المِنْطَقَة؛ فَفِي فَتْرَة مَا قَبْلَ الخمسينيَّات وَالسِّتِّينِيَّات كَانَ التَّعَصُّب القَبَلِيّ هُوَ السَّائِد مِنَ الخَلِيج إِلَى المُحِيط، وَفِي زَمَن السِّتِّينِيَّاتُ تَصَارَعَت الشُّعُوب العَرَبِيَّة فِيمَا بَيْنَهَا عَلَى المَذَاهِب الرَّادِيكَالِيَّة وَالشُّيُوعِيَّة لِبِنَاء القَوْمِيَّة العَرَبِيَّة وَتَشْكِيل الوَحْدَة العَرَبِيَّة الاشْتِرَاكِيَّة؛ أَمَّا فِي فَتْرَة الثَّمَانِينِيَات وَالتِّسْعِينِيَّات فَاتَّجَهَت الأَنْظَار نَحْوَ التَّوَجُّه الأَمْرِيكِيّ وَالتَّحَرُّر الغَرْبِيّ، خَاصَّةً بَعْدَ انْهِيَار الاتِّحَاد السُّوفْيِيتِّيّ، وَمَعَ مَطْلَع الأَلْفِيَّة الثَّانِيَة ظَهَرَت حَرَكَات العَدَاء وَالتَّشَدُّد الإِسْلَامِيّ الدِّينِيّ، خَاصَّةً بَعْدَ أَحْدَاث سِبْتمبر 2001م ثُمَّ الغَزْو الأَمْرِيكِيّ لِلْعِرَاق.

1. بلغيث، سُلْطَان. "تمَظْهُرات أزْمَة الهُويَّة لَدَى الشَّبَاب". جامعة العُلُوم الاجْتِمَاعيَّة والإِنْسَانِيَّة، 13 ديسمبر 2011م، تاريخ 1 مايو 2020م، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/yzhIv
2. **مانويل كاستلز**: سوسيولوجيّ إسْبَانيّ، وُلِد عَامَ 1942م، وهو أستاذُ علْم الاجْتِمَاع ومُخَطِّطٌ حَضَرِيّ وجهَوِيّ منذ 1979م بجامِعَة كاليفورنيا في أمْريكا، بَلْوَرَ رُؤْيَة مُهِمَّة في بُنْيويَّة الأشكالِ الحَضَريَّة، ظَهَر أثرُها البَارِز في مختلَف كِتابَاته العَدِيدَة والتي نَذْكُر منها: "المَسْأَلَة الحَضَريَّة" (1972م)، "النِّضالاتُ الحَضَريَّة والسُّلْطَة السِّيَاسيَّة" (1975م)، "المسأَلَة الحَضَريَّة: المُقَارَبة الماركسيَّة" (1977م)، "كائنُ الاتِّصال: الجُزْء الأَوَّل مُجتَمَع الاتِّصال" (1998م)، الجُزْء الثَّاني "سُلْطَة الهُويَّة " (1999م)، الجُزْء الثَّالث "نهايَة الأَلْفيَّة" (1999م). وفي سَنَة 2001م أصْدَر عَمَلَه القيِّم: في أيِّ عالَم نعيش؟ الشُّغْل، العائلَة والرَّابِطَة الاجتماعيَّة في عَصْر الاتِّصَال بالاشتِرَاك مع مارتن كارنوي وبول شيملا، وفي 2009م كتَبَ سُلْطة الاتِّصال، المَرْكز العَرَبيّ للأبْحَاث ودِرَاسة السِّيَاسَات، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/iVBSA

وَمَــعَ تَصَاعُد وَتِيرَة الإِرْهَاب وَالعُنْف خِلَالَ حِقْبَة مَا بَعْــدَ الرَّبِيع العَرَبِيّ تَزَعْزَعَت الهُوِيَّة العَرَبِيَّة أَكْثَر فَأَكْثَر فِي حُرُوب التَّشَدُّد وَالتَّعَصُّب الدِّينِيَّة، لِتَضْمَحِلّ وَتَتَآكَل فِي نُفُوس وَقُلُوب المُجْتَمَعَات العَرَبِيَّة خَاصَّةً بَيْنَ فِئَة الشَّــبَاب الَّذِي لَا يَزَال يَعِيش هَذِهِ الصِّرَاعَات الطَّائِفِيَّة الحَالِيَّة، مَعَ التَّأْكِيد عَلَى بَقَاء شَرَائِح لَا تَزَال تَسْعَى شَامِخَة لِإِثْبَات الهُوِيَّة العَرَبِيَّة، وَلِلْاعْتِزَاز بِالانْتِمَاء الإِسْــلَامِيّ الصَّحِيح وَالمُعْتَدِل. لِذَلِكَ رَفَع كَثِير مِنَ الدُّعَاة وَالعُلَمَاء العُقَلَاء العَرَب شِعَارَات كَانَت وَلَا زَالَت تُنَادِي بِأَنَّ مَصْلَحَة الوَطَن يَجِب أَنْ تَعْلُو عَلَى المَصَالِح الفِئَوِيَّة. وَلَكِنْ تَبْقَى هَذِهِ الفِئَة المُعْتَدِلَة قَلِيلَةً فِي يَوْمِنَا الحَاضِر الَّذِي يَشْهَد حُرُوبًا طَاحِنَة بَيْنَ اليَمَن الوَاحِد؛ وَبَيْنَ العِرَاق الكَبِير؛ وَدَاخِلَ سُــورِيًّا المُمَزَّقَة، وَفِي ظِلّ هَذِهِ التَّحَدِّيَات الَّتِي تَعْصِف بِالأُمَّة العَرَبِيَّة وَالَّتِي يُوَاجِهُهَا الشَّبَاب العَرَبِيّ فِي سَنَوَات العَوْلَمَة؛ غَدَت مُشْــكِلَة الهُوِيَّة وَالانْتِمَاء مُشْكِلَةً رَئِيسَةً تُعَانِي مِنْ تَبِعَاتِهَا كَثِيرٌ مِنَ المُجْتَمَعَات العَرَبِيَّة خَاصَّةً فِئَة الشَّبَاب المُعَاصِر.

كَمَا أَصْبَحَت مُجْتَمَعَاتنَا تُعَانِي ازْدِوَاجِيَّةً مُتَجَذِّرَة فِي مُخْتَلَف المُسْــتَوَيَات؛ الاقْتِصَادِيَّة وَالاجْتِمَاعِيَّــة وَالإِدَارِيَّة وَالثَّقَافِيَّة، ازْدِوَاجِيَّة تَتَمَثَّل فِي وُجُود قِطَاعَيْنِ أَوْ نَمَطَيْنِ مِنَ الحَيَــاة الفِكْرِيَّة وَالمَادِّيَّة: أَحَدهُمَا عَصْرِيّ مُسْتَنْسَــخ مِنَ النَّمُوذَج الغَرْبِيّ مُرْتَبِطٌ بِهِ ارْتِبَاطَ تَبِعِيَّة، وَثَانِيهُمَا تَقْلِيدِيٌّ (أَصْلِيٌّ أَوْ أَصِيل) وَهُوَ اسْــتِمْرَار النَّمُوذَج التُّرَاثِيّ فِي صُورَتِــه المُتَأَخِّرَة المُتَحَجِّرَة المُتَقَوْقِعَة وَنَجِد القِطَاعَيْنِ مَعًا مُتَوَازِيَيْنِ أَوْ مُتَدَاخِلَيْنِ فِي بَعْض التَّدَاخُل يَتَصَادَمَان وَيَتَنَافَسَان فِي حَيَاتِنَا اليَوْمِيَّة عَلَى صَعِيد وَاقِعِنَا الاقْتِصَادِيّ وَالاجْتِمَاعِيّ وَالسِّيَاسِيّ كَمَا عَلَى صَعِيد وَعْيِنَا وَنَمَط تَفْكِيرِنَا(1).

وَفِي هَذَا السِّــيَاق تَكْمُن الأَزْمَة القِيمِيَّة فِي شُــعُور الفَرْد العَرَبِيّ بِالتَّمَزُّق؛ لِأَنَّهُ أَصْبَحَ يَعِيش فِي عَالَمَيْنِ كِلَاهُمَا غَرِيب عَنْهُ، عَالَم الثَّقَافَة التَّقْلِيدِيَّة الَّتِي لَا تَسْتَطِيع أَنْ تَضْمَن حَاجَاتِه، وَعَالَم الثَّقَافَة الصِّنَاعِيَّة الحَدِيثَة الَّتِي تُشْــعِرهُ فِي كُلّ لَحْظَةٍ بِالنَّقْص؛ لِأَنَّهُ

1. الجَابِــرِيّ،، محمَّــد عَابِد. **إِشْــكالِيَّات الفِكْر العَــرَبِيّ المُعَاصِر**. بيروت: مَرْكَز دِرَاسَــات الوَحْدة العَرَبِيَّة، 1989م، ص 19.

يَسْـــتَهْلك مُنْتَجَاتِهَا دُونَ أَنْ يُسْـــهِم في بِنَائِها(1)، وَلِأَنَّ هُوِيَّة الفَرْد هِي جُزْء مِنْ هُوِيَّة المُجْتَمَـــع، كَمَا أَنَّ المُجْتَمَع هُوَ رَكيزَة الوَطَن في النَّمَاء وَالانْتِمَاء، فَإِنَّ الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة كَانَـــت نَوْعًا مِنَ الكَنْز الاجْتِمَاعِيّ الَّـــذِي تَمْتَلِكهُ الجَمَاعَات المَحَلِّيَّة، وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ هَشّ يَحْتَاج إِلَى الحِمَايَة وَالحِفَاظ عَلَيْهُ بَعْدَ أَنِ اكْتَسَحَت العَوْلَمَة العَالَم مِثْل الفَيَضَان.

لِذَلِكَ نُلَاحِظ فِي عَصْر العَوْلَمَة أَنَّ ثَقَافَة الشَّبَاب وَهُوِيَّتهمْ فِي الانْتِمَاء أَصْبَحَتْ سِمَةً رَئِيسَةً يَعْكِسهَا المُجْتَمَع، وَتَظْهَر جَلِيَّة فِي سُـــلُوكِيَاتهمْ وَاتِّجَاهَاتهمْ وَقِيَمهمْ وَعُلُومهُمْ وَأَنْمَاط مَلَابِسهمْ وَحَتَّى فِي طَرِيقَة سَلَامهمْ وَكَلَامهمْ؛ لِذَا نَجِد أَنَّ الانْغِمَاسَ بِالهُوِيَّة مِنْ قِبَل البَعْض مِنَ الشَّبَاب العَرَبِيّ أَصْبَحَ زَائِفًا وَمُتَنَاقِضًا فِي كَثِير مِنَ الأَحيان خَاصَّةً تِجَاه أُولَئِكَ الشَّـــبَاب الَّذِينَ أَصْبَحُوا يَتَبَاهَوْن وَيَتَفَاخَرُون بِثَقَافَة مُجْتَمَع "الغَيْر" عَلَى مُجْتَمَعَاتهمْ، خَاصَّةً فِي المَأْكَل وَالمَلْبَس وَالمَسْكَن وَالمَارْكَات العَالَمِيَّة الَّتِي يَحْمِلُونهَا فِي حِلِّهمْ وتِرْحَالِهم دُونَ النَّظَر إِلَى ثَقَافَتهمْ الَّتِي أَصْبَحُوا يَخْجَلُون مِنْهَا أَمَامَ الآخر، لَا بَلْ أَصْبَحُوا يَنْتَقِدُونهَا؛ وَمِمَّا لَا شَكّ بِهِ أَنَّ هَذَا هُوَ أَحَد أَهَمّ أَهْدَاف العَوْلَمَة بِمَنْظُومَاتهَا المُخْتَلِفَة الَّتِي تَرْمِي عَلَى المَدَى البَعِيد إِلَى تَشْكِيل سُلُوك الإِنْسَان وَتَغْيِير عَادَاته وَقَوْلَبَة أَفْكَاره؛ لِيَنْسَجِم مَعَ ثَقَافَة "الغَيْر" بِمَا يَخْدِم مَصَالِح الآخَر الحَضَارِيّ، وَيَجْعَل الشَّبَاب العَرَبِيّ يَنْسَلِخ مِنْ قِيَمه وَعَادَاته فِي سَبِيل الانْتِمَاء لِهُوِيَّة مُغَايِرَة لَهُوِّيَّته العَرَبِيَّة.

يَقُـــول المُفَكِّر والبَاحِـــثُ "أنطونيوس كَرَم"(2): "إِنَّ الثَّقَافَـــة العَرَبِيَّة تُعَانِي مِنْ أَزْمَة قِيمِيَّـــة؛ فَالقِيَم العَرَبِيَّة عَلَى حَدّ تَعْبِيره هِي مَزِيجٌ غَرِيب مِنْ قِيَم الحَضَارَة الزِّرَاعِيَّة القَدِيمَة، وَقِيَـــم البَدَاوَة المُتَأَصِّلَة، وَقِيَم عُصُور الانْحِطَاط، وَقِيَم الاسْـــتِهْلَاك الَّتِي

1. أَبْيض، مَلَكة. **الثَّقَافَة وقِيَم الشَّـبَاب: دِرَاسَــات مَيْدَانيَّة**. دِمَشْق، وِزَارَة الثَّقَافَة والإِرْشَاد القَوْمِيّ، 1984م، ص220.
2. **أنطونيوس كَرَم:** وُلِدَ في لُبْنَان، وَنَال دَرَجَة الدُّكْتُوراه في الاقْتِصَاد عَامَ 1974م مِنْ جَامِعَة تامبل بولاية بِنْسـلفانيَا في الولايَــات المُتَّحِــدَة الأَمْرِيكِيَّة، وَعَمِلَ في التَّدْرِيس في جامِعَــة تامبل في الولايات المُتَّحِدَة الأَمْرِيكِيَّة عَامَ 1974-1972م ثُمَّ في جَامِعَة جاكسنفيل الأَمْرِيكِيَّة عَامَ 1975-1974م، مَوْقِع أَبْجَد، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/1ZKg0

يَصَدِّرهَـــا الغَرْب لِكُلّ الأَبْوَاب المُشْرَعَة"[1]، لِذَلِكَ تَجِد الأفْكَار السَّـــابِقَة صَدَاها عِنْد المُفَكِّر العَرَبِيّ "أحرشـــاو الغَالِي"[2]، وَهُوَ مِنَ المُهْتَمِّينَ بِالمَسْـــأَلَة الثَّقَافِيَّة فِي الوَطَن العَرَبِيّ؛ إِذْ يَعْتَقِد أَنَّ الثَّقَافَة العَرَبِيَّة ثَقَافَةٌ تَتَأَرْجَح فِيهَا قِيمُ الماضي وَالمُسْـــتَقْبَل وَقِيَمُ الأَصَالَـــة وَالمُعَاصَرَة وَقِيمُ الثَّوَابِت وَالمُتَغَيِّرَات، وَهِي فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّه ثَقَافَةٌ مُسَـــالِمَة لَا تُحِبّ المُغَامَرَة، عَاجِزَة عَـــنِ الإِبْدَاع وَالابْتِكَار، حَيْثُ تُعَانِي مِنْ وَضْعِيَّة مَهْزُومَة وَهِي فِي حَالَةِ انْحِطَاط وَانْحِدَار[3].

وَفِي ظِلّ هَذَا التباهي الكَبِير بِالحَضَارَة الغَرْبِيَّة أَصْبَحَ مُعْتَادًا لَدَى الشَّبَاب العَرَبِيّ أَنْ يَضَع عَلَم دَوْلَة أَجْنَبِيَّة عَلَى سَـــيَّارَته؛ أَوْ يَتَبَاهَى بِصُورَة شَخْصِيَّة مَشْهُورَة لِتِلْكَ الدَّوْلَة عَلَى قَمِيصه، أَوْ حَتَّى يَتَفَاخَر بِجِنْسِـــيَّته الأَجْنَبِيَّة وَالَّتِـــي تُجَرِّده مِنْ هُوِيَّته العَرَبِيَّة، لَكِنَّ العَجِيب فِي الأَمْر هُنَا أَنَّ مَا تَسْـــتَخْدِمهُ هَذِهِ الفِئَة مِنَ الشَّبَاب مِنْ تَبَاهٍ وَتَفَاخُر وَإِعْلَاءٍ لِثَقَافَة "الغَيْر" يَكُون لِدُوَلٍ تَرْفَض هُوِيَّتَنَا جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، وَتُحَقِّر مِنْ شَـــأْنِنَا حَتَّـــى فِي الأَفْلَام، وَتُعَادِي مَصَالِحَنَا القَوْمِيَّة عَلَى المُسْـــتَوَى العَالَمِيّ، كَمَا انْحَسَرَت لَدَى كَثِير مِنَ الشَّبَاب المُسْتَغْرِب قِيمَة حُبّ الوَطَن وَالتَّضْحِيَة فِي سَبِيله؛ لِذَلِكَ نَجَحَت العَوْلَمَة الثَّقَافِيَّة فِي تَغْيِير نَظْرَة بَعْضٍ مِنَ الشَّـــبَاب العَرَبِيّ إِلَى مُجْتَمَعِهِ الَّذِي يُعَايِشُه فِي الجَسَـــد إِلَّا أَنَّ رُوحَهُ بَقِيَتْ مُحلِّقَةً بِتِلْكَ الحَضَارَة وَالثَّقَافَة، الَّذِي فِي وُصُولِهَا هُوَ مُسْتَعِدّ لِلتَّضْحِيَة بِالنَّفِيس وَالغَالِي.

1. كَـرَم، أنطونيوس. **العَرَب أَمَام تَحَدِّيَات التِّكْنُولُوجيا**. الكُوَيْت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العَدَد 59، نُوفَمبر، 1982م، ص164.
2. **الغَالِي أحرشاو:** بَاحِثٌ متخصِّص فِي عِلْم النَّفْس، وُلِدَ عام 1953م بِمَدِينَة فَاس بالمَغْرِب، وشَغَل مَنْصِب أُسْـتَاذ بَاحِث بِكُلِّيَّة الآدَاب والعُلُوم الإنسـانِيَّة، وعُضْو فِي الهَيْئَة الاستِشَـارِيَّة لِعَدَد مِنَ المَجَلَّات العَرَبِيَّة المتخصِّصَة فِي العُلُوم النَّفْسـيَّة والتَّربويَّة، مَكْتَبَـة مَهَارَات النَّجَاح، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/cheUD
3. أحرشاو، الغَالِي. **"مَظَاهِر الثَّقَافَة العَرَبِيَّة وشُرُوط تَحْدِيثها"**. شُؤُون عَرَبِيَّة، عَدَد78، حُزَيْرَان، 1994م، ص95-78.

وَرَغْــم افْتِقَار الهُوِيَّــة الثَّقَافِيَّة وَأَزْمَة الانْتِمَاء الَّذِي يُعَانِي مِنْهَا بَعْض مِنَ الشَّــبَاب العَرَبِيّ؛ يُصَوِّر عِلْم الاجْتِمَاع التَّرْبَوِيّ جُذُور الانْتِمَاء وَالهُوِيَّة إِلَى أَسَاسَيْنِ مُتَكَامِلِينَ هُمَا: العَامِل الثَّقَافِيُّ الذَّاتِيّ الَّذِي يَأْخُذ صُورَة الوَلَاء لِجَمَاعَة مُعَيَّنَة أَوْ عَقِيدَة مُحَدَّدَة، ثُمَّ العَامِل المَوْضُوعِيُّ الَّذِي يَتَمَثَّل فِي مُعْطَيَات الوَاقِع الاجْتِمَاعِيّ الَّذِي يُحِيط بِالفَرْد، أَي الانْتِمَاء الفِعْلِيّ لِلْفَرْد أَوِ الجَمَاعَة(1).

أَسْبَابُ تَرَاجُع الانْتِمَاء لَدَى الشَّبَاب العَرَبِيّ

يَرْتَبِط تَرَاجُع انْتِمَاء الشَّبَاب العَرَبِيّ لِأُمَّته وَتَرَاجُع وَلَاءه لِقَضَايَا مُجْتَمَعه بِشَكْلٍ مُبَاشِر إِلَى ضَعْف الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة، كَمَا يُمْكِن عَزْوُ هَذَا التَّرَاجُع إِلَى بَعْض الأَسْــبَاب الأُخْرَى، وَالَّتِي تُؤَثِّر سَــلْبًا عَلَى الانْتِمَاء بِشَكْلٍ غَيْرِ مُبَاشِر، وَ**سَنُبَيِّن هَذِهِ الأَسْبَاب غَيْر المُبَاشِرَة فِيمَا يَلِي:**

- **عَدَم الاسْتِقْرَار الأَمْنِيّ فِي كَثِير مِنَ البُلْدَان العَرَبِيَّة** الغَارِقَة بِالدِّمَاء وَالمُتَصَارِعَة فَوْقَ الأَشْلَاء، يَدْفَع بِشَــبَاب تِلْكَ الدُّوَل إِلَى إِيمَانهمْ بِأَنَّ حُقوقهُمْ أُسْكِتَت تَحْتَ أَفْوَاه النَّار وَالبَارُود.
- **ضَيَاع الحَضَارَة وَغِيَاب الثَّقَافَة** يُؤَكِّد نَظْرَة كَثِير مِنَ الشَّبَاب العَرَبِيّ أَنَّ هُوِيَّتَهُمْ مُهَدَّدَة بِالانْقِرَاض، خَاصَّةً وَهُمْ يَتَكَلَّمُون غَيْرَ لُغَتهم الأُمّ فِي الجَامِعَات وَالشَّرِكَات.
- **خَلَل فِي التَّرْبِيَة الوَطَنِيَّة مُنْذُ النَّشْأَة**، وَالَّتِي يَجِد فِيهَا أَبْنَاؤُهَا أَنَّهُمْ مُجَرَّدُونَ مِنْ أَيِّ جِنْسِيَّة بِاسْتِثْنَاء "القَبَلِيَّة وَالطَّائِفِيَّة وَالعِرْقِيَّة".
- **عَدَم التَّطَوُّر وَالتَّفَاعُل مَعَ المُعْطَيَات الاجْتِمَاعِيَّة وَالسِّيَاسِيَّة وَالثَّقَافِيَّة وَالفِكْرِيَّة فِي المَدَارِس وَالجَامِعَات**، مِمَّا عَزَّز بِاتِّسَــاع تِلْكَ الفَجْوَة بَيْنَ الشَّــبَاب وَقَلَّل مِن اعْتِزَازهِمْ بِهُوِيَّتهمْ وانْتِمَائهم.

1. وطفة، عَلِي أَسْعَد. "**إِشْكَالِيَّة الهُوِيَّة وَالانْتِمَاء فِي المُجْتَمَعَات العَرَبِيَّة المُعَاصِرَة**". مَجَلَّة نَقْد وتَنْوِير، 2 يناير 2015م، تاريخ الزيارة 3 أغسطس 2017م، مُتَاح على الرَّابِط: http://cutt.us/4jUt0

- **فَقْر المَرْجِعيات الثَّقَافِيَّة** وَعَدَم قُدْرَتها عَلَى تَبَنِّي طَاقَات تُوَظِّف المَفَاهِيم الإِيجَابِيَّة لِارْتِبَاط الشَّــبَاب بِهُوِيَّتهم القَوْمِيَّة الَّتِي هِي لَا تُكْتَسَب بَلْ هِي جُزْء مِن التَّكْوين النَّفْسيّ وَالاجْتِمَاعِيّ وَالثَّقَافِيّ عِنْدَ الشَّبَاب.
- **عَدَم تَوْظِيف البَرَامِج التَرْفِيهِيَّة وَالتَّثْقِيفِيَّة وَالتَّعْلِيمِيَّة فِي سَبِيل القَضَاء عَلَى الفَرَاغِ النَّفْسِيّ لَدَى الشَّــبَاب** الَّذِي يَضِيع تِلْقَائِيًا ضِمْنَ مُؤَثِّرَات الغَرْب فِي زَمَن العَوْلَمَة السِّيكُولُوجِيّ.
- **عَدَم تَحْفِيز دِفَاعَات وَعَوَامِل الانْتِمَاء القِيمِيّ وَالدِّينِيّ لِجِيل الشَّــبَاب العَرَبِيّ** الَّذِي يُعَانِي مِنْ أَزْمَة الهُوِيَّة وَالانْتِمَاء فِي صِرَاعٍ دَاخِلِيّ يَعِيشهُ نَفْسِيًّا وَجَسَدِيًّا.

نَتَائِجُ تَرَاجُع انْتِمَاء الشَّبَاب العَرَبِيّ لِأُمَّتِه

إِنَّ انْخِفَاض مُسْتَوَى وَلَاء الشَّبَاب العَرَبِيّ لِأُمَّته وَقَضَايَا مُجْتَمَعه خَلَّفَ وَرَاءَهُ جُمْلَةً مِن النَّتَائِج السَّلْبِيَّة عَلَى مُسْتَوَى الأُمَّة كَكُلٍّ، **وَفِيمَا يَلِي سَنُبَيِّن أَهَمّ هَذِه الآثَار:**

- **تَصَاعُد وَتِيرَة التَّطَرُّف مَعَ صُعُود التَّيَّارَات المُتَشَــدِّدَة** خَاصَّةً فِي تِلْكَ المُجْتَمَعَات المُغْلَقَة وَالمُتَشَــدِّدَة فِي أَفْكَارهَا وَاعْتِقَادَاتها، وَلَا نَنْسَى أَنَّ النَّازِيِّينَ[1] احْتَلُّوا قَارَّة أُورُوبَّــا خِلَالَ فَتْرَة قَصِيرَة؛ لِاعْتِقَادهمْ وَإِيمَانهمْ بِتَفَــوُّق العِرْق الآرِيّ وَتَمَيُّزه عَنْ شُــعُوب العَالَم أَجْمَع، وَهَذَا التَّطَرُّف يُعْتَبَر مِن العَوَامِل المُزْدَوجَة فَهُوَ يُشَكِّل سَــبَبًا لِتَرَاجُع الانْتِمَاء، وَفِي نَفْسُ الوَقْت يُشَكِّل نَتِيجَةً لِهَذَا التَّرَاجُع، وَهَذَا يُفْضِي

1. **النَّازِيَّــة**: حركة سِيَاســيَّة تَأَسَّسَــتْ في أَلمانيا بعد الحــرب الْعَالَمِيَّة الأولى، حيث تَمَكَّــنَ المُنْتَمُونَ للحزب القَوْمِيّ الاشْــتِرَاكِيّ الْعُمَّالِيّ الأَلْمَانِيّ تحت زعامة أدولف هتلر من الْهَيْمَنَة عام 1933م على السُّــلْطَة في ألمانيا وإنشــاء ما سُــمِّيَ بدولة الزَّعِيم والمملكة الثالثة، وَهَدَفَتْ هذه الحركة في الحرب الْعَالَمِيَّة الثانية إلى احتــلال أوروبــا، فبدءًا من عام 1939م ومع بداية الحرب الْعَالَمِيَّة الثانية احْتَلَّتْ ألمانيا دُوَلًا عديدة كبولندا وفرنسا ولوكسمبورغ وهولندا وبلجيكا وأجزاء واسعة من الاتِّحَاد السُّوفْيِيتِّيّ، وانتهت هذه الحركة في عــام 1945م بهزيمــة ألمانيا في الحــرب، ويُقَدَّرُ عدد ضحايا النَّازِيَّة بما يزيد عن 20 مليون ضَحِيَّة، وفي الوقت الْحَالِيّ يعتبر مُجَرَّد الدِّعَايَة لهذه الأفكار أو تنظيم الشِّعَارَات واستخدامها في ألمانيا والنِّمْسَا وبعض الدُّوَل الأخرى مَمْنُوعًا قَانُونِيًّا وَتَتَرَتَّبُ عليه عُقُوبَاتٌ قَضَائِيَّة، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموســوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/xO0ry

لِاسْتِنْتَاج مُهمّ، وَهُوَ أَنَّ أَيّ إِسْتِرَاتِيجِيَّة تَهْدِف إِلَى مُعَالَجَة الوَاقع الأَمْنِيّ المُتَرَدِّي يَجب أَنْ تَأْخُذ بِعَيْنَ الاعْتِبَار تَرَاجُع الانْتِمَاء، وَمِنْ خَلْف هَذَا التَّرَاجُع ضَعْف الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة لَدَى الشَّبَاب العَرَبِيّ وَتَشَوُّه هَذِهِ الهُوِيَّة.

- **عَدَم التَّسَــامُح وَالتَّآخي بَيْنَ الشَّعْب الوَاحِد** وَهِي مُشْكِلَة تُسَاهِم فِي إِشْعَال نَار الفِتْنَة بَيْنَ مَذَاهِب الدِّين الوَاحِد، وبالتَّالي تُسَاهِم في تَدْمِير كُلِّ القِيَم الإِنْسَانِيَّة المُشْتَرَكَة بَيْنَ البَشَر لِلتَّعَايُش وَالتَّسَامُح بِسَلَام.
- **تَغَيُّرُ كَبير في قِيَم الشَّبَاب العَرَبِيّ جرَّاء التعاطي مَعَ آلِيَّات العَوْلَمَة وَتِقْنِيَّاتها**، وَقَدْ تَجَلَّى ذَلِكَ فِي سُلُوكِيَات الشَّبَاب العَرَبِيّ وَمَظْهَرهمْ.
- **ظُهور هُوِيَّة وَهْمِيَّة تمَاشَى مَعَهَا بَعْضُ من الشَّبَاب العَرَبِيّ**، وَذَلِكَ بِقِيَم مَوْرُوثَة دَخِيلَة وَزَائِفَة، كَوْنها غَيْر مُكْتَسَــبَة بَلْ مُسْتَوْرَدَة، مِمَّا أَدَّى إِلَى نُشُوء خَلَلٍ وَتَصَارُع فِي العَادَات وَالتَّقَالِيد الفِكْرِيَّة وَالاجْتِمَاعِيَّة فِي المُجْتَمَع الوَاحِد.

وَهَكَذَا نَجد أَنَّ الشَّبَاب العَرَبِيّ يَعِيشُ رَغْمًا عَنْهُ وَاقِعًا لَا مَفَرّ مِنْهُ؛ إِذْ تُشِير بَعْض التّقَارِير إِلَى أَنَّ الشَّــبَاب بَيْنَ (24-15) سَــنَةً فِي المِنْطَقَة العَرَبِيَّة يَقَعُون تَحْتَ ضَغْط الإِحْبَاط وَالتَّوَقُّعَات الَّتِي تُحْدِثهَا بِشَــكْلٍ جُزْئِيّ مُؤَثِّرَات الإِعْلَام وَالتِّكْنُولُوجِيَا والدِّيناميكِيَّات التَّحَوُّلِيَّة فِي البِنَى الأُسَرِيَّة، بِالإِضَافَة إِلَى الصِّرَاعَات السِّيَاسِــيَّة وَالأَزْمَات المُسْتَمِرَّة الَّتِي تَعِيشُــهَا مُعْظَم بُلْدَان المِنْطَقَة، فَهَؤُلَاءِ الشَّــبَاب فِي ظِلّ ظُروف الانْسِدَاد الَّتِي يَشْــهَدهَا الوَاقع العَرَبِيّ يَعِيشُــون حَالَةً مِنْ عَدَم الاسْتِقْرَار النَّفْسِيّ، وَكَأَنَّهُمْ عَالِقُونَ بَيْنَ عَالَمَيْنِ أَحَدهُمَا وَاقِعِــيّ مُؤْلِم لَا يُرْضِيهِمْ وَلَا يُلَبِّي تَطَلُّعَاتهُمْ، وَالآخر افْتِرَاضِيّ حَالِم يَتَشَرَّبُونه عَبْرَ آلِيَّات العَوْلَمَة المُخْتَلِفَة، فَضَائِيَّات، إنترنت، جَوَّال.. إلخ. وَمِنْ ثَمَّ يُمَارِس الشَّبَاب هِجْرَة مُزْدَوَجَة: إِحْدَاهمَا دَاخِلِيَّة، وَأُخْرَى خَارِجِيَّة؛ بَحْثًا عَنْ مُسْتَقْبَلٍ آمِنٍ يُرِيدُون صُنْعهُ بِأَيْدِيهمْ لَا أَنْ يُصْنَع لهم، أَوْ يُفْرَض عَلَيْهِمْ فَرْضًا[1].

---

1. الأُمَم المُتَّحِدَة، تَقْرِيرُ اللَّجْنة الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة لِغَرْبِيّ آسـيا (الأسـكوا) حَوْلَ دَوْر التربيَّة والتَّنْمِيَة الاجْتِمَاعِيَّة والاقْتِصَادِيَّة في مُوَاجَهَة التَّحَدِّيَات وفي تَطْوِير قُدُرات الجِيل الْعَرَبِيّ الشَّاب، اجْتِمَاع الخُبَرَاء 2010م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/2bqYT

وَالمُشْـــكِلَة الكُبْرَى، أَنَّـــهُ بالتَّوَازي مَعَ أَزْمَات الهُوِيَّة وَالاغْتِرَاب سَـــالِفَة البَيَان، فَإِنَّ المَسْـــؤُولِينَ فِي دُوَل العَالَم العَرَبيّ يُكَرِّسُون لِتَهْمِيش الشَّبَاب وَإِبْعَادِهِمْ عَن الصُّورَة الكُلِّيَّة، وَبَدَلًا مِن اعْتِبَار الشَّـــبَاب أَهَمّ اسْتِثْمَار لِلْمُسْتَقْبَل، وَرَأْس المَال الحَقِيقِيّ لِلْأُمَّة نَجِد أَنَّ الأَفْكَار التَّنْمَوِيَّة الَّتِي تُطْرَح فِي العَالَم العَرَبيّ وَالإِسْـــلَامِيّ تَسْتَثْنِي الشَّبَاب وَتُعَامِلهُـــمْ كَحِمْلٍ زَائِدٍ عَـــلَى المُجْتَمَع، وَبِالطَّبْع لَا يَنْتُج عَنْ هَذَا إِلَّا مَزِيدٌ مِن الظَّوَاهِر السَّـــلْبِيَّة، وَمَزِيدٌ مِن التَّخَلُّف وَالجَهْل الَّذِي أَصْبَحَ السِّمَة الأَسَاسِيَّة لِمُجْتَمَعَات العَالَم العَرَبِيّ وَالإِسْلَامِيّ، بَلْ إِنَّ التَّهْمِيش فِي عَالَمِنَا العَرَبِيّ وَالإِسْلَامِيّ يُمَارَس بِشَكْلٍ مُنَظَّم ومُمَنْهَج، وكَأَنَّ المَقْصُود مِنْهُ تَدْمِير مُسْـــتَقْبَلِ هَذِهِ الأُمَّة بِتَدْمِير شَـــبَابِهَا، وَهُوَ مَا نَرَاهُ وَاقِعًا مِنْ مُشْـــكِلَاتٍ تُحِيط بِمُجْتَمَعِنَا مِنْ كَافَّة الاتِّجَاهَات، وَالَّتِي تُؤَدِّي يَوْمًا بَعْدَ يَوْم إِلَى مَزِيدٍ مِنْ ضَيَاع هَذِهِ الأُمَّة، لِذَلِكَ لا بُدَّ مِنْ إِعَادَة النَّظَر فِي تَقْيِيم دَوْر الشَّـــبَاب، مِنْ قَاعِدَةٍ مَنْطِقِيَّة مُفَادهَا أَنَّ الشَّـــبَاب هُمْ نِصْف الحَاضِر وَكُلُّ المُسْتَقْبَل، وَأَنَّ تمَكِين الشَّبَاب سَيَكُون لَهُ بَالِغ الأَثَر الإِيجَابِيّ عَلَى حَيَاة وَمُسْتَقْبَل الأُمَّة كُلِّهَا.

وَختَامًا لِهَذَا الفَصْل لَا بُدَّ مِن التَّأْكِيد عَلَى أَنَّهُ لَا سَـــبِيل لِتَمْكِين الشَّـــبَاب العَرَبيّ فِي ظِلِّ هُوِيَّةٍ ثَقَافِيَّة مُتَرَدِّيَةٌ وَمُشَوَّهَة؛ لِذَلِكَ لَا بُدَّ مِنْ إِيلاء هَذِهِ الهُوِيَّة الأَهَمِّيَّة الكَافِيَة، فَالهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة هِي الوَاجِهَة الحَضَارِيَّة وَالتَّارِيخِيَّة لِأَيِّ شَـــعْب، وَأَيُّ تَشَوُّه يُصِيبهَا سَـــيَنْعَكِس أَثَرهُ عَلَى حَاضِر الشَّعْب وَمُسْـــتَقْبَلِه، وَسَيَقُودهُ حُكْمًا -وَلا سِيَّمَا شَبَابهُ- إِلَى التِّيه الثَّقَافِيِّ، وَهَذَا التِّيهُ لَا يَجُوز أَنْ يُتَوَقَّع مِنْهُ أَنْ يَبْنِيَ حَضَارَةً وَيُنْشِئُ دَوْلَة، بَلْ عَوْدَةٌ بِالأُمَّة العَرَبِيَّة لِمَرْحَلَة التَّشَرْذُم وَالجَاهِلِيَّة الفِكْرِيَّة؛ وَالشَّبَاب العَرَبيّ فِي ظِلِّ طَاقَاتهُ الكَبِيرَة يَسْـــتَحِقّ هُوِيَّةً ثَقَافِيَّة تَتَنَاسَـــب وَإِمْكَانِيَاته وَالهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة العَرَبِيَّة، وَالَّتِي تَشَـــكَّلَت خِلَالَ عُقُود وعُصُور سَابِقَةٍ تُشَكِّل الحَاضِن الحَقِيقِيَّ لِهَؤُلَاءِ الشَّبَاب، بِمَعْنَى أَنَّ الهُوِيَّة الثَّقَافِيَّة العَرَبِيَّة والشَّـــبَاب العَرَبِيّ يُشَكِّلَان عُنْصُرَيْن مُتَكامِلَيْن يُمْكِن لِهُمَا فِي حَال اجْتِمَاعهمَا أَنْ يُؤَسِّسَا لِنَهْضَةٍ عَرَبِيَّة شَامِلَة، مِنْ خِلَالَ تَعْزِيز الانْتِمَاء وَإِحْيَاء الوَلَاء لِقَضَايَا الأُمَّة وَالالتِفَات لِمَصِيرِهَا.

الفَصْل السَّادِس

صِرَاع الأَجْيَال

- **مُقَدِّمَة**
- **المَبْحَث الأَوَّل: مَفْهُوم صِرَاع الأَجْيَال**
    - مَفْهُوم صِرَاع الأَجْيَال لُغَوِيًّا واصْطِلاحِيًّا
    - صِرَاع الأَجْيَال في علم النفس
- **المَبْحَث الثَّاني: أَسْبَاب الصِّرَاع بين الأجيال**
    - الأَسْبَاب الثَّقَافِيَّة
    - الأَسْبَاب الاجْتِمَاعِيّة
    - الأَسْبَاب الاقْتِصَادِيَّة
    - الأَسْبَاب السِّيَاسِيَّة
    - الأَسْبَاب الفِكرِيَّة / الآيْدِيُولُوجِيَّة
    - أَسْبَاب عَامَّة
- **المَبْحَث الثَّالِث: أَشْكَال صِرَاع الأَجْيَال ومَظَاهِره**

الفصل السَّادِس

صِرَاع الْأَجْيَال

مُقَدِّمَة

يُعْتَبَر مَفْهُوم صِرَاع الْأَجْيَال مِنَ المَفَاهِيم القديمة المُتَجَدِّدة، فهَذَا الصِّرَاع مَوْجُودٌ وُجُودَ الإنسان، فهي قَضِيَّةُ كُلّ جيل، وهاجِسُ كُلّ وقت، فقَلَّمَا تخلو أُسْرَة ما أو بيئَة اجْتِمَاعِيَّة مِن آثار وتَبِعَات هَذَا الصِّرَاع؛ وهو أَمْرٌ مُبَرَّر ومَفْهُوم، فمِنَ الطَّبِيعِيّ أنْ تَخْتلف الْأَجْيَال المُتَعاقِبَة في نَظْرَتِها للحَيَاة وقضاياها، ولَعَلّ الشَّاذَّ أَنْ تَتَّفق هَذِهِ الْأَجْيَال حِيالَ كُلِّ قَضَايَا الحَيَاة، ففِي حَالِ تَوَافُقِهما تَوَافُقًا تامًّا تُجَاهَ كُلّ شَيْء فهَذَا مُؤَشِّر خطير عَلَى أَنَّ الجِيل الجديد لم تُغَيِّرْه مُتَغَيِّرَات العَصْر ولم تُبَدِّلْه مُسْتَحْدَثات الأُمُور، فهو خَارِجَ عَجَلة التَّطَوُّر الاجْتِمَاعِيّ، وهو رُوحٌ قديمة في جَسَد جديد، ومَنْ كان خارِجَ المَسَار التَّطوُّرِيّ لن يُتَوقَّع منه حَمْل لواء التَّطْوير ففَاقِد الشَّيْء لا يُعطِيه.

ومُصْطَلَح الصِّرَاع بِوَقْعِه القَوِيّ قد يُعطي إيحاءً بِأَنَّ هَذَا المَفْهُوم يَقُوم على السَّلْبِيَّة فقط، ووِجْهَة النَّظَر هَذِهِ خاطِئَةٌ بالمُطْلَق، فصِرَاع الْأَجْيَال كأيِّ صِرَاعٍ آخَر يحتاج إلى إدَارَة، ففي حَال حَسُنَت إدارته سَنَكُون قد تَخَلَّيْنَا عن سَلْبياته وضَمِنَّا إيجابِيَّاته، أَمَّا في حَال سَاءَت إدَارَتُه فسوف نَكُون أَمَام مَفْهُومٍ سَلْبِيّ بالكامِل، إنَّ تَوالُد الأفكار وخروجها مِن رَحِم الإبْدَاع إلى حَيِّز التَّبَنِّي لا يُمْكن أَنْ يَتِمّ بِيُسْر وسُهُولة، فالأفكار الجديدة وسُبُل الحَيَاة المُسْتَحْدَثة شَأْنها شَأْن الوُلادَة، تَمُرُّ بمَخَاضٍ قد يَكُونُ يسيرًا أو عسيرًا، وهَذَا حَال الحَيَاة بالكامِل، فرَغْبَةُ أيِّ جيلٍ جديد بإدخال أَنْمَاطٍ مُسْتَحْدَثة مِنَ التَّفْكير والتَّعَامُل قد يَلْقَى مُعارَضَةً مع سَابِقيه مِنَ الأجيال، وتختلف شِدَّة هَذِهِ المُعارَضَة تَبَعًا لِطَبِيعَة الفِكْرة وَتَبَعًا لطَبِيعَة البِيئَة الاجْتِمَاعِيّة.

إنَّ اختلاف الظُّرُوف الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيّة والتِّكْنُولُوجِيَّة الَّتِي يعيش في ظِلِّها كُلّ جيلٍ تَفْرِض عليه وِجْهَة نَظَرٍ خَاصَّةٍ به لمَوَاقِف الحَيَاة قد تختلِف عن وِجْهة نَظَر الْأَجْيَال الأُخْرَى الَّتِي عَاشَت في ظِلِّ ظُرُوف مُختَلِفَة، وهنا يَكْمُنُ جَوْهَرُ صِرَاع الْأَجْيَال وسببه

الرَّئِيسُ، والبيئَة العَرَبيَّة شَأْنها في هَذَا الأَمْر شَأْنُ أيّ بيئَةٍ أُخْرَى، ولَعَلَّ البيئَة الاجْتِمَاعيّة العَرَبيَّة قد تَكُونُ بيئَةً خِصْبَة لصِرَاعِ الْأَجْيَال أكثرَ مِنْ باقِي الْمُجْتَمَعَات وذلك تَبَعًا لِجُمْلَةِ أَسْبَاب، أَهَمّها أَنَّ الْمُجْتَمَع العَرَبيّ بَقِيَ لعُقُودٍ وقُرُونٍ حبيسًا لعَادَاتٍ وتَقَاليدَ وظُرُوفٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ واقْتِصَاديَّةٍ فَرَضَتْهَا الظُّرُوفُ السِّيَاسِيَّة العَالَمِيَّة الَّتِي أَفْضَتْ لِعَزْل الْمُجْتَمَع العَرَبيّ عن التَّطَوُّرات العَالَمِيّة، فالثَّوْرَة الصِّنَاعِيَّة وما خَلَّفَتْه من تَطَوُّرات وتَغَيُّرات هائلة في الحَيَاة كان العَرَب بمَعْزِلٍ عنها، وانْفَتَحوا على هَذِهِ التَّغَيُّرات في مَطْلَعِ الْقَرْنِ العشرين فَجْأةً وبُدونِ تمْهيد، مِمَّا أَدَّى لفَوَارقَ في التَّفْكِير والعادات ونَمَطِ الحَيَاةِ بين الأَجْيَال، فعَلَى سَبيل الْمِثَالِ: إنَّ الانتقال مِنَ اللِّبَاس التَّقْلِيدِيّ الَّذِي سَادَ في بلاد الشَّام ومِصْرَ لِقُرُون والقَائِم على الطَّرْبُوش إلى نَمَط اللِّبَاس الغَرْبيّ صَاحَبَه مُعارَضَة قَوِيَّة من جِيل الطَّرْبُوش والَّذِي رَأَى فيه خُرُوجًا غَيْرَ مُبَرَّرٍ على تَقَالِيدَ مَوْرُوثَةٍ.

وفي وَقْتِنا الحَاليّ وفي ظِلّ الثَّوْرَة التِّكْنُولُوجيَّة الثَّالِثة وتَسَارُع التَّغَيُّرات العَالَمِيَّة الاجْتِمَاعِيّة والثَّقَافِيَّة يَجِد كُلُّ جيلٍ نَفْسَه في مَنْأًى عمَّا أَلِفَه الجِيلُ السَّابِق بحَيْثُ تَكُون الفَوَارِق مِنَ العُمْق ما يكفي لإِشْعَال الصِّرَاع بين الأَجْيَال؛ وهنا لَا بُدَّ مِنَ التَّوْضِيح أَنَّ مَفْهُومَ صِرَاع الْأَجْيَال لَيْسَ مَحْصُورًا بنطاقِ الأُسْرَة، فهو مَفْهُومٌ خاصٌّ وعامٌ في آنٍ معًا، ففي مجَالِه الخاصّ يُشِير إلى الأُسْرَة والصِّرَاع القائِم بَيْنَ الآباء والأبناء، أَمَّا في مَفْهُومه العامّ فهو يَقُوم على الصِّرَاع على مُسْتَوى الْمُجْتَمَع ككُلٍّ بَيْنَ جِيلَيْنِ مُتَعاقِبَيْن، ولَعَلّ بعضَ الثَّوْرَات الاجْتِمَاعِيّة الَّتِي تَحْدُثُ على نِطَاقِ الْمُجْتَمَع ككُلّ ما هي إِلَّا إِحْدَى تَجَلِّيَات صِرَاع الأَجْيَال.

وانْطِلاقًا مِن أهمِّيَّة صِرَاع الْأَجْيَال وأَثَرِهِ على الحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيّة العَامَّة، وأَثَرِه على الشَّبَاب خاصَّةً كَوْنَهُمْ أُولَى الشَّرائح تأثُّرًا به، سَنُفْرِد هَذَا الفَصْل لِدِرَاسَة هَذِهِ الظَّاهرة ودِرَاسَة وتَحْلِيل أَثَرَها على الشَّبَابِ خاصَّةً وعَلَى الْمُجْتَمَع عَامَّة، وبَحْثُنا في هذا الفَصْلِ يستهدفُ الوُقوفَ على أسبابِ وأعْرَاضِ هذا الصِّراعِ، أَمَّا قَضيَّةُ إدارةِ هذا الصِّراعِ فهي قَضِيَّةٌ أُخْرى، تحتاج لاضْطِلَاعِ جِهَاتٍ مَدَنيَّةٍ واجْتِمَاعِيَّةٍ وأُسَرِيَّةٍ، كما أَنَّهَا عَمَليَّةٌ ذاتُ مَدًى طويلٍ مِنْ غيرِ الْمُمْكنِ أَنْ تَظْهرَ نتائِجُها بشكلٍ مباشِرٍ.

المبحث الأَوَّل

مَفْهُوم صِرَاع الأَجْيَال

يَرْتَبِط تَاريخ صِراع الأَجْيَال كما أَسْلَفنا بتاريخ الإِنْسَان نَفْسِه، فهو لَيْسَ نِتَاجَ مَرْحَلَةٍ مُحدَّدة، ولم يَرْتَبِط ظُهُوره بأحداثٍ ما، بل هو وَلِيدُ طَبْعِ الإِنْسَان، ونِتَاجُ تَطَوُّرِ الحَيَاة، وقد أَثَّرَ هَذَا التَّطَوُّر على الفِكْر الإِنْسانيّ، فاختلاف أَثَرِ هَذَا التَّطَوُّر على الآباء والأبناء يُفْضِي بهم لِتَبَايُن في الرُّؤَى والآراء والأفكار، وهَذَا التَّبَايُن يَقُودهم إلى الصِّرَاع، والصِّرَاع هنا يُمْكِن وَصْفه بالمُصْطَلَح المَجازيّ، فهو ليس صراعًا حرفيًّا، بل هو أقربُ ما يَكُونُ لمحاولة فَرْضِ نَمَط التَّفْكِير وأُسْلُوب الحَيَاة على الطَّرَف الآخَر، وَلَعَلَّ التَّارِيخَ مَلِيء بالأَمْثِلَة والأَحْدَاث الَّتي تُوَثِّق هَذَا الصِّرَاع، وَلَعَلَّ في قَوْل الإمام عليُّ بن أبي طالب(1) -رضي الله عنه-: "لا تَقْسِروا أَوْلادَكُم على طِبَاعِكم فَإِنَّهم مخلوقون لزمان غير زمانكم" إظْهارًا لشَكْلٍ من أَشْكَال هذا الصِراع، ومن هنا يتَّضِح أَنَّ لَدَى الأهْلِ رَغْبَةً في فَرْض بَعْض الطِّبَاع والعَادَات على الأَوْلاد، وكلمة تَقْسِروا تُشِيرُ إلى معارَضة منَ الأبناء لهَذَا الفَرْض، فهَذَا القَوْل تأكيدٌ على وُجُود ظاهِرة صِرَاع الأَجْيَال منذ القِدَم.

وانطلاقًا من أَهَمِّيَّة مَفْهُوم صِرَاع الأَجْيَال على المُجْتَمَع بالكامِل، وانطلاقًا من أَثَرِه الواضِح على الشَّبَاب، سَنُفْرد هَذَا المَبْحَث لدِرَاسة هَذَا المَفْهُوم لُغَويًّا واصطلاحِيًّا.

---

1. علي بن أبي طالب: (661-599م)، ابْن عَمِّ الرَّسُول محمد -صلى الله عليه وسلم- وَصِهْرُهُ، من آلِ بيته، وأحَد أصحابه، هو رابعُ الخُلَفاء الرَّاشِدين وأحَد العَشَرة المُبَشَّرين بالجَنَّة، أُمُّه فاطمة بنتُ أَسَد الهاشميَّة، وُلِدَ في مكَّة قَبْل البِعْثة، أَسْلَم قَبْل الهِجْرة النَّبويّة، وهو ثاني أو ثالث النَّاس دُخُولًا في الإسلام، شارَك في كُلِّ غَزَوات الرَّسُول عدا غَزْوَة تبُوك حَيْث خلَّفه فيها النَّبيّ على المدينة، وعُرِفَ بشِدّته وبَرَاعَتِه في القتَال فكَان عامِلاً مهمًّا في نَصْر المسلمين في مختلف المَعَارك وأَبْرَزها غَزْوَة الخَنْدق ومعركة خَيْبَر، لقد كان عليّ مَوْضع ثقة الرَّسُولِ فكان أَحَدَ كُتَّاب الوَحْي وأحَد أَهَمِّ سُفَرائِهِ ووزرائِهِ، للمَزيد: مَوْقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتاح على الرَّابط: https://cutt.us/0zMsk

وتوضيح معنـــاه في عِلْم النَّفْس والاجتماع، ليَكُون توضيحُ هَذَا المَفْهُوم انطلاقَةً نَحْوَ دِرَاسةٍ مُعمَّقة لأَسْبَابِ وآثارِ هَذَا الصِّرَاع في المَبَاحث اللَّاحِقَة من هَذَا الفصل.

مَفْهُوم صِرَاع الأَجْيَال لُغَوِيًّا واصطلاحِيًّا

يُشـــير مُصْطَلَح الصِّرَاع في اللُّغة إلى الطَّـــرْح في الأرض[1]، والصِّرَاع اصطلاحًا هو الحَالَة الَّتـــي يقع الفَرْد بمُوجبها تَحْتَ وَطْأَةِ دَوافِـــع ونَزَعاتٍ متعارضة[2]، ويُعَرَّف الصِّرَاع بِأَنَّه شَكْلٌ من أَشْكَال المُعَارَضة العَنِيفَة يَحْدُث عندما تشتدّ الخُصومةُ، فيحاول الفَرْد أو الجَماعَة إحباطَ الخَصْم، وذلك في سَبيل الحُصُول على الهَدَف المَنْشُود، وقد يكُون هَذَا الهَدَف المِلْكيَّةَ أَو الحُريَّة أو القُوَّة، وقد يكُون الصِّرَاع داخِلَ الفَرْدِ نَفْسِه، أو نتيجةً لِوجودِهِ ضِمْنَ جماعة، سواءٌ أكانت الأُسْرَة أو غيرها، وذلك لتَعدُّد الأَدْوَار الَّتِي يَقُوم بها، أو كنتيجةٍ لغُمُوض دَوْر الفَرْد وعَدَم وُضُوحِ الحُدُود بَيْنَ حقوقِهِ وواجباته[3]؛ ويَحْدُث الصِّرَاع كذلك عندما يَجِد المَرْء نَفْسَهُ في مَوْقِفَيْنِ مُتَناقِضَيْن يَتطلَّب أحَدُهما سُلوكًا مُعيَّنًا ويتطلَّب الآخَر سُلُوكًا مُغايرًا غَيْرَ مُنْسَجمٍ مع السُّلُوك الأوَّل، ويؤَدِّي وُجُود نَمَطَـــيْنِ مِنَ الدَّوافع المتناقِضَة والمتعارِضَـــة إلى إعاقَة الأفْرَاد عن التَّوافُق[4]؛ ومن هَـــذَا التَّعْريف والمَفْهُوم يمْكِن القَوْل بِأَنَّ الصِّرَاعَ نتيجةٌ لتفاعُل العَلَاقات الإنْسَـــانيَّة المُتشابِكَة والمُعَقَّدة، وهَذَا يَقُود إلى أنه حَيْثُمَا وُجِدَتِ العلاقات الإنسانيَّة وُجِد الصِّرَاع. أمَّـــا أجيال وهي جَمْعُ جيل، وهو الصنف مِنَ النَّاسِ، وبالتحديد ثلاثةُ عقودٍ من عُمْرِ الزَّمَانِ (30 عامًا)[5]، في حين يُعَبِّرُ مَفْهُوم الجِيل عن حالةٍ عُمْرِيَّةٍ ومســـافةٍ زمنيَّة

1. الأنصاري، ابن منظور. **لِسَان العَرَب**، لبنان، بيروت: دَار الكُتُب العِلْميَّة، 2005م، ص181.
2. الســيد، عبدالعزيز . **مُعْجَم عِلْم النَّفْس والتَّرْبية**. مصر ، القَاهِرة: الهيئة العَامَّة لشــؤون المَطَابِع الأميريَّة، 1994م، الجزء الأَوَّل، ص32.
3. رشوان، حسين عبدالحميد أحمد. **عِلْم الاجْتِمَاع النَّفْسيّ / المُجْتَمَع والثَّقَافَة الشَّخصيَّة**. مصر، الإسكندرية: مُؤَسَّسة شَبَاب الجَامِعَة، 2005م، ص 214-213.
4. عبدالرحمن، خليل. **عِلْمُ النَّفْس الاجْتِمَاعِيّ**. الأردن، عَمَّان: دَار الفِكْرة، ، الطبعة الثالثة، 2010م، ص198.
5. جماعة من المؤلفين. **المعجم** الوسيط. ج1، ط2.

تَفْصِـــلُ بَيْنَ جِيلٍ وآخَرَ، وأهَمّ ما يُمَيِّز كُلَّ جيلٍ عن ســـابقِهِ هو الثَّقَافَة، وَنَظْرَتُهُ إلى العالَـــم، والمجتمع، والحَيَاة، وهو ما يُمَثِّلُ هُوِيَّةَ هَذَا الجِيل ويجعله يختلف عن الآخر، وهَذَا ما أشـــار إليه ابن خلدون(1) في قوله: "اعْلَمْ أنَّ اختلافَ الْأَجْيَال في أحوالِهم، إنَّما هو باختلاف نِحلَتِهم مِنَ المَعَاش"(2)؛ وفيما يَتَعَلَّقُ بتحديدِ مُدَّةِ الجيلِ أوْ كَمَا يُسَمَّى اصطلاحًـــا عُمْرُهُ، فهناكَ آراءٌ مُتَعَدِّدَةٌ في هذا الأمرِ، ولا يُمكِنُ وَصْفها بالصَّحيحةِ أوْ بالخَاطِئَةِ، فلكلِّ رأيٍ مِن المُسَوِّغَاتِ ما يُبَرِّرُهُ، فابنُ خَلْدُونَ رَأَى أنَّ مُدَّةَ الجيلِ أربعونَ عامًا، بَيْنَما دور كايم رَآهُ ثَلاثينَ عامًا(3)، وكَمَا أَسْـــلَفْنَا فكِلاهُما على حَقٍّ، ففي قَضِيَّةِ عُمْرِ الجيلِ لا يُمكِنُ الادِّعاءُ بوُجُودِ إجابةٍ صحيحةٍ مُطْلَقةٍ، فعُمْرُ الجيلِ يتناسَبُ عَكْسِيًّا معَ مُسْتَوى التَّطوُّرِ الاجْتِماعيِّ، ففي عَصْرِ ابنِ خَلْدُونَ كانَ مِنْ المُبَرَّرِ أنْ يكونَ عُمْرُ الجيلِ طويلًا نســـبيًّا (أربعونَ عامًا)، كَوْنُ المَسارِ التَّطوُّرِيِّ للحياةِ الاجتماعيَّةِ كانَ من الرَّتَابَةِ ما يجعلُ الفَوَارِقَ بينَ الأَجْيَالِ تَتَضاءَلُ، ممَّا حَدَا بِهِ إلى إطالةِ المُدَّةِ، بَيْنَما في عَهْدِ دور كايم، فالتَّطوُّرُ الاجتماعيُّ المُتَسارِعُ المَدْفُوعُ بالتَّطوُّرِ التِّكْنُولُوجيِّ دَفَعَهُ إلى تَقْصيرِ مُدَّةِ الجيلِ لتُصبحَ ثلاثينَ عامًا، وبناءً على هذهِ المُقَارَبةِ فمِنْ غيرِ المُسْتَبْعَدِ أنْ نشهدَ في فتراتٍ لاحقةٍ مِنْ عُمْرِ البَشريَّةِ قَصْرًا إضافِيًّا في مُدَّةِ الجيلِ.

1. **ابن خلدون:** (1406-1332م)، عبدالرَّحمن بن مُحمّد ابن خَلْدون أبو زَيْد وليّ الدِّين الحَضْرَميّ الإشبيليّ، مُؤَرِّخ عَرَبيّ وُلِد في تُونُس وشَـــبَّ فيها وتخرَّج مِن جامعة الزَّيتونَة، وَلِيَ الكِتابة والوَسَـــاطة بين المُلوك في بِلاد المَغْرب والأَنْدَلُس ثُمّ انتقل إلى مِصْر حَيْثُ قَلَّده السُّلْطان بَرْقُوق قَضَاء المالكيَّة. ثُمَّ استقال مِن مَنْصبه وانْقَطَع إلى التَّدْريس والتَّصْنيف فكانت مُصَنَّفاته مِن أهَمّ المصادر للفكْر العَالَمِيّ، ومن أَشْهرها كِتاب العِبَرَ وديـــوان المُبْتَـــدأ والخَـــبَر في معرفة أيَّام العَرَب والعَجَم والبرَبَر ومَن عاصَرهم مِن ذَوِي السُّـــلْطان الأكْبَر، ويُعْتَـــبَر مُؤَسِّـــسَ عِلْم الاجْتِمَاع الحَديـــث ومن عُلَماء التَّاريخ والاقْتِصاد، ويُعْتَـــبَرَ كِتاب مُقدِّمَة ابن خَلْدون أَهَـــمّ كُتُبِـــه على الإِطْلَاق، وفي هَذَا الكِتَاب تَأْسِـــيس مَنْهجيّ لِعلْم الاجْتِماع والعُمْران البَشَريّ، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرّة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/I58cU
2. ابن خَلْدون، عبدالرحمن. **المُقَدِّمَة**. لبنان، بيروت: دار صادر، الطبعة الخامسة، 1984م، ص120.
3. الجميل، ســـيّار. **"تَكْوِينُ العِرَاق الحَديث ونَظريَّة الأَجْيَال"**. مُؤَسَّسَةُ الحِوار الإِنْسَانيّ، 17 أكتوبر 2018م، تاريخ الزيارة 16 مايو 2020م، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/VPR3c

وبناءً على ما سَبَق، يُمْكِن القَوْل بِأنَّ صِراعَ الْأَجْيَال ظاهِرَةٌ اجْتِمَاعِيَّة وثَقَافِيَّة تَعِيشُها مختَلَف المُجْتَمعات، وهُو نتيجةٌ لاختلافٍ أَيْديُولُوجيّ بَيْنَ جِيلَيْنِ مُتَعاقِبَيْن، الأوَّل رَادِيكَالي ومُحافِظ، وَالثَّاني جِيلٌ يدعو للمُعَاصَرة والحَدَاثة[1]، وبغضّ النَّظَر عَن التَّعاريف المُتَعدِّدَة لصِراع الْأَجْيَال فَإِنَّهَا جميعًا تُشِير إلى تَبَايُنٍ في الآراء والمواقِف واختلافٍ في الأَيْدُيُولُوجيَّة بيْنَ الْأَجْيَالِ المُتَعاقِبَة والمتلاحِقَة.

صِرَاع الْأَجْيَال في عِلْم النَّفْس

يُعَدّ مَفْهُوم الأَجْيَال، والصِّرَاع بينهم مَفْهُومًا أَسَاسِيًّا في دراسة الشَّبَاب كفِئَةٍ اجْتِمَاعِيَّة وعَلَاقتها بالفِئَات الأُخْرَى، ومَفْهُومًا رَئِيسًا أيضًا في تَفْسِير الظَّوَاهِر المُرْتَبِطة بالتَّطوُّر التَّاريخيّ، وتَحْليل العَوَامِل المُحَدَّدَة لِلتَّغْيير الاجْتِمَاعِيّ، فكَلِمَة «Generation» ذاتُ أصْلٍ إغريقِيّ، وهي مُصْطَلَحٌ أساس في الفلسفة اليونانيَّة، فالإغريق الْقُدَامَى كانوا مُدْرِكِينَ بأنَّ العلاقة بَيْنَ الأعمار ليست بالضَّرورة متناغِمَةً، وبالتَّالي كانوا فَطِنِينَ للنَّتَائِجِ الاجْتِمَاعِيّة والسِّيَاسِيَّة للتَّعَارُض بَيْنَ الأَجْيَال، «فأفلاطون»[2] كان يرى في الصِّرَاع الجِيلي قُوَّة مُحَرِّكَة لِلتَّغْيير الاجْتِمَاعِيّ، و«أرسطو» كان يُفَسِّرُ الثَّوْرَات بالصِّرَاع بَيْنَ الأبناء والآباء، وليس فقط بالصِّرَاع بَيْنَ الطبقات[3].

1. زقوت، عدنان. "**صِراع الأجْيَال**". مَوْقِع مَقَال، 2018م، تاريخ الزِّيارة 9 مايو 2020م، مُتاح على الرَّابط: https://cutt.us/xCpbz
2. **أفلاطون:** (427-347ق م)، أرستوكليس بن أرستون، فَيْلسوف يُوناني كلاسيكيّ، رياضياتيّ، كاتب لعَدَد من الحوارات الفلسفيَّة، ويُعْتَبَر مُؤَسِّسًا لأكاديميَّة أثينا التي هي أوَّل مَعْهد للتَّعليم العَاليّ في العَالَم الغَرْبيّ، مُعلِّمه سُقْراط وتلميذُهُ أرسطو. وضَعَ أفلاطون الأُسُس الأُولَى للفلسفة الغَرْبيَّة والعُلوم،، كان تلميذًا لسُقراط، وتأثُّر بأفكارِهِ كما تَأَثَّر بإعْدامه الظَّالِم، ظَهَر نُبُوغ أفلاطون وأسلوبه ككاتبٍ واضِح في مُحاورَاته السُّقْراطيّة (نحو ثلاثين محاوَرَة) الَّتي تَتَناوَل مَوَاضيعَ فَلْسفيَّة مختلفَة: نَظريَّة المَعْرفة، المَنْطق، اللُّغَة، الرِّياضيات، حيث أَبْدَع بها واعتمدها بِكُلِّ فلسفته، له مُؤَلَّفَاتٌ عَديدَة جَميعها في الفَلْسفة والمَنْطق يُعَدُّ أَشْهَرها جُمْهُوريَّة أَفْلاطون وسِلْسلة المُحَاورَات، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتاح على الرَّابط: https://cutt.us/1EDB3
3. المطري، وليد. "**سِيسْيُولُوجْيَا الأجيال**". موقع إضاءات، 23 أكتوبر 2016م، تَاريخُ الزِّيارَة 9 مايو 2020م، مُتَاح على الرَّابِط: goo.gl/INd7Ji

وصِرَاعُ الْأَجْيَالِ عند علماء التَّرْبِيَة، والاجتماع، وَعِلْمِ النَّفْسِ؛ هو: الاختلافُ في الرُّؤَى بَيْنَ الجيلَيْنِ الشَّبَاب والكبار، واضْطِرَاب العلاقة بَيْنَ الآباء والأبناء، وتأزُّمُهَا؛ فالأبناء يَتَّهِمُونَ الآباء بأنَّهم أَقَلُّ عِلْمًا، وأنَّهم مُتَأَخِّرُونَ عن إيقاع العصر، ويصفونهم بالمُتَزَمِّتِينَ والمُتَشَــدِّدِينَ(1)، بينما يَتَّهِمُ الآباء الأبناء بأنَّهــم لا يحترمون القِيَم، ولا العادات، ولا التقاليد، وهم قليلو الخبرةِ، ولا يحترمون آراءَ وخبرةَ الكبار.

وبِالرَّغْمِ مِن قِدَمِ ظَاهِرَة صِرَاع الْأَجْيَال وارتباطها بظُهُور الإِنْسَــان نَفْسِــه، إلَّا أنَّنا لا نَجِد لها وُجودًا ظَاهِرًا في عِلْمِ النَّفْس أو الاجْتِماع، فعادَةً ما يُشَــار لِهَذِهِ الظَّاهِرة إشــاراتٍ جَانِبِيَّةً بِدُونِ إشَارَةٍ واضِحةٍ، وَلَعَلَّ في كتابات "أوغست كونت"(2) في الْقَرْن التَّاسِــعَ عَشَر، أَوَّلُ تَنَاوُلٍ حقيقيّ للعلاقات بَــيْنَ الْأَجْيَال في عِلْم النَّفْس والاجْتِمَاع، فبالرَّغْــم مِن عَدَم تناوُله مُصْطَلَحَ صِرَاع الْأَجْيَال إلى أنَّه تناوُل العَلاقَة بَيْنَ الْأَجْيَال وأَثَرُ التَّغَيُّرات في كُلِّ جيلٍ على التَّغَيُّرات العَامَّة في المُجْتَمع(3)، وَلَعَلَّ إضافات "كارل مانهايم"(4) في مَطْلَع الْقَرْن العشرين كانَ لها أكبرَ الأَثَر في التَّمْهيد الفَلْسفيّ لظُهُور

1. ندوي، محسن. **الشَّبَابُ والتَّنْمِيَةُ.. رُؤْيَةٌ تنمويَّةٌ لِمُنَاصَرَةِ حُقُوقِ الشَّبَابِ المَغْرِبيّ والعَرَبِي**. طَنْجَة المَغْرِب، 2007م.
2. **أوغســت كونت:** (1857-1798م)، عَالِم اجْتِمَاعٍ وفيلســوف اجْتِماعِيّ فَرَنسيّ، أَعْطى لِعِلْم الاجْتِمَاع الاسْــم الَّــذِي يُعْــرَف به الآن، أكَّد ضرورة بنــاء النَّظَرِيَّات العلميَّة المَبْنِيَّة على الملاحظــة، إلَّا أنَّ كتاباته كانت على جانبٍ عظيمٍ من التَّأمُّل الفَلْسَــفيّ، ويُعَدّ هو نفســه الأَبَ الشَّرعيّ والمُؤَسِّــس للفَلْسَــفة الوَضْعيَّة، وهو يُعْتَبَر تلميذًا لســان ســايمون وهو فيلســوف فَرَنسيّ، يَرَى كونت أنَّه يُوجَد بَيْنَ الفَرْد والإنسانيَّة جَماعات وَسِيطة هي الأُسْرَة والوَطَن، ويُعْطي أهميَّة كبيرة للأُسْرَة والمَرأة عَلَى وَجْه الخُصُوص في التَّنْشئة الأَخْلَاقيَّة. فالأُسْرَة هي الوسيط بين الفَرْد والوَطَن، والوَطَن هو هَمْزة الوَصْل بَيْنَ الأُسْرَة والإِنْسانيَّة، للمَزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/5Hhzm
3. شــكراني، الحســين. **حُقُوق الأَجْيَال المقبلَة بالإشــارة الى الأوَضْاع العَرَبِيَّة**. قَطَر، الدَّوْحة: المركز العربي للأبحاث ودِرَاسة السِّيَاسَات، الطَّبعة الأُولَى، 2018م، ص91.
4. **كارلمانهايم:** (1947-1893م)، عالِمُ اجْتِمَاعٍ مَجَرِيّ، من مُؤَسِّسِي عِلْم الاجْتِمَاع الكلاسيكيّ ويُعَدُّ مُؤَسِّس عِلْم اجْتِمَاع المَعْرفة، وهو يرى أنَّ الهَدَف الخاصّ لِعِلْم اجْتِمَاع المَعْرِفَة هو تحليل العلاقات بين التمثيلات العَامَّة للوَاقع وَخَلْفِيَّتِهَا المُكَوَّنَة من الظُّروف التَّاريخيَّة والاجْتِمَاعِيّة، التَّعارُض بعد ذلك بين الأَيْدِيولُوجيَا واليُوتُوبْيَا يــأتي مــن حقيقــة أنَّ الأولى تَمِيل إلى إضْفاء الشَّرعيَّة على الوَضْــع الرَّاهن في حين أنَّ الأخرى هي أكثرُ ابتكارًا ونقدًا وتَهْدِف إلى التغيير والتغلُّب على ما هو قائم، وتُعَدّ مقالته الَّتي نَشَرها في عِشْرِينيَّات القَرْن الماضي بعنوان "مُشْــكَلة الأجيال" أَوَّل وأشــمل طَرْح تناوَل قَضِيَّة الاختلافات بَيْنَ الأجيال، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/CgkJc

مُصْطلَح صِرَاع الأَجْيَال، ففي كتابه مُشْـــكلَةُ الْأَجْيَال يَرى أنَّ جِيلَ الشَّـــبَاب هو الأشدُّ تفاعُلًا وتَقَبُّلًا للتَّغْيُّرات الاجْتِمَاعِيّة، وهو المُحَرِّك الأساسُ لأيّ تغيير، على عَكْس الجِيل السَّـــابِق له(1)، فمَيْل الشَّبَاب للتَّغَيُّر يُعْتَبَر دافعًا جوهريًّا للصِّرَاع مع الآبَاء كَوْنَ الآباء قد يكونونَ أكثرَ مَيْلًا للاستقرار وإبقاء الأُمُور على حَالِها.

ومُنْذُ مُنْتَصَف الْقَرْن الماضِي وحَتَّى الآن يَزْداد الاهتمام بقَضِيَّة صِرَاع الْأَجْيَال خاصَّةً وأَنَّ الثَّوْرَة التِّكْنولُوجِيّة أفْرَزت عِدَّة أجْيَالٍ تعيش في وقتٍ واحِد، فسَابِقًا كان صِرَاعُ الْأَجْيَال مَحْصورًا بَيْنَ جِيلَيْن الشَّـــبَاب والآباء، أَمَّا في ظل الثَّوْرَة التِّكْنُولُوجيَّة فكُلُّ تقدُّمٍ عِلْميّ جديد يُفْرِزُ معه جيلًا جديدًا، وحَتَّى على مُسْـــتَوى الجيل نَفْســـه باتَ بالإمكان ملاحظةُ عِدَّةِ أنْماطٍ ثَقافيَّة مُتبَاينة كُلّها أفرَزَتْها الثَّوْرَة التِّكْنُولُوجيَّة المُتَســـارِعَة والعَوْلَمة، وبَدَأت التَّبَايُنات بَيْنَ الْأَجْيَالِ المُتَعاقبَة بالاتِّســـاع، وظَهَرَ في نهاية السِّتينيَّات مِنَ الْقَرْن الماضي مُصْطلَح "الْفَجْوَةُ الجيليَّة" والَّذِي يُشـــير إلى الهُوَّة الثَّقَافِيَّة وَالْأَيْدِيُولُوجيَّة بَيْنَ الأَجْيَال، وسُمِّيَ الجِيلُ الجديد حينها بـ"طَفْرةِ المواليد" كَوْنَ التَّغيُّرات الاجْتِمَاعيّة والثَّقَافِيَّة الَّتِي طَرَأت على هَذَا الجيل تُعادِل مَجْموع التَّغَيُّرات الَّتِي طَرَأت على عِدَّة أجْيَال سابقًا، وبَدَأت حِـــدَّة التَّبايُنات الاجْتِمَاعيّة والثَّقَافيَّـــة بالازدياد عامًا بَعْد عَامٍ، ممَّا حَدَا بمُنْظَمَّة الأُمَم المُتحِدَة إلى إطْلَاق مشروع "نَحْو مُجتمعٍ لكُلِّ الأعْمَار"(2)(3)، فمَفْهوم صِرَاع الْأَجْيَال بَدَأ يأخُذ اهتمامًا مُتَزايدًا على مُختَلَف الصُّعُد والمُسْـــتَوَيات، وذلك انطلاقًا من كَوْنِه ظَاهِرَة طَبيعيَّة يَجب إدارَتها، وهَذِهِ الظاهِرَة تَزْداد حِدَّتها يومًا إِثْر يَوْم.

1. مَجْمُوعة مِن المؤَلِّفين. **الشَّـباب والانتقال الدِّيمُقراطيّ في البُلْدان العَرَبيَّة**. قطر، الدَّوْحَة: المَرْكز العَرَبيّ للأبْحَاث ودِرَاسة السِّيَاسَات، الطَّبْعَة الأُولَى، 2019م، ص219.
2. **مُجْتَمَـعٌ لـكُلِّ الأعْمَار**: مَـشْرُوع أطْلَقَتْه مُنَظَّمة الأُمَم المُتَّحِدَة في عَـام 1999م، ويَهْدِفُ هذا المَشْرُوع إلَى تَقْليلِ الفَوَارِق بين الأَجْيَال، لا سِيَّمَا بين المُسِنِّينَ وباقي الفِئَات العُمْرِيَّة، كَمَا تَمَّ في ذات العام اعتبارُ سنة 1999م عامًا للمُسِنِّينَ حَوْلَ العَالَم، للمَزيد: سرحان، وليد. مُحَاضَراتٌ نَفْسيَّةٌ. الأردن، عمَّان: دار مجدلاوي للنَّشْر والتَّوْزيع، 2011م، ص276.
3. مُنَظَّمة الأُمَم المُتَّحِدة، الجَمْعِيَّة العَامَّة الدَّوْرة الرَّابِعَة والخَمْسُـون، الجِلْسـة العَامَّة السَّادِسَـة والعشرون، 5 أكتوبر 1999م.

ولم يَعُدْ مَفْهُوم صِرَاع الْأَجْيَال مُقْتصِرًا على صِرَاعٍ داخِليٍّ ضِمْنَ الأُسْرَة نَفْسـها، بل امتدَّ هَذَا المَفْهُوم ليشْـمَلِ المُجْتَمَعَ بأكمَلِهِ، فهَذَا الصِّرَاع تدور رَحَاهُ في مختلَف التشـكيلات الاجْتِمَاعِيّة وحَتَّى الاقْتِصَادِيَّة، فمِنَ الأُسْرَة إلى المَدْرَسـة والمُنظَّمَات الاقْتِصَادِيَّة بشَتَّى أنواعها جميعها تُسـجِّل لحالات تُوثِّق هَذَا الصِّرَاع، وَلَعَلَّ في الحَرَكات الاجْتِمَاعِيّة الَّتِي شَهِدها العَالَم في النِّصْف الثَّاني مِنَ الْقَرْن العشرين تأكيدًا على أنَّ مَفْهُومَ صِرَاع الْأَجْيَال هو مَفْهُومٌ اجْتِمَاعيٌّ عامّ وشامِل، فحَرَكة الطُّلَّاب في فَرَنْسا عامَ 1968م، وحركة الهيبز في الولايات المُتَّحِدَة الأمْريكِيَّة وأُورُوبا مَا كَانْت إِلَّا شَكْلًا مِن أَشْكَال صِرَاع الأَجْيَال.

وعلى المُسْتَوى العَرَبيّ نَجِد الظَّاهِرة نَفْسها، فالعَالَم العَرَبيّ جزءٌ مِنَ النَّسِيج الاجْتِمَاعِيّ العَالَمِيّ، وما يُصِيبُ العالَمَ يَنْسـحِبُ على البِيئَـة العَرَبيَّة، فأبناءُ الوَطَن العَرَبِيّ مِنَ الشَّـبَاب في الْقَرْن الحادِي والعشرين أكثرُ تَمَرُّدًا مِنَ الأَجْيَال الَّتِي سَـبَقَتهم، حيث نجدهم يختلفون تمامًا عن الواقع الَّذِي عرفه آباؤهم وأجدادهم منذ منتصف الْقَرْن العشرين حتى نهايته، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الأَجْيَال، حاليًّا من شَأْنه أَنْ يَخْلُقَ نوعًا مِنَ المواجهة بَيْنَ الْأَجْيَال المُختَلِفَة أكثرَ ضراوةً وشِـدَّةً ممَّا سبق، فالصِّرَاع بَيْنَ الْأَجْيَال أوضح في عصرنا الحاضر، بسـبب التَّغَيُّرَات الكثيرة الَّتِي طرأت عليه، خاصَّةً في مجال التَّطَوُّر التِّكْنُولُوجِيّ، الأَمْر الَّذِي أدّى إلى توسيع الفَجْوَةِ بَيْنَ الأبناء والآباء.

وعليه، فإِنَّ العلاقات بَيْنَ الْأَجْيَال المُختَلِفَة تَتَمَيَّز عادةً بوجود الصِّرَاع بينهما، ويُمْكِن أن نعتبر هذا الصِّرَاع بمثابةِ خلافٍ مستمرّ بَيْنَ الأبناء وبَيْنَ الآباء والأجداد، فقد كانَ موجودًا فيما مضى، إِلَّا أنَّه يبدو بشكلٍ أوضح في عصرنا الحاضر، وهُو وكَمَا أَسْلَفْنا لا يَجِب أَنْ نَنْظُر إليه على أنَّه ظاهِرة سَلْبِيّة يَجِب الحَدّ منها والعَمَل على القَضَاء عليها، فَهِي أَمْرٌ لا مَفَرَّ منه باعْتِبارِها من طَبِيعَةِ الحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيّة، وهَذَا الصِّرَاع هو إيذانٌ بالتغيُّر الاجْتِمَاعِيّ والحَيَاتيّ، والتغيُّر صِفةٌ ملازِمَةٌ للوُجود، وعلى العَكْس فَإِنَّ العَمَل على تَثْبِيت الحَيَاة في قَوالِبَ جَامِدَةٍ مِن شَأْنه أَنْ يُفْسِدها، فصِرَاع الْأَجْيَال هو مَخَاضُ وِلادَةٍ جديدةٍ، وِلادَةِ أفكارٍ وقِيمٍ وأنْمَاطِ حَيَاةٍ جديدةٍ وَمُتَجَدِّدَة.

المبحث الثَّاني

أَسْبَابُ الصِّرَاع بَيْنَ الأَجْيَال

إنَّ ظاهِرة صِرَاع الأَجْيَال ليســت وليدةَ الصُّدَف وليست نِتاجَ الفرَاغ، بَلْ هي نتيجةٌ حتميَّةٌ للعَلَاقــات الاجْتِمَاعِيّة، وكُلَّمَا ازداد تَعْقِيد هَــذه العَلَاقَات كُلَّمَا ازدادتْ احتماليَّة ظُهُور هَذَا الصِّرَاع، إنَّ مَعْرِفَة الأَسْبَاب الَّتِي تَقُود إلى صِرَاعِ الأَجْيَال لَيْسَت قَضِيَّةً أكاديميَّةً نَظَرِيَّة فَقَطْ، بل هي ذاتُ أَهَمِّيَّة تطبيقيَّةٍ أيضًا، لأنَّ أيّ جَهْد هَادِف لِدِرَاسَة هذَا الصِّرَاع لن يُحَقِّقَ الأَهْدَافَ المُنَاطَة به دُونَ مَعْرِفة أَسْبَابه، فيُمْكِن وَصْف مَعْرِفَة أَسْبَاب هَذَا الصِّرَاع بالخُطْوَة الأُولَى في دِرَاسَة هَذَا الصِّرَاع، وكَمَا أَسْلَفنا فإنَّ صِرَاع الأَجْيَال ذُو أبعادٍ إيجابيَّة وأُخْرَى سَلْبِيَّة، فمَعْرِفَة أَسْبَاب هَذَا الصِّرَاع خُطْوَةٌ هامَّة في اسْتِكْشَافِ سَلْبِيَّاتِهِ وتحديدِ إيجَابِيَّاته.

وعلى اعْتِبار أَنَّ مُصْطَلَح صِرَاع الأَجْيَال مُصْطَلَحٌ حَدِيث نسبيًّا فَلَمْ يَحْظَ هَذَا المُصْطَلَح بالدِّرَاسَة العِلْمِيَّة والنَّفْسِيَّة الكافِيَة إلَّا حَدِيثًا، إلَّا أنَّه ويُمْكِن من خِلَالَ مُرَاجَعة أَبْحَاث عِلْم النَّفْس والاجْتِمَاع اسْتِخْلَاص بَعْض البَوَادِر الَّتِي يُمْكِن اعتبارُها أَحَدَ أَسْبَاب صِرَاع الأَجْيَــال ولَوْ لَمْ تَكُنْ في حِينِها مُخَصَّصة لهَذَا المَجَال مِنَ الأبحاث، فعُقْدَة أوديب(1) الَّتِي تَنَاوَلَها عالِم النَّفْس النِّمْســاوِيّ فرويد هي تَأْكِيدٌ على أَنَّ أَحَدَ الدَّوافع الرَّئِيسَة لخِلافِ الأبناء مع الآباء وخاصَّةً الذُّكُورَ منهم هو ســببٌ نَفْسِيّ وفِطْرِيَ في الأَسَاس،

---

1. **عقدة أوديب:** مَفْهُوم أَنْشَــأَه ســيجمون فرويد واسْتَوحاه مِن أُسْــطُورة أُوديب الإغْرِيقِيَّة وهي عُقْدَة نَفْسِيَّة تُطلق على الذَّكَر الَّذِي يُحِبّ وَالِدَته ويتعَلَّق بها و يَغِير عَلَيْهَا من أَبَاه ويكْرَهه، وهي المُقَابلَة لعُقْدَة "أليتكرا" عنــد الأنثى، وأَصْل الأُسْــطُورة أَنَّــه في القَدِيم كان هناك مَلِــك إغْرِيقِيّ أَنْجَب ابْنًا يُدْعَــى أُوديب وأَخْبر العَرَّافون هَذَا الملك أَنَّ ابْنَه سيَقتُلُه ويَتَزَوَّج مِن زوجة أبيه، فأَمَر المَلِك بأَنْ يُقْتَل ابنُه، إلَّا أَنَّ المكلَّفُون بقَتْله أَعْطَوْهُ لمُزَارِعٍ رَبَّاه، وعَنْدَما كَبِرَ أوديب عاد إلى مَسْقَط رَأْسِه وحَصَلَ شِجَار بَيْنَه وبَيْنَ المَلِك فقَتَلَه دُون عِلْمِه أنَّــه أَبَاه، واسْــتَوْلى عَلَى المُلْك وتزَوَّج من امْرَأة المَلِك الَّتــي هي أُمُّه، وعند مَعْرِفة أُوديب بأنَّ مَن قَتَلَه كان أباه وأنَّ زَوْجَته الحَالِيَّة هي أُمُّه لم يتمالك نَفْسَه ففَقَأَ عَيْنَيه، وَصَار يُسْمَّى أيّ تعارُض بين الأب وابْنِه بعُقْدَة أوديب، للمزيد موسوعة المعرفة، عُقْدَة أوديب، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/zrhKg

ويقابِـــل هَذِهِ العُقْدَة لَدَى الإناث عُقْدة "أليكـــترا"(1) وهِي تِبْيَانٌ لأَنَّ الفَتَاة عادةً ما تَصْطَدِم مع أُمِّها وأَنَّها تمِيل للقُرْب من أَبِيها عَلَى حِسَاب أُمِّها.

وبالعَوْدَة إلَى الشَّبَاب العَرَبِيّ، فإنَّ الأَسْبَاب الَّتِي تَقُود هَذَا الشَّبَاب إلى الدُّخُول في أَتُون صِرَاعِ الْأَجْيَال قد تَتَشَـــابَه إلى حَدٍّ كبير مع الأَسْبَاب المُوجِبَة لهَذَا الصِّرَاع على المُسْتَوى الإِنْسَـــانيّ بِشَكْلٍ عَامٍّ، إلَّا أَنَّ خُصُوصيَّة البيئَة العَرَبِيَّة الاجْتِمَاعيّة والثَّقَافِيَّة والتَّاريخِيَّة قد تُفْرِز بعضَ الأَسْـــبَاب الَّتِي تُمَيِّز الشَّبَاب العَرَبِيّ في هَذَا الصَّدَد، فمنها ما هو ذَاتِيٌّ، يَتَّصِل بمُسْتَوى الوَعْي، والمُسْتَوى التَّعْلِيمِيّ، والثَّقَافِيّ، والتَّرْبَوِيّ لكُلِّ جيل، ومنها ما هو خارجِـــيٌّ موضوعيٌّ؛ كسرعةِ التَّغَيُّرَات الحاصِلَة في الحَيَاة بصفةٍ عَامَّة، وما يُؤَدِّي إليه هَذَا التَّغَيُّر من تنوّعٍ في أَشْـــكَال النَّشَاط السِّيَاسِيّ، والاجْتِمَاعِيّ، والثَّقَافِيّ، والفِكْرِيّ، وفيما يَلِي سُنَبَيِّن أَهَمَّ الأَسْبَاب الَّتِي تَقُود الشَّبَاب العَرَبِيّ إلى هذا الصِرَاع.

الأَسْبَاب الثَّقَافِيَّة

تُعَدّ العوامِل الثَّقَافِيَّة مِن أَبْرَز الأَسْـــبَاب الَّتِي تَقُـــودُ إلى صِرَاعِ الأَجْيَال في المُجْتَمَع العَرَبِيّ، فخِلَال عُقُودٍ وقُرُونٍ سَـــابِقَة كَان بالإمْكَان وَصْفُ المُجْتَمَع العَرَبِيّ بالمُجْتَمَع المَعْـــزُول ثَقَافيًّا، خاصَّةً مع فَتَرَات الرُّكُود الطَّوِيلَة الَّتِـــي طَغَتْ على الفِكْر العَرَبِيّ، وكنتيجةٍ لانْعِـــزَال البيئَة العَرَبِيَّة عن التَّطَوُّرات العِلْمِيَّـــة والثَّقَافِيَّة الَّتِي تَلَت الثَّوْرَة الصِّنَاعِيَّة في الغَرْب والتَّطَوُّرات الاجْتِمَاعِيّة الَّتِي تَلَتِ الثَّوْرَة الفَرَنْسِـــيَّة وما أَحْدَثَتْه مِن تغيُّرات جَذْرِيَّة في قِيَم ومَبادِئ الحَيَاة؛ فطِيلَة تلك الفَتْرة السَّابِقَة لم يَكُن يُلاحَظ تغيُّراتٍ عَمِيقة أو جَوْهرِيةٍ في البِيئَة الثَّقَافِيَّة بَيْنَ الأَجْيَال المُتَلاحِقَة، ولكن ومَع بَدَاية

1. **عُقْدَةُ أَليكْترا:** أَوَّلُ مَنْ أَطْلَقَ هَذِهِ التسمية هو كارل يونغ عام 1913م، رفض فرويد في واقع الأَمْر التَّسْمِيَةَ الَّتِي أطلقها يونغ صراحةً، لأنّها -على حدِّ تعبيره- " تَسْـعى لتَوْطِيد فكرة التَّشَـابُه بين سُلُوك كلا الجِنْسَيْن"، لذلك، كان فرويد يَستخدم في جميع كِتابَاتِه تَعْبِير "عقدة أوديب الأُنْثَوِيَّة"، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/Xjvkp

الْقَرْن العشريـــن ومع الانْفِتَاح العَرَبيّ على الثَّقَافَـــات الغَّرْبيَّة بدأت ملامِح التَّغَيُّرِ الثَّقَـــافِيِّ في المُجْتَمَع العَرَبيّ بِالظُّهُور، وتنامت ملامح هَذَا التَّغَيُّر في النصف الثَّانِي مِنَ الْقَرْن الماضي، وخاصَّةً مع بداية ظهور الثَّوْرَة التِّكْنولُوجِيَّةُ.

ففي العقود القليلة السَّابِقَة باتَ بالإمكان الملاحظة وبسهولة أَنَّ كُلّ جِيل جديد يختلف ثَقَافِيًّـــا إلى درجةٍ كبيرة عن ســـابقه، وَلَعَلَّ في العولمـــة وَتَجَلِّيَاتِهَا تبريرٌ واضح لهَذَا الاختلاف، **وفيما يلي سنبين أَهَمّ مظاهر الاختلاف الثقافي بَيْنَ الْأَجْيَال في المُجْتَمَع العَرَبيّ والَّتي تَقُود إلى صِرَاع الْأَجْيَال بَيْنَ جِيل الشَّبَاب والْأَجْيَال الْأُخْرَى.**

- **تَبَدُّل الْأَوْلَوِيَّات الثَّقَافِيَّة:** بَاتَ تبدُّل الأَوْلَوِيَّات الثَّقَافِيَّة سِـــمَةً مُلازِمَةً للأَجْيَال المُتَعاقِبَـــة في العالَم العَرَبيّ، فســـادتْ لحِقَبٍ طويلة أَوْلَوِيَّـــاتٌ ثَقَافِيَّةٌ مُعَيَّنَة، كالاهتمام بالشِّـــعْر وبالتَّارِيخ العَرَبيّ ومَعْرِفَة أعلام ورُمُوز هَذَا التَّارِيخ، والَّذِي يَشْـــهد تراجُعًا مَلْحُوظًا لدى جِيل الشَّـــبَاب، والَّذِي يَزْهَد في هَذَا التَّارِيخ وقد يَـــرَى أَنَّ الاهتمام بمجالاتٍ ثَقَافِيَّة أُخْـــرَى قد يكُون أكْثَرَ نَفْعًا، كما أَنَّ اختلاف الـــذَّوْق الثَّقَافيّ العَامّ له دَوْرٌ واضح في هَذَا الأمر، فاختلافُ الذَّوْق المُوسِـــيقِيّ بَيْنَ الْأَجْيَال المتلاحِقَة يَظْهر على أَشُـــدِّه، فجِيل الآباء يَصِف الذَّوْق العَامّ للأبناء ســـواءٌ في الجانب المُوسِيقيّ أو الفَنِيّ أو الثَّقَافِيّ بالمُتَرَدِّي والخَالي مِن أيِّ مَعْنًى أو مُحْتَـــوًى مُفِيد، وعلى الجَانِب الآخَر يَصِـــف الأبناء الذَّوْق العَامّ وثقافة الآباء السَّائِدة بِأَنَّهَا بَالِيَةٌ ولا تمُتّ لرُوح العَصْر بصِلَةٍ.
- **اختِلاف المَرْجِعيَّة الثَّقَافِيَّة:** فجِيل الآباء نَشَـــأَ عـــلى مَرْجعيَاتٍ ثَقافِيَّة واضِحَة ومُحدَّدة، وأضافَ عَلَيْها شيئًا من هَالةِ القَدَاسة والاحْترام المُفْرط، كالمُعَلِّم والكاتب ورَجُل الدِّين، فهَذِهِ المَرْجِعيَّات كانت تُشَـــكِّل المَصْدَر الرَّئِيس للمَعْلُومة لَدَى جيل الآبـــاء طُوالَ قُرونٍ عديدة، أَمَّا لَدَى جِيل الشَّـــبَاب العَرَبيّ وفي الوقت الرَّاهِن فتشـــهد تراجُعًا واضحًا لهَذِهِ المَرْجِعيَّات على حســـابِ مَرْجِعيَّاتٍ عَصْرِيَّةٍ، فبَاتَ الإِنْتَرنت مَصْدرًا رئيسًا للمَعْلُومة لَدَى جِيل الشَّبَاب، وهَذَا التَّبايُن في المَرْجِعيَّات قد يســـبِّب فَجْوة جِيلِيَّة بَيْنَ الشَّبَاب والآباء تُسَاهِم بِشَكْلٍ أو بِآخَر بِتَأجِيج ظَاهِرَة صِرَاع الأَجْيَال.

- **الانفتاح التَّامّ على الحَضَارة الغَرْبيَّة:** إنَّ نَمَاذِج الحَضَارات وانْفِتَاحِها على بَعْض يُعَدّ ظَاهِرةً حضَارِيَّـــة إيجَابيّة، ولكن يجبُ على هَذَا الانْفِتَاح أَنْ يكُون تبادُلِيًّا، لا أَنْ يكُون ذَا اتِّجَاه وَاحِدٍ، وأَنْ يكُون قائمًا على طَرَفيْنِ مُســـتقْبِلٍ ومُرْسِلٍ، وَبالنِّسْبَة للعَالَم العَرَبيّ، فقد فُتِحَت أبواب الثَّقَافة العَرَبيَّة على الغَرَب على مِصْرَاعَيْها، ولم تَكُن البيئَة العَرَبيَّة في هَذَا الانفتاح إلَّا مُتَلَقِّيَة، وممَّا ســـاعَد البيئَة العَرَبيَّة على لَعِب دَوْر المُتَلَقِّي ضَعْفُ الإنْجَاز الحَضَاريّ مقابلَ الإنجاز الغَرْبيّ، ممَّا خَلَقَ جيلًا شابًا مَيَّالًا بالمُطْلَق إلى الثَّقَافة الغَرْبيَّة مقابلَ جيل الآباء المُتَمَسِّـــكِ بما وَجَدَ نفسَهُ عليه، فنشأ صِرَاعُ الجيلَيْنِ كنتيجةٍ لِتَمَسُّـــكِ كُلّ جيل بقناعاته، الشَّبَاب مَيَّالُونَ للثَّقَافَة الغَرْبيَّة مع زُهْدٍ بالثَّقَافة العَرَبيّة، والآباء مُتَمَسِّكون بالثَّقَافة العَرَبيَّة ونَافِرُون من نَظِيرتها الغَرْبيَّة.

الأَسْبَاب الاجْتِمَاعِيّة

يُعَدّ اختلاف النَّمَط الاجْتِمَاعيّ للحَيَاة بَيْنَ جيلِ الشَّبَاب في العَالَم العَرَبيّ وجيل الآباء أَحَدَ أَسْـــبَاب تَنَامي ظاهِرَة صِرَاع الأَجْيَـــال، وخاصَّةً أَنَّ لبَعْض الطُّقُوس الاجْتِمَاعيّة أَهَمِّيَّـــةً بالِغَةً لَدَى الآباء قد يَرَوْنَ الخُـــرُوج عَنْها ضَرْبًا من ضُرُوب خَدْشِ الحَيَاء أو الاســـتهتار بالقِيَم، **وفيما يلي تِبْيان لأَهَـــمّ مَظَاهِر الاخْتِلاف الاجْتِمَاعيّ بَيْنَ جِيل الشَّبَاب وجِيل الآباء في المُجْتَمَع العَرَبيّ.**

- **تبايُن العَادَات الاجْتِمَاعيّة:**

فالعَـــادَات العَرَبيَّة الَّتِي تَحْكُم قَضِيَّة الزَّوَاج وتَكْويـــن الأُسْرَة تُعَدّ مِنَ العَادَات المَوْرُوثة والَّتِي لها تقاطُعاتٌ واضِحَة مع تَعَاليم الدِّين الإِسْلامي السَّائِد في العَالَم العَرَبيّ، وفي غالِبِيَّة المُجْتَمَعَات العَرَبيَّة هناك طُقُوس مُحدَّدة لهَذَا الأَمْر لا يَجُوز الإخْـــلَال بها، فلِقُرُونٍ عديدةٍ كان الأَهْل يَتولَّوْن مُهمَّة اختيار الزَّوْجة لِلابْن، أمَّا في الوَقْت الحَاليّ فيَمِيل غالِبيَّة الشَّـــبَاب إلى اختيار الزَّوْجَة بأَنْفُســـهم، وهَذَا يُشَكِّلُ من وِجْهة نَظَر الآباء خروجًا على المتعارَف عليه، ممَّا قد يسبِّب صِدامًا في القَنَاعات الاجْتِمَاعِيّة؛ يُفْضِي إلى تنامي ظاهِرَة صِرَاع الأَجْيَال.

- **دُخُول المَرْأة إلى سُوق العَمَل:**

فالبِيئَة الاجْتِمَاعِيّة العَرَبِيَّة تُوصَفُ كبِيئَةٍ محافِظَة، وقد لا تَلْقَى قَضِيَّة عَمَل المَرْأة وخُرُوجها مِنَ المنزل قبُولَ واستحسانَ الآباء، بينما يراها الشَّبَاب قَضِيَّةً عَصْرِيَّة وواجبًا اجْتِماعيًّا، فهَذَا الاختلاف في النَّظَر لهَذِهِ القَضِيَّة الاجْتِمَاعِيّة مِن شَأْنه تَشْكِيلُ بِيئَةٍ تُسَاعِد على صِرَاع الأَجْيَال، وهُنا تَجْدُر الإشارة إلى أَنَّ الاخْتِلاف في وُجْهة النَّظَر لعَمَل المَرْأة في العَالَم العَرَبيّ لَيْسَتْ وَليدةَ اليَوْم، بل هي مَحَطّ خِلافٍ بَيْنَ جيلِ الشَّبَاب وجيل الآباء مُنْذ مَطْلَع القَرْن العشرين وخاصَّةً أَنَّ الشَّبَاب العَرَبيّ آنَذَاك مِمَّن زَارُوا بِلاد الغَرْب رَأَوْا في قَضِيَّة عَدَم السَّمَاح للمَرْأة بالعَمَل ظاهِرَة اجْتِمَاعِيَّة سَلْبِيّة، وفي حِينِها شَكَّلَت هَذِهِ القَضِيَّة صراعًا جيليًّا واضحًا، وهَذَا ما يُمْكِن الاستدلالُ عليه من قَصِيدةٍ للشَّاعِر حَافِظ إبْرَاهِيم(1) يَنْتَقِد فيها مَن يُصِرُّ على عَدَم السَّمَاح للْمَرْأة بالخُرُوج من بيْتها، فَقَال:

بَيْنَ الرِّجَالِ يَجُلْنَ في الأَسْوَاقِ	أَنَا لا أَقُولُ دَعُوا النِّسَاءَ سَوافِرًا
فِي الحَجْبِ والتَّضْييقِ وَالإِرْهَاقِ	كَلَّا ولَا أَدْعُوكُمُ أَنْ تُسْرِفُوا
في الدُّورِ بَيْنَ مَخَادِعٍ وطِبَاقِ	لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ أَثَاثًا يُقْتَنَى
فَالشَّرُّ فِي التَّقْيِيدِ وَالإِطْلَاقِ(2)	فَتَوَسَّطُوا في الحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا

فَقَضِيَّةُ عَمَلِ المرأة قضيةٌ إشكاليةٌ في المُجْتَمَعِ العَرَبيِّ، وهيَ بالإضافةِ إلى تَصْنِيفِهَا ضِمْنَ الأَسْبَابِ الاجْتِماعِيَّةِ لصِراعِ الأَجْيَالِ، فَإِنَّ هذهِ القضيةَ ذاتُ موضعِ خلافٍ

1. **حافظ إبْرَاهِيم:** (1932-1972م)، شَاعِر مصْريّ ذَائِع الصِّيت، وُلِدَ في أُسْيُوط لأبٍ مِصْريّ وأمٍّ تُرْكِيَّة، عَاصَر أَحْمَد شَوْقِي ولُقِّب بشَاعِر النِّيل وبشَاعِر الشَّعْب، نَشَأَ يَتِيمًا فكفَلَه خَالُه، الَّذِي سَرْعَان ما ضَاق بنَفَقَته، فهَجَره ورَحَل إلى القاهرة، وهناك دَرَس في كُتَّاب وبدأ نُبُوغه في الشِّعر يَظْهر مِن حَدَاثة سِنِّه، يُعْتَبَر شِعْرُه سِجلّ أَحْدَاث، فقَدْ كان يترَبَّص كُلَّ حَادِثٍ هامٍّ يَعْرِض فيَخْلُق منه مَوْضُوعا لشِعْره ويملَؤُه بما يَجِيش في صَدْره، وله إِسْهَامَات في التَّرْجَمة في مواضيع التَّرْبِيَة والاقْتِصَاد، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/QuT1Y
2. إبراهيم، حَافِظ. **كَمْ ذا يُكابِدُ عاشِقٌ ويُلاقِي. موقع الدِّيوان**، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/hWxmc

ضِمْنَ الجيلِ نَفْسه، فَنحنُ هُنَا لا نَدَّعِي أنَّ الشَّبابَ العَرَبيَّ يُؤَيِّدُ بالمُطْلق عَمَلَ المرأةِ مُقَابِلَ مُعارَضَةِ جيلِ الكبارِ لها، فالإشـــكاليةُ الَّتِي تُوَلِّدُها هذهِ القضيةُ تَجِدُ أصداءً لهـــا في الجانبِ الدِّينيِّ والاجْتِمَاعِيِّ وَالثَّقَافيِّ في المُجْتَمَعِ العَرَبيِّ، واللَّافِتُ هنا أنَّ كِلَا المَوْقِفَـــيْنِ المُؤَيِّدِ والمُعارِضِ لَدَيْهِ مِن الحُجَجِ والبَرَاهِينِ ما يُعِينهُ على التَّمَسُّـــكِ بمَوْقفه ويرى فيه صوابًا لا تَشُـــوبُهُ شائِبةٌ، فالمُؤَيِّدُونَ لعمل المرأة يَتَذَرَّعُونَ بمعيارِ المُســـاواةِ الاجْتِماعِيَّةِ، ويَرَونَ في المَنْع تَحَيُّزًا واضِحًا للرجل، وأَنَّه مَوْقفٌ يَسْـــتقِي مُبَرِّرَاتِه مِن القِيَم التَّاريخيَّةِ وبالتَّالي فهو اســـتحضارٌ للتَّاريخِ ليحيا بين ظَهْرَانَيْنَا؛ بيْنَـــما يرى المانِعونَ لهذه القضيَّةِ في عمل المرأةِ إخْلالًا بالتَّوازُنِ الاجْتِماعيِّ القائم في المُجْتَمعِ الشَّرْقِيِّ، فعملُ المرأةِ سَـــيَقُودُها حُكْمًا إلى التَّخلِّي عن بعضِ واجباتها المنزليَّـــةِ، بالإضافـــةِ إلى أنَّ قضيَّةَ عَمَلها تُعتبرُ منافســـةً للرجُلِ في الحصولِ على العمل، وَبالتَّالي فإنَّ انتشـــارَ عملِ النِّساءِ سيقابِلُهُ بدونِ أَدْنَى شكٍ خُروجُ قِسْمٍ كبيرٍ من الرِّجالِ من السُّـــوقِ وهذا ما يُنْذِرُ بخللٍ اجتْماعيٍّ واقْتِصَادِيٍّ، وهُمْ يرونَ بأنَّ اقتصارَ عملِ المرأةِ على تَدْبيرِ شـــؤونِ بَيْتها ليس انْتِقاصًا من قَدْرِها، بلْ هِيَ مُهِمَّةٌ ساميةٌ، ولفظُ " رَبَّةِ المنزلِ " فيه من الاحترامِ للمرأةِ ما لمْ يَمْنَحْها إياهُ أيَّ عملٍ آخَرَ، كما يرى أصحابُ هذا الرَّأيِ أنَّ الاقتداءَ بالمُجْتَمَع الغَرْبيِّ في هذه القَضِيَّةِ فيهِ إغفالٌ واضِحٌ لخُصُوصيَّةِ كلِّ مُجْتَمعٍ، فالبِنْيةُ الاجتماعيَّةُ الغَرْبِيَّةُ تختلفُ عن الشَّرقيَّةِ، كَما أَنَّهُ ليس من الواجبِ اقتباسُ أيِّ ظاهرةٍ غَرْبيَّةٍ ونَقْلُها للمُجْتَمعِ الشَّرْقيِّ، فالاقتباسُ عن الغَرْبِ ليسَ واجبًا حضاريًّا، فمُعظمُ العاداتِ الاجتماعيَّةِ الغربيَّةِ تُخالِفُ وِجْهَةَ النَّظَرِ الشَّرْقيَّةِ، فَلِمَ وَجَبَ الاقتباسُ في قضيةِ عملِ المرأةِ وبَطَلَ في غَيْرِهَا؟!

- **اخْتِلَافُ قِيَم ومَبادِئ التَّرْبِيّة:**

قَـــدْ تَخْتلف القِيَم الَّتِي يُرَبيِّ الآباءُ الأبناءَ عليها باختِلاف العُصُور والدُّهُور، وبتغيُّر أحوال الدُّنْيا ومُتطلَّبات الحَيَاة، إلَّا أَنَّ هَذَا التَّغَيُّر والاختِلَاف يَبْقى في حُدُودٍ ضَيِّقَة لا يَطَالُ الأساسيَّات والمُسَلَّمَات، وبِشَكْلٍ عَامٍّ يُعْتَبَرُ مُعَدّل تبدُّل قِيَم التَّربِيَة منخفضًا بِشَكْلٍ عَامٍّ في البِيئَة الاجْتِمَاعِيّة العَرَبِيّة، إلَّا أَنَّه وفي العُقُود السَّابِقَة الأَخِيرة شَهِدَتْ

بَعْضُ القِيَم التَّرْبَوِيَّة تَبَدُّلًا ولو كان بسيطًا وظاهريًّا، إلَّا أنَّه تَرَكَ شَرْخًا لابَأْس به بَيْنَ الشَّــبَاب والآبَاء، فَحَتَّى وَقْتٍ سَابِق لم تَكُن تَسْمَح القِيَم التَّرْبَوِيَّة للأبناء بالخُروج على رَأْيِ الوالِد أو الاعتراض على قراراته وأحْكَامه ذَاتِ العَلَاقَةِ بالقَضَايَا الرَّئِيسَة فيما يتعَلَّق بشُــؤون الأُسْرة، إلَّا أنَّ شباب اليَوْم يَرَوْن في هَذِهِ القِيَم تَكْبيلًا وإعاقَةً لِمَســيرَة التَّطَوُّر الاجْتِمَاعِيّ، فلَا بُدَّ للآباء من مُشَاورة الأبْنَاء في مُخْتَلف القَضَايا، وأَخْذ رَأْيهم فِيمَا يَتَعَلَّق بشُؤونهم، فَالشَّبَابُ يُفَضِّلون انتهاج وَسَائِل جديدةٍ في تَنْشِئَةِ أَبْنَائِهِمْ قد تختلفُ في الشَّكلِ عن تلك الَّتي اتَّبَعَها جِيلُ الكبارِ سابقًا؛ وهَذَا الاخْتِلَاف ولو كان نِسْبيًّا قد يُسَبِّب صِراعًا بَيْنَ الجِيلَيْنِ، وهنا لَا بُدَّ مِنَ التَّأكِيدِ على أَنَّ كُلّ عصرٍ وكُلّ جِيلٍ له مِنَ القِيمِ ما يُمَيِّزه عن غيره، مع استمراريَّة القِيمِ الرَّئِيسَة.

- **وقَضِيَّة اخْتِلَاف وسائل التَّربِيَة:**

فقَضِيَّةُ اختلافِ الوَســائِلِ الَّتِي تَقُوم عليها التَّربِيَةُ تُعتبرُ من القَضَايا الخِلافِيَّة بين الأَجْيالِ المُتَعاقِبة، فقد تَتَشَــابَهُ القِيَمُ والمبادِئُ الَّتِي يَتِــمُّ تربيةُ الأَوْلَادِ عليها، إلَّا أَنَّ الاختلافَ يكونُ في الوَسيلةِ الَّتِي يَتِمُّ وَفْقَها توصيلُ هذه القِيَمِ للأبناءِ، فَلَدى جِيلِ الآباءِ كَانَ مِن المألوفِ أنْ يُضرَبَ الأبناءُ في حالِ إساءَتِهِمُ السُّلُوكَ، أَمَّا لدى الجِيلِ الحَاليِّ فهناك مَيْلٌ لتَقْديمِ المبادِئِ للأبناءِ بطُرُقٍ أُخْرى، وهذه القَضِيَّةُ ليست بالجديدة جِدَّةً تَامَّةً على المُجْتَمَع العَرَبِيّ، ففي مَطْلَعِ القَرْن العشرين نَادَى البعض باحترام اخْتِلَاف الأبنـــاء عن الآباء، ففي هَذَا الشَّــأْن يقول الأديب والمفكِّـــر جبران خليل جبران[1]:
"أَوْلَادُكم لَيْسُوا لَكُم، أولادُكم أبناءُ الحَيَاةِ، والحَيَاةُ لا تَعِيش في مَنَازِلِ الأَمْسِ"[2].

1. **جبران خليل جبران:** (1931-1883م)، شَاعِر وكاتِب ورسَّام لُبْنَانيّ من أُدَباء وشُعَراء المَهْجَر، وُلِد في بَلْدة بُشْرى في شَمَال لُبْنَان زَمَن مُتَصَرِّفِيَّة جَبَل لبنان، في سوريا العُثْمانيَّة ونَشَأَ فقيراً، لم يَتَلَقَّ أيَّ تعليم رَسْميّ في لبنـان، هَاجَـر صَبِيًّا مع عَائِلَتِـه إلى الوِلايات المُتَّحدة الأمْريكيَّة، ليَدْرُس الأَدَبَ وليبدأ مَسِـيرته الأدبيَّة، والكِتَابة باللُّغَتَيْن العَرَبيَّة والإنجليزية، امْتَاز أُسْلوبه بالرُّومانْسيَّة ويُعْتَبَر من رُمُوز ذِرْوة وازدهار عَصْر نَهْضة الأَدَب العَـرَبيّ الحديث، وخاصَّة في الشِّـعرِ النثريّ، كان عضوًا في الرَّابِطَـة القَلَميَّة في الولايات المُتَّحِدة الأمْريكِيَّـة، كَتَـبَ عِدَّةَ كُتُب منها المَوَاكِب، وأَجْنحَة مُتَكسِّرة، وأشـهر كُتُبه على الإطلاق كتاب النَّبيّ، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/ETgi5
2. جبران، جبران خليل. النَّبِيّ. تَرْجَمة سَامِي الخوري، دار الجيل للطِّبَاعَة والنَّشْر والتَّوْزيع، الطَّبْعة الثَّانِيَة، 2004م.

وهنا لا بُدَّ من اسْتِحضارِ نَتائجِ دِراسَةٍ أَمْريكيَّةٍ أُجْرِيَتْ عام 2005م بعنوان "تَقْريبُ الفَجْوةِ بين الأَجْيالِ"(1)، وشَـــمِلَتْ هذه الدِّراســـةُ 3,200 شَخْصٍ مِمَّن وُلِدُوا بين الأعوامِ (1986-1925م)، وكانت أعْمَارُهُم تتراوَحُ بين (80-19 عام)، واللَّافِتُ في هذه الدِّراســـةِ أنَّ مُدَّةَ كُلِّ جيلٍ أقلُّ مــمَّا ذهب إليه دور كايم، ومُدَّةُ الجيلِ في كُلِّ فـــترةٍ كانت تختلفُ عن الجيلِ الآخَرِ، وهذا ما يُعَزِّزُ ما ذهبنا إليه في قَوْلنا إنَّ مُدَّةَ الجيلِ أو عُمْرِه تتناسَبُ عَكْسِيًّا مع مُسْتوى التَّطوُّرِ الاجْتِماعيِّ والتِّكْنولوجيِّ؛ فوَفْقًا لهذه الدِّراسة **تَمَّ تقسيمُ الأجيالِ إلى:**

1. **الجيلُ الصَّامتُ:** ويشـــمَلُ الَّذينَ وُلِدوا بين العامَيْنِ (1945-1925م) وسُمُّوا بالجيلِ الصَّامتِ كَوْنَهم تعرَّضُوا للآثارِ السْـــلبيَّةِ لأزمةِ الكســـادِ الكبيرِ وللآثارِ الكارِثيَّةِ للحربِ العالَميَّةِ الثَّانيَةِ.
2. **جيلُ أوائلِ المُنْتعِشينَ اقْتِصاديًّا:** وهم الَّذينَ وُلِدُوا في الفترةِ ما بين (1954-1946م)، وهم الَّذينَ تَمَتَّعُـــوا ببعض الرَّفَاهَ الاقْتِصَاديِّ النَّاتجِ عن الحَرَكةِ الاقتصاديَّةِ الَّتِي صَاحبَتْ إعادةَ الإعمارِ في العالَمِ عَقِبَ الحربِ العالَميَّةِ الثَّانيَةِ.
3. **جيلُ أواخرِ المُنْتَعِشينَ اقْتِصاديًّا:** وهم الَّذينَ وُلِدوا في الفترةِ ما بين (1963-1955م)، وأبناءُ هذا الجيلِ تَمَتَّعُوا ببعض الرَّفَاهِ الاقتصاديِّ النَّاتجِ عن الحركةِ الاقْتِصاديَّةِ الَّتِي صاحَبَـــتْ إعادةَ الإعمارِ، وإنْ كان هذا التَّمَتُّـــعُ في أواخِره، ففي هذه الفَتْرةِ بدأتِ التَّداعياتُ الاقْتِصاديَّةُ السَّلْبيَّةُ للحربِ البارِدةِ تَطفو على السَّطحِ.
4. **أوائـــلُ الجيلِ الجديدِ:** وهم الَّذينَ وُلِدُوا في الفَتْرَةِ ما بين (1976-1964م)، وهم الَّذِينَ عاصَرُوا الانطلاقةَ الأَوَّلى للثَّوْرةِ التِّكْنُولُوجيَّةِ، والَّتِي أَلْقَتْ بظِلالِها عـــلى الحياةِ الاجتماعيَّةِ والاقْتِصاديَّةِ ولو كانـــت في حُدودٍ ضيِّقَةٍ، كما كانت تأثيراتُ العَوْلَمةِ قد بدأتْ بالظُّهور.

1. ديـــلا، جينيفـــر. **تَقْريبُ الفَجْوةِ بينَ الأَجْيالِ**. جوسي ديل، 2005م، مَوْســـوعةُ التَّدِريبِ والتَّعْليمِ، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/IVbWh

5. **أواخـــرُ الجيلِ الجديدِ:** وهم الَّذينَ وُلِدَوا في الفَتْرَةِ ما بين (1986-1977م)، وفي هذه الفَتْرةِ بدأت تَتَعزَّزُ آثارُ العَوْلَمةِ وآثارُ الثَّوْرةِ التِّكْنُولُوجيَّةِ.

وبِالرَّغْمِ من أَنَّ هذه الدِّراســـة تمَّتْ على أَفْـــرَادٍ من المُجْتَمعِ الغربيِّ، فإنَّه بالإمكانِ سَـــحْبُ التَّقْسيماتِ السَّابقةِ على المُجْتَمعِ العربيِّ، مع إضافةِ مُعَدَّلِ تأخيرٍ زمنيٍّ يمكنُ افتراضُهُ بخمســـةَ عَشَرَ عامًا، كَوْنُ معظمِ الظَّواهرِ التكنولوجيَّةِ والاجتماعيَّةِ تبدأُ في الغربِ ولاحقًا تَجِدُ طريقًا لها إلى المُجْتَمعِ العَرَبيِّ، وهذا التَّأخيرُ الزَّمنيُّ يتناقصُ معَ تقـــادُمِ الوقتِ، ففي الوقتِ الحَاليِّ يمكنُ القولُ بأنَّ هذا الهامِشَ الزَّمنيَّ قدْ تلاشى تقريبًا كنتيجةٍ للثورةِ التِّكْنُولُوجيَّةِ الثَّالثَةِ.
ومِن الضَّرُوري التَّنْويهُ إلى أنَّ الدِّراسةَ السَّابقةَ أفْضَتْ إلى عدَّةِ نتائجَ، ما يَهُمُّنا منها أنَّ القِيَمَ الاجتماعيَّةَ مُشترَكَةٌ بينَ هؤلاءِ الأجيالِ جميعًا، إلَّا أَنَّهمْ يختلفونَ في طريقةِ التَّعْبيرِ عنها، وهذه النَّتيجةُ هيَ الأُخْرَى يُمكنُ إســـقاطُها على المُجْتَمعِ العَرَبيِّ، فَحَتَّى الآنَ لا يُمكنُ الادِّعاءُ بأنَّ الأجيالَ الشَّـــابَّةَ في المُجْتَمعِ العَرَبيِّ ترفضُ القِيَمَ والمَبادئَ الاجتماعيَّـــةَ الَّتي كانتْ لدى جيلِ الآباءِ، إلَّا أَنَّهمْ قدْ يختلفونَ في طريقةِ التَّعْبيرِ عنْ هذهِ المبادئِ، الأمرُ الَّذي قدْ يَخْلُقُ صِراعًا بينَ الجِيلَيْنِ، وهذا الصِّراعُ كَمَا أَوْضَحْنا لا يَرْتبطُ بمضمونِ القِيَمِ والمبادئِ بلْ بِشَكْلِهَا، وبطريقةِ التَّعبيرِ عنها.

الأَسْبَابُ الاقْتِصَادِيَّة

تُعَدّ العواملِ الاقْتِصَاديَّة أحَدَ أَسْـــبَاب الصِّرَاع بَيْنَ الأَجْيَال في المُجْتَمَع العَرَبيّ، فنِسَـــب الفَقْر والبطَالَة المرتفعَة في المُجْتَمَع العَرَبيّ بِشَـــكْلٍ عَامٍّ، وبَيْنَ الشَّبَاب بِشَكْلٍ خاصٍّ تَقُود إلى التوَتُّـــر الأُسَري، وهناك عَلَاقَة ارتباطٍ مباشِرةٌ بَيْنَ مُعَـــدَّلات الفَقْر المُرْتَفِعَة وبَيْنَ الصِّرَاع الأُسَرِيّ(1)، فبالبِطَالة في العَالَم العَرَبيّ يُمْكِن وَصْفُها بِأَنَّهَا ذات نِسَـــبٍ مُرتَفِعَة

1. ليلـــة، عـــلي. **الأَمْن القَوْميّ العَرَبيّ في عَصْر العَوْلَمة، تَفْكِيك المُجْتَمَـــع وإضْعَاف الدَّوْلَة**. مِصْر، القَاهِرة: مكتبة الأنجلو مصرية، الطَّبْعة الأُولَى، 2012م، ص236.

نِسْــــبيًّا، فقد أصْدَر البَنْك الدَّوْليّ بالتَّعَاوُن مع مُنَظَّمَة العَمَل الدَّوْليَّة تقريرًا حول نِسَــــب البطَالة في العَالَم العَرَبيّ، وكانت النِّسْبة الأعلى في اليَمَن إذ بَلغَت 60 % وتتَرَاوح النِّسَب في باقـــي الدُّوَل العَرَبيَّة بَيْنَ (17-10 %)[1]، ولهَذِه النِّسَـــبُ المرتَفعةُ مِنَ البطَالة تأثيرٌ مباشِرٌ على عَلَاقَة الشَّبَاب بالآباء، ففي ظِلِّ البطَالة والفَقْر يُضْطَرُّ الشَّبَاب للبَقاء في كَنَف الأَهْل ماليًّا، ممَّا يُعيق نَزْعَةَ الشَّبَاب للاسْتِقْلَال، والتَّبَعِيَّةُ المَاليَّةُ للأَهْل سَتُسبِّب وعلى المَدَى الطَّوِيل تَوتُّرًا أُسَريًّا بَيْنَ الشَّبَاب والآباءِ تنتهي بأَحَد أَشْكَالِ الصِّرَاع الفِكريِّ.

ومِن الأَســـبابِ ذاتِ الصِّبْغةِ الاقتصاديَّةِ والَّتِـــي تَقُودُ إلى صِراعِ الأجيالِ رَغْبةُ بعضِ الأهلِ في إبقاءِ الأبنـــاءِ في كَنَفِهِمْ اقتِصاديًّا ولو كانوا مُقْتدِرينَ مَاديًّا، فالبعضُ مِن الأهلِ قدْ يُعارِضُ فكرةَ اســـتقلالِ الأبناءِ اســـتقلالًا تَامًّا، ويُفَضِّلونَ بقاءَ أبنَائِهم مِن الشَّـــبابِ مُرْتَبِطينَ بهمْ ارتباطًا تامًّا، وممَّا لا شَكَّ بِهِ أنَّ هذا الارتباطَ يُعارِضُ النَّزْعَةَ الفِطْرِيَّةَ لدى الشَّبابِ للاسْتِقْلَالِ، مِمَّا يَقُودُ حُكْمًا على الاصْطِدَامِ بَيْنَهم وبَيْنَ الأهلِ، ولَعلَّ هذهِ الظاهرةَ تُعْتَبَرُ أكثرَ شُـــيوعًا في المجتمعِ الشَّرْقيِّ مُقارَنةً بالغَرْبيِّ، وتَتعدَّدُ أســـبابُ ميلِ الأهلِ لهذا الأمرِ، فمنها ما هـــو نَفْسيٌّ كالخَوْفِ على الأبناءِ مِنْ إضاعةِ المَالِ، أوِ التَّأْثيرِ السَّـــلبيِّ للمالِ على الأبناءِ كالدَّفْعِ بهمْ إلى بعضِ أشـــكالِ الانحرافِ، ومنها ما يَرْتبطُ بالنَّزْعةِ السُّـــلْطَوِيَّةِ للأبِ الشَّرْقيِّ، فقد تَجِدُ أبناءً بَلَغُوا مَبْلَغَ الرِّجالِ ولمَّا يَمْلِكُوا أَمْرَهمْ بالكاملِ، وخاصَّةً في القضايا الماديَّةِ، إذْ تَبْقى يدُ الأبِ هيَ النافذةُ في مُلْكِه، حَتَّى مَوْته، وبالتَّأكيدِ فإنَّ هَذَا التَّقْييدَ لحُريَّةِ الأبناءِ الماليَّةِ مِنْ شَأْنها إشعالُ الصِّراعِ بينَ الأبناءِ والآباءِ، ولَعلَّ في المَثَلِ العَربيِّ المُسْـــتَقَى مِنْ قصةٍ شعبيَّةٍ عربيَّةٍ[2]

1. إنفوجـــراف أعْلَى وأَدْنَى مُعَدَّلَات البَطَالَة في العَالَم العَــرَبيّ، تقرير مُنَظَّمَة العَمَل الدَّوْلِيَّة والبَنْك الدَّوْليّ، يوليو 2018م، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/ehGea
2. تَقُولُ إحدى القَصَص الشَّعْبيَّة العَرَبيَّة في أَحَد أَجْزائها: قَدِمَ حَكيمٌ أعرابيٌّ من سَفَرٍ طويلٍ، فقيلَ له قُبَيْلَ وُصُوله لِدَارِه: مَات أَبُوك، فقال مَلَكْتُ أَمْري؛ وقِيلَ له أيضًا: مَاتَتْ امْرأتُك، قال جَدَّدْتُ فِرَاشي؛ وقِيلَ: ماتَتْ أختُك، قال سَـــتَرَتْ عَوْرتي؛ وقِيلَ: ماتَ أَخُوكَ، قال كُسِرَ ظَهْري، للمَزِيدِ: مَوْقعُ فَضِيلَةِ الشَّـــيْخ عَبْدالكَرِيم تتان، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/u1bDn

والَّذي يقولُ: "منْ ماتَ أَبُوهُ مَلَكَ أَمْرَهُ" تِبْيانٌ واضحٌ لا لَبْسَ فيهِ أنَّ البيئةَ الاجتماعيَّةَ العربيَّةَ تَفْرِضُ قَيْدًا مِن الآباءِ على الأبناءِ لا سِيَّمَا في الجانبِ الاقتِصاديِّ.

ومِن الأسبابِ المؤَدِّيَةِ لهذا الصِّراعِ تحميلُ الشَّبابِ لجيلِ الآباءِ مَسْؤُوليَّةَ تَرَدِّي الأوضاعِ الاقتِصاديَّةِ، فبعضُ الشَّـــبَابِ وخاصةً في البيئاتِ الفَقيرةِ يَرَوْنَ أنَّ تَقاعُسَ الآباءِ أوْ عَدَمِ حِنْكَتِهِمُ الاقتصاديَّةِ هوَ ســـببُ تَرَدِّي أوضاعهمْ الاقتصاديَّةِ، بِمَعْنَى أنَّ الشَّبَابَ يتحمَّلونَ الوِزْرَ الاقتصاديَّ لأخطاءِ الآباءِ.

الأَسْبَاب السِّيَاسِيَّة:

إنَّ البيئَة العَرَبيَّة المُشْبَعَةَ بالتوتُّرات السِّيَاسِيَّة، والَّتِي غالبًا ما تتطوَّر لتوتُّرات عَسْكريَّة وأَمْنيَّة تُشَكِّل أحَدَ مُسبِّبات ظاهِرَة صِرَاع الأَجْيَال، وتختلف هَذِهِ الأَسْبَاب عن سَابِقَاتها في كَوْن الأَسْـــبَاب السِّيَاســـيَّة تُعَدُّ مُنخفِضةَ الأَثَرِ على صِرَاعِ الْأَجْيَال داخِلَ مَنْظومة الأُسْرَة، إذْ إنَّ أَثَرَهـــا البارِزَ يَظهرُ على مَفْهُوم صِرَاع الْأَجْيَال على مُسْـــتَوى المُجْتَمَع بأكْمَله، فصِرَاعُ الْأَجْيَال النَّاجِم عن الأَسْـــبَاب السِّيَاســـيَّة يُقَسِّم المُجْتَمَع إلى قِسْمَيْن مُتمايزَيْن، جِيلِ الشَّبَاب وجِيلِ الآباء.

فالعَالَم العَرَبيّ يُعاني من إقصاء الشَّبَاب عن أيِّ دَوْر سِياسِيّ، وللمفارَقَة هنا، فإنَّ أيَّ قَرار خاطِئ يأَخُذُه السِّياسِيُّون سَيَدْفع الشَّبَابُ العَرَبِيُّ ثَمَنَه من دمائهم، وذلك بزَجِّهم في أَتُون صِرَاعاتٍ لا نَاقَةَ لهم فيها ولا جَمَل، أَفَلَيْسَ مِنَ العَدْل أَنْ يُسْتَشَـــار الشَّبَاب في القَرارَات الَّتِي سيَكُونون وَقُودًا لها، ومَنْ يَطَّلِع على الواقع السِّياسيّ العَرَبيّ يَجِد أَنَّهُ قَلَّما تَخْلو دَوْلَة عَرَبيَّة من حِزْب أو حَرَكة سِياسِيَّة تحمل اسم الشَّبَاب، وحَتَّى على مُسْـــتَوى الحُكُومات، فغالِبِيَّة الدُّوَل تمَلِك وزارةً مُخَصَّصةً للشَّـــبَاب وشُؤونهم، فمَنْ يرى هَذِهِ الأَســـماءَ والعناوِين يَعْتَقِد جَازِمًا بِأَنَّ مُشارَكَة الشَّبَاب العَرَبيّ في الحِراك السِّياسِيّ على أَفْضَل ما يُرَام، إلَّا أَنَّ الواقِعَ يُجَافي هَذَا الاعتقادَ بالكَامِل.
إنَّ إقْصَاء الشَّـــبَاب عن الحَيَاة السِّيَاسِيَّة لصَالِحِ جيل الآبَاء سَيُولِّد شَرْخًا سِياسيًّا في المُجْتَمَـــع، حَالَما يتطوَّر ليَتحَوَّل إلى صِرَاعِ أجيالٍ قد يأخُذُ صُورًا عســـكريَّة في بعض

الأحْيَان، وَلَعَلَّ في الحَرَكة الشَّبَابية الفَرَنْسيَّة عام 1968م مثالٌ على صِرَاع الْأَجْيَال على مُسْتَوى المُجْتَمَع ككُلّ.

ومِنَ الأَسْبَاب السِّيَاسِيَّة الَّتِي تسبِّب صِرَاع الْأَجْيَال في العَالَم العَرَبيّ تعدُّد الوَلَاءات السِّيَاسِيَّة داخِلَ البيئَة الواحِدَة وحَتَّى داخل الأُسْرَة الواحِدة، وتحْصُل تَعَدُّديَّة الولاءات هَذِهِ في حَال تعدُّد الأحزاب والحَرَكات السِّيَاسِيَّة وتَبَنِّي كُلٌّ منها مشاريعَ ومواقِفَ قد تتعارَض مع مشاريع الأُخْرَى، إضافَةً إلى ظُهور الوَلاء الخَارِجيّ بَيْنَ هَذِهِ الأحزاب، فعلَى سَبيل الْمِثَالِ: يُعَدّ لُبنانُ الدَّوْلَةَ الأكثرَ غِنًى بالحَرَكات والأحزاب السِّيَاسِيَّة على مُسْتَوى الوطن العَرَبيّ بالكامِل إذ يبلغ عَدَد الأحزاب فيه ما يزيد على 120 حِزْبًا وحَرَكة سِياسِيَّة(1)، مع أَنَّ هذا العَدَد الكبير لا يَتناسَب مع مِساحَة لُبنان الصَّغيرة.

الأَسْبابُ الفِكريَّة / الآيْدِيُولُوجيَّة:

فالقَاعِدةُ الفِكْرِيَّةُ للشَّبابِ العَرَبيِّ تختلفُ اختلافًا واضحًا عنْ تلكَ المَوْجُودة لدى جيلِ الآباءِ، ولتوضيحِ هَذَا الاختلاف يمكنُ تتّبعُ التَّغَيُّرِ الفِكْريِّ وَالْآيْدِيُولُوجيِّ في البيئَةِ العَرَبيَّة منذُ بدايةِ النِّصْفِ الثَّاني مِنَ القَرْنِ الماضي وُصولًا للوَقتِ الرَّاهِنِ، فجِيلُ الآباءِ نَشَأَ في بيئةٍ اجتماعيَّةٍ وسِياسيَّةٍ قَادَتْهُ إلى تَشْكيل بِنْيَةٍ آيْدِيُولُوجيَّة قائمة في أساسِها على أفكارٍ عُرُوبيَّةٍ وقَوْميَّةٍ، حيثُ شِهِدَ التَّيَّارُ القَوْميُّ العَرَبيُّ ذُرْوَتَهُ في سِتِّينِيَّاتِ القَرْنِ الماضي، كما فرَضَتِ الحروبُ العديدةُ الَّتِي خَاضَها العالَمُ العَرَبيُّ في خِضَمِّ الصِّراعِ العَرَبيِّ الإسْرَائِيليِّ تعزيزًا لهذا الاتِّجاهِ الْآيْدِيُولُوجيِّ القَوْميِّ، وتَعَزَّزَتْ هذه الْآيْدِيُولُوجيا منْ خِلالِ دَعْمٍ كبيرٍ قدَّمهُ أَعلامُ الثَّقافةِ والفنِّ آنذاك، كَمَحْمُود دَرْويش وغَسَّان كَنَفاني وسَمِيح القَاسم وغَيْرُهُمْ في الأدب، وأمُّ كُلْثوم في الجانبِ الفَنِّيِّ كأُغْنِيَتها "الآنَ صَارَ عِنْدي بُنْدُقِيَّةٌ"، وهذا التَّوجُّهُ الفِكْريُّ كانَ على حسابِ التوجُّهِ الإسلاميِّ السِّياسِيِّ الَّذي شِهِدَ انْحِسَارًا شِبْهَ تامٍّ في تِلْكَ الحِقْبةِ، وخاصةً أنَّ

1. قَائِمَة الأحْزَاب السِّيَاسِيَّة في لُبنان". مَوْقع المَعْرفة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/BhRG2

التَّوجُّهَ الإسلاميَّ شَهِدَ معارَضةً مِن الرَّئِيسِ جَمَال عَبْدالنَّاصِر وذَلِكَ على خَلْفِيَّةِ خِلافِهِ الشَّهِيرِ مَعَ جماعةِ الإخوانِ المُسْلِمِينَ.

أمَّا في العُقُودِ الأخيرةِ السَّابِقةِ فيُمكنُ المُلاحَظةُ وبِسُهولةٍ تَغيرُّ آيْدِيُولُوجِيَّا البيئةِ العَرَبيَّةِ ومِن ضِمْنِهَا الشَّبابُ، مِن خِلالِ التَّيَّارِ الإسلامِيِّ السِّياسِيِّ، وتَرَاجُعٍ واضحٍ للتَّيَّارِ القَوْميِّ، فانتشرَت الأحزابُ والحَرَكاتُ السِّياسِيَّةُ ذاتُ الطَّابعِ الإسلاميِّ بِكَثْرةٍ، وهذا ما انْعَكَسَ بطبيعةِ الحالِ على التَّوجُّهِ الفِكْرِيِّ للشَّبابِ، وَبالتَّالي خَلَقَ هذا الأمرُ فجوةً آيْدِيُولُوجِيَّةً كبيرةً بينَ جيلِ الشَّبَابِ وجيلِ الآباءِ، الأمرُ الذي عزَّزَ مِن ظاهرةِ صراعِ الأجيالِ، فعَلى سبيلِ المثالِ يمكنُ المقارنةُ بين مصرَ في عَهْدِ الرئيسِ السَّابِقِ مُحمَّد مُرْسِي المُنْتَمِي لتَيَّارِ الإخوانِ المسلمينَ، والرَّئِيس المِصريّ الأسبق جَمَال عَبْدالنَّاصر، فمِصرُ في هَذَيْنِ العَهْدَيْنِ عَلَى طَرَفَيْ نَقِيضٍ من النَّاحِيَةِ الآيْدِيُولُوجِيَّةِ، الأمرُ الَّذي لنْ يمرَّ مرورَ الكِرامِ على العلاقةِ الفِكْرِيَّةِ بينَ الجِيلَيْنِ الَّذِي انْتَمَى إليهِ كُلًّا مِن الرَّئِيسَيْنِ المَذْكُورَيْنِ.

أَسْبَابٌ عَامَّة

لا يُمْكِن حَصْر أَسْبَاب صِرَاع الأَجْيَال بالأبواب السَّالِفة الذِّكْر، إذْ تَبْقَى أَسْبَابٌ أُخْرَى تُؤَدِّي إلى هَذَا الصِّرَاع والَّتِي قد لا يُمْكِن تَبْوِيبُهَا ضِمْنَ أيّ مِنَ الأبواب السَّابِقة، **وفيما يلي أَهَمّ هَذِهِ الأَسْبَاب:**

- **ضَبَابِيَّة المستَقْبَل العَرَبِيّ:**

رَبَطَ البعض بَيْنَ صِرَاع الأَجْيَال وبَيْنَ المستقبل المِهْنِيّ(1)، فغِيَاب الوُضُوح عن المستقبَل المِهْنِيّ للشَّبَاب قَد يُدْخِلُهُمْ في صِرَاعٍ مَعَ الجِيل الأكْبَر مِنْهم، وخاصَّةً أَنَّهُ

1. خروبة، عبداللطيف الحسين. "**صِرَاع الأَجْيَال وأَثَرُه على الأُسْرَة والمجتمع المُسْلِم**". شَبَكَة الأَلُوكة، 7 أغسطس 2012م، تاريخ الزيارة 10 مايو 2020م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/SF6IJ

في هَذِهِ الحَالات يمَيلُ الشَّـــبَاب لتَحْميل جيل الآباء المَسْؤُوليَّة عن هَذِهِ الضَّبَابيَّة والغُمُوض، وذلك كَوْنهم لَم يُنَشِّؤُوا بيئَةً اقْتِصَاديَّةً مناسِبة للعَمَل، وهَذِهِ الضَّبابيَّة لا تُسبِّب الصِّرَاع داخِلَ الأُسْرَة ولكن يَظْهر أثرُها على المُجْتَمَع بِشَكْلٍ عَامٍّ، كما أَنَّ الضَّبابيَّة تَطَال المستَقبَل السِّياسِيّ العَرَبِيّ، وَلَعَلَّ الغُمُوض هُنَا ظَاهِرٌ بِشَكْلٍ جَلِيّ، فالبِيئَة السِّيَاسيَّة العَرَبِيَّة مُتَوتِّرة للغَاية، ورُبَّمَا يَتَحمَّل جِيلُ الآباء بَعْضَ المَسْؤولِيَّة عن هَذَا التوتُّر.

- **تَرَاجُعُ دَوْر الدِّين:**

فالأَخْلَاق الدِّينيَّة تلعبُ دَوْرًا واضِحًا في التَّخفيف من حِدَّة التبايُنَات بَيْنَ الأَجْيَال، وتراجُع التَّمسُّـــك بالدِّين يُشَكِّل عامِلَ إِذْكاء لظاهِرَةِ صِرَاعِ الأَجْيَال، وفي الوقْت الحَاليّ يُلاحَظ بَعْضُ النُّفَور بَيْنَ الشَّـــبَاب مِنَ الدِّين، وهَذَا النُّفور له أَسْـــبَابٌ متعـــدِّدةٌ منها تصرُّفات بعض الجماعاتِ المتشـــدِّدَة، وتَراجُع دَوْر رجال الدِّين، والقيام بِالدَّوْر الدَّعَويّ بأسلوبٍ تَقْليديّ لا يتماشَى مع رُوح العَصْر.

- **الثَّقافَات الوَافِدة وسُلطة الصُّورة:**

فانتِشَـــار وســـائِل التِّكْنُولوجيا الحَديثة أتاح الاطِّلاع على ثقافاتٍ غَرْبِيَّة عِدَّة، وخاصَّةً لِجيل الشَّـــبَاب، ممَّا خَلَقَ فَجْوةً بَيْنَ الجِيلَـــيْنِ في العَالَم العَرَبِيّ، جيلِ الشَّـــبَاب المُتَأَثِّر بالثَّقَافة الغَرْبِيَّة، وجيلِ الآباء المُتَمَسِّـــك بالثَّقَافَة الشَّرقِيَّة، وَلَعَلَّ هَذِهِ الظاهِـــرَة قد بدأت منذ بَدْء بَثّ القَنوات الفَضائيَّة في تِســـعينيَّات الْقَرْن المـــاضي، لتَصِلَ إلى ذِرْوَتِهَا اليَوْم مَع عالَم الإنترنت، فقد أَكَّدَت دراســـة بعُنْوان "الفَضائِيَّات والثَّقَافة الوافِدَة وسُـــلطة الصُّورة" أَنَّ أكثر من 35 % مِنَ الشَّبَاب العَـــرَبِيّ لا يُتَابِعون في الفَضائِيَّات إِلَّا البرامِج الغِنَائِيَّة والفَنِّيَّة(1)، وهَذَا بِالتَّأكِيد يُعَزِّز من فُرَص صِرَاع الأَجْيَال.

1. البيـــاتي، يـــاس خُضَير. "**الفَضَائيَّـــات والثَّقَافة الوافِدَة وسُـــلْطَة الصُّورة**". مَجَلة المســـتَقْبَل العَرَبيّ، مَرْكز دِرَاسات الوَحْدَة العَرَبيَّة، العدد 267، طرابلس، ليبيا، 2001م، ص113.

فهـــذه الثَّقافاتُ الوافِدةُ دخلتِ البيئةَ العَربيَّـــةَ مِن بوَّابةِ العَوْلَمَةِ، ومِمَّا عَزَّزَ مِنْ تَأْثيرِ العَوْلَمةِ على الثقافةِ العربيَّةِ، سُـــهولةُ اخـــتراقِ الثَّقافةِ العَرَبيَّةِ مِنْ خلالِ الثَّقافـــاتِ الوافِدةِ، وخاصةً أنَّ مُعْظمَ الثقافـــاتِ الوافِدةِ حملَتْ أَنْماطًا حياتيَّةً وثَقافيَّةً جديدةً لا عَهْدَ للشَّبابِ العَرَبيِّ بها، الأمرُ الَّذي أثارَ حماسَتَهُمْ لتَبَنِّيها، أوْ الميلِ إليها بالحدِّ الأَدْنى، وفي المُقابِلِ لمْ تَلْقَ هذهِ الثقافاتِ اسْتِحْسانًا واسِعًا بينَ جيلِ الآباءِ، ورَأَوْا فيها تهديدًا للإرثِ الثَّقَافيِّ والاجْتِمَاعيِّ، وبالتَّالي ســـاعَدَ هذا التَّبَايُنِ في وِجْهَةِ النَّظَرِ لهذهِ الثَّقافاتِ في تَعْزيزِ ظاهرةِ صراعِ الأجيالِ؛ فمُوسيقا "الرَّابْ" على سبيلِ المثالِ يمكنُ اعتبارُها أحدَ الأمثلةِ على الثَّقافاتِ الوافِدةِ والَّتي لاقَتْ بعضَ القَبُولِ لدى الشَّـــبَابِ، ولاقَتْ استنكارًا واضِحًا مِنْ جيلِ الآباءِ، كَوْنُهمْ لمْ يَرَوْا فيها أيَّ تَقاطُعٍ مَعَ الثَّقَافةِ العَرَبيَّةِ.

- **العُزلة بَيْنَ الشَّبَاب والآبَاء:**

فطبيعة الحَيَاةِ المُتَسارِعة والضُّغوط الاقْتِصَاديَّة المُتزايدة فَرَضَتْ شَكْلًا من أَشْكَال العُزْلَة بَيْنَ الشَّـــبَاب والآباء، ومِمَّا سَـــاعَد في هَـــذِهِ العُزْلة قضاء معظَم النَّاس أوقاتًا طويلةً على الوسائِل التِّكْنُولُوجيَّة كتصفُّح مَواقع الويبْ أو استخدام وسائِل التَّوَاصُـــل الاجْتِمَاعِيّ، وهَذِهِ الظَّاهِرَة لا تَخُصّ الشَّـــبَاب فقط، بل بات الجميعُ مُنْخَرِطًـــا فِيها، وهَذَا الانْخِرَاط هو مـــا عَزَّزَ مِنَ العُزْلَة المفروضة داخِلَ الأُسْرَة، وَبالتَّالي انْخَفَضَ الحِوَار إلى أَدْنَى مُسْـــتَوياته، ومِمَّا لا شَكَّ به أَنَّ العُزْلَة الطويلة ستَقُود بالنهاية إلى صِرَاع الشَّبَاب مع الآباء كنتيجةٍ حتميَّةٍ لانخفاض التَّواصُل.

المبحث الثَّالِث

أَشْكَالُ صِراع الأَجْيَال ومَظَاهِره

إنَّ الأَشْكَال والنَّمَاذج الَّتي تَظْهر بها ظاهِرَة صِراع الأَجْيَال لا يمُكن اعتبارها ثابتةً، فهَذَا الصِّرَاع قد يَظْهر بأَشْكَالٍ عِدَّة تَتَغيَّر بتغيرُ الأَسْبَاب المؤَدِّيَة له، كما تَتَغيَّر بتغيرُ البيئَة الحاضِنَة للأَجْيَال سواءٌ أكانت اقْتِصَاديَّةً أَمْ اجْتِمَاعيَّةً أَمْ ثَقَافِيَّةً ودينيَّة، فلكُلِّ بيئَةٍ مظاهِرُهَا الخاصَّة بها والَّتي تمُيزِّها عن غيرْها مِنَ البيئات، ومُرَاقَبة هَـذِهِ المظاهر وتحليلها يُعْتَبرَ قَضيَّةً بالغةَ الأَهَمِّيَّة لناحية دِرَاسَة هَذَا الصِّرَاع، فلكُلّ شَكْلٍ ومَظْهرٍ مِنَ الصِّرَاع عَلامَاتٌ ومَظَاهِرُ تختَلِف عن غَيرْها، فصِرَاع الأَجْيَال في البيئات الرِّيفيَّة وبيئَة البَدَاوة يختلف عن نَظيره في البيئَات المُتَمدِّنَة، كما أنَّ الحالة الاقْتِصَاديَّة للبيئَة الاجْتِمَاعيّة تلعب دورًا واضحًا في تمَايُز شَكْل ومَظْهر هَذَا الصِّرَاع؛ وعلى اعتبار أنَّ صِرَاع الأَجْيَال في الأساس هو صِرَاعٌ فِكْريٌّ في الدَّرجة الأُولَى، فإنَّ مُعْظم تجَليَّاته تكُون ذات طابعٍ فِكْريٍّ، إلَّا أنَّ هَذَا الطَّابعَ الفِكْريّ سَرْعَان ما يَجد مَخْرجًا سلوكيًّا له، فيَظْهر في أنماطٍ مُحدَّدة مِنَ الأفعال والسُّلوكيَّات، لذلك يَجب الانتباه إلى أنَّ أيَّ مَظْهر من مظاهِر صِرَاع الأَجْيَال له جُذُور فِكْريَّة، وبالتَّالي عند دراسته يَجبُ التَّفْريقُ بَيْنَ أَسْبَابه ومَظَاهِره، أيْ: دِرَاسَةُ الفَوَارق الفكريَّة بَيْنَ الأَجْيَال، لا سِيَّمَا جيلُ الشَّبَاب وجيلُ الآباء؛ لذلك سَنُفْرد هَذَا المَبْحَث لدِرَاسة مظاهِر صِرَاع الأَجْيَال وأشْكَاله في البِيئَة العَرَبيّة، وبالأخصّ بَيْنَ جِيل الشَّبَاب وجيل الآباء.

الصِّرَاع اللُغَويّ:

وفي هَذَا الشَّكْل مِنَ الصِّرَاع يمُكِن ملاحَظة بُعْدَيْن اثْنَيْن، الأَوَّل يتعلَّق بالتَّواصُل اللُّغَويِّ بَيْنَ الشَّبَاب والآباء، فقَد تَطْغى اللُّغة المَشْحُونَة بَيْنَ الشَّبَاب والآباء، وهُنَا يَجب التَّنْويه إلى أنَّ اخْتِلَاف البُعْد الثَّقَافيّ بَيْنَ الجِيلَيْن قد يُفْرز اختلافًا في المُفْرَدات

المُســـتخدَمة، كما قد يُســـبِّب تَبَايُنًا في مَعْنى المفرَدة ذَاتِها بَيْنَ الشَّبَاب والآباء، الأَمْر الَّذِي قد يَقُود إلى تعاظُم الصِّرَاع، وخاصَّةً أَنَّ بَعْضَ الشَّبَاب باتُوا يستخدمون مفردَاتٍ أجنبيَّةً في لُغاتِهم المَحْكِيَّة لا عَهْدَ للآباء بها، مَمَّا قد يُؤَدِّي إلى لَغَطٍ وسُـــوءِ فَهْمٍ بَيْنَ الشَّبَاب والآباء.

أمَّا البُعْد الثَّاني للصِّرَاع اللُّغَوِيّ فيَتَمَثَّل في الهُجُوم على اللُّغَة العَرَبيَّة وآدابها واتِّهَامِها بالقُصُور العِلْميّ وعَدَم قُدْرَتها على مُوَاكَبة التَّطَوُّرات العِلْميَّة، وَأَنَّهَا لُغَةُ أَدَب وليســـت لُغَة عِلْم، ويَتَزامَن هَذَا الهُجُوم بالتَّعظِيم لشَأْن اللُّغات الأجنبيَّة لا سِيَّمَا اللُّغَة الإنكليزيَّة، وهنا يَبْرُز مَيْلُ قِسْـــمٍ كبيرٍ مِنَ الشَّبَاب لاستخدام اللُّغَات العامِّيَّة المَحْكية في الكِتَابة عِوضًـــا عن اللُّغَة الفَصِيحة(1)، وهو ما قد يُثِير حَفِيظة الآباء الَّذِينَ يَرَوْنَ في العَرَبيَّة بُعْدًا ثَقَافِيًّا وهُوِيَّةً ثَقافِيَّة لا يُمْكِن التَّخلِّي عنها.

الصِّرَاع السلُوكِيّ:

يَبْدو هَذَا المظهر مِنَ الصِّرَاع في تَبَايُن الأنماط السُّـــلوكيَّة بَيْنَ جيل الشَّـــبَاب وجيل الآباء، وهَذَا التَّبايُن السُّـــلوكِيّ يُمْكِن تصنيفُه على أَنَّه مِن مظَاهِر صِرَاع الأَجْيَال ومِن مُســـبِّباته في ذات الوقت، وأَكْثَرُ ما يَبْدو هَذَا النَّمط في السُّـــلوكيَّات اليوميَّة المُتعلِّقة بالجوانِب الرُّوتينِيَّة للحَيَاة، كالاستيقاظ الباكِرِ لَدَى الآباء والَّذي يقابِلُه النَّوْم لساعاتٍ متأخِّرةٍ لَدَى الشَّـــبَاب، إضافةً لمَيْل بعض الشَّبَاب لتَقليد السُّلوكِيَّات المتعلِّقَة بالمَشاهِير، سواءٌ في نَمَط اللِّباس أو الكَلَام.

وهنا قد يكُون مِنَ الإجْحاف تَحْمِيل الشَّـــبَاب وَحْدَه وِزْرَ التَّبايُن السُّلوكِيّ بَيْنَهم وبَيْنَ جِيل الآباء، فكلا الجِيلَيْن يتحمَّلان مسؤوليَّةً جُزئيَّةً عن هَذَا التَّبايُن، وأساسًا قد يكُون مِنَ الخَطَأ التَّوقُّع بإمكانيَّة تطابُق الانفعال السُّـــلوكِيّ بَيْنَ جِيلَيْن، وهَذَا ما يؤكِّده عِلْمُ

1. تاج السر، أَمِير. ضَغْط الكِتَابة وَسُكَّرُها، كِتَابات في الثَّقَافة والحَيَاة. مِصْر ، القَاهِرة: دار العَيْن للنَّشْر، الطَّبْعة الأُولَى، 2013م.

النَّفْس السُّـــلوكيّ(1)، فالتَّصرُّفات الَّتِي يَقُوم بها الأفراد تِجَاهَ مواقِفَ مُحدَّدةٍ تختلف باخْتِـــلَاف الشَّريحَة العُمْريَّة الَّتِي يَنْتمي إليها هَذَا الفرد، فتصرُّف الطِّفْل يختلف عن تصرُّف الشَّـــابّ وبدَوْره عن تَصرُّف الأهْل، فالنَّظَر إلى هَذَا التَّبايُن على أنَّه ظاهِرةٌ طبيعيَّةٌ شَرْطَ بقائِه ضِمْنَ حُدُودٍ مَقْبولةٍ قد يســـاعِدُ على إيجادِ أرضيَّةٍ مُشْـــترَكَةٍ بَيْنَ الشَّبَاب والآباء، أمَّا النَّظَر على هَذَا الاخْتِلَاف على أنَّه حالَةٌ شاذَّةٌ يجب القَضَاء عليها قد يقُود إلى تَأْزِيم الوَضْع، ودَفْع الشَّبَاب والأَهْل إلى رَدَّات فِعل سُلوكيَّة غيرِ مَدْروسَة قد تَقُود إلى مَا لا يُحْمَد عُقْباه.

انتشار الْعُنْف والْعُنْف الأُسَرِيّ:

يُعْتَبَر انتشـــار الْعُنْف أحَدَ تجليَّات ظاهِرَة صِرَاع الأَجْيَال، فانتشار الْعُنْف بَيْنَ الشَّبَاب أصبـــح ظاهِرةً عَرَبيَّةً وعَالَميَّةً، وَبالتَّأْكِيـــدِ فَإِنَّهُ ليس بالإمكان تَحْميل ظاهِرَة صِرَاع الأَجْيَال المَسْـــؤوليَّة الكامِلَة عَن انْتِشَـــار هَذِهِ الظَّاهِرَة، فهُنَاك أَسْـــبَابٌ عَديدة تَبْدَأ مِنَ البيئَة الصُّغْرى والكُبْرَى وصولًا للظُّروف النَفْســـيَّة والاقْتِصَاديَّة للشَّبَاب، إلَّا أَنَّه بالإمكان القَوْلُ بِأَنَّ لظاهِرَة صِرَاع الأَجْيَال بَعْضَ المَسْـــؤوليَّة عن هَذَا العُنْف، فوَفْق إحصائيَّات مُنظَّمَة الصحَّة العَالَميَّة فإنَّه سنويًّا يُسَجَّل ما يَزيد عن 200 ألف حالَة عُنْف يَقُوم بها الشَّـــبَاب على مُسْتَوى العالَم، وهو ما يُشَكِّل 43 % من إجمالي عدد حالات الْعُنْف العَالَميّة(2)، أَمَّا على المُسْتوى العَرَبيّ وبالرَّغْم من عدم وجود إحصائيَّات رَسْميَّة تُوَثِّق عدد حالات عُنْف الشَّـــبَاب إلَّا أَنَّ العديد مِنَ الدِّرَاسَاتِ والتقاريرِ تَؤَكِّد تَنَامِي

1. **عِلْم النَفْس السُّـلوكيّ:** هو العِلْم الَّذي يَهْتَمّ بِدراســـة السُّلُوك الإنسانيّ من خِلَال استخدام المَنْهج العلْميّ لدِراسة الوَظائف العَقْليَّة وأَنْمَاط السُّلوك، وذلك مِن خِلَال دِراسة سُلوكيَّات الأفراد و المجموعات، ويُعْتَبَرَ عَالِم النَّفْس الأمريكيّ جون واطســـن رائد هَذَا العِلْم ومُؤَسِّســـه، ويَقُوم هَذَا العِلْم على اعتبار أَنَّ السُّلوك الإنســـانيّ هو سُلوك مُكْتَســـب، تتَحَكَّمُ به عوامِل البيئة المُحِيطَة، للمزيد: عِلْم النَّفْس السُّلوكيّ، الأكاديميَّة العَرَبيَّة البريطانيَّة للتعليم العالي، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/RmgjZ
2. مُنَظَّمَة الصِّحَّة العَالَمِيَّة. "**عُنْف الشَّباب**". الموقع الرَّسْميّ للمُنظَّمَة، 30 سبتمبر 2016م، تاريخ الزيارة 10 مايو 2020م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/z2Wbm

هَذِهِ الظاهِرَة في المُجْتَمَع العَرَبيّ لا سِيَّمَا بَيْنَ الشَّبَاب[1]، وتَتَعَدَّد مَظاهِر الْعُنْف الَّذي تُسَبِّبُه ظاهِرَة صِرَاع الْأَجْيَال بَيْنَ الشَّبَاب، فتَبْدأ من انتشار الْعُنْف اللَّفْظيّ سَواءٌ بَيْنَ الشَّبَاب بَعْضهم مع بَعْض أو مع الأَهْلِ، والْعُنْف اللَّفْظيّ قد يقود هو بِدَوْره إلى أَشْكَال أُخْرَى مِنَ العُنْف، ومن مَظاهِر الْعُنْف أيضًا انتشار الْعُنْف السُّلوكيّ، كالمَيْل إلى الضَّرْب والأَذِيَّة الجِسْـــميَّة، وُصولًا إلى الجريمة؛ كما يَطَال هَـــذَا الْعُنْفُ الأُسْرَة، حيث يُعْتَبَر الْعُنْف الأُسَريّ مِنَ المظاهر البَالِغة الخطورة تُجَاهَ الشَّبَاب وتُجَاهَ المُجْتَمَع بالكامل.

الصِّرَاع السِّيَاسِيّ:

إنَّ المنطلق الأســـاس لظاهِرَة صِرَاع الْأَجْيَال هو الأُسْرَة، إلَّا أَنَّ مُخْرَجَاتِ هَذَا الصِّرَاع لا يُمْكِن أَنْ تبقى حبيسةَ الأُسْرَة، فهي غالبًا ما تَمْتَدُّ لتشملَ البيئَة الاجْتِمَاعيّة المحيطة والمُجْتَمَـــع بالكامــــل، ولَعَلَّ أَبْرَز ما يظهر من صِرَاع الْأَجْيَال على المُسْــــتَوى الجَمْعِيِّ هو الصِّرَاع السِّـــيَاسِيّ، من خِلَال معارضة الشَّبَاب للتَّوَجُّهَاتِ السِّيَاسِيَّة للكبار، وهَذِهِ الظاهِـــرَة تبدو جَلِيَّةً في العَالَم العَرَبِيّ، خاصَّةً في ظِلِّ إقصاءِ الشَّـــبَاب مِنَ العملية السِّيَاسِـــيَّة، وفي ظِلِّ عَدَم وُجُودِ أُطُرٍ سِياســـيَّةٍ فعَّالةٍ تسمح لهؤلاء الشَّبَاب بالمشارَكَة السِّيَاسِـــيَّة الحقيقيَّة، ممَّا يَقُود إلى معارَضَة السِّياسَة العَامَّة للمجتمع والدَّوْلة، وحَتَّى القيـــام بِرَدَّات فِعْل قد لا تحمِل قَناعةً مُطلَقةً بها، إلَّا أَنَّها تُشَـــكِّل خُروجًا على النَّهْج السِّيَاسِيّ الَّذي يُعْتَبَر الشَّبَاب خارِجَه بالمُطْلَق.

ومما يُعَزِّز من هَذَا الصِّدام السِّيَاسِيّ أنَّ كُلّ المُعْطيات تُؤَكِّد أنَّ جيل الشَّبَاب العَرَبِيّ فَقَدَ الثِّقَة بِشَـــكْلٍ كبير وواضِح بالمؤَسَّسَات السِّيَاسِيَّة الَّتِي يُدِيرها الكِبار[2]، فالانتخابات في

1. أحمد، سَمِير عبدالحميد القطب. "**دِرَاسَة ظَاهِرَة عُنْف الشَّبَاب في المُجْتَمَع العَرَبيّ: أَسْبَابه وسُبُل عِلاجها مِن مَنْظُور تَرْبَوِيّ**". كُلِّيَّة التَّربِيَة في مِصْر، مَرْكَز مَعْلومات المَرْأة والطِّفْل، 2013م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/1Dc8y
2. مَجْمُوعة مِن المؤَلِّفين. **الشَّباب والانتقال الدِّيمُقراطيّ في البُلْدان العَرَبيَّة**. قطر، الدَّوْحَة: المَرْكَز العَرَبيّ للأَبْحَاث ودِرَاسة السِّيَاسَات، الطَبْعة الأُولَى، 2019م، ص219.

العَالَم العَرَبيّ تتَمَيَّز بِشَكْلٍ عَامٍّ بانخفاض الإقْبَال عليها، إلَّا أَنَّ شَرِيحَة الشَّبَاب تُعَدّ مِن أكثرِ المُقَاطِعين لها، وبالرَّغْم من وُجُود إحصاءات وبياناتٍ رَسْمِيَّة توضِّح نِسَبَ مشارَكَة الشَّـــبَاب العَرَبيّ في الانتخابات، إلَّا أَنَّ عدداً لا بَأْس به مِنَ التقارير يُشِـــير إلى تَدنٍّ واضِح في مشارَكَة الشَّـــبَاب في الانتخابات العَامَّة في الدُّوَل العَرَبِيّة، ففي تُونس عَلَى سَبيل الْمِثَالِ ووَفْقًا للمَرْكز العَرَبيّ للبُحوث والدِّراسات(1)، فإنَّ الانتخابات الرِّئاسِيَّة في عام 2019م شَـــهِدت عُزُوفًا شِبْهَ تامٍّ للشَّباب(2)، ووَفْقًا للمُؤَشِّر العَرَبِيّ(3) 2018م، فإنَّ الشَّـــبَاب العَرَبيّ بِشَكْلٍ عَامٍّ يُحْجِم عن الدُّخول في العَمَلِيَّة السِّيَاسِيَّة في بلاده(4)؛ وهنا يُمْكِن القَوْل بأنَّ هَذَا الإحجام يمُكْن تصويرُه بِشَـــكْلٍ أو بِآخَر كمَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِر صِرَاع الأَجْيَال، فتَحَكُّم الكِبَار في المُجْرَيات السِّيَاسِـــيَّة هو ما دَفَعَ الشَّبَاب إلى الإحجام، وهنا يُلاحَظ اسْـــتِخْدَامُ مُصْطَلَح الحَرَس القَدِيم في غالبيَّة الدُّوَل العَرَبِيَّة، وَالَّذِي هُوَ كِنَايَةٌ عَنْ تَحَكُّم السِّيَاسِـــيِّين الكِبار والقُدامى بالمُجْرَيات السِّيَاسِيَّة في البلاد سِرًّا أو عَلانِيَة،

1. **المَرْكز العَرَبيّ للبُحوث والدِّرَاسات:** مَرْكز عِلْميّ مُسْتَقلّ مَعْنيّ بالدِّرَاسَات الإقْليميَّة والعَربيَّة، أُنْشِئ عام 1998م في مدينة القاهرة بمصر، اهتمّ في بِدَايته بدِرَاسة الإسْلَام السِّياسيّ، إلَّا أنَّه وفي عام 2012م وبالإضافة إلى دِرَاسة الإسلام السِّياسِيّ بَدأ يتوجَّه لِدراسة التغيُّرات والتبدُّلات الاجْتِمَاعِيّة والسِّيَاسِيَّة والإسْتراتيجِيَّة في كامِل الإقليم، للمزيد: المَوقع الرَّسميّ للمَرْكز، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/6MK3y
2. عبدالعال، محمود جمال. **الانتخابات الرِّئَاسِيَّة التُّونسيَّة... قراءة في المُؤَشِّرات ودَلالات التَّصْويت**. المركز العَرَبيّ للبُحوث والدِّرَاســات، 16 ســبتمبر 2019م، تاريخ الزيارة 11 مايــو 2020م، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/WYgFx
3. **المُؤَشِّر العَرَبي:** اسْــتِطْلاعٌ سَــنَويّ يُنَفِّذه المَرْكز العَرَبي للأَبْحاث ودِرَاســة السِّياسَات في البُلْدان العَرَبية الَّتي يُتاح فيها تنفيذ الاسْتِطْلاع، وتَتَوافَر فيها الأُطُر الإحصائيَّة العَامَّة لسَحْب العَيّنات الممثّلة لمجتمعاتها؛ بهَـدَف الوُقُوف على اتِّجاهات الرَّأْي العامّ العَرَبيّ نحو مجموعةٍ من المواضيع الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيّة والسِّيَاسِــيَّة؛ بمــا في ذَلِـك اتِّجاهات الرَّأْي العَامّ نَحْــو قَضَايَا الدِّيمُقراطِيَّة، وقِيَم المُواطَنة والمُسَــاواة، والمُشَارَكة المَدَنيّة والسِّيَاسِيَّة. كما يتضمَّن تَقْييم المُواطنينَ لأَوْضاعِهم العَامَّة، والأَوْضاع العَامَّة لبُلْدانهم، وكذلك تقييمهم المُؤَسَّسات الرَّئيسة الرَّسْمية في هَذِهِ البُلْدان، والوُقُوف على مَدَى الثِّقَة بهَذِهِ المُؤَسَّسات، واتِّجاهَات الرَّأْي العامّ نَحْو القطَاع الخاصّ، ونحو المُحيط العَرَبيّ، والصِّرَاع العَرَبيّ-الإسرائيليّ، للمزيد: الموقع الرسمي للمُؤَشِّر العَرَبيّ، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/82oVk
4. **المُؤَشِّر العَرَبيّ 2018**م، المَرْكز العَرَبيّ للأبحاث ودراسَة السِّياسَات، ص243، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/298Xf

دُونَ تَرْك أيّ مَجالٍ للجيلِ الشَّابّ لِلَعِب أيٍّ دَوْر؛ وَلَعَلَّ في الانتفاضات الَّتِي حَصَلَتْ في مَطلَع العِقْد الماضي في العَديد مِنَ الدول العَرَبِيَّة الصُّورَة الأَبْرَز للصِراع السِّياسِيّ بَيْنَ الأَجْيَال، وخاصَّةً أنَّ جُلَّ المُشارِكِينَ في تلك الانتفاضاتِ كانوا مِنَ الشَّبَاب.

الصِّرَاع الدَّينِيّ:

وقد يكُون هَذَا النَّمَطُ مِنَ الصِّرَاع أخْطَرَ الأنْماط عَلَى الإطلاق، وذلك كَوْن الصِّرَاع الدَّينِيّ سَيَنْعَكِس بِشَكْلٍ أَوْ بِآخَر على بَقِيَّة الأنماط، ويُمْكِن اعْتِبار الصِّرَاع الدَّينِيّ حافِزًا رئِيسًا للصِّرَاع السِّيَاسِيّ والسُّلوكي، وفي هَذَا النَّمَط مِنَ الصِّرَاع قد قَوَّى الشَّبَاب بالتَّهَجُّم على مبادئ الدِّين كرَدَّاتِ فِعْلٍ على الصِّرَاع الفِكْرِيّ مَعَ الآباء، وقد يَتَطوَّر الأَمْر ليَصِل لِحَدّ اللَّاتَدَيُّن أو حَتَّى الإلحاد.

وقد يَظْهر هَذَا النَّمَط مِنَ الصِّرَاع من خِلَال إصْرَار الأَهْل على تَنْمِيَة الوَازِع الدَّينِيّ لَدَى الشَّبَاب على حِسَاب الوَازِع الإنْسانيّ والأَخْلَاقيّ، ولا يُشترط في هَذَا النَّمَط مِنَ الصِّرَاع أَنْ يكُون داخِلَ الأُسْرَة نَفْسها، فقد يكُون داخِلَ المُجْتَمَع بكامله، كنتيجةٍ لجُمود الخِطاب الدَّينِيّ من قِبَل رجال الدِّين، والَّذين في غالِبِيَّتهم السَّاحِقَة يَنْتَمون لجيل الكِبار، لذلك قد يكُون خِطَابُهم لا يَتَناسَب مع طبيعة الشَّبَاب ومع مُقْتَضَيات العَصْر، كما قد يَقُود التَّشَدُّد في تِطْبيق أَحْكام الشَّرِيعَة إلى نُفُور الشَّبَاب مِنَ الدِّين ورِجَاله، وقد يَتَطوَّر الأَمْر إلى التَّهجُّم اللَّفْظيّ على الدِّين ومُقَدَّسَاته.

ختامًا، لا يَجُوز الاعتقاد بأنَّ مظاهِر الصِّرَاع السَّابِقَة قد تَظْهر بِشَكْلٍ مُسْتقِلّ ومُنْفَصل بَعْضها عن بعض، فغالبِيَّة هَذِهِ المظاهر قد تَتزامَن مع بَعْضها وَإِنْ كان في نِسَب متفاوِتَة، وذلك تَبَعًا لطبيعة الصِّرَاع نَفْسه، وتَبَعًا لخصائص البيئَة الاجْتِمَاعِيّة الَّتِي يَنْتَمي إليها الشَّبَاب، فالعُنْف السُّلوكيّ يَتَرَافَق حُكْمًا مع العُنْف اللَّفْظيّ، كما أَنَّ العُنْف السِّيَاسِيّ قد يترَافَق مع العُنْف السُّلوكيّ والعُنْف الدَّينِيّ.

كذلك لَا بُدَّ من إعادة التَّأكِيد على أنَّ قَضِيَّة صِرَاع الأَجْيَال هي قَضِيَّة طبيعيَّة تَفْرِضُها تطوُّرَات الحَيَاة وتبدُّل الأحوال، وَلَعَلَّ القَفَزات الاستثنائِيَّة في تاريخ الحَضَارة الإنسانِيَّة

خَرَجَتْ من رَحِمِ هَذَا الـــصِّرَاع، فالمَيْلُ للتَّغْيُّرِ وكَسْرِ المألوفِ والتَّقْليديِّ هو الحاضِن الرَّئِيس لأيِّ تطوُّرٍ حقيقِيّ، لذلك لَا يَجِبُ أَنْ يتمّ التَّعَامُل مع ظاهِرَة صِرَاع الْأَجْيَال على أَنَّهَا ظاهِرَةٌ سَلْبِيّة يتوجَّب التخلُّص منها، وهَذِهِ الظاهِرَة أساسًا لا يمْكِن القضاء عليها كَوْنَها مِن نِتَاج الحَيَاة، فحيثما وُجِدت الحَيَاة ســيُوجَد الصِّرَاع بَيْنَ الْأَجْيَال المتعاقِبَة، فالأَجْدَى هنا العَمَل على إِدَارَة هَذَا الصِّرَاع، والسَّــعِي لتجريده من سَلْبِيّاته ما أمْكَن، وتعزيز إيجابيَّاته، والعمل على جَعْله نَوَاةَ أيِّ تطوُّر اجْتِماعِيّ مُرْتقَب، فالقَوْل المَأْثُور بأَنَّ الضِّدَّ لا يُظْهِرُ حُسْــنَهُ إِلَّا الضِّدُّ تَوْضِيحٌ وتَأكِيدٌ على أَنَّ التَّبَايُنَ والاخْتِلَاف -وَإِنْ بَدَا بِحُلَّةٍ سَلْبِيّة- فَإِنَّ بَاطِنَهُ خُيْرٌ مَحْضٌ.

الفَصْل السَّابِع

الوَعْيُ السِّيَاسِيُّ في حَيَاة الشَّبَاب

- **مُقَدِّمَة**
- **المَبْحَث الأَوَّل: الْوَعْيُ... المَفْهُوم والتَّصْنِيف**
  - الوَعْيُ في المفهوم العَامّ
  - مَظَاهِر الوَعْي
- **المَبْحَث الثَّاني: الوَعْيُ السِّيَاسِيُّ.. المَفْهُومُ والْأَهَمِّيَّة والبِنَاء**
  - مَفْهُومُ الوَعْيِ السِّياسِيّ
  - أَهَمِّيَّةُ الوَعْيِ السِّيَاسِيّ
  - الشَّبَابُ وبِناءُ الوَعْيُ السِّيَاسِيّ
  - المشاركة السِّيَاسِيَّةُ مَدْخَلٌ للْوَعْي السِّياسِيّ
- **المَبْحَث الثَّالث: الوَعْيُ السِّيَاسِيُّ والمشارَكة السِّيَاسِيَّة لدى الشَّبَاب العَرَبِيّ**
  - الواقع الحَاليّ للْوَعْيِ السِّيَاسِيّ لدى الشَّبَابِ الْعَرَبِيّ
  - أسباب ضَعْف الْوَعْيِ السِّيَاسِيّ لدى الشَّبَاب العَرَبِيّ
  - الآثار السِّلْبِيَّةُ لتراجع الوَعْي السِّيَاسِيّ لدى الشَّبَاب العَرَبيّ
  - الشَّبَاب العَرَبيّ والمشاركة السِّيَاسِيَّة

الفصل السَّابِع

الوَعْيُ السِّيَاسِيُّ في حَيَاة الشَّبَاب

مُقَدِّمَة

كان العملُ السِّـــيَاسِيُّ ولقُرُون عَدِيدَةٍ خَلَتْ حِكْرًا على جِهَاتٍ نَخْبَوِيَّة في المُجْتَمَع، غالبًا ما كانت تَرْتَبِطُ بالفِئَات الحَاكِمَة بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ أو غيرِ مُبَاشِر، فالسِّيَاسِيَّةُ كانت للطَّبَقَات الأُرُسْتُقْرَاطِيَّة مَعَ عُزُوفٍ وإقْصَاءٍ تَامٍّ لبَاقِي الطَّبَقَات الاجْتِمَاعِيَّة عنها، وكانت الأَحْزَابُ السِّيَاسِـــيَّةُ هي المَدْخَلُ الَّذي سمح لعُمُومِ النَّاسِ بالدُّخُول للسِّيَاسَةِ، فمع ظُهُورِ أَوَّلِ حِزْبٍ سِـــيَاسِيٍّ في العَالَم وهو حِزْبُ اليَمِين البرِيطَانيّ[1] في الرُّبْعِ الأَخِير من القَرْنِ السَّابِع عَشَر، بدأ النَّاسُ بإدْرَاكِ أَثَرِ السِّيَاسَةِ على حياتهم العَامَّة، وبدأت تَتَشَـــكَّلُ مَلَامِحُ وَعْيٍ أَوَّلِيٍّ بأَنَّ السِّيَاسَـــةَ العَامَّةَ للدُّوَل هي الحَاكِمُ الأَوْحَدُ لـــكُلِّ مَظَاهِرِ الحياة الأُخْرَى الاجْتِمَاعِيَّة والاقْتِصَادِيَّة والثَّقَافِيَّة، وبدأت الأَحْزَابُ السِّيَاسِـــيَّةُ بالتَّوَالُدِ السَّرِيع، لتَصِلَ في مَطْلَعِ القَـــرْنِ العِشْرِينَ إلى مُخْتَلَفِ دُوَلِ العَالَم، ولتَكُونَ في وَقْتِنَا الحَالِيِّ السِّـــمَةَ الرَّئِيسَةَ للواقع السِّيَاسِيِّ، إذْ لا تكاد تَخْلُو دَوْلَةٌ من عِدَّةِ أَحْزَابٍ قد تَصِلُ في بعض الحَالَاتِ لعَشَرَاتِ الأَحْزَاب.

ومع تَوَسُّـــعِ دَائِرَةِ العَمَل السِّـــيَاسِيِّ لتَصِلَ إلى جميع فِئَاتِ المُجْتَمَـــعِ ليَغْدُوا مُؤَثِّرِينَ وَمُتَأَثِّرِينَ بها، بدأت تتســـع دائِرَةُ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ لدى العُمُوم، ولتُصْبِحَ رَافِدًا ثَقَافِيًّا جديدًا لِجُمْلَةِ الثَّقَافَةِ الجَمْعِيَّة المُتَمَثِّلَة في الثَّقَافَة العَامَّة والثَّقَافَة الاجْتِمَاعِيَّة والدِّينِيَّة،

1. **حـــزب اليمـــين البريطَاني**: (1859-1678م)، حزبٌ لِيبْرَالِيٌّ يُعَدُّ من أَقْـدَمِ أحزاب العَالَم على الإطْلَاق، تَأَسَّـسَ عَام 1678م، عَارَضَ هذا الحِزْب المَلَكِيَّة في المملكة المُتَّحِدَة وقاوَمَ الملك تشـارلز الأَوَّل لسـنوات عَدِيدَة، ثُمَّ شـكَّلَ نواةَ الثَّورة الَّتي أطاحت بالملك جيمس الثَّاني في ثَوْرة 1688م، وسـيطر على الحُكُومَةِ البريطَانِيَّة بِشَـكْلٍ كَامِلٍ بين سَـنَوَات (1760-1715م)، دَعَمَ القضايا التَّحَرُّرِيَّة ووقفَ في وَجْهِ العُبُودِيَّة، حُـلَّ الحـــزبُ في عَام 1859م، للمزيد: أَقْدَمُ 10 أَحْزَابٍ سِيَاسِـيَّةٍ في العَالَمِ، مَوْقع توبس عَرَبِيَّةً ، مُتَاح على الرَّابِطِ : https://cutt.us/d1VHn

وَقد عَمِلَتْ هذه الثَّقَافَةُ وعلى مدارِ عقودٍ عِدَّةٍ لتَشْــكِيل نَوَاةِ وَعْيٍ جديد هو الوَعْيُ السِّــيَاسِيُّ؛ وعَمَلِيًّا لا يُمْكِنُ فَصْلُ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ عن الوَعْيِ الاجْتِمَاعِيّ والثَّقَافِيّ، فهذه المَفَاهِيمُ مُتَرَابِطَةٌ وَمُتَشَــابِكَة مع بعضها، وهي تُشَكِّلُ الدَّافِعَ الدَّاخِلِيَّ والْحَافِزَ الجَوْهَرِيَّ لانْدِمَاجِ الْفَرْدِ في بِيئَتِهِ.

وفيما يَخُصُّ الوَعْيَ السِّيَاسِيَّ في المُجْتَمَع العَرَبِيّ بِشَكْلٍ عَامٍّ، فيُمكن وَصْفُهُ بأَنَّهُ وَعْيٌ مُتَأَخِّرُ النُّشُــوءِ، فالعَرَبُ وَلقُرُونٍ عَدِيدَة لم يكُونُوا فَاعِلِينَ في مِضْمَارِ السِّيَاسَــةِ لا المَحَلِّيَّةِ ولا العَالَمِيَّةِ، فالسُّــكون السِّيَاسِيّ الَّذِي عاشهُ المُجْتَمَع العَرَبِيُّ منذ نهاية عهد المَمَاليكِ وحتى انْتِهَاءِ الحُكْمِ العُثْمَانِيِّ أَثَّرَ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ على الإِدْرَاكِ الجَمْعِيِّ العَرَبِيِّ لمَفْهُومِ السِّيَاسَــةِ، والَّذِي بِدَوْرِهِ أَثَّرَ سَلْبًا على الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ الَّذِي لم يَعْهَدْهُ العَرَبُ حتى فَتَرَاتٍ مُتَأَخِّرَةٍ من القَرْنِ التَّاسِــعَ عَشَرَ، فالعَالَمُ العَرَبِيُّ كَانَ مُغَيَّبًا بالْكَامِل عن السِّيَاسَةِ وَمُعْتَرَكِهَا، إلى نهاية القَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ حين بدأت بعض الحَرَكَاتِ السِّيَاسِيَّةِ بالظُّهُورِ في بِلَادِ الشَّــامِ وَمِصْرَ؛ أَمَّا مُعْظَمُ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ الباقِيَة فَلَمْ تَشْــهَدْ حَرَاكًا سِيَاسِــيًّا حَقِيقِيًّا حتى النِّصْفَ الثَّانِي من القَــرْنِ المَاضِي، كُلُّ هذه العَوَامِلِ أَثَّرَتْ في تَأَخُّرِ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ العَرَبِيِّ بِمُسْتَوَيَيْهِ الفَرْدِيِّ والْجَمَاعِيِّ، إِلَّا أَنَّهُ ومع بِدَايَةِ النِّصْفِ الثَّانِي من القَرْنِ العِشْرِينَ بدأت تَتَشَكَّلُ نَوَاةٌ حَقِيقِيَّة لوَعْيٍ سِيَاسِيٍّ عَرَبِيٍّ، تَعَزَّزَ هذا الأَمْرُ مع حُصُول غَالِبِيَّةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ على اسْــتِقْلَالِهَا، وَإِنْ بَقِيَ هذا الوَعْيِ مُتَبَايِنًا بين دَوْلَةٍ وأُخْرَى، وفي سِــتِّينِيَّاتِ القَرْنِ المَاضِي بَلَغَ الوَعْيُ السِّيَاسِيُّ العَرَبِيُّ مَرْحَلَةً مُتَقَدِّمَةً خَاصَّةً مع ظُهُور الحَرَكَات القَوْمِيَّة العَرَبِيَّة وَانْتِشَــارِ الأَحْزَاب السِّيَاسِيَّة في غالبِيَّة الدُّوَل العَرَبِيَّة، وظُهُور البَرْلَمَانَاتِ وَالْبَدْءِ بِمُمَارَسَــةِ حَقّ التَّصْوِيت؛ إِلَّا أَنَّهُ عاد للانْتِكَاسِ في مَرْحَلَةٍ لَاحِقَةٍ، فَبَعْدَ فَتْرَةِ السَّبْعِينِيَّاتِ شَهِدَت المُشَارَكَةُ السِّيَاسِيَّةُ العَرَبِيَّة العَامَّة تراجُعًا مَلْحُوظًا في ظِلِّ وصولِ أَنْظِمَةِ حُكْمٍ شُمُولِيَّة في غَالِبِيَّة الدُّوَل العَرَبِيَّة، الأَمْرُ الَّذِي أَدَّى إلى تَرَاجُعِ الوَعْيِ السِّيَاسِيّ الجَمْعِيّ مُتَأَثِّرًا بِتَرَاجُعِ المشاركة السِّيَاسِيَّة. وبالعَودة للشَّــبَاب العَرَبِيّ، فقد نالَهُ ما نَالَ الجَمْعَ العَرَبِيَّ من تَذَبْذُبٍ في المشــاركة والْوَعْيِ السِّيَاسِــيَّيْنِ، فالشَّبَابُ شَرِيحَةٌ من المُجْتَمَعِ ينسحِبُ عليه مَا يَحْصُلُ للْمُجْتَمَعِ

كَكُلٍّ، فالْوَعْيُ السِّـــيَاسِيُّ للشَّبَابِ العَرَبيِّ ليس وَاحِدًا على امْتِدَادِ الجُغْرَافِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، بَــلْ هو مُتَبَايِنٌ وَمُخْتَلِفٌ بين دَوْلَةٍ وَأُخْرَى، وذلك تَبَعًا لظُرُوفِ كُلِّ بِيئَةٍ، وَانْطِلاَقًا من أَهَمِّيَّةِ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ في صِيَاغَةِ المَشْهَدِ السِّيَاسِيِّ العَامِّ للْمُجْتَمَعِ وَللدَّوْلَةِ، واسْتِنادًا لدَوْرِ الشَّــبَابِ المِحْوَرِيِّ في العَمَلِ السِّيَاسِيِّ، سَنُفْرِدُ هذا الفَصْلَ لدِرَاسَةِ هذا الوَعْيِ لدى شَرِيحَةِ الشَّبَابِ، مُتَنَاوِلِينَ المَفْهُومَ والأُطُرَ النَّظَرِيَّةَ، وَمُحَلِّلِينَ بِالْأَرْقَامِ والْحَقَائِقِ وَاقِعَ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ لدى هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ.

المبحث الأَوَّل

الوَعْي...المَفْهُوم والتَّصْنِيف

يُعْتَبَر الوَعْيُ بمَفْهُومِه العَامِّ من أَكْثَرِ المَفَاهِيم جَدَلِيَّةً، فالْوَعْيُ مَفْهُومٌ مَأْلُوفٌ وَبَاعِثٌ للْحَيْرَةِ في آنٍ معا، فمحاوَلَةُ وضعِ تَعْرِيفٍ وَاضِحٍ وَشَامِلٍ للْوَعْي تُعْتَبَرُ من القضايا القديمـــةِ في الفِكْرِ البَشَرِيِّ، إلَّا أنَّ هذه المحاوَلاتِ بَقِيَتْ ولقُرُونٍ عَدِيدَةٍ عَصِيَّةً عَلَى المَنْهَجِ العِلْمِيِّ، وذلك كَوْنَ الوَعْي يقع في مُنْتَصَفِ المسافة بين المَادِّيِّ والْخَيَالِيِّ، وَمِمَّا زادَ في صعوبةِ وضعِ تَعْرِيفٍ شَامِلٍ أَنَّ مَفْهُومَ الوَعْي يُعْتَبَرُ من أكثرِ المَفَاهِيم اقْتِرَابًا من النِّسْـــبِيَّة، فلكُلِّ فَرْدٍ مَفْهُومُهُ الخَاصُّ للْوَعْي، الَّذي يَنْطَلِقُ من رُؤْيَتِهِ الخَاصَّة لـــلإِدْرَاك وَلِمُخْتَلَف المَفَاهِيم المُرْتَبِطَة به، وبمراجَعـــةِ أَدَبِيَّاتِ عِلْمِ النَّفْسِ والاجْتِمَاع وعلوم اللُّغَـــةِ يمُكن ملاحظةُ تَعَارِيفَ عِدَّةٍ للْوَعْـــي، تتقاطَعُ مع بعضها في بعضِ النِّقَاطِ وَتَخْتَلِفُ في أُخْرَى، وفيما يَلِي سَنُبَيِّنُ أَهَمَّ وَأَشْهَرَ المَفَاهِيم.

الوَعْيُ في المَفْهُوم العَامّ

يشـــير معنى الوَعْي في اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ إلى الإِدْرَاك؛ وهو مُشْتَقٌّ من الفِعْل وَعَى، وَعَى الشَّيْءَ والْحَدِيثَ يَعِيه وَعْيًا: حَفِظَهُ وَتَدَبَّرَهُ وَقَبِلَهُ وَجَمَعَهُ وحَوَاهُ، وَأَوْعَى الشَّيْءَ والْكَلَامَ، حَفِظَهُ وَجَمَعَـــهُ، وَوَعَى الغُلَامُ: نَاهَزَ الإِدْرَاك، فالْوَعْيُ يعنـــي لُغَةً الإِحَاطَةَ بالشَّيْء وَحِفْظَه وَاسْتِيعَابه والتَّعَامُل مَعَهُ أو تَدَبُّره، إِنَّهَا حالَةُ إِدْرَاك الشَّيْء وَتَعَقُّله[1] .

أَمَّا الوَعْيُ اصْطِلَاحًا، فَهو حالَـــةٌ عَقْلِيَّةٌ يكون فيها العَقْلُ بحالَةِ إِدْرَاك؛ بحيث يكون في وَضْـــعِ اتِّصَالٍ مُبَاشِرٍ مع كُلِّ الأَحْدَاث التي تَـــدُورُ حَوْلَه[2] ، فالْوَعْيُ بهذا المعنى

1. قَامُوس المَعَاني. مَادَّة وَعْي. مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/bVQCx
2. حجازي، مصطفى. الإِنْسَـــان المَهْدُور، دِرَاسةٌ تحليليَّةٌ نَفْسِـــيَّة اجتماعيَّةٌ. المغرب، الدَّار البَيْضاء: المَرْكز الثَّقَافي العَرَبيّ، 2005م، ص227.

يَتَشَكَّلُ كنتيجة لِعَلَاقَةِ الإِنْسَانِ بمحيطِهِ المَادِّيِّ والاجْتِمَاعِيِّ، ويكونُ نَتِيجَةً لتَفَاعُلَاتِ فِكْرِ الفَرْدِ مع الأَحْدَاثِ المُحيطة به، وبهذا المعنى يُمْكِنُ رَبْطُ الوَعْيِ بالمَعْرِفَةِ، بالوُجُودِ، بالعَوَاطِفِ، بالحَدْسِ، بِالتَّفْكِيرِ، بِالذَّاتِيَّةِ.

فَمِمَّا سَبَقَ يُمكن القَوْلُ بِأَنَّ الوَعْيَ والإِدْرَاكَ مَفْهُومَانِ مُتَلَازِمَانِ، فكُلَّما كان الإِدْرَاكُ صَحِيحًا وَقَرِيبًا من الحقيقة والواقع كُلَّما كان وَعْيُهُ أَقْرَبَ إلى الدِّقَّةِ، والْعَكْسُ صَحِيحٌ، فالإِدْرَاكُ المَنْقُوصُ المَشُوبُ بشوائِبِ الخطأ يقودُ لوَعْيٍ بَعِيدٍ عن الواقع مُجَافٍ لحقيقة الأُمُورِ، وَبِما أَنَّ الإِدْرَاكَ يَرْتَبِطُ ارْتِبَاطًا عُضْوِيًّا بالحَقَائِقِ، إذ كُلَّما دَنا الفَرْدَ مَادِّيًّا وَفِكْرِيًّا من الواقع المُعَاشِ والمَحْسُوسِ كُلَّما كان وَعْيُهُ سَليمًا، فالْوَعْيُ ليسَ حَالَةَ تَلَقٍّ لِلْحَقَائِقِ فقط، بَلْ هو عَمَلِيَّةُ مُقَارَبَةٍ وَمُقَارَنَةٍ بين جُمْلَةِ الحَقَائِقِ المُتَلَقَّات من البِيئَةِ، وكَمُخْرَجَاتٍ لهذه المُقَارَنَاتِ والمُقَارَبَاتِ يتَشَكَّلُ الوَعْيُ، وَهذا ما يُفَسِّرُ اخْتِلَافَ الوَعْيِ بين الأفراد المُتَلَقِّينَ لذَاتِ الأَفْكَارِ والحَقَائِقِ، فباخْتِلَافِ مُقَارَبَتِهم لهذه الحقائق يَخْتَلِفُ الوَعْيُ المُتَشَكِّلُ لدى كُلٍّ منهم.

أَمَّا فِيما يَتَعَلَّقُ بِمَفْهُومِ الوَعْيِ في عِلْمِ النَّفْسِ والفلسفة فنكاد لا نَلْحَظُ أَيَّ ذِكْرٍ لهذا المَفْهُوم في الفلسفة الكلاسيكِيَّةِ القَدِيمَةِ لَا سِيَّما الفلسفةُ اليُونَانِيَّةُ، مع أَنَّ هذه الفلسفة اهْتَمَّتْ بالعَقْلِيَّاتِ، وفي بداية القَرْنِ السَّابِعَ عَشَرَ بدأ مَفْهُومُ الوَعْيِ يَلْقَى اهْتِمَامًا من الفلاسفة والمُفَكِّرِينَ وَعُلَمَاءِ النَّفْسِ، وَلَعَلَّ أَوَّلَ مَنْ ذَكَرَ مَفْهُومَ الوَعْيِ في إطاره الفلسفِيِّ هو الفيلسوف الفَرَنْسِيُّ دِيكَارت[1]، حيث رأى أَنَّ الوَعْيَ وَجْهٌ من أَوْجُهِ

1. **رينيه ديكارت:** (1650-1596م)، فيلسوفٌ، وَعَالِمٌ رياضيٌّ وفِيزْيَائِيٌّ فَرَنْسِيٌّ، يُلَقَّب ب " أبو الفلسفة الحَدِيثَة "، يُعْتَبَرُ الشَّخْصِيَّةَ الرَّئِيسِيَّةَ لِمَذْهَب الْعَقْلَانِيَّةِ في الْقَرْنِ 17 الميلاديّ ، كما كانَ ضلِيعًا في عِلْم الرِّيَاضِيَّات، فَضْلاً عن الفلسفة، وأَسْهَمَ إِسْهَامًا كَبِيرًا في هذه العلوم، وَديكَارت هو صَاحِبُ المقولَة الشَّهِيرَة: "أَنا أُفكِّرُ، إذا أنا مَوْجُودٌ"، كما تعتبر العَديد من الأُطْرُوحات الْفَلْسَفِيَّة الغَرْبِيَّة الحَدِيثَة انْعِكَاسًا لأُطْرُوحَاتِه، والَّتِي ما تزالُ تُدَرَّس حتى الْآنَ، خُصُوصًا كِتَاب (تَأَمُّلَات في الفلسفة الأُولَى - 1641 م) الَّذي ما زَال يُشَكِّلُ النَّصَّ الْقِيَاسِيَّ لِمُعْظَمِ كُلِّيَّاتِ الفلسفة، لِلْمَزِيدِ : مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا الْمَوْسُوعَةُ الْحُرَّةُ ، مُتَاح عَلَى الرَّابِطِ :: https://cutt.us/QDIbX

التَّفْكِيرِ، فقال في كِتَابه "مَبَادِئَ الفلسفة": "أنا أَفْهَمُ بكلمة التَّفْكِيرِ أَنَّهَا الوَعْيُ بِكُلِّ ما يَدُورُ بداخلنا"(1) ؛ وقامت فلسفةُ دِيكَارت بِشَكْلٍ عَامٍّ عَلَى مبدأ الثُّنَائِيَّة، أَي التَّفْرِقَةِ بين المَادِّيِّ واللَّامَادِّيِّ، وهو يَعْتَقِدُ في هذا الأَمْرِ أَنَّ الدِّمَاغَ مَادَّةٌ، وهو مُشْتَرَكٌ بين الإنسان والحيوان، بينما العَقْلُ لا مَادَّةَ وهو ما يُمَيِّزُ الإنسان عن سائرِ الكَائِنَاتِ، والوَعْيُ بِرَأْيِهِ هو نِتَاجُ تَفَاعُلِ المَادَّةِ واللَّامَادَّة دَاخِلَ الإنسان، وسارَ على نَهْجِ دِيكَارت مُعْظَمُ الفلاسفة الَّذِينَ لَحِقُوهُ لناحية ارْتِبَاطِ الوَعْي بالتَّفْكِيرِ، وَأَنَّ الوَعْيَ نِتَاجُ عَمَلِيَّةٍ إِرَادِيَّةٍ، ومع أَنَّ الْبَعْضَ من الفلاسفة اللَّاحِقِيْنَ حاولوا إِضْفَاءَ شَيْءٍ من اللَّاشُعُورِ على الوَعْيِ إِلَّا أَنَّ السِّمَةَ الغَالِبَةَ على جميع الفلاسفة آنذاك كانت رَبْطَ الوَعْي بِالتَّفْكِيرِ إِضَافَةً إلى اعْتِبَارِ الوَعْيِ لَانِهَائِيًّا، وبقي هذا الاقْتِرَان سَائِدًا في الفلسفة حتى أَوَاخِرِ القَرْنِ الثَّامِن عَشَر، عِنْدَمَا نَقده الفيلسوف الأَلْمَانِيّ "كَانْتْ"(2) ، فالْوَعْيُ عندَ كَانْتْ لا يُمكن أَنْ يكونَ مُجَرَّدَ تَتَابُعٍ من الأَفْكَارِ المُتَرَابِطَة، بَلْ يجب أَنْ يكونَ على الأَقَلِّ خِبْرَةً لِذَاتٍ وَاعِيَةٍ مُتَمُوضِعَةٍ في عَامِلٍ مَوْضُوعِيٍّ مُنَظَّمٍ من جهةِ المكانِ والزَّمَانِ والسَّبَبِيَّةِ(3) ؛ وحتى مُنْتَصَفِ القَرْنِ التَّاسِع عَشَرَ بَقِيَتْ عَلَاقَةُ الوَعْيِ بالعَقْلِ لُغْزًا لم تَتَمَكَّن الفلسفةُ من تقديم جَوَابٍ شَافٍ لَهُ، كما كانت هُنَاكَ مُحَاوَلَاتٌ لتَقْدِيم تَفْسِيرَاتٍ فِيزْيُولُوجِيَّةٍ لقَضِيَّةِ الوَعْيِ، إِلَّا أَنَّهَا بَقِيَتْ بِدُونِ جَوَابٍ دَقِيقٍ، وَلَعَلَّ هذا الغُمُوضَ يَظْهَرُ في مَقُولَةِ توماس هنري هِكسلي "كيف

1. ديكارت، رينيه. **مَبَادِئ الفلسفة**، تَرْجَمة وتحقيق: عُثْمان أمين. الأردن، عمَّان: دَارَ الثَّقَافة للنَّشْر والتَّوْزيع، الطبعة الأولى، 1999م، ص48.
2. **إيمانويل كانت**: (1724-1804م)، فيلسوف ألمانيّ وُلِدَ في مدينة كونيغسبرغ في مَمْلكة بروسيا، كان آخِرَ الفلاسفة المؤثِّرينَ في الثَّقَافة الأُوروبيَّة الحديثة، وأحد أهمّ الفلاسفة الَّذِينَ كَتَبُوا في نظريَّة المَعْرفة الكلاسيكيَّة، كما كانَ آخَرَ فلاسفة عصر التَّنْوير الَّذي بدأ بالمفكِّرين البريطانيِّينَ جون لوك وجورج بيركلي وديفيد هيوم، طَرَحَ مَنْظُورًا جديدًا في الفلسفة أَثَّر ولا زالَ يُؤَثِّرُ في الفلسفة الأوربيَّة حتى الآن أَيْ أَنَّ تَأْثِيرَهُ امْتَدَّ منذ القَرْنِ الثَّامن عَشَرَ حتى القَرْنِ الْحَادي وَالْعِشْرينَ، نَشَرَ أَعْمَالًا هَامَّةً وَأَسَاسِيَّةً عن نَظَرِيَّةِ المَعْرِفَةِ وَأَعْمَالًا أُخْرَى مُتَعَلِّقَة بالدِّين وَأُخْرَى عن القَانُون والتَّارِيخ، أَشْهَرُ أَعْمَالِهِ على الإِطْلَاقِ "نَقْدُ الْعَقْلِ الْمُجَرَّدِ"، للمَزِيد : مَوْقِعُ ويكيبيديا الْمَوْسُوعَةُ الْحُرَّةُ ، مُتَاح عَلَى الرَّابِط: https://cutt.us/Spo7P
3. كانت، إيمانويل. **نَقْدُ العَقْل المَحْض**، تَرْجَمة موسى وَهْبَة. لبنان، بيروت: مَرْكَز الإنْماء القَومي، الطبعة الثانية، ص49.

لَأَمْرٍ اسْتِثْنَائِيٌّ للغاية مِثْل حَالَة من الوَعْي أَنْ يَطْرأ نَتِيجَةً لتَهَيُّجِ نَسِيجٍ عَصَبِيٍّ، هذا أَمْرٌ لا يُمكِن تَفْسِيرُهُ، كَما لا يُمكن تَفْسِيرُ ظُهُورِ الجِنِّيِّ عندما يَفْرُكُ عَلَاء الدِّين مِصْبَاحَهُ"[1]، ومع بداية القَرْنِ العِشْرِينَ، شَــهِدَ مَفْهُومُ الوَعْي تَرَاجُعًا مَلْحُوظًا كَنَتِيجَةٍ لبُرُوزِ المَدْرَسَةِ السُّلُوكِيَّةِ[2] في عِلْمِ النَّفْسِ؛ فَمِن كُلِّ ما سَبَقَ يُمكن القَوْلُ بِأَنَّ الوَعْيَ بمَفْهُومِه العَامِّ لا زال يَكْتَنِفُهُ بعض الغُمُوضِ، وَلَعَلَّ في وَصْف "إرنســت كاسيرر"[3] لِلْوَعْي تَوْصِيفًا بَلِيغًا لهـــذا الغُمُوض، فيقول: "إنَّ الوَعْيَ هُوَ حِرْبَاءُ الفلســـفة حَقًّا؛ إذ هو يَدْخُلُ في مُخْتَلَف ميادينها وَلَكِنَّهُ لا يَتَّخِذُ نَفْسَ الشَّكْلِ في كُلٍّ منها بل هو في تَغَيُّرٍ مُسْتَمِرٍّ"[4] .

ممَّا سَـــبَقَ كُلِّهُ يُمكن القَوْلُ بأَنَّ الوَعْيَ هو إِدْرَاكُ النَّفْسِ لذَاتِهَا، وَلِما يدور حول هذه الـــذَّاتِ مِنْ أَحْدَاثٍ وَتَجَارِب، والخروج بِفَهْمٍ كَامِلٍ لعَلَاقَةِ الذَّاتِ مع محيطها، إضافةً لتكويـــن صُورَةٍ وَاضِحَةٍ عن مُجْمَلِ العَلَاقَات بين عنـــاصر البيئة الخارجيَّة، المادِّيَّة واللَّامَادِّيَّة، المَحْسُوسَة والشُّعُورِيَّة، وَتَشْكِيل مَوْقِفٍ وَاضِحٍ تُجَاهَ كُلِّ هذه العَوَامِلِ.

مَظَاهِرُ الوَعْي

يَظْهَر الوَعْيُ بعِدَّةِ أَشْـــكَالٍ وَمَظَاهِرَ، وَعُمُومًا تَمَّ تَصْنِيفُ الوَعْي إلى صِنْفَيْنِ رَئِيسَيْنِ، وَعْيٌ فَرْدِيٌّ وَوَعْيٌ جَمْعِيٌّ، وكُلَّ مَظْهَرٍ رَئِيسٍ ينقسم بدَوْرِه إلى مظاهِرَ فَرْعِيَّةٍ أُخْرَى، وَفِيما يَلِي سَنُورِدُ تَفْصِيلَ هذه المَظَاهِرِ.

1. مجموعة ســتانفورد للفلســفة. **"الوَعْي"**، تَرْجَمة أحمد عمرو شريف. مَجلَّة حِكمة الفلسفة، ص10، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/kEWRB
2. **المدرســة السُّــلُوكيَة:** إحدى نظريَّات عِلْم النَّفْس الحديث، تأسستْ عام 1912م على يدِ عالِم النَّفْس الأمريكيّ واطســن، من مُرتَكزات النَّظريَّة التَّمرْكُز حول مفهوم السُّــلوك من خلال عَلَاقته بعِلْم النَّفْس، والاعتماد على القِيــاس التَّجريبــيّ، وعدم الاهتمامِ بما هو تَجْريديّ غيرُ قابلٍ للملاحظةِ والقياس، للمزيد: نَظريَّات التَّعَلُّم، المدرسة السُّلُوكيَة، موقع تعليم جديد، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/pZySm
3. **إرنســت كاســيرر:** (1874-1945م)، فيلسوف ألمانيٌّ ومُؤَرِّخ فلسفة ينتمي إلى ما يُسَمَّى بمدرسة ماربورج في "الفلســفة الكانطية الجديدة"، اشْتُهِرَ كأبرزِ شــارحٍ للفلسفة النقديَّة الكانطية في القَرْن العشرين، من أَشْهَرِ أعماله "الجَوْهر والوَظيفة"، و "الحُرِّيَّة والشَّكْل"، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعةُ الحرَّة، مُتاح على الرَّابط: https://cutt.us/KN5Gm
4. أبو الخير، خالد. **"سلْســلة الوَعْي: مُقاربَات فَلْسَــفيَّةٌ ونَظْرَة تَطوُرِيَّة لأصل الوَعْي"**. مجلَّة المحطَّة، 6 أبريل 2019م، مُتاح عَلَى الرَّابط: https://cutt.us/rJkzf

أَوَّلًا: الوَعْيُ الفرديُّ:

وهو مرتبطٌ بمجموعَةِ الأَحَاسِيسِ والمَشَاعِرِ الَّتِي تَكْمُنُ في أَعْمَاقِ ذَاتِ الفرد(1) ؛ وله مظاهِرُ فرعيَّةٌ عِدَّةٌ، **حَصَرَهَا عُلَمَاءُ السَّيْكُولُوجِيَّة ضِمْنَ الأنواع التَّالِيَة:**

- **الوَعْيُ العفويُّ التِّلقائيّ:** ويتشَــكَّل هذا المَظْهَرُ من الوَعْي من خلال النَّشَاطاتِ اليوميَّةِ التَّقْليدِيَّةِ الَّتِي يُمَارِسُــها الأفرادُ في مُجْمَل حياتِهم اليوميَّة، وَذلكَ دُونَ بَذْلِ جُهْدٍ ذِهْنِيٍّ نَوْعِيٍّ.
- **الوَعْيُ التَّأمُّليُّ:** ويختلف هذا الوَعْي عن سَابِقه في أَنَّهُ يَتَطَلَّبُ جُهْدًا ذِهْنِيًّا نَوْعِيًّا، كالتَّرْكِيزِ في قَضِيَّةٍ مَا، وتُعْتَبر الذَّاكِرَة والإِدْرَاك عَوَامِلَ أَسَاسِيَّةً في تَشْكِيله.
- **الوَعْيُ الحَدْسِيُّ:** وهو نِتَاجُ اللَّاشُعُور، وَيُعْتَبَرُ هذا النَّوْع من الوَعْي من أَصْعَبِ مَظَاهِر الوَعْي من حيث التَّفْسِــيرُ، وَوَفْقه يَتِمُّ إِدْرَاك الحقائق أو العَلَاقاتِ بين الأشــياء بِدُونِ القُدْرَةِ على تَقْدِيم تَفْسِيرٍ وَاضِحٍ أو اسْتِدْلَالٍ مَنْطِقِيٍّ على كيفيَّة حُدُوث هذا الإِدْرَاكِ.
- **الوَعْيُ المِعْيَارِيُّ الأخلاقيُّ:** ويختصُّ هذا النَّوع من الوَعْي بالسُّــلُوكِيَّاتِ العَامَّةِ للأفرادِ، وذلك بِإِصْدَارِ الأَحْكَامِ على أَيِّ سُلُوكٍ وَفْقًا للْمَبَادِئِ والقناعات الأَخْلَاقِيَّة.
- **الوَعْيُ الزَّائِفُ:** ويتمثَّلُ بالأَفْكَارِ والمُعْتَقَدَاتِ الوَهْمِيَّةِ الَّتِي يعيش في ظِلِّهَا الفَرْد والَّتِي لا تكون مُسْتَنِدَةً على الحقائق بَلْ تكونُ مَحْضَ أَوْهَامٍ، والخطير في هذا النَّوْعِ من الوَعْي أَنَّ الفرد يتعَامَلُ مع قناعاته على أَنَّهَا حَقَائِقُ صَحِيحَةٌ وَيَبْنِي تَصَرُّفَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ اسْتِنَادًا عليها.

ثانياً: الوَعْيُ الجَمْعِيُّ:

أو كما يُسَمَّى في أَدَبِيَّاتِ عِلْمِ النَّفْسِ بِالضَّمِيرِ الجَمْعِيِّ، وأَوَّل مَن أطلق هذا المُصْطَلَحَ عَالِــمُ النَّفْسِ الفَرَنْسِيّ "دور كايم" والَّذِي عَرَّفَهُ على أَنَّــهُ "مَجْمُوعَةٌ من المُعْتَقَدَاتِ

1. مَسْــعود، أَحْمــد طاَهر. **المَدْخَل إلى عِلْم الاجْتِمَاع العَامّ**. الأردن، عَــمَّان: دَار جليس الزَّمَان للنَّشْر والتَّوْزيع، 2011م، ص102.

والعواطف المُشْـــترَكَة بين الأعضاء العَاديِّينَ في مُجْتَمَعٍ مُعَيَّنٍ، والَّتي تُشَـــكِّلُ النَّسَقَ المُحَدَّدَ لحياتهم"[1]، وَيَخْتَلفُ الوَعْيُ الجَمْعِيُّ عن نَظِيره الفرديِّ في أَنَّ الثَّانيَ يَتَشَكَّلُ في حَيَـــاةِ الفردِ ذَاته، وَقد يَتَبَدَّلُ نتيجةَ تَغَيُّرِ إِدْرَاكِ الفردِ أو تَغيُّرِ وُجْهَةِ نَظَره لمَوَاقِفِ الحَيَاةِ الرَّئِيسَـــةِ، كما يُمْكن وَصْفُهُ بِأَنَّهُ وَعْيٌ قَصْـــدِيٌّ، أَيْ إِنَّ لإِرَادَةِ الفردِ ومَلَكَاتِه الإِدْرَاكِيَّةِ الدَّوْرَ الرَّئِيسَ في تَشْـــكِيله، أَمَّا الوَعْـــيُ الجَمْعِيُّ فهو يَختصُّ بالجماعات الإِنْسَانِيَّةِ بِأَسْرِهَا، وَلا يَتَشَكَّلُ في حياة هؤلاء الأفرادِ فقط، وَإِنَّمَا يَتشكَّلُ خلال مسيرة الأجيال الطَّويلة، وهو وَعْيٌ عَفْوِيٌّ لا إِرَادِيٌّ، فالْوَعْيُ الجَمْعِيُّ العَرَبِيُّ على سَبِيل المِثَال ليـــس وليدَ العقود الحاليَّةَ، بَلْ هو نتيجةُ تَفَاعُلِ عِدَّةِ أَجْيَالٍ مُتعاقِبَةٍ مع قضايا الحياة، وهنـــا لا يجب التَّوَقُّع بِأَنَّ هذا الوَعْيَ هو قَضِيَّةٌ وِرَاثِيَّةٌ، فَبِالرَّغْمِ من كَوْنه إِرْثًا فِكْرِيًّا إِلَّا أَنَّ الجِيـــلَ الحَاليَّ ومن خلال رُؤْيَته الخَاصَّـــةِ لقضايا الحياة قد يُغَيِّرُ في بعض تَفَاصِيل هذا الوَعْيِ.

وَيُعْتَبَرُ الوَعْيُ الجَمْعِيُّ ذَا أَهَمِّيَّة بالِغَةٍ تَفُوقُ بدرجاتٍ أَهَمِّيَّةَ نَظِيرِهِ الفرديّ لَا سِيَّما في علوم السِّيَاسَةِ وَعِلْم الاجْتِمَاع الجَمَاعِيّ، فالنُّخَب الحَاكِمَة غَالبًا ما تَتَوَجَّهُ في خطابها إلى الوَعْي الجَمْعِيّ، وَتُحَـــاوِلُ دَغْدَغَةَ هذا الوَعْيِ للوُصُول إلى الغايات المُرَادة، كما يُعْتَبر الوَعْيُ الجَمْعِيُّ هو المُحَرِّكَ الأَسَاسَ للجماعات في تعاطيها مع القضايا المصيرِيَّةِ الكُبْرَى، ففي التَّعَامُل مع هذه القضايا يَغِيبُ الوَعْيُ الفرديُّ على حســـاب الجَمْعِيِّ، وَيَرْتَبِطُ الوَعْيُ الجَمْعِيُّ بالذَّاكِرَة الجَمْعِيَّة ارْتِبَاطًا وَثِيقًا، وَيَتَجَلَّى الوَعْيُ الجَمْعِيُّ من خلال مَظَاهِرَ عِدَّةٍ، كالأَمْثَال الشَّعْبِيَّةِ المُتَوَارَثَةِ عن الأجداد، والَّتي تُعْتَبَرُ بالإِضَافَةِ إلى أَنَّهَـــا من تَجَلِّيَاتِ هذا الوَعْيِ فهي مُحَفِّزٌ أيضا لتَعْزِيزه لدى الأجيال الحَاليَّةِ، ويُمْكن

1. ســـميث، شارلوت سيمور. **مَوسُوعة عِلْم الإنْسَان، المَفَاهِيم والمُصْطَلَحَات الأَنثْروبُولوجيَّة**، تَرْجمة: نُخْبة مِن المُخْتَّصين. مصر، القاهرة: المَرْكز القَوميّ للتَّرْجمة، الطبعة الثانية، 2009م، ص369.

تقسيمُ الوَعْيِ الجَمْعِيِّ إلى عِدَّةِ أقسام فَرْعيَّةٍ، وَهذا التَّقْسيم بهدف سُهُولَةِ الدِّرَاسَةِ، فهذه الأقسام لا تُشَكِّلُ أجزاءَ مُنْفَصِلَةً، بَلْ هي تتَأَثَّرُ وَتُؤَثِّرُ بَعْضها ببعضٍ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ، ومن النَّاحِيَةِ التَّطْبِيقِيَّةِ قد يكون من الصَّعْبِ تَجْزِئَتُهُ إلى أجزاء مُسْتَقِلَّةٍ؛ **وفيما يلي تِبْيَانُ أَهَمِّ أقسام الوَعْيِ الجَمْعِيِّ:**

- **الوَعْيُ الاجْتِمَاعِيُّ:**

يُمكن تَعْرِيفُ الوَعْيِ الاجْتِمَاعِيِّ بِأَنَّهُ "مجموعُ الأَفْكَارِ والنَّظَرِيَّاتِ والآراء والمشاعر الاجْتِمَاعِيَّةِ والعادات والتَّقَاليد الَّتِي تُوجَدُ لدى النَّاسِ، والَّتِي تَعْكِسُ وَاقِعَهُمْ الاجْتِمَاعِيَّ المَوْضُوعِيَّ، وتَتحكَّم في رَدَّاتِ فِعْلِهِمْ تُجَاهَ مُخْتَلَفِ القضايا الاجْتِمَاعِيَّةِ سَوَاءٌ في البِيئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الصُّغْرَى أو الكُبْرَى"[1]، وبما أَنَّ الوُجُودَ الاجْتِمَاعِيَّ للنَّاسِ يتَّصِفُ بالتَّعْقِيد والتَّنَوُّعِ، فَإِنَّ الوَعْيَ الاجْتِمَاعِيَّ يَتَّصِفُ أيضًا بالتَّعْقِيد والتَّنَوُّعِ، ويدُلُّ اسْتِعْرَاضُ التَّاريخِ الاجْتِمَاعِيِّ على أَنَّهُ مع تَغَيُّرِ الوجود الاجْتِمَاعِيِّ للنَّاسِ يَتَغَيَّرُ أيضًا وَعْيهُمُ الاجْتِمَاعِيَّ، كَما أَكَّدَ ماركس أيضًا على أَنَّ الوَعْيَ الاجْتِمَاعِيَّ يَتَّصِفُ بخاصِّيَّةِ الاسْتِقْلَالِيَّةِ النِّسْبِيَّةِ في تَطَوُّرِهِ، فالْوَعْيُ الاجْتِمَاعِيُّ قد يتخلَّفُ عن تَطَوُّرِ الوجود الاجْتِمَاعِيِّ أو قد يَسْبِقه وَتَتَّضِح الاسْتِقْلَالِيَّةُ النِّسْبِيَّةُ للْوَعْيِ الاجْتِمَاعِيّ في اسْتِمْرَارِيَّةِ التَّطَوُّرِ، فالْوَعْيُ ليس في علاقةٍ سَلْبِيَّةٍ مع الوجود ولكنَّ الوَعْيَ يُؤَثِّرُ تَأْثِيرًا إيجَابِيًّا على الوجود الاجْتِمَاعِيِّ"[2] .

فالْوَعْيُ الجَمْعِيُّ هو مجموعة السُّلُوكِيَّاتِ المدفوعة بجُملةٍ من الدَّوافع السَّيْكُولُوجِيَّةِ الَّتِي تَشكَّلَتْ خلالَ فترات زَمَنِيَّةٍ طَوِيلَةٍ قد تصلُ إلى قُرُونٍ عَدِيدَةٍ، وَتَتَشَكَّلُ هذه الدَّوَافعُ ضِمْنَ بيئةٍ دِينِيَّةٍ وَأَخْلَاقِيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ، وَيَحْكُمَ هذا الوَعْيُ مُخْتَلَف

1. المراياتي، كامل جاسم. **الوَعْيُ المَعْرِفِيَ والتَّنْمِيَة المُستَقْبلِيَّة.** مجلَّة آداب البَصْرة، العدد 46، 2008م، ص315، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/0Fids
2. أحمد، سمير نعيم. **النَّظريَّة في عِلْم الاجتِماع. مصر**، القاهرة: مَكْتبة الأنجلو مصريَّة، الطبعة العاشرة، 2006م، ص189.

جوانِبِ الحيـــاة الاجْتِمَاعِيَّةِ للْأفراد كالزَّوَاجِ والعلاقةِ مع الأُسْرَةِ، والمَوْقِف تُجَاهَ المـــرأةِ وَمُخْتَلَفِ القضايا الاجْتِمَاعِيَّةِ الأُخْرَى، وَقد يتقاطعُ الوَعْيُ الاجْتِمَاعِيُّ مع فِكْرَةِ العَصَبِيَّـــةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ في بعض المَوَاضِعِ، فابْنُ خَلْدُونَ لم يُشِرْ إلى مَفْهُومِ الوَعْيِ الجَمْعِيِّ، إلى أنَّهُ أَشَـــارَ إلى فِكْرَةِ العَصَبِيَّةِ، الَّتِي قد تكون تُجَاهَ الجَمَاعَةِ أو الطَّائِفَةِ أو المَذْهَبِ، وَهذه العَصَبِيَّةُ تتشـــكَّلُ في ذاتِ الظُّرُوفِ الَّتِي يتشـــكَّلُ بها الوَعْيُ الاجْتِمَاعِـــيُّ، فالْعَصَبِيَّةُ قَضِيَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ تترافقُ مع التَّطَوُّرِ الاجْتِمَاعِيِّ التَّارِيخِـــيِّ للْجماعات، وهي الحَافِزُ الخَفِيُّ الرَّئِيسُ للتَّطَوُّرِ الاجْتِمَاعِيِّ، إلَّا أَنَّهَا يجب أَنْ تَبْقَى في حُدُودٍ مُعَيَّنَةٍ إذْ يُشَكِّلُ تَنَامِيها المُفْرِطُ بين أفرادِ الجَمَاعَةِ تَهْدِيدًا حَقِيقِيًّا للْوُجُودِ الاجْتِمَاعِيِّ للجماعَةِ مع الجماعاتِ الأُخْرَى.

وَبِالرَّغْمِ من حَدَاثَةِ مُصْطَلَحِ الوَعْيِ الاجْتِمَاعِيِّ، إلَّا أنَّ تَأْثِيره في الإنســـان ظَهَرَ مع تَشَـــكُّلِ الجماعات البَشَرِيَّةِ، وَهذا الوَعْيُ ومنذ ظُهُورِ الإنسان كان مُتَقَاطِعًا مع فِكْرَةِ العَصَبِيَّةِ، فهذه المُصْطَلَحَاتُ حَدِيثَةٌ أَكَادِيميًّا إلَّا أَنَّها قَدِيمَةٌ وُجُودِيًّا قِدَمَ الإِنْسَـــانِ، فالدِّرَاسَةُ التَّارِيخِيَّةُ لهذا الوَعْيِ لن تكون بلا فَائِدَةٍ أبدًا، بَلْ قد تُقَدِّمُ دَلِيلًا تَارِيخِيًّا تَطَوُّرِيًّا يُوَضِّحُ الظُّرُوفَ الَّتِي تَشَـــكَّلَ بها هذا الوَعْيُ وَبِالتَّالي قد يقودُ إلى فَهْمٍ أَعْمَقَ للْوَعْيِ الجماعِيِّ الاجْتِمَاعِيِّ، وَلَعَلَّ في قَوْلِ الشَّاعِرِ الجَاهِلِيِّ دُرَيْد بْن الصِّمَّةّ[1] وَقَبْلَ أَكْثَرَ من خَمْسَة عَشَرَ قَرْنًا تَوْضِيحًا جَلِيًّا للْوَعْيِ الجَمْعِيِّ وَلعلاقةِ هذا الوَعْيِ بالعَصَبِيَّةِ، **فَيَقُول:**

وَهَل أَنا إلّا مِن غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ غَوَيتُ وَإِنْ تَرشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ[2]

1. **دُرَيْــد بن الصِّمَّة:** (630-529م)، شــاعِرٌ جاهِلِيٌّ، وفَارِسٌ من قبيلة هَوَازن مــن قَبَائِل شَرْقِيّ الحِجاز، قاتَلَ المســلمين فقُتِلَ في وَقْعة حُنَين، أَدْرَك الإِســلام ولم يُسْــلِم، لديه ديوانُ شِعْر مَطْبوع، أَجْوَده في الصَّبر على النَّوائب، للمزيد، مَوْقع ويكيبيديا الموسوعةُ الحُرَّة، مُتاح على الرَّابط: https://cutt.us/wQMJ7
2. ابــن الصِّمَّة، دُرَيْد. **"أَرِثُ جَديد الحَبْــلِ مِن أمّ مَعْبد"**. موقع الديوان، مُتَاح عَلى الرَّابِط: https://cutt.us/R8TIq

- **الوَعْيُ الْحُقُوقيُّ:**

ويعني مَعْرِفَةَ الإنسان لحُقُوقه المَمْنُوحَةِ أو المُكْتَسَبَةِ؛ لذلك يُعْتَبَرُ الوَعْيُ الحقوقِيُّ هـــو الضَّمَانَ الاجْتِمَاعِيَّ لدَرْءِ خَطَرِ التَّغَوُّل والانْتِهَاكِ؛ وَيَرَى بَعْضُ المُفَكِّرِينَ أَنَّ مَصْدَرَ حقوقِ الإنســـان هو الطَّبِيعَةُ الأَخْلَاقِيَّةُ للإنسان، فهناك ضرورةٌ لحقوق الإنســـان ليس من أَجْل الحياة، وَإِنَّما من أَجْل حياةٍ كريمةٍ، وكما صَاغَتْهَا العهودُ الدَّوْليَّةُ لحقوق الإنسان بِأَنَّهَا تَنْبُعُ من الكرامةِ المُتَأَصِّلَةِ في الشَّخْصِيَّةِ الإنسانيَّةِ، وتُشَكِّلُ انْتِهَاكَاتُ حقوقِ الإنسان حِرْمَانًا للشَّخْصِ من إِنْسَانِيَّتِهِ(1).

فَحقوقُ الإنســـان لا يُشترط بها أَنْ تتعلَّقَ بالحقوق الآنِيَّةِ الموجودة، بَلْ هي تتعلَّقُ بالحقوقِ المُرْتَبِطَةِ بالطَّبِيعَةِ الإِنْسَـــانِيَّةِ ذَاتِها، فهي ذَاتُ طَبِيعَةٍ إنسانيَّةٍ أَكْثَرَ مِنْهَا قَانُونيَّـــةٍ أو تَشْرِيعِيَّةٍ، وهنا يَتَّضِحُ معنى الوَعْـــيِ الحقوقِيِّ، فالتَّارِيخُ الحقوقِيُّ للجماعات هو ما يُشَـــكِّلُ الوَعْيَ الحقوقِيَّ الجَمْعِيَّ، فعند تَوالي عهودٍ طَوِيلَةٍ من القَمْعِ والحِرْمَانِ من الحقوقِ على الجماعات الإِنْسَانِيَّةِ قد تَفْقِدُ هذه الجماعات وَعْيَهَـــا بِأَحَقِّيَّتِهَا بهذه الحقوقِ، بَلْ وَقد تَصِلُ إلى مرحلـــةٍ تَعْتَقِدُ فيها بِأَنَّ هذه الحقوقِ تُشَـــكِّلُ تَرَفًا أَخْلَاقِيًّا غَيْرَ مُبَرَّرٍ، وفي هذه الحالةِ يُصْبِحُ أَيُّ حَقٍّ ولو كان بسيطًا يُمْنَحُ لهذه الجماعات يَتِمُّ التَّعَامُلُ معه على أَنَّهُ كَرَمٌ أَخْلَاقِيٌّ من الجماعات الحَاكِمَةِ، لذلك يُعْتَبَرُ الوَعْيُ الحقوقِيُّ بَالِغَ الأَهَمِّيَّةِ في أَيِّ نُمُوٍّ اجْتِمَاعِيٍّ وَسِيَاسِيٍّ مُرْتَقَبٍ، وفي حالِ تَأَخُّرِ الوَعْيِ الحقوقِيِّ الجَمْعِيِّ يُفْتَرَضُ بالجماعات المَرْجِعِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ العَمَل على تنميةِ هذا الوَعْيِ.

1. دونللي،جـــاك **حُقُوق الإنســـان العَالَمِيَّة بين النَّظريَّة والتَّطبيـــق**، تَرْجمَة مبارك على عثمان. مصر، القاهرة: مكتبة الأسرة، الطَّبْعة الثَّانِيَة، 2006م، ص29.

- **الوَعْي الأَخْلَاقِيُّ:**

ويعني قُدْرَةَ الفردِ على التَّمْييزِ بين الخَيْرِ والشَّرِّ كما عَرَّفَهُ "رُوسُّو"[1] بأَنَّهُ مَبْدَأٌ فِطْرِيٌّ يجعلنا نُدْرِكُ ما هو خَيْرٌ وَما هو شَرٌّ، وهو ليس حُكْمًا عَقْليًّا، بَلْ إحساسٌ يدفعنا إلى إِدْرَاكِ مدى التَّوَافُقِ أو التَّنَافُرِ الموجودِ بيننا وبين الأشياء؛ وَهذا الوَعْيُ ينمو في سِيَاقَيْنِ مُتَوَازِيَيْنِ، الأَوَّل فَرْدِيٌّ، والثَّاني جَمْعِيٌّ، وكلاهما يُؤَثِّرَانِ وَيَتَأَثَّرَانِ ببَعْضِهما، وَلَعَلَّ تَأْثِيرَ الوَعْيِ الجَمْعِيِّ يُعْتَبَرُ أَكْثَرَ شُموليَّةً وأعمقَ تأثيرًا من نظيرِهِ الفرديِّ، ويَظهر تَأْثِيرُهُ على أَخْلَاقِيَّاتِ الجماعات وَفي وُجْهَةِ نَظَرِها لمُخْتَلف القضايا ذَاتِ البُعْدِ الأَخْلَاقِيِّ، وَتُشَكِّل العاداتُ والتَّقاليدُ المَوْرُوثَةُ حَجَرَ الأَسَاسِ في تَشْكيله، وَيَخْتَلف هذا الوَعْيِ بين الجماعات باخْتِلَافِ الظُّرُوف التَّاريخيَّةِ والعَوَامِلِ الدِّينِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تَشَكَّلَ في ظِلِّهَا، فعلى سبيل المثال تُعْتَبَرُ النَّظْرَةُ الجَمْعِيَّةُ لقضيَّةِ العلاقة الجِنْسِيَّةِ خَارِجَ إِطَارِ الزَّوْجِيَّةِ من الكبائر، مع أَنَّ بعض الأفرادِ قد يَجدون مُبَرِّرَاتٍ لَهَا، إِلَّا أَنَّ الوَعْيَ الجَمْعِيَّ الأَخْلَاقِيَّ يبقى مُسَيْطِرًا ويدفع الوَعْيَ الفرديَّ للتَّسَتُّرِ كَوْنَ الجَمْعِيِّ ذَا تَأْثِيرٍ أَقْوَى، بَيْنَمَا تُعْتَبَرُ ذَاتُ القضيَّةِ لدى بعض الشُّعُوبِ الأُخْرَى ذَاتَ نُفُورٍ اجْتِمَاعِيٍّ وَلَكِنْ قد لا تكون بِنَفْسِ الدَّرجة الَّتِي تَلْقَاها في المُجْتَمَعَاتِ الشَّرْقِيَّةِ.

- **الوَعْيُ الجَمَاليُّ:**

وهو القدرة على تَذَوُّقِ القيمة الجماليَّة، سَوَاءٌ أَكان طَبيعيًّا أَمْ عَمَلاً فَنِّيًّا أو إنسانيًّا، فهذا الوَعْيُ لا يتعلَّقُ بما يَتِمُّ تَفْضِيله، بَلْ بما يُثير الاهْتِمَامَ والإِعْجَابَ متى توافرت الظُّرُوفُ المُوَاتِيَةُ لحدوثِ الاستجابةِ، وَلَعَلَّ مَعَاييرَ الوَعْي الجَمْعِيِّ من أَكْثَرِ مَعَاييرِ الوَعْيِ الجَمْعِيِّ الأُخْرَى سهولةً في التَّمْييزِ، فعلى سبيل المثال تَخْتَلفُ معاييرَ الشُّعُوبِ في تحديد جماليَّةِ المَلَامحِ الإنسانِيَّةِ من مجتمَعٍ لآخرٍ، فالشُّعُوبُ الشَّرْقِيَّةُ لديها معاييرُ جماليَّةٌ تختلف عن تلك الموجودَةِ لدى الشُّعُوبِ الغَرْبِيَّةِ.

1. **جان جاك روسو:** (1712-1778م)، كَاتِبٌ وأَدْيبٌ وفيلسوف وعالِمُ نَبَات، يُعَدُّ من أهمّ كُتَّاب عَصْر التَّنْوير، يُعْتَبرَ كِتَابه "العَقْد الاجْتِمَاعِيّ" أَهَمّ مُؤَلَّفَاته على الإطلاق، ويُعتبر هذا الكتابُ حَجَرَ الزَّاوية في الفِكر السِّياسِيّ والاجْتِماعيّ الحَديث، وكان لكِتابَاته بالغَ الأَثَر في نُضُوج فِكْرة الثَّوْرة الفَرَنْسيَّة، ممَّا حَدَا بالبعض على إطلاق لَقَب عَرَّاب الثَّوْرة الفَرَنسيَّة عليه، للمزيد: مَوْقِع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/PmBzD

المبحث الثَّاني

الوَعْيُ السِّيَاسِيُّ.. المَفْهُومُ والأهَمِّيَّةُ والبِنَاء

مع تَطَوُّرِ العلوم السِّيَاسِــيَّةِ وتداخُلها العُضْويِّ مع مُختَلــفِ العلوم الاجْتِمَاعِيَّةِ الأُخْــرَى يزداد تَأَثُّرُ مُختَلفِ الأفرادِ بها، فَبِالرَّغْمِ من وجودِ نُخَبٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ تُعْنَى بشَــكْلٍ مُبَاشِرٍ بالعَمَلِ السِّيَاسِيِّ، إلَّا أَنَّ وجودَ هذه النُّخَبِ لا يُسقطُ الدَّوْرَ عن بَاقِي الفِئَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَلَعَلَّ المشــاركةَ السِّيَاسِيَّةَ العَامَّةَ الواسعة أصبحت من معايير نُضْجِ المُجْتَمَعَاتِ اجْتِمَاعِيًّا وَسِيَاســيًّا، وممَّا لا شَكَّ به أَنَّ هذه المشاركة لن تكونَ ذَاتَ فَاعِلِيَّةٍ ولن تتمكَّنَ من تقديم أيِّ قيمةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَسِيَاســيَّةٍ ملموسَــةٍ ما لم تَكُنْ تُمَارَسُ في ظِلِّ وَعْيٍ ســيَاسِيٍّ؛ فالْوَعْيُ السِّيَاسِيُّ هو الحَاكِمُ الفِعْلِيُّ لِجَوْدَةِ العَمَلِيَّةِ السِّيَاســيَّةِ ولفاعليَّتِها، وانطلاقًا من أَهَمِّيَّةِ الوَعْيِ السِّــيَاسِيِّ في تعزيزِ الاستقرارِ السِّيَاسِيِّ والاجْتِمَاعِيِّ، سَنُفْرِدُ هذا المَبْحَثَ لدِرَاسَةِ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ من حيث المَفْهُومُ والأَهَمِّيَّةُ وَدِرَاسَةُ العَوَامِلِ الَّتِي تُسَاعِدُ في تكوينه وتعزيزِهِ.

مَفْهُومُ الوَعْيِ السِّيَاسِيّ

يُمكن اعْتِبَارُ الوَعْيِ السِّــيَاسِيِّ أَحَدَ تجلِّيَاتِ الوَعْيِ الجَمْعِيِّ والفردِيِّ على حَدٍّ سَوَاءٍ، فَهو يَرْتَبِطُ بالوَعْيِ الفردِيِّ كَوْنَ درجةِ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ تختلفُ بين الأفرادِ باختلاف ظُرُوفهم الاجْتِمَاعِيَّةِ والاقْتِصَاديَّــةِ والثَّقَافِيَّةِ، ويرتبطُ بالوَعْيِ الجَمْعِيِّ كَوْنَ قضيَّةِ المشــارَكةِ السِّيَاســيَّةِ هي قضيَّةٌ جَمَاعِيَّةٌ أَكْثَرَ مِنْهَا فَرْدِيَّةٌ، وَبِالتَّالي يُمكن القولُ بِأَنَّ دراسةَ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ لأَيِّ جماعةٍ ما يُشْتَرَطُ به دِرَاسَتُهُ وَفْقَ بُعْدَيْنِ مُتَوَازِيَيْنِ فَرْدِيٍّ وَجَمَاعِيٍّ، إِلَّا أَنَّ الوَعْيَ الجَمْعِيَّ قد يكون ذَا أَثَرٍ أَوْضَحَ كَوْنَ الأَثَرِ السِّــيَاسِيِّ الجَمْعِيِّ قد يتغلَّبُ على الفردِيِّ إِلَّا أَنَّهُ لا يُلْغِيهُ.

وقد حَظِيَ مَفْهُومُ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ بِاهْتِمَامٍ وَاضِحٍ مِن قِبَل السِّيَاسِيِّينَ وَعُلَمَاءِ الاجْتِمَاعِ والدَّارِسِينَ، وَقد يكون من الصُّعُوبَةِ حَصْرَ جميع هذه التَّعَارِيفِ في هذه الدِّراسة، إِلَّا أَنَّنَا سَنُورِدُ أَهَمَّ هذه التَّعَارِيفِ وَأَكْثَرَهَا شُمُولِيَّةً وَتَغْطِيَةً لهذا المَفْهُومِ؛ فَيُعَرَّفُ الوَعْيُ السِّيَاسِيُّ بِأَنَّهُ "مِقْدَارُ وَعْيِ الشَّــعْبِ بِالسِّيَاسَةِ وَقُدْرَةُ هذا الشَّــعْبِ على تنميةِ الفضيلةِ السِّيَاسِيَّةِ ويكونُ ذلك عن طريق المشارَكة السِّيَاسِيَّةِ في سياسة الوطنِ العَامَّةِ بالشَّكْلِ الَّذِي يساعِد على تنميةِ الوَطَنِ"(1)؛ كما يُعَرَّفُ هذا المَفْهُومُ على أَنَّهُ "مجموعةُ الأفكارِ والمعلوماتِ الَّتِي لدى الْفَرْدِ والَّتِي تتعلَّقُ بمجتمَعه أو بالمُجْتَمَعِ الخَارِجِيِّ، وَتَدُورُ حول الموضوعاتِ السِّيَاسِيَّةِ المختلفةِ، وهذه المعلوماتُ والمعارفُ تُكتسَبُ من خلال الثَّقَافَةِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي تَنْتَقِلُ للفَرْدِ عَبْرَ عَمَلِيَّةِ التَّنْشِئَةِ السِّيَاسِيَّةِ بواسطةِ المُؤَسَّسَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ المختلفةِ"(2)؛ وَممَّا سَبَقَ يُمكن القول بِأَنَّ الوَعْيَ السِّــيَاسِيَّ هو اتِّجاهاتُ ودوافعُ الأفرادِ للمشارَكةِ في العَمَلِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ مَدْفُوعَةً بجُمْلَةٍ من القِيَمِ والمُعْتَقَدَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تتشكَّلُ نتيجةَ التَّفَاعُلِ الاجْتِمَاعِيِّ بين مُكَوِّنَاتِ المُجْتَمَعِ الواحد من جِهَةٍ وبين النُّخَبِ السِّيَاسِيَّةِ الحَاكِمَةِ من جِهَةٍ أُخْرَى.

فالْوَعْيُ السِّيَاسِيُّ إِدْرَاكُ وَفَهْمُ الفَرْدِ للتَّوَجُّهَاتِ والتَّحَرُّكَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الفَاعِلَةِ دَاخِلِيًّا وَخَارِجِيًّا؛ ومَعْرِفةُ طبيعةِ الظُّرُوفِ السِّيَاسِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ الَّتِي تُحِيطُ به، ومَعْرِفةُ مُشْكِلَاتِ العَــصْرِ المختلفة، وكذلك مَعْرِفةُ القُوَى الفاعِلةِ والمُؤَثِّــرَةِ في صناعةِ القرارِ وطنيًّا وعالَميًّا، كما يتعلَّقُ مَفْهُومَ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ بالمجتمَعَاتِ والمُنَظَّمَاتِ على حَدٍّ سَوَاءٍ؛ لذلك يُعْتَبَرُ الوَعْيُ السِّــيَاسِيُّ بمَثَابَةِ القَلْبِ النَّابِضِ للْمُكَوِّنَاتِ الحَيَّةِ للْكِيَانَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، وَيُمَثِّلُ الوَعْيُ السِّيَاسِيُّ الرَّكِيزَةَ الأَسَاسِيَّةَ الَّتِي يُبْنَى عليها النِّظَامُ السِّيَاسِيُّ والاجْتِمَاعِيُّ؛ إِذْ إِنَّ إِغْفَالَ موضوعِ الوَعْيِ في عَمَلِيَّةِ بناءِ الدَّوْلَةِ ســيَعْنِي البِنَاءَ على أُسُسٍ من الرِّمَالِ؛ إِذْ لَنْ يَصْمُدَ مِثْلِ هذا البِنَاءِ أَمامَ أَيِّ أَزْمَةٍ قد تَمُرُّ بها الدَّوْلَةُ أو المجتمَع مَهْما كان حجمُ البِنَاءِ السِّيَاسِيِّ أو العُمْرَانِيِّ.

1. شــيبتولين. **الفَلْســفة اللِّينينيَّة المَاركسيَّة**، تَرْجَمة لويس إسكاروس. مصر، القَاهرة: دَار الثَّقَافة الجديدة، 1982م، ص287.
2. العامريّ، سلوى حسني. **"الثَّقَافة السِّيَاسيَّة في مصْر بين التَّغْيير والاسْتِقْرار"**. مَرْكَز البُحوث والدِّراسَات السِّيَاسيَّة، كلِّيَّة الاقْتِصاد والعُلُوم السِّيَاسيَّة، جامِعة القَاهرة، المجلَّد الثاني، ص1358.

أَهَمِّيَّةُ الوَعْيِ السِّياسِيّ

لِلْوَعْيِ السِّـــيَاسِيِّ أَهَمِّيَّةٌ كُبْرَى دَاخِلَ المجتمَعِ، فالإنســـانُ منذ نَشْأَته يتعلَّمُ منظومَةً مـــن القِيَمِ الإِدْرَاكِيَّةِ والوِجْدَانيَّةِ والتَّفْضِيليَّـــةِ، وَأَوَّلُ هذه القِيَمِ هي القِيَمُ الوِجْدَانيَّةُ المُرْتَبِطَةُ بالأُمِّ والوَطَنِ أو رُمُوزِ الوَطَنِ كَالرَّايَةِ أو العَلَمِ، والَّتِي تتشكَّلُ لدى الفَرْدِ من خلال التَّنْشِئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وهنا تَكْمُنُ أَهَمِّيَّةُ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ والتَّنْشِئَةِ السِّيَاسِيَّةِ منذ الصِّغَرِ؛ وتزداد أهمِّيَّةُ الوَعْيِ السِّـــيَاسِيِّ في كَوْنِهِ يُعْنَى بالفَهْمِ العَامِّ لِلْمُنَاخِ السِّيَاسِيِّ وَما يُحرِّكه من تجاذُبَاتٍ وَمُخَطَّطَاتٍ من الفَاعِلينَ السِّيَاســـيِّينَ داخل القُطْرِ أو حتى خَارِجه؛ نَظَرًا للتَّرَابُطِ العَالَمِيِّ لِلْأَحْدَاثِ؛ **وَفِيما يلي سَنُبَيِّنُ أَهَمَّ النِّقَاطِ الَّتِي تَتَجَلَّى بها أَهَمِّيَّةُ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ.**

- يُساهِم الوَعْيُ السِّـــيَاسِيُّ في خَلْقِ تَغَيُّرَاتٍ ثَقَافِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ جَوْهَرِيَّةٍ على الصَّعِيدَيْنِ المَحَلِّيِّ والدَّوْلِيِّ.
- يَعملُ الوَعْيُ السِّـــيَاسِيُّ على تَطْوِيرِ فِكْرِ الفرد من الرُّكُودِ والتَّحَجُّرِ الذِّهْنِيِّ إلى الانفتاح الفِكْرِيِّ السِّيَاسِيِّ والثَّقَافِيِّ؛ وذلك من خلال التَّعْبِير عن آرائه السِّيَاسِيَّةِ بحُرِّيَّةٍ دُونَ اعتقالٍ أو اضطهادٍ.
- يُشَكِّلُ الوَعْيُ السِّيَاسِيُّ الأساسَ والهُوِيَّةَ في بناء الشَّخْصِيَّةِ؛ وَبِالتَّالي بناءُ المجتمَعِ والدَّوْلَـــةِ؛ فهُـــوَ الدَّافِعُ القَوِيُّ لفَهْمِ مجالاتٍ أُخْـــرَى في الحياة؛ مِثْلِ العلومِ أو الاقْتِصَادِ وَغَيْرِهَا، كما يُسَاهِمُ في تَطَوُّرِهَا.
- يســـاعِد الوَعْيُ السِّـــيَاسِيُّ على التَّطَوُّرِ الاقْتِصَادِيِّ والنُّهوضِ بالبُلْدَانِ من كَافَّةِ النَّوَاحِي؛ فَكُلَّما كان الوَعْيُ السِّـــيَاسِيُّ العَامُّ في مجتمَعٍ مـــا مُرْتَفِعًا؛ كُلَّما قَلَّتْ إِمْكَانِيَّةُ وجودِ ما يُسمَّى بالفسادِ السِّيَاسِيِّ.
- يُعَمِّقُ الوَعْيُ السِّـــيَاسِيُّ مَعَاني الانتماءِ والـــولاءِ للوطنِ مع تحقيق مبدأ التَّكَافُؤِ والعَدالةِ والمُسَاوَاةِ داخل الدَّوْلَةِ.

الشَّبَاب وبِنَاء الوَعْي السِّيَاسِيّ

إنَّ عمليَّة بناء الوَعْي السِّـــيَاسِيِّ لدى الشَّبَابِ عمليَّةٌ مُعَقَّدَةٌ، تَتَطَلَّب تحقيقَ التَّوَازُنِ بين الدَّوْلَةِ والمجتمَعِ، بحيث يُبْنَى هذا الوَعْيُ على أُسُـــسٍ رَشِيدَةٍ، ومن ثَمَّ تَأْتِي نَتَائِجُهُ على الوَجْهِ المَطْلُوبِ، بِهَدَفِ تَنْشِـــئَةِ الشَّبَابِ وَفْقًا لمُقْتَضَيَاتِ الوَعْي الصحيحِ الَّذِي يُمَيِّزُ المَرْءُ من خلاله بين الصَّوابِ والخطأ والحَقِّ والزَّيْغِ، وَتُعْتَبر عمليَّةُ تَشْـــكِيل الوَعْي السِّيَاسِيِّ لدى الأفرادِ بِشَكْلٍ عَامٍّ وَللشَّبَابِ بِشَكْلٍ خَاصٍّ عمليَّةً بَطِيئَةً، فَهِي عمليَّةٌ تراكُمِيَّةٌ تبدأ منذ سنواتِ الطُّفُولَةِ الأُولَى مرورًا بالخِبْرَاتِ والتَّجارِبِ الحياتيَّةِ المُبَكِّرَةِ، والَّتِي تَعْتَبِرُ الأَسَاسَ المَتِينَ في بناءِ الشَّخْصِيَّةِ، ثُمَّ تنتقل إلى السِّيَاقَاتِ المُؤَسَّسِيَّةِ في المدرسة فالجامعة، ومن ثَمَّ إلى الحياة العمليَّةِ، ما يَعْنِي أَنَّ تَكْوِينَ الوَعْي عمليَّةٌ مُسْتَمِرَّةٌ من الولادة حتى المَمَاتِ، لذلك فَإِنَّ الوَعْيَ السِّيَاسِيَّ هو الأساس الرَّكِينُ في بناء الأُمَمِ والمجتمَعَاتِ.

ولأَنَّ مفهومَ الوَعْي السِّـــيَاسِيِّ يتعلَّقُ بالأفرادِ والمُنَظَّمَات والمجتمَعَات على حَدٍّ سَوَاءٍ، فَإِنَّ تَكْوِينه يعني ضَرْبًا من ضُرُوبِ التَّفْكِيرِ بالأَحْوال السِّيَاسِـــيَّةِ والحَرَاكِ المجتمَعِيِّ في النِّطاقاتِ المَحَلِّيَّةِ والإِقْليمِيَّةِ والدَّوْلِيَّةِ، وَمِن ثُمَّ فإِنَّه يختلفُ من مجتمَعٍ إلى مجتمَعٍ، بالنَّظر إلى مدى انْفتاحه/ انْغلاقه، وَمِن نظامٍ سِـــيَاسِيٍّ إلى آخَرَ بِالنَّظر إلى طَبِيعته سُـــلْطَوِيَّة/ دِيمُقْرَاطِيَّة، وَغَيْرِ ذلك من ســـياقاتٍ مُحِيطَةٍ بعمليَّةِ بناء وتَدْشِينِ الوَعْي السِّيَاسِيِّ، الفردِيِّ والجماعِيِّ.

ومع أَنَّ الدَّوْلَةَ مســـؤولةٌ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ عن توفيرِ البِنْيةِ المجتمَعِيَّةِ الملائمةِ لعمليَّةِ بناء وَتَكْوِينِ الوَعْي السِّيَاسِيِّ لرعاياها، إِلَّا أَنَّ دَوْرَ بناءِ هذا الوَعْي لا يقتصرُ على الدَّوْلَةِ وَمُؤَسَّسَـــاتِهَا، بَلْ يتعدَّاها ليشملَ مختلَف المُؤَسَّسَـــاتِ والبِنَى الاجْتِمَاعِيَّةِ والمُؤَسَّسَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ والدِّينِيَّةِ، حيث تتجمَّع جهودُ هذه المُؤَسَّسَـــاتِ مع بَعْضِها في تَشْكِيل الوَعْي السِّيَاسِيِّ الفردِيِّ والجَمْعِيِّ.

وَيمُكن القول بأَنَّ عمليَّةَ بناء الوَعْي السِّيَاسِيِّ لدى الشَّبَابِ لا يُمكن أَنْ تَتِمَّ بالاعتماد عـــلى إِسْـــتِرَاتِيجِيَّةٍ بِعَيْنِهَا، وَلا يُمكن أَنْ تَتِمَّ بخطواتٍ ثابتـــةٍ معروفةٍ، بَلْ هي عمليَّةٌ

تَفَاعُلِيَّةٌ تختلف من بيئةٍ إلى أُخْرَى، وذلك تَبَعًا للظُّرُوفِ المحيطة بِالشَّبَابِ، الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّـــة والثَّقَافِيَّة، إِلَّا أَنَّهُ بالإمكان ذِكْرُ بعض النِّقاطِ الَّتِي يُمكن اعتبارُها نَوَاةَ عَمَلٍ في بناء الوَعْي السِّـــيَاسِيِّ، وكما أَسْلَفْنَا لا يجوز اعتبار هذه النِّقاطِ وسيلةً ثابتةً وناجِعةً، بَلْ هي بحاجَةٍ للتَّطْوير بما يتناسَـــبُ مع واقعِ الشَّبَاب الذَّاتِيِّ والموضوعِيِّ، **وَفِيما يَلي ذِكْرٌ لأَهَمِّ هذه النِّقَاطِ:**

- تأسيسُ الأُطُرِ السِّيَاسِـــيَّةِ الفاعلة الَّتِي تُشَكِّلُ النِّظَامَ السِّيَاسِيَّ بكافَّةِ مُسْتَوياتها انطلاقًا من أُطُرٍ فِكْرِيَّةٍ وَأَيْدِيُولُوجِيَّةٍ وطنيَّةٍ تَهْدِفُ بِشَكْلٍ حَقِيقِيٍّ بالفِعْلِ والقَوْلِ لبناءِ نِظَامٍ دِيمُقْرَاطِيٍّ سَـــلِيمٍ بَعِيدًا عن المَصَالحِ الضَّيِّقَة والأهداف الآنِيَّةِ؛ الأَمْرُ الَّذِي يُعَزِّزُ ثقةَ الشَّبَاب بتلك القُوَى، وَبِالتَّالي تُسهِّل عمليَّةَ التَّأْثِير الإِيجَابيِّ بينها وبين الشَّبَاب.
- التَّدَرُّج في الشَّـــبَابِ وتعريفهم بحقوقهم وواجباتهم وَتَرْسِـــيخ مفهوم المُوَاطَنة بِشَكْله الحقيقِيِّ بَعِيدًا عن التَّعَصُّبِ المَذْهَبِيِّ أو القَبَلِيِّ أو القَوْمِيِّ، وَبَعِيدًا عن رَبْط المُوَاطَنة بأشـــخاصٍ أو أَحْزَابٍ وجَعْلها وَفْقَ المفهوم الحقيقِيِّ المُتَمَثِّل بالالتصاق بالوطن تاريخًا وأرضًا وشعبًا وقِيمًا.
- تنظيـــم علاقة المُوَاطِن بالدَّوْلَةِ من خلال إيجـــادِ قَوَانِينَ عادِلةٍ تحقِّق المصلَحة المُشتركة للدَّوْلَة والفَرْد.
- إشـــاعَةُ مفهوم الأغلبيَّةِ والأَقَلِّيَّةِ بِشَكْلِه السَّـــلِيم، باعتبارِه مفهومًا سِيَاسِيًّا لإدارة الدَّوْلَـــةِ وَليس عَقِيدَةً دينِيَّـــةً أو مَذْهَبِيَّةً أو عِرْقِيَّةً؛ لأَنَّ هـــذه المَفَاهِيمَ مَفَاهِيمٌ اجْتِمَاعِيَّة لذلك فَإِنَّ الأغلبيَّةَ هي مُؤَقَّتَةٌ وَيُمكن أَنْ تكون أَقَلِّيَّةً في دَوْرَةٍ انْتِخَابِيَّةٍ أُخْرَى وَبالعَكْسِ وذلك انطلاقًا من طَبِيعَةِ بَرَامجها السِّيَاسِيَّةِ وقناعَةِ المجتمَعِ بها.
- إشاعةُ الثَّقَافَةِ والذَّوْقِ العَامِّ وَإِبْرَاز مفهوم الجَمَالِ بِكُلِّ جَوَانِبه الرُّوحِيَّة والأَخْلَاقِيَّةِ والمَظْهَرِيَّةِ في المجتمَع، ويكون ذلك بواسطة المُؤَسَّسَاتِ الرَّسْمِيَّةِ وَغَيْرِ الرَّسْمِيَّة، لا سِيَّما المُؤَسَّسَاتُ التَّعْليميَّةُ منها بَدْأً من المراحل الدِّرَاسِيَّةِ الأُولَى صُعُودًا، وذلك من أَجْل بناءِ جِيلٍ يمتلك الثَّقَافَةَ والوَعْيَ لِيُسْهِمَ في تَعْمِيقِ التَّجْرِبَةِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ حتى تصبحَ مع مرورِ الزَّمَن تَجْرِبَةً ناضِجةً تُحَاكِي التَّجَارِب الدِّيمُقْرَاطِيَّة العَرِيقَة.

- إشاعةُ مَبْدأ العَدالةِ الاقْتِصَادِيَّةِ من خلال حَلِّ المَشَاكِل المَعِيشِيَّةِ للْمجتمَع كالبطَالة والفقْـــرِ والعَدالةِ في تَوْزِيعِ الثَّرْوَةِ؛ إذْ إنَّ تلك المَشَـــاكِل هي من أَبْرز مُعَوِّقَات الوَعْي بِشَـــكْلٍ عامٍّ والسِّيَاسِيِّ بِشَكْلٍ خَاصٍّ. إذْ إنَّ الدَّوْلَةَ الدِّيمُقْرَاطِيَّةَ وَهي دَوْلَةُ مُؤَسَّسَاتٍ تَتَطَلَّبُ قَبْلَ كُلِّ شيء الاسْتِقْرَارَ السِّيَاسِيّ، وَهذا لا يَتَحَقَّقُ إلا عَبْرَ تعميق الوَعْي السِّـــيَاسِيِّ لدى أفراد المجتمَعِ وشعورهم بأَنَّ مُؤَسَّسَاتِ الدَّوْلَةِ هي المُعَبِّرَةُ عن إراداتهم وَرَغَبَاتِهِمْ وتستوعِبُ نشاطاتهم وأَنَّهم جُزْءٌ منها(1).
- كُلَّما كان الوَعْيُ السِّـــيَاسِيُّ حَاضِرًا ومُتَأَصِّلاً لدى أغلبيَّةِ أفراد المجتمَعِ نَرَى أَنَّ القُوَّةَ السِّيَاسِيَّةَ الفاعِلة تَجِدُ نَفْسها مُضْطَرَّةً لاتِّبَاعِ مَنَاهِجَ عَقْلَانِيَّةٍ في مشاريعها السِّيَاسِـــيَّةِ، وذلك في محاوَلةٍ منها لإقناع الأفراد بتلك المشاريع، وَبِالتَّالي يكون من الصَّعْبِ بمكانٍ اسْـــتِغْفالُ الجَمَاهِيرِ والعَزْفُ على المشاعر البُدَائِيَّةِ كالتَّحْفيز الدِّينِيِّ أو الطَّائِفِيِّ أو القَوْمِيِّ أو المَنَاطِقِيِّ.
- توفير المعلوماتِ الصَّحيحةِ ذَاتِ الصِّلَةِ بالواقع السِّـــيَاسِيِّ المَحَلِّيِّ والعَالَمِيِّ، بما يُعَزِّزُ من إدْرَاكِ الشَّبَابِ للعلاقةِ بين مُدْخَلات السِّيَاسَةِ وَمُخْرَجاتها، وَيُوَضِّحَ دَوْرَ القَرَارِ السِّيَاسِيِّ في بناءِ المجتمَعِ المَحَلِّيِّ والدَّوْلِيِّ.
- نَبْذُ فِكْرَةِ أَنَّ السِّيَاسَـــةَ حِكْرٌ على فئاتٍ مُحدَّدةٍ، والتَّأكيدُ على أَنَّ السِّيَاسَةَ ليست قضيَّـــةً مُنْفَصِلَةً عن المجتمَع، فهي ذَاتُ تَأْثِيرٍ مُبَاشِرٍ على مُختَلفِ جوانبِ الحياة الاقْتِصَادِيَّةِ والاجْتِماعِيَّةِ والثَّقَافِيَّةِ.
- العَمَلُ على تَوْفِيرِ بيئَةٍ تَشْرِيعِيَّةٍ وَقَانُونِيَّةٍ تضمنُ مشارَكةَ الشَّبَابِ في العمليَّةِ السِّيَاسِيَّةِ، فالمشارَكةُ السِّيَاسِيَّةُ تُعْتَبَرُ إحْدَى المَداخِل الهَامَّةِ في تَشْكِيل الوَعْي السِّيَاسِيِّ.
- تفعيلُ دَوْرِ الأحزاب والبِنَى السِّيَاسِيَّةِ كَوْنَهَا تُشَكِّلُ الحَاضِنَةَ الأَبْرَزَ للشَّبَابِ، وَتُشَكِّلُ حَلْقةَ الوَصْلِ الحقيقيَّةِ بين الشَّبَابِ وبين السِّيَاسَةِ العَامَّةِ للدَّوْلَةِ.

1. آل طويرش، موسى محمد. "**الوَعْي السِّـيَاسِي**". مَرْكَز العِرَاق الجَديد للإعْلَام والدِّراسَـات، 28 فبراير 2012م، تاريخ الزيارة 14 يناير 2017م، مُتَاح على الرَّابِط: https://bit.ly/2YsKYbu

المُشاركة السِّيَاسِيَّة مَدْخَلٌ لِلْوَعْي السِّياسِيّ

كما أسلفْنَا في مُقدِّمةِ هذا الفصْل، فحتى بداية العصور الحديثَة كانت السِّيَاسَةُ حكْرًا على فئات مُحدَّدةٍ في المجتمَع، وَخَاصَّةً الطَّبَقَة الأُرُسْتُقْرَاطِيَّة وَكِبَار التُّجَّارِ والنُّبَلَاءِ، أَمَّا الغَالبيَّةُ السَّاحِقَةُ من النَّاس فكانت مُبْعَدَةً عن هذا المِضْمَارِ، وَبَعْدَ الثَّوْرَةِ الصِّنَاعِيَّة(1) ومع ظهور الأحزاب السِّيَاسِيَّةِ بدأ العمل السِّيَاسِيُّ بالتَّوَسُّع، وبدأت الطَّبَقَاتُ الوُسْطَى من المجتمَع بالدُّخول إلى مُعْتَرَكِ الحياة السِّيَاسِيَّةِ؛ وفيما يَخُصُّ المعنى الدَّقيق لمفهوم المشـــارَكة السِّيَاسِيَّة فقد حَظِيَ هذا المفهوم بتَعَارِيف عِدَّة، فالتَّعْرِيفَاتُ الاصْطِلَاحِيَّةُ تتعدَّدُ بالتَّوَازِي مع تَعَدُّدِ المحاولات الفِكْرِيَّة الَّتِي تَنَاوَلَتْ هذا المفهومَ، وجميعها تتقاطَعُ في نِقَاطٍ عِدَّة، فَيُمكن تَعْرِيفه بِأَنَّهُ نشـــاطٌ يَرْمُزُ إلى مساهَمة المواطنينَ ودَوْرهم في إطار النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ، وتعني في جَوْهَرِهَا النَّشاط الَّذِي يقوم به المواطنون العادِيُّونَ بِقَصْدِ التَّأْثِيرِ في عمليَّة صُنْع القَرَارِ الحُكُومِيِّ، سَـــوَاءٌ أكان هذا النَّشَـــاطُ فَرَدِيًا أَمْ جماعِيًّا، مُنَظَّمًا أَمْ عفوِيًّا، مُتَوَاصِلاً أَمْ مُنْقَطِعًا، سِلْمِيًّا أَمْ عَنِيفًا، شَرْعِيًّا أَمْ غَيْرَ شَرْعِيٍّ، فَعَّالاً أَمْ غَيْرَ فَعَّالٍ(2).

كما عُرِّفَت المشـــارَكةُ السِّيَاسِيَّةُ بِأَنَّهَا مُشَـــارَكَةُ أعدادٍ كَبِيرَةٍ من الأفرادِ والجماعات في الحياة السِّيَاسِـــيَّةِ، بينما يراها البعض الآخرُ "مشاركة أَكْبَرُ عددٍ مُمْكِنٍ من أفرادِ المجتمَعِ في أَكْبَرِ عددٍ مُمْكِنٍ من الأَنْشطة والمجالات بحيث تَتَمَاشَى هذه المجالات مع قُدُرَاتِ وَمُتَطَلَّبَاتِ هؤلاء الأفرادِ"(3).

1. **الثَّوْرة الصِّناعيَّة**: هي انتشَـار وإحْلَال العَمَل اليدويِّ بالمكنَة، ومهَّد لها التَّطوُّر العلْميُّ المُتَسَـارِعُ الَّذي شَهِدَته دُوَلُ أُورُوبَّا الغَرْبِيَّة في القَرْنِ السَّابِع عَشَر، وَيُعْتَبَرُ اختراع المحرِّك البخاريِّ النَّوَاة الحقيقيَّة لهذه الثَّوْرة، وقد تركَتْ آثَارًا مُبَاشِرَةً وَغيْرَ مُبَاشِرَةٍ على مختلف وجوه الحَيَاة الاقْتِصَاديَّة والاجْتِمَاعيَّة والثَّقَافيَّة والسِّيَاسِيَّة ، للمَزِيد : مَوْقِعُ ويكيبيديا المَوْسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/H68R9
2. عليوة، السيد& منى محمود. **مفهوم المشاركة السِّيَاسيَّة**. دمشق: مَرْكز دِمَشق للدِّرَاسات النَّظريَّة والحُقُوق المدنيَّة، ص46.
3. عبدالوهاب، طارق محمد. **سَيْكُولوجيَّة المشَاركة السِّيَاسيَّة: مع دِراسة في عِلْم النَّفْس السِّيَاسِيّ في البيئة العَرَبِيَّة**. مصر، القاهرة: دار غريب للطِّبَاعة والنَّشْر، 1999م، ص13.

وَوَفْقًا لآخَرِينَ، فَإِنَّ المشــــارَكةَ السِّيَاسِيَّةَ هي العمليَّةُ الَّتي يُمكن من خلالها أَنْ يَقُومَ الفردُ بدَوْرٍ في الحياة السِّيَاسِيَّةِ بقَصْدِ تحقيقِ أهداف التَّنْمِيَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ، على أَنْ تُتَاحَ الفُرْصَةُ لكُلِّ مواطنٍ بأَنْ يُسْــــهم في وَضْعِ الأهدافِ والتَّعَرُّفِ على أَفْضَلِ الوَسَــــائِلِ والأَسَــــاليب لتَحْقِيقِهَا، وَعلى أَنْ يكون اشْــــتِرَاكُ المُوَاطِنِ في تلك الجُهُودِ على أَسَــــاسِ الدَّافِعِ الذَّاتيِّ والعَمَلِ الطَّوْعِيِّ الَّذِي يُتَرْجِمُ شُــــعُورَ المُوَاطِنِ بالمَسْؤُوليَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ تُجَاهَ الأهداف والمُشْــــكِلاتِ المشتركَةِ لمجتمَعه، وَأَنْ يعتقدَ كُلُّ فَرْدٍ أَنَّ لَدَيْهِ حُرِّيَّةَ المشاركَةِ في القِيَمِ الَّتي يُقِرُّهَا المجتمَعُ(1).

وَعلى الصَّعِيدِ الإِجْرَائيِّ يُمكن قِيَاسُ مَدَى المشــــارَكة السِّيَاسِيَّة بِعِدَّةِ مُؤَشِّرَاتٍ كَمِّيَّةٍ، كَنِسْــــبَةِ المشــــارَكة في التَّصْويتِ في الانْتِخَابَاتِ العَامَّةِ والمَحَلِّيَّةِ، والمشارَكةِ في عمليَّةِ صُنْعِ القَرَارِ، والحَقِّ في التَّرَشُّحِ للْمَنَاصِبِ السِّيَاسِيَّةِ، وتتراوح المشارَكةُ السِّيَاسِيَّةُ بين المشــــارَكة التَّامَّةِ والعُزُوفِ التَّامِّ، والغَالب أَنْ تكون مُتَرَاوِحَةً بين هَاتَيْنِ الدَّرَجَتَيْنِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَرِبَ من المشارَكة التَّامَّةِ أو العُزُوفِ.

مُسْتَوَيَاتِ المُشارَكة السِّيَاسِيَّة

وَبِشَــــكْلٍ أَكْثَرَ دِقَّةً يُمكن تَصْنِيفُ مُسْــــتَوَيَاتِ المشاركة السِّيَاسِيَّةِ إلى أَرْبَعَةِ مُسْتَوَيَاتٍ، سَنُبَيِّنُهَا فِيما يَلِي بِالتَّفْصِيل:

- **الاهْتِمَامُ السِّــــيَاسِيّ:** ويتمثَّلُ بالاهْتِمَامِ بالقضايا العَامَّــــةِ، إضافةً إلى مُتَابَعَةِ الأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ، والدُّخُول في النِّقَاشَاتِ السِّيَاسِيَّة، وَمُتَابَعَة التَّطَوُّرَاتِ السِّيَاسِيَّةِ المَحَلِّيَّةِ والعَالَمِيَّةِ.
- **المَعْرِفَةُ السِّيَاسِيَّة:** وَيُعْتَبَرُ هذا المُسْتَوَى أَعْلَى من المُسْتَوَى السَّابِقِ، وَيَتَمَثَّلُ بمَعْرِفَةِ الشَّــــخْصِيَّاتِ السِّيَاسِيَّةِ الفاعلَةِ على المُسْــــتَوَى المَحَلِّيِّ والإِقْلِيمِيِّ والدَّوْلِيِّ، وَفي مَعْرِفَةِ أَهَمِّ القضايا السِّيَاسِيَّةِ الحَالِيَّةِ، والإِلْمَامُ ببعض تفاصيل هذه القضايا.

1. محمــد، محمــد علي & علي عبدالمعطي محمد. **السِّيَاسَــةُ بين النَّظَرِيَّةِ والتَّطْبِيــق.** لبنان، بيروت، دار النَّهْضَة العربيَّة للطِّبَاعة والنَّشْر، 1985م، ص 60.

- **التَّصْوِيتُ السِّــــيَاسِيُّ:** وَتُعْتَبَرُ هذه المرحلةُ هي بِدَايَةَ المشارَكة الفِعْليَّةِ في الحياة السِّيَاسِـــيَّةِ، وتتمَثَّل في مُتَابَعَةِ الحَمَلَاتِ الانْتِخَابِيَّةِ للْمُرَشَّحِينَ، وقد تتطوَّرُ هذه المرحلةُ إلى درجةِ الوَلَاءِ السِّيَاسِيِّ لتَيَّارٍ مُعَيَّنٍ، والإيمَان بطُرُوحَاتِ هذا التَّيَّار.
- **المَطَالِبُ السِّيَاسِــيَّةُ:** وهي أَعْلَى دَرَجَةٍ من درجاتِ المشاركة السِّيَاسِيَّةِ، وتتضَمَّن العَمَلَ السِّيَاسِيَّ على تحقيقِ أهدافٍ مُحَدَّدَةٍ، وذلك من خلال الانْدِمَاجِ في تَيَّارَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ، وَفي الانْتِسَابِ لأَحْزَابٍ تُمَثِّلُ تَوَجُّهَ الفردِ.

وَتُعْتَبَرُ المشارَكةُ في الحياة السِّيَاسِــيَّةِ دَليلًا على الحَيَوِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ للْمجتمَعِ، وَتَعْمَلُ مُخْتَلَــفُ النُّظُمِ الحَاكِمَةِ على إِبْرَازِ مَدَى تَوَافُرِ هذه المشـــارَكةِ، إِلَّا أَنَّ بعض النُّظُمِ والتَّشْرِيعَاتِ قد تَفْرِضُ قُيُودًا قَانُونِيَّةً وَسِيَاسِــيَّةً تَحُدُّ من فَاعِلِيَّةِ المشاركة السِّيَاسِيَّةِ، بحيث تَغْدُو مُشَارَكَةً شَكْلِيَّةً فَارِغَةً من أَيِّ مَضْمُونٍ حَقِيقِيٍّ.

ولا بُدَّ هنا من الإِشَــارَةِ إلى أَنَّ المشـــارَكةَ السِّيَاسِيَّةَ تُعْتَبَرُ من المَدَاخِلِ الهَامَّةِ لتَشْكِيلِ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ، فالْوَعْيُ السِّيَاسِيُّ غَيْرُ المُقْتَرِنِ بمُشَارَكَةٍ فِعْلِيَّةٍ لن يتعَدَّى كَوْنَهُ إطارًا نظريًّـــا يمُكن تَصْنِيفُهُ ضِمْنَ خَانَةِ الثَّقَافَةِ العَامَّةِ لا أَكْثَرَ، وكما هو مَعْرُوفٌ فالتَّجْرِبَةُ السِّيَاسِــيَّةُ والوَعْيُ السِّيَاسِيُّ مفهومَانِ مُتَرَابِطَانِ تَرَابُطًا تَامًّا، وَيُمكن وَصْفُ العلاقةِ بَيْنَهُما بِالتَّبَادُلِيَّةِ، فوجودُ الوَعْيِ السِّــيَاسِيِّ بمُسْـــتَوَيَاتٍ مُرْتَفِعَةٍ يقود حُكْمًا لتَجْرِبَةٍ سِيَاسِيَّةٍ مُمَيَّزَةٍ، كما أَنَّ التَّجَارِبَ السِّيَاسِيَّةَ الغَنِيَّةَ تعمل على تَعْزِيزِ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ.

المبحث الثَّالِث

الوَعْيُ السِّيَاسِيّ والمُشارَكَة السِّيَاسِيَّة لَدى الشَّبَاب العَرَبِيّ

يُعْتَبَر الوَعْيُ السِّـيَاسِيُّ لدى المجتمَع العَرَبِيّ بِشَـكْلٍ عَامٍّ ولدى الشَّبَاب بِشَكْلٍ خَاصٍّ من القضايا الإِشْكَاليَّة في المنطقة العَرَبِيَّة، وَيمُكن اعْتِبَارُ هذا الوَعْي الحَالِيِّ بغضِّ النَّظَر عن مُسْـتَوَاهُ من المفاهيم الحديثة نِسْبِيًّا، فحتى نهاية القَرْن التَّاسِع عَشَرَ كان العَالَمُ العَرَبِيُّ بِغَالِبِيَّتِه بَعِيدًا عن تَجَاذُبَاتِ السِّيَاسَة، وَكان الوَعْيُ السِّيَاسِيُّ الفرديُّ والجَمَاعِيُّ في حدوده الدُّنْيَا، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآنَ مَرَّ هذا الوَعْيُ بتَجاذُبَات عَدِيدَة، وَتَذَبْذُبَات مُتَعَدِّدَة، وَلَعَلَّ في عَدَم اسْتِقْرَار البِيئَة السِّيَاسِيَّة العَرَبِيَّة اليَدَ الطُّولَى في هذا التَّجَاذُب والتَّذَبْذُب، فَمَعَ أُفُول القَرْن التَّاسِـعَ عَشَرَ بدأت بعض مَلاَمِح الوَعْي السِّيَاسِيّ لدى الشَّبَاب العَرَبِيّ بالتَّشَـكُّل، وَخَاصَّةً في مِصْرَ وَبِلَاد الشَّـام، وظهر هذا الوَعْيُ من خلال تَشْكِيل حَرَكَات سِيَاسِـيَّة بَعْضها سرِّيٌّ والآخرُ عَلَنِيٌّ، حَمَلَتْ في جُلِّهَا مَطَالِبَ سِيَاسِـيَّةً تتعلَّقُ بالحُرِّيَّة السِّيَاسِيَّة وَمُشَـارَكَة العَرَب في صُنْع السِّيَاسَة العَامَّة للدَّوْلَة العُثْمَانِيَّة آنذاك، وَلَعَلَّ أَبْرَزَ هذه الحَرَكَات كان الجَمْعِيَّة العَرَبِيَّة الفَتَاة(1) وجَمْعِيَّة بَيْرُوت السِّرِّيَّة(2) وجمعيَّة الإخاء العَرَبِيّ العُثْمَانِيّ(3)؛ وجميع هذه الجَمْعِيَّاتِ كانَ للشَّبَاب الدَّوْرُ الأَبْرَزُ في تَشْكِيلهَا.

---

1. **الجَمعيَّة العَرَبيَّة الفتاة:** جمعيَّة سياسـيَّةٌ قوميَّةٌ عَرَبيَّةٌ سرِّيَّةٌ أَنْشـأها مجموعةٌ من الطُّلاب العَرَب في مَدينة باريس عام 1911م. ولقد أَثَّرت هذه الجمعيَّةُ على الفكر القوميّ العَربيّ ومَهَّدت للمؤتمر العَربيّ في باريس عام 1913م، وأَسْهَمَت في التَّمْهيد للثَّورة العَرَبيَّة الَّتي انْطَلَقت في الحِجاز عام 1916م، وكانت المُطَالَبة بالحُكْم الذَّاتيّ للأَقَاليم العَرَبيَّة عن الدَّوْلة العُثْمانيَّة أَبْرز مَطالَب هذه الجمعيَّة، للمزيد موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/ZC7f7
2. **جمعيَّة بيروت السرِّيَة:** جمعيَّة سياسيَّة سريَّة تَأَسَّسَتْ في بيروت عام 1875م، يُعدّ الأستاذ إلياس حبالين في المَدْرسة السُّوريَّةِ الإنجيليَّة الأَبَ الرُّوحيَ لها، إذ كان يُغَذِّي طُلَّابه بالفكر القَوْميّ العُرُوبيّ، ويَحُثُّهم على معارَضَة الحُكْم العُثْمانيّ للشَّرْق العَرَبيّ، للمَزيد مَوقع المَعْرفة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/5OlMC
3. **جمعيَّة الإخاء العَرَبيّ العُثْمانيّ:** أوَّلُ جمعيّة عربيّة تأسَّست في إسطنبول بعد إعلان الدُّستور 1908م، وهي من التيّار ذي الاتّجاه المُنبَعث من الرّابطة العُثْمانيَّة ويبدو من اسمها "عربيّ" أنّه مَقرون بالعثمانيّ، ومن أهمِّ مبادئ هذه الجمعيَّة أمران، أوَّلهما المحافظة على الدَّوْلة العُثمانيَّة وعدم تَجْزئتها، والثَّاني يخصُّ العَرَب من رَفْع شَأْنهم ومَنْحِهم المُساواة الدُّستوريَّة في المَناصِب والوظائف والحُقوق، لكن بَعْد الانْقِلاب الأخير على السُّلْطان عبدالحميد عام 1909م، اِتَّهم الاتحاديُّون أصحاب هذه الجمعيَّة بالرَّجْعيين، لذلك أَغْلَقوا مقرَّها وحُلُّوا فُرُوعها في البِلاد العَرَبيّة، للمَزيد: عامر الحموي، لَمْحَة تَاريخيَّة عن الجَمعيَّات السياسِيَّة في المَشْرق العَرَبيّ أواخِر العَهْد العُثْمانيّ، مَوْقع الرِّسالَة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/UuZe6

وَفي مَطْلَعِ القَرْنِ العِشْرينَ شَــهِدَ الوَعْيُ السِّيَاسِيُّ العَرَبِيُّ صَحْوَةً إِضَافِيَّةً ساعد عليها الانْفِتَاحُ الثَّقَافِيُّ العَرَبِيُّ ولو كان جُزْئِيًّا في حينها، وتَمَثَّلَ هذا الوَعْيُ بالثَّوْرَاتِ العديدةِ الَّتِي شَــهِدها عَدَدٌ من الدُّوَل العَرَبِيَّةِ من العراق إلى سوريا ومصر وغَيْرِهَا، وَبِالطَّبْعِ فلم يكُنِ الوَعْيُ السِّــيَاسِيُّ لدى الشَّــبَابِ العَرَبِيِّ مُوَحَّدًا في المُسْتَوَى، فقد تَبَايَنَ بين دَوْلَةٍ وَأُخْرَى وبين إِقْلِيمٍ وآخِرٍ، فالدُّوَلُ العَرَبِيَّةُ المُحَاذِيَةُ للبحر المُتَوَسِّــطِ كان مُسْتَوَى الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ لديها مُرْتَفِعًا مُقَارَنَةً بِغَيْرِهَا، ويُمكن عَزْو هذا التَّبَايُنِ إلى كَوْنِ المَوَانِئِ التِّجَارِيَّة على البحر شَــكَّلَتْ منافِذَ ثَقَافِيَّةً للشَّــبَابِ حَمَلَتْ معها دَفْعًا لِلْوَعْي الجَمْعِيِّ والفردِيِّ للشَّبَابِ على المُسْتَوَى السِّيَاسِيِّ وَغَيْرِهِ، ففي مَطْلَعِ القَرْنِ العِشْرينَ كان الوَعْيُ السِّيَاسِيُّ في مصرَ وبلاد الشَّام يَفُوقُ نَظِيرُهُ في دُوَلِ الخَلِيجِ العَرَبِيِّ بِأَضْعَافٍ.

وفي بدايةِ النِّصْفِ الثَّاني من القَرْنِ العِشْرينَ شَــهِدَ الوَعْيُ السِّيَاسِيُّ للشَّبَابِ العَرَبِيِّ ذُرْوَته مع نهوض الحركات القَوْمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ وانتشــار بوادِرَ لِلْفِكْرِ الوَحْدَوِيِّ العَرَبِيِّ، وَشَــكَّلَ وُجُودُ الرَّئِيسِ جَمَال عَبْد النَّاصِر(1) وأســلوبه الخَطَابِيُّ زَخَمًا إِضَافِيًّا لهذا الوَعْيِ، وَشَكَّلَت القَضِيَّةُ الفِلَسْطِينِيَّةُ والصِّرَاعُ العَرَبِيُّ الإِسْرَائِيلِيُّ وَما أَفْرَزَهُ من حروبٍ عِدَّةٍ حَاضِنَةً جديدةً لهذا الوَعْيِ، إِلَّا أَنَّهُ شَــهِدَ انْتِكَاسَةً في العقودِ الأَخِيرَةِ من القَرْنِ العِشْرينَ، وذلك في ظِلِّ وُصُول أَنْظِمَةٍ شُــمُولِيَّةٍ في غَالِبِيَّةِ الدُّوَل العَرَبِيَّة، وَما رافقها من تَعْطِيلٍ لِلْحياة السِّيَاسِيَّةِ، وفَرْضِ قيودٍ صارمةٍ على أَيِّ نَشَاطٍ سِيَاسِيٍّ.

1. **جَمَال عبدالنَّاصر:** (1970-1918م)، ثَانِي رؤساء مِصْر، تولَّى السُّلْطة من سنة 1956م إلى وفاته، وهــو أَحَــد قَادَة ثَوْرَة 23 يوليو 1952م الَّتِي أطَاحَت بالمَلِــك فاروق (آخِر حَاكِمٍ من أُسْرَة محمد علي)، شَــكَّلَ قَرارُه بتأميم قَنَاة السُّــوَيس نَقْلَة نَوْعِيَّة في عَلَاقَته مع العَالَم الغَرْبِيّ، مِمَّا أَدَّى لشَنِّ العُدوان الثُّلاثِيّ على مصر ســنة 1956م، وهذا الأَمرُ سَــاعَد بِشَكْلٍ واضح عَلَى زِيَادة شَعْبِيَّته على مُستوى العَالَم العَرَبِيّ أَجْمَع، وتَوَالت عِدَّة مُطالَبات عَرَبِيَّة بالوَحْدة تَحْتَ قيادَته، وكانت الوَحْدة السُّــورِيَّة المِصريَّة إحدى ثَمَراتِ هذه المُطالَبات، للمزيد: مَوْقع ويكيبيديا الموســوعةُ الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/LHDJi

الوَاقِعُ الحَاليُّ للوَعْيِ السِّيَاسِيّ لدى الشَّبَاب العَرَبيّ

شَـــهدَ العِقْدُ الثَّاني من القَرْنِ الحَادِي والعِشْرِينَ تَغَيُّرَاتٍ سِيَاسِيَّةً كُبْرَى على السَّاحة العَرَبِيَّة، فغالبيَّةُ الدُّوَل العَرَبِيَّة شَــهِدَتْ حركاتٍ احْتِجَاجِيَّةً تَفَاوَتَتْ في شِـــدَّتِهَا وفي نَوْعِيَّة مَطَالبها، إلَّا أَنَّهَا أَفْضَتْ إلى تَغْيِيرٍ حَقِيقِيٍّ وَبُنْيَوِيٍّ في الواقع السِّيَاسِيِّ العَرَبِيِّ، وكان للشَّـــبَابِ اليَدُ الطُّولَى في هذه التَّغْيِيرَات، وَأَفْرَزَتْ هذه الحَرَكَاتُ السِّيَاسِـــيَّةُ زَوَالَ بعـــض النُّظُم الشُّـــمُوليَّة ووُصُول أُخْرَى مُنْتَخَبَة، وهنا يَكْمُنُ التَّسَـــاؤُلُ الأَهَمُّ، كيف كان تَأَثُّرُ الوَعْيِ السِّـــيَاسِيِّ الجَمْعِيِّ للشَّبَابِ العَرَبِيِّ بهذه التَّغْيِيرَاتِ؟ قد تكون الإجابةُ صَادِمَةً نَوْعًا مَا، فالْوَعْيُ السِّيَاسِيُّ للشَّبَابِ العَرَبِيِّ تَأَثَّرَ إيجَابًا بهذه الحَرَكَاتِ السِّيَاسِـــيَّةِ، إلَّا أَنَّهُ لم يَكُنْ ضِمْنَ مدى التَّوَقُّعَاتِ، فما زال هذا الوَعْيُ مُنْخَفِضًا نِسْبِيًّا على الرَّغْمِ من مرورِ عَشْرِ ســـنواتٍ على بَدْءِ هذه التَّحَرُّكَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، ففي دراسةٍ صادِرةٍ عن المَرْكَزِ العَرَبيِّ للأَبْحَاثِ ودراسةِ السِّيَاسَاتِ، بِعُنْوَانِ "الوَعْيُ السِّيَاسِيُّ في المجتمَعِ اليَمَنِيِّ"(1)، تأكيدٌ على أَنَّ الوَعْيَ السِّيَاسِيَّ لَا سِيَّما لفِئَةِ الشَّبَابِ قد تَأَثَّرَ إيجَابًا لَكِنْ في حُدُودٍ ضَيِّقَةٍ، فَمَا زَالَ قِسْمٌ كَبِيرٌ من الشَّبَابِ يُحجم عن المشاركة في العمليَّةِ السِّيَاسِـــيَّةِ، وهذا الإِحْجَامُ مَرَدُّهُ الرَّئِيسُ إلى انْخِفَاضُ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ؛ وَعلى الرَّغْمِ من ظهور أَحْزَابٍ جديدةٍ عديدةٍ في العَالَمِ العَرَبِيِّ، إلَّا أَنَّ مُسْـــتَوَى الانْخِرَاطِ بها لا زال في حُدُوده الدُّنْيَا.

وَهُنَا وبَعْدَمَا دَرَسْـــنَا الْوَاقِعَ الحَاليَّ للَوْعِيِ السِّـــيَاسِيِّ لَدَى الشَّبَابِ العَرَبِيِّ، لا بُدَّ من الوُقُوفِ على الأَسْـــبَابِ الحَقِيقِيَّةِ الكَامِنَةِ وَرَاءَ انْخِفَاضِ هَذَا الْوَعْيِ خَاصَّةً أَنَّ قِسْمًا لا بَأْسَ من الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ قد شَهِدَت جزءًا من تَجَارِبَ دِيمُقْرَاطِيَّةً في الآوِنَةِ الأَخِيرَةِ.

1. غانم، عبدالكريم. **الوَعْيُ السِّـياسِيُّ في المجتَمع اليَمَنِيّ**. قطر، الدَّوْحة: المَرْكَز العَرَبيّ للأبْحَاث ودِرَاسة السِّيَاسَات، 2016م، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/xaHBt

أسبابُ ضَعْفِ الوَعْي السِّيَاسِيّ لدى الشَّبَاب العَرَبيّ

لا يُمكن الادِّعَاءُ بوجودِ سببٍ مُحَدَّدٍ وَاضِحِ المَعَالم يُمكن تَحْميلُه مسؤوليَّةَ تَرَاجُع الوَعْي السِّيَاسِيِّ للشَّبَاب العَرَبيِّ، فالبيئَةُ العَرَبِيَّةُ المُعَقَّدَةُ اجْتِمَاعيًّا وَاقْتِصَاديًّا وَثَقَافيًّا وَسِيَاسِيًّا تلعب الدَّوْرَ الأَهَمَّ في تَرَاجُعِ هذا الوَعْي، ولا يُمكن التَّوَقُّعُ بِأَنَّ سنواتٍ قليلةً بِإِمْكَانِهَا مَحْوُ إِرْثٍ سَلْبِيٍّ أَلْقَى بظلالِهِ على الوَعْي السِّيَاسِيِّ الجَمْعِيِّ طِيلَةَ عقودٍ طويلةٍ، وَلَكِنْ يُمكن القول إِنَّهُ بالإِمْكَانِ حَصْرُ الأسبابِ المُسَبِّبَةِ تَرَاجُعَ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ لدى الشَّبَابِ العَرَبيِّ بجُمْلَةٍ من النِّقَاطِ، سَنُبَيِّنُها **فيما يأتي:**

- **فقْدَانُ الهُويَّة السِّياسيَّة:**
فَضَبَابِيَّةُ الهُويَّة العَرَبِيَّةِ السِّيَاسِيَّة أَثَّرَتْ بِشَكْلٍ سَلْبِيٍّ وَمُبَاشِرٍ على مُسْتَوَى الوَعْي الجَمْعِيِّ للشَّبَابِ العَرَبيِّ، وَلَعَلَّ أَزْمَةَ الهُويَّةِ السِّيَاسِيَّةِ هي امتدادٌ لأَزْمَةِ الهُويَّةِ العَرَبِيَّةِ في إطارها العامِّ والَّتِي ناقشناها باسْتِفَاضَةٍ في الفصل الثَّالث من هذه الدِّراسةِ؛ كما ساهم فقْدَانُ الهُويَّةِ السِّيَاسِيَّةِ في الانهزام الذَّاتيِّ أمام العَالَمِ الغَرْبيِّ المُتَقَدِّمِ سِيَاسِيًّا وَعِلْمِيًّا وَحَضَارِيًّا، وَخَاصَّةً أَنَّ الذَّاكرة الجمعيَّةَ العَرَبِيَّةَ لا تُوَفِّرُ مُعْطًى إيجَابِيًّا عن العلاقةِ السِّيَاسِيَّةِ العَرَبِيَّةِ مع القضايا المصيريَّة، ممَّا أَدَّى إلى انْكِفَاءِ الوَعْيِ الجَمْعِيِّ في إطارِهِ العَامِّ والسِّيَاسِيِّ في إطارِهِ الخَاصِّ.

- **التَّرَاجُع الثَّقافي العَرَبيّ:**
تُعْتَبَرُ الثَّقَافَة بشتَّى أَشْكَالِهَا من الرَّوَافِد الرَّئِيسَةِ للوَعْي في إطارِهِ الْعَامِّ، فَأَيُّ تَقَدُّمٍ للثَّقافةِ في مَنْظُورها الفَرْدِيِّ أو الْجَمْعِيِّ سيَنْسَحِبُ عَلَى الْوَعْيِ الْعَامِّ والوَعْيِ السِّيَاسِيِّ، فَالتَّرَاجُعُ الثَّقَافيُّ الْعَرَبيُّ أَرْخَى بظلالِهِ السَّلْبِيَّةِ عَلَى الْوَعْيِ السِّيَاسِيِّ الْعَرَبيِّ، وَفي حَالِ قُمْنَا بِتَتَبُّعِ المَسَارِ الثَّقَافيِّ لِلْمُجْتَمَعِ الْعَرَبيِّ بشَكْلٍ عَامٍّ وللشَّبَابِ بشَكْلٍ خَاصٍّ وَخَاصَّةً مُنْذُ نِهَايَةِ الْقَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ وَحَتَّى وَقْتِنَا الرَّاهِن، لأَمْكَنَ وَبِسُهُولَةٍ مُلَاحَظَةُ أَنَّ التَّذَبْذُبَ في الْوَاقِعِ الثَّقَافيِّ كَان يُرَافِقُه تَذَبْذُبًا في الْوَعْيِ السِّياسِيِّ، فَهَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى الْعَلَاقَةِ الطَّرْدِيَّةِ بَيْنَ الثَّقَافةِ والوَعْيِ السِّيَاسِيِّ، فالصَّحْوَةُ الأُولَى للوَعْيِ السِّياسيِّ في نِهَايَةِ الْقَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ وبدايةِ القَرْنِ العِشْرينَ والَّتِي تَمَثَّلَتْ -وَكَمَا أَسْلَفْنَا- في ظُهُورِ بَعْضِ

الْحَرَكَاتِ السِّيَاسِيَّةِ العَلَنِيَّةِ وَالسِّرِّيَّةِ في مِصْرَ وَبِلَادِ الشَّامِ كَانَتْ مَدْفُوعَةً بالصَّحْوة الثَّقَافِيَّةِ الَّتِي دَعَت آنذاك لِإِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، وَالنُّهُوضِ الثَّقَافيِّ بِالْمُجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ؛ وَفي سِتِّينِيَّات القَرْنِ الماضي وَعِنْدَمَا بَلَغ الْوَعْيُ السِّيَاسِيُّ الْعَرَبِيُّ ذُرْوَتَه كَانَ الْوَاقِعُ الثَّقَافِيُّ الْعَرَبِيُّ في ذُرْوَتِهِ أيضًا، فَقَلَّمَا كَانَت تَخْلُو دَوْلَةٌ عَرَبِيَّةٌ مِنْ مُثقَّفين وَكُتَّابٍ لَهُم وَقْعٌ عَلَى الْمُسْتَوَى الثَّقَافيِّ الْعَالَمِيِّ، وَبَعْد تَرَاجُعِ وتَقَهْقُرِ الْوَاقع الثَّقَافيِّ الْعَرَبيِّ في الرُّبْعِ الْأَخِيرِ مِن الْقَرْنِ العِشْرِينَ وَفي بِدَايَةِ القَرْنِ الْحَادي وَالْعِشْرِينَ تَرَاجَع الْوَعْيُ السِّيَاسِيُّ الْعَرَبِيُّ أيضًا؛ فَمِنْ خِلَالِ هَذَا الاسْتِعْراض لِحَرَكَةِ كُلٍّ مِن الْوَاقع الثَّقَافيِّ وَوَاقع الْوَعْي السِّيَاسِيِّ يُمْكِنُ الْجَزْمُ بِأَنَّ التَّرَاجُع الثَّقَافِيَّ الْعَرَبِيَّ هُوَ أَحَدُ الْأَسْبَاب الْمُؤَدِّيَة لتَرَاجُعِ الْوَعْي السِّياسِيّ في الْمُجْتَمَعِ الْعَرَبيّ بشَكْلٍ عَامٍّ، وَلَدَى الشَّبَاب بِشَكْلٍ خَاصٍّ. وَمِمَّا لا شَكَّ بِهِ أَنَّ للمُفكِّرِينَ وَالْأُدَبَاءِ الدَّوْرَ الْبَارِزَ في اسْتِنْهَاضِ الْوَعْيِ الْجَمْعِيِّ لَدَى الشُّعُوبِ، فَفي نِهَايَةِ الْقَرْن التَّاسِعَ عَشَرَ ظَهَرَت حَرَكَةٌ ثَقَافِيَّةٌ اِجْتِمَاعِيَّةٌ دَعَت لِلنُّهُوض بِالْوَاقع السِّياسِيِّ والثَّقافيِّ لِلْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، يُمْكِنُ تَسْمِيَتُهَا مَجازًا بِحَرَكَةِ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، وَاسْتَنَدَتْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ آنَذَاك على أَهَمِّيَّة الإِرْثِ التَّاريخِيِّ الحَضَارِيِّ لِلْعَرَبِ، وَرَأَوْا في هَذَا الإِرْثِ مَوْطِئَ قَدمٍ حَضارِيٍّ يُمْكِنُ الِاسْتِنَادُ عَلَيْه لِلنُّهُوضِ بِالْأُمَة، وَدَعَوْا إلى أَحْيَاءِ عُلُومِ اللُّغَةِ وَالتَّاريخِ وإلى الاهْتِمَامِ بِالعُلومِ الحَديثَة، وعَمَدُوا إلى أُسْلُوبٍ مُبْتَكرٍ في حَضِّ الْمُجْتَمَعِ لا سِيَّمَا الشَّبَابُ مِنْهُ على الِاهْتِمَامِ بِالثَّقَافَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَالالْتِفَاتِ إلى مَصِيرِ الْأُمَّة، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الدَّعْوَةِ إلى الرُّكُونِ وَالِاسْتِسْلَامِ وَهُو أُسْلُوبٌ فَلْسَفِيٌّ يَقُومُ على الْحَثِّ على الشَّيْءِ مِنْ خِلَالِ طَلَب نَقِيضِهِ، فَعلى سَبِيلِ الْمِثَالِ يقول الشَّاعِرُ نَسِيب عَرِيضة[1] والَّذي

1. نسيب عريضة: (1946-1887م)، شَاعِرٌ وَقَّاص سُورِيٌّ وُلِدَ في حِمْص وَهَاجَرَ إِلَى الْوِلَايَات الْمُتَّحِدَة الْأَمْرِيكِيَّة عَام 1905م ، حَيْثُ عَمِلَ محرِّراً في بَعْضِ الصُّحُف الْعَرَبِيَّة، أَسَّس مَطْبعة وأَصْدَر مَجَلَّة "الفنون" عَام 1912م، كَانَ أَحَدَ مُؤَسِّسِي الرَّابِطَة القَلَمِيَّة في نِيُويُورْك عَام 1920م، وَقَد ضَمَّتْ هَذِهِ الرَّابطَةُ كَثِيرًا مِن أُدَبَاءِ الْمَهْجَر في أَمْريكا الشَّمَالِيَّة، نَشَر عِدَّةَ مَقَالَات، وَتَرْجَم عِدَّةَ كُتُبٍ عَن الرُّوسِيَّة، يَتَمَيَّزُ شَعْرُه بِالرِّقَّة وَالْحَنِين لِلْوَطَن، وَقَد جَمعهُ في دِيوَانِ "الأَرْوَاحُ الحَائِرَة"، الَّذِي تُوُفِيِّ قَبْلَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ مِنْ صُدُوره، لَه قصَّتانِ: "الصَّمْصامَة" و"دِيكُ الْجِنِّ الحِمْصيّ"، لِلْمَزِيد: مَوْقع ويكيبيديا الموسوعة الْحُرَّة، مُتَاحٌ عَلَى الرَّابِط: https://cutt.us/6IAF1

يُعْتَبَرُ مِنْ رُوَّادِ حَرَكَةِ الْإِحْيَاءِ هَذِه، والَّذي كَانَ مِنْ شُــعَراءِ الْمَهْجَر، إِلَّا أَنَّ غُرْبَتَهُ الْجَسَدِيَّةَ عَنْ بِلادِهِ لَمْ تَقِفْ حائِلًا دُونَ الاهْتِمَامِ بِقضَايَا أُمَّتِه، فقَال:

كفِّنُــوهُ وَادْفِنُوهُ أَسْــكِنُوهُ	هُــوَّةَ اللَّحْــدِ العَمِيق
وَاذْهَبُــوا لا تَنْدُبوهُ فَهُوَ شَــعْبٌ	ميــتٌ لَيْسَ يُفِيقُ (1)

فَفي هَذِهِ الْقَصيدَةِ اسْــتِنْكارٌ مُبطَّنٌ لِخُنُوعِ الْمُجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ، وَحَضٌّ غَيرُ مُبَاشِرٍ لِتَغْيِيرِ الْحَالِ الَّذي هُمْ بِه.
ونَسْــتَذْكِرُ هُنَا أيضاً قَوْلَ الْأَديبِ إِبْرَاهِيم الْيَازِجيّ(2) وبِذَاتِ الْأُسْــلُوبِ يَحُضُّ الشَّبَابَ الْعَرَبيَّ على الْخُرُوجِ عَنْ صَمْتِه وَعَدَمِ مُبَالاتِهِ بِقَضَايَا أُمَّتِه فَيَقُول:

تَنَبَّهُوا وَاسْتَفيقُوا أَيُّها العَرَبُ	فَقَدْ طَمَى الخَطْبُ حَتَّى غَاصَتِ الرُّكَبُ
فِيمَ التَعلُّلُ بِالْآمَالِ تَخْدَعكُمْ	وَأَنْتُمْ بَينَ رَاحَاتِ الفَنَا سُــلُبُ
كَمْ تُظلَمُونَ وَلَستُمْ تَشْتَكُونَ	وَكَمْ تُسْتَغْضَبُونَ فَلا يَبْدُو لَكُمْ غَضَبُ(3)

وَفي ذَاتِ الشَّأْنِ يَقُولُ الشَّاعِرُ والمُفَكِّرُ مَعْرُوفٌ الرَّصَافيُّ(4):

يَا قَوْمُ لَا تَتَكَلَّمُوا	إِنَّ الْكَلَامَ مُحَرَّمُ
نَامُوا وَلَا تَسْتَيْقِظُوا	مَا فَازَ إِلَّا النُّوَّمُ

1. عَرِيضة، نَسِيب ."**كفِّنُوهُ وَادْفِنُوهُ أَسْكِنُوهُ**". مَوقِع دِيواني، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/SU8NW
2. **إبْرَاهِيــم اليازجــي**: (1847-1906م)، لُغَــوِيٌّ وناقدٌ وأديبٌ لُبْنانِيٌّ وُلِدَ في بَيْرُوتَ فِي بَيْتِ عِلْم إِذْ أَنَّ أَبَاهُ هُو الشَّــاعِرُ اللُّبنانيّ الْمَعْرُوف نَاصِيف اليَازجيّ والَّذي يَعُود نَسَــبَهُ إِلَى مَدِينَةِ حِمْص السُّــوريَّة، يُعَدُّ مِن رُوَّادِ النَّهْضَةِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَعْدَ قُرُون من التَّدَهْوُر إذ تَلَقَّى تَعْليماً مُمْتازًا مُنْذ نُعُومَةِ أظْفَارِه أَهَلَّهُ لأَنّ يُنَاقَشَ كِبَارَ الْأَسَاتِذَة فِي اللُّغَةِ وَالشِّعْر وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَوْرَدَتْهُ الصُّحُفُ ولَفَتتْ إِلَيْهِ الأنْظارَ حِينَ قَامَ بِنقَاشِ الشَّدْيَاق حَوْلَ انْتِقَادِ الشَّدْيَاقِ لِبَعْضِ الْأَبْيَاتِ الَّتي وَرَدَتْ في دِيوَانِ أَبِيه، وَعَلَى مَا يَبْدُو أَنَّ هَذِه الْمُنَاظَرَةَ قَد أَثَّرَتْ فِيهِ إِذْ كَانَ حِينَ ذَاكَ في الثَّالِثَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ فحَفَّزَتْه للتَّعَمُّقِ فِي الدِّرَاسَــاتِ الأَدَبِيَّةِ واللُّغَوِيَّة، تَوَلَّى تَحْرِيرَ جَرِيدَةِ النَّجَاحِ في بَيْرُوتَ عَام 1872م ، وَنَزَحَ إِلَى مِصْرَ عَام 1894م ، وَأَسَّس مَجَلَّة الضِّيَاءِ فِي عَام 1898م في الْقَاهِرَةِ، وَتُوُفِّيَ فِي الْقَاهِرَةِ عَام 1906م، لِلْمَزِيد: مَوْقِع ويكيبيديا الموسوعة الْحُرَّة، مُتَاحٌ عَلَى الرَّابِط: https://cutt.us/k3NlN
3. **اليازْجِيّ**، إبراهيم. "تَنَبَّهوا وَاستَفيقوا أَيُّها العَرَب". مَوقع بَوَّابة الشُّعَراء، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/Zsmwe
4. **مَعرُوفْ الرَّصَافِيّ**: (1875-1945م)، أَكادِيمي وشاعر عِرَاقِيّ، وُلِدَ في بَغْدَادَ لِأَبٍ كُرْدِيٍّ وَأُمٍّ تركمانِيَّة، نَشَأَ في بَغْدَادَ حَيْث أَكْمَلَ دِرَاسَتَهُ فِي الْكَتَاتِيب، ثُمَّ دَخَلَ الْمَدْرَسَةَ الْعَسْكَرِيَّةَ الابْتِدَائِيَّة فتَرَكَهَا، وَانْتَقَلَ إِلى الدِّرَاسَةِ في الْمَدَارِسِ الدِّينِيَّة، وَعُيِّنَ لاحقاً معلِّماً فِي مَدْرَسَةِ الرَّاشِدِيَّة شِمَالَ الْأَعْظَمِيَّة، ثُمَّ نُقِلَ مدرساً لِلْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ في الإعدادِيَّة بِبَغْدَاد، وَعُيِّنَ مدرِّساً في دَارِ الْمُعَلِّمين في الْقُدْس عَام 1920م، وَانْتُخِبَ عضواً فِي مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ في دِمَشْق، لِلْمَزِيد مَوْقِع ويكيبيديا الموسوعة الْحُرَّة، مُتَاحٌ عَلَى الرَّابِط: https://cutt.us/RsQEi

أَمَّا السِّيَاسَةَ فَاتْرُكُوا   أَبَدًا وَإِلَّا تَنْدَمُوا
إِنَّ السِّيَاسَةَ سِرُّهَا   لوْ تَعْلَمُونَ مُطَلْسَمُ[1]

وَمَا لَا شَـــكَّ بِهِ أَنَّ هَؤُلَاءِ المُفَكِّرِينَ وَغَيْرَهُمْ سَـــاهَمُوا وبشكلٍ مَلْمُوسٍ مِنْ خِلَالِ كِتابَاتهم في تَكْوِينِ الْوَعْيِ السِّياسيِّ لِلشَّبَابِ الْعَرَبِيِّ، وَهَذَا مَا نَفْتَقِدُه الْيَوْمَ، وَلَعَلَّ في غِيَابِ دَوْرِ المُفَكِّرِينَ الْعَرَبِ عَنِ الْمُساهَمَةِ في تَعْزِيزِ الْوَعْيِ الْجَمْعِيِّ لِلشَّبَابِ الْعَرَبِيِّ دَوْرٌ هَامٌّ في تَرَاجُعِ هَذَا الْوَعْيِ لا سِـــيَّمَا السِّياسِيُّ مِنْه، فَوَاجِبُ المُفَكِّرِينَ وَالْأُدَبَـــاءِ تُجَاهَ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَضْطَلِعَ بهَا أَدِيبٌ هُنَا أَوْ مُفَكِّرٌ هُنَاك، بَلْ إِنَّ الْمُشَارَكَةَ في هَذَا الْأَمْرِ يَجِبُ أَنْ يكُونَ بِحَجْمِ الْقَضِيَّةِ ذَاتِهَا، فَهِي بِحَاجَةٍ لِعَمَلٍ دُؤُوبٍ مِن المُجْتَمَعِ العِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِالْكَامِلِ.

- **الأَزَمَات السِّيَاسِيَّة:**

يَحْتَاج الْوَعْيُ في إطارِهِ الْعَامِّ إلى بيئَةٍ مُسْـــتَقِرَّةٍ سياســـيًّا وأمنيًّا لِيَنموَ ويتَطوَّر، والوَعْيُ السِّـــياسِيُّ كَوْنَهُ أَحَدَ فُرُوعِ الْوَعْيِ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَشَدِّ فُرُوعِ الْوَعْيِ تَأَثُّرًا بالأَزَماتِ السِّياسِيَّةِ، وَالتَّارِيخُ الْعَرَبِيُّ الْمَعَاصِرُ لَمْ يَشْهَدْ اسْتِقْرارًا سِياسِيًّا إلَّا في فَتَرَاتٍ زَمَنِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ نِسْـــبِيًّا، فَالْوَطَنُ الْعَرَبِيُّ عَانَى وَمُنْذ بداياتِ القَرْنِ العِشْرِينَ لِأَزَمَاتٍ سِيَاسِـــيَّةٍ تمَثَّلَت بِخُضُوعِ غالِبيَّةِ دُوَلِه للانتدابِ الْغَرْبِيِّ، وبَعْد تَحَرُّرِ هَذِهِ الـــدُّوَلِ أَتَت قَضِيَّةُ الصِّرَاعِ الْعَربِيِّ الْإِسْرَائِيلِيِّ الَّذِي لَمَّا تَنْتَهِي فُصُولُهُ بَعْدُ، وَهَذَا الصِّرَاعُ أَثَّرَ بِشَـــكْلٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ على الاِسْتِقْرَارِ السِّياسِيِّ الدَّاخِلِيِّ لِلدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ، الَّتِي شَـــهِدَ بَعْضٌ مِنْهَا أَزَماتٌ سِيَاسِيَّةٌ حَادَّةٌ كالانقلاباتِ العَسْكَرِيَّةِ، فَسُورِيَا على سَـــبِيلِ الْمِثَالِ شَهِدَتْ انقلاباتٍ عَسْـــكَرِيَّةً مُتَعَدِّدَةً في نِهَايَةِ الْأَرْبَعِينِيَّاتِ وبدايةِ خَمْســـينِيَّاتِ القَرْنِ الماضي، وَلُبْنَان كَذَلِك الْأَمْر عَانَى من توتُّراتٍ سِيَاسِيَّةٍ حَادَّةٍ انْتَهَتْ بِحَرْبٍ أَهْلِيَّةٍ اسْـــتَمَرَّتْ مَا يُقَارِبُ عَقْدَيْنِ مِن الزَّمَنِ، وَفي بِدَايَةِ تِسعينِيَّاتِ

---

1. الرَّصَافِيّ، مَعرُوفْ. "يا قومِ لا تتكلّموا". موقع الديوان، مُتَاحٌ عَلَى الرَّابِط: https://cutt.us/S2XJA

القَرْنِ الماضِي شَكَّل غَزْوُ الْعِرَاقِ للكُوَيْتِ أَزْمَةً عَسْكَرِيَّةً وسِيَاسِيَّةً عَانَى مِنْ تَبِعَاتِهَا السَّـــلْبِيَّة مُعْظَمُ الْمِنْطَقَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَفي بِدَايَةِ القَرْنِ الْحَالِيِّ سَبَّبَ الْغَزْوُ الأمريكيُّ لِلْعِرَاقِ دُخُولَ الْعِرَاقِ وَالدُّوَلِ الْمُجَاوِرَةِ لَهُ في أَزَماتٍ سِيَاسِيَّةٍ أَرْهَقَتِ الْمِنْطَقَةَ، كُلُّ هَذِهِ الْإِحْدَاثِ وَغَيْرِهَا وَثَّقَ بِشَكْلٍ جَلِيٍّ التَّوتُّراتِ والأزماتِ السِّيَاسِيَّةَ الَّتِي عَصَفَتِ بالعَالَمِ العَرَبِيِّ، والَّتِي أَثَّرَتْ بِشَـــكْلٍ مُبَاشِرٍ على الْوَعْيِ السِّيَاسِيِّ لِلشَّبَابِ الْعَرَبِيِّ في نِطَاقِهِ الفَرْدِيّ وَالْجَمْعِيِّ.

- **الواقِعُ الاقْتِصَادِيّ المُتَرَدِّي:**

عانى الاقْتِصَـــادُ العَرَبِيُّ في غَالبِيَّتِهِ من أَزَمَاتٍ طَالَـــتْ مُخْتَلف جوانبِ الحياة الاقْتِصَادِيَّةِ في بُعْدَيْهَا الحُكُومِيِّ والشَّـــعْبِيِّ، وَأَتَتْ فَتْرَةُ عَدمِ اسْـــتِقْرَارٍ سِيَاسِيٍّ انســـحبت بدَوْرِها على الجانب الاقْتِصَادِيِّ لتزيد الواقع الاقْتِصَادِيَّ للشَّـــبَابِ العَرَبِيِّ سُـــوءًا، ففي ظـــلِّ واقعٍ اقْتِصَادِيٍّ مُتَرَدٍّ يمَيل العقـــل الفردِيُّ والجَمْعِيُّ للانشـــغال بتأمين مُتَطَلَّبَات الحياة الأَسَاسِيَّةِ، وهذا الانشغال حَتْمًا سوف يكون على حســـاب الوَعْيِ الجَمْعِيِّ العَامِّ، ومنه الوَعْيُ السِّيَاسِيُّ؛ كما أَنَّ طَبِيعَةَ البِنْيَةِ التَّحْتِيَّةِ الاقْتِصَادِيَّةِ في العَالَمِ العَرَبِيِّ والمُعْتَمِدَةِ بِشَكْلٍ رَئِيسٍ على العَوَائد النِّفْطِيَّةِ والَّتِي يجوز اعتبارُها اقْتِصَادِيَّاتٍ رِيعِيَّةً وَبِالتَّالي غَيْرُ قَائِمَةٍ على علاقاتٍ حقيقيَّةٍ بين عوامل الإِنْتَاجِ، فهذه العلاقات البســـيطة القائمة بين عوامل الإِنْتَاجِ ومنها المَوَارِدُ البَشَرِيَّةُ المُتَمَثِّلَةُ بِالشَّبَابِ انْعَكَسَتْ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ على تَرَاجُعِ الوَعْيِ الجَمْعِيِّ العَامِّ، كَوْنَ هذا الوَعْيِ يَتَأَثَّرُ بِشَـــكْلٍ مُبَاشِرٍ بطبيعة العلاقات القائمة في الدَّائِرَةِ الاقْتِصَادِيَّةِ المَحَلِّيَّةِ، كما أَنَّ الطَّبِيعَةَ الرِّيعِيَّةَ للاقْتِصَادِ العَرَبِيِّ سَـــاعَدَتْ في عدم نشـــاط الحركة السِّيَاسِيَّةِ كَوْنَ السِّيَاسَـــةَ ترتبط بعلاقةٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ مع الجانب الاقْتِصَادِيِّ، كما أَنَّ طبيعةَ العلاقات السِّيَاسِيَّةِ في مجتمَعٍ ما تُمَثِّلُ انْعِكَاسًا دَقِيقًا لطبيعة العلاقاتِ الاقْتِصَادِيَّةِ القائمةِ، فالْوَعْيُ السِّـــيَاسِيُّ الَّذِي كان موجودًا في أُورُوبَّا على سبيل المثال في ظلِّ النِّظَامِ الإِقْطَاعِيِّ اخْتَلَفَ عن نَظِيره الموجودِ في

ظلِّ النِّظَامِ البرْجُوازِيِّ وعن النِّظَامِ الرَّأْسِــمَاليِّ الحَاليِّ، لذلك فطبيعة العلاقةِ الاقْتِصَاديَّةِ في العَالَمِ العَرَبيِّ ســبَّبت جموداً نِسْبِيًّا في الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ الجَمْعِيِّ للشَّبَاب.

كَــمَا أَنَّ تداعياتِ الْوَاقعِ الاقْتِصَادِيِّ الْعَرَبِيِّ المُــتَرَدِّي في بَعْضِ الدُّوَلِ العَرَبيَّةِ قد أَثَّرَت وبشــكلٍ مُبَاشِرٍ على نُمُوِّ الْوَعْيِ السِّــياسِيّ لِلشَّبَاب، فمُعَدَّلاتِ الْبَطَالَةِ الْمُرْتَفِعَةِ، والتَّضخُّم الَّذِي يَأْكُلُ دُخُولَ الشَّــبَابِ، وكذا سُوءُ تَوْزِيعِ الثَّرْوَةِ، فَعَدَدٌ لَا بَأْسَ بِهِ مِنْ أثرياءِ الْعَالِمِ هُمْ مِنَ الْعَرَبِ، وَهَذَا الثَّرَاءُ الفَاحِشُ لِلْبَعْضِ -للأسف- يَقْتَرِنَ بِفقْرٍ مُدْقعٍ لكثير من الحواضر العَربيَّة، كُلُّ هَذِهِ الْقَضَايَا تَحُولُ دُونَ نُمُوِّ الْوَعْيِ السِّياسِيِّ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ التَّوَقُّعُ مِن الشَّبَابِ الِاهْتِمَامَ بِالسِّيَاسَةِ أَوْ الدُّخُول في مُعْتَرَكِها وَهُم مَشْــغُولُون في تَأْمِينِ لُقْمَةِ الْعَيْشِ، وفي ظِلّ هَذِه الْأَوْضَاعِ قَدْ يُنْظَرُ لِلسِّيَاسَةِ بِأَنَّهَا تَرَفٌ فِكْرِيٌّ لَا مُبَرِّرَ لَه، فَالْإِنْسَان وَفي الْحَالَةِ الطَّبِيعِيَّة يَسْعَى لِتَأْمِــينِ احتياجاته الفِيزيُولُوجِيَّة بداية، وَعِنْد إشْــبَاعِ هَذِه الْحَاجَاتِ يَنْتَقِلُ إلى إشْبَاعِ الْحَاجَاتِ الْأُخْرَى كالحَاجاتِ الْفِكْرِيَّةِ وَحَاجَةِ الانْتِماءِ وَغَيْرِهَا.

كَمَا أَنَّهُ مِن الْمَعْرُوفِ أَنَّ الطَّبَقَةَ الْوُسْــطَى في الْمُجْتَمَعَاتِ هِي الَّتِي تَحْمِلُ لِوَاءَ الْوَعْيِ الْجَمْعِيِّ بشَتَّى أَشْكَالِه السِّياسِيِّ والاجتماعيِّ والثَّقافيِّ، إلَّا أَنَّ هَذِهِ الطَّبَقَةَ في الْعَالَمِ العَرَبِيِّ تَتَآكَلُ شَيْئًا فشَيْئًا عَلَى حِسَابِ الطَّبَقَةِ الْفَقِيرةِ، فَهَذَا التَّآكُلُ أَثَّرَ -وبلا شكّ- وبشكلٍ كبيرٍ ومُبَاشِرٍ على مُسْتَوَى الْوَعْيِ السِّياسِيِّ لِلشَّبَابِ الْعَرَبِيِّ.

- **الواقِعُ الاجْتِمَاعِيّ:**

يَتَأَثَّر الْوَعْيُ السِّــياسِيُّ الفَرْدِيُّ وَالْجَمْعِيُّ بِالْوَاقعِ الاجْتِمَاعِيِّ، فتَرَدِّي الظُّرُوفِ الاجْتِمَاعِيَّةِ لِلشَّــبَابِ لَا بُدَّ وَأَنْ تَقُود لتراجُعِ الْوَعْيِ السِّياسِيِّ، فالشَّبابُ الْعَرَبِيُّ لَا يَعِيشُ في ظُرُوفٍ اجْتِماعِيَّةٍ مِثَالِيَّةٍ، كتَحَدِّيَات الزَّوَاجِ وتكوينِ الْأُسْرَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الظُّرُوفِ الَّتِي تَنَاوَلْناها بِالتَّفْصِيلِ في الْفَصْلِ الثَّاني مِن هَذِهِ الدِّرَاسَةَ، فالأوضاعُ

الاجْتِمَاعِيَّةُ المُتَرَدِّيَةُ تَشْغَل الشَّبَاب فِكْرِيًّا عَن الانْشِغَال بِقَضَايَا السِّيَاسَة، كَمَا يُعْتَبَرُ تَنَامي الْعَصَبِيَّةِ الْقَبَلِيَّةِ والمَذْهَبِيَّةِ في الْعَالَمِ العَرَبِيِّ على حِسَاب الانْتِماء الوَطَنِيِّ والقَوْميِّ مِن العَقَبَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تَحُولُ دُونَ تَنَامي الْوَعْي السِّياسِيِّ، فالوَعْيُ السِّياسِيُّ مُقْتَرِنٌ بالانتماء الوَطَنِيِّ والقوميِّ، فَأَيُّ حِيادٍ للانتماء عَن إطارِهِ الوَطَنِيِّ لا بُدَّ وَأَنْ يَقْتَرِنَ بِتَأَخُّر الْوَعْي السِّياسِيِّ.

الآثَارُ السَّلْبِيَّة لتَرَاجُعِ الوَعْي السِّياسِيّ لدى الشَّبَاب العَرَبيّ

إنَّ غيابَ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ أو تَرَاجُعَهُ يُمكن تشبيهه بغياب التَّوَازُنِ لدى المجتمَع، كَوْنَ العمليَّةِ السِّيَاسِيَّة تهدف في إطارها العَامِّ إلى تَنْظِيمِ الحياة في المجتمَع، فإذا أَمْكَنَ تشبيه الدَّوْلَةِ بالجَسَدِ فالسِّيَاسَة ممَّا لا شَكَّ به أَنَّهَا تأخذ مَوْضِع الرَّأْسِ من هذا الجَسَدِ، والعمليَّةُ السِّيَاسِيَّةُ لا تَتِمُّ بشَكْلٍ فَعَّالٍ إلَّا في ظلِّ وَعْيٍ سِياسِيٍّ نَامٍ نِسْبِيًّا، لذلك يُمكن القول بأنَّ غيَابَ الوَعْي السِّياسِيِّ سيقودُ حَتْمًا إلى تراجُعِ العمليَّةِ السِّيَاسِيَّةِ وَبِالتَّالي تَرَاجُعِ الاسْتِقْرَارِ السِّيَاسِيِّ، وزيادةً في التَّوْضِيحِ سَنُبَيِّنُ فيما يأتي أَهَمَّ النِّقَاطِ الَّتِي تُمَثِّلُ الآثَارَ السَّلْبِيَّةَ لغِيَابِ الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ لدى الشَّبَاب العَرَبِيِّ:

- **تَرَاجُع الحَيَوِيَّة السِّيَاسِيَّة في المجتمَع**، ممَّا يقودُ إلى جمودٍ سِيَاسِيٍّ قد ينتهي بأَزَمَاتٍ أَمْنِيَّةٍ تُهَدِّدُ الاسْتِقْرَارَ الأَمْنِيَّ والاجْتِمَاعِيَّ.
- **انتشار الفساد في مُؤَسَّسَاتِ الدَّوْلَة** كَوْنَ تَنَامِيَ الوَعْي السِّيَاسِيِّ -كما أسلفنا- يقودُ لحركةٍ سِيَاسِيَّةٍ فَعَّالَة، وَهذا النَّشاط السِّيَاسِيُّ من شَأْنه عدمُ إفساح المجالِ أمامَ الفساد، كما تقوم العمليَّةُ السِّيَاسِيَّةُ الفَعَّالَةُ بتَحْفيز معايير النَّزَاهَة المُؤَسَّسِيَّة.
- **تراجُع الثِّقَة بالثَّقَافَة العَرَبِيَّة الجَمْعِيَّة**، إضافةً إلى اهْتِزَازِ الصُّورَةِ الذِّهْنِيَّة لِلْهُوِيَّةِ الجَمْعِيَّة العَرَبِيَّة.
- **تراجُع حَيَوِيَّة المجتمَع**، وانتشارُ الولاءاتِ الطَّائِفيَّةِ والمَذْهَبِيَّةِ والعِرْقِيَّةِ والقَبَلِيَّة مكان الولاء الوطنِيِّ والقَوْمِيِّ.

الشَّبَاب العَرَبيّ والمُشاركة السِّيَاسِيَّة

يرتبط مفهومُ المشاركة السِّيَاسِيَّة بالحُرِّيَّة السِّيَاسِيَّة ارتباطًا عُضْويًّا، فلا يُمكن التَّوَقُّع بوجودِ مشارَكةٍ سِيَاسِيَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ بغيابِ الحُرِّيَّةِ السِّيَاسِيَّة، وفيما يتعلَّقُ بمفهوم الحُرِّيَّةِ السِّيَاسِيَّة فقد عَرَّفها هيجل(1) بأَنَّهَا قدرة الفَرْدِ على ممارَسةِ سُلُوكِه السِّيَاسِيِّ من دُون فرْضِ الحدود والقيود عليه، والَّتِي من شَــأْنها أَنْ تُعِيقَ حَرَكته السِّيَاسِيَّةَ، وتمْنَعُهُ من التَّحْليقِ في الأجواء الرَّحْبَةِ لِلْحُرِّيَّةِ الخَاصَّةِ بالإرادة السِّيَاسِــيَّةِ، وَما تَطْمح إليه من تحقيقِ أهدافٍ سِيَاسِــيَّةٍ عَامَّةٍ وَخَاصَّةٍ(2)؛ ويُعَرِّفُهَا روبرت ماكيفر(3) أيضا في كِتَابه المَوْسُوم (نَسِيجُ الحكومة) بالقول؛ بِأَنَّهَا جُمْلَةُ الخِيَارَات السِّيَاسِيَّةِ المفتوحة أمام الفردِ، والَّتِي يَسْتَطِيعُ اتِّخَاذَهَا من أَجْل مُساعَدته على التَّوَصُّل إلى طُمُوحاته وأهدافه. عِلْمًا بِأَنَّ الحُرِّيَّةَ السِّيَاسِيَّةَ لا تتعامَل مع خِيَارٍ أو خِيَارَيْنِ بَلْ تَتَعَامَلُ مع خِيَاراتٍ عِدَّةٍ تكون مُتَاحَةً لِلْفَرَدِ ويتصرَّف حِيالها بِحُرِّيَّةٍ تَامَّةٍ(4).

وَتُعْتبر الحُرِّيَّةُ السِّيَاسِــيَّةُ في البلاد العَرَبِيَّةِ منخفضَةَ المُسْــتَوى، فقد كانت في أدنى مُسْتَوياتها عَشِيَّةَ ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ، وَبَعْدَ هذه الثَّوْرَات وَتَغَيُّرِ بعض أنظمة الحُكْمِ وَتَأَثُّــرِ أُخْرَى تَأَثُّرًا غَيْرَ مُبَاشِرٍ بالمفاهيـــم الَّتِي طَرَحَتْهَا هذه الثَّوْرَات لم يتغيَّرْ وَاقِعُ الحُرِّيَّاتِ السِّيَاسِــيَّةِ بِشَــكْلٍ مَلْمُوسٍ في العَالَمِ العَرَبِيِّ، فما زالت هذه الحُرِّيَّةِ في

1. **جورج فيلهلم فريدريش هيجل:** (1770م-1831م)، فَيْلسـوف أَلمانيّ وُلِد في شـتوتغارت، فورتيمبيرغ، في المَنْطَقــة الجَنوبيَّــة الغربيَّــة من ألمانيا، ويُعْتَبَرُ أحد أهَمّ الفَلاسِــفة الألمان حيثُ يُعتبر أهمّ مُؤَسِّــسِيّ المثاليَّة الألمانيَّة في الفَلْسـفة، في أوائل القرن الثَّامِن عَشَر الميلاديّ، طوَّر المَنْهج الجَدَليَّ الَّذي أَثْبَتَ من خلاله أَنَّ سَيْرَ التَّاريخ والأفكار يتمّ بوُجود الأُطْروحة ثُمّ نَقِيضِها ثُمّ التَّوْليف بينهما، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/QaLOQ
2. محمد، مشــحن زيد. **"الحريَّة السياســيَّة مَفْهُومها، أُسُســها، حُدُودها ومُعَوِّقَاتها"**. مَجَلَّة مدارك، مُتَاح على الرَّابط: goo.gl/SxfQRO
3. **روبرت مريسون ماكيفر:** (1882-1970م)، باحِثٌ أسكتلنديّ مُتَخَصِّص في عِلْمِ الاجتماع، تَخَرَّجَ في جامِعَتَيْ أدنــبرة وأكســفورد، وعَمِل في جامِعَة كولمبيــا منذ 1926م، ومِن مُؤَلَّفَاته الَّتِي يُحَــدِّد فيها المفاهيمَ النظريَّة ويوضِّحهــا: (المجتمع: دِرَاســة اجتماعيَّة) 1917م، و(المجتمــع: بِنَاؤُه وتغيُّرَاته) 1931م، و(نَسـيجُ الحكومة) 1947م، للمزيد: موقع ويكيبيديا الموسوعةُ الحُرَّة، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/rVKnK
4. مشحن زيد محمد، مرجع سابق.

مُسْـــتَوَيَاتٍ مُتَدَنِّيَةٍ[1]، وَهذا التَّدَنِّي في الحُرِّيَّاتِ السِّيَاسِـــيَّةِ انْعَكَسَ وَبِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ على المشـــاركة السِّيَاسِيَّةِ للشَّبَاب وَبِشَكْلٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ على الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ لدى هؤلاء الشَّـــبَاب، وَمِمَّا يَلْفِتُ الانتباهَ في العَالَمِ العَرَبيِّ أَنَّ الحُرِّيَّاتِ السِّيَاسِـــيَّةَ في البُلْدَان العَرَبِيَّةِ تَتْرُكُ انعكاســـاتها سَوَاءٌ بالإِيجَابِ أو السَّلْبِ على شَبَابها، فكلَّما ازدادت نِسْبَةُ الحُرِّيَّات في البلد كلَّما تَرَكَتْ انعكاســـاتها الإِيجَابِيَّةَ على الشَّـــبَاب، وفي هذا الشَّأْن يُمكن أَنْ نَذْكُر نتائجَ مُؤَشِّرِ مُنَظَّمَةِ "فريدوم هاوس" للحقوق السِّيَاسِـــيَّةِ والحُرِّيَّات المَدَنِيَّـــة[2] لعَامِ 2015م والموجودِ بتَقْرِيرِهَا "الحُرِّيَّةَ في العَالَم"؛ حيث أَظْهر التَّقْرِيرُ أَنَّ الدَّوْلَةَ العَرَبِيَّـــةَ الحُرَّةَ الوحيدة، هي تُونِسُ، بينما اعْتَبر مُؤَشِّرُ "فريدوم هاوس" الكُوَيْـــتَ والمَغْرِبَ وَلُبْنَانَ دُوَلاً حُرَّةً جُزْئِيًّا، بينما كانت بَقِيَّةُ الدُّوَل العَرَبِيَّةِ "غَيْرَ حُرَّةٍ"، وهو الأَمْرُ الَّذي يُعَلِّلُ الانعكاســـات السَّـــلْبِيَّةَ الَّتِي تَرَكَتْ آثَارَهَا على الشَّبَاب العَرَبيِّ، ومن أَهَمِّهَا اختيارُ الهجرة وَتَرْك بلادهم لبِلَادٍ أُخْرَى تَكْفُلُ لَهُمْ الحُرِّيَّاتُ السِّيَاسِيَّةُ[3]. كـــما أَنَّ الدُّوَلَ العَرَبِيَّةَ قد تمَوْضَعَتْ في آخِرِ الرُّتَبِ الخَاصَّةِ بمُؤَشِّرِ حُرِّيَّةِ الإنســـان الَّذِي أَصْدَرَتْهُ ثلاثة معاهِد أجنبيَّةٍ، معهد كاتو[4]، ومعهد فريزر[5]، ومعهد الليبراليِّينَ

---

1. صالح، هيثم. **إشـــكاليَّة الدَّوْلة في العَالَم العَرَبيّ وتحوُّل السُّـــلْطة على أبواب الألفيَّة الثَّالثة**. الدَّوْحة، قطر: المَرْكَز العَرَبيّ للأَبْحاث ودِرَاسة السِّياسَات، 2020م، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/lStqZ
2. **فريدرم هاوس:** أَوْ بَيْتُ الْحُرِّيَّة باللُّغَةِ الْعَرَبِيَّة، مُنَظَّمَةٌ غَيْرُ حُكُومِيَّةٍ مَقَرُّهَا الْوِلَايَات الْمُتَّحِدَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ تُدَعِّم وَتُجْرِي البُحُوث حَوْلَ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ وَالْحُرِّيَّة السِّيَاسِـــيَّة وَحُقُوق الإِنْسَـــانِ، تَأَسَّسَت في أُكْتُوبَر عَام 1941م، يَسْتَشْهِدُ العَدِيدُ مِنَ عُلَمَاءِ السِّيَاسَة والصَّحَفِيِّينَ وَصُنَّاعَ السِّيَاسَات بالتَّقْرِيرِ السَّنَوِيِّ لِلْحُرِّيَّةِ في الْعَالَمِ الَّذِي تُصْدِرُه الْمُنَظَّمَةُ، والَّذِي يُقَيِّمُ دَرَجَةَ الحُرِّيات السِّيَاسِـــيَّةِ وَالحُرِّيَّات الْمَدَنِيَّةِ في كُلِّ بَلَدٍ مِنْ بُلْدانِ العالَم، كَمَا تُعْتَبَرُ تَقَارِيرُ حُرِّيَّةِ الصَّحَافَةِ وَالْحُرِّيَّةِ عَـلَى الإنترنـــت مِنْ ضِمْنِ التَّقَارِيرِ الأُخْرَى الْمُمَيَّزَة للمُنظَّمَة، والَّتِي تَرْصُـــد الرَّقَابَةَ عَلَى الصّحفيِّينَ وحالات التَّرْهِيب وَالْعُنْفِ ضِدَّهُم، وإمكانية حُصُولِ الْجُمْهُورِ عَلَى الْمَعْلُومَات، لِلْمَزِيد: مَوْقِع ويكيبيديا الموسوعة الْحُرَّة، مُتَاحٌ عَلَى الرَّابط: https://cutt.us/lQ05S
3. مؤَشِّر "فريدوم هاوس" وتقرير الحريَّة في العَالَم السَّنَويّ يُقَيِّم الحُرِّيَّات السياسيَّة في الدُّوَل العَرَبِيَّة وتُونس تَتَصَدَّر، وكالة وام تايمز الإخباريَّة، 27 يناير 2016م، مُتَاح على الرَّابط: goo.gl/ViKnS4
4. **معهد كاتو:** مُنظَّمة أبحاثٍ أمريكيَّة تعنى بدِراسات السِّياسَة العامَّة، وهي مُؤَسَّسَةٌ فكريَّةٌ معنيَّةٌ بقضايا الحريَّة الفرديَّة، والحَوْكمة والأَســـواق الحُرَّة والســـلام. وتَضْطَلع بإجراء الدِّراسَـــات والبُحوث المُســـتقِلَّة على مجموعةٍ واسعةٍ من قضايا السِّياسَة والفِكْر والحُرِّيَّات. للمزيد يُنْظَر الرَّابط: https://cutt.us/EWf0l
5. **معهـــد فريـــزر** هو أكبرُ مَرْكَز للأَبْحاث في كندا احتلَّ المرتبةَ الـ20 بين مُؤَسَّسَـــات الفِكْر والرَّأْي في العَالَم، وَفْقاً لمُؤَشِّر جامعة بنســـلفانيا المَعْنِيّ بترتيب مَرَاكِز الأَبْحَاث والدِّراســـات الأكثرِ تأثيراً حول العَالَم، للمزيد يُنْظَر الرابط: https://www.iicss.iq/?id=398

التَّابع لمُؤَسَّســـة فريديريش نومان للحريَّة(1)، مُنْتَصَفَ شَهْرِ أُغُسْطُسَ 2015م، والَّذِي يَخُـــصُّ تَرْتِيبَ 152 دَوْلَةٍ في العَالَمِ، فَقد أَتَتِ الأردنُّ الأُولَى عَرَبِيًّا بحلولها في المَرْكَزِ 78، بينما كانت الجزائر واليمن في نهاية القائمة العَرَبِيَّةِ بحلولهما تَوالِيًا في المَرْكَزَيْنِ 146 و 148(2).

وفيما يتعلَّقُ بمشـــارَكة الشَّبَابِ العَرَبِيِّ في الحياة السِّيَاسِيَّةِ العَامَّةِ في العَالَمِ العَرَبِيِّ فَإِنَّ هذه المشاركة تَتَأَثَّرُ بِعَوَامِل عِدَّةٍ مِنْهَا ما هو اجْتِمَاعِيٌّ وَثَقَافِيٌّ وَنَفْسِيٌّ وَاقْتِصَادِيٌّ، فالعادَاتُ والتَّقَالِيدُ الاجْتِمَاعِيَّةُ تَتَحَكَّمُ في شَـــكْلِ المشـــارَكة السِّيَاسِيَّةِ وَفي عُمْقِهَا، فالمشارَكة السِّيَاسِيَّةُ لأَبْنَاءِ الرِّيفِ تختلف في شَكْلها عن مشارَكةِ أبناءِ المُدُنِ، كما تُؤَثِّرُ طبيعةُ الحياة السِّيَاســـيَّةِ على هذه المشارَكة، فالمشارَكة السِّيَاسِيَّةُ هي رَدَّةُ فِعْلٍ فِكْرِيَّةٍ وَسُلُوكِيَّةٍ على المُنَبِّهَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي تُفْرزها البيئَةُ المُحِيطَةُ، فكلَّما كَثُرَتْ هذه المُنَبِّهَات وزادت شِدَّتُهَا زَادَتْ معها مشارَكةَ الشَّبَابِ، والعَكْسُ صحيحٌ، وَبِالرَّغْمِ من عدم وجودِ تقاريرَ رَسْمِيَّةٍ توضِّحُ مدى مشارَكةِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ في الحياة السِّيَاسِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ عَدَدًا لا بَأْسَ به من التَّقارير يؤكِّد تَدَنِّيَ مُسْتَوَى هذه المشارَكة، فَفِي تونس على سبيل المثال وَوَفْقًا لِلْمَرْكَزِ العَرَبِيِّ لِلْبُحُوثِ والدِّرَاسَاتِ، فَإِنَّ الانتخابات الرِّئَاسِيَّةَ في عَامِ 2019م شَهِدَتْ عُزُوفًا شبه تَامٍّ للشَّبَابِ(3)، وَوَفْقًا لِلْمُؤَشِّرِ العَرَبِيِّ 2018م، فَإِنَّ الشَّبَابَ العَرَبِيَّ بِشَكْلٍ عَامٍّ يُحْجِم عن الدُّخُول في العمليَّةِ السِّيَاسِيَّةِ في بِلَادِهِ(4).

1. **مُؤَسَّسَة فريدريش ناومان للحريَّة:** هي مُؤَسَّسَة السِّياسَة الليبراليَّة، وقد أَنْشَأها تيودور هويس الَّذِي شَغَل مَنْصب أوَّل رَئِيس لجمهوريَّة ألمانيا الاتحاديَّة سنة 1958م، وتهدف المُؤَسَّسَة إلى تعزيز حُرِّيَّة الفَرْد والليبراليَّة، وتتَّبع المُؤَسَّسَة مبادئ فريدريش ناومان المُفَكِّر والسِّياسيُّ الليبراليّ الألمانيّ الرَّائد في أوائل القَرْن العشرين، للمزيد يُنْظَر الرابط: https://cutt.us/MOBcE
2. "**الدُّوَل العربيَّة تَحتَلّ المراتبَ الأخيرة في مُؤَشِّر الحريَّة.. وإسرائيلُ تَتَصَدَّر مِنْطَقة الشَّرْق الأَوْسَـــط**"، سي إن إن بالعربيَّة، 30 أغسطس 2015م، مُتَاح على الرَّابط، goo.gl/bl5Kbj
3. عبدالعال، محمود جمال. "**الانتخابات الرِّئَاسيَّة التُّونسيَّة... قراءة في المُؤَشِّرات ودلالات التَّصْويت**". المَرْكز العَرَبيّ للبُحوث والدِّراسات، 16 سبتمبر 2019م، تاريخ الزيارة 11 مايو 2020م، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/WYgFx
4. "**المُؤَشِّر العَرَبيّ 2018م**". المَرْكز العَرَبيّ للأبْحَاث ودِرَاســة السِّياســات، ص243، مُتَاح على الرَّابط: https://cutt.us/298Xf

وفيما يتعلَّقُ بأسبابِ انخفاضِ مُسْتَوى مشارَكةِ الشَّبَابِ العَرَبيِّ في السِّيَاسَةِ العَامَّةِ لا يُمكن تحديد سـبـبٍ واحدٍ واضِحِ المَعَالم، فهذه الظَّاهرة يُمكن إرجاعُها لجُمْلَةِ أسبابٍ مُتداخِلةٍ مع بَعْضِهَا البَعْضِ، **سَنُورِدُ أَهَمَّهَا فِيما يَأْتِي:**

- عدم جُهُوزِيَّةِ المُنَاخِ السِّيَاسِيِّ العَامِّ في غالبيَّةِ الدُّوَل العَرَبِيَّةِ لمشارَكةِ الشَّبَابِ في العَمَل السِّيَاسِيِّ، فالتَّجْرِبَةُ الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ حديثةُ العَهْدِ في العَالَمِ العَرَبِيِّ، إضافةً إلى أَنَّ هذه التَّجْرِبَةَ ليست مثاليَّةً، فما زالت المشارَكةُ السِّيَاسِيَّةُ للشَّبَابِ مَحْفُوفَةً بالمخاطر لجِهَةِ احْتِمَاليَّةِ الاعْتِقَال أو التَّضْيِيق.
- تَجْرِبَةُ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ أصابت الشَّبَابَ بالإحباط وخاصَّةً أَنَّ مقارَنَةَ ما تَمَّ إِنْجَازه مع التَّضحيَات المُقَدَّمَةِ تُعْتَبَر مُقارَنةً سَـلْبِيَّةً، فالإنجازاتُ على أَرْضِ الواقع تُعْتَبر زَهِيدَةً للغاية، ممَّا قاد الشَّـبَاب إلى رَدَّةِ فِعْلٍ سَـلْبِيَّةٍ تُجَاهَ المشـاركة في العَمَل السِّيَاسِيِّ.
- الوَعْيُ السِّـيَاسِيُّ الجَمْعِيُّ لدى الشَّبَابِ لم يزلْ منخفضًا، وخاصَّةً أَنَّ هذا الوَعْيَ كان مُغَيَّبًا لعقود عِدَّةٍ، فيحتاج إلى عَمَلٍ مَنْهَجِيٍّ للنُّهُوضِ به، وتراجُعُ هذا الوَعْيِ سيقود حُكْمًا لتراجُعِ نِسَبِ المشاركة في العَمَل السِّيَاسِيِّ.
- انخفاضُ فَاعِليَّةِ الأحزاب على السَّـاحة السِّيَاسِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، فالعمل الحِزْبِيُّ هو الحَاضِنُ الرَّئِيسُ للْمشارَكةِ السِّيَاسِيَّةِ، فغياب دَوْرِ الأحزاب سينعكس بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ على العَمَل السِّيَاسِيِّ.
- انشـغالُ الشَّبَابِ بِقضايا الحياة والمَعِيشَةِ، مِمَّا لم يَتْرُكْ مَجَالاً أمامهم للانخراط في العمل السِّيَاسِيِّ.
- غلبةُ تَيَّارَاتِ الإِسْلَامِ السِّيَاسِيِّ على الواقع السِّيَاسِيِّ العَرَبِيِّ، ممَّا أَضْعَفَ خِيَارَاتِ الشَّـبَابِ في الاخْتِيَارِ بين البرامج الحِزْبِيَّةِ، مِمَّا حَدَا بالعديد منهم إلى الانكفاء عن العمل السِّيَاسِيِّ.

وَخِتَامًا لهذا الفَصْل، لا بُدَّ من التَّأكيد على أَنَّ المشـارَكةَ السِّيَاسِيَّةَ والوَعْيَ السِّيَاسِيَّ وَجْهَانِ لعُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ، فَنُمُوّ أو ضُمُورِ أحدهما سـينعكس وَبِشَـكْل مُبَاشِرٍ على الآخَر،

لذلك فإِنَّ أَيَّ إِسْتِرَاتِيجِيَّةٍ هادفة لتحسين أحدهما يجب أَنْ تستهدف الآخَرَ، كما يجب التَّأكيد على أَنَّ الوَعْيَ الجَمْعِيَّ العَرَبِيَّ لا يُمكن عمليًّا تَجْزِئَتُهُ إلى سِيَاسِيٍّ وَاجْتِمَاعِيٍّ وَثَقَافِيٍّ، بَلْ هو كُلٌّ مُتَكَامِلٌ، فَتَرَاجُع هذا الوَعْيِ في إطاره العَامِّ سينعكس على مُخْتَلِفِ أَشْــكَال هذا الوَعْيِ، فالأَجْدَى قَبْلَ الْبَدْءِ ببناء الوَعْي السِّــيَاسِيِّ البَدْءُ ببناءِ وتعزيز الوَعْيِ العَامِّ الفَــرْدِيِّ والجَمْعِيِّ، وَلَعَلَّ الطَّرِيقَ الأَفْضَلَ لبناء هذا الوَعْيِ يَتَمَثَّلُ ببناء الوَعْــيِ بِالذَّاتِ، والَّذِي يمُكــن اخْتِزَالُهُ في متتاليات متعدِّدَةٍ قد تكون لا نِهَائِيَّةً، مَن أَنْتَ؟ ماذا تريد؟ ما هي رســالَتُك؟ ما هي حمولةُ أفكارِكَ ومشاعرِكَ؟ وكيفَ تتعاملُ معهــا؟ ما هي قراراتكَ واختياراتكَ في الحياة؟ ما هي قناعاتكَ، وقِيمكَ؟ وبالتَّأْكِيدِ فَإِنَّهُ عندَ التَّمكُّنِ منْ تقديمِ إجاباتٍ عن هذهِ الأسئلةِ فيُمكن وَصْفُ أنفسنا بالْوَاعِينَ، هذا على المستوى الفرديِّ، والإجابة على هذه التَّساؤلاتِ على المُسْتَوى الجَمْعِيِّ تُشَكِّلُ بَادِرَةَ بناء الوَعْيِ الجَمْعِيِّ للأُمَّةِ بِشَكْلٍ عَامٍّ وَللشَّبَابِ بِشَكْلٍ خَاصٍّ.

الفَصْل الثَّامِن

نَزِيفُ الشَّبَابِ إلى الخَارِجِ

- **مُقَدِّمَة**
- **المَبْحَث الأَوَّل: هِجْرَةُ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ بِالأَرْقَام والحَقَائِق**
  - المَفْهُومُ العَامُّ لظاهِرَة هِجْرَة الكَفَاءَات
  - أَنْمَاطُ هِجْرَةِ العُقُول
  - أَنْمَاطُ نَزِيف العُقُول
  - هِجْرَةُ الكَفَاءات العَرَبِيَّة في التَّارِيخ
  - الوَاقِعُ الحَاليّ لِهِجْرَةِ الكَفَاءات العَرَبِيَّة
- **المَبْحَث الثَّاني: أَسْبَابُ هِجْرَة الكَفَاءات العَرَبِيَّة وآثَارُها**
  - انْخِفَاضُ الإِنْفَاق على البَحْث العِلْميِّ
  - الأَزَمَات السِّيَاسِيَّة والأمنية
  - الأَوْضَاعُ الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة
  - العَوامِلُ الخَارِجِيَّةُ الجَاذِبَة للكَفَاءَات العَرَبِيَّة
  - الآثَارُ السَّلْبِيَّةُ لِهِجْرَةِ الكَفَاءَات العَرَبِيَّة
- **المَبْحَث الثَّالث: إِسْتِرَاتِيجِيَّاتُ التَّعامُلِ مع ظَاهِرة هِجْرَةِ الكَفَاءَات العَرَبِيَّة**
  - أَبْرَزُ آلِيَّات جَذْب الشَّبَاب
  - نَحْوَ إِسْتِرَاتِيجِيَّةٍ شامِلَةٍ لِتَوْطِين الكَفَاءَات

الفصل الثَّامِن

نَزِيفُ الشَّبابِ إلى الخَارِجِ

مُقَدِّمَة

لا يَخْتَلِف اثْنَانِ في كَوْنِ رَأْس المال البَشَرِيِّ هو العُنْصُر الأهَمُّ والأكثرُ فَاعِلِيَّةً بين كُلِّ عَنَاصِر العمل أو الإنتاج في أيَّةِ دَوْلة أو أُمَّة، وأنَّ هذا الرَّأْسَمَال مُؤَلَّفٌ من كُتْلَتَيْنِ بَشَرِيَّتَيْنِ مُتكامِلَتَيْنِ؛ الأولى: هي الشَّبَابُ المُتَعَلِّمُ الَّذي اكتسب المَعَارِفَ والعُلُومَ الأكاديميَّةَ، والثَّانية: هي أصحابُ الخِبْرَاتِ، أولئك الَّذين صَقَلَتْهُمُ التَّجارِبُ والمُمَارَسةُ والعَلَاقاتُ الوظيفيَّةُ والإنْسَانِيَّةُ، وأَصْبَحوا يمْتَلِكُون خِبْرَاتٍ فائقةَ الأَهَمِّيَّةِ وسُلُوكِيَّاتٍ إيجَابِيَّةً بَنَّاءَةً.

وانطِلاقًا مِنْ كَوْنِ المَوَارِدِ البَشَرِيَّةِ هِي عَصَبُ التَّنْمِيَةِ وعِمَادها، فتَسْعى غالبيَّةُ الدُّوَلِ إلى تَعْزِيز هَذَا المَوْرِدِ باتِّبَاعِ سِيَاستَيْنِ مُوازِيتَيْنِ، الأُولى تَتَمَثَّلُ في تَنْمِيَةِ المَوَارِد البَشَرِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ المُتَمَثِّلَة بِأَفْرَاد المُجْتَمَع المَحَلِّيِّ، وَالثَّاني في اسْتِقْطاب المَوْهُوبينَ والمُمَيَّزِين من الخَارِجِ لِيَكُونُوا رَافِعَةً إضَافيَّةً للتَّنْمية بالتَّعَاوُن مَع المَوَارِدِ البَشَرِيَّةِ الدَّاخِلِيَّة، وهَاتَانِ السِّيَاسَتَانِ تُعْتَبَرَانِ مُتكامِلَتَيْنِ، إلَّا أَنَّ سِيَاسَةَ تَنْمِيَةِ المَوَارِد الدَّاخِلِيَّةِ تُعْتَبَرَ الأَكْثَرَ فَاعِلية ودَيْمُومةً، كَوْنَ المَوَارِدِ الخَارِجِيَّةِ لَا يُمْكِنُ الاعْتِمَادُ عَلَيْهَا في التَّخْطِيطِ الإسْتِرَاتِيجِيِّ؛ وَمِنْ هَذَا التَّوْضِيحِ لِأَهَمِّيَّةِ المَوَارِد البَشَرِيَّة يَظْهَرُ وبشَكلٍ جَلِيٍّ مِقْدَارَ الخَسَارَةِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يَتَكَبَّدَها المُجْتَمَعُ جَرَّاءَ خَسَارَتِهِ لِمَوَارِدِه البَشَرِيَّةِ الذَّاتِيَّةِ.

إنَّ مُعدَّلاتِ التَّنْمِيَةِ في العَالَمِ العَرَبِيِّ مُنْخَفِضَةٌ نِسْبِيًّا، وَهَذَا الانْخِفَاضُ يَقُودُ إلى تَرَاجُعٍ حَادٍّ في مُخْتَلَفِ المُؤَشِّرات الاقْتِصَادِيَّة على مُسْتَوَى الاقْتِصَاد الكُلِّيِّ للحُكُومات أَوْ على مُسْتَوَى اقْتِصَاد الأَفْرَاد، وَيُمْكِن إرْجَاعُ هَذَا التَّرَاجُعِ في التَّنْمِيَةِ إلى أَسْبَابٍ عِدَّةٍ مُتَدَاخِلَة، قَدْ يكُونُ مِنْ أَهَمِّهَا انْخِفَاضُ مُسَاهَمَةِ الكَفَاءَاتِ العَرَبِيَّةِ في الحَرَكَةِ الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة المَحَلِّيَّة، وَهَذَا الانْخِفَاضُ مَرَدُّهُ إلى هِجْرَةِ الكَفَاءَات العَرَبِيَّة وَالَّذي بَلَغَ من الحِدَّةِ مَا يُتِيح بِتَسْمِيَتِه نَزِيفَ الكَفَاءَات.

وَتَنْعَكِسُ حَالَةُ الضَّعْفِ تِلْكَ على فِئَةِ الشَّبَابِ العَرَبيّ بِشَكْلٍ وَاضِحٍ؛ إذ يَتَخَرَّجُونَ مِن مَنْظُوماتٍ تعليميَّةٍ نمطيَّةٍ بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ دُونَ امْتِلَاك عَنَاصِرِ الكَفَاءَةِ اللَّازِمَة لِسُوق الوَظَائِف والمِهَنِ المُعَاصِرَة، ومِن ثَمَّ تُعِيقُ هَذِه البيئاتُ المعاكِسَـــةُ والمسيْطِرَةُ تَدَفُّق الاستثماراتِ الماليَّةِ في قطاعات الاقْتِصَادِ المُخْتَلِفَة والمُنْتِجَة على وَجْهِ الخُصُوصِ، ممَّا يَجْعَلُ فُرَص العَمَل المتاحة أَمَام هَؤُلَاءِ الشَّـــبَاب أقَلَّ مِن أَعْدَادِهم في سُوقِ العَمَل، ويَقُودُهم ذَلِكَ إلى الوُقُوفِ في طَوابـــير بَطَالَةٍ أَو هِجْرَةٍ لَا مُتَنَاهِيَةٍ، وَيُفْضِي هَذَا الوَاقِعُ إلى إعاقَةِ سَـــيْرِ خُطَطِ التَّنْمِيَةِ الشَّامِلَةِ على المُسْتَوَى القُطْريّ أَو الإقْلِيميِّ العَرَبيِّ على حدٍّ سَوَاءً.

إنَّ تَصَاعُدَ ظَاهِرَةِ هِجْرَةِ الكَفَاءَاتِ مِنْ شَأْنِهَا عَرْقَلَةُ أَيِّ جُهْدٍ تَنْمَويٍّ اقْتِصاديٍّ وَاجْتماعِيٍّ، وَالمِنْطَقَةُ العَرَبِيَّةُ وَفي ظِلِّ الظُّرُوفِ الاسْتِثْنَائيَّة الَّتي تَمُرُّ بِهَا، لَن تَتَمَكَّنَ مِنْ تَحْقِيقِ أَيِّ نَقَلَةٍ نَوْعِيَّةٍ في وَاقِعِهَا الاجْتِمَاعِيِّ وَالاقْتِصَاديِّ في حَالِ عَدَم مُشَـــارَكَةِ جَمِيع فئاتِ المُجْتَمَع في الحَرَكَةِ الاقْتِصَادِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ لا سِيَّمَا أَصْحَابُ الكَفَاءَاتِ وَالمَهَارَات، وَهَذَا الأَمْرُ لَن يَتِمَّ تَحْقِيقُهُ دُونَ وَقْفِ نَزِيف الكَفَاءَاتِ أَوْ التَّخْفِيفِ مِنْهُ في الحَدِّ الأَدْنَى، وَمِمَّا لا شَـــكَّ بِهِ أَنَّ البَدْءَ في مُعَالَجَةِ ظَاهِرَةِ هِجْرَةِ الكَفَاءَاتِ لَن يُكْتَبَ لَهُ النَّجَاحُ دُونَ الوُقُوفِ على الأَسْـــبَابِ الحَقِيقِيَّةِ لِهَذِه الظَّاهِرَة، فَعِنْدَ انْتِفَاءِ الأَسْبَابِ المُوجِبَةِ لِهَذِه الهِجْرَة فَمِن الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَتَوَقَّفَ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ أَفْرَادِ المُجْتَمَعِ بِشَكْلٍ عَامٍّ أَوْ لِلشَّبَابِ بِشَكْلٍ خَاصٍّ رَغْبَةٌ حَقِيقِيَّةٌ في تَرْكِ بَلَدِه وبيئتِه الاجْتِمَاعِيَّة مَا لَم يكُن البَلَدُ المُهَاجَرُ إلَيْه يُقَدِّمُ خَدَمَاتٍ لَا يُقَدِّمُهَا البَلَدُ الأُمُّ.

وانْطِلاقًا مِنْ أَهَمِّيَّةِ دَوْرِ الكَفَاءَات البَشَرِيَّة لا سِيَّمَا مِن الشَّبَاب وَأَثَرِ هَذِه الكَفَاءَات على الوَاقِعِ العَرَبيِّ بِشَتَّى مجَالاته سَنُفْرِد هَذَا الفَصْلَ لِدِرَاسَةِ ظَاهِرَةِ هِجْرَةِ الكَفَاءَاتِ العَرَبِيَّةِ إلى الخَارِجِ، مُتَنَاوِلِينَ هَذِه الظَّاهِرَة بِالتَّحْلِيل، ومُحَاوِلِينَ تَحْدِيدَ الأَسْـــبَابِ المُوجِبَةِ لَهَا بِأُسْـــلُوبٍ عِلْمِيٍّ، إضَافَةً لِلْوُقُوفِ على حَجْم هَذِه الظَّاهِرَة وَتَحْدِيدِ آثارِهَا على المُجْتَمَع العَرَبيِّ أفرادًا وحُكومات.

المبحث الأَوَّل

هِجْرَةُ الشَّبَابِ العَرَبيِّ بِالأَرْقَام والحَقَائِق

تُعْتَبَرُ ظَاهِرَةُ الهِجْرَةِ مِنَ الظَّوَاهِرِ الإِنْسَانِيَّةِ القَدِيمَةِ قِدَمَ نُشُوءِ الحَضَارات والتَّجَمُّعات البَشَرِيَّة، وكَانَت تُشَكِّلُ هَذه الهِجْرَةُ وَسِيلَةً هَامَةً مِنْ وَسَائِلِ التَّبَادُلِ الحَضَارِيّ والثَّقافيِّ بَيْنَ الحضارات المُخْتَلِفَة، وَلَعَلَّ التَّارِيخَ الحَضَارِيَّ للبشريَّة مُزْدَحِمٌ بالعديد مِنَ الأَمْثِلَةِ على هَذِهِ الهِجْرَة خصوصًا هِجْرَةُ الكَفَاءَات منها، لا سِيَّمَا وأَنَّ غالبِيَّةَ حضاراتِ العَالَمِ القَدِيمِ الرُّومانيَّةُ منها وَالفَارِسيَّةُ كَانَت تَسْعَى لاستقطاب المَزِيدِ مِن الخِبرَات والكَفَاءَات لِدَعْمِ نَهْضَتها الحَضَاريَّة والعُمْرانيَّة إلَّا أَنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ لَمْ يَتِمَّ الالتفَاتُ إِلَيْهَا إِلَّا حديثًا كَوْنها لَمْ تَرْقَ قديمًا لتُشَكِّلَ ظَاهِرَةً خَطِيرَةً، إنمَّا بَقِيَتْ في حُدُودٍ ضَيِّقة وبالتَّالي كَان أَثَرُهَا محدودًا، وبالإمكانِ القَوْلُ وَبِدُون مُبَالَغَةٍ إِنَّ العَالَمَ العَرَبيَّ وَفي حِقَبٍ مُتَعَدِّدَةٍ كَان مَصْدرًا هامًّا مِنْ مَصَادِرِ هَذِه الكَفَاءَات.

وَفِيمَا يَخُصُّ ظَاهِرَةَ هِجْرَةِ الكَفَاءَاتِ العَرَبِيَّةِ وَخَاصَّةً الشَّبَابَ مِنْهَا بَلَغَتْ حدًّا بَدَأَتْ تُشَكِّلُ مَعَهَا خَطرًا على الوَاقِعِ المَعْرفيِّ وَالاقْتِصاديِّ العَرَبيِّ، وَقَدْ تَكُونُ دِرَاسَةُ هَذه الظَّاهِرَةِ عَربيًّا أَجْدَى فِيمَا لَوْ تَمَّ تَسْلِيطُ الضَّوْءِ عَلَيْهَا تاريخيًّا وُصولًا لِلْوَقْتِ الحَاليِّ، إِضَافَةً لِدِرَاسَةِ هَذِه الظَّاهِرَةِ في مَفْهُومِهَا العَامِّ، فَهَذِه الجَوَانِبُ ستَقُود حُكْمًا لِفَهْمٍ أَعْمَقَ وَإِحَاطَةٍ أَشْمَلَ بِمُخْتَلِف أَبْعَادِ هَذه الظَّاهِرَة، وبالتَّالي قُدْرَةٌ أَكْبَرُ على مُعَالَجَتِهَا؛ وَلِذَلك سنسعى في سِيَاقِ هَذَا المَبْحَث إلى دِرَاسَة المَفْهُومِ العَامِّ وَالنَّظَرِيّ لِظَاهِرَةِ هِجْرَةِ الكَفَاءَات إِضَافَةً لدِرَاستها عَربيًّا في سِيَاقِهَا التَّاريخيِّ ونُفْرِدُ القِسْمَ الأَعْظَمَ مِنْ هَذَا المَبْحَث لِدِرَاسَة الوَاقِع الحَاليِّ لَهَا مُدَعَّمًا بالأرقام ومُمَنْهَجًا بِالتَّحْلِيل.

المَفْهُومُ العَامُّ لظَاهِرَةِ هِجْرَةِ الكَفَاءَات

إِنَّ مُصْطلَحَ هِجْرَةِ الكَفَاءَات يُعْتَبَرُ مِن المُصْطلَحَاتِ الحَدِيثَة نِسبيًّا، فبالرَّغْم مِنْ قِدَم هَـذِهِ الظَّاهِرَةِ إِلَّا أَنَّ الاهْتِمَامَ بِهَا يُعْتَبَرُ حَدِيثَ العَهْدِ وَيَرْجِعُ إِلى العُقُودِ الأَخِيرَةِ مِن

القَرْنِ العِشْرِينَ، وَخَاصَّــــةً في ظِلِّ ازْدِيَاد التَّبَايُنِ وَتَفَاقُم الفَجْوة بَيْنَ العَالَمِ الغَرْبيِّ المُتَقَدِّمِ ودُوَل العَالَمِ الثَّالث، وَهَذَا التَّبَايُنُ شَــكَّلَ جاذِبًا للكَفَاءَات من الدُّوَل النَّامِيَة إلى الأُخْرَى المُتَقَدِّمَة، وَفِيمَا يَلِي سَــنُقَدِّم توضيحًا لِمَعْنَى الهِجْرَةِ لُغَوِيًّا واصْطلاحيًّا ونُتْبِعها بِتَعْرِيفِ وَتَوْضِيحِ هِجْرَة الكَفَاءَات أو هِجْرَة العُقُول.

تَعْنِــي كَلِمَةُ الهِجْرَةِ لُغَوِيًّا الانْتِقَالَ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أُخْرَى سَــعْيًا لِلْأَمْنِ أو طَلَبًا لِلرِّزْق، وَتَعْنِي أيضًا الانْتِقَالَ إلى بِلَادٍ أُخْرَى بِقَصْدِ الإِقَامَة الدَّائمَةِ[1]؛ أَمَّا فيمَا يَخُصُّ مُصْطَلَحَ هِجْــرَةِ الكَفَاءَات أو هِجْرَةِ العُقُولِ أَوْ نَزِيف العُقُول فَهِي بَعْضُ التَّرْجَمات الشَّــائعَة لِلمُصْطَلَح الإِنْكِلِيزيِّ[2]"Brain Drain"، وَهَذَا المُصْطَلَحُ تَمَّ ابْتِدَاعُه في بريطانيا في سِتِّينِيَّات القَرْنِ الماضِي للتَّعْبِيرِ عَن فُقْدَانهم العَدِيدَ مِنَ الأَطِبَّاءِ والمُهَنْدِسينَ والخُبَرَاء بِسَــبَبِ هِجْرَتِهم إلى الولايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ وكَنَدا[3]، فهِجْرَةُ الكَفَاءَات أو نَزِيفُ العُقُول يُمْكِنُ تَعْرِيفُهُ بِأَنَّهُ الهِجْرَةُ الدَّائمَةَ لِأَصْحَاب الكَفَاءَات أَو الفِئات الأَكْثَرَ تَعْليمًا وتأهيلًا خَارِجَ أَوْطَانِهَا بحثًا عَنْ أُفُقٍ أَوْسَعَ لِلْعَمَلِ أَوْ سَعْيًا وَرَاءَ بِيئَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ وسياسيَّةٍ وَاقْتِصَادِيَّةٍ تُوَفِّرُ لَهَا مُسْتَوَى مَعِيشَةٍ أَفْضَلَ مِن المَوْجُودِ في الوَطَنِ الأمِّ.

أَنمَاطُ هِجْرَةِ العُقُولِ

لَا يُمْكِــنُ حَصْرُ هِجْرَة العُقُول بِنَمَطٍ وَاحِدٍ ثَابِت، بَــلْ تَخْتَلِفُ مِنْ دُولَةٍ لِأُخْرَى وَمِن مُجْتَمَــعٍ لِآخَرَ وَذَلِك تَبَعًا للظُّروف الذَّاتِيَّةِ والموضوعيَّةِ في كُلِّ بَلَدٍ ومُجتمَع، وَفِيمَا يَلِي سَنُبَيِّنُ أَنْمَاطَ هَذِه الهِجْرَةِ بِالتَّفْصِيل.

1. مادة **هجرة**، **قاموس المعاني**، مُتاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/8vumv
2. العربي، أشرف. **نَحْوَ بيئةٍ جَاذِبَةٍ لرَأْسِ المالِ البَشَريّ في ظلِّ اقتصادِ المَعْرِفَة**. مصر ، القاهرة: مركز بُحُوث ودِرَاسَــات الـدُّوَل النَّامِيَة، 2006م، ص186.
3. سنوسي، شيخاوي. **"هِجْرَةُ الكَفَاءَات الوَطَنِيَّة وَإِشْكَاليَّة التنمية في المغرب العَرَبيِّ"**. جامعة أبو بكر بلقايد، كلية الحُقُوق والعُلُوم السِّياسِيَّة، 2011م، ص40، مُتاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/SIPcD

- **الهِجْرَةُ النِّظامِيَّةُ:**

وَيُقْصَدُ بِهَا خُرُوجُ أَصْحَابِ الكَفَاءَات مِـــنْ بِلَادِهِمْ وَدُخُولُهُم البَلَد المُهَاجَر إلَيْه بِصُـــورَةٍ شَرْعِيَّةٍ وقَانونيَّةٍ، وغالبًا مَا تَتِمُّ هَذه الهِجْرَةُ إلى الدُّوَلِ المُتَقَدِّمَة، وَتَكُون عَنْ طَرِيقِ مَكَاتِبِ الهِجْرَةِ أَوْ عَنْ طَرِيقِ السِّـــفَارَات، وَيُلَاحَظُ انْتِشَـــارُ مَكَاتِبَ للهِجْرَةِ في مُعْظَمِ الدُّوَلِ النَّامِيَة، وَالَّتِي تَسْـــعَى لِتَوْفِيرِ تَأْشِيرات سَفَرٍ لِلرَّاغِبِين، وَيكُون الدَّافِعُ الرَّئِيسُ في هَذِهِ الهِجْرَة هُو الحُصُولُ على فُرَصِ عَمَلٍ أَو الاسْتِفادَةُ مِـــن البِنْيَةِ التَّحْتِيَّة العِلْمِيَّة المَوْجُودَةِ في الدُّوَلِ الغَرْبِيَّةِ وَالَّتِي تُسَـــاعِدُ أَصْحَاب الكَفَاءَاتِ على العَمَلِ وَالإِبْدَاعِ.

- **الهِجْرَةُ القَسْرِيَّةُ:**

وَفي هَـــذَا النَّمَطِ يكُون الهَدَفُ الرَّئِيسُ مِن الهِجْرَة الفِرَارَ مِن الأَوْضَاعِ الدَّاخِلِيَّةِ في البِلَادِ، وَالبَحْثَ عن الأَمَان وَالاسْتِقْرَار، فَتُعْتَبَرُ النِّزَاعاتُ والأَزمَاتُ السِّيَاسِيَّة، وَانْخِفَاضُ مُسْتَوَى الدِّيمُقْراطِيَّة مِن الأَسْبَابِ المُوجِبَةِ لِهَذه الهِجْرَة، وغالبًا مَا تَتِمُّ هَذه الهِجْرَة بِشَكْلٍ جَمَاعِيٍّ، إذ يُهَاجِرُ أَصْحَاب الكَفَاءَات بِرُفْقَة عَائِلاتِهم، وَتُعْتَبَرُ المِنْطَقَـــةُ العَرَبِيَّةُ مِن المَنَاطِق الغَنِيَّة بِهَذَا النَّمَطِ مِن الهِجْرَةِ، وَذَلِكَ نَتِيجَةً لِانْعِدَام الأَمْنِ وَالحُرِّيَّات السِّيَاسِيَّةِ في عَدَدٍ كَبِيرٍ مِن الدُّوَل العَرَبِيَّة، وَتُعَدُّ سُوريا مِن أَبْرَزِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّة الَّتِي عَانَتْ وما تزال مِنْ تَبِعَاتِ هَذه الهِجْرَة، وَذَلِكَ نَتِيجَةً لِلْحَرْبِ الضَّارِيَةِ الَّتِي تَدُورُ فِيهَا مُنْذ مَا يَزِيدُ عَنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ، فَشَمِلَت هِجْرَةُ السُّورِيِّين أَصْحَابَ الكَفَاءَات مَع عَائِلَاتِهم.

- **الهِجْرَةُ غيرُ النِّظامِيَّة:**

وَفي هَـــذَا النَّمَطُ مِن الهِجْرَة لَا يُخْرِجُ أَصْحَابَ الكَفَاءَاتِ مِن دُوَلِهم وَلَا يَدْخُلُون الدُّوَلَ المُضِيفَة بِشَكْلٍ قَانُونيٍّ وَشَرْعِيٍّ، وَذَلِكَ إمَّا لِمَنْعِهم مِنْ قِبَلِ الدَّوْلَة الأُمِّ مِن الهِجْرَةِ، أَوْ لِعَدَمِ رَغْبَةِ الدُّوَلِ المُسْتَضِيفَة باستقبَالهم؛ فَيَلْجُؤُون لِطُرُق غَيْرِ شَرْعِيَّةٍ لِلْهِجْـــرَة، وَقَد يُضْطَرُّون لِلانْتِقَال عَبْرَ عِدَّةِ دُوَلٍ قَبْـــلَ الوُصُولِ لِلدَّوْلَة الهَدَفِ،

وتترَافَقُ هَذِه الهِجْرَةُ بمَخاطِرَ جَسِيمَةٍ كالوُقوعِ ضَحِيَّةً لشَبكات الاتِّجَارِ بالبِشْر، أَو الغرَقِ في البَحْرِ أَو الوُقُوعِ في مَتَاعِبَ قَانُونِيَّةٍ عِنْدَ الوُصُولِ للدَّوْلَة الهَدَف.

وَيَخْضَع المُهَاجِرُونَ مِــنْ ذَوِي الكَفَاءَات لاعتبارات عِــدَّةٍ مَوْضُوعِيَّة وذاتيَّةٍ خِلاَلَ اخْتِيَارِهُــم لنَمَطِ الهِجْرَة، فَمِنَ المُؤَكَّدِ أَنَّ الجَمِيعَ يُفَضِّلُ نَمَطَ الهِجْرَةِ النِّظَامِيَّ وَذَلِكَ لِــمَا لَهُ مِنْ آثَارٍ قَانُونِيَّةٍ تَحْمِي المُهَاجِرَ، وَلَكِنْ قَدْ تَفْرِضُ ظُرُوفُ البَلَدِ الأُمِّ أَو الهَدَف على المُهَاجِرِ اخْتِيَارَ أَنْمَاطٍ أُخْرَى، فعَدَم مَنْحِ تأشيراتِ الدُّخُولِ مِنْ قِبَلِ الدُّوَل الهَدَف قَدْ يَدْفَعُ المُهَاجِرينَ لِلدُّخُول بِطُرُقٍ غَيْرِ شَرْعِيَّةٍ.

أَنْمَاطُ نَزِيفِ العُقُولِ

وَيُقْصَدُ بنَزِيفِ العُقُولِ خَسَــارَةُ الدُّوَلِ والمُجتمَعات لكَفَاءَاتها العِلْمِيَّة بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ شَــكْلِ الخَسَارَة، بمَعْنَى لَا يُشْتَرَطُ في هَذَا النَّزِيفِ أَنْ يكُونَ عَنْ طَرِيقِ الهِجْرَة، بَلْ قَدْ تَخْسَرُ الدُّوَلُ عُقُولَ أَبْنَائِها وخِبْرَاتهم وَهُمْ مَا يَزَالُون على أَرْضِهَا، وَفِيمَا يَلِي سَــنُبَيِّنُ أَهَمَّ هَذِه الأنماط:

- **النَّزِيفُ الخَارِجيُّ للعُقُول:**

وَهُو النَّمَطُ الشَّــائِعُ لِهَذَا النَّزِيف وَخَاصَّةً في المِنْطَقَــةِ العَرَبِيَّة، وَيُقْصَدُ بِهِ هِجْرَةُ أَصْحَابِ الكَفَاءَات إلى خَارِجِ الوَطَن العَرَبِيِّ، وَهُوَ مَا بَيَّنَّا أَنْمَاطَهُ في الفِقْرَةِ السَّابِقَةِ.

- **النَّزِيفُ الدَّاخِليُّ للعُقُول:**

وَيُقْصَدُ بِهِ مَيْلُ العُلَمَاءِ وَأَصْحَابُ الكَفَاءَات إلى الابْتِعَادِ عَن قَضَايَا أُمَّتِهم الرَّئِيسَة، وَالحَيَاة على هَامِشِ الحَيَاة الفِعْلِيَّة لأَوْطَانهم، وَالاهْتِمَام بالعِلْم ذَاته دُونَ التَّرْكِيز على مَدَى اسْتِفَادَة مُجْتَمَعَاتهم مِن الأَبْحَاثِ الَّتِي يَقُومُونَ بهَا، فَبَعْضُ الأَبْحَاث قَدْ يَكُونُ لَهَا أَهَمِّيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ كُبْرَى على المُسْتَوَى العَالَمِيّ، إِلَّا أَنْ مُسْتَوَى الاسْتِفَادَةِ المَحَلِّيَّة مِنْهَــا يكُونُ في حُدُودِهِ الدُّنْيَا إِنْ لَمْ يَكُــنْ مَعْدُومًا، كالأبحاث في العُلُوم النَّوَوِيَّة وَعُلُومِ الفَضَاء وَالَّتِي تَعْتَبَر الدُّوَلُ العَرَبِيَّة في غَالِبِيَّتِهَا قَلِيلَةَ الاسْتِفَادَةِ مِنْها.

- **النَّزِيفُ الأَسَاسِيُّ للعُقُول:**
وَيُقْصَدُ بِهِ إِخْفَاقُ الدُّوَلِ في الاهْتِمَامِ بِالعُقُولِ المُمَيَّزَةِ لأبنائها، وبالتَّالي ضَيَاعُ فُرْصَةٍ كَبِيرَةٍ أَمَامَهَا لِلاسْتِثْمَارِ في هَذِهِ العُقُول، وَلَعَلَّ أَهَمَّ الأَسْبَابِ المُوجِبَةِ لِهَذِهِ الخَسَارَةِ هِي ضَعْفُ الإِمْكَانِيَّاتِ إِضَافَةً إلى الحُرُوبِ والنِّزَاعات الدَّاخِلِيَّة.

هِجْرَةُ الكَفَاءَاتِ العَرَبِيَّة في التَّارِيخ

كَمَا أَسْلَفْنَا في مُسْتَهَلِّ هَذَا المَبْحَث، فَظَاهِرَةُ هِجْرَةِ الكَفَاءَاتِ العَرَبِيَّةِ لَيْسَت جَدِيدَةً، فَهِي ظَاهِرَةٌ قَدِيمَةٌ، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَرْقَ سَابِقًا لِدَرَجَةِ تَشْكِيل خَطَرٍ على المُجْتَمَعِ العَرَبِيّ، وَالمُجْتَمَعُ العَرَبِيُّ -وَعلى مَدَارِ التَّارِيخ- كَانَ وَلَّادًا للكَفَاءَات وَالمَهَارَات، ولطالما سَاهَمَت هَذِه الكَفَاءَاتُ في نَهْضَةِ الأُمَّة العَرَبِيَّة في العُصُورِ الوُسْطَى وَفي نَهْضَةِ غَيْرِهَا من الأُمَم، وَلَعَلَّ اسْتِعْرَاضًا سَرِيعًا لِتَارِيخ هِجْرَةِ الكَفَاءَات العَرَبِيَّة سَيُقَدِّمُ لَنَا خَلْفِيَّةً تَارِيخِيَّةً تُعِينُ في فَهْمٍ أَدَقَّ لِحَاضِرِ هَذِه الظَّاهِرَة.

فَشَهِدَت الإِمْبِرَاطُورِيَّةُ الرُّومانيَّةُ هِجْرَةَ بَعْض الكَفَاءَات العَرَبِيَّةِ وَخَاصَّةً في المَجَال العُمْرَانِيّ، وَلَعَلَّ المِعْمَارِيَّ والمُخَطِّطَ السُّورِيَّ الدِّمَشْقِيَّ "أبولودور"(1) كَانَ أَحَدَ أَهَمِّ الكَفَاءَاتِ العَرَبِيَّة الَّتِي تَرَكَتْ أَثَرًا واضِحًا على الحَضَارَة الرُّومانِيَّة العُمْرَانِيَّة، وَهُو المُخَطِّطُ الأَهَمُّ لِصُروح رُوما التَّارِيخِيَّة(2)، كَمَا أَنَّ من العَرَبِ مَنْ وَصَلَ لِسُدَّة الحُكْمِ في

1. **أبولودور:** أبولودوروس الدِّمَشْقِيُّ، مِعْمارِيّ ومُخَطِّط مُدُن، وُلِدَ في دِمَشْقَ سَنَةَ 60م تُوُفِّيَ في رُومَا 125م، بِالرَّغْمِ من اسْمِهِ الإغريقيّ، إِلَّا أَنَّ أبولودوروس عربيُّ الأَصْل، رَبَطَتْه صَدَاقَةٌ حَمِيمَةٌ بالإمبراطور الرُّومَاني تراجان، الَّذي أَحْضَرَهُ مِنْ دِمَشْقَ إلى رُوما، وَأَبْدَعَ هُنَاك، وَمِن أَهَمِّ أَعْمَالِه: الجِسْرُ المُعَلَّق على نَهْرِ الدَّانوب، وَعَمُود تراجان، دَارُ العَدْلِ الأولَمْبِيَّة، السُّوق على سَفْحِ رَابِيَةِ الكوريرناليس، لِلْمَزِيدِ: مَوْقِع ويكيبيديا المَوْسُوعَة الحُرَّة، مُتَاحٌ على الرَّابِط:. https://cutt.us/LoghV
2. محمود، لورا. "**أبولودور... المعماريُّ الدمشقيُّ الأهمُّ في تَارِيخ رُوما**". صَحِيفَةُ البِنَاء، تَارِيخ الزِّيَارَة 20 مَايُو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/SIlN9

رُومَا، وَجَميعُهُم مِمَّنْ هَاجَرَ مِنْ بِلَادِهِ وَاسْـتَوْطَن في رُومَا، كجوليا دومنا[1] وَأَبْنَائِهَا، والإِمْبرَاطُور فِيلِيب العَرَبيّ[2] الّذِي وُلِدَ في مَنْطِقه حُورَان في سُـوريا اليَوْمَ وَالَّذي حَكَمَ رُومَا زُهَاءَ خَمْسِ سَـنَوَاتٍ، وَمِمَّا لا شَكَّ بِهِ أَنَّ هَذَا الإِبْدَاعَ وَالنَّجَاح الَّذِي أَبْدَعَه العَرَبُ خَارِجَ بِلَادِهِم شَكَّلَ حرمانًا لِمُجْتَمَعهم مِنْ هَذِهِ الجُهُود، وَيُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ هَذِهِ الهِجْرات تُشَابِهُ إلى حدٍّ مَا هِجْرَةَ الكَفَاءَات العَرَبيَّة في الوَقْتِ الحَاليّ إلى بِلَادِ الغَرْب.

وَفي بِدَايَةِ القَرْنِ السَّادِسَ عَشَرَ المِيلادِيِّ وَمَع الفَتْح العُثْمَانيّ لِلْبِلاد العَرَبيَّة أَغْرَى السُّلْطَانُ العُثْمَانيُّ سُـلَيْم الأَوَّل[3] عددًا كَبيرًا مَع أَمْهَرِ المِعْمَارِيِّينَ السُّورِيِّينَ وَالمِصْرِيِّينَ للِانْتِقَال

1. **جوليا دومنا:** (217-170م)، امْرَأَةٌ سُـورِيَةٌ مِن الأُسْرَةِ المَلَكِيَّةِ لإِميسـا حِمْص اَلْحَالِيَّة، اشْـتَهَرَتْ أُسْرَتُهَا بِخِدْمَةِ إِلَهِ حِمْص الاكابالاس إله الشَّـمْسِ، واشْـتَهَرَتْ بِنُبُوءَةٍ تَقُولُ إِنَّهَا سَـتكُونُ مَلَكَةً بَعْدَ زَوَاجِها، وَقَدْ سَـمِعَ هَذِهِ اَلنُّبُوءَةَ قَائِدُ اَلْقُوَّات اَلرُّومَانِيَّةِ في وِلَايَة سُـورِيَّة سبتيم سيفر وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ اَلْأُولَى قَدْ مَاتَتْ فَأَسْرَعَ فِي طَلَبِ يَدِ جُولْيَا مِنْ أَبِيهَا عَام 187م، وَقَدْ أَنْجَبَتْ جوليا دومنا مِنْهُ وَلَدَيْن وهما كاراكالا (قُرَّة اللَّـه) وجيتـا اَللَّذَانِ شَـارَكَا أَبَاهُمَا اَلْحُكْمَ كَأَبَاطِرَة، وَقَتَلَ كاراكالا أَخـاه وَقُتِلَ فِيمَا بَعْدُ كاراكالا عَلَى يَدِ جُنُودِهِ عَامَ 217م، واسْتَوْلَى مكرينس قَائِدَ اَلْحَرَسِ البريتوري (الإِمْبرَاطُورِيّ) عَلَى اَلسُّلْطَة وَنَفَى جوليا دومنا إلى أَنْطَاكِيَة، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَحْتَمِلْ مَوْتَ زَوْجِها وَابْنَيْهَا وَفُقْدَانَهَا مَرْكَزَهَا وَالْعَوْدَةَ إِلَى أَحْضَان اَلنِّسْيَان فَتَوَقَّفَـتْ عَـن اَلطَّعَامِ حَتَّى مَاتَتْ فِي أَنْطَاكِيَة عَامَ 217م. وَدُفِنَتْ إِثْـرَ مَوْتِهَا فِي أَنْطَاكِيَة. وَبَعْدَ وَفَاتِهَا نُقلَـتْ رُفَاتُهَـا إِلَى رُومَا حَيْثُ دُفِنَتْ إِلَى جِوَارِ كايوس ويوليوس قيصر. وَمَرَّة ثَانِيَة نُقلَتْ رُفَاتُهَا مِنْ قِبَلِ أُخْتها جُولْيَا ميسا مَعَ رُفَاتِ جيتَا إِلَى مَدَافِنِ الأَنطونيين، لِلْمَزِيدِ : مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا المَوْسُوعَةُ اَلْحُرَّةُ، مُتَاح عَلَى اَلرَّابِطِ: https://cutt.us/MlWrX
2. **فيليب العَرَبيُّ:** (249-204م)، إِمْبرَاطُور رُوماني، وُلِدَ في مُسْـتَوْطَنَة شـهبا السُّـوريَّة بالقُرْب مِنْ مَدِينه بُصْرَى الّتِي تَحوّلَ اسْمُهَا لاحقًا إلى فيليبوبولس نِسْبَةً إِلَيْهِ، يَنْتَسِبُ وَالدُهُ إلى عَرَب مِنْطَقَةِ اللَّجَاة السُّوريَّة، مِن الَّذِينَ حَمَلُوا أَسْـمَاءَ رُومانيَّة بَعْدَ إِصْدَارِ الامبراطور كاراكلا قَرَارَه الشَّـهِيرَ بمنح الرَّعَويَّة الرُّومانيَّة إلى مواطني الدَّوْلَة كَافَّةً في أَقَالِيمِ حَوْض المُتَوَسِّـطِ مِنْ دُونِ اسْـتِثْنَاءٍ، وَهَكَذَا حَمَل وَالدُه اسْم بوليوس مارينوس وَحَمَل الابْنُ اسْـمَ ماركوس يوليوس فيليبوس، لِلْمَزِيدِ مَوْقع ويكيبيديا الموسـوعة الحُرَّة، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/W6VV2
3. **السُّـلْطَان سَـلِيم الأَوَّل:** (1520-1470م)، السُّلْطَانُ الغَازِي سَـلِيم الأوّل القَاطِع، تَاسِعُ سَلَاطِينِ الدَّوْلَةِ العُثْمَانِيَّةِ وَخَلِيفَةُ المُسْلِمين الرَّابِعُ وَالسَّبْعُون، وَصَلَ سَلِيم إِلَى عَرْشِ السَّلْطَنَة بَعْد انْقِلَاب قَامَ بِهِ على وَالِدِهِ، "بايزيد الثاني"، بدَعْمٍ مِن الانكشارية وخاقان القَرْم، ونَجَح بمُؤَازَرتهم بمُطارَدة إِخْوَته وَأَبْنَائِهم وَالقَضَاءِ عَلَيْهم الواحِدَ تِلْوَ الآخَرِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ مُنَازِعٌ في الحُكْمِ، تمَيَّز عَهْدُ السُّلْطَانِ سَلِيم الأَوَّل عَمَّا سَبَقَهُ مِن العُهُود بِأَنَّ الفُتُوحَات تحولَّت في أَيَّامِهِ مِن الغَرْب الأوروبيِّ إلى الشَّرْقِ العَرَبِيّ، حَيْث اتَّسَعَت رُقْعَةُ الدَّوْلَة اتِّساعًا كَبيرًا لَشَمْلِهَا بِلَادَ الشَّامِ وَالعِرَاقَ وَالحِجَازَ وَتِهَامَة وَمِصْرَ، حَتَّى بَلَغَتْ مِسَاحَةُ أَرَاضِيهَا حَوَالَي مِلْيار فدّان يَوْمَ وَفَاتِهِ، لِلْمَزِيد: مَوْقِع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/AHuux

إلى العَاصِمَةِ العُثْمَانِيَّةِ الأَسَـــتَانَة وَذَلِك لِلمُسَاهَمَةِ في بِنَائِهَا وَخَاصَّةً بَعْدَمَا غَدَت حَاضِرَةَ العَالَمِ الإِسْلامِيِّ(1)، وَهَذَا مَا أَثَّرَ سَلْبًا على الحَرَكَةِ العُمْرَانِيَّة في بِلَادِ الشَّامِ وَمِصْرَ.
وَفي نِهَايَةِ القَرْنِ التَّاسعَ عَشَرَ وبداية القَرْنِ العِشْرِينَ بَدَأَت تَتَّضِح مَعَالِمُ هِجْرَةٍ جَدِيدَة للكَفَاءَات العَرَبِيَّة، أَهَمُّ مَا مَيَّزَها آنذاك هُوَ العَدَدُ الكَبِيرُ من المُهَاجِرِينَ، وكَانَت الهِجْرَةُ تَتركَّز بَيْنَ فِئاتِ الشَّبَاب وغالبيَّتها كَانَتْ تَقْصِدُ دُوَلَ الأمريكيتَيْنِ الشَّمَاليَّة والجَنُوبيَّة، وَبَلَغَت هَذِه الهِجْرَةُ ذُرْوَتَهَا في العُقُودِ الثَّلَاثَةِ الأُولَى من القَرْنِ العِشْرِينَ، فَعَدَدُ العَرَبِ ولا سِـــيَّمَا السُّـــوريُّون مِنْهُم بَلَغَ في البَرَازيل عَام 1914م مَا يُقَارِبُ 140 ألفًا، وَفي الوَقْتِ الحَاليِّ تَبْلُغ نِسْـــبَة الجَاليَةِ السُّوريَّة واللُّبْنَانيَّة 10 % من التَّعْدَاد العَامِّ لسُكَّان البرازيل(2)، وغَالِبِيَّتُهُمْ سَاهَمُوا مُســـاهَمَةً مُبَاشِرَةً في الحَيَاةِ الاقْتِصَاديَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ للبرازيل وَلِغَيْرِهَا من دُوَلِ المَهْجَر، وَمِنْهُمْ مَنْ تَقَلَّدَ مَنَاصِبَ رَفِيعَةً كالرَّئِيس "ميشـــال تامر"(3) الَّذِي تَوَلَّى مَنْصِبَ رَئِيسِ البَرَازيل السَّابِعِ وَالثَّلَاثِينَ.

الواقِعُ الحَاليّ لِهِجْرَةِ الكَفَاءَاتِ العَرَبِيَّة

لَمْ تَتَوَقَّفْ هِجْرَةُ الكَفَاءَات العَرَبِيَّة طِيلَةَ القَرْنِ العِشْرِينَ، وَإِنْ كَانَتْ مُتَذَبْذِبةً في حِدَّتِهَا، فَكَانَت تَتَفَاوَت شِدَّتها تَبَعًا لِظُرُوفِ المِنْطَقَة العَرَبِيَّة الاقْتِصَاديَّة والاجْتِمَاعِيَّة والسِّيَاسِيَّة والأَمْنِيَّة، فَفي العُقُودِ الأَخِيرَةِ من القَرْنِ العِشْرِينَ ووصولًا لِلْوَقْت الرَّاهِن شَهِدَتْ هَذِهِ الهِجْرَةُ تَبَايُنَاتٍ حَادَّةً، فَعلى سَـــبِيلِ المِثَال ازْدَادَت الهِجْرَةُ العَرَبِيَّةُ وَخَاصَّةً إلى الوِلايَات

1. **"مُسْتَقْبَلِيَّة العِمـارة في مصــر"**. مَوْقع كابس مصر، 2018م، تَاريخُ الزِّيارة 20 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/ovKX1
2. نقول،عدنان. **"البِدَايَاتُ الأُولَى للهِجْرَةِ العَرَبِيَّة إلى الأَمْرِيكِيَّتَيْنِ"**. مَوْقع رأي اليوم، 8 أكتوبر 2017م، تاريخ الزيارة 20 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرابط: https://cutt.us/PyToL
3. **ميشـــال تامر**: مُحامٍ وَسِـــياسِيٌّ بَرازِيلِيٌّ، تَوَلَّى مَنْصِبَ رَئِيس البرازيل السَّابِعِ وَالثَّلَاثِينَ في الفَتْرَةِ مَا بَيْنَ (2016-2018م)، وُلِدَ في مَدِينَةٍ صَغِيرَةٍ قُرْبَ ســاوباولو جَنُوب غَرْبِيِّ البرازيل، لِأَبَوَيْنِ مَوارِنَة لُبْنَانِيَّيْنِ هَاجَرَا إلى البرازيل مِنْ قَرْيَةٍ بتعبورا بِقَضَاء الكُورَة شَــمَاليّ لُبْنَان، لِلْمَزِيد: مَوْقع ويكيبيديا الموســوعة الحُرَّة، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/NstEO

المُتَّحِـــدَة الأَمْرِيكِيَّة عَقِب هَزِيمَةِ العَرَبِ في حَـــرْبِ 1967م مَع "إسرائيل" وَذَلِكَ نَتِيجَةً لِلْآثَارِ النَّفْسِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ الكَبِيرَةِ الَّتِي خَلَّفَتْهَا هَذِه الهَزِيمَةُ على المُجْتَمَع العَرَبيِّ.

وَقَدْ يكُونُ مِن الصُّعُوبَةِ بمكَانِ الوُقُوفُ على حَقِيقَةِ أَرْقَام المُهَاجِرين العَرَبِ مِنْ ذَوِي الكَفَاءَات، كَوْنَ غالبِيَّةِ التَّقَارِيرِ والإحصائيات الرَّسْمِيَّة تَتَنَاوَلُ أَعْدَاد المُهَاجِرين دُونَ التَّفْصِيـــلِ في تَرْكِيبهم المَعْرفيِّ وَالفنِّيِّ، إلَّا أَنَّهُ بالإِمْكَان الاعْتِمَادُ على بَعْضِ التَّقَارِير الصَّحفيَّة والمَنْشُـــورات البَحثيَّة لِتَقْدِير أَعْدَاد المُهَاجِرينَ مِنْ الخِرِّيجِينَ الجَامعيِّينَ وَمِن الخُبَرَاء والأكاديميِّينَ، فَفِي تُونُس على سَـــبِيلِ المِثَال شَـــهِدَتْ هِجْرَةُ الكَفَاءَات تصاعُدًا كبيرًا في السَّـــنَوَاتِ الأَخِيرَة، فخِلالَ آخَرِ عَشْرِ سَـــنَوَاتٍ فَقَط خَسِرَتْ تُونُس مَا يَزِيدُ عَنْ 8 آلَاف خِرِّيجٍ جَامعيٍّ و 4,200 عَالِم. تَسْـــتَقْطِب فَرَنْسَا 31 % مِنْهُم تَلِيهَا كَنَـــدا ب 3 % ثُمَّ الولايَات المُتَّحِدَة ب 11 % ثُـــمّ أَلْمانيا ب 10 % وَهُنَاكَ من العُلَمَاءِ التُّونِسِـــيِّينَ مَنْ يَعْمَلُ بوكَالَةِ الفَضَاء الأَمْرِيكِيَّة وبمَخابِر الفِيزِيَاء النَّوَوِيَّة بالوِلَايَات المُتَّحِدَة وبمَخَابِرَ عِلْميَّةٍ أوروبيَّةٍ وكَنديَّةٍ(1).

وَتُشِـــير تقاريرُ أُخْرَى إلى أَنَّ الجَزَائِرَ خَـــسِرَتْ مُنْذُ عَامِ 1990م وَحَتَّى الآنَ مَا يَزِيدُ عَنْ 100 أَلْفٍ مِنْ كَفَاءَاته، وَالَّتِي تُقَدَّرُ خَسَارتُها وَفْقَ مَنْظُورٍ اقْتِصَادِيٍّ بمَا يُقَارب 10 مليار دُولار أَمْرِيكِي(2)، وَالوَاقِعُ في بَقِيَّةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ لَيْسَ بِأَفْضَلَ إنْ لَمْ يَكُنْ أَسْوَأ.

وَيُقَدَّر حاليًا عَدَدُ الخُبَرَاءِ العَرَبِ مِنْ شَـــتَّى البُلْدَان العَرَبِيَّة الَّذِينَ يَعْمَلُونَ في الدُّوَلِ الغَرْبِيَّة بمَا يَزِيدُ عَنْ مِلْيُون خَبِيرٍ مِنْ حَمَلَةِ الشَّـــهَادَات العُلْيَا، وَالَّذِين تُقَدَّر خَسَـــارَة

1. "الأَدْمِغَـــة العَرَبِيَّة.. كَفَـــاءَاتٌ تَنْهَل مِن مُدَّخَرات المَجْمُوعة الوَطَنِيَّة وتَجْنِـــي ثمارَها الدُّوَل الغَرْبِيَّة". مَوقع وَكَالة تُونُس للأنباء، 3 مارس 2019م، تاريخ الزيارة 20 مايو 2020م، مُتاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/8SbU6
2. السليمي، منصف. "العَرَب.. مَوْجَة هِجْرَة جديدة". مَوقع ألمانيا بالعَرَبيّ DW، 5 ديسمبر 2019م، تَاريخ الزِّيارة 20 مايو 2020م، مُتاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/ACDE9

الدُّوَل العَرَبِيَّة جرَّاءَ هِجْرَتِهم حَوَالَي 200 مليار دُولار أَمْريكيّ سَنويًا[1]، كَمَا تُشِير بَعْضُ الإحصائيات العَرَبِيَّة والأُمَمِيَّة وَبَعْضُ المُنَظَّمات المُهْتَمَّة بهَذه الظَّاهِرَةِ إلى أَنَّ العَالَمَ العَرَبِيَّ يُسْهِم ب 31 % من هِجْرَة الكَفَاءَات من الدُّوَل النَّامِيَة، وَأَنَّ 54 % من الطُّلَّابِ العَرَب الَّذِينَ يَدْرُسُونَ في الخَارِجِ لَا يَعُودُونَ إلى بُلْدَانِهِم، كَمَا يُشَكِّلُ الأَطِبَّاءُ العَرَبُ حَوَالَي 34 % مِنْ مَجْمُوعِ الأَطِبَّاء العَامِلِين بِهَا[2].

وَازْدَادَت حِدَّةُ هِجْرَةِ الأَدْمِغَة في العَالَمِ العَرَبِيِّ في أَعْقَابِ الرَّبِيعِ العَرَبِيّ، ولا سِيَّمَا ضِمْنَ فئاتِ الشَّبَاب، فَوَصَلَت في بَعْضِ البُلْدَانِ إلى قِيَمٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ أَضْحَت تُشَكِّلُ تَحدِّيًا خطيرًا لِلْمُجْتَمَع العَرَبيّ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتَ مَضَى، وَلَعَلَّ سُوريا إحْدَى أَكْثَرِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّة تَضرُّرًا مِنْ نَاحِيَةِ هِجْرَة كَفَاءَاتها العِلْمِيَّة، وَبِالرَّغْم مِنْ أَنَّ ظَاهِرَة هِجْرَةِ الأَدْمِغَة لَيْسَت جَدِيدَةً على سُوريا إلَّا أَنَّهَا تضاعَفَتْ أَضْعَافًا عِدَّةً خِلَال سَنَوَات الحَرْبِ الَّتِي أَعْقَبَت ثَوَرَات الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ، فَأَظْهَرَت بَعْضُ الدِّراسات استقرارَ أَكْثَرَ مِنْ 900 أَلْف سُورِيٍّ في أَلْمانيا وَحْدَهَا حَتَّى عَام 2018م، أَكْثَرَ مِنْ 40 % مِنْهُمْ مِنْ أَصْحَابِ المُؤَهَّلَات العُلْيَا، وهِجْرَة نَحْو ثُلُث الأطبَّاءِ السُّورِيِّينَ (33 %) وخُمْسِ الصَّيَادِلَة (20 %) خِلَالَ سَنَوَاتِ الأَزْمَة، ممَّا أدَّى إلى ارْتِفَاعِ مُتَوَسِّطِ عَدَدِ السُّكَّانِ لِكُلِّ طَبِيبٍ مِنْ 623 مواطنًا عَام 2010م إلى 730 مواطنًا عَام 2015م، وأظْهَرتِ الدِّرَاسَةُ أَنَّ عَدَدَ المُهَنْدِسِينَ الَّذِينَ هَاجَرُوا خِلَالَ السَّنَوات الأَخِيرَةِ بَلَغ 8,521 مهندسًا بِاخْتِلَاف تخصُّصاتِهم، وَبَلَغ عَدَد أَسَاتِذَةِ الجَامِعَات مِنْ مُخْتَلفِ الكُلِّيَّات نحوَ ألفٍ وَمِائَتَيْ أُسْتَاذٍ، بالإِضَافَةِ إلى أَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ مِنْ حَمَلَةُ شَهَادَةِ الدُّكْتوراه الَّذِينَ يَعْمَلُونَ خَارِجَ الجَامِعَات، أَيْ في المُؤَسَّسَات والوِزَارات المُخْتَلِفَة، وأَكَّدَت الدِّرَاسَةُ -أيضًا- وُجُود

1. **"الأَدْمِغَة العَرَبِيَّةُ المُهاجِرةُ، خَرَجَ ولمْ يَعُدْ!"**. مُؤَسَّسة الفِكْرِ العَرَبيّ، 2019م، تاريخ الزِّيارَة 20 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/YYaCO
2. سرحان، فتحي. **نزيفُ الأَدْمِغَة العَرَبِيَّةِ المُهَاجِرة وإِدَارة استِثْمارَاتِها**. مصر، القاهرة: مَكْتَبة الشَّرِيف ماس للنَّشْر والتَّوْزِيع، الطبعة الأولى، 2011م، ص53.

تَنَاقُـــصٍ في الأَعْدَادِ الإجمَاليَّة لِأَعْضَـــاءِ الهَيْئَةِ التَّعْليميَّة والفَنِّيَّة في البِلَادِ، حيثُ بلغَ النَّقْصُ 43,43 % في جَامِعَة دِمَشْق، و45,48 % في جَامِعَةِ حَلَب(1)، وَهُوَ مَا يَعْنِي غياباً شِبْهَ تَامٍّ لِلْهَيْئَةِ الأكاديميَّةِ والفَنِّيَّة الوَطَنِيَّة دَاخِلَ سُوريا في أَعْقَابِ الأَزْمَة.

وَتُقَدَّرُ خَسائِرُ سُوريا الاقْتِصَاديَّة جَرَّاء هِجْرَةِ أَدْمِغَتها بِنَحْو 100 مليار لِيرَةٍ سُورِيَةٍ أَيْ بِمَا يُعَادِل 2.2 مليار دُولار أَمْريكي بَيْنَمَا قُدِّرت مَكاسِـــبُ الدُّوَل المتقدِّمَةِ والمُسْتَفيدة مِنْ تِلْكَ الكَفَاءَات السُّـــوريَّة المُهَاجِـــرَة بِنَحْو 450 مليار لِيرَة (10 مليارات دولار)؛ إذ إنَّ الملايين مِن المُهَاجِرينَ ذَوِي الكَفَاءَة الَّتِي خَسِرتها سُـــوريا في أَعْقَابِ الأَزْمَة تُعَدُّ بِذَلِك مِلْكًا خاصًّا للدُّوَل الجَاذِبَة لَهُم، وَهَذَا مَا يَحْرِم سُوريا الاسْتِفادَةَ مِنْ إبداعاتهم الفِكْرِيَّة والعِلْمِيَّةِ في مُخْتَلَفِ المَجَالات ولِسَنَواتٍ طَوِيلَةٍ لَا يُعْلَم عدَدُها(2).

وَيُعْتَبَرُ الشَّبَابُ مِنْ حَمَلَةِ الشَّهَادَات مِنْ أَكْثَرِ الفئاتِ هِجْرَةً، وَذَلِك كَوْنُهم الفِئَةَ الأَكْثَرَ طُموحًا وَالأَكْثَرَ حَاجَةً لِبِنَاء مُسْـــتَقبَلهم وتَأسِيس حَيَاتِهم، وَبِذَلِك يُمْكِنُ اعْتِبَارُ خَسَارَة المُجْتَمَع لَهُم خَسَارَةً مُضَاعَفَةً، الأُولَى في خَسَارَةِ الخِبْرَات الَّتِي يمْتَلِكونها، وَالثَّانِيَةُ في خَسَارَةِ طَاقَةِ الشَّبَابِ وقُدْرَتهم العَالِيَةِ على العَطَاءِ.

1. "دراسَـــة مَرْكَز دِمَشْـــق للأبحاث والدِّرَاســـات "مداد" حول هِجْرَةِ العُقُول في سُـــوريا". موقع صَحِيفة "الاقتصاديَّـــة"، 17 ديســـمبر 2018م، تاريـــخ الزِّيارة 20 مايو 2020م، مُتَاحٌ عـــلى الرَّابِط: http://cutt.us/9B4LI
2. هيبة، عمرو. "الهِجْرَةُ قَدْر الكَفَاءَات السُّـــوريَّة قَبْل الحَرْب وبعدها". مَوْقع جَرِيدة السَّـــفِير، 16 يوليو 2019م، تاريخ الزِّيارَة 20 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/NqumT

المبحث الثَّاني

أَسْبَابُ هِجْرَةِ الكَفَاءَاتِ العَرَبِيَّةِ وآثارُها

إنَّ الدِّرَاسَةَ العِلْمِيَّةَ لأَيِّ ظَاهِرَةٍ تُسْتَوْجَب التَّفْرِيقَ الوَاضِحَ بَيْنَ أَسْبَابِهَا ونتائِجِها، فالخَلْطُ بَيْنَ النَّتَائِج وَالأَسْبَاب مِنْ شَأْنه تَضْلِيلُ نَتَائِج البَحْث وَبِالتَّالي سيَنْعكس سَلْبًا على الأَلِيّات المُقْتَرحَة لمُعالَجتها، وَهَذَا الطَّرْحُ يَنْسَــحِبُ على ظَاهِرَة هِجْرَة الكَفَاءَات العَرَبِيَّة، فَممَّا لا شَـــكَّ بِهِ أَنَّ هَذِهِ الهِجْرَةَ وَخَاصَّةً في ظِلِّ الأَعْدَاد الكَبِيرَةِ لِلْمُهَاجِرِينَ العَرَبَ لَمْ تَأْتِ مِنْ فَرَاغٍ، وَلَمْ تَكُنْ وَلِيدَةَ الصُّدْفَة، وَلا يُمْكِنُ التَّوَقُّعُ بِأَنَّ الرَّغْبَةَ بالهجْرَة هِيَ الدَّافِعُ وَرَاءَهَا، فَهِيَ بالتَّأْكِيد أَتَتْ نَتِيجَةَ أَسْبَابٍ مُحَدَّدَةٍ وَلَّدَتْهَا ظُرُوفُ البيئَة العَرَبِيَّة، وَبالتَّالي فإِنَّ أَيَّ سِيَاسَـــةٍ تَهْدِف لمُعَالَجَة هَذه الظَّاهِرَة لَن تَكُونَ ذَاتَ قيمَةٍ إِلَّا إذَا سَعَت لمُعَالَجَة الأَسْبَاب الحَقِيقِيَّـــة المُؤَدِّيَة لَهَا، وكَمَا أَوْضَحْنَـــا في المَبْحَث الأَوَّل مِنْ هَذَا الفَصْل فظَاهِرَةُ هِجْرَة الكَفَاءَات العَرَبِيَّة بَلَغَتْ مِن الحِدَّة مَا يُوجِبُ العَمَلَ وَبِأَسْرَعِ وَقْتٍ مُمْكِن لِوَقْف تَفَاقُمِها كَمَرْحَلَة أُولى، وَالعَمَلُ على اسْتِعادَة العُقُول في الخَارِج كَمَرْحَلَة ثَانِيَة، وَهَذَا -وكَمَا أَسْلَفْنَا- لَـــنْ يُكْتَبَ لَهُ النَّجَاحُ مَا لَمْ تَتِمَّ مُعَالَجَةُ الأَسْـــبَاب الحَقِيقِيَّة الكَامِنَة وَرَاءَ هَذِهِ الهِجْرَةِ؛ وانطلاقًا مِنْ أَهَمِّيَّة مَعْرِفَة هَذِهِ الأَسْبَاب وَتَأْثِيرِ هَذِهِ المَعْرِفَة على مُعَالَجَة هَذه الظَّاهِرَة سَـــنُفْرِدُ هَذَا المَبْحَثَ لِلْبَحْث في أَسْبَاب هِجْرَةِ الكَفَاءَات العَرَبِيَّة، وَهُنَا يَجِبُ التَّنْوِيهُ إلى أَنَّ ظَاهِرَةَ هِجْرَة الكَفَاءَات قَدْ فُسِّرَتْ بِمَدْرَســـتَيْن، مَدْرَسَة فرديَّة، تُعَالِج أَسْبَابَ الهِجْرَة مِن مَنْظُور فَرْدِيٍّ يَتَعَلَّق بِشُرُوط العَمَل وامتيازاته وَحُقُوقه، وَمَدْرَسَـــة يُمْكِنُ اعْتِبَارُهَا ظَاهِرَةً دوليَّة، وتَرْتَبِط بتدَهْوُر الحَيَاة المَدَنِيَّة، أَيْ: تَدَنِّي الأَحْوَال السِّيَاسِـــيَّة والقانونيَّة، وتَرَدِّي الخِدْمَات وَالأَحْوَال المَعِيشِيَّة.

وَقَبْلَ الدُّخُولِ في تَفْصِيلِ الأَسْـــبَابِ المُوجِبَة لهِجْرَةِ الكَفَاءَاتِ العَرَبِيَّة لا بُدَّ مِن التَّنْوِيه إلى أَنَّ وِجْهَةَ النَّظَر العَالَمِيَّة لِهَذِه الظَّاهِرَةِ تُقَسَّـــم كذلك إلى قِسْـــمَيْن، الأَوَّل يَرَاهَا مِنْ مُنْطَلَقِ ظَاهِرَةٍ فَرْدِيَّةٍ لَا تَرْقَى لِدَرَجَةِ الظَّاهِرَة الجَمَاعِيَّة، وَأَنَّ الأَسْـــبَابَ الرَّئِيسَةَ

المُوجبَة لَهَا هِيَ الطُّمُوحُ الفَرْدِيُّ، وَبالتَّالي فَإِنَّ دِرَاسَتِهَا تَتِمُّ مِن مَنْظُورٍ فَرْدِيٍّ، وَالثَّاني يَرَاهَا ظَاهِرَةً جَمَاعِيَّة لَا يُمْكِنُ دِرَاسَتِهَا إِلَّا مِنْ مَنْظُورٍ جَمَاعِيٍّ(1)، وَفي هَذِهِ الدِّرَاسَة سَنَتَبَنَّى وِجْهَةَ النَّظَرِ الَّتي تَقُولُ بِأَنَّهَا ظَاهِرَةٌ جَمَاعِيَّةٌ، كَوْنهَا أَقْرَبَ لِلْحَقِيقَة، وَخَاصَّةً أَنَّهَا في البِلَادِ العَرَبِيَّةِ تُمَثِّلُ ظَاهِرَةً حَقِيقِيَّةً وَذَلِك اسْتِنادًا للأعداد الكَبِيرَةِ لِلْمُهَاجِرينَ مِنْ ذَوِي الكَفَاءَات؛ كَمَا يَجِبُ التَّنْوِيهُ إلى أَنَّ وُجُودَ بَعْضِ الطَّرُوحَات الَّتِي تَنْظُرُ لِظَاهِرَة هِجْرَة الكَفَاءَات كَظَاهِرَةٍ عالَمِيَّة وَأَنَّهَا ظَاهِرَةٌ طَبِيعِيَّةٌ تَأْتي في سِيَاقِ الحَرَكَة الاجْتِمَاعِيَّة الدَّوْلِيَّة، وَبِالتَّالي لَا يُمْكِنُ أَنْ تُشَكِّلَ أَيَّ خَطَرٍ على الدُّوَل والمجتمَعَات، والمؤيِّدُون لِهَذَا الطَّرْح يُبَرْهِنُونَ على صِحَّة طَرْحِهم في القَوْلِ بِأَنَّ الدُّوَلَ المُتَقَدِّمَة ذَاتَهَا تعاني من هِجْرَةِ كَفَاءَاتها أيضًا، وبالتَّأْكِيد فَإِنَّ هَذَا الطَّرْحَ يُجَافي الحَقِيقَة وَيَسْعَى لِتَبْرِيرِ سِياسَات الدُّوَلِ المُتَقَدِّمَة الَّتِي تَسْعَى لِجَذْبِ كَفَاءَاتِ الدُّوَلِ النَّامِيَة؛ أَمَّا الطَّرْحُ الآخَرُ فَهُوَ يَنْظُرُ لِهَذِه الظَّاهِرَة مِنْ مَنْظُورٍ وَطَنِيٍّ وإقليميٍّ، وَهُوَ يَرَى أَنَّ دُوَلًا بِعَيْنِهَا تُعاني مِنْ هَذِهِ الظَّاهِرَة وَأَنَّ دُوَلًا أُخْرَى تَسْتَفِيدُ مِنْهَا، وَهَذَا الطَّرْحُ هُوَ الَّذي سَنَعْتَمِدُه في دِرَاسَتنا لِهِجْرَة الكَفَاءَات العَرَبِيَّة، وَذَلِك كَوْنُ البِلَادِ العَرَبِيَّة مِنْ أَهَمِّ الخَاسِرِينَ لِكَفَاءَاتها مُقَارَنَةً بِدُوَلٍ أُخْرَى مُسْتَفِيدَة مِنْهُم، وانْطِلَاقًا مِنْ هَذَا الطَّرْح سَنُبَيِّنُ فِيمَا يَلِي الأَسْبَابَ المُوجِبَة لِهِجْرَةِ الكَفَاءَات العَرَبِيَّة.

انخفاضُ الإنفاقِ على البَحْثِ العِلْمِيِّ

يُعْتَبَرُ انْخِفَاضُ الإِنْفَاقِ على البَحْثِ العِلْمِيّ مِنْ أَهَمِّ الأَسْبَاب الطَّارِدَة للكَفَاءَات العَرَبِيَّة، فَالبَحْثُ العِلْمِيُّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتِمَّ بِشَكْلِه الصَّحِيحِ في ظِلِّ غِيَاب بِنْيَةٍ تَحْتِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ تُوَفِّرُ للباحِثينَ إِمْكَانِيَّةَ العَمَل وَالبَحْث، وَتَتَمَيَّزُ الدُّوَلُ العَرَبِيَّةُ بِشَكْلٍ عَامٍّ بِتَرَاجُعٍ مَلْحُوظٍ في الإِنْفَاقِ على البَحْثِ العِلْمِيّ، ويَتَّسِمُ الإِنْفَاقُ على البَحْثِ العِلْمِيّ في الدُّوَلِ العَرَبِيَّة بِسِمَتَيْنِ رَئِيسَتَيْنِ: الأُولَى انْخِفَاضُ نِسْبَتِهِ إلى الدَّخْلِ القَوْمِيِّ الإِجْمَاليِّ، وَالثَّانِيَة اقْتِصَارُهُ على

1. سنوسي، شيخاوي. "**هِجْرَةُ الكَفَاءَاتِ الوَطنيَّة وإِشْكاليَّة التَّنْمية في المَغْرب العَرَبيِّ**". مَرجع سَابِق، ص44.

الجَانِـــبِ الحُكُوميّ، فَإِنْفَاقُ القُطَّاعِ الخَاصِّ على البَحْثِ العِلْمِيِّ مُنْخَفِضٌ لِلْغَايَةِ وَيكَاد يكُونُ مَعْدُومًا، مُقَابِلَ ارْتِفَاعِ هَذَا الإِنْفَاقِ في العَالَمِ الغَرْبِيِّ، فَشَرِكَةُ أَمازُون تُنْفِقُ سَنَوِيًّا 6,22 مليار دُولار أَمْرِيكِيّ، وَشَرِكَةُ غوغل تُنْفِقُ 2,16 مليار دُولار أَمْرِيكِي، وَشَرِكَةُ فولكس واغن تُنْفِقُ 8,15 مليار دُولار أَمْرِيكِي(1)، ويعادِلُ إِنْفَاقَ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّرِكَاتِ إِنْفَاقَ القِطَاعِ العَرَبيِّ الخَاصِّ على البَحْثِ العِلْمِيِّ لسَنَواتٍ عِدَّةٍ.

وَفيمَا يَخُصُّ الإِنْفَاقَ الحُكُوميَّ العَرَبيَّ على البَحْثِ العِلْمِيِّ فَهُوَ وكَمَا أَسْـــلَفْنَا مُنْخَفِضٌ أيضًـــا، فوَفْقًا لبياناتِ البَنْكِ الدَّوْلِيِّ وَفي آخِرِ تَحْدِيثٍ لِهَذِه البَيَانَات، تُسَـــجِّلُ الدُّوَلُ العَرَبِيَّةُ في غالِبِيَّتِها انخفاضًا حادًّا في نِسَبِ الإِنْفَاقِ على البَحْثِ العِلْمِيِّ مِنْ إِجْمَاليِّ النَّاتِجِ المَحَلِّيِّ، وَبِالرَّغْمِ مِن تَحَسُّنِ هَذِه النِّسَبِ في بَعْضِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ في السَّنَوَاتِ الأَخِـــيرَةِ المَاضِيَةِ إِلَّا أَنَّهَا مازالَت دُونَ المُعَدَّلات العَالَمِيَّةِ وبِدَرَجاتٍ، فَفِي الأُرْدُنّ تَبْلُغُ نِسْـــبَةُ الإِنْفَاقِ على البَحْثِ العِلْمِيِّ مِنْ إِجْمَاليِّ النَّاتِجِ المَحَلِّيِّ 0.70 %، وفي البَحْرَيْن 0.1 %، وفي الجَزائِر 0.54 %، وفي سُوريا 0.02 %، وفي الكُوَيْت 0.06 %، وهي نِسَبٌ مُتَدَنِّيَة للغايةِ مُقارَنَةً بالدُّوَلِ المُتَقدِّمَة، ففي إسرائيل تَبلُغ هذه النِّسْـــبَة 4.78 %، وفي ألمانيا 3.67 %(2)، وَهُنَا نَعُودُ لنُؤَكِّدَ بِأَنَّ الإِنْفَاقَ على البَحْثِ العِلْمِيِّ في العَالَمِ الغَرْبِيِّ يَقُومُ بِأَعْبَائِه كُلٌّ مِن القُطَّاعِ الخَاصِّ والحُكُومِيّ، فَهَذِه النِّسَبُ المُرْتَفِعَةُ لِلْإِنْفَاقِ الغَرْبِيِّ لَا تُمَثِّلُ كُلَّ كُتْلَةِ الإِنْفَاق بَل تُمَثِّلُ الحِصَّةَ الحُكُومِيَّةَ مِنْهُ فَقَطْ؛ وَبِحِسَـــابٍ بَسِيطٍ لِهَذِه النِّسَـــبِ الغَرْبِيَّةِ وَتَرْجَمة لَهَا بِلُغَة الأَرْقَامِ نَجِدُ أَنَّ الصِّينَ تُنْفِق مَا يَزِيدُ عَنْ 300 مليار دُولار أَمْرِيكِي سنويًّا على البَحْثِ العِلْمِيِّ والتَّطْوِير، وَالوِلَايَاتُ المُتَّحِدَةُ الأَمْرِيكِيَّة تُنْفِقُ أَكْثَرَ مِنْ 400 مليار دُولار.

1. **"شَرِكَاتُ التَّكْنُولوجيا الأكثرُ إنفاقًا على البَحْثِ والتَّطْوير خِلَالَ عام 2018م"**، البوَّابةُ العَرَبِيَّةُ للأخبار التِّقْنِية، 18 مارس 2019م، تاريخ الزِّيارة 21 مايو 2020م، مُتاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/mlcMF
2. **"الإِنْفَاقُ عَلى البَحْث والتطوير (% من إجمالي الناتج المحلي)"**. المَوقع الرَّسْـمِيُّ للبنكِ الدَّوْليّ، مُتاح على الرَّابط: https://cutt.us/ZxjGP

وَمِـــن تَجلِّيَات انْخِفَـــاض الإِنْفَاقِ على البَحْثِ العِلْميّ تَرَاجُعُ عَـــدَدِ الأَبْحَاثِ العِلْمِيَّةِ العَرَبِيَّـــة، فوَفْقَ مُؤَشِّر نيتشر(1) لعام 2019م، فَإِنَّ البَحْـــثَ العِلْميَّ وَعَدَد الأَبْحَاث العَرَبِيَّةِ المَنْشُـــورة قَدْ شَهِدَ تَطوُّرًا ملموسًـــا إلَّا أَنَّهُ مَازَال مُنْخَفِضًا بالمُقَارَنَة مَعَ الدُّوَلِ الغَرْبِيَّة(2)، وَهُنَا يَجِبُ التَّنْوِيهُ إلى مِعْيَارِ عَدَدِ الأَبْحَاثِ المَنْشُـــورة لَيْس المِعْيَارَ الأَهَمَّ، فنَوْعِيَّـــة الأَبْحَاثِ وأَصَالَتها وَجِدَّتها تُعْتَبَرَ الأَهَمَّ، وَمِن المُلَاحَظ أَنَّ قِسْـــمًا لا بَأْسَ به مِن المَنْشُوراتِ العَرَبِيَّةِ لَا يُضَاهِي نَوْعِيَّة المَنْشُورات الغَرْبِيَّة؛ وَهُنَا يَجِبُ التَّنْوِيهُ إلى أَنَّ مُعَدَّلَ الاسْـــتِفادَةِ مِن الأَبْحَاثِ العَرَبِيَّةِ في صُنْعِ القَرَارَات مُنْخَفِضٌ نِسْبِيًّا، بَيْنَمَا نَجِدُ أَنَّ إِسْرَائيلَ تَعْتَمِدُ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ على المَرَاكِزِ البَحْثِيَّةِ في صُنْعِ قَرارَاتها، سَوَاءٌ في المَجَالِ الأَمْنِيِّ أَو الاقْتِصَادِيِّ(3).

وَفي ذَاتِ الإِطَارِ يُمْكِنُ اعْتِبَارُ اسْتِنْسَاخِ المَنَاهِجِ التَّعْلِيمِيَّةِ الجَامِعِيَّة عَن العَالم الغَرْبيِّ دُونَ أَيِّ تَعْدِيلٍ عَلَيْهَا مِنْ آثَـــارِ انْخِفَاضِ الإِنْفَاقِ على البَحْثِ العِلْمِيِّ، فغالِبيَّةُ العُلُوم مُسْـــتَوْرَدَةٌ مِن الغَرْب، وَهَذَا الاســـتيرادُ غالبًا مَا يَكُونُ تامًا وَبِذَلِك يَجِدُ الخرِّيجُ أَو البَاحِثُ نَفْسَـــهُ في تَنَاقُضٍ بَيْنَ مَا تَمَّ دِرَاسَتُهُ وبَيْنَ الوَاقِعِ الفِعْلِيِّ، وَخَاصَّةً أَنَّ المَنَاهِجَ المُسْتَوْرَدَةَ قَدْ لَا تَكُونُ مُتَنَاسِبَةً مَعَ الحَاجَةِ الفِعْلِيَّةِ للدُّوَلِ العَرَبِيَّة.

1. **مـــؤشر نيتـــشر**: تَصْنِيفٌ لـــمَا يَزِيدُ على 10 آلاف مُنَظَّمَـــة بحثيَّة عالَمِيَّة، مِنْ حَيْثُ إِسْـــهامُ كلٍّ مِنْهَا في البُحُوثِ المنشـــورة في 82 دَوْرِيَّة عِلْمِيَّة عَالِيَة الجَوْدَة. تَخْتَار هَذه الدَّوْريات لجانًا مُسْـــتَقِلَّةً مِن البَاحِثِين في المَجَالات المُخْتَلِفَة للعُلُوم الطَّبِيعِيَّة، لِتُصْبِحَ الدَّوْريات الرَّائدة في مجالاتها، للْمُقَارَنَة بَيْنَ المُؤَسَّسَـــات المُخْتَلِفَة، يَسْتَخْدِمُ المؤَشِّرُ نَوْعَيْنِ مِن المَقَاييس، أَوَّلهما مِقْيَاسُ عَدَدِ البُحُوث (AC)، وَهُو مِقْيَاسٌ يُعَبِّرُ عَنْ عَدَدِ الأَوْرَاق البَحْثِيَّة المنشورة الَّتي يَنْتَسِبُ مُؤَلِّفُوها إلى المُؤَسَّسَة، وَثَانِيهما المِقْيَاسُ الكَسْرِيّ (FC)، وَهُو مِقْيَاسٌ تَقْرِيبِيٌّ لِمَدَى إِسْـــهامِ المُؤَسَّسَـــةِ في بحثٍ مُعَيَّنٍ، لِلْمَزِيد: بَنْكُ المَعْرِفَة المِصْرِيّ، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/zv3l9
2. كينت، كريســـتوفر جيمس. "**مُؤَشِّر نيتشر لعـــام 2019: الأَدَاء العِلْميُّ العَرَبِيُّ هذا العامُ بالأرقام**". بَنْكُ المَعْرِفة المصريُّ، 14 سبتمبر 2019م، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/zv3l9
3. ملاعب، نَاجي. "**البَحْثُ العِلْميُّ في إسرائيلَ ومُقَارَنته في بِلَادِ العَرَب**". مركز ســـيتا للبَحْثِ العِلميّ، 21 أغسطس 2019م، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/KGx47

الأَزَمَاتُ السِّيَاسِيَّةُ والأَمْنِيَّةُ

يَحْتَاجُ الإِبْدَاعُ وَالبَحْثُ العِلْمِيُّ لبيئةٍ مُسْتَقرَّةٍ سياسيًّا وأَمْنيًّا، فالاستقرارُ بشتَّى أَصْنَافه مِن العَوَامِلِ الهَامَّة للبَاحِث لِلتَّمَكُّن مِن العَمَلِ وَالإِبْدَاع، وَالمنْطَقَةُ العَرَبيَّةُ تُعْتَبَر بيئَةً خَصِبَةً للتوتُّرات السِّيَاسِيَّة الَّتِي غالبًا مَا تتفاقَمُ لتتحوَّل إلى نزاعاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ وَتَفْرِضُ جوًّا مَشْحُونًا لَا يُمْكِنُ للبَاحِثِينَ مَعَهُ العَمَلُ، ممَّا يَدْفَعُهُم للهجْرَةِ بَحْثًا عَن بيئَةٍ أَكْثَرَ مُلَاءَمَةً لِلْعَمَل وللإنتاج. وغالبًا مَا يَدْفَعُ العُلَمَاءُ والمُفَكِّرونَ العَرَبُ أثمانًا بَاهِظَةً نَتِيجَةَ الأَزَمَات السِّيَاسِيَّةِ والأَمْنِيَّةِ وَالَّتِي قَدْ تُكَلِّفُهم حَيَاتَهم أحيانًا، فَمُنْذ خَمسينيَّات القَرْنِ الماضِي بَدَأَ مُسَلْسَلُ اغْتِيالِ العُلَمَاءِ العَرَبِ، فَفِي عَامِ 1952م تَمّ اغْتِيالُ عَالِمَةِ الذَّرَّةِ المِصْرِيَّةِ سَمِيرَة مُوسَى(1)، وَفِي عَامِ 1977م تَمَّ اغْتِيالُ المُفكِّر السُّوريُّ الدكتور مُحَمَّد الفَاضِل(2)رَئِيس جَامِعَة

1. **سميرة موسى:** (1952-1917م)، أَوَّلُ عَالِمَة ذَرَّة مِصْرِيَّة، وَأَوَّل مُعِيدةٍ فِي كُلِّيَّةِ الْعُلُوم بِجَامِعَة فُؤَاد الْأَوَّل؛ جَامِعَةُ الْقَاهِرَة حَالِيًّا، حَصَلَتْ عَلَى الْجَوَائِز الْأُولَى فِي جَمِيع مَرَاحِل تَعْلِيمِهَا، حَيْثُ كَانَت الْأُولَى عَلَى الشَّهَادَةِ التَّوْجِيهِيَّة عَام 1935م، يُذْكَرُ عَنْ نُبُوغها أَنَّهَا قَامَت بِإِعَادَةِ صِيَاغَةِ كِتَابِ الْجَبْرِ الحُكُومِيِّ فِي السَّنَةِ الْأُولَى الثَّانَوِيَّة، وطَبَعَتْهُ عَلَى نَفَقَةِ أَبِيهَا الْخَاصَّة، ووَزَّعَتْهُ بِالمَجَّانِ عَلَى زميلاتها عَام 1933م، حَصَلْت عَلَى بكالوريوس الْعُلُوم، وكَانَتْ الْأُولَى عَلَى دُفْعَتِهَا، سَافَرَتْ فِي بِعْثَةٍ إِلَى بريطانيا دَرَسَت فِيهَا الإِشْعاعَ النَّوَوِيَّ، أَنْجَزَت الرِّسَالَةَ فِي عَامٍ وَخَمْسَةِ أَشْهُرٍ، وَقَضَت السَّنَةَ الثَّانِيَةَ فِي أَبْحَاثٍ مُتَّصِلَةٍ تَوَصَّلَت مِنْ خِلَالِهَا إِلَى مُعَادَلَة هَامَّة (لَمْ تَلْقَ قَبُولًا فِي الْعَالَمِ الْغَرْبِيِّ آنذاك) تُمَكِّنُ مِن تَفْتِيتِ الْمَعَادِنِ الرَّخِيصَةِ مِثْل النُّحَاس، وَمِنْ ثَمَّ صِنَاعَةُ الْقُنْبُلَة الذَّرِّيَّة مِنْ مَوَادَّ قَدْ تَكُونُ فِي مُتَنَاوَلِ الْجَمِيع، وَلَكِنْ لَمْ تُدَوِّن الكُتُبُ العِلْمِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ الْأَبْحَاثَ الَّتِي تَوَصَّلَت إِلَيْهَا، قُتِلَتْ أَثْنَاءَ زِيَارَةٍ لَهَا لِلْوِلَايَات الْمُتَّحِدَة الْأَمْرِيكِيَّة، وَقَدْ بَدَا مَصْرَعُهَا فِي الْبِدَايَةِ عَلَى أَنَّهُ حَادِثٌ عَرَضِيٌّ، أَوْضَحَت التَّحَرِّيَاتُ أَنَّ إِدَارَةَ المُفَاعِلِ لَمْ تَبْعَثْ بِأَحَد لاصْطِحَابِها، وَقَدْ كَانَتْ تَقُولُ لِوَالِدِهَا فِي رَسَائِلها: « لَوْ كَانَ فِي مِصْرَ مَعْمَلٌ مِثْلُ الْمَعَامِل الْمَوْجُودَة هُنَا كُنْت أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْنَعَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً»، وَعَلَّق مُحَمَّدُ الزَّيَّاتُ مُسْتَشَارُ مِصْرَ الثَّقَافِيُّ فِي واشنطن وَقْتَهَا أَنَّ كَلِمَةَ "أَشْيَاءَ كَثِيرَةً" كَانَت تَعْنِي بِهَا أَنَّ فِي قُدْرَتِهَا اخْتِرَاعُ جِهَازٍ لتَفْتِيت الْمَعَادِنِ الرَّخِيصَةِ إِلَى ذَرَّاتٍ عَنْ طَرِيق التَّوْصِيل الحَرَارِيِّ للغَازَات، وَمِنْ ثَمَّ تَصْنِيعُ قُنْبُلَةٍ ذُرِّيَّةٍ رَخِيصَةِ التَّكْلُفَةِ، لِلْمَزِيد مَوْقعُ ويكيبيديا الموسوعة الْحُرَّة، مُتَاحٌ عَلَى الرَّابط: https://cutt.us/kCsfV
2. **محمد الفاضل:** (1977-1919م)، مُحَامٍ وَمُدَرِّسٌ وَوَزِيرٌ سُورِيٌّ، لُقِّبَ بعلَّامة القَانُونِ ومَفْخَرةُ سُوريا فِي مَجَالِ الْحُقُوق، وُلِدَ فِي مَنْطِقةِ الدريكيش، مُحَافَظَة طَرْطُوس وَتَلَقَّى تَعْلِيمَهُ الابْتِدَائِيَّ فِي مَدَارِس الْمِنْطَقَة، وَتَعْلِيمَه الإِعْدَادِيَّ وَالثَّانَوِيَّ فِي مَدَارِس طَرَابُلُس وَحَلَب، حَصَلَ مِنْ جَامِعَة باريس عَلَى دَرَجَةِ الدُّكْتوراه فِي الْقَانُون عَام 1949م، وَالْتَحَق بِجَامِعَةِ كامبردج فِي إِنْكِلْتِرا، كَمَا حَصَلَ عَام 1961م عَلَى مِنْحَةٍ دِرَاسِيَّةٍ من أَكَادِيمِيَّةِ القَانُون الدَّوْلِيّ فِي لاهاي لِلاشْتِرَاك فِي أَعْمَالِ مَرْكَز البُحُوث الدَّوْلِيَّةِ وَالتَّعَمُّقَ فِي دِرَاسَةِ القَانُون الدَّوْلِيّ، تَرك مَجْمُوعَةً كَبِيرَةً مِن الْمُؤَلَّفَاتِ القَانُونِيَّة فِي لُغَات عِدَّة، وَنَال عِدَّةَ جَوَائِزَ عالَمِيَّة، تَمَّ اغْتِيَالُهُ فِي حَرَمِ جَامِعَةِ دِمَشْق، وَتُشِير بَعْضُ الْمَصَادِرِ إِلَى أَنَّ "أَوَّلَ مَن أَذَاع خَبَرَ اغْتِيَالِه هُو التِّلفزيون الْإِسْرَائِيلِيُّ حَيْثُ قَالَ: قُتِلَ رَجُلُ القَانُون الْأَوَّل فِي العَالَم"، لِلْمَزِيد مَوْقع ويكيبيديا الموسوعة الْحُرَّة ، مُتَاحٌ عَلَى الرَّابِط: https://cutt.us/b4idL

دِمَشْــق وَالَّذِي وُصِــفَ بِأَنَّهُ رَجُلُ القَانُون الأَوْحَدُ في العَالَــم، واغتيلَ المفكِّرُ المِصْريُّ وَعَالِمُ الجُغْرَافيَّا جمَال حَمْدَان(1) عام 1993م، كَمَا اغْتيلَ عَالِمُ الفِيزِيَاء السُّوريُّ عَزيز أَسْــبَر(2) عَام 2018م، وَتَمّ اغتِيالُ خَمْسَةِ عُلَمَاءَ سُورِيِّينَ في مَجَال الطَّاقَةِ النَّوَوِيَّةِ في اسْــتِهْدافٍ لحافِلَتِهم عَام 2011م(3)، وَلَا يَسَعُ المَجَالُ هُنَا لِذِكْرِ جَميعِ العُلَمَاءِ الَّذِينَ تَمّ تَصْفيَتهم جَسَــدِيًّا، وغالبيَّةُ هَذِه الاغتيالات كَانَت تَتِمُّ في ظُرُوفِ الفَلَتَان الأَمْنِيِّ الَّذي يَعْقُبُ التوتُّرات السِّيَاســيَّة؛ وَلَعَلَّ في اغْتِيالِ عُلَمَاء العِرَاقِ المِثَالَ الأَبْرَز، فَمُنْذ سُــقُوط بَغْدَاد عَام 2003م نَتِيجَةَ الغَزْوِ الأمريكيّ تَمّ اغْتِيالُ أَكْثَرَ مِنْ 700 عَالِمٍ عِرَاقِيٍّ في شَتَّى المَجَالاتِ، وَخَاصَّةً في عُلُومِ الذَّرَّةِ وَالهَنْدَسَة النَّوَوِيَّة(4)، وبالتَّأكيد فَإِنَّ هَذِهِ الاغتيالاتِ العَدِيدَةَ لَا تُشَكِّلُ بيئَةً مُحفِّزَةً لِلْعَمَل، كَمَا تُشَكِّلُ عَامِلًا طَارِدًا لِلْعُلَمَاء والمُبْدِعين العَرَب.

1. **جــمال حمدان:** (1928-1993م)، أَحَدُ أَعْلَامِ الجُغْرَافِيَــا المِصْرِيِّينَ، يُعَدُّ مِنْ أَبْرَزِ عُلَمَاءِ الجُغْرَافِيَا عَلَى مُسْــتَوَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ فِي الْقَرْنِ العِشْرِينَ، حَيْثُ لَمْ تَكُنِ الجُغْرَافِيَا لَدَيْهِ إِلَّا رُؤْيَةً إِسْــتراتيجيَّةً مُتَكَامِلَةً لِلْمُقَوِّمَــات الْكُلِّيَّةِ لِكُلِّ تَكْوِينٍ جُغْرافِيٍّ وَبَــشَرِيٍّ وحَضَارِيٍّ وَرُؤْيَةً للتَّكْوِينات وعَوَامِل قُوَّتِهَا وَضَعْفِهَا، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ عِنْدَ تَحْلِيلِ الْأَحْدَاث الْآنِيَّةِ أَوِ الظَّوَاهِرِ الْجُزْئِيَّة، وَإِنَّمَا سَــعَى إِلَى وَضْعِهَا فِي سِــيَاقٍ أَعَمَّ وَأَشْــمَلَ وَذِي بُعْدٍ مُسْــتَقْبَلِيٍّ أيضًا، وَلِذَا فَإِنَّه عَانَى مِثْلُ أَنْدَادِه مِنْ كِبَارِ المُفَكِّرِينَ الإِسْــتِراتِيجِيِّينَ فِي الْعَالَمِ، مِنْ عَدَمِ قُدْرَةِ الْمُجْتَمَعِ الْمُحِيطِ بِهِمْ عَلَى اسْــتِيعَابِ مَا يُنْتِجُونَه، إِذْ إِنَّهُ غَالِبًا مَا تَكُونُ رُؤْيَةً سَــابِقَةً لِعَصْرِهَا بِسَــنَوَات، وَهُنَا يُصْبِحُ عُنْصُرُ الزَّمَنِ هُوَ الْفَيْصَلَ لِلْحُكْمِ عَلَى مَدَى عَبْقَرِيَّةِ هَؤُلَاءِ الإِسْــتِرَاتِيجِيُّونَ، عَادَى الْحَرَكَــةَ الصِّهْيُونِيَّــةَ وَكَتَبَ فِي هَذَا الْمَجَالِ كُتُبًا عِدَّةً أَهَمُّهَا "اليَهُود أَنْثُرُوبُولُوجِيًّا" ، اغْتِيلَ فِي مَنْزِلِه عَام 1993م، وَحُرِقَــتْ جُثَّتُــهُ لِتَمْوِيهِ الاغْتِيَالِ، لِلْمَزِيد، مَوْقِع ويكيبيديا المَوْســوعة الْحُرَّة ، مُتَاحٌ عَلَى الرَّابِط: https://cutt.us/azytV
2. **عزيز إســبر:** (1960-2018م)، عَالِمُ فِيزِيَاءٍ سُــورِيٌّ، حَائِزٌ عَلَى دَرَجَةِ الدكتوراه فِي الفِيزِيَاء الذَّرِّيَّةِ مِنْ فَرَنْسَا، وتَدَرَّجَ فِي الْعَمَلِ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيّ، لِيَشْغَل قَبْلَ اغْتِيَالِه بِسَنَوَات مَنْصِبَ مُدِيرِ مَرْكَزِ البُحُوثِ العِلْمِيَّةِ فِي مَدِينَــةِ مِصْيَاف بِسُــوريا، تَعَرَّضَ لِعِدَّةِ مُحَاوَلات اغْتِيالٍ نَجَا مِنْهَــا، لَكِنَّه اغْتِيلَ عَام 2018م بِظُرُوفٍ غَامِضَة، وَتُشِــيرُ التَّكَهُّنَاتُ إِلَى ضُلُوعِ إِسْرَائِيلَ فِي عَمَلِيَّةِ الاغْتِيَال، لِلْمَزِيد: مَنْ هُوَ عَزِيز إِسْــبر السُّورِيّ؟ وَمَن اغْتَالَه؟ مَوْقِع أر تي ، مُتَاحٌ عَلَى الرَّابِط : https://cutt.us/mNJ8C
3. سُــليمان، وســيم. **"اغتِيَال عُلَمَاء العَالَم العَرَبيّ... من العِراق إلى سُــوريا ومِصْر مَن المَسْــؤول"**. وكالة سبوتنيك، 8 أكتوبر 2019م، تاريخ الزِّيارَة 21 مايو 2020م، مُتاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/84H1M
4. **"تَفاصِيلُ قضايا مَقْتل 730 عالم عِراقيٍّ على يدِ الموســاد"**. دنيا الوطن، 17 أغســطس 2012م، تاريخ الزِّيارةِ 21 مايو 2020م، مُتاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/5gguw

كذلك يَنْدَرِجُ ضِمْنَ القَضَايَا السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي تُعَرْقِل إِبْدَاعَ المُتَمَيِّزِين وتُشَكِّلُ عَامِلَ طَرْدٍ لِلكَفَاءَات تَرَاجُعُ مؤشِّرات الحُرِّيَّةِ في العَالَمِ العَرَبِيِّ وغيابُ الدِّيمُقْراطِيَّةِ وَانْتِشَارُ القَمْعِ وَانْتِهَاك حُقُوقِ الإِنْسَانِ، فوَفْقًا لمنظَّمَةِ العَدْلِ الدَّوْلِيَّة(1) فَإِنَّ العَالَمَ العَرَبِيَّ يَشْهَدُ ارْتِكَابَ فظائعَ خَطِيرةٍ بِحَقِّ الإِنْسَانِ، وَوَفْقَ المُنَظَّمَةِ ذَاتِهَا فَإِنَّه "وفي سَائِرِ بُلْدَانِ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ وَشِمَال إِفْرِيقْيا بِلا اسْتِثْنَاءٍ تقريبًا، أَظْهَرَت الحُكُومَاتُ دَرَجَةً صَادِمَةً مِنْ عَدَمِ التَّسَامُح إِزَاءَ الحَقِّ فِي حُرِّيَّةِ التَّعْبِيرِ والتَّجمُّع السِّلْمِيِّ وتكوين الجَمْعِيَّات أو الانْضِمَام إليها"(2)؛ ووَفْقًا لِمَرْكَزِ القاهرةِ لدِرَاسَات حُقُوقِ الإنسانِ(3) فإنَّ العَالَمَ العَرَبِيَّ يَشْهدُ غيابًا شِبهَ تامٍّ للحُرِّيات الأَساسِيَّة(4)، وبالتَّأْكِيدِ فَإِنَّ جَمِيعَ هَذِهِ المُمَارَسَات تُشَكِّلُ عَوَامِلَ طاردةً للكَفَاءَات من المِنْطَقَةِ العَرَبِيَّةِ.

1. **مُنظَّمَة العَفو الدَّوْلِيَّة:** مُنَظَّمَةٌ غَيْرُ حُكُومِيَّةٍ يَقَع مَقَرُّهَا في لَنْدَن عاصِمَة إِنْجِلْترا، تَأَسَّسَت في لَنْدَن عَام 1961م وَذَلِك مُبَاشَرَةً بَعْدَما تَمَّ نَشْرُ مَقَالٍ بِعنْوَان "السُّجَناء المَنْسِيِّين" في ذا أوبزرفر يَوْم 28 مَايُو مِنْ عَام 1961م لِلْمُحَامِي وَالكَاتِب بيتر بينيسن الَّذِي لَفَتَ الانْتِبَاهَ إلى انتهاكات حُقُوق الإِنْسَان، تَهْدِفُ المُنَظَّمَةُ خِلَالَ حَمَلاتها إلى تَمَتِيع كُلِّ شَخْصٍ بِكَافَّة حُقُوقِه الَّتِي يَضْمَنُهَا لَهُ الإِعْلَانُ العَالَمِيُّ لِحُقُوقِ الإِنْسَانِ كَمَا تُحَاوِلُ لَفْتَ انْتِبَاهِ بَاقِي الحُكُومَاتِ والجَمْعِيَّات الدَّوْلِيَّة إلى وَضْعِيَّة حُقُوق الإِنْسَان في شَتَّى الدُّوَل، لِلْمَزِيد: مَوْقِع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/l3mcQ
2. مُنظَّمة العَدْل الدَّوْلِيَّة. "**اللاَّمبالاة العَالَمِيَّة إزاءَ انتهاكات حقوق الإنسان في مِنْطَقة الشَّرْق الأوسط وشَمَال أفريقيا تُؤَجِّج ارتكابَ الفظائع والإفلات من العقاب**". المَوقع الرَّسْمِيُّ لمنظمة العَدْلِ الدَّوْلِيَّة، 26 فبراير 2019م، مُتاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/mFbtK
3. **مَرْكَز القاهِرَة لدِرَاسَات حُقُوق الإِنْسَان:** مُنَظَّمَةٌ غَيْرُ حُكُومِيَّةٍ إِقْلِيمِيَّةٌ مُسْتَقِلَّةٌ تَأَسَّسَت عَام 1993م، تَهْدِفُ إِلَى دَعْم احْتِرَام مَبَادِئ حُقُوق الإِنْسَانِ و الدِّيمُقْرَاطِيَّة، وَتَحْلِيل صُعُوبات تَطْبِيق القانُون الدَّوْلِيّ لِحُقُوق الإِنْسَان، وَنَشْر ثَقَافَة حُقُوق الإِنْسَانِ في العَالَم العَرَبِيِّ، وتَعْزِيز الحِوَار بَيْنَ الثَّقَافَات في إِطَارِ الاتفاقِيَّات وَالمَوَاثِيق الدَّوْلِيَّة لِحُقُوق الإِنْسَان. وَمِنْ أَجْلِ تَحْقِيق هَذِه الأَهْدَاف يَعْمَل المَرْكَزُ على اقْتِرَاح وَالدَّعْوَة إلى سياساتٍ وتشريعاتٍ وتعديلات دُسْتورِيَّة تُعَزِّز من المعايير الدَّوْلِيَّة لِحُقُوق الإِنْسَان، وَالقِيَام بأنشطةٍ بحثيةٍ، ودَعَوِية عَبْرَ تَوْظِيف مُخْتَلَف الأَلِيّات الوَطَنِيَّة والإقليمِيَّة وَالدَّوْلِيَّة، لِلْمَزِيد: المَوْقِعُ الرَّسْمِيُّ للمَرْكَز، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/Pe5LL
4. **مَرْكَز القاهِرة لدِرَاسات حقوق الإنسان**، حالَةُ حُقوقِ الإنسانِ في العَالَمِ العَرَبيِّ، المَوْقِع الرَّسميُّ للمَرْكَز، 2019م، مُتاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/azeHP

كمَا يُعْتَبَرُ الفَسَـــادُ السِّياسيُّ أَحَدَ تَجَلِّيَاتِ الأَزَمَاتِ السِّيَاسِيَّة والأَمْنِيَّة في العَالَمِ العَرَبيِّ، فوَفْقًا لمُؤَشِّر مُدْرَكَات الفَسَاد[1] لعام 2019م، فَإِنَّ غالبيَّةَ الدُّوَلِ العَرَبِيَّة تَقْبَعُ في النِّصْفِ الأَدْنَى مِـــنْ هَذَا المُؤَشِّر إضَافةً لِوُجُود سُـــوريا وَاليَمَن في ذَيْل هَذَا المؤشِّر، وَوَفْقَ ذَات المُؤَشِّر فَإِنَّه وَفي لُبْنَان على سَبِيلِ المِثَال شَخْصٌ وَاحِدٌ مِنْ كُلِّ اثْنَيْن تُعْرَض عَلَيْهِ الرِّشْوَةُ مُقَابِلَ التَّصْويت لمُرشَّـــح مُعَيَّن، وَوَاحِدٌ مِنْ كُلِّ أَرْبَعَة أَشْخَاصٍ يَتَعَرَّض لتهديدٍ أَمْنِيٍّ في حَال لَمْ يُصَوِّت بطَرِيقة مُعَيَّنَة[2]، فَهَذِه البِيئَةُ السِّيَاسِـــيَّةُ المُسَيْطِرة على المَشْهَدِ العَرَبيِّ لَا يُمْكِنُ وَصْفُهَا بالبِيئَةِ المُحفِّزَة للإبداعِ وَلِعَمَلِ الكَفَاءَات، بَلْ هِيَ بِيئَةٌ مُنَفِّرَةٌ وطَارِدَةٌ.

الأوضاع الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة

تُعْتَبَرَ الدُّوَلُ العَرَبِيَّةُ مِن الدُّوَل ذَاتِ المُتَوَسِّـــط المُنْخَفِض للدَّخْلِ الفَرْدِيِّ بِاسْتِثْنَاء بَعْضِ دُوَلِ الخَلِيـــجِ العَرَبيِّ، فوَفْقًا لبيانات البَنْكِ الدَّوْليّ يَظْهَر وبشـــكلٍ جَـــلِيٍّ وَوَاضِحٍ تَرَاجُعٌ حَادٌّ في مُسْتَوى الدُّخُول السَّنَوِيَّة لِلْأَفْرَاد في الوَطَنِ العَرَبيّ، فالدَّخْلُ السَّنَوِيُّ للفَرْدِ في سُوريا 1,600 دُولار أَمْرِيكِي، وَفي اليَمَنِ 1,400 دُولار، السُّودَان 1,560 دُولار، العِرَاق 5,000 دُولار، المَغْرِب 3,000 دُولار[3]، فَهَذِه الدُّخُولُ الفَرْدِيَّةُ السَّـــنَوِيَّةُ تَنْسَحِبُ على أَصْحَابِ الكَفَاءَات والخِبْرات أيضًا، كمَا أَنَّ مُعدَّلات الفَقْر وَالبَطَالَة تُعْتَبَرُ مُرْتَفِعَةً في العَالَمِ العَرَبيِّ، وَصُعُوبَة تَأْمِينِ المَسْكَن وصُعُوبات الزَّوَاج وَغَيْرهَا مِن العَقَبَات وَالَّتِي نَاقَشْـــنَاها باســـتفاضةٍ في الفَصْلِ الثَّالِثِ مِنْ هَذِهِ الدِّرَاسَـــةِ، وبالتَّأكيد فَإِنَّ تَرَاجُعَ مُسْتَوَى الدَّخَل سُيؤَثِّرُ سَلْبًا على قَدْرَةِ البَاحِثِينَ وَذَوِي الكَفَاءَات على البَحْثِ العِلْمِيِّ والتَّطْوِير، وَبالتَّالي يُشَكِّلُ عَامِلًا طَارِدًا لَهُمْ مِنْ بِلَادِهِمْ.

1. **مُؤشِّر مُدْرَكات الفَسَـاد:** مُؤَشِّرٌ سَـنَوِيٌّ يَصْدُرُ عَنْ مُنَظَّمَة الشَّـفَافيَّة الدَّوْلِيَّة، تَمّ إِصْدَارُه أَوَّلَ مَرَّة عَام 1995م، يُرْمَـزُ لَـه اختصارًا (CPI) يَقُوم بتَرْتِيب الدُّوَل حَوْلَ العَالَم حَسَـبَ دَرَجَة مَدَى مُلَاحَظَة وُجُود الفَسَـادِ في المُوظَّفينَ والسِّياسـيِّينَ، ويتألَّفُ مِن مقْيَاس مِن 100 دَرَجَة، كُلَّمَا اقْتَرَبَ المؤشِّرُ مِن الصِّفْر كُلَّمَا زَادَت حِدَّةُ الفَسَـادِ وَالعَكْسُ صَحِيحٌ، لِلْمَزِيد: مَوْقع ويكيبيديا الموسـوعة الحُرَّة، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/1K5lW
2. **"مُؤشِّرُ مُدْرَكات الفَسَاد 2019م"**. المَوْقِع الرَّسْمِيّ للمؤشِّر، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/OMyaZ
3. البَنْـكُ الـدَّوْليّ. **"نَصيبُ الفَرْد من إجماليِّ الدَّخْلِ القَوْميّ"**. المَوقع الرَّسـميُّ للبَنْك، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/Qlxua

وَفِيمَا يَخُصُّ الأَسْبَابَ الاجْتِمَاعِيَّةَ، فَإِن تقديرَ التَّحَوُّلات الاجتماعيَّة في زيادة مُعَدَّلات هِجْرَةِ الكَفَاءَات العِلْميَّة عَاليَةِ المُسْتَوى، أو في انْخِفاضِها لا تَزالُ مَحَلَّ جَدَلٍ ومُناقَشَة، فالبَعْـــضُ يرى أنَّ بِنْيَـــةَ التَّحَوُّلات المُجْتَمَعِيَّة قد تُؤدِّي إلى حالـــةٍ من عَدمِ التَّوَازُنِ الاقْتِصَادِيِّ والاجْتِمَاعِيِّ، وبالتَّـــالي صُعُودُ شرائحَ اجتماعيَّةٍ جديدةٍ وهُبُوطُ أخرى، ومِن ثَمَّ عدم تَحقيق العَدالةِ الاجتماعيَّـــةِ بالصُّورَةِ المَطْلُوبة، لذلك تبحث الكَفَاءَاتُ العِلْميَّةُ عن دَوْر فَرْدِيٍّ لها فتَتَّجِهُ نَحْوَ العَالَم الخَارجيِّ وهو المُتَقَدِّمُ بطَبِيعَةِ الحَال.

وفي خَانَةِ الأَسْبَاب الاجْتِمَاعِيَّة يُمْكِنُ إِدْرَاجُ "عُقْدَة الخَواجَة"(1) ضِمْنَهَا، وَهِي تَفْضِيلُ العَالَـــمِ العَرَبِيِّ مجتمعًا وحُكُومات لِكُلِّ مَا هُوَ أَجْنَبِيٌّ على حِسَـــابِ الوَطَنِيّ، فالمُبْدِع العَـــرَبِيُّ قَد تَزْهَدُ بِيئتُه به، مُقَابِلَ الاحْتِفَاءِ بالخَبِيرِ الأَجْنَبِيِّ وَلَوْ كَانَ لَدَى العَرَب مِنْ هُوَ أَفْضَـــلُ وَأَعْلَم مِنْه، وَهَذَا يَنْطَبِقُ على الأُجُور، فَالخَبِيرُ الأَجْنَبِيُّ يَحْصُلُ على أُجُورٍ مُرْتَفِعَةٍ مُقَارَنَةً بِنَظِيرِه العَرَبِيِّ، نَاهِيكَ عن الاحْتِرَامِ المُبَالَغ به لِلأَجْنَبِيِّ على حِسَـــابِ العَرَبِيّ، وبالتَّأكيد فَإِنَّ هَذِهِ القَضِيَّةَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَمُرَّ على المُبْدِعينَ مُرُورَ الكِرَامِ، فَهِي تُؤَثِّرُ بِهِمْ سَلْبًا وَتُعْتَبَرَ مِن الأَسْبَابِ الطَّارِدة لَهُمْ مِنْ دُوَلِهم ومجتَمَعَاتهم.

العَوامِلُ الخَارجيَّةُ الجاذِبةُ للكَفَاءَاتِ العَرَبِيَّة

إِنَّ الأَسْـــبَابَ السَّابِقَة يُمْكِن وَصْفُهَا بِالأَسْبَاب الطَّارِدةِ للكَفَاءَات وَهِي تَرْتَبط بالدُّوَلِ المُصَدِّرة للكَفَاءَات أَي الدُّوَلِ العَرَبِيَّة، وَلَكِن هُنَاكَ أَسْـــبَابٌ أُخْرَى تُسَـــمَّى الأَسْبَابَ الجَاذِبَةَ، وَهِي تَرْتَبِط بالدُّوَل المُسْتَقْبِلَة لَهُم، وَبِذَلِك يُمْكِنُ القَوْلُ بِأَنَّ أَصْحَابَ الكَفَاءَات

1. **عُقْدَة الخَواجَة:** مُصْطَلَحٌ ظَهَرَ لِيُعبِّرَ عَنْ حَالة نَفْسِـــيَّة عَامَّة لِشُـــعُوب المَنْطَقَة العَرَبِيَّة. مُصْطَلَحٌ مُكَوَّنٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ الأُولَى (عُقْدَة) تَعْنِي مُشْكِلَةً نَفْسيَّةً مَاً -في الصِّيَاغِ النَّفْسِيِّ- و (الخَواجَة) تَعْنِي الشَّخْصَ الأَجْنَبِيَّ مِنْ خَارِجِ البِلاد، خُصُوصًا خَارجَ المَنْطَقَة العَرَبِيَّة، وَيُقْصَدُ بِه غَالبًا الإِنْسَـــانُ الأُورُوبيُّ أَو الأمريكي، تُعَبِّرُ هَـــذِهِ الحَالَـــةُ في نُفُوسِ أَصْحَابِهَا عَن حُبِّهم لِكُلِّ مَا هُوَ غَرْبِيٌّ ورَفْضِهم لِكُلِّ مَا هُوَ عَرَبِيٌّ. هُنَا كَلِمَةُ حُبٍّ تَعْنِـــي الإِعْجَـــابَ وَالاعْتِقَادَ وَالقَنَاعَةَ وَتَصْدِيق وَاعْتِمَادَ كُلِّ مَا هُوَ غَرْبِيٌّ، وَاسْـــتِبْدَال العَرَبِيِّ بالغَرْبِيِّ. في المُقَابِل تَقْلِيلُ كُلِّ مَا هُوَ عَرَبِيٌّ وَعَدَم الاعْتِقَاد فِيهِ أَوْ تَصْدِيقِهِ أَو اعْتِمَادُهُ في حَالِ وُجُودِ بَدِيلٍ غَرْبِيٍّ لَه، لِلْمَزِيد: مَوْقِع ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/1oFhy

يَقَعُونَ في مُزْدَوَجَةٍ طَارِدَةٍ وجاذِبةٍ، يَعْمَلَان بِشَــكْلٍ مُشْــتَرَكٍ على تَحْفيزهم لِلْهِجْرَة، وَفِيمَا يَلِي سَنُبَيِّنُ الأَسْبَابَ الجَاذِبَةَ:

- **جَاذبيَّةُ الوَسَطِ العِلْميِّ لَدَى الدُّولِ المُسْتَضيفَة:**

فَالوَسَــطُ العِلْمِيُّ في الدُّوَلِ الغَرْبِيَّةِ يَمْتَازُ بمُرُونــةٍ عَاليَةٍ عَكْس البيرُوقْرَاطيَّة المُتَفشِّيَةِ في العَالَمِ العَرَبيِّ، نَاهِيكَ عَن تَوَافُرِ بِنْيَةٍ تَحْتِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ تُمَكِّنُ البَاحِثَ مِن العَمَلِ والإنتاج، إِضَافَةً إلى الحُرِّيَّةِ الوَاسِعَةِ في مُخْتَلَفِ مَجَالات البَحْث، بَيْنَمَا قَدْ يُضْطَــرُّ البَاحِثُ في البِلَادِ العَرَبِيَّة لإِجْرَاءِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِن الإِجْرَاءاتِ الإِدَارِيَّةِ قَبْل السَّمَاحِ لَه بِالنَّشْرِ أَو بِبَدْءِ البَحْثِ العِلْمِيِّ الخَاصِّ بِه.

إضَافَةً لِمَيْلِ بَعْض الطُّلَّابِ العَرَب للاســتقرارِ في الدُّوَلِ الغَرْبِيَّةِ الَّتي دَرَسُوا بِهَا، وَذَلِك نظرًا لِكَوْنِ مجالاتِ البَحْث تتقاطَعُ بِشَــكْلٍ كَبِيرٍ مَع المَنَاهِجِ الَّتِي دَرَسُوها، بَيْنَمَا يَجِدُونَ فَارِقًا تَطْبِيقيًّا كَبِيرًا بَيْنَ هَذِهِ المَنَاهِجِ وَبَيْنَ وَاقِعِ العَمَلِ وَالبَحْثِ في دُوَلِهم الأُمِّ، وَخَاصَّةً أَنَّ مَا تَلَقَّوْهُ مِنْ مَعَارِفَ يَتَّصِلُ بمُشْــكلات الدُّوَل الَّتِي دَرَسُوا بِهَا وَلَيْسَ بمُشْكِلات دُوَلِهم، إِضَافَةً إلى سُهُولَةِ انْدِماجِ الطُّلَّابِ العَرَبِ في المُجْتَمَعِ العِلْمِيِّ الغَرْبِيِّ، كَوْنَ قِسْــمٍ لا بَأْسَ بِهِ مِــنْ مَنَاهِجَ ومُقَرَّراتِ الجَامِعَاتِ العَرَبِيَّةِ يُدَرَّسُ بِاللُّغَاتِ الأَجْنَبِيَّة.

- **التَّقْسيمُ الدَّوْليُّ للعَمَل:**

وَيُقْصَدُ بِهِ اسْــتِغْنَاءُ الدُّوَل عَن القِطاعات الإِنْتَاجِيَّةِ الأَقَلِّ تنافُسيَّةً وَذَاتِ التَّكْلفَةِ المُرْتَفِعَةِ في الإِنْتاج، والتَّرْكِيزُ على القطاعات الَّتي لَدَيْهَا مَيْزَةٌ بَارِزَةٌ في إِنْتَاجِهَا، وَمِن نَتَائِج هَذَا التَّقْسِيم حَصْرُ الصِّنَاعَات التِّكْنُولوجيَّة والتِّقْنِيَّة المُتَطَوِّرة بِالعَالَم الغَــرْبِيِّ، وَاقْتِصَارُ صناعات الدُّوَلِ النَّامِيَةِ وَمِنْهَا الدُّوَلُ العَرَبِيَّةُ على الصِّنَاعَات التَّحْويليَّة، أَوْ مَا يُسَمَّى بِالصِّنَاعَات كَثِيفَةِ العِمَالَةِ مُنْخَفِضَةِ التِّكْنُولُوجيا، كَتَكْرِيرِ النَّفْطِ وَالصِّنَاعَاتِ الغِذَائِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَهَذَا التَّقْسِيمُ يَقُودُ لتَدَفُّقِ العُقُولِ وَالمَوَاهِبِ العَرَبِيَّــةِ إلى الغَرْبِ، كَوْنُهُ البِيئَــةَ الوَحِيدَةَ المُمْتلِكَــةَ لِأَسْرَارِ الصِّنَاعَات كَثِيفَةِ التِّكْنُولُوجيا.

الآثارُ السَّلْبيَّةُ لهِجْرَةِ الكَفَاءَاتِ العَرَبيَّة

تَتَجَسَّدُ خُطُورَةُ ظَاهِرَةِ هِجْرَةِ الكَفَاءَاتِ العَرَبيَّةِ مِنْ خِلَال الآثَارِ السَّلْبيَّة العَدِيدَة الَّتي تُخَلِّفُهَا على مُخْتَلَفِ الصُّعُدِ الاقْتِصَادِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ والتَّنمويَّة، وَفيمَا يَلِي سَنُبَيِّنُ أَهَمَّ وَأَبْرَزَ هَذِهِ الآثَارِ بالشَّرْحِ وَالتَّفْصِيل:

- **الآثارُ الاقْتِصَاديَّةُ:**

تَتْرُكُ هِجْرَةُ الكَفَاءَات أَثَرَهَا السَّلْبيَّ الوَاضِحَ على الوَاقِعِ الاقْتِصَادِيِّ العَرَبيِّ، وَهِي خَسَارَةٌ ذَاتُ بُعْدَين، الأَوَّلِ يَتَمَثَّلُ في التَّكْلِفَةِ الَّتي تتكبَّدُها الحُكُومَاتُ العَرَبيَّةُ لِتَخْرِيجِ هَذِه الكَفَاءَات، فَتَخْرِيجُ طَبِيبٍ وَاحِدٍ قَدْ يُكَلِّفُ الحُكُومَات العَرَبيَّة مَا يُقَارِبُ 100 أَلْف دُولار أَمْرِيكيّ(1)، فخِلَال الخَمْسِينَ سَنَةً المَاضِيَة خَسِرَتِ الدُّوَلُ العَرَبيَّة مَا يَزِيدُ عَنْ 450 مليار دُولار أَمْرِيكي كتكْلفة إعْدَادِ الكَفَاءَات وَلَمْ تَسْتَفِدْ منْهُم(2)، وَيَتَمَثَّلُ البُعْدُ الثَّاني لِلْخَسَارَةِ الاقْتِصَادِيَّة في اضْطِرَارِ الدُّوَل العَرَبيَّة لِلاِسْتِعَانَةِ بخُبَرَاءَ ومُتَخَصِّصِينَ غَرْبيِّينَ في ظِلِّ غِيَابِ الكَفَاءَاتِ العَرَبيَّة نَتِيجَةَ الهِجْرَة، وَبِالتَّالي فَالخَسَارَةُ مُضَاعَفَةٌ.

- **الآثارُ العلْميَّةُ:**

وَتَتَمَثَّلُ هَذِهِ الآثَارُ بِتَرَاجُعِ البَحْثِ العِلْمِيِّ الكَمِّيِّ والنَّوْعيِّ، وَمِمَّا لا شَكَّ بِهِ أَنَّ جُودَةَ البَحْثِ العِلْمِيِّ تَنْعَكِسُ إيجابًا على تَطَوُّرِ الدَّوْلَة وَالمُجْتَمَع بِشَتَّى المَيَادِين، فَالخَسَارَةُ العِلْمِيَّة المتحصِّلةُ نَتِيجَةَ هِجْرَةِ الكَفَاءَات ستَتْرُكُ آثارَهَا على الجَانِبِ الاقْتِصَادِيِّ أيضًا.

1. مُجْمُوعَةٌ مِنَ المؤلِّفين. **النُّموّ الاقتصاديُّ والتَّنميَة المُسْتدامَة في الدُّوَل العَرَبيَّة** - سياساتُ التّنْمية وفُرَص العَمَل. قَطَر، الدَّوْحَة: المَرْكز العَرَبيّ للأبْحَاث ودراسة السِّياسات، الطَّبْعَة الأولى، 2013م، ص156.
2. حامد، محمود. **قَضايَا اقْتِصَاديَّة مُعاصِرة. مصر ، القاهرة:** دار حميثرا للنَّشْر والتَّرْجَمة، الطَّبْعَة الأُولَى، 2017م، ص327.

- **الآثارُ التَّنْمويَّةُ:**

إنَّ هِجْـــرَةَ العقولِ المَوْهوبةِ، والَّتي يُضافُ إليها أصحابُ المُؤَهِّلَاتِ الرَّفِيعةِ العُليا (الماجستير، الدُّكْتُوراه)، تُعَدُّ خَسارةً تَنْمَوِيَّةً على المَكَان الَّذي هاجَرَتْ مِنْهُ، ومَكْسبًا تَنْمَوِيًّا للمَكانِ الَّذي استحْسَـــنَتْ أَنْ تُقِيمَ فيه، وَخَاصَّةً أَنَّ الكَفَاءَات تُعْتَبَرُ عِمَادَ التَّنْمِيَةِ وَخَاصَّةً المُسْـــتَدَامَةَ مِنْهَا، فالجُهـــودُ التَّنْمويَّةُ المَبْذولةُ في الدُّوَلِ العَرَبيَّةِ ســـتَبْقَى قَاصِرَةً عَنْ تَحْقِيـــقِ الأَهْدَافِ المَنُوطَةِ بِهَا مَا لَمْ يُســـاهِم بِهَا أَصْحَابُ الكَفَاءَات والمؤهِّلات العِلْميَّة.

- **الآثَارُ الاجْتِمَاعِيَّةُ:**

وَعَنِ الجَانِبِ الاجْتِمَاعِيِّ لِظَاهِرَةِ الهِجْرَة نُؤَكِّدُ على أنَّ المَكَاسِبَ الَّتِي تَجْنِيها الدُّوَل المُتَقَدِّمَةُ مِن جَرَّاءِ هِجْرَة العُقُول إِلَيْهَا هِيَ نَفْسهَا وبِصُورَةٍ مَعْكوسةٍ تُمَثِّلُ الخَسائِرَ الَّتِـــي تُمْنَى بِهَا الدُّوَلُ الأَقَلُّ تَقَدُّمًا نَتِيجَةَ هِجْرَةِ العُقُول إِلَيْهَا، وتتكامَلُ المُشْـــكِلَةُ حِينَمَا تَسْـــعَى المُجْتَمَعاتُ الَّتِي هَجَرَهَا أبناؤهـــا الَّذِين اتَّجَهُوا صَوْبَ المُجْتَمَعات الأَكْثَرِ تَقَدُّمًا إلى الاسْـــتِعَانَةِ بناتج عَمَلِ هَؤُلَاءِ وَهُم أبناؤها مُتَمَثِّلًا في المُبْتَكرات التِّكْنُولُوجِيَّةِ الَّتِي أَنْتَجُوها أَو السِّـــلَعِ الَّتِي طوَّرُوها أَو مُجَسَّدًا فِيهِم شَخْصيًّا حِين يَعُودُون إلى بِلَادِهِمْ في زِيِّ الخُبَرَاءِ الدَّوْليِّينَ.

وَنُشِـــيرُ إلى أنَّ خُطُورةَ الأَمْرِ تَكْمُنُ في أنَّ الهِجْرَةَ سَـــوْف يكُونُ لَهَا تَأْثِيرٌ كَبِيرٌ عـــلى الأَجْيَال الأَصْغَرِ مِن كَفَاءَات الدُّوَل النَّامِيَة؛ حَيْث يُتَاح لَهُمْ أَنْ يكُونُوا أَكْثَرَ اســـتعدادًا مِنْ خِلَالِ وَسَـــائِلِ الاتِّصَالِ والتَّعْلِيمِ للهِجْرَة إلى الخَارِجِ الأَمْرُ الَّذي سَـــيُلْحِقُ مَزِيدًا مِن الضَّرَرِ بالدُّوَل المُصَدِّرَةِ لِهَذه الكَفَاءَات بَدْءًا مِن الفَاقِدِ في الاسْـــتِثْمَارِ وَفي التَّعْلِيم، وَانْتِهَاءً بِإِضْعَافِ القُـــدْرَةِ الذاتيَّةِ لِلْمُجْتَمَع على القِيادَةِ وَالإِدَارَةِ، ومُرُورًا بِإِضْعَافِ قُوَى التَّنْمِيَةِ في المُجْتَمَعِ.

المبحث الثَّالث

إِسْتِراتِيجِيَّاتُ التَّعامُلِ مع ظَاهِرَةِ هِجْرَةِ الكَفَاءَاتِ العَرَبِيَّةِ

تُشَـــكِّلُ ظَاهِرَةُ هِجْرَةِ الكَفَاءَات الْعَرَبِيَّةِ نَزِيفًا حَادًّا للمَـــوارِدِ الْبَشَرِيَّةِ في الْعَالَمِ العَرَبِيِّ، وَهذَا النَّزِيفُ علَى دَرجَة كُبْرَى مِنَ الخُطُورَة كَوْنُهُ يُشَـــكِّلُ خَسارَةً للمَوَارِدِ الْبَشَرِيَّـــةِ النَّوْعِيَّة، لِذَلِكَ فإِنَّ أَيَّ حَرَكَةٍ نَهْضَوِيَّـــةٍ عَرَبِيَّةٍ لَن يُكْتَبَ لَهَا النَّجاحُ مَا لَمْ تُشَـــارِكْ بِهَا هَذه الْمَوَارِدُ النَّوْعِيَّة، وَهَذَا مَا يُحَتِّمُ الْبَحْثَ عَنْ وَسَائِلِ تَوَقُّفِ هَذَا النَّزِيف كَخُطْوَةٍ أَوْلَى، وَالْعَمَلَ علَى اسْـــتِرْجَاعِ الكَفَاءَات الْمُهَاجِرَة كَخُطْوَةٍ ثَانِيَة، وَهَـــذَا لَن يَتِمَّ إِلَّا مِنْ خِلَالِ مُعَالَجَةِ الْأَسْـــبَابِ الْمُوجِبَةِ لِهَذه الْهِجْرَة، لِذَلِك وأَثَرَ اسْتِعْرَاضِنا للعَوامِلِ الَّتِي تَدْفَعُ بِالشَّبَابِ العَرَبِيِّ إِلى تَرْكِ أَوْطَانِهِم وَاخْتِيَارِ أَوْطَانٍ جَدِيدَةٍ لِلْعَمَلِ بِهَا والهِجْرَةِ إِلَيْهَا، فإنَّه من الأهَمِّيَّة بمكَان في هَذَا الإِطَارِ أَنْ نُنَاقِشَ الآلِيَّاتِ الَّتِي يُمْكِنُ بِهَا للحُكُومَات العربيَّةِ أَنْ تُعَالِجَ تِلْكَ الْمُعْضِلَة، وَتَضَعُ مِن عَوامِلِ الجَذْبِ مَا تُهَيِّئُ بِه الْمُنَاخَ لِهَؤُلَاءِ الشَّـــبَابِ لأَنْ يُبْدِعُوا في أَوْطَانِهِمْ وَيَكُونُوا سَبَبًا في تَقَدُّمِهـــا؛ وَمِن النَّاحِيَةِ الإِجْرَائِيَّةِ قَدَّمَتْ بَعْضُ الدُّوَلِ العَرَبِيَّة جُمْلَةً من الإغْرَاءَاتِ والحَوَافِـــزِ للكَفَاءَات في الخَارِجِ لِتَحْفِيزِهَا على العَوْدَة، كَتَقْدِيمِ بَعْضِ المَزَايَا المَالِيَّة وَمَنْحِ العائِدِين منحًا وقروضًا وإعْفَاءات جُمْرُكِيَّةً إِضَافَةً إلى إِنْشَاءِ مُعَاهَدَ ومراكِزَ لِلْبَحْثِ العِلْمِيِّ، بَيْدَ أَنَّ الخُطُورَةَ الَّتِي تُشَـــكِّلُهَا ظَاهِرَةُ هِجْرَةِ العُقُولِ العَرَبِيَّةِ على الوَاقِعِ العَرَبِيِّ بِالكَامِل تَتَطَلَّبُ إِسْـــتِرَاتِيجِيَّاتٍ وَطُرُقَ تَعَامُلٍ أَعْمَقَ مِنْ سَنِّ قَانُونٍ هُنَا أَوْ مَنْحِ مَيْزَةٍ هُنَاك.

وتَعتَبِرُ مُنَظَّمَةُ اليُونِسْـــكو أنَّ هِجْرَةَ العُقُولِ هِيَ نَوْعٌ شَـــاذٌّ مِنْ أَنْوَاعِ التَّبَادُلِ العِلْمِيِّ بَيْنَ الدُّوَلِ يَتَّسِـــمُ بالتَّدَفُّـــقِ في اتِّجَاهٍ وَاحِدٍ (ناحِيَةَ الـــدُّوَلِ المُتَقَدِّمَة)، أَوْ مَا يُعْرَفُ بِالنَّقْلِ العَكْسِيِّ للتِّكْنُولُوجيا؛ لأَنَّ هِجْرَةَ العُقُولِ هِي فعلًا نَقْلٌ مُبَاشِرٌ لِأَحَدِ أَهَمِّ عَنَاصِرِ

الإِنْتاج، وَهُو العُنْصُرُ البَشَرِيُّ، وَقَد طَرَحَتِ المُنَظَّمَةُ الدَّوْلِيَّةُ مُبَادَرَةَ "كَسْبِ الأَدْمِغَة"، عَام 2003م، مِنْ خِلَال تَطوير مَشاريعَ عَديدَةٍ عَنْ طَريق اسْتِخْدَام تِكْنُولُوجيا مُبْتَكَرَةٍ لِخَلْق "كَسْبِ الأَدْمِغَة" لِصَالح المَنَاطق الَّتي تَأَثَّرَتْ بِصُورَةٍ خاصَّةٍ من هِجْرَةِ الأَكاديميّين والعِلْمِيّين، وَذَلِك سَعْيًا مِنْهَا إلى تَغْيير هَذَا الاتِّجَاه[1].

أَبْرَزُ آليَّاتِ جَذْبِ الشَّبَاب

أَظْهَرَت نَتَائِجُ "المُؤَشِّر العَرَبيّ" لِعَام 2018م المُرْتَبِطَةُ باتِّجَاهات الرّأْي العَامِّ العَرَبيِّ، تَزايُدًا طَفيفًا في نِسَبِ الَّذين يَرْغَبُونَ في الهِجْرَةِ الدَّائمَةِ من بُلْدَانِهم، عَمَّا كَانَ عَلَيْه الحَالُ في الأَعْوَامِ السَّابِقَة، فَإِذَا كَانَتْ نِسْبَةُ الَّذين يَرْغَبُون أَو يَنْوُون الهِجْرَةَ الدَّائمَةَ قَدْ بَلَغَتْ نَحْوَ 24 % في عَامِ 2011م؛ فإنَّها قَد ارْتَفَعَتْ قليلًا في أَحْدَث اسْتِطْلاعٍ للمُؤَشِّرِ العَرَبيِّ في عَام 2018م إلى 26 %؛ وَرُبَّمَا يكُونُ ذَلِكَ تغيُّرًا مَحْدودًا وَغَيْرَ جَوْهَرِيٍّ مِنَ النَّاحِيَةِ الإحصائيّةِ عَبْرَ السَّنَوَاتِ الخَمْسِ المَاضِيَة، لكنَّه يُشِيرُ مِنْ نَاحِيَةِ دَلَالَتِه الاجتماعيَّةِ إلى أنَّ وَتِيرَةَ الرَّغْبَةِ في الهِجْرَةِ لَا تَزَالُ مُسْتَمِرَّةً بَيْنَ الشَّبَابِ العَرَبيِّ، وَمُرَشَّحَةً لِلزِّيَادَةِ في حَالَةِ اسْتِمْرَار الاتِّجَاهات الَّتي تَحْكُم عمليَّةَ الهِجْرَة؛ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى، بَاتَتِ الهِجْرَةُ في العَديدِ مِنَ البُلْدَانِ العربيَّة ظَاهِرَةً مُجْتَمَعِيَّةً[2]، فَالقَوْلُ بِأَنَّ رُبْعَ سُكَّان الوَطَن العَرَبيّ يَرْغَبُونَ في الهِجْرَةِ مِنْه يُعْتَبَر مُؤَشِّرًا ذا دَلَالَةٍ خَطيرَةٍ، وَمِن المُهِمِّ هُنَا التَّنْويهُ إلى نِسْبَةِ 26 % من العَرَبِ الَّذينَ يَرْغَبُون بالهِجْرَة هِيَ نِسْبَةٌ وَسَطِيَّةٌ بَيْنَ جَميع الدُّوَل العَرَبيَّة، فَبَعْضُ الدُّوَلِ سَجَّلَتْ نِسَبًا مُرْتَفِعَةً لِلْغَايَة، فَفي السُّودَانِ بَلَغَت نِسْبَة مَنْ يَرْغَبُ بالهِجْرَة 51 % أَيْ أَكْثَرُ مِنْ نِصْف سُكَّانِ هَذِهِ الدَّوْلَة، وَفي المَغْرِبِ 41 % وَفي الأُرْدُن 35 % وَجَميعُهَا نِسَبٌ مُرْتَفِعَةٌ لِلْغَايَة.

1. "**من هِجْرَة الأَدْمغة إلى كَسْب الأَدْمغة**". مُنظَّمة الأُمَم المُتَّحِدَة للتَّرْبيَة والعِلْم والثَّقَافَة (يونسكو)، 2006م، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/Iqh4k
2. "**المُؤَشِّرُ العَرَبيُّ 2018م**". المَرْكزُ العَرَبيُّ للأَبْحَاث ودِراسَة السِّياسَاتِ، قَطَر، الدَّوْحة، ص43، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/298Xf

وَإذَا كَانَ نَحْوَ رُبُع الشَّــبَابِ العَرَبِيِّ قَد عَبَّرُوا عَن نِيَّتِهم في الهِجْرَة عَن بُلْدَانِهم حَالَ تَيَسَّرَ لَهُمْ ذَلِكَ، فإنَّ الكَثِيرينَ مِمَّنْ لَمْ يُفْصِحُوا عَنْ تِلْكَ الرَّغْبَةِ رُبمَّا لَن يَتَرَدَّدُوا كثيرًا إذَا مَا سَــنَحَتْ لَهُمُ الفُرْصَةُ لاتِّخَاذ هَذَا القَــرَار؛ الأَمْرُ الَّذِي يُجْعَلَ مِنْ إعْمَالِ العَقْلِ وَالعَصْــفِ الذِّهْنِيِّ للتَّفْكِير في عَوَامِلَ نَاجِعَةٍ تَجْذِب الشَّــبَابَ العَرَبِيَّ نَحْو البَقَاءِ في أَوْطَانِهِمْ وَإِسْقَاطِ خِيَارِ أَوْ حُلْمِ الهِجْرَة مِنْ عُقُولِهِمْ، عَمَلِيًّا، ضَرُورَةً مُلِحَّةً لِمُعَالَجَة تِلْك الإِشْكَاليَّةِ الَّتِي تُمَثِّلُ استنزافًا مستمرًّا للطاقاتِ العربيَّة التَّنْمَوِيَّةِ الواعِدة.

وَفِي هَذَا الإطَار نَطْرَحُ عددًا مِنْ تِلْكَ الحُلُولِ الَّتِي يُمْكِنُ مِنْ خِلَالهَا رَسْمُ إِسْتِرَاتِيجِيَّةٍ نَوْعيَّةٍ تَهْدِفُ إلى إِثْنَاءِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ بعيدًا عَن تَيّارِ الهِجْرَة الجَارِف، والانضواءِ تَحْتَ لِوَاءِ تَدْشِينِ التَّنْمِيَة المُسْتَدَامَةِ عَرَبِيًّا، بِشَكْلٍ عَمَليٍّ، بعيدًا عَنْ تِلْكَ المَدَاخِلِ الشَّكْلِيَّةِ غَيْرِ الرَّشِــيدَة الَّتِي تَعْتَمِد مَقُولَاتِ الوَطَنِيَّــة، والتغنِّي بالأوطانِ، وَمَنْحِ الوَطَنِ بِلَا مُقَابِلٍ، وَهِيَ تِلْكَ المَقُولَاتُ الَّتِي تُرْفَعُ عادةً للاستهلاكِ المَحَلِّيِّ، والبُعْد عَن جَوْهَرِ المُشْكِلَة، وَمِن ثَمَّ الهُرُوبُ مِن التَّفْكِيرِ السَّلِيمِ في طُرُقِ حَلِّها.

ومِنْ أَهَمِّ وســائِلِ جَذْبِ الشَّــبَابِ العَرَبِيّ وإبقاءِ العُقُولِ العربيَّةِ ضِمْنَ حُدُودِها الجُغْرَافِيَّةِ ما يلي:

- **إِطْلاق المَشَارِيع الرِيَادِيَّةِ الَّتِي تَسْتَوْعِبُ الشَّبَاب:**

دائمًا مَا يكْثُرُ الحَدِيثُ عن المَشَــارِيع الرِيَادِيَّة كحلٍّ سَحْرِيٍّ سَرِيعِ المَفْعُولِ لِلْكَثِير مِن المُعْضِلَاتِ النَّاجِمَة عَن إِشْكاليَّات البَطَالَة، وغيابِ فُرَصِ العَمَلِ دَاخِلَ العَالَمِ العَــرَبِيِّ، وَمِن ثَمَّ تَزَايُدُ الاتِّجَاهاتِ المحفِّزةِ للهِجْرَة ومُغَادَرَةِ الأَوْطَان الَّتِي بَاتَتٍ بِلَا مُسْتَقْبَلٍ مِنْ وِجْهَة نَظَرِ الشَّبَاب الطَّامِحِ إلى تَحْقِيقِ الذَّات.

بَيْدَ أنَّ الحَدِيثَ عَنْ مشروعاتٍ رِيَادِيَّةٍ كُبْرَى بَعِيدَةٍ عن الاحتياجات الاجتماعيَّة، وَفْقًا لِمَا يَتَفَتَّقُ عَنْه خَيَالُ القِيادَات الرَّسْمِيَّة والنُّخَبِ المُستَفِيدة مِنْ بَقَاءِ الأَوْضَاع العربيَّــة على مَا هِيَ عَلَيْه، هُو أمرٌ غيْرُ مُفِيــدٍ، وَرُبَّمَا يُمَثِّل ضجيجًا بِلَا طَحِينٍ، وَمِن ثَمَّ يَتَطَلَّبُ تغييرًا يَتَضَمَّنُ تَلْبِيَةَ الاحتياجاتِ الشَّــبَابيَّة ويَتَماشَى مَع قُدُرَاتهم في ذَاتِ الوَقْتِ.

وَلإِطْلَاقِ هَذَا النَّوْعِ مِن المَشَارِيعِ الرِيَادِيَّة لِهَدَفٍ اسْتِقْطابيٍّ إِسْتِرَاتِيجيٍّ؛ يَتَمَحْوَرُ حَوْلَ الحدِّ مِنْ ظَاهِرَةِ الهِجْرَةِ بَيْنَ الشَّـــبَاب العَرَبيّ، لَا بُدَّ أوَّلًا من التَّعَرُّف على سُوقِ العَمَلِ على المُسْتَوَى المَحَلِّيّ دَاخِلَ كُلِّ نِطَاق جُغْرافِيٍّ، وَبِنَاءِ مَشْروعاتِ شَرَاكةٍ بَيْنَ الدَّوْلَةِ والقِطَاعِ الخَاصِّ مِنْ جِهَةٍ، أَوْ بَيْنَ الدَّوْلَةِ والشَّـــبَاب مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى؛ تستهدِفُ تَمْكِينَ الشَّبَاب وَفَتْحَ الآفَاق أَمَامَ إِبْدَاعاتهم وَإِثْبَات ذَوَاتِهِم.

ولعلَّ مِن أَبْـــرَزِ المَدَاخِلِ المُهِمَّةِ لتَوْطين رِيادَة الأَعْمَال شَـــبابيًّا، في هَذَا الصَّدَد، الاعْتِمَادُ على المَشْرُوعَاتِ الصَّغِيرةِ النَّابِعَةِ مِن الحَاجَاتِ المَحَلِّيَّة، الَّتي يُمْكِنُ تَنْمِيَتُهَا عَبْرَ التَّشْبِيكِ بَيْنَ الفَاعِلِينَ العَامِلِينَ في العَمَلِ الأَهْلِيِّ والشَّبَاب الرَّاغِبِ في العَمَلِ، بِحَيْث تَتِمُّ المُشَـــارَكَةُ معًا في بِنَاءِ خُطَّة التَّنْمِيَة، وَتَحْدِيدِ شُرُوطِ الشَّرَاكَة، في ظِلِّ الاهْتِمَامِ بتَذْلِيلِ العَقَبَاتِ الأَسَاسِـــيَّة؛ لَا سِيَّمَا القانونيَّةُ والتمويليَّةُ، وَالمُسَاعَدَةِ في التَّرْوِيـــجِ والدَّعْم، وتوفيرِ التَّأْمِينِ بكافَّةِ أَنْوَاعِـــه، وَغيْرِ ذَلِكَ مِنْ شُرُوطِ الأَمَانِ المُمْكِنَة، حَتَّى لَا يَتَحَوَّل العَمَلُ في المَشْرُوعَاتِ الرِيَادِيَّةِ الصَّغِيرةِ وَالمُتَوَسِّطَةِ إلى عَمَلٍ عَشْـــوائِيٍّ لَا يُؤَدِّي لِتَمْكِينِ الشَّبَاب وَلَا اسْتِدَامَةِ التَّنْمِيَة، بَل يُصْبِح أَدَاةً مِنْ أَدَوَاتِ الإِفْقَار، وَزِيَادَةِ الأَعْبَاء على الشَّبَاب(1)، الَّتِي ربما تُعَزِّزُ دَوافِعَهم نحو الهِجْرَة.

- **تَشْجِيعُ الاسْتِثْمَار:**

ولتوفيرِ فُرَصِ عملٍ للشَّـــبَاب، تُبْعِدُهُم عَن وُلُوجِ قِطَـــارِ الهِجْرَة؛ يَجِبُ على الدَّوْلَة وشُرَكَائِهـــا المُجْتَمَعيِّين، لَا سِـــيَّمَا المُجْتَمَعُ المَدَنيُّ والقطاعُ الخَـــاصُّ، القِيامُ بِرَفْعِ الإِنْتَاجِيَّة، وَتَوْجِيه الاســـتِثْمارات وتَشْـــجيعها لِتَكُونَ ناجحةً وقادرةً على المُنَافَسَة، وَالقِيَامِ بِإِصْلاحَاتٍ مُؤَسَّسِيَّةٍ تَرْتَكِز على إِعَادَةِ تَقْسِيمِ فُرَصِ العَمَلِ بَيْنَ قُطَّاعِ الأَعْمَال العَامِّ، وَالخَاصِّ، وَالمُشْـــتَرك، وَكَذَا المُنَظَّمَاتُ شِبْهُ الحُكُومِيَّةِ والأَهليَّةِ والقطاع المَدَنيُّ بكافَّةِ تَنْويعاته، إِضَافَةً إلى القِيَامِ بتطويرِ التَّكَامُلِ وَالتَّعَاوُن الاقْتِصَاديِّ على الصَّعِيدِ الإِقْلِيميِّ العَرَبِيِّ، مَعَ ضَرُورَةِ التَّحْلِيلِ المُستَمِرِّ لمُحَدِّدَات العَمَل واتِّجَاهات البَطَالَة.

1. عبدالله، محمود. "**الإِشْـــكَاليَات والحُلُولُ: نَحْوَ رُؤْيةٍ واقعيَّة لتَمْكِين الشَّـــبَاب**". مَرْكَز الرَّوابِط للبُحُوث والدراسات الإِسْتراتيجيَّة، 22 فبراير 2016م، مُتَاحٌ على الرَّابِط: goo.gl/tuewD7

إنَّ تَشْجِيعَ الاسْتِثْمَارِ، لَا سِـــيَّمَا فِيمَا يَتَعَلَّق بِجَعْلِه قِطاعًا جاذبًا للعَمَالة الشَّبَابيَّة، يَتَطَلَّب تَحْسِينَ القابليَّةِ للتَّشْغيل مِنْ خِلَال إصْلَاحِ مَنْظُومَةِ ونوعيَّةِ التَّعْلِيم وَطُرُقِه وأَسَالِيبِه، واستحداثِ بَرامِجَ ومشروعاتٍ تدريبيَّةٍ مُوجَّهَةٍ نَحْو فئاتٍ مُحَدَّدَةٍ مِن الشَّـــبَاب، وتطوير نوعيَّةِ التَّدْرِيب، والبيئة المُؤَسَّسِيَّة العِلْمِيَّة والتَّطبيقيَّة، هَذَا مَعَ شُـــمُولِه فُرَصًا حَقِيقِيَّةً لِتَمْكِين الفَتَيَات، على وَجْهِ الخُصُوصِ، مِن الحُصُولِ على فُرَصِ العَمَل المُنَاسَبَة، ودَعْم مُؤَسَّسَاتِ الدَّوْلَةِ لبرامجِ التَّشْغِيلِ وشَرِكاتِ التَّوْظِيف بكافَّـــةِ أَنْوَاعِهَا، مَعَ ضَرُورَةِ تَوْفِيرِ المَوَارِد التَّدْرِيبيَّـــةِ اللَّازِمَةِ، وَتَحْقِيق التَّوَافُق النَّوْعِيِّ بَيْنَ مُتَطَلَّبَات سُوقِ العَمَلِ ومُخْرَجَات التَّعْلِيم.

إنَّ الاسْتِثْمَارَ مِنْ شَأْنِه خَلْقُ الفُرَصِ أَمَامَ الشَّبَاب لِلْعَمَل والإنتاج، وَهُوَ مُحَرِّكٌ أَسَاسِيٌّ للتَّنْمِيـــة في الدُّوَلِ الفَقِيرة وَالنَّامِيَةِ وَالَّتِي تُعَدُّ المَصْدَرَ الرَّئِيسَ لِهِجْرَة الكَفَاءَات، فَهَذَا الاسْتِثْمَارُ مِنْ شَأْنِه مُسَاعَدَةُ هَذِهِ البُلْدَانِ على جَنْي عَوَائِدَ اقْتِصادِيَّةٍ تَنْتَشِلُ الملايين مِن بَرَاثِنِ الفَقْـــر، وَبِالتَّالي تَجْفِيفُ مَنْبَعٍ هَامٍّ مِن مَنَابِعِ الهِجْرَة، وَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ إلَّا في ظِلِّ سياســـاتٍ تَضْمَنُ الحُكْمَ الرَّشِيدَ والحَوْكَمة الجَيِّدَةِ وَسِيَادَةِ القَانُون وَتَحْقِيق العَدَالَةِ وَالقَضَاءِ على النِّزَاعَات الدَّاخِلِيَّة.

وَفي هَذَا السِّيَاقِ أَطْلَقَتْ مُنَظَّمَةُ الأُمَمِ المُتَّحِدَة مُبَادَرَةً طَمُوحةً، في يونْيو 2017م؛ تَهْدِفُ إلىَ تَشْجِيع الاسْتِثْمَارِ في الأَرَاضِي المُتَدهْوِرَة، وَهِيَ الأَرَاضِي الَّتِي ضَرَبَهَا الجَفَافُ والتَّصحُّرُ، مِنْ أَجْـــلِ خَلْقِ فُرَصٍ لِلْعَمَل، وَزِيَادَةِ الدَّخَل وَالأَمْن الغِذَائيِّ عَالَمِيًّـــا، والحدِّ مِن الهِجْرَة غَيْرِ الشَّرْعِيَّةِ مِن المَنَاطِق الأَكْثَرَ تعرُّضًا للتَّصَحُّر إلى الدُّوَلِ الغنيَّةِ ذَاتِ الدَّخْلِ المُرْتَفِع(1).

1. مُنَظَّمَة الأغذية والزِّرَاعة للأمم المُتَّحِدَة. **"الأُمَمُ المُتَّحِدَةُ تُطْلِقُ حَمْلَةً مُنَسَّـــقَةً من أجل سِياسَـــاتٍ فَعَّالَةٍ لمواجهة الجَفَافِ".** جنيف، 7 مارس 2013م، مُتاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/mJQfC

- **تَعْديلُ التَّشْريعَاتُ والقُيُودِ المُرْتَبطَة بالاسْتِثْمَار:**

وَحَتَّى يكُونَ الحَديثُ عَنْ تَشْجِيع الاسْتِثْمَار كمَدْخَلٍ لِمُعَالَجَة أَزْمَةِ هِجْرَة الشَّبَاب العَرَبيِّ مُثْمِرًا، لا بُدَّ وَأَنْ نبحث ذَلِكَ في ضَوْءِ التَّشْريعَات والأُطُرِ القانونيَّةِ المُنَظِّمَة؛ فلتَوْطِين وتَعْزِيز الاسْتِثْمَار يَجِبُ أَنْ يَتَغَيَّرَ مَنْهَجُ صِناعَة السِّيَاسَات وَالتَّشْريعَات الاقتصاديَّة كُلِّيًّا، لِيَسْبِقها دِرَاسَةٌ تقييميَّةٌ وتشخيصيَّةٌ لِلْمُشْــكِلَات القَائِمَة، ودراساتٌ تخصصيَّةٌ أُخْرَى يَقُومُ بِهَا خُبَرَاءُ الاقْتِصَاد والاستثمار والتَّنْمِيَة، على أَنْ تتكامَلَ السِّيَاسَاتُ وَالتَّشْريعَات وتعديلاتُها؛ بِحَيْث تَعْكِسُ تَوَجُّهَاتٍ إِستِرَاتِيجِيَّةً تَنْبَثِقُ مِنْ أَهْدَافٍ تَنْمَوِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ.

وَتُعْتَبَرُ التَّشْريعَاتُ مِنَ الخُطُورَةِ والأهميَّةِ مَا يُحتِّمُ عَدَمَ تَرْكِهَا للقَانونيِّينَ وَحْدَهُم، فدَوْرُهم في هَذِهِ القَوَانِينِ يكُونُ في مَرْحَلَةِ الضَّبْطِ وَالصِّيَاغَةِ الأَخِيرَة، فَيَجِبُ في هَذِهِ التَّشْرِيعَاتِ أَنْ يَتِمَّ أَخْذُ آرَاءِ الاقتصاديِّينَ، وَيَجِبُ أَنْ تُقَدِّمَ هَذِهِ التَّشْرِيعَاتُ بِيئَةً مُنَاسَــبَةً ومُحفِّزةً لِلاسْتِثْمَار، كالإعفاءِ الضَّرِيبيِّ للمشاريعِ الصَّغِيرَةِ ولرُوَّاد الأَعْمَال، وَتَقْدِيم مَزَايَا تَشْــجيعيَّةٍ للمســتَثْمِرين وَخَاصَّةً لِصِغَارِ المســتَثْمِرينَ، كالقروض المَيْسَرَةِ وَتَقْدِيم الخِبْرَةِ وَالمَشُــورَةِ، وتوفيرِ أَسْــوَاقٍ لتصريف الإِنْتاج، إِضَافَةً لِسَــنِّ قَوَانِينَ جَالِبَةٍ للاستثمارات الخَارِجِيَّة، كالسَّمَاح لِلأَجَانِب بِالتَّمَلُّكِ الكَامِل، وَعَدَم إِلْزَام الأَجْنَبِيِّ بشَرَاكةِ مَوَاطِنٍ من الدّوْلَة، وَحُرِّيَّة تَحْويلِ الأَمْوَالِ إلى الخَارِجِ وَبِالقَطْعِ الأَجْنَبِيّ، وَالمُسَاوَاة بَيْنَ الأَجْنَبِيِّ ومُواطِني الدَّوْلَةِ في القَضَاءِ الاقْتِصَــاديِّ؛ وَبِالتَّأْكِيدِ فَإِنَّ الأَمْرَ لَا يَتَوَقَّفُ على سَــنِّ التَّشْرِيعَاتِ فَقَط، وَإِنَّمَا يَتَجَاوَزُ ذَلِكَ لِيَشْمَلَ مُخْتَلَفَ العَوَامِلِ المُحِيطَةِ ببيئة الأَعْمَال، كالتَّعَامُلات الحُكُوميَّة ومدى تَطَوُّرِ وَنُضْجِ الأَسْوَاق، ومدى تَوَافُرِ البِنْيَة التَّحْتِيَّةِ اللَّازِمَةِ لِلاسْتِثْمَار.

- **إِنْشَاءُ وتَأْسِيسُ المَنَاطِق الحُرَّة:**

تُعَدُّ إِسْــتِرَاتِيجِيَّةُ المَنَاطِق الحُرَّة مِنَ الأفكارِ المُهِمَّة في إِطَارِ دَعْم المُنَاخِ الاستِثْماريِّ، وَتَوْلِيد المَزِيدِ مِنْ فُرَص العَمَلِ الجَاذِبَة للشَّــبَاب في المِنْطَقَة العربيَّة. والمَنَاطِقُ الحُرَّةُ هِي مَنَاطِقُ مُحَدَّدَة جغرافيًّــا، تَخْضَع لقوانين وأنظمة مُخْتَلِفَةٍ عَنْ تِلْكَ الَّتِي تَحْكُمُ بَاقِي المَنَاطِق الأُخْرَى. ولكلّ مِنْطَقَةٍ حُرَّة سُــلْطَةٌ خاصَّةٌ بِهَا تُدِيرها وتَتَولَّى مَسْؤُولِيَّة

التَّسْـــجِيل وَرُخَص العَمَل، وَغيْرِ ذَلِك، وَرَغْمَ اخْتِلَاف المَنَاطِق الحُرَّة مِنْ حَيْثُ نِطَاقُ النَّشَاط وَطَبِيعَةُ العَمَل إلَّا أنَّ المَبَادِئَ الأَسَاسِيَّة الَّتِي تُشَكِّل جَوْهَرَ عَمِلَهَا تَبْقَى وَاحِدَةً. والمناطقُ الحُرَّةُ مِن الوَسَائِلِ الجَاذِبَة للمستَثْمِرينَ الأَجَانِب، لَا سِيَّمَا مَعَ مَا تقدِّمُهُ مِـــن حَوافِزَ مُغْرِيَةٍ؛ كالإعفاءات الضَّريبيَّةِ مثلًا، وَيكُون الهَدَفُ الأَسْــمَى لِتِلْك المَنَاطِقِ الحُرَّة في الاقتصادات الوَطَنِيَّةِ؛ العَمَلَ على جَذْبِ الاستثمارات وتَوْطِينها، والمُسَـــاهَمَةِ في المَسْـــؤُولِيَّةِ الاجتماعيَّة تِجَاهَ المُجْتَمَعِ المَحَلِّي؛ مِنْ حَيْثُ التَّطويرُ، وتَوْطِينُ الاســتثمارات لِخَلْقِ فُرَصِ العَمَل، وتقليص البَطَالَة، والمُساهَمَة في الحدِّ مِنْ ظَاهِرَةِ الهِجْرَةِ وَنَزْفِ العُقُول.

- **إطْلَاقُ مَشَارِيع التِّكْنُولُوجِيَا:**

تُؤَثِّر التِّكْنُولُوجيا بشَـــكْلٍ عَامٍّ ولا سِيَّما تِلْك المُتَّصِلَةُ بالمَعْلُومَات وَالاتِّصَالَات على التَّوْظِيف باعْتِبَارِهَا مِـــن الصِّنَاعَات المُوَلِّدَة لِلْوَظَائِف، وَكَوْنُهَا تُعْتَبَرَ مَوْئِلًا هَامًّا لِعَمَـــل الكَفَاءَاتِ العِلْمِيَّة ذَاتِ التَّخَصُّص العَالي، وَتُؤَثِّرُ تِكْنُولُوجيا المَعْلُومَاتِ على مُخْتَلَفِ الجَوَانِبِ الاقْتِصَادِيَّـــةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ في المُجْتَمَع، فَهِي تَجْعَلُ الصِّنَاعَاتِ أَكْثَرَ مَرْدُودِيَّةً وَتُحَقِّقُ مُعدَّلاتِ نُمُوٍّ عَالِيَةً في الأَسْـــوَاقِ، فَفِي وَقْتِنَا الرَّاهِن يُعْتَبَرَ سُوقُ التِّكْنُولُوجيا مِن أَوْسَعِ الأَسْوَاق وَمِن أَكْثَرِهَا مُرُونَةً وَقُدْرَةً على النُّمُوِّ والتَّطَوُّر، وتُتِيحُ تِكْنُولُوجيا المَعْلُومَات والاتِّصَالات مَنَافِذَ جَدِيدَةً لِخَلْقِ الوَظَائِف الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُسَاعِدَ على مُعَالَجَة البَطَالَة العَالَمِيَّة، وَتَرْبِطُ تِكْنُولُوجيا المَعْلُومَات والاتِّصَالات النَّاسَ بِالوَظَائِف، فأَسْـــوَاق التَّوْظِيفِ على الإنترنت تُسَـــاعِدُ حَالِيًا مَا يَقْرُبُ مِنْ 12 مِلْيُون شَـــخْصٍ حَوْلَ العَالَم، في العُثُورِ على عَمَلٍ؛ مِنْ خِلَالِ رَبْطِهم بِأَرْبَابِ العَمَـــلِ في جَمِيعِ أَنْحَاءِ العالَمِ(1)، وبالتَّأْكيـــد فَإِنَّ هَذَا الأَمْرَ لَهُ تَأْثِيرٌ مُبَاشِرٌ في الحَدِّ مِن البَطَالَةِ.

1. شـــاهين، محمَّد. "**التَّحَوُّل في أســواق العمل، ودُوْر تِكْنُولُوجيا المَعْلُومات وَالاتِّصَالات في خَلْق وَظائِف جَديدةٍ**". جامِعَة القُدْس المَفْتُوحة، 2018م، مُتاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/917iF

وَبالإِضَافَةِ إلى أَنْ تِكْنُولُوجيا المَعْلُومَاتِ تَوَلِّدُ فُرَصَ العَمَلِ إلَّا أَنَّهَا تُشَـــكِّلُ تَحَدِّيًا أَمَـــامَ العُمَّالِ وَأَصْحَاب العَمَلِ في ذَاتِ الوَقْتِ، فَقِسْـــمٌ لا بَأْسَ بِهِ مِن الأَعْمَالِ المُرْتَبِطَةِ بالتِّكْنُولُوجيا قَدْ تَكُونُ مُؤَقَّتَةً وَبالتَّالي يمُكِنُ أَنْ تَقُودَ العُمَّالَ لِلانْفِصَال عَن شَـــبَكَاتِ التَّأْمين الاجْتِمَاعِيِّ كَالتَّأْمين الصِّحِّيّ أَو المَعَاشَات وَغَيْرِهَا، إلَّا أَنَّهَا تُعْتَبَرُ فِرْصَةً حَقِيقِيَّةً وَخَاصَّةً لِلشَّبَاب كَوْنِهِم الأَقْدَر على التَّكَيُّفِ مَعَهَا، إِضَافَةً إلى أَنَّهَا تَوَفِّر لَهُم دُخولًا إضَافِيَّةً لا سِيَّمَا أَمَامَ ذَوِي الكَفَاءَات مِنْهُم.

ويُجمِـــعُ الكَثِيرُونَ على أنَّ حَلَّ مُشْـــكِلَةِ البَطَالَةِ يَحْتَـــاجُ جُهودًا حَثِيثةً على كافَّةِ المُســـتَويات؛ مِنْ حَيْثُ مُخْرَجَاتُ التَّعْلِيم، وَإِيجَادُ دَوْرةٍ اقتصاديَّةٍ إيجَابيَّةٍ تَخْلُقُ ملايين فُرَصِ العَمَلِ سَـــنويًّا، وَهِي تَحْتَاجُ إلى تَعَاوُنٍ وَثِيق بَيْنَ القِطَاعَيْنِ العَامِّ وَالخَاصِّ والقِطاع الأَهْلِيِّ كَذَلِك. وَقَد يُشَـــكِّلُ قِطَـــاعُ تِكْنُولُوجيا المَعْلُومَات أَحَدَ مَفَاتِيحِ الحَلِّ لمُعْضِلَة البَطَالَة المُسْتَشْرِيَة بَيْن الشَّبَاب في المِنْطَقَةِ العربيَّة.
إنَّ المَزِيدَ مِن الاستثمارات في التِّكْنُولُوجيَا، وَفي الاقْتِصَادِ الرَّقْمِيّ على الصَّعِيدَيْنِ الخَاصِّ والحُكُوميِّ، سيســـاعد عـــلى المديَيْنِ المُتَوَسِّـــطِ وَالطَّوِيل، في تَقْلِيصِ المَخَاطِرِ الاقتصاديَّةِ والاجتماعيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ المُرْتَبِطَةِ ببَطَالَةِ الشَّبَاب. وَمِثْلُ هَذِهِ الاســـتثمارات ستُسْـــهِم في خَلْقِ عددٍ أَكْبَرَ مِن الوَظَائِفِ، وَلَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ بَلْ نوعيَّةٌ أَفْضَلُ مِن الوَظَائِفِ أيضًا.

- **تَشْجِيع المَشَارِيع الَّتِي تمُكِّنُ من استيعاب الشَّبَاب (السِّياحَة نمَُوذجًا):**

تُعْتَبَرُ السِّيَاحَةُ في وَقْتِنَا الرَّاهِنِ إِحْدَى أَهَمِّ القِطَاعات الاقْتِصَادِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّة في العَالَم، وتَلْعَبُ دَوْرًا هامًّا في تَنْمِيَةِ البُلْدَان وَفي التَّبَادُلِ الثَّقَافيِّ بَيْنَ الشُّعُوب إِضَافَـــةً إلى دَوْرِهَا كرَدِيفٍ اقْتِصَادِيٍّ مُهِمٍّ لمُوازَنات الـــدُّوَل، وَازْدَادَت الأَهَمِّيَّةُ الاقْتِصَادِيَّةُ لِلسّيَاحَة في النِّصْفِ الثَّاني مِن القَرْنِ العِشْرِينَ، وَتَحَوَّلَت إلى صِنَاعَةٍ وَحِرْفَةٍ حَقِيقِيَّةٍ قَائِمَةٍ بِحَدِّ ذَاتِهَا، لا ســـيَّما بَعْدَما اسْـــتَحْدَثَت مُعْظَمُ دُوَلِ العَالَم مُعَاهَدَ وَكُلِّيَّاتٍ جامِعِيَّةً لتَدْرِيس عُلُومِ السِّيَاحَةِ، إضَافَةً للانتِشَار الوَاسِع للدِّرَاسات وَالأَبْحَاث الَّتِي تَنَاوَلَت الأَثَرَ الاقْتِصَادِيَّ لِلسّيَاحَة.

وَيُمْكِنُ النَّظَرُ إلى السِّـــيَاحَةِ بِاعْتِبَارِهَا إحْدَى الرَّكَائِز الاقتصاديَّةِ للدُّوَل؛ نظرًا لمُساهَمَتِها الفعَّالةِ في الدَّخْلِ القَوْميِّ، وَفي مُسْتَوَى الاستثماراتِ الوَطَنِيَّةِ والدَّوْلِيَّةِ في المَنَاطِقِ السياحيَّة، إلى جَانِبِ دَوْرِهَا الفعَّالِ على صَعِيدِ الآثَارِ الاقتصاديَّة على المســـتويَّيْنَ الجُزْئيِّ وَالكُلِّيِّ، وخاصَّةً فِيمَا يَتَعَلَّق بمُسْتَوياتِ التَّشْغِيلِ والبَطَالَةِ في المَنَاطِقِ السياحيَّة.

وَتَتَعَدَّدُ الفَوَائِدُ المُنَاطة بِالسِّـــيَاحَةِ لِتَشْمَلَ العَوَائِدَ الاقْتِصَاديَّة لِلدَّوْلَة إضَافَةً إلى أَثَرِهَـــا الإِيجَابِيِّ في الحِفَاظِ على البِيئَةِ وَالإِبْقَاء عـــلى الإِرْثِ الثَّقَافيِّ والتَّنَوُّعِ البَيُولُوجِـــيِّ، وَتَحْقِيق التَّكَامُلِ الاقتِصـــاديِّ والاجْتِماعِيِّ، نَاهِيكَ عَن دَوْرِهَا في إِشْـــبَاع احْتِيَاجَاتِ السُّيَّاح والمُجْتَمعات المُضِيفَة في آنٍ وَاحِدٍ، وَكَوْنُهَا مَوْرِدًا دَائِمًا لَا يَنْضُب بِالإِمْكَان اسْتِثْمَارُه مِنْ قِبَلِ الأَجْيَال المُتَعَاقِبَة.

إنَّ التَّوَسُّـــعَ في صِنَاعَةِ السِّـــيَاحَة، والمَشْرُوعات المُرْتَبِطَةِ بِهَا؛ يُسَاهِمُ في تَوْفِيرِ فُرَصِ عَمَلٍ جَدِيدَة للشَّـــبَاب، ويُقَلِّلُ مِن مُعَدَّلات البَطَالَة، مِمَّا يُؤَدِّي إلى ارْتِفَاعِ مُسْـــتَوَى الدَّخَل والرَّفَاهيَّة لِلْمُجْتَمَع، وَمِنْ هُنَا تَستَمِدُّ السِّيَاحَةُ أَهَمِّيَّتها، بِالنَّظَرِ إلى تَأْثِيرِهَـــا على بُنْيَان وَأَدَاءِ الاقتصادات الوَطَنِيَّة، فَهِي نَشَـــاطٌ دِيناميكِيٌّ ذُو تَأْثِيرٍ مُتَبَادَلٍ وفَعَّال يَشْمَلُ جَمِيعَ الأَنْشِطَةِ الاقتصاديَّةِ في الدَّوْلَةِ وَخَارِجِهَا، فَهِي تَتَأَثَّرُ وتُؤَثِّرُ على أَنْشِطَةِ الإِنْتَاج، وَالاسْتِهْلَاك، والرَّحَلات، والاتِّصَالات، والمَوَانِئ، وَالفَنَـــادِق، والبُنُوك، وعَمَلِيَّاتِ التِّجَارَةِ الدَّاخِلِيَّةِ والخَارِجِيَّة.. إلَخ، بِالإِضَافَةِ إلى أَنَّ تَوْزِيعَ المَشَـــارِيع السياحيَّة على المَنَاطِق السياحيَّةِ المُخْتَلِفَةِ دَاخِلَ الدَّوْلَة يَعْمَلُ على تَطْوِيرِها، وَتَحْسِينِ مُسْتَوَيات المَعِيشَةِ فِيهَا.

وَقَدْ تَكُونُ السِّيَاحَةُ مَدْخَلًا مُهِمًّا لِتَقْلِيل الفَوَارِق الاقْتِصَاديَّة بَيْنَ المَنَاطِقِ المُخْتَلِفَةِ في الدَّوْلَة، لا سِـــيَّمَا بَيْنَ الرِّيفِ وَالمَدِينَة، كَوْنهَا تَعْمَلُ لِخَلْقِ أَنْشِـــطَةٍ اقْتِصاديَّةٍ في المَنَاطِقِ الرِّيفِيَّةِ ذَاتِ البِنْيَةِ الاقْتِصَاديَّة الضَّعِيفَة، وَتُوَفِّرُ فُرَصَ عَمَلٍ لِسُـــكَّان هَذِه المَنَاطِق، وَبِالتَّالِي قَدْ تُشَكِّلُ السِّيَاحَةُ وَفْقَ هَذَا المَنْظُورِ حَلًّا للهِجْرَةِ الدَّاخِلِيَّة

وَخَاصَّةً مِن الرِّيف إلى المَدِينَة، وَبِذَلِك يَنْخَفِضُ مُسْتَوَى التَّبَايُنِ الاقْتِصَادِيِّ بَيْنَ مُخْتَلَفِ مَنَاطِق الدَّوْلَة.

نَحْو إِسْتراتِيجيَّةٍ شامِلَةٍ لتَوْطِين الكَفَاءَات

إِنَّ أَيَّ سِيَاسَةٍ تَنْتَهجها الحُكُومَات العَرَبِيَّة لتَوْطين الكَفَاءَات وَلِاسْتِعَادَةِ المُهَاجِرَة مِنْهَا لَـــن تَحَقُّق الأَهْداف المَنُوطَةَ بِهَا مَا لَمْ تَكُنْ في إطَارِ مَنْهجِيَّةٍ إِسْـــتِرَاتِيجِيَّةٍ وَاضِحَةٍ، فَخُطْوَةٌ هُنَا وَمُبَادَرَةٌ هُنَاك لَن تَكُونَ ذَاتَ جَدْوَى، فَالأَمْرُ يَتَطَلَّب نَظْرَةَ شَـــامِلَةً لِهَذِه الظَّاهِرَة، وتعاوُنَ مُخْتَلَفِ القِطاعات الحُكُومِيَّة وَالعِلْمِيَّة والمُجْتمعيَّة في وَضْعِ حَلٍّ لَهَا، وَفِيمَا يَلِي سَنُبَيِّنُ أَهَمَّ النِّقَاطِ الَّتِي يُفْتَرَض بِأَيِّ إِسْتِرَاتِيجِيَّةٍ عَرَبِيَّة أَن تَنْتَهجها خِلَالَ سَعْيِهَا لتَوْطين الكَفَاءَات:

- **البَدْءُ بِالتَّعَرُّف على حَجْم المُشْـــكِلَة**، وَذَلِك بِإِجْرَاءِ عَمَلِيَّاتٍ إحصائيَّةٍ ومَسْـــحِيَّة تَهْدِفُ لِلتَّعَرُّف على عَدَدِ الكَفَاءَات المُهَاجِرَة وَمَوَاقِعِها واختِصَاصَاتها.
- **تَطْويرُ سِياســـاتِ وبرامِجِ التَّشْغيل والتَّوظيف في الدُّوَلِ العَرَبِيَّة**، بِحَيْثُ تَكُونُ الأَوْلَوِيَّـــةُ في العَمَلِ لِأَبْنَاء الدَّوْلَة ثُمَّ أَبْنَاء الدُّوَل العَرَبِيَّة الأُخْرَى، وأخيرًا العِمَالَة الأَجْنَبِيَّـــة، وبالتَّأْكِيد يَأْتِي ذَلِك بَعْدَ مُرَاعَاةِ عَامِلِ الكَفَـــاءَة، وَتَظْهَرُ أَهَمِّيَّةُ هَذِه الخُطْـــوَةِ في دُوَلِ الخَلِيـــجِ العَرَبِيِّ الَّتِي تَكْثُرُ بِهَا العِمَالَةُ الأَجْنَبِيَّةُ على حِسَـــابِ العَرَبِيَّة.
- **احترامُ حُرِّيَّة البَحْث العِلْمِيِّ وَإِبْعَادُ تَدَخُّلَاتِ السِّيَاسِيِّينَ عَن التَّعْليم ومَحَاوِره**، وَإِعْطَـــاءُ المُرُونة التَّنْظيميَّة الكَامِلَة للباحِثـــينَ خِلَالَ نَشْرِهم لأبْحَاثِهم أَوْ خِلَالَ اخْتِيَارِهم لمجالاتِ البَحْث.
- **إعادَةُ هَيْكَلَة سُلَّم الأُجُورِ وَالرَّوَاتِب الخَاصِّ بِحَمَلَة الشَّهَادَات العَالِيَة وَأَصْحَاب الخِبْرَات والكَفَاءَات**، بِحَيْث تتناسَـــبُ الأُجُورُ المَمْنُوحَةُ لَهُمْ مَعَ مُسْـــتَوَى الخِبْرَة وَالمَعْرِفَة لَدَيْهِم.

- **العَمَلُ على إنْشَاءِ وتَطْوير مَرَاكِزَ عِلْمِيَّةٍ وبَحْثِيَّةٍ تِكْنُولوجية وتَطْبيقِيَّة ونَظَرِيَّة**، بِحَيْثُ تُوَفِّر للباحِثينَ إمْكانيَّةَ القِيَام ببُحوثِهم.
- **التَّواصُل الدَّائِمُ مَعَ الكَفاءَات العَرَبيَّةِ في الخَارِجِ مِنْ خِلَالِ الجَاليات العَرَبيَّة**، وَمَن خِلَالِ تَنْظِيمِ المُؤْتَمرات الدَّاخِلِيَّةِ والخَارجِيَّةِ، وتَوْفِير المُنَاخِ المُنَاسِبِ لَهُم كَيْ يُدْلُوا بِدَلْوِهِم فِيمَا يَخُصُّ قَضَايَا عَوْدَتهم لِلْوَطَن.
- **تَوْجِيهُ التَّخَصُّصات العِلْمِيَّـــةِ وَخَاصَّةً العَاليَةَ مِنهَا نَحْوَ القطاعات الإنْتَاجيَّة ذَاتِ الصِّلَةِ المُبَاشَرَةِ بالوَاقِعِ العَرَبِيِّ**، كَوْنُ قِسْمٍ لا بَأْسَ بِهِ مِن المُهَاجِرِينَ يَحْمِلُون شَهَادَاتٍ عِلْمِيَّةً لَا عَمَلَ لَهَا في البِلَادِ العَرَبِيَّة.
- **تَحْفِيزُ الشَّــبَاب على عَدَمِ الاتِّكَالِ على بَرامِجِ التَّوْظِيف الوَطَنِيَّة**، وَحَثِّهم على البَدْءِ بمَشارِيعِهِم الخَاصَّة وَنَشْرِ ثَقَافَةِ رِيادَةِ الأَعْمَال.
- **رَبْطُ التَّعْليم بِشَتَّى مراحِله بمتطلَّبَات التَّنْمِيَةِ الشَّامِلَة**، وَبِذَلِكَ يَكُونُ لِكُلِّ خِرِّيجٍ عَمَلُهُ الخَاصُّ في ظِلِّ مَشَارِيع التَّنْمِيَةِ المُتَّبَعَة.
- **دَعْمُ وَمُتَابَعَةُ الطَّلَبَةِ الدَّارِســينَ في الخَـــارِجِ**، وَتَقْدِيمُ العَوْنِ لَهُمْ عِنْدَ عَوْدَتهم وَخَاصَّةً في تَوْفِيرِ فُرَصِ عَمَلٍ لَهُم، وَمَنْحِهم تَسْــهيلاتٍ مَاليَّةً وإداريَّةً خَاصَّةً بِمَا يُشَجِّعُهم على العَوْدَة.
- **تَصْنِيفُ حَمَلَةِ الكَفَاءَات وَفْقًا لِدَرَجَة التَّخَصُّص ومســتوى الخِبْرَة المتوافرة لَدى كُلٍّ مِنهُــمْ**، وَمُعَامَلَتُهم ماليًّا وَفْقَ هَذَا المِعْيَار، وَبِالتَّأْكِيدِ فَإِنَّ هَذِهِ المُهِمَّةَ لَا يُمْكِنُ القِيَامُ بِهَا إلَّا مِنْ قِبَلِ أَجْهِزَةٍ حُكُومِيَّةٍ مُخْتَصَّةٍ.
- **تَعميقُ ارْتِبَــاطِ الطَّلَبَةِ وَالمُهَاجِرينَ بِبَلَدِهِم**، مِنْ خِلَالِ اسْــتِهدَافهم ببرامجَ ثَقافِيَّةٍ وَاجْتِماعيَّةٍ تَعْمَلُ على إبْقَاءِ هُوِيَّتِهم السِّيَاسِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّة وَالثَّقَافِيَّة حَيَّةً، وَبِالتَّالي تَعْزِيزُ انتِمَائِهم الوَطَنِيِّ والقَوْمِيِّ.

وخِتامًــا لِهَذَا الفَصْلِ لا بُدَّ مِن التَّأْكِيدِ على أَنَّ نَجَاحَ سياســاتِ وبرامجِ التَّعَامُلِ مَعَ أَصْحَاب الكَفَاءَات ســيَنْعَكِس إيجابًا على الوَاقِع الاقْتِصَادِيِّ والثَّقافيِّ والسِّــياسيِّ لِلْعَالَمِ العَرَبِيِّ، فالاســتثمارُ في هَذِهِ الكَفَاءَات هُو اسْتِثْمَارٌ في الإِنْسَانِ، والاستثمارُ

في الإِنْسَـــانِ هُوَ الاسْـــتِثْمَارُ الحَقِيقِيُّ الرّابِحُ رِبْحًا تامًّا ودائمًا، وبذاتِ الوَقْتِ يُعْتَبَرُ الفَشِـــلُ في التَّعَامُلِ مَعَهُم هَدْرًا لفُرْصَةٍ تَنْمَويَّةٍ وعِلْميَّةٍ، وَصَكًّا بِالتَّبَعِيَّةِ الدَّائِمَةِ للغَرْب وَمُؤَسَّسَـــاتِه، فبالكَفَاءَات يمُكِنُ التَّخَلُّصُ مِن التَّبَعِيَّةِ لا سِـــيَّمَا العِلْمِيَّةُ منها، فَالتَّبَعِيَّةُ العِلْميَّةُ تَقُود لِأُخْرَى اقْتِصاديَّةٍ وَتَنْتَهِي بسِياســـيَّةٍ وعَسْكريَّةٍ، فَأَصْحَابُ الكَفَاءَات هُم المِفْتَاحُ الوَحِيدُ لِحِلِّ العَدِيدِ مِنَ المُشْـــكِلَاتِ العَرَبِيَّةِ الاقْتِصَاديَّة والاجْتِمَاعِيَّة والتَّنْمويَّة وَالَّتِي لَمْ تَـــزَلْ تُؤَرِّقُ الحُكُومَات والمجتَمَعاتِ العَرَبِيَّة مُنْذُ عُقودٍ، فَمِنْ هَذَا كُلِّهِ يَتَّضِحُ وبِشْكلٍ جَلِيٍّ أَهَمِّيَّةُ إيلَاءِ الكَفَاءَاتِ الاهْتِمَامَ الكَافِيَ.

الفَصْل التَّاسِع

تمَكِينُ الشَّبَابِ

- مُقَدِّمَة
- **المَبْحَث الأَوَّل: مَفْهُومُ التَّمْكِينِ وأَهَمِّيَّتُه وأَبْعَادُهُ**
  - مَفْهُومُ التَّمْكِين
  - مَفْهُوم تمَكِينِ الشَّبَاب
  - اتِّجَاهَاتُ تمَكِينِ الشَّبَاب
  - التَّمْكِينُ إِسْتِرَاتِيجِيَّةٌ مُتَسَلْسِلَةٌ
- **المَبْحَث الثَّاني: أَبْعَادُ تمَكِين الشَّبَاب**
  - التَّمْكِينُ الاجْتِمَاعِيُّ
  - التَّمْكِينُ الاقْتِصَادِيُّ
  - التَّمْكِينُ السِّيَاسِيُّ
  - التَّمْكِينُ التِّكْنُولُوجِيُّ
  - التَّمْكِينُ العِلْمِيُّ
  - تمَكِينُ الشَّبَاب مَدْخَل إلى التَّنْمِيَة
- **المَبْحَث الثَّالث: أُسُسُ وركَائِزُ تمَكِين الشَّبَاب**
  - مُنْطَلَقَاتُ تمَكِين الشَّبَاب
  - تمَكِينُ الشَّبَابِ بين الدَّوْلَةِ والمُجْتَمَع
  - مُقْتَرَحَاتٌ لتَمْكِينِ الشَّبَاب

الفصل التَّاسع

تَمْكِينُ الشَّبَابِ

مُقَدِّمَة

ازْدَادَ في العُقُودِ القَلِيلَةِ السَّـــابِقَةِ الاهْتِمَامُ الدَّوْليّ والمَحَلِّيُّ بمَفْهُوم التَّمْكِين، وذلك على مُخْتَلِف المُسْتَويَات؛ الاقْتصاديَّة والاجْتماعيَّة والسِّياسيَّة والتَّرْبَويَّة، وبَدَأ يُنْظَرُ لهذا المَفْهُوم على أنَّهُ مَسَـــارٌ إلْزَاميٌّ لأَيِّ حَرَكَة نَهْضَويَّة حَقِيقيَّة، وفي وقْتِنَا الرَّاهِن تَزْدَادُ أَهَمِّيَّةُ هذا المَفْهُوم بشَـــكْلٍ مُضْطَرِدٍ كَنَتِيجَة للتَّغَيُّرَات المُتَسَـــارِعَة في مُخْتَلِف مَنَاحِي الحَيَاة، بحيث بَاتَتْ أيُّ سِيَاسَـــةٍ أو إسْتراتيجيَّة تَقْليديَّة تَسْتَهْدِفُ النُّهُوضَ بالمُجْتَمَـــع قاصِرَةً عن تَحْقيق أَهْدَافِهَا، وفي المُقَابِل أَثْبَتَتْ إسْـــتراتيجيَّاتُ التَّمْكِين نَجَاعَةً عَاليَةً في تَحْقيق قَفزَات نَوْعِيَّة على مُسْـــتَوى المُجْتَمَع كَكُلٍّ أو على مُسْـــتَوى شَرَائِحَ بعَيْنِهَا، فَبَاتَتْ مُصْطَلَحَاتُ التَّمْكِينِ مَأْلُوفَةً في مُخْتَلِف وسَائِل الإعْلَام نَاهِيكَ عن الدِّرَاسَات المُتَعَدِّدَة الَّتي اسْتَهْدَفَتْ التَّمْكِينَ بمُخْتَلِف أَبْعَاده، فَغَدَتْ أَبْحَاثُ تَمْكِين المَرْأَة والشَّـــبَاب والعَامِلِينَ في المُنَظَّمَات مُصْطَلَحَات مَأْلُوفَةً ومُكَرَّرَةً، وكُلُّ هذا يَدُلُّ على إيمَانِ واعْتِقَادِ الجَمِيع بضَرُورَةِ التَّمْكِين وحَتْمِيَّةِ اللُّجُوءِ إلَيْه.

وفِيـــمَا يَخُصُّ العَالَمَ العَرَبيَّ بشَـــكْلٍ عَامٍّ فَإنَّ الحَدِيثَ عـــن التَّمْكِين بَلَغَ ذُرْوَتَهُ في العَقْدَيْن السَّابِقِينَ، وخَاصَّةً في مَجَالَاتِ تَمْكِينِ الشَّبَاب والمَرْأَةِ والعَامِلِينَ في المُنَظَّمَات واللَّاجِئِينَ وغَيْرِهِم من الشَّرَائِح الاجْتِمَاعيَّة، وفي مُقَابِلِ هذا الاهْتِمَامِ المُتَزَايِدِ والشُّيُوع المُتَسَارِعِ لهذا المُصْطَلَح يُمْكِنُ مُلَاحَظَةُ -وبسُهُولَةٍ- ضَبَابِيَّة هذا المَفْهُوم، فبالرَّغْم من الاسْـــتِخْدَام الواسِـــع له إلَّا أنَّهُ ليس واضِحًا بما فيه الكِفَايَةُ وخَاصَّةً بالنِّسْبَةِ للْجِهَات المُسْتَهْدَفَة بِهِ، ومِمَّا يُدَلِّلُ على هذا الطَّرْحِ انْخِفَاضُ الأَثَرِ الَّذي يُفْتَرَضُ بالتَّمْكِين تَرْكُهُ على أَرْضِ الواقعِ، ففي العَالَم العَرَبيِّ قَلَّما نَجِدُ شَرَائحَ اسْـــتَفَادَتْ فَائِدَةً مَلْمُوسَةً من بَرَامِـــجِ التَّمْكِينِ، فَهذا القُصُورُ في التَّنْفيذِ يُمْكِنُ عَزْوُهُ إمَّا لِغَلَبَةِ الأُطُرِ النَّظَرِيَّة لهذا

المَفْهُومِ على نَظِيرَتِها العَمَلِيَّةِ والتَّطْبِيقِيَّةِ، بحيث تَبْقَى الدِّرَاسَاتُ العَدِيدَةُ الَّتِي اهْتَمَّتْ بالتَّمْكِينِ حَبِيسَــــةَ الرُّفُوفِ العِلْمِيَّةِ أو المَكْتَبَاتِ الأَكَادِيمِيَّةِ، أو لِقُصُورِ الفَهْمِ الحَقِيقِيِّ لهذا المَفْهُومِ وعَدَمِ إِدْرَاكِ الفَرْقِ الجَوْهَرِيِّ بَيْنَهُ وبَيْنَ السِّيَاسَــــاتِ والإِسْتِرَاتِيجِيَّاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ.

وفِيمَا يَخُصُّ الشَّبَابَ العَرَبِيَّ قد نَجِدُ وبِسُهُولَةٍ وبِبَحْثٍ بَسِيطٍ أَنَّ بَرَامِجَ التَّمْكِينِ الَّتِي اسْتَهْدَفَتْهُم ليســـت بالقَلِيلَةِ، وبِتَصَفُّحٍ سَرِيعٍ للشَّبَكَةِ العَنْكَبُوتِيَّةِ يُمْكِنُ إِيجَادُ عَشَرَاتِ المَقَالَاتِ الَّتِي تَتَنَاوَلُ هذا المَفْهُومَ بالتَّحْلِيلِ والدِّرَاسَةِ نَاهِيكَ عن الاقْتِرَاحَاتِ والأَفْكَارِ والمَشَارِيعِ الَّتِي تَهْدِفُ جَمِيعُها إلى تَعْزِيزِ التَّمْكِينِ لَدَى الشَّبَابِ العَرَبِيِّ، وبِنَظْرَةٍ أُخْرَى ولَكِنْ لِلْوَاقِعِ هَذِهِ المَرَّةَ، لَا نَجِدُ إِسْقَاطًا لِكُلِّ هَذِهِ الطُّرُوحَاتِ على أَرْضِ الواقِعِ، فَوَاقِعُ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ بَعِيدٌ كُلَّ البُعْدِ عن التَّمْكِينِ، فَأَيْنَ التَّمْكِينُ والشَّبَابُ مُقْصًى عن الحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ ومُبْعَدٌ عن عَجَلَةِ الإِنْتَاجِ ومَنْفِيٌّ عن قَضَايَا الأُمَّةِ، نَاهِيكَ عن مُعَدَّلَاتِ الفَقْرِ والبَطَالَةِ الَّتِي يُفْتَرَضُ بالتَّمْكِينِ أَنْ تَكُونَ تِرْيَاقًا لهذه الظَّواهِرِ، فلا يُمْكِنُ أَنْ يَجْتَمِعَ التَّمْكِــــينُ والفَقْرُ في آنٍ مَعًا، كما لا يَجُوزُ أَنْ يَقْتَرِنَ التَّمْكِينُ بِإِقْصَاءٍ سِــــيَاسِيٍّ، فهذا الواقِعُ يُثْبِتُ وبِشَــــكْلٍ قَطْعِيٍّ أَنَّ الشَّــــبَابَ العَرَبِيَّ لم يُسْتَهْدَفْ بِبَرَامِجِ تَمْكِينٍ إِلَّا في الأُطُرِ النَّظَرِيَّةِ.

وانْطِلَاقًا من أَهَمِّيَّةِ التَّمْكِينِ كَوَسِيلَةٍ فَعَّالَةٍ لِلنُّهُوضِ بواقِعِ الشَّبَابِ ومِن خَلْفِهِم الواقِعُ العَرَبِيُّ بِشَكْلٍ عَامٍّ سَنُفْرِدُ هذا الفَصْلَ لِدِرَاسَةِ مَفْهُومِ التَّمْكِينِ وأُسُسِهِ وأَبْعَادِهِ وطُرُقِ تَفْعِيلِهِ، مُسْــــتَنِدِينَ في ذلك على طُرُوحَاتٍ نَظَرِيَّــــةٍ مُدَعَّمَةٍ بِأَفْكَارٍ عَمَلِيَّةٍ، فلا مَجَالَ لِلتَّطْبِيقِ العَمَلِيِّ بِدُونِ أُطُرٍ نَظَرِيَّةٍ واضِحَةٍ، كما أَنَّ الاقْتِصَارَ على الطَّرْحِ النَّظَرِيِّ يُشَابِهُ الكَشْفَ على المَرِيضِ دُونَ إِعْطَائِهِ عِلَاجًا، لذلك سَنُولِي في هذا الفَصْلِ الجَانِبَ النَّظَرِيَّ والتَّطْبِيقِيَّ الأَهَمِّيَّةَ الكَافِيَةَ واللَّازِمَةَ، بحيث نُحَقِّقُ التَّوَازُنَ بين هذين الجَانِبَيْنِ.

المبحث الأَوَّل

مَفْهُومُ التَّمْكِينِ وَأَهَمِّيَّتُهُ وأَبْعَادُهُ

كما أَسْلَفْنَا في مُسْتَهَلِّ هذا الفصْلِ، ازْدَادَ الاهْتِمَامُ العَالَمِيُّ بِمَفْهُوم التَّمْكِين بِصُورَةٍ مُتَسَارِعَةٍ في العُقُودِ القَلِيلَةِ المَاضِيَةِ، لِيَغْدُوَ أَحَدَ أَهمِّ المَفَاهِيم السِّيَاسِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ في وقْتِنَا الرَّاهِنِ، وبالرَّغْمِ من الحَدَاثَةِ النِّسْبِيَّةِ لهذا المَفْهُوم، إلَّا أَنَّهُ شَهِدَ تَطوُّرَاتٍ مُتَسَارِعَةً على صَعِيدِ المَفْهُومِ العَامِّ وعلى صَعِيدِ المَفْهُومِ الإِجْرَائِيِّ وآليَّاتِ التَّطْبِيقِ، كما اتَّسَعَ نِطاقُ الشَّرَائِحِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي بَدَأَ يَطَالُها مَفْهُومُ التَّمْكِين، فَأَوَّلُ مَن اسْتُهْدِفَ بالتَّمْكِينِ العَامِلُونَ في المُنَظَّمَاتِ، وبَدَأَ نطاقُ الاسْتِهْدَافِ بالتَّوسُّعِ لِيَطَالَ مُخْتَلفَ الشَّرَائِحِ الاجْتِمَاعِيَّةِ؛ ويُعَدُّ التَّمْكِينُ بمَفْهُومِه العَامِّ انْقِلَابًا حَقِيقِيًّا على النَّظَرِيَّاتِ الكلاسِيكِيَّةِ الَّتِي سَادَتْ لِفَتَرَاتٍ طَوِيلَةٍ والَّتِي عُنِيَتْ بالتَّعامُلِ مع المَوارِدِ البَشَرِيَّةِ في المُجْتَمَعِ باخْتِلَافِ شَرَائِحِه، فغَالِبِيَّةُ النَّظَرِيَّاتِ الكلاسِيكِيَّةِ نَظرَتْ للإِنْسَانِ على أَنَّهُ مِحْوَرٌ للتَّجَارِبِ الإِنْسَانِيَّةِ فإِمَّا أَنْ تَنْجَحَ هذه التَّجَارِبُ وإِمَّا أَنْ تَفْشَلَ، وبذلك كانت المُجْتَمَعَاتُ الإِنْسَانِيَّةُ أَقْرَبُ للمُخْتَبَرَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، ولَكِنْ وفْقَ مَفْهُومِ التَّمْكِينِ فَإِنَّ النَّظْرَةَ للإِنْسَانِ تَخْتَلِفُ كُلِّيًّا، فهو ليس مِحْوَرًا للتَّجْرِبَةِ، بَلْ هو شَرِيكٌ في القَرَارِ والتَّنْفِيذِ.

ويُعْتَبَرُ التَّمْكِينُ من ثِمَارِ المَدْرَسَةِ السُّلُوكِيَّةِ في عِلْمِ النَّفْسِ، والَّتِي تَرَكَتْ تَأْثِيرَها على مُخْتَلِفِ جَوانِبِ الحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، بَدْءًا من المُنَظَّمَاتِ إلى المُؤَسَّسَاتِ الحُكُومِيَّةِ وليس انْتِهَاءً بِإِدَارَةِ المَوارِدِ البَشَرِيَّةِ سَوَاءٌ في المُنَظَّمَاتِ أو في المُجْتَمَعِ بِشَكْلٍ عَامٍّ، وبالرَّغْمِ من أَنَّ جُذُورَ التَّمْكِينِ الأُولَى تَعُودُ إلى عِشْرِينِيَّاتِ القَرْنِ المَاضِي مع بُرُوزِ المَدْرَسَةِ السُّلُوكِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ الظُّهُورَ الفِعْلِيَّ لهذا المَفْهُومِ بَدَأَ في ثَمَانِينِيَّاتِ القَرْنِ المَاضِي وتَعَزَّزَ في التِّسْعِينِيَّاتِ منه، وسَنَتَعَرَّفُ في سِيَاقِ هذا المَبْحَثِ على مَفْهُومِ التَّمْكِينِ وعلى مُسْتَوياتِهِ وأَبْعَادِهِ لِيَكُونَ تَوْضِيحُ هذا المَفْهُومِ مَدْخَلًا ومَعْبَرًا لِدِرَاسَةِ طُرُقِ تمَكِينِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ.

مَفْهُوم التَّمْكِين

تَتَشَعَّبُ التَّعْرِيفَاتُ المَنْحُوتَةُ للتَّمْكِينِ تَبَعًا لِتَشَعُّبِ المَجَالَاتِ الَّتِي دَخَلَهَا، فَمِنْهُم من عَرَّفَهُ انْطِلَاقًا من وُجْهَةِ نَظَرٍ إِدَارِيَّةٍ، وآخَرُونَ من وُجْهَةِ نَظَرٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ، أو سِيَاسِيَّةٍ واقْتِصَادِيَّةٍ، وبِغَضِّ النَّظَرِ عن هذا التَّشَعُّبِ، فَإِنَّ جَمِيعَ التَّعَارِيفِ تَدُورُ حَوْلَ نُقْطَةٍ مِحْوَرِيَّةٍ تَتَمَثَّلُ في أَنَّ التَّمْكِينَ يُشِيرُ بِشَكْلٍ أو بِآخَرَ إلى نَقْلِ السُّلْطَةِ أو الصَّلَاحِيَّاتِ من المُمَكِّنِ إلى المُمَكَّنِ لَهُمْ، وقَبْلَ الدُّخُولِ في التَّعَارِيفِ الإِجْرَائِيَّةِ لِمَفْهُومِ التَّمْكِينِ لا بُدَّ من المُرُورِ على مَفْهُومِهِ اللُّغَوِيِّ، كَوْنَ تَوْضِيحِ دَلَالَتِهِ اللُّغَوِيَّةِ سَتَقُودُ حُكْمًا إلى فَهْمٍ أَعْمَقَ وأَدَقَّ لِمَعْنَاهُ الاصْطِلَاحِيِّ.

يُعَدُّ مُصْطَلَحُ التَّمْكِينِ إِحْدَى التَّرْجَمَاتِ الشَّائِعَةِ للمُصْطَلَحِ الإِنْكِلِيزِيِّ "Empowerment"، والتَّمْكِينُ في اللُّغَةِ مُشْتَقٌّ من المَصْدَرِ مَكَّنَ، ويُشِيرُ إلى السَّعْيِ لِلْمُمَكَّنِ من النَّجَاحِ(1)، ووفْقًا لِلْقَامُوسِ الإِنْكِلِيزِيِّ "Webster" فَإِنَّ الفِعْلَ "Empower" يُشِيرُ إلى إِعْطَاءِ القُوَّةِ القَانُونِيَّةِ أو السُّلْطَةِ الرَّسْمِيَّةِ، أَمَّا اللَّاحِقَةُ "Ment" فهي تَعْزِيزٌ لِمَفْهُومِ القُوَّةِ (2)، ويُمَثِّلُ الفِعْلُ "Power" الدَّلَالَةَ الحَقِيقِيَّةَ لِمعنى هذا المُصْطَلَحِ والَّذِي يُقْصَدُ بِهِ القُوَّةُ. وانْطِلَاقًا من هذه المَعَانِي اللُّغَوِيَّةِ يُمْكِنُ القَوْلُ بِأَنَّ التَّمْكِينَ يُشِيرُ لُغَوِيًّا إلى مَنْحِ المُمَكِّنِ المُمَكَّنَ لَهُم السُّلْطَةَ الكَافِيَةَ لِتَعْزِيزِ إِمْكَانِيَّاتِهِم وإِتَاحَةِ الفُرْصَةِ أَمَامَهُم لِلْمُشَارَكَةِ الفِعْلِيَّةِ، وفيما يَخُصُّ المعنى الاصْطِلَاحِيِّ لهذا المَفْهُومِ فَإِنَّهُ -وكما أَسْلَفْنَا- من الصُّعُوبَةِ بِمَكَانٍ حَصْرُ المَفَاهِيمِ المُرْتَبِطَةِ بالتَّمْكِينِ، ولَكِنَّنَا -وفيما يَأْتِي- سَنُحَاوِلُ إِيرَادُ أَبْرَزِ هذه المَفَاهِيمِ وأَكْثَرِهَا اتِّصَالًا بِمِحْوَرِ دِرَاسَتِنَا والمُتَمَثِّلَةِ بِتَمْكِينِ الشَّبَابِ، فَقَد عَرَّفَ البَعْضُ التَّمْكِينَ على أَنَّهُ عَمَلِيَّةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ مَرْكَبَةٌ تُعْنَى بِإِيجَادِ الخِبْرَاتِ والإِمْكَانَاتِ المَادِّيَّةِ والفَنِّيَّةِ إلى جَانِبِ خَلْقِ تَصَوُّرَاتٍ ذَاتِيَّةٍ تَنْطَوِي على الثِّقَةِ والشَّجَاعَةِ واتِّخَاذِ القَرَارِ

1. معنى تَمْكِين، **مُعْجَم المَعَانِي الجَامِع**، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/LTZ5n
2. معنى مُصْطَلَح Empowerment، **قاموس Merriam – Webster**، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/UZYuu

والــرَّأْيِ الصَّائِبِ(1)، كما عُرِّفَ هذا المَفْهُومُ على أَنَّهُ عَمَلِيَّةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ وإِدَارِيَّةٌ تَهْدِفُ إلى تَدْعِيمِ اعْتِقَادَاتِ الفَرْدِ بِقُدُرَاتِه الذَّاتِيَّةِ، ويَتِمُّ بِمُوجِبِها مَنْحُهُم السُّــلْطَةَ والحُرِّيَّةَ والثِّقَةَ وصَلَاحِيَّةَ اتِّخَاذِ القَرَارَاتِ الَّتِي تُسَــاعِدُهُم على اكْتِسَابِ المَهَارَاتِ واسْتِخْدَامِ القُوَّةِ الذَّاتِيَّةِ لِإِحْدَاثِ التَّغْيِيرِ في مُجْتَمَعَاتِهِم(2).

فمن هذه التَّعْرِيفَاتِ السَّابِقَةِ يُمْكِنُ القَوْلُ بِأَنَّ التَّمْكِينَ هو مَفْهُومٌ اجْتِمَاعِيٌّ وإِدَارِيٌّ مُتَعَدِّدُ الأَبْعَادِ، يَهْدِفُ إلى زِيَادَةِ فَاعِلِيَّةِ البَرَامِجِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ والسِّيَاســِيَّةِ من خِلَالِ إِتَاحَةِ الفُرْصَةِ أَمَامَ الشَّرَائِحِ الاجْتِمَاعِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ لِلْمُشَارَكَةِ في اتِّخَاذِ القَرَارَاتِ وتَنْفِيذِهَا، بِمَا يَضْمَنُ تَحْقِيقَ أَعْلَى مُسْتَوًى مُمْكِنٍ من النَّفْعِ الاقْتِصَادِيِّ والاجْتِمَاعِيِّ والسِّيَاسِيِّ، وكُلُّ ذلك من خِلَالِ إِدْرَاكِ الفَرْدِ بِأَنَّهُ يَتَحَكَّمُ بِمَسَــارِ حَيَاتِهِ، ويَتَعَامَلُ مع أَحْدَاثِ بِيئَتِهِ بِشَــكْلٍ إِيجَابِيٍّ، كما يَتَفَاعَلُ مع هذه الأَحْدَاثِ كَمُتَحَكِّمٍ بها وليست مَفْرُوضَةً عَلَيْهِ أو مُقَدَّرَةً.

مَفْهُومُ تَمْكِينِ الشَّبَاب

أَشَرْنَا في سِيَاقِ هذا المَبْحَثِ إلى أَنَّهُ عَادَةً ما يُشَارُ لِلتَّمْكِينِ كَمَفْهُومٍ عَامٍّ، إِلَّا أَنَّهُ يَخْتَصُّ أَيْضًا بِشَرَائِحَ اجْتِمَاعِيَّةٍ وفِئَاتٍ إِدَارِيَّةٍ بِعَيْنِهَا، فغَدَا من المَأْلُوفِ انْتِشَارُ مَفَاهِيمِ التَّمْكِينِ في كُلِّ مَنَاحِي الحَيَاةِ، كَتَمْكِــينِ المَرْأَةِ، وتَمْكِينِ العَامِلِينَ في المُنَظَّمَاتِ، وغَيْرِهِم من الفِئَاتِ، ولَعَلَّ تَمْكِينَ الشَّــبَابِ من المَفَاهِيــمِ الَّتِي بَدَأَتْ تَلْقَى رَوَاجًا وقَبُولًا عَامًّا على مُسْتَوَى العَالَمِ وخَاصَّةً مع بِدَايَةِ القَرْنِ الحَالِيِّ، ومِمَّا عَزَّزَ هذا التَّوَجُّهَ الإِيمَانُ المُتَزَايِدُ بِأَهَمِّيَّةِ الدَّوْرِ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَلْعَبَهُ هؤلاء الشَّبَابُ إِضَافَةً إلى الآثَارِ السَّلْبِيَّةِ الَّتِي سَتَطَالُ الجَمِيعَ في حَالِ تَغْيِيبِ دَوْرِ الشَّبَابِ أو إِقْصَائِهِم اجْتِمَاعِيًّا واقْتِصَادِيًّا وسِيَاسِيًّا.

1. رزيج، فهيمة كريم. "**تَمْكِينُ الشَّبَابِ الفُرَصُ والتَّحَدِّيات**". جَامِعَة بَغْدَاد، كُلِّيَّة الآدَاب، قِسْم عِلْم الاجْتِمَاع، 2018م، ص11، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/iixpA
2. البريدي، عبدالله بن عبدالرحمن & نورة بنت محمد الرشــيد. "**مُسْــتَوِيَاتُ ومُعَوِّقَاتُ التَّمْكِين**". دَوْرِيَّة **الإِدَارَة العَامَّــة**، المُجَلَّد الثَّانِي والخَمْسُــون، العَــدَدُ الثَّانِي، مَــارِس 2012م، ص167، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/wWD6m

وفيمَا يَخُصُّ مَفْهُومَ تمَكِينِ الشَّبَاب فَإِنَّهُ يَتَقَاطَعُ وبدَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ مع مَدْلُولِ مَفْهُومِ التَّمْكِينِ في إِطَارِهِ العَامِّ، ويَسْتَمِدُّ مِنْهُ دَلَالَتَهُ ومَعْنَاهُ، إلَّا أَنَّهُ قد يَفْتَرِقُ عَنْهُ في التَّدَابِيرِ الإِجْرَائِيَّةِ الَّتِي تَسْعَى لِتَطْبِيقِه.

وزِيَادَةً في الوُضُوحِ وتَعْمِيقًا لِلْفَهْمِ سَنُورِدُ بَعْضَ التَّعْرِيفَاتِ الَّتِي اخْتَصَّتْ بِمَفْهُومِ التَّمْكِينِ المُوجَّهِ للشَّبَاب، فقد عَرَّفَهُ البَعْضُ على أَنَّهُ التَّحَكُّمُ في شُرُوطِ الحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، الاقْتِصَادِيَّةِ، السِّيَاسِيَّةِ والثَّقَافِيَّةِ والَّتِي من شَأْنِها أَنْ تُسَاهِمَ في مُضَاعَفَةِ قُدُرَاتِ الشَّبَابِ على تَحْقِيقِ ذَوَاتِهِم، كما يَشْمَلُ التَّمْكِينُ عَمَلِيَّةَ تَوْعِيَةِ الشَّبَابِ بهذه الظُّرُوف وبطَبِيعَةِ حُقُوقِهِم وتَنْمِيَةِ الشُّعُور بالمِلْكِيَّةِ والقِيَادَةِ للأَعْمَالِ التَّنْمَوِيَّةِ الَّتِي تَمَسُّ الشَّبَابَ والمُجْتَمَعَ، وبِمَا يَجْعَلُها أَكْثَرَ اسْتِجَابَةً وتَلَاؤُمًا مع احْتِيَاجَاتِ ومَصَالِحِ الشَّبَابِ(1)، فَتَمْكِينُ الشَّبَابِ يَرْتَبِطُ ارْتِبَاطًا وثِيقًا بإِطْلَاقِ الحُرِّيَّةِ في العَمَلِ والتَّفْكِيرِ واتِّخَاذِ القَرَار.

وهُنَا تَجْدُرُ الإِشَارَةُ إلى أَنَّ مَفْهُومَ تمَكِينِ الشَّبَابِ ليس مَفْهُومًا مُسْتَقِلًّا، فهو يَرْتَبِطُ بمَفَاهِيمَ أُخْرَى، غَالِبًا مَا يَقْتَرِنُ تَطْبِيقُهُ بتَطْبِيقِ هذه المَفَاهِيم، إلَّا أَنَّهُ قد يَحْدُثُ بَعْضُ الخَلْطِ بين التَّمْكِينِ وبين هذه المَفَاهِيم، وقد يَصِلُ هذا الخَلْطُ لِدَرَجَةِ عَدَمِ القُدْرَةِ على التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمْ، وهذا الأَمْرُ يُشَكِّلُ عَقَبَةً حَقِيقِيَّةً في وجْهِ التَّطْبِيقِ الفَعَّالِ للتَّمْكِينِ، فَالتَّطْبِيقُ الفَعَّالُ يَنْطَلِقُ من وُضُوحِ الرُّؤَى النَّظَرِيَّةِ، وبِقَدْرِ مَا يكُونُ التَّطْبِيقُ مُنْسَجِمًا ومُتَنَاغِمًا مع هذه الرُّؤَى بِقَدْرِ مَا تَكُونُ النَّتَائِجُ مَرْضِيَّةً، ومن أَهَمِّ المَفَاهِيمِ الَّتِي تَرْتَبِطُ بالتَّمْكِين:

- **التَّفْوِيض:**

ولَعَلَّ هذا المُصْطَلَحَ ذُو جُذُورٍ إِدَارِيَّةٍ أَكْثَرَ منه اجْتِمَاعِيَّة، إلَّا أَنَّهُ بالإِمْكَانِ إِسْقَاطُهُ اجْتِمَاعِيًّا -لَا سِيَّمَا- على شَرِيحَةِ الشَّبَابِ، ويُقْصَدُ بالتَّفْوِيضِ نَقْلُ مَجْمُوعَةٍ من

1. فتيان، رشا رأفت. "نَحْوَ أَجِنْدَة جديدة لتَمْكِين الشَّبَاب". جَامِعَة الدُّوَل العَرَبِيَّة، بدَعْمٍ من صُنْدُوق الأُمَم المُتَّحِدَة للسُّكان، 2018م، ص2، مُتاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/4bqyY

الصَّلَاحِيَّاتِ والمَسْـــؤُولِيَّاتِ للشَّبَابِ، فَعلى سَـــبِيلِ المِثَالِ، إنَّ إحْدَاثَ وِزَارَةٍ خَاصَّةٍ بالشَّـــبَابِ دُونَ أَنْ يكُونَ القَرَارُ في هذه الوِزَارَةِ من صَلَاحِيَّاتِ فِئَاتٍ شَـــابَّةٍ لَنْ يكُونَ ذَا فَائِدَةٍ، فوُجُودُ هذه الوِزَارَةِ شَكْلٌ من أَشْكَالِ التَّفْوِيضِ في حَالِ تَنْفِيذِها بِشَكْلٍ صَحِيحٍ.

والتَّفْوِيـــضُ يَتَعَلَّقُ بِقِطَاعٍ مُحَـــدَّدٍ، تَمْنَحُ الجِهَةُ المُفَوِّضَةُ -بِنَـــاءً عليه- صَلَاحِيَّةَ التَّصَرُّفِ للْجِهَةِ المُفَوَّضَةِ في قَضَايَا مُحَدَّدَةٍ، بينما التَّمْكِينُ لَا يَتَعَلَّقُ بقَضِيَّةٍ بِعَيْنِها ولا بِجَانِبٍ مُحَدَّدٍ، وإنَّمَا يَرْتَبِطُ بمُخْتَلِفِ جَوانِبِ الحَيَاةِ، فعلى سَـــبِيلِ المِثَالِ يَعْتَمِدُ النِّظَامُ التَّعْلِيمِيُّ في فِنْلَنْدَا على تَفْوِيضِ المُدَرِّسِـــينَ خِلَالَ عَمَلِيَّةِ التَّدْرِيسِ لِنَاحِيَةِ عَدَمِ الالتِزَامِ الصَّارِمِ بالمَنَاهِجِ المَدْرَسِـــيَّةِ المُوَجَّهَةِ للطَّلَبَةِ وخَاصَّةً لِطَلَبَةِ المَرَاحِلِ الثَّانَوِيَّـــةِ، فَالتَّفْوِيضُ هُنَا مَنْحُ حُرِّيَّةٍ للْمُعَلِّمِينَ في تَعَامُلِهِم العِلْمِيِّ والتَّرْبَوِيِّ مع الشَّبَابِ، وبالتَّأْكِيدِ فَالتَّفْوِيضُ هنا يَشْمَلُ المُحْتَوى العِلْمِيَّ ولَا يَشْمَلُ بَاقِيَ المَجَالَاتِ التَّرْبَوِيَّـــةِ، والَّتِي قد يَطَالُها التَّفْوِيضُ أَيْضًا، ولَكِنْ كُلُّ تَفْوِيضٍ يُفْتَرَضُ أَنْ يَكُونَ مُسْـــتَقِلًّا عن الآخَرِ، فَالتَّفْوِيضُ العِلْمِيُّ غَيْرُ التَّرْبَوِيِّ غَيْرُ السُّلُوكِيِّ، وكُلُّ تَفْوِيضٍ يُمَثِّلُ عَقْدًا بين المُفَوِّضِ والمُفَوَّضِ إِلَيْهِ(1).

فَالتَّفْوِيـــضُ هِبَةٌ من المُفَوِّضِ إلى المُفَوَّضِ إِلَيْهِ، ولا يُمْكِنُ النَّظَرُ إِلَيْهِ على أَنَّهُ حَقٌّ لِلْمُفَوَّضِ إِلَيْـــهِ، فَتَفْوِيضُ الصَّلَاحِيَّاتِ إلى بَعْضِ العَامِلِينَ في المُنَظَّمَاتِ لَا يُعْتَبَرُ حَقًّا من حُقُوقِهِمْ، كما أَنَّهُ لا يُشْـــتَرَطُ بِهِ أَنْ يَشْـــمَلَ جَمِيعَ العَامِلِينَ، وهذا المِعْيَارُ يُمْكِنُ سَـــحْبُهُ على التَّفْوِيضِ الاجْتِمَاعِيِّ للشَّـــبَابِ، بَيْنَمَا التَّمْكِينُ يُعْتَبَرُ حَقًّا من حُقُوقِ الشَّـــبَابِ وغَيْرِهِم من الفِئَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، ولا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَفَاوِتًا في مُسْتَوى التَّطْبِيقِ بين الأَفْرَادِ.

1. ســالبيرج، باسي. "**سِرُّ النَّجَاح في فنلندا، إعْدَادُ المُعَلِّمِينَ**". مَرْكَزُ البَيَانِ للدِّرَاسَات والتَّخْطِيطِ، 2016م، ص9، مُتاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/66pdg

- **المُشَارَكَةُ:**

ويَقْصِدُ بِها إِتَاحَةُ الفُرْصَةِ للشَّبَاب للْمُشَارَكَةِ في عَمَلِيَّاتِ اتِّخَاذِ القَرَارِ على مُخْتَلَفِ الصُّعُد، اقْتِصَاديًّا واجْتِمَاعيًّا وسِيَاسِيًّا، وبالتَّأْكِيدِ فَإِنَّهُ من الاسْتِحَالَةَ إِتَاحَةُ الفُرْصَةِ للْجَمِيعِ للْمُشَارَكَةِ في هذه العَمَلِيَّةِ؛ لِذَا غَالبًا مَا تَتِمُّ هذه المُشَارَكَةُ من قِبَلِ فِئَاتٍ شَابَّةٍ تُمَثِّلُ شَرِيحَةَ الشَّبَاب بالكَامِلِ.

والمُشَارَكَةُ قد لَا تَكُونُ مُشَارَكَةً دَائِمَةً على عَكْسِ التَّمْكِينِ، والمُشَارَكَةُ تَرْتَبِطُ بطَبِيعَةِ المَهَامِّ أو الأَنْشِطَةِ المُرَادِ المُشَارَكَةُ بِهَا، بينما التَّمْكِينُ حَالَةٌ دَائِمَةٌ ولَا يَرْتَبِطُ بأَحْدَاثٍ أو أَنْشِطَةٍ بِعَيْنِها لِتُظْهِر فَاعِلِيَّتَهُ، فهو حَالَةٌ دَائِمَةٌ، فَالتَّمْكِينُ حَالَةٌ أَعَمُّ وأَشْمَلُ من المُشَارَكَةِ، وهُنَا لَا يُقْصَدُ التَّقْلِيلُ من شَأْنِ المُشَارَكَةِ وأَهَمِّيَّتِهَا، فبالرَّغْمِ من تَفَوُّقِ التَّمْكِينِ على المُشَارَكَةِ لِنَاحِيَةِ الأَثَرِ والعُمْقِ، إِلَّا أَنَّ المُشَارَكَةَ مَدْخَلٌ هَامٌّ من مَدَاخِلِ التَّمْكِينِ، والعَدِيدُ من الدُّولِ المُتَقَدِّمَةِ وعَتْ أَهَمِّيَّةَ المُشَارَكَةِ في تَهْيِئَةِ البِيئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ لِتَكُونَ جَاهِزَةً لِتَطْبِيقِ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ، فَالبَرَامِجُ والأَنْشِطَةُ العَالَمِيَّةُ الَّتِي تَسْتَهْدِفُ تَعْزِيزَ مُشَارَكَةِ الشَّبَابِ في تَزَايُدٍ مُسْتَمِرٍّ لَا سِيَّمَا في دُوَلِ العَالَمِ المُتَقَدِّمِ، ومِنْهَا على سَبِيلِ المِثَالِ مُؤَسَّسَةُ الشَّبَابِ الأُسْتُرَالِيِّ، وتَهْتَمُّ هذه المُؤَسَّسَةُ بتَعْزِيزِ مُشَارَكَةِ الشَّبَابِ في قَضَايَا الحَيَاةِ العَامَّةِ، وهي تَلْقَى دَعْمًا من الحُكُومَةِ الأُسْتُرَالِيَّةِ، وتُوجِّهُ هذه المُؤَسَّسَةُ مُعْظَمَ جُهُودِها للشَّبَابِ الأَكْثَرِ ضَعْفًا في المُجْتَمَعِ، والَّذِينَ لَا يَتَوفَّرُ لَهُم دَائِمًا فُرْصَةُ المُشَارَكَةِ في الحَيَاةِ العَامَّةِ، خَاصَّةً في الجَانِبِ السِّيَاسِيِّ وتُنَظِّمُ هذه المُؤَسَّسَةُ قِمَّةً سَنَوِيَّةً تحت عُنْوانِ "قِمَّةُ الشَّبَابِ الأُسْتُرَالِيِّ"، والهَدَفُ مِنْها تَعْزِيزُ مُشَارَكَةِ الشَّبَابِ في الأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ في أُسْتُرَاليَا(1).

- **الثِّقَةُ:**

فَالتَّمْكِينُ الفَعَّالُ غَالبًا مَا يَقُودُ الفِئَاتِ المُمَكَّنِ لها إلى الثِّقَةِ بِنَفْسِهَا، وبِقُدُرَاتِها الذَّاتِيَّةِ، وتُعَدُّ الثِّقَةُ قَرِينًا واجِبًا للتَّمْكِينِ، فَكُلَّمَا كانت الثِّقَةُ مَوْجُودَةً كُلَّمَا كَانَ

1. موقع مؤسسة الشباب الأستراليين. مُتاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/VaFE9

التَّمْكِينُ أَكْثَرَ فَاعِلِيَّةٍ، والثِّقَةُ هُنَا هي الثِّقَةُ الحَقِيقِيَّةُ النَّاتِجَةُ عن تَوافُرِ إِمْكَانِيَّاتٍ فِعْلِيَّةٍ مَلْمُوسَــةٍ، فَفِي حَالِ عَدَمِ وُجُودِ هذه الإِمْكَانِيَّاتِ تَكُونُ ثِقَةً وهْمِيَّةً وبالتَّالِي سَيَكُونُ التَّمْكِينُ عَدِيمَ الجَدْوى، وقد يَقُودُ لِنَتَائِجَ عَكْسِيَّةٍ.

وقـــد لَا تَتَوافَرُ الثِّقَةُ قَبْلَ تَطْبِيقِ التَّمْكِينِ، وهُنَا يُعْتَبَرُ التَّمْكِينُ مُوَلِّدًا فَعَّالًا للثِّقَةِ، خَاصَّةً أَنَّهُ يَقْتَرِنُ بِاكْتِسَابِ مَعَارِفَ وخِبْرَاتٍ عَمَلِيَّةٍ ونَظَرِيَّةٍ والَّتِي من شَأْنِها تَعْزِيزُ ثِقَةِ الشَّبَابِ بِأَنْفُسِهِمْ، وبالرَّغْمِ من بَدِيهِيَّةِ الحَدِيثِ عن الثِّقَةِ بالنَّفْسِ إِلَّا أَنَّ بِنَاءَها ليس بالسَّـــهْلِ، فهي عَمَلِيَّةٌ لَا تَظْهَرُ نَتَائِجُها بِشَـــكْلٍ مُبَاشِرٍ؛ ويُعْتَبَرُ غِيَابُ الثِّقَةِ بالنَّفْسِ لَدَى الشَّـــبَابِ عَقَبَةً حَقِيقِيَّةً أمام مُشَارَكَتِهِم في الحَيَاةِ العَامَّةِ، لَا سِيَّمَا إِذَا اقْتَرَنَ غِيَابُ الثِّقَةِ بالتَّهْمِيشِ السِّيَاسِيِّ والاجْتِمَاعِيِّ والفَقْرِ، ويَزْدَادُ الاهْتِمَامُ العَالَمِـــيُّ بِقَضِيَّةِ بِنَاءِ الثِّقَةِ لَدَى الشَّـــبَابِ على الصَّعِيـــدِ الحُكُومِيِّ وعلى صَعِيدِ مُنَظَّمَاتِ المُجْتَمَعِ المَدَنِيِّ، أو بالشَّرَاكَةِ بين هذين القِطَاعَيْنِ، ومن أَشْهَرِ البَرَامِجِ الهَادِفَةِ لِتَعْزِيزِ واقِعِ الشَّـــبَابِ وتَنْمِيَةِ ثِقَتِهِ بِنَفْسِـــهِ بَرْنَامَجُ الشَّرَاكَةِ الدَّانمارْكِيَّةِ الشَّرْقِ أَوْسَطِيَّةِ، والَّذِي تَأَسَّسَ في مُنْتَصَفِ تِسْعِينِيَّاتِ القَرْنِ المَاضِي، وبالرَّغْمِ من كَوْنِهِ بَرْنَامَجًا مُسْـــتَقِلًّا إِلَّا أَنَّهُ يَحْظَى بِدَعْمِ وِزَارَةِ الخَارِجِيَّةِ الدَّانمارْكِيَّةِ، ويَسْعَى هـــذا البَرْنَامَجُ لِتَحْقِيقِ عِدَّةِ أَهْدَافٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ على صَعِيدِ الشَّـــبَابِ، مِنْها تَعْزِيزُ إِدْرَاكِ الشَّـــبَابِ لِقُدُرَاتِهِ الذَّاتِيَّةِ والعَمَلُ على صَقْلِ وتَنْمِيَةِ هذه القُدُرَاتِ، ويَعْتَمِدُ هذا البَرْنَامَجِ على تِقْنِيَّاتِ التَّعَلُّمِ الذَّاتِيِّ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ(1).

إِنَّ المَفَاهِيمَ الثَّلَاثَةَ السَّـــابِقَةَ تَتَّصِلُ اتِّصَالًا عُضْوِيًّا بِمَفْهُومِ التَّمْكِينِ، فَغَالِبًا مَا يَرْتَبِطُ تَطْبِيـــقَ التَّمْكِينِ بِتَطْبِيقِ هذه المَفَاهِيمِ، فمن الصُّعُوبَةِ بِمَكَانٍ تَطْبِيقُ التَّمْكِينِ في ظِلِّ غِيَابٍ للتَّفْوِيضِ أو للمُشَـــارَكَةِ أو للثِّقَةِ، إِلَّا أَنَّـــهُ يَجِبُ الانْتِبَاهُ إلى أَنَّ التَّمْكِينَ يَخْتَلِفُ اخْتِلَافًـــا تَامًّا عن هذه المَفَاهِيمِ، فبالرَّغْمِ مـــن اقْتِرَانِهِم من حيث التَّنْفِيذُ إِلَّا أَنَّ كُلَّ

1. "بَرْنَامَجُ الشَّرَاكَةِ الدَّانمارْكِيَّةِ الشَّرْقِ أَوْسَـطِيَّة". أخبار مبادرة ActionAid للمنطقة العربية، مُتاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/zigCL

مَفْهُوم يُشِيرُ إلى مَفْهُومٍ اجْتِمَاعِيٍّ مُسْتَقِلٍّ، فَالخَلْطُ بَيْنَ هذه المَفَاهِيم من شَأْنِه عَرْقَلَةُ تَطْبِيقِ التَّمْكِين، فقد يُظَنُّ في بَعْضِ الحَالَاتِ أَنَّ مَنْحَ جُمْلَةٍ من الصَّلَاحِيَّاتِ للشَّــبَاب في إِطَــارِ عَمَلِيَّةِ التَّفْوِيضِ الاجْتِمَاعِيِّ أَنَّهُ تَمَّ إِنْجَازُ مَرْحَلَةٍ هَامَّةٍ من التَّمْكِينِ، وهذا الاعْتِقَادُ خَاطِئٌ بالمُجْمَلِ، فَالتَّمْكِينُ وكما أَسْــلَفْنَا يَقْتَرِنُ بالتَّفْوِيضِ لَكِنَّهُ يَخْتَلِفُ عَنْهُ، ولَعَلَّ الاخْتِلَافَ الرَّئِيسَ بين التَّمْكِينِ وبين المَفَاهِيمِ الثَّلَاثَةِ السَّــابِقَةِ أَنَّ هذه المَفَاهِيمَ تُشِيرُ إلى شَكْلِ عَلَاقَةِ شَرِيحَةِ الشَّبَابِ بِبَاقِي الشَّرَائِحِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، بينما التَّمْكِينُ يَتَعَلَّقُ بِجُذُورِ هذه العَلَاقَةِ، فَالتَّمْكِينُ عَمَلِيَّةٌ تَسْتَهْدِفُ الجُذُورَ الاجْتِمَاعِيَّةَ لِلْمُجْتَمَعِ، ويَنْعَكِسُ هذا التَّطْبِيقُ على الجُذُورِ على شَكْلِ العَلَاقَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، فإذا جَازَ التَّعْبِيرُ يُمْكِنُ وصْفُ البِيئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ بِشَــجَرَةٍ، فكُلَّمَا حَسُنَتْ جُذُورُها كُلَّمَا زَادَتْ نَضَارَةُ أَوْرَاقِها وأَيْنَعَتْ ثِمَارُهَا، فَالتَّمْكِينُ هو تَحْسِــينٌ لهذه الجُذُورِ، بينما المَفَاهِيمُ الثَّلَاثَةُ السَّابِقَةُ هي في خِدْمَةِ الأَجْزَاءِ المَرْئِيَّةِ من هذه الشَّــجَرَةِ والمُتَمَثِّلَةِ بالأَوْرَاقِ والأَغْصَانِ، وكُلَّمَا اقْتَرَنَتْ خِدْمَةُ الجُذُورِ بِخِدْمَةِ الأَوْرَاقِ كُلَّمَا زَادَتْ المَنْفَعَةُ.

اتِّجَاهَاتُ تمَكِين الشَّبَاب

تَخْتَلِفُ الاتِّجَاهَاتُ المُتَّبَعَةُ في تَمْكِينِ الشَّــبَابِ بِاخْتِلَافِ المَدَارِسِ الاجْتِمَاعِيَّةِ المُهْتَمَّةِ بالتَّمْكِــينِ، وعلى الرَّغْمِ من تَعَدُّدِ هذه الاتِّجَاهَاتِ فَإِنَّهُ من الصُّعُوبَةِ بِمَكَانِ الادِّعَاءُ بِأَنْ يُمْكِنَ تَطْبِيقُ أَحَدِ هذه المَدَارِسِ بِمَعْزِلٍ عن المَدَارِسِ الأُخْرَى، فَغَالِبًا مَا يَتِمُّ تَطْبِيقُ مَزِيجٍ من هذه المَدَارِسِ، ويُمْكِنُ القَوْلُ بِأَنَّهُ وبِقَدْرِ ما يَكُونُ هذا المَزِيجُ مُتَجَانِسًا بِقَدْرِ مَا يُمْكِنُ الوُصُولُ لِتَطْبِيقٍ أَكْثَرَ فَاعِلِيَّةً وأَعْلَى مَرْدُودِيَّةً اجْتِمَاعِيَّةً، وفِيمَا يَلِي سَــنُبَيِّنُ هذه المَدَارِس:

- **المَدْرَسَةُ المِثَالِيَّة:**

تَنْطَلِقُ هذه المَدْرَسَــةُ من أَنَّ مَشَاكِلَ الشَّبَابِ لَا يُمْكِنُ فَصْلُها عن مَشَاكِلِ المُجْتَمَعِ المُحِيطِ، ومن هذا المُنْطَلَقِ تَرَى هذه المَدْرَسَــةُ أَنَّ تَمْكِينَ الشَّبَابِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَرَى النُّــورَ إِلَّا من خِلَالِ التَّمْكِينِ العَامِّ لِلْمُجْتَمَعِ، وتَرَى هذه المَدْرَسَــةُ أَنَّ انْخِفَاضَ

مُسْتَوى التَّمْكِينِ المَمْنُوحِ للشَّبَابِ ليس إلَّا عَرَضٌ للْمُشْكِلَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، بينما السَّبَبُ الحَقِيقِيُّ هو تَرَاجُعُ المُؤَسَّسَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ والقَانُونِيَّةِ(1)، وبالتَّالي فَإِنَّ حَلَّ مُشْكِلَةِ غِيَابِ التَّمْكِينِ لَا يُمْكِنُ البَدْءُ بِهِ قَبْلَ إِصْلَاحِ هذه المُؤَسَّسَاتِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ في ظِلِّ الفَسَادِ الإِدَارِيِّ والاجْتِمَاعِيِّ والسِّيَاسِيِّ والأَخْلَاقِيِّ فَإِنَّهُ من غَيْرِ المُجْدِي التَّفْكِيرِ بِتَطْبِيقِ التَّمْكِينِ، وأَنَّهُ من غَيْرِ المُمْكِنِ الحَدِيثُ عن تَمْكِينِ الشَّبَابِ في حَالِ كان المُجْتَمَعُ بِكَامِلِهِ يُعَانِي من انْخِفَاضِ مُسْتَوى التَّمْكِينِ، وبالتَّالي فَإِنَّ تَمْكِينَ الشَّبَابِ يَعْتَبَرُ نَتِيجَةً مَنْطِقِيَّةً لِتَمْكِينِ المُجْتَمَعِ بالكَامِلِ.

- **المَدْرَسَةُ النَّفْعِيَّةُ:**

وتَرَى هذه المَدْرَسَةُ أَنَّ هُنَاكَ فَصْلٌ واضِحُ المَعَالِمِ بين مُشْكِلَاتِ الشَّبَابِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وبين مُشْكِلَاتِ المُجْتَمَعِ، وبذلك تَكُونُ السِّيَاسَاتُ المُوجَّهَةُ للشَّبَابِ تَخْتَلِفُ عن تلك المُوجَّهَةِ لِلْمُجْتَمَعِ بِشَكْلٍ عَامٍّ، وتَرَى هذه المَدْرَسَةُ أَنَّ المُؤَشِّرَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةَ العَامَّةَ كَمُسْتَوى الفَسَادِ والشَّفَافِيَّةِ والدِّيمُقْرَاطِيَّةِ لا تُشَكِّلُ عَائِقًا أَمَامَ تَمْكِينِ الشَّبَابِ، بِمَعْنَى أَنَّ قَضِيَّةَ تَمْكِينِ الشَّبَابِ هي قَضِيَّةٌ مُنْفَصِلَةٌ عن بَاقِي القَضَايَا الاجْتِمَاعِيَّةِ، وتَصْطَدِمُ هذه المَدْرَسَةُ بِعَقَبَاتٍ عِدَّةٍ عِنْدَ الانْطِلَاقِ من الإِطَارِ النَّظَرِيِّ إلى الإِجْرَائِيِّ، فَعلى سَبِيلِ المِثَالِ يُعْتَبَرُ تَمْكِينُ الشَّبَابِ اقْتِصَادِيًّا بَالِغَ الصُّعُوبَةِ في ظِلِّ بِيئَةٍ اقْتِصَادِيَّةٍ فَاسِدَةٍ، خَاصَّةً أَنَّ التَّمْكِينَ الاقْتِصَادِيَّ يَتَطَلَّبُ إِصْلَاحَاتٍ تَطَالُ آلِيَّةَ عَمَلِ السُّوقِ وهذا الأَمْرُ غَيْرُ مُتَاحٍ إِلَّا في ظِلِّ بِيئَةٍ اقْتِصَادِيَّةٍ وقَانُونِيَّةٍ وتَشْرِيعِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وقَوِيمَةٍ.

- **المَدْرَسَةُ النُّخْبَوِيَّةُ:**

ويَرَى أَصْحَابُ هذه المَدْرَسَةِ أَنَّهُ قَبْلَ البَدْءِ بِتَنْفِيذِ سِيَاسَاتِ تَمْكِينِ الشَّبَابِ لَا بُدَّ من تَهْيِئَةِ الشَّبَابِ للتَّفَاعُلِ مع التَّمْكِينِ، وتَزْعُمُ هذه المَدْرَسَةُ أَنَّ الشَّبَابَ قد لَا يَتَمَكَّنُ من الانْسِجَامِ مع بَرَامِجِ التَّمْكِينِ كَوْنُهُ غَيْرَ مُهَيَّأٍ سَابِقًا، وقد يَتَطَرَّفُ بَعْضُ

1. رحال، عمر. "**الشَّبَابُ والمُؤَسَّسَاتُ والأُطُرُ والمَشَارِيعُ والنَّوَادِي الشَّبَابِيَّةُ**". بَحْثٌ مُقَدَّمٌ إلى مُنْتَدَى شارك الشَّبَابِيّ، أبريل 2006م، ص63، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/YcZQb

رُوَّادِ هذه المَدْرَسَـــةِ ويَصِلُونَ للْحَدِّ الَّذي يَقُولُونَ فيه إِنَّ بَرَامِجَ التَّمْكِينِ لَا تَصْلُحُ للشَّـــبَابِ العَرَبيِّ، كَوْنُهُ يَخْضَعُ لِتَقَالِيدَ قَبَلِيَّـــةٍ وعَصَبِيَّةٍ ولَم يَحِنِ الوقْتُ لاعْتِبَارِهِ مُتَمَدِّنًا بِمَا فِيهِ الكِفَايَةُ، ومِمَّا لَا شِكَّ بِهِ أَنَّ هذا الطَّرْحَ يُجَافي الحَقِيقَةَ، وغَالِبًا مَا يَخْلِطُ أَصْحَابُ هذه المَدْرَسَةِ بين التَّعْيينِ والتَّمْكِينِ، فَيَقِيسُونَ مُؤَشِّرَاتِ التَّمْكِينِ بِمَقَايِيسَ كَمِّيَّةٍ ويَغْفُلُونَ الأُخْرَى النَّوْعِيَّة، فَعلى سَـــبِيلِ المِثَالِ في حَالِ تَعْيِينِ عِدَّةِ وُزَرَاءَ من الشَّبَابِ في الحُكُومَةِ أو افْتِتَاحِ نِقَابَاتٍ للشَّبَابِ يَقُولُ رُوَّادُ هذه المَدْرَسَةِ بِأَنَّ تمَكْينَ الشَّبَابِ قد بَلَغَ مُنْتَهَاهُ، وهذا الطَّرْحُ هو الآخَرُ يُجَافي الحَقِيقِيَّةَ، فَقِيَاسُ التَّمْكِـــينِ لَا يمُكْنُ أَنْ يَتِمَّ وفْقَ مَقَايِيسَ كَمِّيَّةٍ فقط، وغَالِبًا مَا يَعْتَمِدُ على مَقَايِيسَ نَوْعِيَّةٍ كَوْنها الأَقْدَرَ على تَحْدِيدِ مُسْتَوى التَّمْكِينِ المَوْجُودِ بِدِقَّةٍ.

بَعْدَ اسْـــتِعْرَاضِ المَدَارِسِ السَّابِقَةِ يَتَّضِحُ وبِشَكْلٍ جَلِيٍّ أَنَّهُ من غَيْرِ المُمْكِنِ الاسْتِنَادُ إلى أَيٍّ منها بِشَكْلٍ مُنْفَرِدٍ لِتَطْبِيقِ بَرَامِجِ تمَكْينِ الشَّبَابِ العَرَبيِّ، ولَكِنْ يمُكْنُ بِنَاءُ مَزِيجٍ من هذه المَدَارِسِ وإِضَافَةِ مَحَاوِرَ أُخْرَى لَم تَعْتَمِدْ سَابِقًا، وبِقَدْرِ ما تَكُونُ بَرَامِجُ التَّمْكِينِ مُنْسَـــجِمَةً مع الظُّرُوفِ المَوْضُوعِيَّةِ والذَّاتِيَّةِ للشَّـــبَابِ العَرَبيِّ بِقَدْرِ مَا يمُكِنُ التَّوَقُّعُ بِتَحْقِيقِ نَتَائِجَ إِيجَابِيَّةٍ مَلْمُوسَةٍ.

التَّمْكِينُ إِسْتِرَاتِيجِيَّةٌ مُتَسَلْسِلَةٌ

إِنَّ أَيَّ تَطْبِيقٍ لِبَرَامِجِ التَّمْكِينِ لَا يمُكِنُ أَنْ تُؤْتِيَ أُكُلَهَا مُبَاشَرَةً، فهي بَرَامِجُ تَسْـــتَهْدِفُ التَّغْيِيرَ الاجْتِمَاعِيَّ على المَدَى المُتَوسِّطِ والبَعِيدِ، كما أَنَّهُ من غَيْرِ المُمْكِنِ تَطْبِيقُ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ دُفْعَةً واحِدَةً، فَالأَصَحُّ أَنْ يَبْدَأَ تَطْبِيقُ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ بِشَـــكْلٍ مُتَسَلْسِلٍ وذلك لِعَدَّةِ غَايَاتٍ، أَهَمُّها تَقَبُّلُ الشَّـــبَابِ وبَاقِي الفِئَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ لهذه البَرَامِجِ، فَلَا يَكْفِي أَنْ يَتَقَبَّلَها الشَّبَابُ ويَتَفَاعَلُوا مَعَهَا، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَتَقَبَّلَهَا بَاقِي الشَّرَائِحِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، كما أَنَّ التَّمْكِينَ المُتَسَلْسِـــلَ يَأْخُذُ بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ التَّفَاوُتَاتِ الفَرْدِيَّةَ بين الشَّبَابِ، فَفي حَالِ تَطْبِيقِ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ دُفْعَةً واحِدَةً سَـــتَكُونُ الفَائِدَةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ الجَمْعِيَّةُ مُنْخَفِضَةً،

فَفِئَاتُ الشَّبَابِ الأَقَلِّ تَعْليمًا والأَضْعَفُ سِيَاسِيًّا سَتَسْتَبْعِدُ بِشَكْلٍ تِلْقَائِيٍّ عن هذه البرَامِجِ، فَالتَّمْكِينُ المُتَسَلْسِلُ يُمَثِّلُ مَنْهَجِيَّةً تُمَكِّنُ من تَحْقِيقِ التَّرَابُطِ بين الحَلَقَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الضَّعِيفَةِ والمُتَوسِّطَةِ والقَوِيَّةِ لِشَرِيحَةِ الشَّبَابِ(1)؛ كما أَنَّ التَّمْكِينَ المُتَسَلْسِلَ لَا يُشِيرُ إلى التَّسَلْسُلِ في تَطْبِيقِ البرَامِجِ فَحَسْبُ، بل يَمْتَدُّ لِيَشْمَلَ التَّسَلْسُلَ في تَطْبِيقِهِ على الشَّبَابِ، فَالأَجْدَى اجْتِمَاعِيًّا البَدْءُ بِتَطْبِيقِ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ على فِئَاتِ الشَّبَابِ الأَشَدِّ ضَعْفًا وتَهْمِيشًا وبَعْدَها الانْتِقَالُ إلى الشَّرَائِحِ المُتَوسِّطَةِ فَالقَوِيَّةِ، فَاسْتِهْدَافُ جَمِيعِ فِئَاتِ الشَّبَابِ بِذَاتِ البرَامِجِ يُضْعِفُ من فَاعِلِيَّةِ هذه البرَامِجِ، كما أَنَّ اسْتِهْدَافَ الجَمِيعِ بِنَفْسِ الدَّرَجَةِ من عُمْقِ البرَامِجِ قد يَقُودُ إلى ظُهُورِ فَجْوَةٍ تَنْمَوِيَّةٍ سَتَقُودُ إلى فَجْوَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ بين الشَّبَابِ أَنْفُسِهِمْ، كَالفَجْوَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ بين شَبَابِ الرِّيفِ والمَدِينَةِ على سَبِيلِ المِثَالِ.

1. عبدالله، عادل محمد. **إِسْتراتِيجِيَّةُ التَّمْكِينِ المُتَسَلْسِلِ مَدْخَلُ البِنَاءِ المُتَسَلْسِلِ لِقُدُرات المَوْرِدِ البَشَرِيِّ المُشَارِك في صِنَاعَةِ القَرَارَات**. الأُرْدُن، عَمَّان: دار اليَازوري العِلْمِيَّة للنَّشْرِ والتَّوْزِيع، 2018م، ص51.

المبحث الثَّاني

أَبْعَادُ تمَكِينِ الشَّبَاب

إنَّ أَيَّ بَرَامِجَ هَادِفَةٍ لِتَمْكِينِ الشَّــبَابِ العَرَبيِّ لَا بُدَّ لَها وأَنْ تَسْــتَنِدَ على أَبْعَادٍ عِدَّةٍ، مُنْفَصِلَةٍ في التَّطْبِيقِ لَكِنَّها مُتَّحِدَةٌ في الأَثَرِ والنَّتِيجَةِ، وبالتَّأْكِيدِ فَإِنَّ تَحْدِيدَ هذه الأَبْعَادِ ليس عَمَلِيَّةً اعْتِبَاطِيَّةً ولا عَشْــوائِيَّةً، فهي تَعْتَمِدُ على دِرَاسَــةِ واقعِ الشَّبَابِ العَرَبيِّ الحَاليِّ، وبِنَاءً على نَتَائِجَ هذه الدِّرَاسَةِ يمُكِنُ تَحْدِيدُ المَجَالاتِ والأَبْعَادِ الَّتي يَجِبُ أَنْ تَتَضَمَّنَها بَرَامِجُ التَّمْكِينِ، وبالعَوْدَةِ للْواقِعِ الفِعْليِّ للْمُجْتَمَعِ العَرَبيِّ يمُكِنُ المُلَاحَظَةُ وبِسُــهُولَةٍ أَنَّ غَالِبِيَّةَ الشَّرَائِحِ الاجْتِمَاعِيَّــةِ العَرَبِيَّةِ تُعَانِي من انْخِفَاضٍ حَادٍّ في مُسْــتَوى التَّمْكِينِ، والشَّــبَابُ من ضِمْنِ هذه الشَّرَائِحِ، وانْخِفَاضُ مُسْتَوى التَّمْكِينِ لِهَؤُلَاءِ الشَّبَابِ يَشْمَلُ مُخْتَلِفَ المَيَادِينِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ والثَّقَافِيَّةِ، لِذلك فَإِنَّ أَيَّ تَمَكِينٍ حَقِيقِيٍّ لِهؤلاءِ الشَّبَابِ يَجِبُ أَنْ يَشْمَلَ جَمِيعَ هذه الجَوانِبِ، وفي هذا المَبْحَثِ سَــنَتَنَاوَلُ مُخْتَلِفَ هــذه الجَوانبِ والأَبْعَادِ، مُتَنَاوِلِينَ الأُسُسَ الواجِبُ التَّرْكِيزُ عليها في أَيِّ بَرْنَامَجٍ تَمْكِينيٍّ.

التَّمْكِينُ الاجْتِمَاعِيُّ

ويُقْصَدُ بِهِ إِفْسَــاحُ المَجَالِ للشَّــبَابِ العَرَبيِّ للتَّأْثِيرِ في مُجْتَمَعِــهِ وبِيئَتِهِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الصُّغْــرَى والكُبْرَى، وكما أَسْــلَفْنَا في المَبْحَثِ الأَوَّلِ من هــذا الفَصْلِ، فَإِنَّ التَّمْكِينَ الاجْتِمَاعِيَّ يَخْتَلِفُ عن المُشَــارَكَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، فَانْتِمَاءُ الشَّــبَابُ لِتَنْظِيمَاتٍ ونِقَابَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ يَخْتَلِفُ عن التَّمْكِينِ، فهذا الانْتِمَاءُ يُشَــكِّلُ وجْهًا من أَوْجُهِ المُشَارَكَةِ، بينما التَّمْكِينُ يُرَكِّزُ على إِحْدَاثِ الأَثَرِ الاجْتِمَاعِيِّ؛ ويَتَقَاطَعُ مَفْهُومُ التَّمْكِينِ الاجْتِمَاعِيِّ مع ثَقَافَةِ المُواطَنَةِ والمَسْــؤُولِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وهُنَا يَجِبُ التَّنْوِيهُ إلى أَنَّ التَّمْكِينَ لَا يُقْصَدُ بِهِ مَنْحُ الحُقُوقِ الاجْتِمَاعِيَّةِ للشَّــبَابِ فقط، بَلْ يَقُومُ أَيْضًا على تَحْمِيلِهِم المَسْــؤُولِيَّةَ، فَالتَّمْكِينُ يُشَكِّلُ إِحْقَاقًا للْحُقُوقِ والتِزَامًا بالواجِبَاتِ.

ويَتَّصِــلُ مَفْهُومُ التَّمْكِينِ الاجْتِمَاعِيِّ للشَّــبَاب بِتَعْزِيز اهْتِمَامِهم بمَشَــاكِلِ المُجْتَمَعِ الاجْتِمَاعِيَّــةِ والعَمَلِ على إِيجَادِ حُلُولٍ لها، وقد يُشَــكِّلُ نَــشْرُ ثَقَافَةِ العَمَلِ التَّطَوُّعِيِّ إِحْدَى رَكَائِزِ هذا التَّمْكِينِ، ولَكِنْ لَا يَجِبُ أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَيْهِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ تَمْتَدَّ لِتَشْــمَلَ الإِبْدَاعَ الاجْتِمَاعِيَّ، وهذه الرَّكَائِزُ يُمْكِنُ الوُصُولُ لها من خِلَالِ تَعْزِيزِ انْتِمَاءِ الشَّبَابِ لِمُجْتَمَعِهِمْ، وهذا الانْتِمَاءُ لن يَتَحَقَّقَ إِلَّا في ظِلِّ التَّمَتُّعِ بالحُقُوقِ الاجْتِمَاعِيَّةِ كَشَرِيحَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ أَسَاسِــيَّةٍ في المُجْتَمَعِ؛ وكما هو مَعْرُوفٌ، فَالشَّــبَابُ العَرَبِيُّ يُشَــكِّلُونَ من النَّاحِيَةِ الكَمِّيَّةِ الشَّرِيحَةَ الاجْتِمَاعِيَّةَ الأَوْسَع، لذلك فَمُسَاهَمَتُهم الاجْتِمَاعِيَّةُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُتَنَاسِــبَةً مع الثِّقَلِ الكَمِّيِّ الَّذِي يُشَكِّلُونَهُ، فَالتَّمْكِينُ لهؤلاء الشَّبَابِ لا يَكُونُ من خِلَالِ وضْعِ الخُطَطِ والمَشَــارِيعِ الاجْتِمَاعِيَّــةِ والطَّلَبِ مِنْهُم الانْضِمَامُ لها في مَرْحَلَةِ التَّنْفِيذِ، فهذا الانْضِمَامُ يُشَكِّلُ جَوْهَرَ المُشَارَكَةِ لَكِنَّهُ بَعِيدٌ عن التَّمْكِينِ؛ لِذلك لَا بُدَّ من السَّــمَاحِ بِأَنْ تَكُونَ لَهُم بَرَامِجُهم الاجْتِمَاعِيَّةُ الخَاصَّةُ بِهُمْ، فَعلى سَبِيلِ المِثَالِ لَا يُمْكِنُ حَصْرُ التَّمْكِينِ الاجْتِمَاعِيِّ للشَّــبَابِ بالسَّمَاحِ لَهُم بالتَّطَوُّعِ ضِمْنَ المُنَظَّمَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ العَامِلَةِ في البِيئَةِ العَرَبِيَّةِ، فَقد تَكُونُ بَرَامِجُ وسِيَاسَاتُ هذه المُنَظَّمَاتِ لَا تُقْنِعُ الشَّبَابَ، والتَّمْكِــينُ الفَعَّالُ هنا يَتَمَثَّلُ بِفَتْحِ البَابِ أَمَامَهُم لاقْتِرَاحِ الحُلُولِ لِلْقَضَايَا الاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِــي تُعَالِجُها هذه المُنَظَّمَاتُ ثُمَّ الانْتِقَــالُ إلى تَنْفِيذِهَا، فَالتَّمْكِينُ يَتَمَثَّلُ بالحَقِّ في التَّخْطِيطِ واتِّخَاذِ القَرَارِ والتَّنْفِيذِ والمُرَاقَبَةِ.

ويُعَانِي المُجْتَمَعُ العَرَبِيُّ من مَشَــاكِلَ اجْتِمَاعِيَّةٍ عِدَّةٍ تَشْــمَلُ جَوانِبَ الحَيَاةِ المُخْتَلِفَةِ، كَالطَّلَاقِ وتَأَخُّرِ سِــنِّ الزَّوَاجِ وغَيْرِها من المَشَاكِلِ الَّتِي تَنَاوَلْنَاها بِإِسْهَابٍ في الفَصْلِ الثَّالِثِ من هذه الدِّرَاسَةِ، وهذه المَشَاكِلُ تَنْسَحِبُ بِأَثَرِها السَّلْبِيِّ على شَرِيحَةِ الشَّبَابِ، والحَلُّ الاجْتِمَاعِيُّ الحَقِيقِيُّ لهذه المَشَــاكِلِ لن يُكْتَبَ له النَّجَاحُ ما لم يُسَاهِمِ الشَّبَابُ في صِيَاغَتِهِ وتَنْفِيذِهِ، فَالتَّمْكِينُ الاجْتِمَاعِيُّ لَا يُشْتَرَطُ بِهِ إِيجَادُ الحُلُولِ لِجَمِيعِ المَشَاكِلِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، لَكِنَّهُ يُهَيِّئُ الأَرْضِيَّةَ المُنَاسِبَةَ لِإِيجَادِ هذه الحُلُولِ وتَنْفِيذِهَا.

وبِإِمْكَانِ القَائِمِينَ على بَرَامِجِ تَمْكِينِ الشَّــبَابِ الاسْــتِعَانَةُ بالخِبْرَاتِ الدَّوْلِيَّةِ في هذا المَجَالِ، خَاصَّةً أَنَّ التَّجْرِبَةَ الغَرْبِيَّةَ رَائِدَةٌ ومُتَقَدِّمَةٌ على التَّجْرِبَةِ العَرَبِيَّةِ بِدَرَجَاتٍ عَدِيدَةٍ،

كما أَنَّ التَّجْرِبَةَ العَرَبِيَّةَ لَم تُعطِ حَتَّى الآنَ نَتَائِجَ مَلْمُوسَةً؛ لِذَا تُشَكِّلُ الاسْتِعَانَةُ بالتَّجَارِبِ الغَرْبِيَّةِ خُطْوَةً هَامَّةً، دُونَ إغْفَالِ ضَرُورَةِ عَدَمِ اسْتِنْسَاخِ هذه التَّجَارِبِ اسْتِنْسَاخًا تَامًّا، كَوْنها مَبْنِيَّةً لِمُجْتَمَعَاتٍ تَخْتَلِفُ في خَواصِّها عن العَرَبِيَّة، ويُمْكِنَ وبِسُهُولَةٍ إيجَادُ العَدِيدِ من التَّجَارِبِ والبَرَامِجِ الغَرْبِيَّةِ الَّتِي تَسْعَى لِتَمْكِينِ الشَّبَابِ اجْتِمَاعِيًّا.

وَبِالرَّغْـــمِ من أَهَمِّيَّةِ التَّمْكِينِ الاجْتِمَاعِيِّ إِلَّا أَنَّ قِيَاسَ أَثَرِهِ لَا يُمْكِنُ بِمَعْزِلٍ عن الأَثَرِ الاقْتِصَادِيِّ وَالسِّـــيَاسِيِّ، فمن غَيْرِ المَعْقُولِ القَوْلُ بِأَنَّ التَّمْكِينَ الاجْتِمَاعِيَّ جَيِّدٌ وَلَكِنْ هناك تَرَاجُعٌ في التَّمْكِينِ الاقْتِصَادِيِّ، لذلك وفي جَمِيعِ التَّجَارِبِ العَالَمِيَّةِ النَّاجِحَةِ في مَجَالِ التَّمْكِينِ عَادَةً مَا يَتِمُّ قِيَاسُ الأَثَرِ الاقْتِصَادِيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ مَعًا، وهنا نَسْتَحْضِرُ التَّجْرِبَةَ المَالِيزِيَّةَ، وَالَّتِي تُعْتَبَرُ من التَّجَارِبِ الرَّائِدَةِ على مُسْـــتَوَى العَالَمِ، فَبِمُقَارَنَةِ الوَاقِعِ الحَـــالِيِّ لِمَالِيزْيَا مَعَ وَاقِعِهَا قَبْلَ عِدَّةِ عُقُودٍ يُمْكِـــنُ مُلَاحَظَةُ الأَثَرِ الإِيجَابِيِّ الوَاضِحِ الَّذِي تَرَكَتْهُ بَرَامِجُ التَّمْكِينِ الحُكُومِيَّةِ، فَنِسْـــبَةُ الفَقْرِ في مَالِيزْيَا في الوَقْتِ الحَالِيِّ لَا تَتَجَاوَزُ 0.5 % من عَدَدِ السُّـــكَّانِ المَحَلِّيِّـــينَ(1)، بينما كانت تَتَجَاوَزُ 50 % في بِدَايَةِ سَـــبْعِينِيَّاتِ القَرْنِ المَاضِي(2)، فقد انْخَفَضَـــتْ أَكْثَرَ من مِائَةِ ضِعْفٍ خِلَالَ خَمْسَـــةِ عُقُودٍ، وَعلى الصَّعِيدِ الصِّحِّيِّ تُقَدِّمُ الحُكُومَـــةُ المَالِيزِيَّةُ كُلَّ الدَّعْمِ الصِّحِّيِّ لِلسُّـــكَّانِ لَا سِيَّمَا لِلْفِئَاتِ الأَشَـــدِّ فَقْرًا وَضَعْفًا، وَفي مَجَالِ البَطَالَةِ انْتَهَجَتْ الحُكُومَةُ المَالِيزِيَّـــةُ طَرِيقَةً فَرِيدَةً لِلتَّخَلُّصِ مـــن البَطَالَةِ خَاصَّةً أَنَّ الآثَارَ الاجْتِمَاعِيَّةَ لَهَا تُهَدِّدُ التَّوَازُنَ الأُسَرِيَّ وَالاجْتِمَاعِيَّ لِلْمُجْتَمَعِ المَالِيزِيِّ، فَعَمَدَتْ لِتَقْدِيمِ دَوْرَاتٍ مِهْنِيَّةٍ مُكَثَّفَةٍ لِلْفُقَرَاءِ، وَذَاتِ مُسْـــتَوَيَاتٍ عِلْمِيَّةٍ وَمِهْنِيَّةٍ مُرْتَفِعَةٍ مَصْحُوبَةٍ بِإِنْفَاقِ مَبَالِغَ ضَخْمَةٍ على هَـــذِهِ الدَّوْرَاتِ إِضَافَةً إِلَى مَنْحِ المُتَدَرِّبِينَ مَبَالِـــغَ مَالِيَّةً تَكْفِيهِمْ لِلتَّفَرُّغِ لِلدَّوْرَةِ، وَعِنْدَ الانْتِهَاءِ تَطَلُّبُ مِنْهُمْ الالتِحَاقَ بِسُـــوقِ العَمَلِ بَعْدَ تَوْفِيرِ شَـــوَاغِرَ لَهُمْ، وَفي حَالِ عَدَمِ

1. "المُؤَشِّرُ العَدَدِيُّ لخطِّ الفقر". بَيَانَاتُ البَنْكِ الدَّوْليِّ، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/18MJ8
2. "التَّجْرِبَةُ المَالِيزِيَّةُ في التَّنْمِيَةِ المُسْـتَدَامَةِ: اسْـتِثْمَارٌ في الفَرْدِ وتَوْفِيرٌ للقُدُرَاتِ". المَرْكَزُ الدِّيمُقْرَاطِيُّ العَرَبِيُّ للدِّرَاسَـاتِ الإِسْـتِرَاتِيجِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ، 25 مايو 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/VYfWz

التِحَاقِهِمْ تُطَالِبُهُمْ بِدَفْعِ جَمِيعِ النَّفَقَاتِ المَالِيَّةِ الَّتِي أَنْفَقَتْهَا عَلَيْهِمْ، وَبِذَلِكَ تُشَكِّلُ عَامِلَ ضَغْطٍ مَالِيٍّ يَدْفَعُ العَاطِلِينَ عن العَمَلِ إِلَى الانْخِرَاطِ في عَمَلِيَّةِ الإِنْتَاجِ؛ وَبِنَتِيجَةِ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ انْتَقَلَ المُجْتَمَعُ المَالِيزِيُّ من كَوْنِهِ مُجْتَمَعًا فَقِيرًا تَعْصِفُ بِهِ المَشَاكِلُ وَالتَّحَدِّيَاتُ الاجْتِمَاعِيَّةُ كَنَتِيجَةٍ من نَتَائِجِ الفَقْرِ إِلَى مُجْتَمَعٍ يُصَنَّفُ من المُجْتَمَعَاتِ المُسْتَقِرَّةِ، وَحَتَّى عـلى الصَّعِيدِ الحُكُومِيِّ أَدَّتْ بَرَامِجُ التَّمْكِينِ المُتَّبَعَةُ إِلَى زِيَادَةِ النَّاتِجِ المَحَلِّيِّ الإِجْمَالِيِّ لِيَصِلَ إِلَى أَكْثَرَ من 350 مِلْيَارِ دُولَارٍ أَمْرِيكِيٍّ عَامَ 2018م(1)، وَمُسْتَوَى الدَّخْلِ الفَرْدِيِّ في مَالِيزْيَا تَضَاعَفَ تَقْرِيبًا خِلَالَ خَمْسِ سَـنَوَاتٍ لِيَصِلَ إِلَى مَا يُقَارِبُ 10,000 دُولَارٍ أَمْرِيكِيٍّ، وَبِالتَّأْكِيدِ فَإِنَّ هَذَا الاسْـتِقْرَارَ الاقْتِصَادِيَّ انْعَكَسَ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ على الوَاقِعِ الاجْتِمَاعِيِّ، وَعلى التَّمْكِينِ الاجْتِمَاعِيِّ لِلْمُجْتَمَعِ المَالِيزِيِّ.

التَّمْكِينُ الاقْتِصَادِيُّ

ويُعْتَبَرُ هذا التَّمْكِينُ من أَهَمِّ أَبْعَادِ التَّمْكِينِ للشَّـبَابِ العَرَبِيِّ، وذلك لِعِدَّةِ اعْتِبَارَاتٍ، أَوَّلُهَا مُسْـتَوَيَاتُ الفَقْـرِ والبَطَالَةِ المُرْتَفِعَةِ في العَالَمِ العَـرَبِيِّ، وثَانِيهَا أَنَّ الأَوْضَاعَ الاقْتِصَادِيَّةَ المُتَدَهْوِرَةَ لَا تَنْحَصِرُ آثَارُهَا السَّلْبِيَّةُ في البُعْدِ الاقْتِصَادِيِّ للشَّبَابِ العَرَبِيِّ، وَلَكِنَّهَا تَنْسَـحِبُ على مُخْتَلِفِ جَوانِبِ الحَيَاةِ، فَالشَّبَابُ الفَقِيرُ والعَاطِلُ عن العَمَلِ لَا يُتَوقَّعُ منه دَوْرٌ اجْتِمَاعِيٌّ ولَا سِـيَاسِيٌّ، فَالتَّمْكِـينُ الاقْتِصَادِيُّ في حَالِ تَفْعِيلِهِ يَقُودُ لِتَغْيِيرٍ إِيجَابِيٍّ يَنْسَحِبُ أَثَرُهُ على مُخْتَلِفِ جَوانِبِ حَيَاةِ الشَّبَابِ.

ولا ينبغي فَهْمُ التَّمْكِينِ الاقْتِصَادِيِّ على أَنَّهُ إِيجَادُ فُرَصِ عَمَلٍ للشَّبَابِ، فَالعَمَلُ حَقٌّ من حُقُوقِ الإِنْسَانِ ولَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَحَلَّ نِقَاشٍ أو تَسَاؤُلٍ، فَالحَالُ الطَّبِيعِيُّ للشَّبَابِ أَنْ يَكُـونَ مُتَمَتِّعًا بِحَقِّ العَمَلِ، بينما التَّمْكِينُ هو إِيجَادُ تَغْيِيرٍ في الآلِيَّاتِ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا سُوقُ العَمَلِ بحيث تَضْمَنُ للشَّـبَابِ إِظْهَارَ أَثَرِهِم الاقْتِصَادِيِّ في المُجْتَمَعِ، وبِمَا يُتِيحُ

1. "نَصِيـبُ الفَـرْدِ مِنْ إِجْمَالِي الدَّخْلِ القَوْمِيِّ، وَفْقًا لِتَعَادُلِ القُوَّةِ الشِّرَائِيَّةِ". بَيَانَاتِ البَنْكِ الدَّوْلِي، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/67Odr

لَهُم الحُصُولَ على عَائِدٍ مَادِّيٍّ عَادِلٍ نَتِيجَةَ دُخُولِهِم في العَمَلِيَّةِ الاقْتِصَادِيَّةِ، فَاقْتِصَارُ المُشَارَكَةِ الاقْتِصَادِيَّةِ للشَّبَابِ على العَمَلِ والتَّوْظِيفِ التَّقْلِيدِيِّ يُبْقِيهِم مُتَأَثِّرِينَ بِآلِيَّةِ السُّوقِ الحَاكِمَةِ، ويُقْصِيهِم عن المُشَارَكَةِ الحَقِيقِيَّةِ، وهذا مَا يَقُودُنَا إلى مَفْهُومِ التَّنْمِيَةِ وخَاصَّةً المُسْتَدَامَةَ، فَالتَّنْمِيَةُ المُسْتَدَامَةُ تَتَقَاطَعُ وبِشَكْلٍ كَبِيرٍ مع أُسُسِ التَّمْكِينِ الاقْتِصَادِيِّ، وسَنَتَطَرَّقُ في سِيَاقِ هذا المَبْحَثِ للْعَلَاقَةِ بين هَذَيْنِ المَفْهُومَيْنِ.

ويَتْرُكُ التَّمْكِينُ الاقْتِصَادِيُّ جُمْلَةً من المَنَافِعِ المُبَاشِرَةِ وغَيْرِ المُبَاشِرَةِ على حَيَاةِ الشَّبَابِ وعلى البِيئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ العَرَبِيَّةِ بِشَكْلٍ عَامٍّ، **وفيما يلي تِبْيَانُ أَهَمِّ هذه المَنَافِعِ:**

- **التَّخْفِيفُ من حِدَّةِ البَطَالَةِ بين الشَّبَابِ العَرَبِيِّ**، وذلك كَوْنَ التَّمْكِينِ الاقْتِصَادِيِّ يُهَيِّئُ الشَّبَابَ للدُّخُولِ إلى سُوقِ العَمَلِ من خِلَالِ التَّدْرِيبِ المِهْنِيِّ ومن خِلَالِ تَزْوِيدِ الشَّبَابِ بِمَعَارِفَ وخِبْرَاتٍ تَتَنَاسَبُ مع الحَاجَةِ الفِعْلِيَّةِ للسُّوقِ.
- **تَنْوِيعُ قِطَاعَاتِ الاقْتِصَادِ المَحَلِّيِّ**، وخَاصَّةً أَنَّ الاقْتِصَادَ العَرَبِيَّ اقْتِصَادٌ رِيعِيٌّ في مُعْظَمِهِ، فهو بِحَاجَةٍ لِعَنَاصِرِ إِنْتَاجٍ حَقِيقِيٍّ، فَالتَّمْكِينُ يُحَقِّقُ التَّنَوُّعَ الاقْتِصَادِيَّ بين الإِنْتَاجِيِّ والخِدْمِيِّ والرِّيعِيِّ، وهذا يَتَحَقَّقُ من خِلَالِ اسْتِهْدَافِ كُلِّ بِيئَةٍ بِبَرْنَامَجٍ تَمْكِينِيٍّ مُتَنَاسِبٍ مع خَصَائِصِ البِيئَةِ، فَالتَّمْكِينُ الاقْتِصَادِيُّ للْبِيئَةِ الرِّيفِيَّةِ يَخْتَلِفُ عن بِيئَةِ المَدِينَةِ.
- **زِيَادَةُ مُعَدَّلِ الدَّخْلِ الفَرْدِيِّ للْفَرْدِ العَرَبِيِّ**، كَوْنُ التَّمْكِينِ الاقْتِصَادِيِّ يَقُودُ إلى زِيَادَةِ الإِنْتَاجِ كَنَتِيجَةٍ لاشْتِرَاكِ أَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ من الشَّبَابِ في العَجَلَةِ الاقْتِصَادِيَّةِ.
- **تَغْيِيرُ ثَقَافَةِ العَمَلِ التَّقْلِيدِيَّةِ للشَّبَابِ العَرَبِيِّ** المُعْتَمِدَةِ على التَّوْظِيفِ في الدَّوَائِرِ الحُكُومِيَّةِ، ونَشْرِ ثَقَافَةٍ جَدِيدَةٍ تَعْتَمِدُ على تَبَنِّي مَشَارِيعَ خَاصَّةٍ وتَبَنِّي ثَقَافَةِ رِيَادَةِ الأَعْمَالِ.
- **تَعْزِيزُ ثَقَافَةِ الكَفَاءَةِ في العَمَلِ**، فَالسُّوقُ الحُرُّ يَقُومُ بِعَمَلِيَّةِ انْتِقَاءٍ للْكَفَاءَاتِ، إِذْ لَا دَوْرَ حَقِيقِيًّا إِلَّا لأَصْحَابِ الكَفَاءَاتِ والخِبْرَةِ الحَقِيقِيَّةِ، وهذا يُؤَدِّي على المَدَى الطَّوِيلِ إلى زِيَادَةِ فَاعِلِيَّةِ السُّوقِ وبالتَّالي زِيَادَةُ النَّاتِجِ القَوْمِيِّ الإِجْمَالِيِّ.

وبهذا يَبْدُو التَّمْكِينُ الاقْتِصَادِيُّ للشَّبَاب العَرَبِيِّ حَاجَةً مُلِحَّةً أَكْثَرَ من أيِّ وقْتٍ مَضَى، فَالتَّحَدِّيَاتُ الاقْتِصَادِيَّةُ للشَّـــبَاب ولِلْمُجْتَمَع العَرَبِيِّ بِشَكْلٍ عَامٍّ تَبْدُو في ذُرْوتِهَا، وهي تَزْدَادُ حِدَّةً يَوْمًا إِثْرَ يَوْمٍ، وخِلَالَ العُقُودِ المَاضِيَةِ لَم تُفْلِحْ جَمِيعُ السِّيَاسَاتِ الاقْتِصَادِيَّة العَرَبِيَّةِ في إِيجَادِ حُلُولٍ فِعْلِيَّةٍ لهذه التَّحَدِّيَاتِ، وتَبْدُو هذه التَّحَدِّيَاتُ مُسْتَهْجَنَةً وخَاصَّةً أَنَّ البِيئَـــةَ الاقْتِصَادِيَّةَ العَرَبِيَّةَ غَنِيَّةٌ بالثَّرَوات الطَّبِيعِيَّةِ والبَشَرِيَّةِ، لِذلك يُمْكِنُ القَوْلُ وبِكُلِّ ثِقَةٍ بِأَنَّ غِيَابَ التَّمْكِينِ الاقْتِصَادِيِّ هو أَحَدُ الأَسْـــبَاب المُبَاشِرَةِ لهذه التَّحَدِّيَات، وبالتَّـــالِي فَإِنَّ الحَلَّ الحَقِيقِيَّ لَهَا يَبْـــدَأُ بِتَفْعِيلِ التَّمْكِينِ الاقْتِصَادِيِّ لِلْمُجْتَمَع العَرَبِيِّ بِشَـــكْلٍ عَامٍّ وللشَّبَابِ بِشَـــكْلٍ خَاصٍّ، وهُنَا يَجِبُ التَّنْوِيهُ إلى أَنَّ مُهِمَّةَ تَمْكِينِ الشَّبَاب العَرَبِيِّ اقْتِصَادِيًّا ليســـت من مَهَامِّ الحُكُومَاتِ العَرَبِيَّةِ فَحَسْبُ، بَلْ هي مُهِمَّةٌ يَضْطَلِعُ بِهَا كُلٌّ من القِطَاعِ العَامِّ والخَاصِّ.

ويُمْكِنُ أَيْضًا في هذا البُعْدِ من التَّمْكِينِ الاسْتِعَانَةُ بِتَجَارِبَ عَالَمِيَّةٍ نَاجِحَةٍ، وَلَعَلَّ التَّجْرِبَةَ الكُورِيَّـــةَ خَيْرُ مِثَالٍ على نَجَاحِ بَرَامِـــجِ التَّمْكِينِ الاقْتِصَادِيِّ وَقُدْرَتِهَا على نَقْلِ الوَاقِعِ الاقْتِصَـــادِيِّ العَامِّ وَالخَاصِّ نَقَلَاتٍ مُمَيَّزَةً، فَكُورْيَـــا عَانَتْ لِعِدَّةِ عُقُودٍ من الاحْتِلَالِ اليَابَانِيِّ الَّذِي انْتَهَـــى عَقِبَ هَزِيمَةِ اليَابَانِ في الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ عَامَ 1945م، وَبَعْدَهَا بِسَـــنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ عَانَتْ من الآثَارِ المُدَمِّـــرَةِ لِلْحَرْبِ الكُورِيَّةِ (1950-1953م)، وَخَرَجَتْ من هَذِهِ الحَرْبِ بِاقْتِصَادٍ مُدَمَّرٍ وَمُنْهَكٍ وَشَعْبٍ جَائِعٍ، فَحِينَهَا كَانَتْ تُعَدُّ كُورْيَا وَاحِدَةً من أَفْقَرِ دُوَلِ العَالَمِ بِدَخْلٍ سَـــنَوِيٍّ لِلْفَرْدِ لَا يَتَعَدَّى 80 دُولَارٍ أَمْرِيكِيٍّ، فَوَاقِعُ الاقْتِصَادِ كَانَ مَرِيرًا مُمَثَّلًا بِخَسَـــائِرَ اقْتِصَادِيَّةٍ فَاقَتْ 69 مِلْيَارِ دُولَارٍ أَمْرِيكِيٍّ وَدَمَارٍ أَتَى على رُبْعِ البِنْيَةِ التَّحْتِيَّةِ و 40 % من عَدَدِ الوَحَدَاتِ السَّكَنِيَّةِ(1)، كُلُّ هَذِهِ التَّحَدِّيَاتِ أُضِيفَ لها صِغَرُ مِسَاحَةِ كُورْيَا وَافْتِقَارُهَا لِلْمَوَارِدِ الطَّبِيعِيَّةِ؛ لَعَلَّ هَذِهِ المُقَدِّمَةَ السَّرِيعَةَ لِلْوَاقِعِ الكُورِيِّ قَبْلَ حَوَالَيْ 70 عَامًا قَدْ تَبْعَثُ على الدَّهْشَةِ خَاصَّةً أَنَّ الاقْتِصَادَ الكُورِيَّ الآنَ من الاقْتِصَادَاتِ القَوِيَّةِ على مُسْتَوَى العَالَمِ، فَفِي عَامِ 2004م انْضَمَّتْ كُورْيَا إِلَى

1. **"تَارِيخ كُورْيَا"**. مَوْقِع كُورْيَا نِتْ الحُكُومِيّ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/3xiRz

الدُّوَلِ الَّتِي يَفُوقُ النَّاتِجُ القَوْمِيُّ الإِجْمَالِيُّ 1,000 مِلْيَار دُولَار أَمْرِيكِيٍّ وَلِيَكُون تَرْتِيبُهَا 11 عَالَمِيًّا من حَيْثُ القُوَّةُ الاقْتِصَادِيَّةُ[1]؛ إِنَّ هَذَا التَّحَوُّلَ الجَذْرِيَّ في الوَاقِع الكُورِيِّ كَانَ نَتِيجَةً مُبَاشِرَةً لِبَرَامِج التَّمْكِينِ الَّتِي انْتَهَجَتْهَا الحُكُومَاتُ الكُورِيَّةُ المُتَعَاقِبَةُ، وَلَعَلَّ في تَأْهِيلِ الشُّبَّانِ الكُورِيِّينَ اقْتِصَادِيًّا الأَثَرَ الهَامَّ في هَذِهِ النَّتَائِجِ البَاهِرَةِ، وَهَذَا التَّأْهِيلُ مَبْنِيٌّ على عُلُومٍ نَظَرِيَّةٍ يَنْتَقِلُ الشَّابُّ بَعْدَهَا لِلتَّطْبِيقِ العَمَلِيِّ، فَالشَّبَابُ بَيْنَ عُمْرِ (24-15) يُؤَهَّلُونَ مِهْنِيًّا بِمَا يُقَارِبُ 8 سَاعَاتٍ يَوْمِيًّا مُقَابِلَ 5 سَاعَاتٍ في غَالِبِيَّةِ العَالَمِ الغَرْبِيِّ[2]، كَمَا قَامَت الحُكُومَةُ الكُورِيَّةُ بِإِنْشَاءِ مَعَاهِدَ عُلْيَا لِتَمْكِينِ الشَّبَاب من العَمَلِ في القِطَاعَاتِ التِّكْنُولُوجِيَّةِ، لِتَغْدُوَ كُورْيَا من أَهَمِّ المَرَاكِزِ العَالَمِيَّةِ لِلتِّكْنُولُوجْيَا الحَدِيثَةِ، كَمَا عَمِلَت الحُكُومَاتُ الكُورِيَّةُ المُتَعَاقِبَةُ على مَنْحِ تَسْهِيلَاتٍ لَا مُتَنَاهِيَةَ لِلشُّبَّانِ الكُورِيِّينَ لِتَحْفِيزِهِمْ على بَدْءِ مَشَارِيعِهِمْ الخَاصَّةِ بِهِمْ، وَتَعَهُّدِهَا بِتَصْرِيفِ مُنْتَجَاتِهِمْ، وَحِمَايَةِ المُنْتَجِ الكُورِيِّ من المُنَافَسَةِ الأَجْنَبِيَّةِ، كُلُّ هَذَا انْعَكَسَ إِيجَابًا على انْتِمَاءِ الشَّبَابِ الكُورِيِّ لِدَوْلَتِه، فَفِي الأَزْمَةِ المَالِيَّةِ الَّتِي عَصَفَتْ بِدُوَلِ جَنُوبِ شَرْقِ آسْيَا عَمَدَ الشَّبَابُ الكُورِيُّ إِلى اتِّخَاذِ كُلِّ الإِجْرَاءَاتِ الَّتِي من شَأْنِهَا دَعْمُ اقْتِصَادِهِم الحُكُومِيِّ وَحِمَايَتِه من الانْهِيَارِ خَاصَّةً أَنَّهُ كَانَ من أَبْرَزِ المُتَأَثِّرِينَ بِهَذِهِ الأَزْمَةِ، وَمن هَذِهِ التَّدَابِيرُ شَنُّ حَمَلَاتٍ مُنَظَّمَةٍ لِمُقَاطَعَةِ المُنْتَجَاتِ الغَرْبِيَّةِ وَالإِقْبَالِ على اسْتِهْلَاكِ مُنْتَجَاتِ الشَّرِكَاتِ الكُورِيَّةِ المُهَدَّدَةِ بِالإِفْلَاسِ، التَّقَشُّفُ الطَّوْعِيُّ لِدَرَجَةِ النَّظَرِ لِأَيِّ كُورِيٍّ يَخْرُجُ لِلسِّيَاحَةِ وَيُنْفِقُ المَالَ خَارِجَ كُورْيَا على أَنَّهُ خَائِنٌ يَجِبُ مُحَاكَمَتُهُ، حِمَايَةُ العُمْلَةِ الوَطَنِيَّةِ من خِلَالِ بَيْعِ المُقْتَنَيَاتِ وَالحُلِيِّ وَإِيدَاعِ أَثْمَانِهَا في المَصَارِفِ المَحَلِّيَّةِ[3]، كُلُّ هَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ بَرَامِجَ التَّمْكِينِ الحَقِيقِيِّ تَعْمَلُ على تَنْشِئَةٍ اقْتِصَادِيَّةٍ وَوَطَنِيَّةٍ وَقَوْمِيَّةٍ، وَبَرَامِجُ التَّمْكِينِ النَّاجِحَةُ تَتْرُكُ أَثَرَهَا الإِيجَابِيَّ على الفَرْدِ وَالحُكُومَةِ في آنٍ مَعًا.

1. **"التَّجْرِبَةُ التَّنْمَوِيَّةُ الكُورِيَّةُ وخَفَايَا قِصَّةِ نَجَاح"**. مَرْكَزُ الدِّرَاسَاتِ الإِسْتِرَاتِيجِيَّةِ والدِّبْلُومَاسِيَّةِ، 12 سبتمبر 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/8gHGn
2. سونجي، سوه. **"دِرَاسَةُ حَالَةِ التَّجْرِبَةِ الكُورِيَّةِ الجَنُوبِيَّةِ للانْتِقَالِ إلى اقْتِصَادٍ مَعْرِفِيٍّ"**. مَجْمُوعَةُ الأَغَرِّ لِلدِّرَاسَاتِ، جِدَّة، المملكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/E7f7A
3. **"التَّجْرِبَةُ التَّنْمَوِيَّةُ الكُورِيَّةُ وَخَفَايَا قِصَّةِ نَجَاح"**. مَرْكَزُ الدِّرَاسَاتِ الإِسْتِرَاتِيجِيَّةِ والدِّبْلُومَاسِيَّةِ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ.

التَّمْكِينُ السِّياسِيُّ

يُقْصَدُ بالتَّمْكِينِ السِّياسِيِّ رَفْعُ مُسْتَوى وعْيِ الشَّبَابِ بِحُقُوقِهِم وواجباتِهِم وضَرُورَةِ المُشَارَكَةِ والانْتِسَابِ للأَحْزَابِ السِّيَاسِيَّةِ المَشْرُوعَةِ، ومُمَارَسَةِ دَوْرِهِم فِيها من خِلَالِ النِّقَاشِ والرَّفْضِ والتَّأْيِيدِ، وإِفْسَاحِ المَجَالِ أَمَامَهُم لإِبْدَاءِ رَأْيِهِم والتَّعْبِيرِ عن فِكْرِهِم السِّيَاسِيِّ بِحُرِّيَّةٍ، وتَوْفِيرِ الوسَائِلِ اللَّازِمَةِ للْمُشَارَكَةِ في اتِّخَاذِ القَرَارِ والتَّحَكُّمِ في المَوارِدِ من خِلَالِ الاعْتِمَادِ على النَّفْسِ عن طَرِيقِ تَنْمِيَةِ الوعْيِ والتَّعْلِيمِ والعَمَلِ(1)؛ وبالتَّأْكِيدِ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ حَصْرُ التَّمْكِينِ السِّيَاسِيِّ للشَّبَابِ بِتَبَوُّءِ بَعْضِ الفِئَاتِ الشَّابَّةِ مَنْصِبًا سِيَاسِيًّا هنا أو هناك، فعلى النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ تَهْيِئَةُ بيئَةٍ سِيَاسِيَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ تَسْمَحُ للشَّبَابِ بِلَعِبِ دَوْرٍ حَقِيقِيٍّ في العَمَلِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ، وبالتَّأْكِيدِ فَإِنَّ التَّمْكِينَ السِّيَاسِيَّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُعْطِيَ نَتَائِجَ جَيِّدَةً إِلَّا في حَالِ وُجُودِ وعْيٍ سِيَاسِيٍّ جَيِّدٍ لَدَى الشَّبَابِ، وهو مَا يُشَكِّلُ عَقَبَةً حَقِيقِيَّةً أَمَامَ تَمْكِينِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ، وهو مَا تَنَاوَلْنَاهُ بِاسْتِفَاضَةٍ في الفَصْلِ السَّابِعِ من هذه الدِّرَاسَةِ.

وقد يَكُونُ التَّمْكِينُ السِّيَاسِيُّ للشَّبَابِ العَرَبِيِّ من أَصْعَبِ وأَعْقَدِ أَبْعَادِ التَّمْكِينِ، وذلك كَنَتِيجَةٍ لِلْحَالَةِ السِّيَاسِيَّةِ العَرَبِيَّةِ بِشَكْلٍ عَامٍّ، فَالبِيئَةُ السِّيَاسِيَّةُ العَامَّةُ في الوطَنِ العَرَبِيِّ غَيْرُ مُهَيَّأَةٍ للْمُشَارَكَةِ الفَعَّالَةِ من قِبَلِ الشَّبَابِ، وهذا مَا يُحَتِّمُ العَمَلَ على تَغْيِيرِ الفِكْرِ السِّيَاسِيِّ العَرَبِيِّ بالكَامِلِ، وبالتَّأْكِيدِ فَإِنَّ هذه المُهِمَّةَ ليست باليَسِيرَةِ، وخَاصَّةً أَنَّ الفَاعِلِينَ الرَّئِيسِيِّينَ في عَمَلِيَّةِ التَّغْيِيرِ هذه هُم ذَاتُهُم القَائِمُونَ على المُؤَسَّسَاتِ الحَالِيَّةِ.

إِنَّ البِيئَةَ السِّيَاسِيَّةَ العَرَبِيَّةَ مُشْبَعَةٌ بالأَحْزَابِ السِّيَاسِيَّةِ، فَقَلَّمَا يَخْلُو بَلَدٌ عَرَبِيٌّ من عِدَّةِ أَحْزَابٍ وحَرَكَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ، إِلَّا أَنَّها لَا تُمَثِّلُ تَنَوُّعًا كَافِيًا لِتَحْقِيقِ التَّمْكِينِ السِّيَاسِيِّ، فَفِي العُقُودِ الأَخِيرَةِ بَدَأَ يَطْغَى على السَّاحَةِ السِّيَاسِيَّةِ العَرَبِيَّةِ التَّوَجُّهُ الدِّينِيُّ والمُتَشَدِّدُ أَحْيَانًا على حِسَابِ التَّوَجُّهِ الوطَنِيِّ والقَوْمِيِّ، وهذا مَا يَجْعَلُ من عَمَلِيَّةِ التَّمْكِينِ أَمْرًا بَالِغَ الصُّعُوبَةِ.

1. عبدالستار، رضا. **التَّمْكِينُ السِّياسِيُّ للمَرْأَةِ العَرَبِيَّة بين الفَقْرِ والتَّعْليم**. مصر ،القاهرة: دار الفِكْر العَرَبيّ، 2007م، ص584.

التَّمْكِينُ التِّكْنُولُوجِيُّ

ويُقْصَدُ بِهِ حُصُولُ الشَّبَابِ على المَعَارِفِ التِّقْنِيَّةِ والتِّكْنُولُوجِيَّةِ المُتَنَاسِبَةِ مع رُوحِ العَصْرِ، واسْتِثْمَارِ هذه المَعَارِفِ فِيمَا يَخْدِمُ قَضَايَا الشَّبَابِ وقَضَايَا المُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ بِشَكْلٍ عَامٍّ، وتَزْدَادُ أَهَمِّيَّةُ التَّمْكِينِ التِّكْنُولُوجِيِّ للشَّبَابِ العَرَبِيِّ مع دُخُولِ التِّكْنُولُوجْيَا الحَدِيثَةِ إلى مُخْتَلِفِ مَيَادِينِ الحَيَاةِ، الاقْتِصَادِيَّةِ والثَّقَافِيَّةِ وغَيْرِها من المَجَالَاتِ، فَالعَمَلِيَّةُ الإِنْتَاجِيَّةُ غَدَتْ مُعْتَمَدَةً بِشَكْلٍ رَئِيسٍ على الأَدَوَاتِ التِّكْنُولُوجِيَّةِ، وتُبْرِزُ أَهَمِّيَّةُ التَّمْكِينِ التِّكْنُولُوجِيِّ في أَنَّ المِنَصَّاتِ الحَدِيثَةَ غَدَتْ المَصْدَرَ الرَّئِيسَ لِمَعْلُومَاتِ الشَّبَابِ.

وهُنَا يَجِبُ الانْتِبَاهُ لِقَضِيَّةٍ بَالِغَةِ الأَهَمِّيَّةِ، فَالتَّمْكِينُ التِّكْنُولُوجِيُّ لَا يَقْتَصِرُ على اسْتِخْدَامِ التِّكْنُولُوجْيَا، فَفِي حَالِ اقْتِصَارِهِ على الاسْتِخْدَامِ فَإِنَّنَا نَكُونُ قد دَخَلْنَا في إِطَارِ الاسْتِقْبَالِ التِّكْنُولُوجِيِّ، وبالتَّالِي نَغْدُو مُتَلَقِّينَ وغَيْرَ فَاعِلِينَ، فَالتَّمْكِينُ يَمْتَدُّ لِيَشْمَلَ الصِّنَاعَاتِ التِّكْنُولُوجْيَا بِشَتَّى أَنْوَاعِهَا، ابْتِدَاءً من الصِّنَاعَةِ المَادِّيَّةِ للرَّقَائِقِ الإِلِكْتِرُونِيَّةِ وغَيْرِها من الأَدَوَاتِ التِّكْنُولُوجْيَا، وُصُولًا لِلْبَرْمَجَةِ التِّكْنُولُوجِيَّةِ والتَّصْمِيمِ البَرْمَجِيِّ، وبالرَّغْمِ من الانْتِشَارِ العَالَمِيِّ الكَثِيفِ لهذه الصِّنَاعَةِ إِلَّا أَنَّ العَالَمَ العَرَبِيَّ مَا زَالَ بَعِيدًا عنها، لَا سِيَّمَا شَرِيحَةُ الشَّبَابِ الَّتِي يَقْتَصِرُ تَعَامُلُها مع التِّكْنُولُوجْيَا على التَّلَقِّي والاسْتِخْدَامِ، ولا يَقْتَصِرُ التَّطَوُّرُ التِّكْنُولُوجِيُّ في العَالَمِ على الدُّوَلِ المُتَقَدِّمَةِ، فَالعَدِيدُ من الدُّوَلِ النَّامِيَةِ شَهِدَتْ قَفَزَاتٍ نَوْعِيَّةً في هذا المَجَالِ، ووَصَلَتْ إلى الحَدِّ الَّذِي غَدَتْ فِيهِ هذه الصِّنَاعَةُ رَدِيفًا اقْتِصَادِيًّا فَاعِلًا كَدُوَلِ جَنُوبِ شَرْقِ آسْيَا، وحَتَّى على مُسْتَوَى دُوَلِ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ فَتُرْكِيَا حَقَّقَتْ نَجَاحَاتٍ مُمَيَّزَةً في هذا المَجَالِ، فَبِالرَّغْمِ من القُرْبِ الجُغْرَافِيِّ وَالتَّارِيخِيِّ بَيْنَ العَرَبِ وَتُرْكِيَا، إِلَّا أَنَّ الفَارِقَ التِّقْنِيَّ وَالعِلْمِيَّ وَالتِّكْنُولُوجِيَّ وَاسِعٌ وَآخِذٌ في الزِّيَادَةِ، فَتُرْكِيَا وَمُنْذُ عَامِ 2000م تُحَقِّقُ قَفَزَاتٍ عِلْمِيَّةً وَتِقْنِيَّةً وَاقْتِصَادِيَّةً مُتَلَاحِقَةً، وَتَسْعَى حَالِيًّا لِزِيَادَةِ مَكَانَتِهَا التِّكْنُولُوجِيَّةِ على مُسْتَوَى العَالَمِ، وَفِي هَذَا الصَّدَدِ قَامَتِ الحُكُومَةُ التُّرْكِيَّةُ في عَامِ 2019م بِافْتِتَاحِ "وَادِي التِّكْنُولُوجْيَا" لِيَكُونَ على غِرَارِ وَادِي السِّلِيكُون في أَمْرِيكَا، وَمِنَ المُتَوَقَّعِ أَنْ يَكُونَ خِلَالَ السَّنَوَاتِ القَادِمَةِ أَكْبَرَ مَرْكَزٍ تِكْنُولُوجِيٍّ في الشَّرْقِ الأَوْسَطِ، وَمِنَ المُخَطَّطِ

لَهُ أَنْ يَضُمَّ أَكْثَرَ من 5,000 شَرِكَةٍ تِكْنُولُوجِيَّةٍ وَأَنْ يُحقِّقَ أَرْبَاحًا سَنَوِيَّةً صَافِيَةً تُقَدَّرُ ب 50 مِلْيَارِ دُولَارٍ أَمْرِيكِيٍّ، وَأَنْ يُوَفِّرَ أَكْثَرَ من 100,000 فُرْصَةِ عَمَلٍ لِلتِّقْنِيِّينَ الأَتْرَاك(1)؛ كَمَا دَعَمَّت الحُكُومَةُ التُّرْكِيَّةُ إِنْشَاءَ حَدَائِق التِّكْنُولُوجْيَا وَالَّتِي تُمَثِّلُ تَجَمُّعَاتٍ لِشَرِكَاتٍ وَأَفْــرَادٍ عَامِلِينَ في قِطَاعِ التِّكْنُولُوجْيَا، الَّتِي بَدَأَ الاسْــتِثْمَارُ بِهَا عَامَ 2001م، لِيَصِلَ عَدَدُهَا عَامَ 2019م إِلَى 81 حَدِيقَةٍ بِإِنْتَاجٍ سَنَوِيٍّ يَبْلُغُ 12 مِلْيَارَ دُولَارٍ أَمْرِيكِيٍّ وَتَصْدِيرٍ بِقِيمَــةِ 5 مِلْيَارِ دُولَارٍ، وَيَعْمَلُ في هَذِهِ الحَدَائِــقِ قُرَابَةُ 50,000 تِقْنِيٍّ، 4,000 منهم يَعْمَلُونَ في مَجَالِ البَحْثِ وَالتَّطْوِيرِ، وَسَجَّلَتْ هَذِهِ الحَدَائِقُ 21 بَرَاءَةَ اخْتِرَاعٍ في مَجَالِ التِّكْنُولُوجْيَــا(2)؛ وَافْتَتَحَتْ تُرْكِيَا جَامِعَتَيْنِ مُتَخَصِّصَتَيْنِ في التِّكْنُولُوجْيَا وَهُمَا جَامِعَةُ إِسْطَنْبُول التِّقْنِيَّةُ وَجَامِعَةُ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ التِّقْنِيَّةُ، وَكِلَاهُمَا مُوَجَّهَتَانِ لِتَمْكِينِ الشَّبَابِ التُّرْكِيِّ تِكْنُولُوجِيًّا، فَتُرْكِيَا الآنَ قَطَعَتْ شَــوْطًا كَبِيرًا في صِنَاعَةِ الرُّقَاقَاتِ الإِلِكْتْرُونِيَّةِ وَصِنَاعَةِ الهَوَاتِفِ المَحْمُولَةِ وَالطَّيَرَانِ المُيَسَّرِ لِأَغْرَاضٍ عَسْكَرِيَّةٍ وَمَدَنِيَّةٍ، كَمَا نَجَحَتْ في صِنَاعَةِ سَــيَّارَةٍ كَهْرَبَائِيَّةٍ قَدْ تُطْرَحُ في الأَسْوَاقِ بِشَكْلٍ تِجَارِيٍّ بَعْد سَنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ، وَبَعْدَ افْتِتَاحِ وِكَالَةِ الفَضَاءِ التُّرْكِيَّةِ عَامَ 2018م تَسْعَى تُرْكِيَا لِإِطْلَاقِ قَمَرٍ صِنَاعِيٍّ خَاصٍّ بِهَا لِأَهْدَافٍ عَسْــكَرِيَّةٍ وَمَدَنِيَّةٍ، وَمن المُتَوَقَّعِ إِطْلَاقُهُ عَامَ 2021م(3)، وَلِدَعْمِ هذا التَّوَجُّهِ التِّكْنُولُوجِيِّ تَقُومُ تُرْكِيَا بِتَنْفِيذِ بَرْنَامَجٍ لِلتَّمْكِينِ التِّكْنُولُوجِيِّ يَبْدَأُ من سَنَوَاتِ الطُّفُولَةِ وُصُولًا لِمَرْحَلَةِ الشَّبَابِ، وَأَهَمُّ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ التِّكْنُولُوجِيِّ مَشْرُوعُ تُرْكِيَا الفَاتِحِ، وَالَّذِي سُــمِّيَ ب"الفَاتِح" تَيَمُّنًا بِالسُّلْطَانِ العُثْمَانِيِّ مُحَمَّد الفَاتِح، وَتَرَى الحُكُومَةُ التُّرْكِيَّةُ أَنَّ هَذَا المَشْرُوعَ يُشَــكِّلُ فَتْحًا من مَنْظُورٍ جَدِيدٍ، فَهُوَ مُوَجَّهٌ لِتَمْكِينِ الأَطْفَالِ وَالشَّــبَابِ

1. **انْتِهَاءُ المَرْحَلَةِ الأُولَى مِنْ مَرْكَز وادي السِّيلِيكُون التُرْكِي"**. ترك برس، 5 سبتمبر 2019م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 5 يونيو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/RVu4w
2. **"الحَدَائِــقُ التِّكْنُولُوجِيَّــةُ التُرْكِيَّــة"**. مَوقِعُ الاقْتِصَــاد التُّرْكِيّ، 2 يناير 2020م، تَارِيــخُ الزِّيَارَةِ 5 يونيو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/fv36Z
3. **"تُرْكِيَا نَحْوَ إِطْلَاقِ أَوَّلِ قَمَرٍ صِنَاعِيٍّ لِلرَّصْدِ والمُرَاقَبَةِ"**. وَكَالَةُ الأَنْبَاءِ التُّرْكِيَّة، 4 يونيو 2020م، تَارِيخُ الزِّيَارةِ 5 يونيو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://tr.agency/news-101246

تِكْنُولُوجِيًّا من خِلَالِ تَغْيِيرِ وَسَائِلِ التَّعْلِيمِ من تَقْلِيدِيَّةٍ لِحَدِيثَةٍ مُعْتَمَدَةً على الأَدَوَاتِ التِّكْنُولُوجِيَّةِ وَذَلِكَ بِتَوْفِيرِ 63,000 جهاز لوحيّ على الطُّلَّابِ وَتَجْهِيزِ 40,000 مَدْرَسَةٍ و 84,000 حُجْرَةٍ دِرَاسِيَّةٍ بِأَجْهِزَةٍ حَاسُوبِيَّةٍ وَمُخْتَبَرَاتٍ تِكْنُولُوجِيَّةٍ[1]، وَذَلِكَ كُلُّهُ في إِطَارِ مَشْرُوعِ تُرْكِيَا الفَاتِحِ، وَالَّذِي يُتَوَقَّعُ أَنْ يُحْدِث نَقْلَةً نَوْعِيَّةً في مُسْتَقْبَلِ تُرْكِيَا العِلْمِيِّ وَالتِّكْنُولُوجِيِّ خِلَالَ السَّنَوَاتِ القَادِمَةِ.

التَّمْكِينُ العِلْمِيُّ

وهو مَجْمُوعَةُ المَعَارِفِ والعُلُومِ الَّتِي يَكْتَسِبُهَا الشَّبَابُ بوسَائِلَ مُخْتَلِفَةٍ، ابْتِدَاءً بالمَرَاكِزِ العِلْمِيَّةِ كَالجَامِعَاتِ والمَعَاهِدِ، أو تلك الَّتِي تُكْتَسَبُ أَثْنَاءَ الدُّخُولِ إلى سُوقِ العَمَلِ، والتَّمْكِينُ العِلْمِيُّ لَا يَتَعَلَّقُ بِكَمِّيَّةِ المَعَارِفِ والعُلُومِ الَّتِي لَدَى الشَّبَابِ، بَلْ يَتَعَلَّقُ أَوَّلًا بِنَوْعِيَّةِ هذه العُلُومِ وحَدَاثَتِهَا وثَانِيًا، بالقُدْرَةِ على الاسْتِفَادَةِ منها على الصَّعِيدِ الشَّخْصِيِّ وعلى صَعِيدِ المُجْتَمَعِ بالكَامِلِ، فَعلى سَبِيلِ المِثَالِ قد يُهْمِلُ التَّمْكِينُ العِلْمِيُّ بَعْضَ المَعَارِفِ بَالِغَةِ الحَدَاثَةِ في حَالِ كانت الاسْتِفَادَةُ منها مَحْدُودَةً، ويُرَكِّزُ على تلك ذَاتِ الفَائِدَةِ العَمَلِيَّةِ. والتَّمْكِينُ العِلْمِيُّ يَجِبُ أَنْ يَتَقَاطَعَ مع أَبْعَادِ التَّمْكِينِ الأُخْرَى ويَتَنَاغَمُ مَعَهَا، فهو يَخْدِمُ التَّمْكِينَ الاقْتِصَادِيَّ ويَتَنَاغَمُ معه من حيث تَوْظِيفُ وتَطْوِيعُ العُلُومِ المُكْتَسَبَةِ في زِيَادَةِ مُعَدَّلِ الإِنْتَاجِيَّةِ، ويَتَقَاطَعُ أَيْضًا مع التَّمْكِينِ التِّكْنُولُوجِيِّ، من نَاحِيَةِ اسْتِخْدَامِ المِنَصَّاتِ التِّكْنُولُوجِيَّةِ في إِيصَالِ المَعَارِفِ والعُلُومِ، فَالتَّمْكِينُ الاقْتِصَادِيُّ يَرْفُضُ مَبْدَأَ العِلْمِ لِخِدْمَةِ العِلْمِ، فَالعِلْمُ وَفْقَ مَنْظُورِ هذا التَّمْكِينِ لَا بُدَّ وأَنْ يُسَخَّرَ لِخِدْمَةِ القَضَايَا الذَّاتِيَّةِ والمُجْتَمَعِيَّةِ؛ ويَشْمَلُ عِدَّةَ مُسْتَوَيَاتٍ وذلك وَفْقًا لِواقِعِ الشَّبَابِ التَّعْلِيمِيِّ، فهو يَبْدَأُ من مَرْحَلَةِ تَوْفِيرِ بَرَامِجِ مَحْوِ أُمِّيَّةِ الشَّبَابِ في البِيئَاتِ الفَقِيرَةِ، ويَمْتَدُّ لِيَطَالَ إِيصَالَ أَحْدَثِ العُلُومِ في بِيئَاتٍ أُخْرَى.

1. **"مَشْرُوعُ تُرْكِيا الفَاتِح، هَلْ هُوَ خُطَّةٌ للتَّغَلُّب على الفَجْوَة الرَّقْمِيَّة أَمْ حَمَاسَةٌ بِدَافِع الإيمَانِ بِالتِّكْنُولُوجْيَا"**. مَعْهَدُ مُثَلَّثِ الأَبْحَاث الدَّوْلِيّ، 2015م، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/8eaY8

ويَتَقَاطَعُ التَّمْكِينُ العِلْمِيُّ مع التَّمْكِينِ الثَّقَافِيِّ، والَّذي يَهْدِفُ لِإكْسَـــابِ الشَّبَابِ هُوِيَّةً ثَقَافِيَّةً خَاصَّةً بِهُم تَتَنَاسَـــبُ مع هُوِيَّتِهم السِّيَاسِيَّةِ والثَّقَافِيَّةِ، وتَهْدِفُ لِإقَامَةِ نَوْعٍ من التَّـــوازُنِ بين الثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ المَحَلِّيَّةِ وبين الثَّقَافَاتِ الوافِدَةِ بِفعْلِ العَوْلَمَةِ، فهو يَعْمَلُ على تَعْزِيزِ الهُوِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ العَرَبِيَّةِ وتَعْزِيزِ المَعَارِفِ الحَدِيثَةِ واللُّغَاتِ الأَجْنَبِيَّةِ بالتَّوازي مـــع تَعْزِيزِ اللُّغَـــةِ العَرَبِيَّةِ وآدَابِها، فَلَا هُوِيَّةً ثَقَافِيَّةً بِـــدُونِ لُغَةٍ حَامِلَةٍ لِمَجَامِيعِ هذه الثَّقَافَةِ.

وَيُعْتَبَرُ التَّمْكِينُ العِلْمِيُّ عَامِلَ تَأَثُّرٍ وَتَأْثِيرٍ بِبَرَامِجِ التَّمْكِينِ الأُخْرَى، وَهَذَا مَا تَنَبَّهَتْ لَهُ غَالِبِيَّةُ الدُّوَلِ الرَّائِدَةِ في مَجَالِ تَمْكِينِ شُـــعُوبِهَا لَا سِيَّمَا الشَّبَابُ منهم، فَفِنْلَنْدَا تُعْتَبَرُ الدَّوْلَةُ الأُولَى عَالَمِيًّا في مَجَالِ التَّمْكِينِ العِلْمِيِّ، فَنِظَامُ التَّعْلِيمِ فِيهَا بِمُخْتَلِفِ مُسْتَوَيَاتِهِ مُتَطَوِّرٌ لِلْغَايَةِ، وَهُوَ نِتَاجُ جُهْدِ عِدَّةِ عُقُودٍ من التَّطْوِيرِ المُسْتَمِرِّ، فَحَتَّى بِدَايَةِ السِّتِّينِيَّاتِ من القَرْنِ المَاضِي كَانَ نِظَامُ التَّعْلِيمِ في هَذِهِ الدَّوْلَةِ عَادِيًّا وَدُونَ المُسْـــتَوَى السَّـــائِدِ في عُمُومِ أُورُوبَّا، فَفي ذَلِكَ الوَقْتِ كَانَتْ نِسْـــبَةُ التَّعْلِيمِ لَا تَتَجَاوَزُ 10 % من السُّكَّانِ وَكَانَتْ الشَّـــهَادَةُ الجَامِعِيَّةُ أَمْرًا نَادِرًا(1)، وَمُنْذُ ذَلِكَ الحِينِ بَدَأَت الحُكُومَةُ الفِنْلَنْدِيَّةُ بِتَطْوِيرٍ مُسْـــتَمِرٍّ لِمَنَاهِجِ التَّعْلِيمِ وَطَرَائِقِ التَّدْرِيسِ، لِتَغْدُوَ الآنَ قِبْلَةَ العِلَمِ وَالتَّعْلِيمِ في العَالَـــمِ، وَهَذَا النَّجَاحُ المُنْقَطِعُ النَّظِيرِ لَيْسَ وَلِيدَ الصُّدْفَةِ، بَلْ هُوَ نِتَاجُ بَرَامِجَ مُتَعَاقِبَةٍ وَمُتَسَلْسِـــلَةٍ رَكَّزَتْ في جَوْهَرِهَا على مِحْوَرَيْنِ رَئِيسَيْنِ الأَوَّلُ يَتَمَثَّلُ بِإِعْدَادِ المُدَرِّسِينَ وَالثَّانِي بِتَحْفِيزِ الطَّلَبَةِ على التَّعَلُّمِ، وَالنِّظَامُ التَّعْلِيمِيُّ في فِنْلَنْدَا بَالِغُ المُرُونَةِ، فَهُوَ يَسْمَحُ لِلطَّالِبِ بِدِرَاسَـــةِ المَوَادِّ وَالاخْتِصَاصَاتِ الَّتِي تَتَمَاشَى مَعَ رَغَبَاتِهِ وَمُيُولِهِ، وَبالإِضَافَةِ إِلَى التَّعْلِيمِ النَّظَرِيِّ الفَائِقِ الحَدَاثَةِ، فَالتَّعْلِيمُ المِهْنِيُّ يَلْقَى اهْتِمَامًا بَالِغًا من المُؤَسَّسَـــةِ التَّعْلِيمِيَّةِ، وَالتَّعْلِيمُ المِهْنِيُّ مُنَسَّقٌ بِالكَامِلِ مَعَ قِطَاعَاتِ الأَعْمَالِ بِحَيْثُ يَضْمَنُ المُتَعَلِّمُونَ من الشَّـــبَابِ فُرَصَ عَمَلٍ حَقِيقِيَّةٍ بَعْدَ تَخَرُّجِهِمْ، وَبِالرَّغْمِ من أَنَّ أَجْرَ المُدَرِّسِـــينَ في

1. سالبيرج، باسي. "سِرُّ النَّجَاحِ في فِنْلَنْدَا،" مَرْجِعٌ سَابِق.

فِنْلَنْدَا لَا يَخْتَلِفُ عن مُسْتَوَى الأُجُورِ السَّائِدَةِ وَالَّتِي تُقَدَّرُ ب 50,000 دُولَارٍ أَمْرِيكِيٍّ(1)، إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ إِقْبَالًا كَبِيرًا على دُخُولِ سِلْكِ التَّعْلِيمِ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ المَكَانَةِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي يَكْتَسِبُهَا المُعَلِّمُ في فِنْلَنْدَا، وَتَجْدُرُ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ الشُّرُوطَ المَطْلُوبَةَ لِقَبُولِ المُعَلِّمِينَ تُعْتَبَرُ بَالِغَةَ الصُّعُوبَةِ، وَذَلِكَ كَضَمَانَةٍ لاسْتِمْرَارِ مُسْتَوًى رَفِيعٍ من الخِبْرَةِ وَالكَفَاءَةِ في الكَادِرِ التَّعْلِيمِيِّ، وَهَذَا الوَضْعُ التَّعْلِيمِيُّ المُمَيَّزُ قَادَ مُخْتَلَفَ جَوَانِبِ الحَيَاةِ في فِنْلَنْدَا لِلازْدِهَارِ، فَعلى المُسْتَوَى الاجْتِمَاعِيِّ تُعَدُّ الدَّوْلَةَ الأَسْعَدَ على مُسْتَوَى العَالَمِ كَكُلٍّ(2)، وَعلى الصَّعِيدِ الاقْتِصَادِيِّ يَزِيدُ النَّاتِجُ القَوْمِيُّ فِيهَا عن 260 مِلْيَارِ دُولَارٍ أَمْرِيكِيّ(3)، فَالتَّمْكِينُ التَّعْلِيمِيُّ مَدْخَلٌ إِلْزَامِيٌّ لِتَفْعِيلِ بَاقِي أَنْمَاطِ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ.

تَمْكِين الشَّبَاب مَدْخَلٌ إلى التَّنْمِيَة

يَزْدَادُ الاهْتِمَامُ العَالَمِيُّ بِمَوْضُوعِ التَّنْمِيَةِ ازْدِيَادًا مُضْطَرِدًا، وذلك كَوْن جَمِيعِ المُؤَشِّرَاتِ الاقْتِصَادِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ عَانَتْ من قُصُورٍ نِسْبِيٍّ في تَحْقِيقِ التَّقَدُّمِ المَطْلُوبِ، مُقَابِلَ نَجَاحِ التَّنْمِيَةِ والتَّنْمِيَةِ المُسْتَدَامَةِ في هذه المُهِمَّةِ، والتَّنْمِيَةُ وعلى عَكْسِ هذه المُؤَشِّرَاتِ فَإِنَّهَا مُهِمَّةٌ حُكُومِيَّةٌ ومُجْتَمَعِيَّةٌ في آنٍ مَعًا، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَنْجَحَ ما لم يَشْتَرِكْ بها جَمِيعُ الشَّرَائِحِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وكَوْنُ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ يُشَكِّلُونَ الأَغْلَبِيَّةَ في الهَرَمِ الاجْتِمَاعِيِّ العَرَبِيِّ فَالدَّوْرُ المُنَاطُ بِهِم في تَحْقِيقِ التَّنْمِيَةِ لا بُدَّ وأَنْ يَتَنَاسَبَ مع ثِقَلِهِم الكَمِّيِّ، وهُنَا يَجِبُ الانْتِبَاهُ إلى قَضِيَّةٍ بَالِغَةِ الأَهَمِّيَّةِ، وهي أَنَّ المُشَارَكَةَ لا يُقْصَدُ بها مُشَارَكَةٌ اسْمِيَّةٌ فقط، فَأَيُّ مُشَارَكَةٍ لَا تَنْطَوِي على تَدَخُّلٍ إِيجَابِيٍّ وفَعَّالٍ لَنْ تَتْرُكَ أَيَّ أَثَرٍ حَقِيقِيٍّ، والمُشَارَكَةُ الفَعَّالَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا من قِبَلِ أَفْرَادٍ مُؤَهَّلِينَ عِلْمِيًّا واجْتِمَاعِيًّا وسِيَاسِيًّا.

1. "نَصِيبُ الفَرْدِ من إجْمَالي الدَّخْلِ القَوْميّ". بَيَانَات البَنْك الدَّوْليّ، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/00SCa
2. "تَقْرِيرُ السَّعَادَةِ العَالَمِيُّ 2019م". مُتَاحٌ على الرَّابط: https://worldhappiness.report/ed/2019/#read
3. "إِجْمَالي الدَّخْلِ القَوْميّ"، بَيَانَات البَنْكِ الدَّوْليّ، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/RTwG0

فَالشَّبَابُ المُمَكَّنُ هو القَادرُ على القِيَامِ بأَعْبَاءِ التَّنْمِيَةِ، فَبَرَامِجُ التَّمْكِينِ المُوجَّهَة للشَّبَاب تُشَكِّلُ خِدْمَةً غَيْرَ مُبَاشِرَةٍ لِبَرَامِجِ التَّنْمِيَة، وزِيَادَةٌ في تَوْضِيح هذه النُّقْطَة، سَنَضْرِبُ مِثَالًا افْتِرَاضِيًّا، لِمَجْمُوعَتَيْنِ من الشَّبَاب تَمَّ إِشْرَاكُهُمَا مَعًا وفي ذَات الظُّرُوف في عَمَلِيَّةِ التَّنْمِيَة، الأُولَى مُمْكِنَةٌ اقْتِصَاديًّا ومَعْرِفيًّا وسِيَاسِيًّا واجْتِمَاعِيًّا وتِكْنُولُوجِيًّا، والثَّانِيَةُ مَحْرُومَةٌ من هذا التَّمْكِين، فَعِنْدَ قِيَاسِ الأَثَرِ التَّنْمَوِيِّ الَّذي أَحْدَثَتْهُ كُلُّ مَجْمُوعَة فَإِنَّهُ ومن البَدِيهِيِّ أَنْ يكُونَ أَثَرُ المَجْمُوعَة المُمَكَّنَة يَفُوقُ بِأَضْعَاف أَثَرَ الأُخْرَى غَيْرِ المُمَكَّنَة؛ فَبَرَامِجُ التَّمْكِينِ المُوجَّهَةِ للشَّبَابِ هي خِدْمَةٌ حَقِيقِيَّةٌ لِبَرَامِجِ التَّنْمِيَةِ في العَالَمِ العَرَبِيِّ.

وتُعْتَبَرُ عَمَلِيَّةُ التَّنْمِيَةِ الَّتِي تَطَوَّرَتْ، كَمَفْهُومٍ، مُنْذُ خَمْسِينِيَّاتِ القَرْنِ المَاضِي، مُرُورًا بِحِقْبَةِ التِّسْعِينِيَّاتِ إلى يَوْمِنَا هَذَا، السَّبَبَ ورَاءَ ظُهُورِ مَفْهُومِ التَّمْكِينِ كَشَرْطٍ أَسَاسٍ من شُرُوطِ إِنْجَاحِهَا، وذلك بِتَقْوِيَةِ قُدُرَاتِ أَفْرَادِ المُجْتَمَع، وأَيْضًا دَعْمُ الفِئَاتِ الَّتِي تَحْتَاجُ إلى مُسَانَدَةٍ أَكْثَرَ من غَيْرِهَا.

وبالنَّظَرِ إلى خَرِيطَةِ التَّمْكِينِ في الوطَنِ العَرَبِيِّ، نَجِدُ مُبَادَرَاتٍ وبَرَامِجَ تَسْتَحِقُّ التَّشْجِيعَ، لَكِنَّها غَيْرُ كَافِيَةٍ لِجُزْئِيَّتِها وانْحِسَارِها في مُحَارَبَةِ بَطَالَةِ الشَّبَاب مَثَلًا، فَبِشَكْلٍ مِن الأَشْكَالِ، يُرَكِّزُ كَثِيرٌ من الشَّبَابِ العَرَبِيِّ على عَامِلِ البَطَالَة، كَمُبْتَدَأٍ ومُنْتَهًى، ويَكْتَفِي بِاسْتِهْلَاكِ الوقْتِ والجُهْدِ في البَحْثِ عَنْ عَمَلٍ، لَكِنَّهُ يَفْتَقِرُ إلى الأَدَوَاتِ المَعْرِفِيَّةِ والتَّوْجِيهِ اللَّازِمِ لكي يُدَشِّنَ مشروعه الخَاصَّ؛ حيث يُمْكِنُ أَنْ يُطَبِّقَ أَفْكَارَهُ وطُمُوحَاتِهِ، وبالتَّالي مُمَارَسَةُ التَّغْيِيرِ الإِيجَابِيِّ والتَّأْثِيرِ البَنَّاءِ في مُجْتَمَعِهِ، وهذا المِثَالُ يَحْتَاجُ إلى أَكْثَرَ من وقْفَةِ تَأَمُّلٍ، وكما قَالَ إبراهام لنكولن(1)، في المُقْتَبَس

1. **إبراهام لنكولن:** (1809-1865م)، كان الرَّئِيسَ السَّادِسَ عَشَرَ لِلْوِلَايَات الْمُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّة في الْفَتْرَةِ مَا بَيْنَ 1861م إلى 1865م، نَشَأَ في عَائِلَةٍ فَقِيرَةٍ على الحُدُودِ الْغَرْبِيَّة لوِلَايَة كنتاكي، وَقَدْ كَانَ يُعَلِّمُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ لذا تَكَوَّنَتْ لَدَيْهِ مَعْرِفَةٌ وثَقَافَة عَالِيَةٌ خِلَال المراحل الدِّرَاسِيَّةِ الَّتِي مَرَّ بِهَا، مَارَس مِهْنَةَ القَانُون ثُمَّ أَصْبَحَ عضوًا في حِزْبِ الْأَحْرَار الأمريكِيّ، ثُمّ عضوًا في نِقَابَةِ المُحَامِين بِوِلَايَة إلينوي عَام 1830م، وَانْتُخِبَ بَعْدَ ذَلِكَ عضوًا في مَجْلِسِ النُّوابِ الأمريكِيّ عَام 1840م، وَبِالرَّغْم مِنْ قِصَر فَتْرَتِه الرِّئَاسِيَّة إِلَّا أَنَّهُ اسْتَطَاعَ قِيادَةَ الْوِلَايَات الْمُتَّحِدَة الْأَمْرِيكِيَّة بِنَجَاح بِإِعَادَةِ الْوِلَايَاتِ الَّتِي انْفَصَلَتْ عن الاتِّحَاد بِقُوَّة السِّلَاح، وَالْقَضَاءِ عَلَى الحَرْبِ الْأَهْلِيَّة الأَمْرِيكِيَّة، لِلْمَزِيد : مَوْقع ويكيبيديا المَوْسُوعَة الْحُرَّة، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/0Dwoa

المَنْسُـــوب إِلَيْهِ: "يُمْكِنُكَ تَمْكِينُ النَّاسِ بَعْضَ الأَحْيَـــانِ، ويُمْكِنُكَ تَمْكِينُ بَعْضِ النَّاسِ في كُلِّ الأَوْقَـــاتِ، ولَكِنْ من الصَّعْبِ تَمْكِينُ كُلِّ النَّاسِ في كُلِّ الأَحْيَانِ وَالأَوْقَاتِ"(1)؛ فَالتَّمْكِينُ في صِيغَتِه العَرَبِيَّةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ واعِيًا، هَادِئًا، مُتَدَرِّجًا وذَا نَفَسٍ جِدِّ طَوِيلٍ، إِذْ يَتَعَلَّقُ بِمُسْتَقْبَلِ أُمَّةٍ بِأَكْمَلِها مُمَثَّلًا في شَبَابِهَا.

إِنَّ دَوْرَ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ كَمَوْرِدٍ بَشَرِيٍّ في عَمَلِيَّةِ التَّنْمِيَةِ والتَّنْمِيَةِ والمُسْتَدَامَةِ يُحَتِّمُ إِيلَاءَ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ المَزِيدَ من الأَهَمِّيَّةِ، كما يُحَتِّمُ النَّظَرَ لهذه البَرَامِجِ كَمَشْرُوعٍ إِسْتِرَاتِيجِيٍّ، فَالتَّعَامُـــلُ العَرَبِيُّ مع التَّمْكِينِ في كَثِيرٍ من الأَحْيَانِ يَتِمُّ من وُجْهَةِ نَظَرٍ تَكْتِيكِيَّةٍ وأَنَّها بَرَامِـــجُ مَرْحَلِيَّةٌ تَنْتَهِي بِتَحْقِيقِ هَدَفٍ مـــا، وهذا مَا يَقُودُ لِإِفْرَاغِ هذه البَرَامِجِ من أَيِّ قِيمَةٍ مُضَافَةٍ على المُسْتَوى العَامِّ، بينما تُشَكِّلُ وُجْهَةُ النَّظَرِ الإِسْتِرَاتِيجِيَّةِ لهذه البَرَامِجِ مَدْخَلًا لِجَعْلِها بَرَامِجَ دَائِمَةً ومُسْـــتَمِرَّةً، ولَا تَرْتَبِطُ بِجَدَاوِلَ زَمَنِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ؛ والأَمْرُ هنا لا يَتَعَلَّقُ بِإِصْدَارِ تِرْسَـــانَةِ قَوانِينَ بل بِإِعْدَادِ الشَّبَابِ في إِطَارِ مَفْهُومِ التَّنْمِيَةِ الواسِعِ، الَّذِي يُغَطِّي أَيْضًا مَيَادِينَ التَّنْمِيَةِ الثَّقَافِيَّةِ والإِعْلَامِيَّةِ والحُقُوقِيَّةِ كَذَلِكَ.

وبِاعْتِبَارِ المَوْرِدِ البَشَرِيِّ في أَيِّ مُجْتَمَعٍ أَسَـــاسَ التَّنْمِيَةِ وأَحَدَ عَوامِلِ النُّهُوضِ بالعَمَلِ الاجْتِمَاعِـــيِّ، فَكُلَّمَا كَانَ العُنْصُرُ البَشَرِيُّ واعِيًا بِأَبْعَادِ العَمَلِ الاجْتِمَاعِيِّ ومُتَحَمِّسًـــا لِقَضَايَاهُ الإِنْسَـــانِيَّةِ ومَقَاصِدِهِ النَّبِيلَةِ، كُلَّمَا أَتَى ذلك بِنَتَائِجَ إِيجَابِيَّةٍ وحَقِيقِيَّةٍ من جِهَةٍ أُولَى؛ وشَـــكَّلَ ذلك من جِهَةٍ ثَانِيَةٍ فَضَاءً واقِعِيًّا لِمُمَارَسَـــةِ الشَّبَابِ لانْتِمَائِهِم ووَلَائِهِم لِمُجْتَمَعَاتِهِـــم وأَوْطَانِهِمْ، ومن جِهَةٍ ثَالِثَةٍ، يُمَثِّلُ العَمَلُ الاجْتِمَاعِيُّ مَجَالًا مُهِمًّا لِصَقْلِ مَهَـــارَاتِ الأَفْرَادِ، وبِنَاءِ قُدُرَاتِهِمْ، وإِطْلَاقِ العِنَـــانِ لِمَوَاهِبِهِمْ، وضَمَانِ إِبْقَاءِ جَذْوَةِ حَمَاسِهِم مُشْتَعِلَةً، فَضْلًا عن أَنَّ العَمَلَ الاجْتِمَاعِيَّ يُمَكِّنُ الشَّبَابَ من مُرَاكَمَةِ الخِبْرَاتِ والقُدُرَاتِ والمَهَارَاتِ، الَّتِي سَيَكُونُونَ في أَمَسِّ الحَاجَةِ لها، خُصُوصًا في مَرْحَلَةِ تَكْوِينِهِم ومَرْحَلَةِ وُلُوجِهِم مِحَكَّ الحَيَاةِ العَمَلِيَّةِ الحَقِيقِيَّةِ.

1. الحوتان، رنا فهد. "مَشْرُوعُ تَمْكِينِ المَرْأَةِ". **كُلِيَّةُ التَّربية**، جَامِعَة الأميرة نورة، 2012م، مُتاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/XfG8u

المبحث الثَّالِث

أُسُسُ وركَائِزُ تمَكِين الشَّبَاب

يَكْثُرُ الحَديثُ في العَالَم العَرَبيّ عن بَرَامِج وسِيَاسَاتِ التَّمْكِين المُوجَّهَة للشَّبَاب ولِغَيْرهم من الشَّرَائِح الاجْتمَاعِيَّة، إلَّا أنَّ الواقِعَ الفِعْليَّ للشَّبَاب لا يَتَنَاسَبُ مع كَثْرَةِ الطَّرْح هذه، فَبِنَظْرَة فَاحِصَة للْواقِع العَرَبِيّ يُمْكِنُ المُلاحَظَةُ وبِسُهُولَة أنَّ مُسْتَوى تمْكِين الشَّبَاب مُنْخَفِضٌ للغَايَة، وبِنَظْرَة أُخْرَى لِبرَامِج التَّمْكِين المُتَّبَعَة من قِبَلِ الحُكُومَات والمُنَظَّمَات المَعْنِيَّة بالشَّأْن الشَّبَابيّ نَجِدُ وفْرَةً في هذه البرَامِج، إضَافَةً إلى عَنَاوِينَ بَرَّاقَة واجْتِمَاعَات ونَدَوات جَميعها تُنَاقِشُ تمْكِينَ الشَّبَاب، وهذا مَا يَقُودُنَا لِطَرْح التَّسَاؤُل التَّالي، لما لم تَقْتَرِنْ كُلُّ هذه البرَامِج وكُلُّ هذا الاهْتِمَام بفَاعِليَّة حَقِيقِيَّة على الأَرْض، فعلى ما يَبْدُو فَإِنَّ هذا الاهْتِمَام الرَّسْميّ العَرَبِيّ بقَضِيَّة تمْكِين الشَّبَاب لَم تَقْتَرِنْ بأيّ سِيَاسَات عَمَلِيَّة بَلْ بَقِيَتْ في إِطَار الشِّعَارَات، وحَتَّى الشَّبَابُ المَعْنِيُّ الأَوَّلُ بِهذه البرَامِج لَم تُثِرْهُ هذه العَنَاوِين، وهنا بالإمْكَان الاسْتِعَانَةُ بأَحَد التَّقَارِير الصَّحَفِيَّة والَّتي حَاولَ اسْتِقْصَاءَ آرَاءِ الشَّبَاب فيما يَخُصُّ بَرَامِجَ تمْكِينِهم، فَكانت رُدُودُ أَفْعَالِ الشَّبَاب إمَّا بالتَّسَاؤُلِ عن معنى التَّمْكِين، أو الاسْتِغْرَاب بأنَّ في العَالَم العَرَبيّ بَرَامِجَ كهَذه، أو أَخَذُوا الأَمْرَ بالضَّحِك والاسْتِهْزَاء[1]، بالرَّغْم من أنَّ التَّقْرِيرَ المَذْكُورَ لا يُمْكِنُ الاعْتِدَادُ به كَوْنُهُ لَم يَرْقَ لِيَكُون دِرَاسَةً عِلْمِيَّةً، وكَوْن العَيِّنَة المُنْتَقَاة لا تَخْضَعُ لِمَعَايِير العَيِّنَات الإحْصَائِيَّة، إلَّا أَنَّهُ بالإمْكَان الاسْتِئْنَاسُ به لِنَاحِيَة تَشْكِيلِ تَصَوُّرٍ أَوَّليٍّ حَوْلَ مَوْقِفِ الشَّبَابِ من بَرَامِجِ التَّمْكِينِ المُوجَّهَةِ لهم.

إنَّ نَظْرَةَ الشَّبَابِ العَرَبيِّ السَّلْبِيَّةَ لِبَرَامِجِ التَّمْكِينِ المُوجَّهَةِ لَهُم سَتَقُودُ إلى انْخِفَاضِ تَفَاعُلِهِم مع هذه البَرَامِجِ، وبالتَّالي عَدَمُ جَدْوى التَّمْكِينِ، ويُمْكِنُ القَوْلُ بِأَنَّ السَّبَبَ

1. الفال، محمد المختار. "تمَكْين الشَّبَاب مَاذَا يَعْني؟". جَريدَةُ الوَطَنِ، 13 مايو 2012م، تَاريخُ الزِّيارَة 31 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/s8HbI

الرَّئِيسَ لهذه النَّظْرَةِ مَرَدُّهُ عَدَمُ بِنَاءِ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ بِنَاءً صَحِيحًا، وعَدَمُ أَخْذِ خَصَائِصِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ الدِّيمُغْرَافِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ والثَّقَافِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ؛ لِذَا فَإِنَّ الخُطْوَةَ الأُولَى في تَغْيِيرِ هذه النَّظْرَةِ وفي تَحْقِيقِ التَّمْكِينِ الفِعْلِيِّ والحَقِيقِيِّ تَتَمَثَّلُ في إعَادَةِ بِنَاءِ هذه البَرَامِجِ على أُسُسٍ عِلْمِيَّةٍ، وانْتِهَاجِ أَسَالِيبَ حَدِيثَةٍ يُشَارِكُ الشَّبَابُ مُشَارَكَةً حَقِيقِيَّةً في وضْعِ مَبَادِئِهَا، وبِشَكْلٍ عَامٍّ يَجِبُ على أَيِّ بَرْنَامَجٍ تَمْكِينِيٍّ يَسْتَهْدِفُ الشَّبَابَ العَرَبِيَّ أَنْ يَنْطَلِقَ من جُمْلَةِ قَوَاعِدَ، تُمَثِّلُ الضَّوابِطَ الفِعْلِيَّةَ لهذه البَرَامِجِ، وفِيما يَلِي سَنُبَيِّنُ أَهَمَّ وأَبْرَزَ هذه الضَّوابِطِ.

مُنْطَلَقَاتُ تمَكْينِ الشَّبَابِ العَرَبِيّ

يَرْتَبِطُ نَجَاحُ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ المُوَجَّهَةِ للشَّبَابِ العَرَبِيِّ بِالمُنْطَلَقَاتِ الَّتِي تَرْتَكِزُ عليها هذه البَرَامِجُ، **وفِيما يَأْتِي أَهَمُّ هذه المُنْطَلَقَاتِ.**

- **وَاقِعِيَّةُ البَرَامِجِ:**

وذلك بِالبُعْدِ عن البَرَامِجِ المِثَالِيَّةِ، والنَّظَرُ بِوَاقِعِيَّةٍ إلى واقعِ الشَّبَابِ الحَالِيِّ وإلى الواقعِ المُرَادِ الوُصُولِ إِلَيْهِ، والاعْتِمَادُ على الحَقَائِقِ العِلْمِيَّةِ والبَيَانَاتِ في صِيَاغَةِ البَرَامِجِ، وإِجْرَاءُ البُحُوثِ المَيْدَانِيَّةِ على إِمْكَانِيَّاتِ الشَّبَابِ الحَالِيَّةِ وتَحْدِيدِ النَّقْصِ الفِعْلِيِّ في قُدُرَاتِهِم والعَمَلُ على تَرْمِيمِ النَّقْصِ المَعْرِفِيِّ لَدَيْهِمْ.

والوَاقِعِيَّةُ تُحَتِّمُ عَدَمَ اسْتِنْسَاخِ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ الغَرْبِيَّةِ، فهي مُوَجَّهَةٌ لِشَبَابِ العَالَمِ الغَرْبِيِّ الَّذِي يَخْتَلِفُ واقِعُهُ عن نَظِيرِهِ العَرَبِيِّ، فَنِسْبَةُ الشَّبَابِ الرِّيفِيِّ في العَالَمِ العَرَبِيِّ إلى أَقْرَانِهِم في المَدِينَةِ تُعَدُّ مُرْتَفِعَةً؛ لِذَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ البَرَامِجُ المُوَجَّهَةُ للرِّيفِيِّينَ تَفُوقُ بِعَدَدِهَا تلك المُوَجَّهَةِ لِأَبْنَاءِ المَدِينَةِ، وهنا قد نَجِدُ بَعْضَ الزُّهْدِ العَرَبِيِّ في فَاعِلِيَّةِ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ المُعْتَمِدَةِ على الزِّرَاعَةِ مَثَلًا، فَالغَالِبِيَّةُ يُفَضِّلُونَ بَرَامِجَ التَّمْكِينِ التِّكْنُولُوجِيِّ، وهذا يُشَكِّلُ مُفَارَقَةً تَنْمَوِيَّةً، فَالبِيئَةُ الرِّيفِيَّةُ تَحْتَاجُ للتِّكْنُولُوجْيَا بِدُونِ أَدْنَى شَكٍّ، إِلَّا أَنَّ هذه الحَاجَةَ تَقِلُّ عن حَاجَتِهَا للتَّمْكِينِ الزِّرَاعِيِّ، فَفِي أُورُوبَّا والَّتِي تُصَنَّفُ بِمُعْظَمِهَا من دُوَلِ العَالَمِ المُتَقَدِّمِ والَّتِي تُعْتَبَرُ

في قِيَادَةِ التَّطَوُّرِ التِّكْنُولُوجِيِّ العَالَمِيِّ نَجِدُ اهْتِمَامًا لا بَأْسَ بِهِ بالتَّمْكِينِ الزِّرَاعِيِّ، وهذا ما نَفْتَقِدُهُ نِسْـبِيًّا في العَالَمِ العَـرَبِيِّ، فَالاتِّحَادُ الوطَنِيُّ لِنَوادِي المُزَارِعِينَ الشَّـبَابِ يُعَدُّ من أَكْبَرِ النَّوادِي في بِرِيطَانْيَا(1)، فَفِي لَنْدَن ووِيلْز وحْدَهُما يُوجَد أَكْـثَرُ من 640 نَادِي، ويَضُمُّ أَكْثَرَ من 22,000 عُضْوٍ، ويُعَدُّ من أَقْدَمِ النَّوادِي إِذْ يَعُودُ تَارِيخُ تَأْسِيسِـهِ إلى عِشْرِينِيَّاتِ القَرْنِ المَاضِي، ويَهْدِفُ هذه الاتِّحَادُ لِدَعْمِ الشَّـبَابِ مِمَّنْ لَدَيْهِم مُيُولٌ للزِّرَاعَةِ، وذلك من خِلَالِ تَأْمِينِ مُسْتَلْزَمَاتِ الزِّرَاعَةِ وتَوْفِيرِ المَعْلُومَاتِ العِلْمِيَّـةِ الحَدِيثَةِ حَوْلَ المَحَاصِيلِ، وبالإِضَافَةِ لهذه الخِدْمَاتِ فَإِنَّهُ يُنَظِّمُ مُؤْتَمَرَاتٍ سَـنَوِيَّةً يَجْتَمِعُ بها هؤلاء المُزَارِعُونَ الشَّبَابُ ويَتَدَاولُونَ في أُمُورِ السِّيَاسَةِ والاقْتِصَادِ والمُجْتَمَعِ إِضَافَةً إلى قَضَايَا الزِّرَاعَةِ.

- **تَمْيِيزُ التَّمْكِينِ عَنِ المُشَارَكَةِ:**

فَمُسْـتَوى المُشَارَكَةِ لا يُشْـتَرَطُ بِهِ التَّعْبِيرُ عن واقِعِ التَّمْكِينِ، فَعلى سَبِيلِ المِثَالِ إِنَّ اشْتِرَاكَ الشَّبَابِ في التَّصْوِيتِ في الانْتِخَابَاتِ العَامَّةِ لا يُمْكِنُ الاسْتِدْلَالُ بِهِ على أَنَّ الشَّبَابَ مُمَكَّنٌ سِيَاسِيًّا، وقد تَلْعَبُ مُيُولُ الشَّبَابِ وآرَاؤُهُم الخَاصَّةُ في تَحْدِيدِ رَغْبَتِهِم في المُشَارَكَةِ في أَيِّ نَشَاطٍ سِيَاسِيٍّ أو ثَقَافِيٍّ أو اقْتِصَادِيٍّ، فَالمُهِمُّ هنا أَنْ يكُونَ لَهُم حُرِّيَّةُ الاخْتِيَارِ بين المُشَارَكَةِ من عَدَمِهَا؛ بينما التَّمْكِينُ يُشِيرُ إلى الأَثَرِ الَّذِي يَتْرُكُهُ الشَّبَابُ على مُسْتَوى المُجْتَمَعِ كَكُلٍّ من النَّاحِيَةِ الاقْتِصَادِيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ والثَّقَافِيَّةِ.

- **مُوَافَقَةُ الشَّبَابِ على بَرامِجِ التَّمْكِينِ المُقْتَرَحَةِ:**

فمن غَيْرِ المَنْطِقِيِّ إِقْرَارُ بَرَامِجَ لِتَمْكِينِ الشَّـبَابِ بِدُونِ مُوافَقَتِهِم على هذه البَرَامِجِ وعـلى آلِيَّاتِ تَنْفِيذِهَا، فَهُم أَصْحَابُ المَصْلَحَةِ الحَقِيقِيُّونَ في هذه البَرَامِجِ؛ لِذَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ لَهُم الكَلِمَةُ الفَصْلُ في تَحْدِيدِ هذه البَرَامِجِ وفي صِيَاغَةِ آلِيَّاتِ تَنْفِيذِهَا.

1. "المَوْقِع الرَّسْمِيّ للاتِّحَاد الوَطَنِيّ لنَوَادِي المُزَارِعِينَ الشَّبَاب". مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/n7QlC

- **التَّدَرُّجُ:**

فَلا يُمْكِنُ الانْتِقَالُ بِسُرْعَةٍ من حَالَةِ عَدَمِ التَّمْكِينِ إلى التَّمْكِينِ التَّامِّ دُفْعَةً واحِدَةً، فَقد يَتَطَلَّبُ الوُصُولُ إلى التَّمْكِينِ التَّامِّ عِدَّةَ سَـنَواتٍ وبَرَامِجَ مُتَلَاحِقَةً ومُتَسَلْسِلَةً، كما أَنَّ مَبْدَأَ التَّدَرُّجِ يَطَالُ الفُرُوقَ الفَرْدِيَّةَ بين الشَّبَاب، فَلا يُمْكِنُ الادِّعَاءُ بِأَنَّ جَمِيعَ الشَّبَاب على ذَاتِ المُسْتَوى من الحَمَاسَةِ ومن مُسْتَوى التَّعْلِيمِ ومن الرَّغْبَةِ في العَمَلِ، فَلا يَجُوزُ أَنْ يُهْمَلَ الشَّبَابُ الأَقَلُّ حَمَاسَةً من بَرَامِجِ التَّمْكِينِ، ولَكِنْ يَجِبُ تَوْجِيهُ بَرَامِجَ مُتَبَايِنَةٍ في العُمْقِ لِكُلِّ فِئَةٍ، بحيث تُغَطِّي هذه البَرَامِجُ مُخْتَلَفَ فِئَاتِ الشَّبَاب.

ومن خِلَالِ دِرَاسَـةِ بَرَامِجِ تَمْكِينِ الشَّـبَابِ في العَالَمِ الغَرْبيِّ، يُمْكِنُ المُلَاحَظَةُ وبِسُهُولَةٍ أَنَّ عَدَدًا لا بَأْسَ بِهِ من هذه البَرَامِجِ مُوجَّهٌ لِفِئَاتِ الشَّبَابِ الأَكْثَرِ ضَعْفًا، بحيث تُسَاعِدُ هذه البَرَامِجُ على رَفْعِ سَوِيَّةِ تَمْكِينِهم بما يُؤَهِّلُهُم للدُّخُولِ في بَرَامِجِ التَّمْكِينِ المُوجَّهَةِ لِلْفِئَاتِ الأَقْوى، فَبِهذا الشَّكْلِ يَتَّضِحُ التَّدَرُّجُ في التَّمْكِينِ، فَالفِئَةُ ذَاتُها قد تَخْضَعُ لِعِدَّةِ بَرَامِجِ تَمْكِينٍ مُتَلَاحِقَةٍ، ويُعْتَبَرُ كُلُّ بَرْنَامَجٍ نَتِيجَةً لِسَـابِقِهِ ومَدْخَلًا للَاحِقِهِ، وكما ذَكَرْنَا في سِيَاقِ هذا الفَصْلِ بَعْضَ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ العَالَمِيَّةِ الَّتِي تَسْـتَهْدِفُ الفِئَاتِ الأَضْعَفَ، ومن البَرَامِجِ الرَّائِدَةِ في مَجَالِ تَمْكِينِ الشَّبَاب والَّتِي تُرَكِّزُ على التَّمْكِينِ المُتَدَرِّجِ للشَّبَابِ الأَكْثَرِ ضَعْفًا في المُجْتَمَعِ بَرَامِجُ مُنَظَّمَةِ تَنْمِيَةِ الشَّبَابِ الأُسْـتُرَالِيِّينَ المَحْدُودَةِ، والَّتِي تَأَسَّسَتْ عَامَ 2005م في أُسْتُرَاليَا، وهي مُنَظَّمَةٌ غَيْرُ رِبْحِيَّةٍ، تَهْدِفُ بِشَكْلٍ عَامٍّ إلى تَمْكِينِ الشَّبَابِ الأُسْتُرَالِيِّ، وبِشَكْلٍ خَاصٍّ تَمْكِينُ الشَّـبَابِ المَحْرُومِينَ والمُهَمَّشِينَ، لِرَفْعِ سَوِيَّةِ تَمْكِينِهم بما يُؤَهِّلُهُم للدُّخُولِ في بَرَامِجِ تَمْكِينٍ ذَاتِ سَـوِيَّاتٍ أَرْفَعَ، وذلك من خِلَالِ عِدَّةِ بَرَامِجَ تَتَّبِعُها المُنَظَّمَةُ منها تَنْظِيمُ نَدَواتٍ فِكْرِيَّةٍ للشَّبَابِ يَحْضُرُها كِبَارُ المُثَقَّفِينَ والمَشَاهِيرُ في أُسْتُرَاليَا، ويُدِيرُها الشَّبَابُ بِأَنْفُسِهم(1).

1. "المَوْقِعُ الرَّسْمِيّ لمُنَظَّمَة تَنْمِيَة الشَّبَاب الأُسْتُرَالِيِّين المَحْدُودَة". مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/IoTKl

- **الشُّمُولُ:**

ويُقْصَدُ بالشُّمُولِ كَمُنْطَلَقٍ لِتَمْكِينِ الشَّبَابِ أَنْ تَخُوضَ مُخْتَلَفُ المُؤَسَّسَاتِ الحُكُومِيَّةِ والمَدَنِيَّةِ والمُجْتَمَعِيَّةِ في عَمَلِيَّةِ تَمْكِينِ الشَّبَابِ، فبالرَّغْمِ من كَوْنِ العِبْءِ الرَّئِيسِ في تَمْكِينِ الشَّبَابِ يَقَعُ على عَاتِقِ الدَّوْلَةِ باعْتِبَارِها المَالِكَةَ لأَدَواتِ التَّمْكِينِ، إلَّا أَنَّ هذه المِلْكِيَّةَ من قِبَلِ الدَّوْلَةِ لا تُسْقِطُ المَسْؤُولِيَّةَ عن كَاهِلِ المُؤَسَّسَاتِ المَدَنِيَّةِ والمُجْتَمَعِيَّةِ، وذلك انْطِلَاقًا من مِحْوَرَيْنِ؛ الأَوَّلِ: المُسَاهَمَةُ في وضْعِ سِيَاسَاتِ التَّمْكِينِ، والثَّاني: من خِلَالِ مُشَارَكَتِها في التَّنْفِيذِ.

إنَّ هذه المُنْطَلَقَاتِ الواجبُ أَخْذُها بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ عِنْدَ تَمْكِينِ الشَّبَابِ يَجِبُ أَنْ تُرَافِقَ بِوعْيٍ تَامٍّ أَنَّهُ لا يُمْكِنُ وضْعُ النَّتَائِجِ قَبْلَ مَعْرِفَةِ تَفَاصِيلِ الواقِعِ الحَاليِّ للشَّبَابِ، وأَنَّهُ لا يَجُوزُ اخْتِصَارُ تَمْكِينِ الشَّبَابِ بِحِصَّةٍ ضِمْنَ الهَيَاكِلِ المُؤَسَّسِيَّةِ للدَّوْلَةِ، فَالقَوْلُ أَنَّهُ بإِسْنَادِ عِدَّةِ وِزَارَاتٍ للشَّبَابِ تَحَقَّقَ التَّمْكِينُ قَوْلٌ مَغْلُوطٌ ومُجَافٍ للْحَقِيقَةِ، فَالعِبْرَةُ بالآلِيَّةِ الَّتي تَمَّ وَفْقَها اخْتِيَارُ هذه العَنَاصِرِ(1)، فَهَلْ هُم مُمَثِّلُونَ حَقِيقِيُّونَ للشَّبَابِ؟ وفي ذَاتِ المِيزَانِ لا يُمْكِنُ القَوْلُ بِأَنَّ الشَّبَابَ العَرَبِيَّ يُمَثِّلُ ما يُقَارِبُ نِصْفَ المُجْتَمَعِ وبالتَّالي فمن المَفْرُوضِ إِسْنَادُ نِصْفِ الحَقَائِبِ الوِزَارِيَّةِ لَهُمْ، فَالعِبْرَةُ ليست بالمَنَاصِبِ وعَدَدِهَا، بَلْ بِقُدْرَةِ الشَّبَابِ على التَّأْثِيرِ في مُجْتَمَعِهِمْ، فَالقِيَاسُ الحَقِيقِيُّ للتَّمْكِينِ قِيَاسٌ نَوْعِيٌّ وليس كَمِّيٌّ.

تَمْكِينُ الشَّبَابِ بين الدَّوْلَةِ والمُجْتَمَعِ

تُعْتَبَرُ مَسْؤُولِيَّةُ تَمْكِينِ الشَّبَابِ من المَسْؤُولِيَّاتِ المُبَاشِرَةِ للدَّوْلَةِ، كَوْنُها تَمْتَلِكُ المَوارِدَ والأَدَواتِ اللَّازِمَةَ لإِنْجَازِ هذه المُهِمَّةِ، ولا يُمْكِنُ حَصْرُ هذه المُهِمَّةِ بِجِهَازٍ حُكُومِيٍّ بِعَيْنِهِ، ولا بِوِزَارَةٍ واحِدَةٍ، فهي مَسْؤُولِيَّةٌ حُكُومِيَّةٌ عَامَّةٌ، فَفي الحُكُومَاتِ الَّتي تُخَصَّصُ بها

1. رحال، عمر ."الشَّبَابُ والمُؤَسَّسَات والأُطُر والمَشَارِيع والنَّوَادِي الشَّبَابِيَّة". مَرْجِع سَابِق، ص65.

حَقِيبَةٌ للشَّبَاب قد تَكُونُ مُهِمَّةُ هذه الوِزَارَةِ أَهَمَّ من غَيْرِهَا، لَكِنَّها لا تَقُومُ بها وحْدَهَا، فَالجِهَازُ الاقْتِصَادِيُّ للدَّوْلَةِ إِضَافَةً لِلْجِهَازِ السِّيَاسِيِّ والتَّرْبَوِيِّ مَعْنِيٌّ بِهذه المُهِمَّةِ.

وكَوْنُ الدَّوْلَةِ الحَامِلَ الرَّئِيسَ لهذه المُهِمَّةِ لا يَنْفِي تَحْمِيلَ جُزْءٍ من المَسْـــؤُولِيَّةِ لِلْمُجْتَمَع بِشَـــكْلٍ عَامٍّ، فَقَضِيَّةُ تَمْكِينِ الشَّبَابِ قَضِيَّةٌ حُكُومِيَّةٌ ومُجْتَمَعِيَّةٌ، فَفِي حَالِ قِيَامِ الدَّوْلَةِ بِواجِبَاتِها في هذه المَسْأَلَةِ في ظِلِّ تَقَاعُسِ المُجْتَمَعِ سَتَكُونُ النَّتَائِجُ مُخَيِّبَةً لِلْآمَالِ، وهنا يَجِـــبُ الانْتِبَاهُ إلى أَنَّ بَعْضَ المُجْتَمَعَاتِ قد تَلْعَبُ دَوْرًا سَـــلْبِيًّا في هذه القَضِيَّةِ، وذلك نَتِيجَةَ النَّظْرَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الدُّونِيَّةِ لِلشَّـــبَابِ لِنَاحِيَةِ عَدَمِ قُدْرَتِهم على تَحَمُّلِ المَسْؤُولِيَّةِ، وهنا تَبْرُزُ ظَاهِرَةُ صِرَاعِ الأَجْيَالِ الَّتِي قد تَكُونُ عَامِلَ تَثْبِيطٍ لِلتَّمْكِينِ، لِذلك ولِضَمَانِ مُشَـــارَكَةٍ فَاعِلَةٍ من قِبَلِ المُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ بِشَـــكْلٍ عَامٍّ في أَيِّ بَرَامِجِ تَمْكِينٍ مُقْبِلَةٍ لا بُدَّ من اتِّبَاعِ سِيَاسَةِ تَعَامُلٍ تَقُودُ المُجْتَمَعَ لِلَعِبِ دَوْرٍ إِيجَابِيٍّ في تَفْعِيلِ هذه البَرَامِجِ، **وفِيما يلي أَهَمِّ بُنُودِ هذه السِّيَاسَاتِ.**

- **التَّقَبُّلُ:**
وتَعْنِي قَبُولَ المُجْتَمَعِ وخَاصَّةً جِيلَ الكِبَارِ لِلشَّـــبَابِ كما هُم في الواقِعِ، والتَّعَامُلُ مَعَهُم بِنِدِّيَّةٍ وليس بِدُونِيَّةٍ، واحْتِرَامَ أَفْكَارِهِم الَّتِي قد تَكُونُ مُخْتَلِفَةً بِنِسَـــبٍ كَبِيرَةٍ عن أَفْكَارِ الكِبَارِ.

- **ذَاتِيَّةُ التَّوْجِيهِ:**
بِمَعْنَـــى الابْتِعَادِ قَـــدْرَ الإِمْكَانِ عن التَّوْجِيهِ المُبَاشِرِ واللَّصِيقِ والَّذِي من شَـــأْنِهِ مُصَادَرَةُ حُرِّيَّةِ الشَّبَابِ، فَالتَّوْجِيهُ المُبَاشِرُ يَقُودُ لِتَحْوِيلِ الشَّبَابِ إلى أَدَواتِ تَنْفِيذٍ لِأَفْكَارِ وتَوجُّهَاتِ الكِبَارِ، وبالتَّأْكِيدِ فَإِنَّهُ لا تَمْكِينَ حَقِيقِيًّا بِدُونِ حُرِّيَّةٍ.

- **قَبُولُ التَّغْيِيرِ:**
فَتَمْكِينُ الشَّـــبَابِ العَرَبِيِّ إِقْرَارٌ ضِمْنِيٌّ من قِبَلِ الدَّوْلَةِ والمُجْتَمَعِ بالسَّمَاحِ لهؤلاء الشَّبَابِ بالتَّأْثِيرِ في المُجْتَمَعِ، وبالتَّالِي إِحْدَاثُ تَغْيِيرَاتٍ شَكْلِيَّةٍ وبُنْيَوِيَّةٍ في المُجْتَمَعِ، فعلى جِيلِ الكِبَارِ التَّوَقُّعُ بِأَنَّ الشَّـــبَابَ ومن خِلَالِ تَمْكِينِهم سَـــيُغَيِّرُونَ ما يَجِبُ تَغْيِيرُهُ، وبالتَّالِي عَلَيْهِم السَّيْطَرَةُ على النَّزْعَةِ الفِطْرِيَّةِ بِدَاخِلِهم والمُتَمَثِّلَةِ بِمُعَارَضَةِ

التَّغْيِير، فَهذه النَّزْعَةُ الإِنْسَانِيَّةُ الفِطْرِيَّةُ من شَأْنِها عَرْقَلَةُ التَّمْكِين؛ فَقد يَرَى بَعْضُ الكِبَارِ أَنَّ التَّمْكِينَ الفِعْلِيَّ للشَّبَابِ من شَأْنِهِ تَهْدِيدُ مَكَانَتِهِم الاجْتِمَاعِيَّةِ كَقَادَةٍ لِلْمُجْتَمَع.

إِنَّ قَبُولَ جِيلِ الكِبَارِ لِبَرَامِج تَمْكِينِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ وقَبُولَهُم المَبْدَئِيَّ بالنَّتَائِجِ المُتَوقَّعَةِ من هذا التَّمْكِينِ سَيُشَكِّلُ دَفْعًا اجْتِمَاعِيًّا حَقِيقِيًّا لِبَرَامِجِ التَّمْكِين، كما سَيُشَكِّلُ دَافِعًا مَعْنَوِيًّا ذَاتِيًّا لَدَى الشَّبَابِ للانْخِرَاطِ بِشَكْلٍ أَعْمَقَ في بَرَامِجِ التَّمْكِين.

إِنَّ الشَّرَاكَةَ بين الجِهَاتِ الحُكُومِيَّةِ ومُؤَسَّسَاتِ المُجْتَمَعِ المَدَنِيِّ ضَرُورِيَّةٌ لِلْغَايَةِ لإِنْجَاحِ بَرَامِجِ التَّمْكِينِ في العَالَمِ العَرَبِيِّ، فَمن الخَطَأِ الاعْتِقَادُ بِأَنَّ هذه المُهِمَّةَ هي مُهِمَّةٌ حُكُومِيَّةٌ، وتَنْحَصِرُ مُهِمَّةُ المُجْتَمَعِ المَدَنِيِّ بِكَوْنِهِ مُرَاقِبَ أَدَاءٍ على بَرَامِجِ الحُكُومَةِ، فَبالنَّظَرِ إلى التَّجَارِبِ الغَرْبِيَّةِ في تَمْكِينِ الشَّبَابِ نَجِدُ أَنَّ برامج التمكين كانت تتم بالتعاون والتنسيق بين الجهات الحكومية والقطاع الخاص، فَفِي الوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ وأُورُوبَّا وأُسْتُرَالِيَا تَمَّ إِحْصَاءُ ما يَزِيدُ عن 180 بَرْنَامَجٍ لِتَمْكِينِ الشَّبَابِ(1)، وَجَمِيعُهَا بَرَامِجُ مُسْتَقِلَّةٌ لا تَتْبَعُ الحُكُومَاتِ، وَإِنْ كَانَتْ تَتَلَقَّى دَعْمًا منها، وهنا بالتَّأْكِيدِ لا نُحَاوِلُ إِزَاحَةَ المَسْؤُولِيَّةِ عن كَاهِلِ الحُكُومَاتِ العَرَبِيَّةِ، ولَكِنْ وبِحُكْمٍ مَوْضُوعِيٍّ يُمْكِنُ القَوْلُ بِأَنَّ التَّقْصِيرَ الحَاصِلَ في مَجَالِ تَمْكِينِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ تَتَحَمَّلُ مَسْؤُولِيَّتَهُ مُنَاصَفَةً الحُكُومَاتِ العَرَبِيَّةِ والمُجْتَمَعِ المَدَنِيِّ المُمَثَّلِ بِهَيْئَاتِهِ ومُنَظَّمَاتِهِ ومُفَكِّرِيهِ ومُنَظِّرِيهِ.

مُقْتَرَحَات لِتَمْكِين الشَّبَاب العَرَبِيّ

لا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ وضْعُ بَرَامِجَ مُحَدَّدَةٍ مُسْبَقًا لِتَمْكِينِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ، فهي ليست وصْفَةً جَاهِزَةً يُمْكِنُ اتِّبَاعُهَا، فَلِكُلِّ بِيئَةٍ بَرَامِجُ التَّمْكِينِ الخَاصَّةِ بها، فَشَبَابُ الدُّولِ العَرَبِيَّةِ

1. موسى، سناء نبيه. "بَرَامِجُ تَطْوِير الشَّبَاب في المُنَظَّمَات والمَرَاكِز والمُؤَسَّسَات الشَّبَابِيَّة الغَرْبِيَّة". مَرْكَز شَبَاب المُسْتَقْبَل للدِّرَاسَات والبُحُوث والتَّطْوِير، مَرْكَز 2015م، ص9، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/3bzOi

ليســـوا نَسِيجًا مُتَجَانِسًا، وحَتَّى على مُسْـــتَوى الدَّوْلَةِ الواحِدَةِ لا يُشَكِّلُ الشَّبَابُ نَسِيجًا مُتَجَانِسًـــا، فَبَرَامِجُ تمَكْينِ شَبَابِ الرِّيفِ تَخْتَلِفُ عن بَرَامِجِ تمَكْينِ شَبَابِ المَدِينَةِ، كما أَنَّ بَرَامِجَ تمَكْينِ الشَّـــبَابِ المُثَقَّفِ تَخْتَلِفُ عن تلك المُوجَّهَةِ لِمَحْدُودِي الثَّقَافَةِ، لذلك لا يَجِبُ التَّوقُّعُ بِأَنَّ هذه الدِّرَاسَةَ أو غَيْرَها يمُكْنُها وضْعُ بَرَامِجَ جَاهِزَةٍ للتَّمْكِينِ، فَأَيُّ بَرْنَامَجٍ حَقِيقِيٍّ يَجِبُ أَنْ يَقُومَ على دِرَاسَـــةِ خَصَائِصِ البِيئَةِ المُسْتَهْدَفَةِ، إِذْ إِنَّ ما يُحَدِّدُ نَجَاحَ وفَاعِلِيَّةَ هذه البرَامِجِ هو مَدَى ارْتِبَاطِها بِخَصَائِصِ البِيئَةِ وعلى إِثْرِها سَـــتَكُونُ جَوْدَةُ النَّتَائِجِ؛ وهنا يَجِبُ الانْتِبَاهُ إلى أَنَّ تمَكْينَ فِئَاتِ الشَّبَابِ الأَشَدِّ ضَعْفًا لَها أَوْلَوِيَّةٌ أَعْلَى من تلك المُوجَّهَةِ للْفِئَاتِ الأَقْوى.

ولَكِنَّ عَدَمَ القُدْرَةِ على وضْعِ بَرَامِجِ تمَكْينٍ جَاهِزَةٍ لا يمَنْعُ من وضْعِ خُطُوطٍ عَرِيضَةٍ لهذه البرَامِجِ، يمُكْنُ البِنَاءُ عَلَيْهَا، وبالتَّأْكِيدِ فَإِنَّها ليست الخُطُوطُ الوحِيدَةُ، فَبالإِمْكَانِ تَطْوِيرُها وإِضَافَةُ ما تَفْرِضُهُ طَبِيعَةُ الحَيَاةِ المُتَجَدِّدَةِ والمُتَغَيِّرَةِ، **وفيما يلي أَهَمُّ هذه الخُطُوط.**

- رَفْعُ سَـــوِيَّةِ التَّعْلِيمِ، وزِيَادَةُ الاعْتِمَادِ على التَّعْلِيمِ المِهْنِيِّ، ورَبْطُ التَّعْلِيمِ بِمُتَطَلَّبَاتِ سُوقِ العَمَلِ.
- تَسْهِيلُ وُصُولِ الشَّـــبَابِ للْمَجَالِسِ المَحَلِّيَّةِ وللْهَيْئَاتِ التَّشْرِيعِيَّةِ، بحيث يكُونُ لَهُم صَوْتٌ في أَيِّ سِيَاسَاتٍ عَامَّةٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ.
- مُحَاولَـــةُ إِظْهَارِ الهُوِيَّـــةِ الثَّقَافِيَّةِ العَرَبِيَّةِ في أَيِّ بَرْنَامَـــجٍ تمَكْينِيٍّ، كَوْنُ الهُوِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ تمُثَّلُ رَبْطًا فَعَّالًا للشَّبَابِ بِبِيئَتِهِم.
- تَحْدِيثُ طُرُقِ إِعْدَادِ المَعْنِيِّينَ بِشُـــؤُونِ الشَّـــبَابِ بحيث يَتِمُّ تَأْهِيلُهُم بِشَكْلٍ عِلْمِيٍّ لِيَكُونُوا قَادِرِينَ على التَّفَاعُلِ مع بَرَامِجِ التَّمْكِينِ.
- تَعْزِيزُ ثَقَافَةِ التَّعَاوُنِ والمُشَـــارَكَةِ بين الشَّـــبَابِ، من خِلَالِ تَحْفِيزِهِم على العَمَلِ التَّطَوُّعِيِّ لا سِيَّما الاجْتِمَاعِيُّ منه.
- مُحَارَبَةُ الانْغِلَاقِ الثَّقَافِيِّ وتَشْجِيعُ الانْفِتَاحِ المَدْرُوسِ على الثَّقَافَاتِ الأُخْرَى.
- العَمَلُ على زِيَادَةِ مُسْـــتَوى الحُرِّيَّةِ في المُجْتَمَعَاتِ العَرَبِيَّةِ، وتَعْزِيزُ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ، فَالبِيئَةُ الحَاضِنَةُ لِبَرَامِجِ التَّمْكِينِ لَها أَثَرٌ هَامٌّ في إِنْجَاحِهَا.

وختامًا لهذا الفصل، لا بُدَّ من التَّأْكِيدِ على أَنَّ مُهِمَّةَ تمَكِينِ الشَّــبَاب العَرَبِيِّ ليست نَوْعًا من التَّرَفِ النَّظَرِيِّ أو الجِدَالِ الفِكْرِيِّ، بل إِنَّها مُهِمَّةٌ عَاجِلَةٌ وأَوْلَوِيَّةٌ لَازِمَةٌ، من قِبَلِ الحُكُومَاتِ والنُّخَبِ والمُجْتَمَعَاتِ على حَدٍّ سَواءٍ، وذلك بالنَّظَرِ إلى حَجْمِ المَخَاطِرِ والتَّحَدِّيَاتِ الَّتِي تُواجِهُها الدُّولُ والمُجْتَمَعَاتُ العَرَبِيَّةُ حَاضِرًا، وتلك المُتَوقَّع أَنْ تُواجِهَها مُسْتَقْبَلًا، ولِأَنَّ الشَّبَابَ هُم حَاضِرُ الأُمَّةِ ومُسْتَقْبَلُها فَإِنَّهُم نُقْطَةُ البَدْءِ الرَّئِيسَةِ والمُرْتَكِزِ الأَسَــاسِ لأَيِّ إِسْتِرَاتِيجِيَّاتٍ تَنْمَوِيَّةٍ لِبِنَاءِ غَدٍ أَفْضَلَ لِأُمَّتِنَا يَتَوَاءَمُ مع تَارِيخِها النَّاصِعِ وحَضَارَتِها الغَرَّاءِ.

الفصْلُ العَاشِرُ

الشَّبَابُ العَرَبِيُّ بَعْدَ ثَوراتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ

- **مُقَدِّمَة**
- **المَبْحَث الأَوَّل: أَمَلُ البِدَايَاتِ وإِحْبَاطُ النِّهايَاتِ**
  - الربيع العربي بين الفكرة والتطبيق
  - الأَزْمَةُ والصَّدْمَةُ... حقَائِقُ ثَوْرَةٍ وشَهادَات جِيلٍ
  - الرَّبِيعُ العَرَبِيُّ والدَّوْلَةُ العَمِيقَةُ
  - الشَّبَابُ بِنْيَةُ الحُضُورِ والغِيَاب
- **المَبْحَث الثَّاني: ما بَعْدَ الرَّبِيع العَرَبيّ**
  - شَبَابُ الأَزْمَةِ نمَاذِجُ مِن بُلْدَانِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ
  - الثَّابِتُ والمتغير في أَحْوالِ الشَّبَابِ العَرَبيّ
- **المَبْحَث الثَّالث: وُجُوهٌ أُخْرَى لِلرَّبِيع العَرَبيّ**
  - الرَّبِيعُ العَرَبيُّ بَيْنَ العَفويَّةِ والتَّخْطِيط
  - الرَّبِيعُ العَرَبيُّ وتَقْسِيمُ المُقَسَّمِ
  - الرَّبِيعُ العَرَبِيُّ في مِيزَانِ الرِّبْحِ والخَسَارَة
  - أَسْبَابُ فَشَلِ ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيُّ

الفَصْل العَاشِر

الشَّبَابُ العَرَبِيُّ بَعْدَ ثَوراتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ

مُقَدِّمَة

شَكَّلَتْ مَوْجَةُ الرَّبيع العَرَبيّ عَلامَةً تَاريخيَّةً واجْتِمَاعِيَّةً فارِقَةً في حَيَاةِ الشَّبَاب العَرَبيّ، فَما قَبْلَهُ يَخْتَلِفُ بِشَكْلٍ جَذْرِيٍّ عَمَّا بَعْدَهُ، ومن ثَمَّ فإِنَّهُ لا يُمْكِنُ لأَيِّ عَمَلٍ بَحْثِيٍّ يَتَنَاوَلُ حَاضِرَ ومُسْتَقْبَلَ الشَّبَاب في المِنْطَقَةِ العَرَبِيَّةِ أَنْ يَغْفُلَ أو يَتَغَافَلَ عن مَواسِمِ الرَّبِيعِ الَّتِي حُوِلَّت قَسْرًا إلى خَرِيف أتَى على كُلِّ الأَحْلام والآمَالِ الَّتِي رَافَقَتْ هذا الرَّبِيعَ مِن بِدايَتِه، كَمُتَغَيِّرٍ أَصِيلٍ له تَأْثِيراتُهُ الَّتِي خَلْخَلَت المُواضَعَات السَّابِقَة والتَّقْليدِيَّة في حَيَاةِ شَبَاب الأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ، وهذا ما يُكْسِبُ هذا الفصْلَ أَهَمِّيَّةً خَاصَّةً في بِنْيَةِ هذه الدِّرَاسَةِ كَكُلٍّ.

بَيْدَ أَنَّهُ من الصُّعُوبَةِ بِمكَانٍ من النَّاحِيَةِ المَنْهَجِيَّةِ الاضْطِلاعُ بِتَصْنِيفٍ تَحْكِيمِيٍّ أو قِيمِيٍّ حَوْلَ أيٍّ من المُعْطَيَيْنِ السَّابِقَيْنِ؛ الرَّبِيعُ العَرَبِيُّ والشَّبَابُ العَرَبِيُّ، هو المُتَغَيِّرُ أو المُسْتَقِلُّ، وأَيُّ منهما يَتَّخِذُ وضْعِيَّةَ التَّابِع، ومن ثَمَّ فإِنَّ جَدَلِيَّةَ التَّسَاؤُلاتِ البَحْثِيَّة، حَوْلَ أَيِّهِما المُؤَثِّرُ وأَيِّهِما الواقِعُ تَحْتَ التَّأْثِير، تَبْدُو غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ وبِلا حُدُود؛ هَلْ مَوْجَاتُ الرَّبِيعِ في نُسْخَتِها العَرَبِيَّةِ المُتَغَيِّرُ الأَكْثَرُ تَأْثِيرًا في حَاضِرِ ومُسْتَقْبَلِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ؟ أَمْ أَنَّ الشَّبَابَ العَرَبِيَّ هو صَانِعُ تِلْكَ المَواسِمِ والمُتَحَكِّمُ في مَصَائِرِها بِالنَّجَاحِ والفشَلِ؟ ومن ثَمَّ فإِنَّهُ لن يُكْتَفى بِحَصَادِها المَرْحَلِيِّ المُرِّ المَشُوب بِالدَّمَارِ والدُّخَانِ، من دُونِ أَنْ يُشْعِلَ مَواسِمَ أُخْرَى، إِنْ عَاجِلًا أو آجِلًا، بَحْثًا عن حَصَادٍ يُرْضِي طُمُوحَاتِ الحَاضِرِ ويُواكِبُ تَحَدِّيَاتِ المُسْتَقْبَلِ.

وقد يَتَكَاثَفُ السَّوادُ هنا من خِلالِ العَنَاوِينِ السَّائِدَةِ: صِرَاعُ الأَجْيَالِ، جِيلُ الأَزْمَةِ، جِيلُ الحَدَاثَةِ وما بَعْدَ الحَدَاثَةِ، بَطَالَةُ الشَّبَابِ المُثَقَّفِ، شَبَابُ الشَّوارِعِ والعُنْفِ الحَضَرِيِّ، ونَحْوُ ذَلِكَ، مع الأَخْذِ بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ مُتَغَيِّرَاتِ كُلِّ مَرْحَلَةٍ، وكذلك الحَيِّزَ المَكَانِيَّ والجِنْسِيَّ (ذَكَرًا أو أُنْثَى) في إِطَارِ مَفْهُومِ "السِّنِّ" دَائِمًا.

من شَـــمَالِ إفْرِيقِيَا إلى الشَّرْقِ الأَوْسَطِ إذَنْ، تَتَشَكَّلُ خَارطَةُ شَبَابٍ مُمَزَّقٍ بين عَوامِلِ التَّهْمِيشِ المُمَنْهَجِ والبَطَالَةِ القَسْرِيَّةِ، في ظِلِّ دِيكْتَاتُورِيَّاتٍ جَاثِمَةٍ على الأَنْفَاسِ أَفْرَزَتْ تَطَرُّفًا مُتَرَبِّصًا بالأَرْوَاحِ والأَمْوالِ، وبينَ هذا وذَاكَ، ثَمَّةَ سَـــواعِدُ وعُقُولُ فِتْيَةٍ آمَنَتْ بِـــأَنَّ البَدِيلَ مَوْجُودٌ وجَاهِزٌ للتَّحَرُّكِ، إنَّهُ الشَّـــبَابُ العَرَبِيُّ التَّـــوَّاقُ للحُرِّيَّةِ والعَدَالَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، والَّذِي أَطْلَقَ مُعَاصِرُوهُ التُّونِسِـــيُّونَ الشَّرَارَةَ الأُولَى في سَنَةِ 2011م(1)، لِتَنْتَشِرَ مَظَاهِرُها وتَدَاعِيَاتُها في أَرْجَاءِ الوطَنِ العَرَبِيِّ انْتِشَارَ النَّارِ في الهَشِيمِ.

وهَكَذَا كَانَ "الرَّبِيعُ العَرَبِيُّ" مَوْسِـــمًا له مَلامِحُهُ وخُصُوصِيَّتُهُ في نُسْـــخَتِهِ التُّونسيَّةِ والمِصْرِيَّةِ وأَيْضًا اللِّيبِيَّةِ، فبَعْضُها يَلْتَقِي في حَرَاكِ التَّغْيِيرِ الدَّامِي لإِسْـــقَاطِ الأَنْظِمَةِ، وبَعْضُها الآخَرُ تَوسَّـــلَ الاحْتِجَاجَاتِ السِّـــلْمِيَّةَ والمُواجَهاتِ المَحْدُودَةَ لِتَحْقِيقِ مَطَالِبَ اجْتِمَاعِيَّةٍ وسِيَاسِيَّةٍ مَشْرُوعَةٍ ظَلَّتْ حُلْمًا بَعِيدَ المَنَالِ لأَجْيَالٍ مُتَعَاقِبَةٍ.
في حِينِ انْطَلَقَتْ شَرَارَاتٌ مِنْها رَافِعَةً مَطَالِبَ التَّغْيِيرِ، ولَكِنْ من دُونِ المَسَاسِ بالأَنْظِمَةِ القَائِمَةِ، كما في النَّمُوذَجِ المَغْرِبِيِّ والجَزَائِرِيِّ والأُرْدُنِيِّ والخَلِيجِيِّ، فِيما تَبْقَى سُـــورْيَا واليَمَنُ حَالَتَيْنِ فرِيدَتَيْنِ(2)، هذا مـــن دُونِ إغْفالِ الحَالَةِ العِرَاقِيَّةِ المُتَفَرِّدَةِ بإِقْحَامِ

1. **الشَّرارَةُ التُّونسِـيَّة**: مِيلادُ الثَّوْرَاتِ العَرَبِيَّةِ بَدَأَ من تُونُسَ، وتَحْدِيدًا من مَدِينَةِ سِـيدِي بُوزِيد عندما أَقْدَمَ الشَّـابُّ مُحَمَّد البُوعَزِيزِي على إحْرَاقِ نَفْسِـهِ في 17 ديسـمبر/كانون الأَوَّل 2010م، بَعْدَ مُصَادَرَةِ عَرَبَتِهِ وصَفْعِـهِ مِـن قِبَلِ شُرْطِيَّـةٍ أَمَامَ مَقَرِّ المَجْلِسِ المَحَلِّيِّ، لِيُفَجِّرَ على أَثَرِ ذَلِكَ احْتِجَاجَاتٍ واسِـعَةً انْتَشَرَتْ في مُخْتَلَـفِ المُدُنِ التُّونسِـيَّةِ، وأَخَذَتِ المُظَاهَـرَاتُ طَابَعَ الاحْتِجَاجِ في البِدَايَةِ ضِدَّ الظُّلْـمِ والإِقْصَاءِ والبَطَالَةِ والتَّهْمِيشِ، ثُمَّ انْتَهَتْ بالدَّعْوَةِ إلَى إسْـقَاطِ الحُكُومَةِ ورَحِيلِ النِّظَامِ، وسَـطَ حَالَةٍ شَـدِيدَةٍ مِنَ القَمْعِ وقَتْلِ المُتَظَاهِرِيـنَ مِـن قِبَلِ قُوَّاتِ الشُّرْطَةِ والأَمْـنِ، وحِيادٍ من طَرَفِ عَنَاصِرِ الجَيْشِ، ومَعَ اشْـتِدَادِ القَمْعِ لَجَأَ المُحْتَجُّونَ الثَّائِرُونَ إلَى إضْرَامِ النَّارِ في عَدَدٍ من مَرَاكِزِ الشُّرْطَةِ ومقارِّ الحِزْبِ الدُّسْـتُورِيِّ الحَاكِمِ، ومَعَ اتِّسَـاعِ رُقْعَـةِ الاحْتِجَاجَاتِ، وحِيَادِ الجَيْشِ اضْطُرَّ زَيْـنُ العَابِدِينَ بْنُ عَلِيٍّ إلى الرَّحِيلِ في 14 يناير/كانون الثَّانِي 2011م، لِتَنْتَقِلَ بَعْدَها هذه الشَّرَارَةُ إلى بَعْضِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ بالتَّدْرِيجِ، لِلْمَزِيدِ: الثَّوْرَةُ التُّونِسِيَّةُ، مَوْقِع وِيكِيبِيدِيا المَوسُوعَةِ الحُرَّةِ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/Bk4KX
2. من حيثُ مَطَالِبُ إسْقَاطِ النِّظَامِ الَّذِي حَوَّلَ البَلَدَيْنِ إلى سَاحَةِ صِرَاعٍ مَفْتُوحَةٍ بين كِبَارِ اللَّاعِبِينَ الدَّوْلِيِّينَ في الشَّرْقِ الأَوْسَطِ: أَمْرِيكَا، رُوسْيَا، بِرِيطَانْيَا، فرَنْسَا، إِسْرَائِيل، وتَمَّ تَلْوِينُهُ بالنِّزَاعِ العَقَائِدِيِّ التَّارِيخِيِّ بين السُّنَّةِ مُمَثَّلَةً بالسُّـعُودِيَّةِ وحُلَفَائِها من جِهَةٍ، والشِّـيعَةِ بزَعَامَةِ إيرَانِ المَلالِي وجَمَاعَاتِها في المِنْطَقَةِ، من جِهَةٍ أُخْرَى، نَاهِيكَ عن تَمْرِيرِ الصِّرَاعِ تَحْتَ لافِتَةِ إسْقَاطِ دِيكْتَاتُورِيَّةِ الأَسَدِ، وإِقْرَارِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ في اليَمَنِ، وهَلُمَّ جَرًّا.

بَلَدٍ عَرَبِيٍّ في نَفْسِ الأُكْذُوبَةِ الكُبْرَى الَّتِي أَنْتَجَتْ خَرَابًا وتَقْسِيمًا، بَدَلَ إِعَادَةِ إِعْمَارٍ وتَدْشِينِ جَنَّةٍ لِلدِّيمُقْرَاطِيَّةِ! ممَّا جَعَلَ الحَرَاك العَرَبِيَّ لِتَغْيِير الوَاقِعِ مَهَمَّةً بَالِغَةَ الصُّعُوبَة، وبَاهِظَةَ التَّكْلِفَةِ خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ وجَدَ العَدِيدُ مِن المُتَسَلِّقِينَ أَفرَادًا وحُكُوماتٍ في ثَوَراتِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ فُرْصَةً لِتَحْقِيقِ مَكاسِبَ شَخْصِيَّةٍ، بِتَحْوِيلِ هَذِه الثَّوْرَاتِ عَن مَسَارِها وإِفْرَاغِها مِن مُحْتَواها الإِنْسَانيِّ والحَضَارِيِّ، أَو بِجَمْعِ التَّأْيِيدِ والثَّرْوَةِ والقُوَّةِ معًا لِقَتْلِ هذا الرَّبِيعِ وإِحَالَتِه خَرِيفًا من خِلالِ الثَّوْرَاتِ المُضَادَّةِ(1) الَّتِي أَتَتْ على ما أَنْجَزَهُ شَبَابُ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ وأَحَالَتْ مَكَاسِبَهُ خَسَارَةً لَهُم ولِلمُجْتَمَعِ بِالكَامِلِ.

ويَسْعَى هذا الفصْلُ إلى سَبرِ أَغْوارِ واقِعِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ ما بَعْدَ حِقْبَةِ الثَّوراتِ، من خِلالِ رَصْدِ الآلامِ الَّتِي تَحَمَّلَهَا الشَّبَابُ العَرَبِيُّ المُطَالِبُ بِالتَّغْيِيرِ، ومِن ثَمَّ الآمَالُ الَّتِي عَاشَها أُولئك الشَّبَابُ حِينما لاحَتْ بَوادِرُ أُفُقٍ جَدِيدٍ، قَبْلَ أَنْ تتنازَعَهُم أَنْواءُ الإِحْبَاطِ بَعْدَ أُفُولِ مَوْجَتِهِم الثَّوْرِيَّةِ وما آلَتْ إِلَيْهِ من إِخْفاقَاتٍ، سَنَذْكُرُ أَسْبَابَها في سِيَاقِ هذا الفَصْلِ، دَفعَ ضَرِيبَتَها الشَّبَابُ أَنْفُسُهُم، فَبينَ أَمَلِ البِدَايَاتِ وإِحْبَاطِ النِّهايَاتِ يَسْتَغْرِقُ الفصْلُ في شَهادَاتٍ مُقَارَبَاتٍ شَبَابِيَّةٍ من دُوَلٍ عَرَبِيَّةٍ مُخْتَلِفةٍ، وتَتَوزَّعُ جَدَلِيَّةُ الثَّابِتِ والمُتَغَيِّرِ في واقِعِ وأَحْوالِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ ما قَبْلَ الثَّوراتِ العَرَبِيَّةِ وما بَعْدَها في ثَنَايَا هذا الفصْلِ، وُصُولًا إلى تَوْصِيفِ حَالَةِ اليَأْسِ وضَبَابِيَّةِ الأُفُقِ الغَائِمِ الَّتِي خَيَّمَتْ على آمَالِ شَبَابِ أُمَّةٍ بِكَامِلِها.

1. **الثَّوْرَةُ المُضَادَّةُ:** هي حَرَكَةٌ من أَعْدَاءِ أَيِّ ثَوْرَةٍ أو تَغْيِيرٍ، تَأْتِي بَعْدَ فَشَلِ مُوَجَّهِ المُوَاجَهَةِ المُبَاشِرَةِ ومُحَاوَلَةِ قَمْعِ ووَأْدِ الثَّوْرَةِ بِالقُوَّةِ، فلمّا تَنَجَّحُ الثَّوْرَةُ وتَبْسُطُ نُفُوذَها، لا يَبْقَى في أَيْدِي أَعْدَائها سِوَى التَّسَلُّلِ لِدَاخِلِها وحَمْلِ شِعَارَاتِها، ومن ثَمَّ ضَرْبها مِن الدَّاخِلِ وبوَسَائِلِها هِي نَفْسِها، لَقَدْ كَانَتْ أَوّلَ ثَوْرَةٍ مُضَادَّةٍ وثَّقَها التَّارِيخُ هِي تلك الَّتِي قَادَها أَعْداءُ الإِسْلامِ بَعْدَ فَشَلِ حُرُوبِهِم وقَمْعِهِم ضِدَّه، فتَسَلَّلُوا دَاخِلَه فِيما عُرِف بِظَاهِرِه المُنَافِقِين، الَّذِين تَلَبَّسُوا بِلِبَاسِ الإِسْلام، وبَدَأُوا يَعْمَلُونَ على ضَرْبَةٍ من الدَّاخِلِ بإِطْلاقِ حَمَلاتٍ دِعَائِيَّةٍ تَهْدِفُ لِزَعْزَعَةِ الصَّفِ وتَمْزِيقِ الوَحْدَةِ وخَلْخَلَةِ البُنْيَان، عَبْرَ تَرْوِيجِ الأَكَاذِيبِ وبَثِّ كُلِّ ما يُضْعِفُ النُّفُوسَ ويَزْرَعُ الشَّكَّ في المَشْرُوعِ وقِيادَتِه، لِلْمَزِيد: قَادَة الدِّينِ، حِكَايَةُ الثَّوْرَةِ المُضَادَّة، مُدَوَّنَة الجَزِيرَة، 10 يوليو 2017م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 8 يونيو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/Cosj6

المبحث الأَوَّلُ

أَمَلُ البِدَايَاتِ وإِحْبَاطُ النِّهايَاتِ

على غَيْرِ عَادَةِ مَشَاهِدِ الإعْلامِ المُؤَرِّخَةِ لاحْتِجَاجَاتٍ تَارِيخِيَّةٍ شَتَّى حَوْلَ العَالَمِ، والَّتِي لا تَخْرُجُ عن حَالَتَيْنِ: فوْضَوِيٌّ يَرْشُقُ رِجَالَ الأَمْنِ بالحِجَارَةِ ويُشْعِلُ النَّارَ في عَجَلاتِ مَطَّاطِيَّةٍ أو شَابٌّ بِرَبْطَةِ عُنُقٍ يُحَاوِرُ ويُنَاقِشُ مَسْؤُولًا حُكُومِيًّا، يُفْصِحُ "الرَّبِيعُ العَرَبِيُّ" عن تَنَوُّعٍ وتَلاحُقٍ فريدٍ للأَحْدَاثِ، بَعِيدًا شَيْئًا ما عن تِلْكَ الصُّورَةِ النَّمَطِيَّةِ المُكَرَّرَةِ، قَرِيبًا من شَبَابٍ عَرَبِيٍّ بدأ يَجِدُ نَفْسَهُ أَكْثَرَ فأَكْثَرَ في سِيَاقِ تَعْرِيفٍ عَالَمِيٍّ كَوْنِيٍّ، يَصُبُّ تَدْرِيجيًّا في سِيَاقِ تَيَّارِ الشَّبِيبَةِ العَالَمِيَّةِ، مُغَايِرٍ للمَوْرُوثَاتِ في الثَّقَافَاتِ والأَيْدِيُولُوجِيَّاتِ والأَحْقَابِ، ومُتَسَلِّحٍ بِقُوَّةِ الثَّوْرَةِ المَعْلُومَاتِيَّةِ وأَقْطَابِ التَّوَاصُلِ والثَّقَافَةِ الجَدِيدَةِ.

فرَضَ ذلك تَبَلْوُرَ نَظْرَةٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ للأَجْيَالِ الجَدِيدَةِ في العَالَمِ العَرَبِيِّ، تَتَجَاوَزُ جُهُودَ تَأْسِيسٍ مَعْرِفِيَّةٍ مُؤَطَّرَةٍ حَوْلَ وضْعِيَّةِ الشَّبَابِ كَمَجْمُوعَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ مُتَجَانِسَةٍ نِسْبِيًّا أو اخْتِزَالَهُ في "كَلِمَةٍ" تُشِيرُ إلى مَجْمُوعِ العَلاقَاتِ التَّارِيخِيَّةِ "المَوْضُوعَةِ" بِدَاخِلِ الأَجْسَادِ الفرْدِيَّةِ، في شَكْلِ أَنْمَاطٍ ذِهْنِيَّةٍ وبَدَنِيَّةٍ للإِدْرَاكِ الحِسِّيِّ والتَّقْدِيرِ والتَّصَرُّفِ، حَسَبَ صِيغَةِ بيير بورديو(1) Pierre Bourdieu ونَظَرِيَّتِهِ حَوْلَ التَّطَبُّعِ بالبِيئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ.

ولا أَدَلَّ على ذلك من كَمِّ الحَقَائِقِ وحَجْمِ الوعْيِ المُضَمَّنِ في تلك الشَّهادَاتِ المُسْتَقَاةِ من مَجْمُوعَةِ شَبَابٍ شَارَكُوا فِعْلِيًّا في الحَرَاكِ أو نَاصَرُوهُ ونَاضَلُوا سِلْمِيًّا على تَطْبِيقِ جُزْءٍ

1. بيير بورديو: (2002-1930م)، عَالِمُ اجْتِمَاعٍ فرَنْسِيٌّ، أَحَدُ الفاعِلِينَ الأَسَاسِيِّينَ بالحَيَاةِ الثَّقَافِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ بفرَنْسَا، وأَحَدَ أَبْرَزِ المَرَاجِعِ العَالَمِيَّةِ في عِلْمِ الاجْتِمَاعِ المُعَاصِرِ، بَدَأَ نَجْمُهُ يَبْزُغُ بين المُتَخَصِّصِينَ انْطِلاقًا مِنَ السِّتِّينِيَّاتِ بَعْدَ إِصْدَارِهِ كِتَابَ الورَثَةِ عَامَ 1964م، وازْدَادَتْ شُهْرَتُهُ في آخِرِ حَيَاتِهِ بِخُرُوجِهِ في مُظَاهَرَاتٍ ووُقُوفِهِ مع فِئَاتِ المُحْتَجِّينَ والمُضْرِبِينَ، اهْتَمَّ بِتَنَاوُلِ أَنْمَاطِ السَّيْطَرَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ بواسِطَةِ تَحْلِيلٍ مَادِّيٍّ للإِنْتَاجَاتِ الثَّقَافِيَّةِ يَكْفُلُ إِبْرَازَ آلِيَّاتِ إِعَادَةِ الإِنْتَاجِ المُتَعَلِّقَةِ بالبِنْيَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، للمَزِيدِ: مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا المَوْسُوعَةِ الحُرَّةِ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/pNRAH

أو جُمْلَـــةٍ من مَطَالِبِهِ في مُجْتَمَعَاتِهِمْ، بالانْخِـــرَاطِ في أَهْدَافِ جَمْعِيَّاتِ المُجْتَمَعِ المَدَنيِّ وباسْتِخْدَامِ أَدَواتِ الفنِّ والأَدَبِ والثَّقَافةِ أَيْضًا.

فإذا كان الشَّـــبَابُ العَرَبيُّ قد اخْتَارَ الحُضُورَ القَويَّ المُبَاشِرَ، بوضْعِ بَصْمَتِهِ التَّارِيخِيَّةِ في صِنَاعَةِ وتَدْبِيرِ مَشَـــاهِدِ وأَحْدَاثِ ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ، فإِنَّ مَرْحَلَةَ ما بَعْدَ هذه الأَخِيرَةِ قد اتَّسَـــمَتْ بِغِيَابٍ اضْطِرَارِيٍّ أو ظَرْفيٍّ لافِتٍ لهـــم، نَتِيجَةَ زَخَّاتٍ من تَرَاكُمِ خَيْبَاتِ الأَمَـــلِ تَطَلَّبَتْ ضَرُورَةَ إِجْرَاءِ مُرَاجَعَاتٍ مَوْضُوعِيَّةٍ للذَّاتِ، في مُتَتَالِيَةٍ سَـــبَبِيَّةٍ للأَزْمَةِ والصَّدْمَةِ، والتي صَاحَبَتْ بِنْيَـــةَ الحُضُورِ القَبَلِيَّةِ وكَيْنُونَةَ الغِيَابِ البَعْدِيَّةِ، فإِذَا كانت وطْأَةُ المُتَتَالِيَةِ الأُولَى سَـــبَبًا في تَخَطِّي الشَّـــبَابِ العَرَبيِّ لِحَاجِزِ الخَوْفِ والصَّمْتِ، فإِنَّ شِـــدَّةَ الثَّانِيَةِ وقَسْوَتَهَا ولَّدَتْ في أَوْسَاطِهِمْ إِحْسَاسًا عَمِيقًا بَالحَسْرَةِ والأَلَمِ على حُلْمٍ أُجْهِضَ قَـــسْرًا في بِدَايَاتِهِ المُبَكِّرَةِ، لِيَخْرُجُوا مِنْهُ في الآخِرِ خَالِيِّي الوفاضِ أَمَامَ أَنْظِمَةٍ مُتَلَوِّنَةٍ وانْتِهازِيَّةٍ، عَرَفَتْ كَيْفَ تُغَيِّرُ جِلْدَها وتُجَدِّدُ ذَاتَها البَالِيَةَ بِبَرَاعَةٍ، فتُحَوِّلُ انْكِسَارَاتِها إلى انْتِصَارَاتٍ، وأُفُولَها اللَّحْظِيَّ إلى بُزُوغٍ جَدِيدٍ.

الرَّبِيعُ العَرَبيُّ بين الفِكْرَةِ والتَّطْبِيقِ

إِنَّ الفَهْـــمَ الحَقِيقيَّ والدَّقِيقَ لثَـــوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبيِّ يَجِبُ أَنْ يَنْطَلِقَ من كَوْنِها حَرَكَاتٍ تَنْوِيرِيَّةً(1)، فَمِنَ الظُّلْمِ لهذه الثَّوْرَاتِ اعْتِبَارُ المَطَالِبِ المَعِيشِيَّةِ السَّبَبَ الرَّئِيسَ والوَحِيدَ في خُرُوجِها، فبِالرَّغْمِ من أَهَمِّيَّةِ هذه المَطَالِبِ لَكِنَّها لَمْ تَكُن الوَحِيدَةَ، فالرَّبِيعُ العَرَبيُّ حَالَـــةٌ فِكْرِيَّةٌ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ ثَوْرِيَّةً، ومَوْقِفُ الشَّـــبَابِ العَرَبيِّ مِنْه يُمْكِنُ إِيجَادُ جُذُورِه قَبْـــلَ مِائَةِ عَامٍ، فَهذا الحِرَاكُ هو امْتِدَادٌ طَبِيعِيٌّ لِحَرَكَةِ التَّنْوِيرِ التي بَدَأَتْ في نِهايَةِ القَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ وبِدَايَةِ القَرْنِ العِشْرِينَ وحَمَلَ لِوَاءَها آنذاك كُلًّا من عَبْدالرحْمَن

1. عيد، عَبْدالرَّزَّاق. "مُسْتَقْبَلُ التَّنْوير في بُلْدَان الرَّبِيعِ العَرَبيِّ سُورْيَا نَمُوذَجًا". مَجَلَّةُ أَوْرَاق فِلَسْطِينِيَّة، العَدَد الثَّاني، أكتوبر 2016م، ص127، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/f5yVX

الكَوَاكِبِيّ[1] وعَبْدِالحَمِيدِ الزَّهْرَاوِيّ[2] وغَيْرِهِمْ من المُفَكِّرِينَ العَرَب، ولَعَلَّ المَصِيرَ الَّذي لاقَاهُ الاثْنَانِ لا يَخْتَلِفُ عن المَصِيرِ الَّذي انْتَظَرَهُ الحَرَاكُ العَرَبيُّ، فالمُفَكِّرَانِ قُتِلا.

فحَـــرَاكُ الشَّـــبَابِ في الرَّبِيعِ العَرَبيِّ لا يَجِبُ فَصْلُه عن الحَرَكَـــةِ التَّنْويرِيَّة العَرَبيَّةِ في سِـــيَاقِها العَامِّ، وهذه الحَرَكَةُ كما أَسْـــلَفْنَا تَجِدُ جُذُورَها في نِهايَةِ القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ وبِدَايَةِ العِشْرِينَ، واسْـــتَمَرَّتْ هذه الحَرَكَاتُ التَّنْوِيرِيَّةُ في الظُّهُورِ والتَّعْبِيرِ عن حَيَوِيَّتِها في غَالِبِيَّةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ في فَتَرَاتٍ لاحِقَةٍ من القَرْنِ العِشْرِينَ، ففي الفَتْرَةِ ما بين خَمْسِـــينِيَّاتَ وسَبْعِينِيَّاتِ القَرْنِ المَاضِي شَهِدَت الحَرَكَةُ التَّنْوِيرِيَّةُ العَرَبِيَّةُ الَّتي قَادَ لِوَاءَها الشَّـــبَابُ ذُرْوَتَها مَدْفُوعَةً بِتَنَامِي الوَعْيِ السِّيَاسِيِّ العَرَبِيِّ الجَمْعِيِّ، إلَّا أَنَّ هذه الحَرَكَةَ أُجْهِضَتْ من خِلالِ سِلْسِـــلَةٍ من الانْقِلابَاتِ العَسْكَرِيَّةِ الَّتي كَانَتْ تَنْتَهي بِفَرْضِ الدِّكْتَاتُورِيَّةِ وتَقْلِيصِ مُسْـــتَوَى الحُرِّيَّاتِ العَامَّـــةِ في البِلادِ، فَخِلالَ عَقْدَيْنِ ونَيِّفٍ من الزَّمَنِ شَـــهِدَ العَالَمُ العَرَبيُّ 21 انْقِلابًا عَسْكَرِيًّا، كَانَ لِسُورْيَا الحِصَّةُ الأَكْبَرُ بِهـــا ب 8 انْقِلابَاتٍ ويَلِيها العِرَاقُ ب 4 انْقِلابَاتٍ[3]؛ فَهذه الانْقِلابَاتُ دَلِيلٌ على وُجُودِ حَرَكَةٍ سِيَاسِـــيَّةٍ في البِلادِ ووَعْيٍ تَنْوِيرِيٍّ حَاوَلَتْ هذه الانْقِلابَاتُ وَأْدَها، وبِالرَّغْمِ من

---

1. **عَبْدالرَّحْمَن الكَوَاكِبِيّ:** (1902-1855م)، كَاتِبٌ ومُفَكِّرٌ سُـوريٌّ أَحَدُ رُوَّادِ النَّهْضَةِ العَرَبِيَّةِ ومُفَكِّرِيها في القَرْنِ التَّاسِـعَ عَشَرَ، وأَحَدُ مُؤَسِّـسِي الفِكْرِ القَوْمِيِّ العَرَبِيِّ، اشْـتُهِرَ بِكِتَاب «طَبَائِعُ الاسْـتِبْدَادِ ومَصَارِعُ الاسْـتِعْبادِ»، الَّذي يُعَدُّ من أَهَمِّ الكُتُبِ العَرَبِيَّةِ في القَرْنِ التَّاسِـعَ عَشَرَ الَّتي تُنَاقِشُ ظَاهِرَةَ الاسْـتِبْدَادِ السِّـياسِيّ، عَمِلَ لإِحْيَاءِ التُّرَاثِ العَرَبِيِّ وتَنْوِيرِ الشَّـبَابِ العَرَبِيِّ لا سِـيَّما في الجَانِبِ السِّـياسِيّ، تَعَرَّضَ لِمُلاحَقَاتٍ عِدَّةٍ بِسَـبَبِ دَعَوَاته، الأَمْرُ الَّذي حَدَا به للانْتِقَالِ إِلَى مِصْرَ، وهناك قُتِلَ في ظُرُوفٍ غَامِضَةٍ، مَع تَرْجِيحَاتٍ بِدَسِّ السُّـمِّ لَهُ في القَهْوَة، لِلْمَزِيد، مَوْقِعُ ويكيبيديا المَوسُـوعَةُ الحُرَّة، مُتَاحٌ على الرَّابِط.: https://cutt.us/nhP6V
2. **عَبْدالحَمِيد الزَّهْرَاوِيّ:** (1916-1855م)، أَدِيبٌ ومُفَكِّرٌ وصَحَفِيٌّ سُـورِيٌّ من أَعْلامِ النَّهْضَةِ العَرَبِيَّةِ في بِدَايَةِ القَرْنِ العِشْرِينَ، عَمِلَ بِالسِّيَاسَةِ والصَّحَافَة، وأَصْدَرَ عِدَّةَ صُحُفٍ في تُرْكِيَّا وسُورْيَا، أُلْغِيَتْ جَمِيعُها بِقَرارٍ مِنَ السُّلُطَاتِ المَحَلِّيَّةِ آنذاك، يُعَدُّ من أَبْرَزِ دُعَاةِ التَّنْوِيرِ في تِلْكَ الحِقْبَة، ومُعْظَمُ دَعَواتِه كانَت تُوَجَّهُ لِلشَّـبَابِ العَرَبِيّ، كما تَرَأَّسَ المُؤْتَمَرَ العَرَبِيَّ الأَوَّلَ بباريس عَامَ 1913م، حُكِمَ عَلَيْهِ بِالإِعْدَام، وشُـنِقَ في سَاحَةِ المرجة بِدِمَشْقَ عَامَ 1916م، لِلْمَزِيد: مَوْقِعُ المَعْرِفَة، مُتَاحٌ على الرَّابِط.: https://cutt.us/MOloN
3. بني عايش، محمد سعيد أحمد. **الانْقِلابَاتُ العَسْكَرِيَّةُ في العِرَاقِ من 1969-1958م**. الأُرْدُنّ: دَارُ الكِتَابِ الثَّقَافِيّ، ط1، 1999م، ص18.

العَـــدَدِ الكَبِيرِ لِلانْقِلابَاتِ وما كَانَتْ تَحْمِلُهُ من عَسْـــكَرَةٍ لِلْمُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ بالكَامِلِ إِلَّا أَنَّ الحَرَكَةَ التَّنْوِيرِيَّةَ العَرَبِيَّةَ بِفُرُوعِها السِّيَاسِـــيَّةِ والثَّقَافِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ كَانَتْ أَفْضَلَ حَـــالًا بِدَرَجَاتٍ عَدِيدَةٍ من وضْعِها إِبَّانَ انْدِلاعِ ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ؛ فَالتَّيَّارُ الثَّقَافِيُّ العَرَبِيُّ شَـــهِدَ ذُرْوَتَهُ في هذه المَرْحَلَةِ من خِلالِ عَدَدِ المُفَكِّرِينَ والكُتَّابِ العَرَبِ الَّذِينَ يُعْـــزَى إليهم بِنَاءُ غَالِبِيَّةِ الصَّرْحِ الثَّقَافِيِّ العَرَبِيِّ في القَرْنِ العِشْرِينَ؛ إِضَافَةً لِلْوَضْعِ الاقْتِصَادِيِّ، فَسُـــورْيَا على سَبِيلِ المِثَالِ كَانَتْ على وشْـــكِ افْتِتَاحِ أَوَّلِ سُوقٍ لِلْأَوْرَاقِ المَالِيَّةِ "بُورْصَةٍ" في مُنْتَصَفِ الخَمْسِينِيَّاتِ[1] والَّتِي أُجْهِضَتْ وتَأَخَّرَ افْتِتَاحُها أَكْثَرَ من خَمْسِـــينَ عَامًا! وعلى المُسْتَوَى السِّيَاسِيِّ كَانَت السَّاحَةُ السِّيَاسِيَّةُ العَرَبِيَّةُ وبِالرَّغْمِ من كَثْرَةِ الانْقِلابَاتِ خِصْبَةً أَمَامَ الحَرَاكِ السِّـــيَاسِيِّ، فَشَهِدَت الدُّوَلُ العَرَبِيَّةُ وخَاصَّةً تِلْكَ المُحَاذِيَةِ لِلْبَحْرِ المُتَوَسِّطِ وِلادَةَ عِدَّةِ تَيَّارَاتٍ وأَحْزَابٍ سِيَاسِيَّةٍ نَشِطَةٍ.

ومُنْذُ السَّبْعِينِيَّاتِ وحَتَّى بِدَايَةِ ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ شَهِدَت الحَرَكَةُ التَّنْوِيرِيَّةُ بين الشَّبَابِ العَرَبِيِّ تَرَاجُعًا مَلْحُوظًا في ظِلِّ وُصُولِ أَنْظِمَةٍ شُمُولِيَّةٍ في غَالِبِيَّةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ، عَطَّلَت الحَرَكَةَ الثَّقَافِيَّةَ والسِّيَاسِيَّةَ والاقْتِصَادِيَّةَ والدِّيمُقْرَاطِيَّةَ، فَعَانَتْ هذه الحَرَكَةُ أَسْوَأَ أَيَّامِها، وبِالرَّغْمِ من هذا التَّرَاجُعِ الوَاضِحِ ظَهَرَتْ حَرَكَاتٌ في بَعْضِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ مُحَاوِلَةً إِعَادَةَ الرُّوحِ لِهذه الحَرَكَةِ التَّنْوِيرِيَّةِ، ومُحَاوِلَةً تَغْيِيرَ الوَاقِعِ السِّيَاسِيِّ والدِّيمُقْرَاطِيِّ في العَالَمِ العَرَبِيِّ، كَأَحْدَاثِ الثَّمَانِينِيَّاتِ في سُـــورْيَا والَّتِي بَدَأَتْ تَبَاشِـــيرُها في نِهَايَةِ السَّبْعِينِيَّاتِ وبَلَغَتْ ذُرْوَتَها في أَوَائِـــلِ الثَّمَانِينِيَّاتِ[2]، وتَمَّ القَضَاءُ عليها وانْتَهَتْ بِمَجْزَرَةٍ في مَدِينَةِ

1. شَـــهِدَتْ دِمَشْـــقُ وبِالتَّحْدِيدِ سُـــوقِ العَصْرُونِيَّةِ فيها وِلادَةَ أَوَّلِ بُورْصَةٍ عَرَبِيَّةٍ، ويَعُودُ تَأْسِـــيسُ هذا السُّوقِ لِمُنْتَصَفِ القَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ، وخُصِّصَ جُزْءٌ من هذا السُّوقِ لِأَعْمَالِ الصِّرَافَةِ وكَانَ يُسَمَّى بِسُـــوقِ البُورْصِ، وشَـــهِدَ في الخَمْسِينِيَّاتِ نُمُوًّا مُتَسَارِعًا وكَانَ على وشْـــكِ تَحَوُّلِهِ لِبُورْصَةٍ رَسْمِيَّةٍ، إِلَّا أَنَّ تَسَـــارُعَ الأَحْدَاثِ السِّيَاسِـــيَّةِ آنَذَاكَ والجُمُودَ الاقْتِصَادِيَّ والسِّيَاسِيَّ الَّذِي أَصَابَ البِلادَ في مَرَاحِـــلَ لاحِقَةٍ أَدَّى إلى إِلْغَاءِ هذه الفِكْرَةِ، لِلْمَزِيدِ: العُوَيْد، عَبْدالعَزِيز، سُـــوقُ العَصْرُونِيَّةِ. أَطْلَسُ المَوَاقِعِ التَّارِيخِيَّةِ والسِّيَاحِيَّةِ في العَالَمِ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/8mvxu
2. سَعْد الدين، عَدْنَان. **الإِخْوَانُ المُسْلِمُونَ في سُورْيَا**. القَاهِرَةِ: مَكْتَبَةِ مَدْبُولِي، الطَّبْعَةُ الأُولَى، 2010م.

حَمَاةَ السُّــــورِيَّةِ(1)؛ وفي الجَزَائِرِ أَفْضَت الانْتِخَابَاتُ النِّيَابِيَّةُ عَامَ 1991م إلى خَسَـــارَةِ الحِزْبِ الحَاكِمِ وفَوْزِ التَّيَّارَات الإِسْلامِيَّةِ(2)، فَأَلْغَت الحُكُومَةُ المَرْكَزِيَّةُ نَتَائِجَ الانْتِخَابَاتِ ممَّا أَثَارَ غَضَبًا شَــعْبِيًّا واســـعًا، وتَحَوَّلَتْ لانْتِفَاضَةٍ مُسَلَّحَةٍ اسْتَمَرَّتْ عَشَرَ سَنَوَاتٍ تمَكَّنَ النِّظَامُ الحَاكِمُ من القَضَاءِ عليها في مَطْلَعِ القَرْنِ الحَالِيِّ.

وبِالعَوْدَةِ إلى سُورْيَا فَقَدْ شَهِدَتْ مَرَّةً أُخْرَى مُحَاوَلَةً لإِحْيَاءِ الحَرَكَةِ التَّنْوِيرِيَّةِ العَرَبِيَّةِ من خِلالِ التَّغْيِيرِ التَّدْرِيجِيِّ لِلنِّظَامِ الحَاكِمِ، أو حَتَّى مُسَاعَدَتِهِ في الانْتِقَالِ الدِّيمُقْرَاطِيِّ في حَالِ وُجُودِ النِّيَّةِ الصَّادِقَةِ لَدَيْهِ، إِلَّا أَنَّ الحَقَائِقَ وطَرِيقَةَ تَعَامُلِ الحُكُومَةِ السُّورِيَّةِ مع هذه المُبَادَرَاتِ أَكَّدَتْ عَدَمَ وُجُودِ نِيَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ لِلتَّغْيِيرِ؛ فَكَانَ إِعْلانُ رَبِيعِ دِمَشْقَ(3) عَامَ 2001م والَّذِي قَدَّمَ لِلنِّظَامِ السُّــــورِيِّ ورَقَةَ عَمَلٍ لِلتَّعَاوُنِ بَيْنَهُ وبين المُعَارَضَةِ في السَّعْيِ لِتَحْقِيقِ انْتِقَالٍ دِيمُقْرَاطِيٍّ سَــلِسٍ ومُرِيحٍ، إِلَّا أَنَّ النِّظَامَ وبَعْدَ أَشْـــهُرٍ قَلِيلَةٍ من هذا الرَّبِيعِ قَامَ

1. **مَجْزَرَةُ حَمَاة**: مَجْزَرَةٌ حَصَلَتْ في شُــبَاط/ فَبْرَايِرُ من عَامِ 1982م حِينَما أَطْبَقَتْ قُوَّاتُ الجَيْشِ السُّــورِيِّ وسَرَايَا الدِّفَاعِ حِصَارًا على مَدِينَةِ حَمَاةَ وذَلِكَ لِمُدَّةِ 27 يَوْمًا من أَجْلِ قَمْعِ انْتِفَاضَةِ الإِخْوَانِ المُسْــلِمِينَ ضِدَّ الحُكُومَةِ، لَقَدْ أَنْهَت المَذْبَحَةُ الَّتِي نَفَّذَهَا الجَيْشُ السُّورِيُّ بِقِيَادَةِ اللِّوَاءِ رِفْعَت الأَسَدِ فِعْلِيًّا الحَمْلَةَ الَّتِي بَدَأَتْ في عَامِ 1976م من قِبَلِ الجَمَاعَاتِ الإِسْــلامِيَّةِ وعلى رَأْســهِمْ جَمَاعَةُ الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ ضِدَّ النِّظَامِ، ذَكَرَت التَّقَارِيــرُ الدِّبْلُومَاسِــيَّةُ الأَوَّلِيَّــةُ الوَارِدَةُ من الــدُّوَلِ الغَرْبِيَّةِ أَنَّ 1,000 مُوَاطِنٍ قد لَقُــوا حَتْفَهُمْ خِلالَ هذه المَجْزَرَةِ؛ بَيْنَمَا اخْتَلَفَت التَّقْدِيرَاتُ الَّتِي صَدَرَتْ في وقْتٍ لاحِقٍ حَيْثُ قِيلَ إِنَّ 2,000 مُوَاطِنٍ سُــورِيٍّ قَدْ قُتِلَ خِلالَ الحَمْلَةِ وهُوَ العَدَدُ الَّذِي تَبَنَّتْهُ عَدَدٌ من وَسَائِلِ الإِعْلامِ الحُكُومِيَّةِ؛ فِيما قَدَّرَ آخَرُونَ وعلى رَأْسِهِمْ رُوبرت فِيسك أَنَّ عَدَدَ الضَّحَايَا قَدْ بَلَغَ 20,000؛ بَيْنَمَا قَالَت اللَّجْنَةُ السُّورِيَّةُ لِحُقُوقِ الإِنْسَانِ إِنَّ حَصِيلَةَ الضَّحَايَا قَدْ تَجَاوَزَت ال 40,000، للمَزِيد: مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا المَوْسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/2wt9s
2. عُمَــر، عِزّ الدِّين. **العَشْرِيَّةُ السَّــوْدَاءُ.. لِمَاذَا سَــقَطَت الجَزَائِرُ في مُسْــتَنْقَعِ الدَّمِ؟** مَوْقِــعُ مَيْدَانِ الجَزِيرَةِ، 13مَارِسَ 2019م، مُتَاحٌ على الرَّابِط:https://cutt.us/0hRDo
3. **رَبِيعُ دِمَشْــق**: حَرَاكٌ ســيَاسِيٌّ نَخْبَوِيٌّ سُــورِيٌّ قَادَتْهُ المُعَارَضَةُ السُّــورِيَّةُ مُمَثَّلَةً بِشَكْلٍ أَسَاسٍ بِشَخْصِيَّاتٍ من التَّجَمُّعِ الوَطَنِيِّ الدِّيمُقْرَاطِيِّ عَقِبَ اسْــتِلامِ الرَّئِيسِ السُّــورِيِّ بَشَّــار الأَسَد السُّلْطَةَ عَامَ 2000م، وطَمَحَ هذا الحَرَاكُ بِأَنْ يَكُونَ شَرِيكًا وطَنِيًّا في عَمَلِيَّةِ التَّغْيِيرِ الدِّيمُقْرَاطِيِّ وأَنْ يُقَدِّمَ العَوْنَ لِلنِّظَامِ في عَمَلِيَّاتِ الإِصْلاحِ والتَّحْدِيثِ، واسْتَنَدَ هذا الحَرَاكُ إلى فَحْوَى خِطَابِ الرَّئِيسِ السُّورِيِّ نَفْسِهِ، إِلَّا أَنَّهُ سُرْعَانَ ما انْقَلَبَ النِّظَامُ على وُعُودِهِ وتَمَّ اعْتِقَالُ غَالِبِيَّةِ المُشَــارِكِينَ في هذا الحَرَاكِ، للمَزِيد، بِشَــارَةُ، عَزْمِي. سُورْيَا دَرْبُ الآلامِ نَحْوَ الحُرِّيَّةِ. المَرْكَزُ العَرَبِيُّ لِلأَبْحَاثِ ودِرَاسَةِ السِّيَاسَاتِ، 2017م، ص44.

باعْتِقَالِ غَالبِيَّةِ المُشَارِكِينَ فِيهِ؛ ولاحِقًا قَامَت القُوَى السِّيَاسِيَّةُ الشَّبَابِيَّةُ السُّورِيَّةُ بِتَجْرِبَةٍ أُخْرَى عَامَ 2005م تَحْتَ عُنْوَانِ إعْلانِ دِمَشْــقَ لِلتَّغْيِيرِ الدِّيمُقْرَاطِيِّ[1]، لَكِنَّها لَقِيَتْ ما لَقِيَ سَابِقَاتُها من التَّجَارِبِ السُّورِيَّةِ لِإِقْنَاعِ النِّظَامِ بِالتَّحَوُّلِ الدِّيمُقْرَاطِيِّ.

إِنَّ هذه الحَرَكَاتِ المُتَفَرِّقَةَ والمُتَبَاعِدَةَ تَارِيخِيًّا وجُغْرَافِيًّا شَكَّلَتْ بِنْيَةً فِكْرِيَّةً وأَيْدِيُولُوجِيَّةً ومَهَّدَتْ لِــولادَةِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ المُتَّحِدِ جُغْرَافِيًّا وتَارِيخِيًّا والمُمْتَدِّ على غَالِبِيَّةِ المَسَــاحَةِ العَرَبِيَّةِ؛ وإِنَّ دِرَاسَــةَ التَّعَاطِي الرَّسْمِيِّ العَرَبِيِّ مع هذه الحَرَكَاتِ يُوَضِّحُ المَصِيرَ الَّذِي لَقِيَتْهُ ثَوْرَاتُ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ، وبالتَّأْكِيدِ فَإِنَّ مُحاولاتِ شَــيْطَنَةِ هذا الحَرَاكِ وتَحْمِيلِهِ وِزْرَ الدَّمَــارِ والتَّفَكُّكِ الَّذِي لَحِــقَ بِبَعْضِ بُلْدانِ هذا الرَّبِيعِ لا يُمْكِنُ هي الأُخْرَى فَصْلُها عن الحَرَكَةِ التَّارِيخِيَّةِ المُعَادِيَةِ للتَّنْوِير، فمُقَارَنَةُ الوَاقِعِ المَعِيشِيِّ لِلشَّــبَابِ قَبْلَ الحَرَاكِ وبَعْدَه ومُحَاوَلَةُ الاسْــتِدْلالِ بِنَتَائِجِ هذه المُقَارَنَةِ على أَنَّها دَلِيلٌ على فَشَلِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ كفِكْرَةٍ وتَطْبِيقٍ ما هو إِلَّا مُحَاوَلَةٌ لِذَرِّ الرَّمَادِ في العُيُونِ، فَمُحَاوَلَةُ تَصْوِيرِ ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ على أَنَّها ثَوْرَاتٌ خَرَجَتْ لِلْمُطَالَبَةِ بِتَحْسِينِ ظُرُوفِ المَعِيشَةِ فقط هي مُحَاوَلَةٌ لِتَفْرِيغِ هذه الثَّوْرَاتِ من مُحْتَوَاها الفِكْرِيِّ والحَضَارِيِّ والإِنْسَانِيِّ، فالشَّبَابُ خَرَجَ لِلْمُطَالَبَةِ بالكَرَامَةِ والحُرِّيَّةِ وبِالقَضَاءِ على الفَسَادِ واسْتِرْدَادِ السُّلْطَةِ من سَارِقِيها ولِلْعَدْلِ والمُسَاوَاة، وغَيْرِها من المَطَالِبِ؛ وباخْتِصَارٍ يُمْكِنُ القَوْلُ: إِنَّ الثُّوَّارَ العَرَبَ الشَّــبَابَ هُمْ مِن دُعَاةِ التَّنْوِيرِ، فَــكُلُّ ما دَعَوْا إليه لا يُمْكِنُ النَّظَرُ إليه إِلَّا على أَنَّهُ حَرَكَــةٌ تَنْوِيرِيَّةٌ جَمْعِيَّةٌ؛ ولِذَلِكَ فَإِنَّ الحُكْمَ على نَتِيجَةِ هذا الرَّبِيعِ لا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ بِمُقَارَنَةِ الوَاقِعِ المَعِيشِيِّ قَبْلُ وبَعْدُ، فهذا المِعْيَارُ قَاصِرٌ قُصُورًا تَامًّا عن قِيَاسِ فَاعِلِيَّةِ الحِرَاكِ ونَتِيجَتِهِ، فَالنَّتِيجَةُ النِّهائِيَّةُ لِحَرَاكِ

1. **إِعْلَانُ دِمَشْق للتَّغْيِيرِ الدِّيمُقْرَاطِيُّ:** اسْمٌ يُطْلَقُ على الوَثِيقَةِ الَّتِي وقَّعَ عليها عَامَ 2005م شَخْصِيَّاتٌ بَارِزَةٌ من المُجْتَمَعِ المَدَنِيِّ إِضَافَةً إلى الإِسْــلامِيِّينَ واللِّيبْرَالِيِّينَ السُّــورِيِّينَ، وتَدْعُو إلى إِنْهاءِ 35 عَامًا من حُكْمِ أُسْرَةِ الأَسَدِ لِسُورْيَا واسْتِبْدَالِه بِنظَامٍ دِيمُقْرَاطِيٍّ، وشَكَّلَ إِطَارًا جَامِعًا لِقُوَى التَّغْيِيرِ الوَطَنِيَّةِ المُعَارِضَةِ في سُورْيَا وتَتَضَمَّنُ بُنُودًا أَسَاسِيَّةً تَرْسُمُ خُطُوطًا عَرِيضَةً لِعَمَلِيَّةِ التَّغْيِيرِ الدِّيمُقْرَاطِيِّ في سُورْيَا، وكَيْفِيَّةِ إِنْهاءِ النِّظَامِ الأَمْنِيِّ الشُّــمُولِيِّ الَّذِي قَيَّدَ الحُرِّيَّاتِ ومَنَعَ الحَرَكَاتِ المُعَارِضَةِ، كما لَعِبَ دُورًا في نَشْرِ الفَسَــادِ، لِلْمَزِيدِ: مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا المَوْسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاح على الرَّابِطِ:https://cutt.us/17cq

الرَّبيعِ العَرَبيِّ يُنْظَرُ لَهُ من جَانِبٍ فِكْرِيٍّ وثَقَافيٍّ وسِـــيَاسِيٍّ، والأَهَمُّ من كُلِّ هذا يُنْظَرُ لَهُ من بَابِ أَثَرِهِ على الوَعْيِ الجَمْعِيِّ العَرَبيِّ لِنَاحِيَةِ كَسْرِ رَهْبَةِ الشَّبَاب من سَطْوَةِ الأَنْظِمَةِ الحَاكِمَةِ، وتَوْرِيثِ الجِيلِ القَادِمِ أَنَّ النُّظُمَ الحَاكِمَةَ لَيْسَـــتْ أَبَدِيَّةً وبِالإِمْكَانِ الثَّوْرَةُ عليها ومُطَالَبَتُها بِالحُقُوقِ المَشْرُوعَةِ.

إِنَّ الثَّوْرَةَ المُضَادَّةَ حَاوَلَتْ وبِشَتَّى الوَسَائِلِ إِفْرَاغَ ثَوْرَاتِ الرَّبيعِ العَرَبيِّ من بُعْدِها الفِكْرِيِّ، وحَصْرِها بِمَطَالِبَ مَعِيشِـــيَّةٍ، ومن ثَمَّ القَوْلُ بِأَنَّ واقِعَ الثُّوَّارِ المَعِيشِيَّ وواقِعَ بُلْدَانِهِمْ لَمْ يَزْدَدْ إِلَّا سُوءًا بَعْدَ ثَوْرَتِهِم فهي ثَوْرَةٌ فَاشِلَةٌ في الشَّكْلِ والمَضْمُونِ؛ وأَنَّها أَقْرَبُ لِلْفِتْنَةِ منها لِلثَّوْرَةِ، وهذا كما أَسْـــلَفْنَا مُجَافَاةٌ تَامَّةٌ لِلْحَقِيقَةِ، وذَرٌّ لِلرَّمَادِ في العُيُونِ، وهنا ولِتَوْضِيحِ هذه الجُزْئِيَّةِ لا بُدَّ من الاسْتِدْلالِ بِالتَّارِيخِ تَوْضِيحًا لِلْحَقِيقَةِ وبُرْهَانًا على صِحَّةِ الطَّرْحِ؛ فَفِي أَعْقَابِ الثَّوْرَةِ الفَرَنْسِـــيَّةِ(1) وبَعْدَ انْتِصَارِ الثَّوْرَةِ المُضَادَّةِ وعَوْدَةِ المَلَكِيَّةِ من جَدِيدٍ ظَهَرَتْ ثَوْرَةٌ جَدِيدَةٌ سُمِّيَتْ بـ"كمونه بَارِيس"(2) أو الثَّوْرَةِ الفَرَنْسِيَّةِ الرَّابِعَةِ، وفَشِلَتْ هي

1. **الثَّوْرَةُ الفَرَنْسِـيَّةُ:** فَتْرَةٌ مُؤَثِّرَةٌ مِن الاضْطِرَابَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والسياسِـيَّةِ في فَرَنْسَـا عَرَفَتْ عِدَّةَ مَرَاحِلَ اسْتَمَرَّتْ مِن 1789م حَتَّى 1799م، وكَانَت لَها تَأْثِيرَاتٌ عَمِيقَةٌ على أُورُوبَّا والعَالَم الغَرْبِيِّ عُمُومًا، انْتَهَت بسـيطرةِ البُرْجُوَازِيَّـةِ الَّتِي كَانَتْ مُتَحالِفَةً مَع طَبَقَةِ العُمَّالِ مَـع إِحْقَاقِ مَجْمُوعَةٍ من الحُقُوقِ والحُرِّيَّاتِ لِلطَّبَقَةِ العَامِلَةِ والمُتَوَسِّطَةِ للشَّعْبِ الفَرَنْسِيّ. أَسْقَطَت المِلْكِيَّةَ وأَسَّسَت الجُمْهُورِيَّةَ وشَهِدَتْ فَتَرَاتٍ عَنِيفَةً من الاضْطِرَابِ السِّـياسِيِّ، اسـتَوْحَتْ أَفْكَارًا لِيبرالِيَّةً وراديكالِيَّةً، وغَيَّرَتٍ بِشَكْلٍ عَمِيقٍ مَسارَ التَّارِيخِ الحَدِيثِ، وأَطْلَقَت الانْحِدَارَ العَالَمِيَّ للمَلَكِيَّات المُطْلَق واسْتِبدَالها بالجُمْهُورِيَّاتِ، لِلْمَزِيد: مَوْقِع ويكيبيديا الموسُوعَةُ الحُرَّة، مُتَاحٌ على الرَّابِط:. https://cutt.us/8tFAT
2. **كمونه بَارِيس:** أو الثَّوْرَةُ الفَرَنْسِـيَّةُ الرَّابِعَةُ، حُكُومَةُ بَلَدِيَّةٍ ثَوْرِيَّةٍ أَدَارَتْ بَارِيسَ، لِفَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ ابْتِدَاءً من مُنْتَصَفِ مَارِسَ 1871م، قَامَت الثَّوْرَةُ في بَارِيس وبَعْدَها الكمونه كَنَتِيجَةٍ لِخَسَارَةِ نَابلْيُون الثَّالِث الحَرْبَ مع برُوسْـيَا ودُخُولِ الجَيْشِ البُرُوسِيِّ المُذِلِّ إلى بَارِيس بَعْدَ حِصَارِها، انْتُخِبَ تِسْـعُونَ مُمَثِّلًا في الكمونه أو مَجْلِسِ مَدِينَةِ بَارِيس (بِالفَرَنْسِـيَّةِ، "commune") بِاقْتِرَاعٍ عُمُومِيٍّ وأَعْلَنَتْ حُكْمَها على كَامِلِ فَرَنْسَـا، كَانَ نِزَاعُها حَوْلَ السُّـلْطَةِ مع الحُكُومَةِ المُنْتَخَبَةِ لِفَرَنْسَـا سَـبَبًا رَئِيسِـيًّا في القَمْعِ الوَحْشِيِّ لها من طَرَفِ القُوَّاتِ الفَرَنْسِـيَّةِ النِّظَامِيَّةِ فيما سُـمِّيَ بَعْدَ ذَلِكَ "بِالأُسْبُوعِ الدَّمَوِيِّ" ("La Semaine sanglante") في 28 مَايُو 1871م، صَاحَبَت النِّقَاشَـاتِ حَوْلَ سِيَاسَـاتِ ومَآلاتِ الكمونه تَدَاعِيَاتٌ سِيَاسِيَّةٌ مُهِمَّةٌ في دَاخِلِ وخَارِجِ فَرَنْسَا خِلالَ القَرْنِ العِشْرِينَ حَيْثُ اعْتُبِرَتْ أَوَّلَ ثَوْرَةٍ اشْتِرَاكِيَّةٍ في العَصْرِ الحَدِيثِ، لِلْمَزِيدِ: مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا المَوْسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/5hfhz

الأُخْرَى في تَحْقِيقِ أَهْدَافِها المُتَمَثِّلَةِ بِاسْتِعَادَةِ الحُكْمِ الجُمْهُورِيِّ وإِطْلَاقِ الحُرِّيَّات، وبَعْدَ فَشَلِها حَاوَلَ بَعْضُ السِّيَاسِيِّينَ الفَرَنْسِيِّينَ إِفْرَاغَها من مُحْتَوَاها الفِكْرِيِّ بِالقَوْلِ بأَنَّها فِتْنَةٌ ولَمْ تَكُنْ ثَوْرَةً، وشَهِدَ هذا الوَصْفُ تَبَايُنًا واضِحًا بين المُفَكِّرِينَ والسِّيَاسِيِّينَ الفَرَنْسِيِّينَ آنَذَاكَ في تَحْدِيدِ ما إِذَا كَانَتْ ثَوْرَةً أو فِتْنَةً؛ وهُنَا تَمَكَّنَ المُفَكِّرُ والرِّوَائِيُّ الفَرَنْسِيُّ "فِكْتُورْ هُوجُو"(1) من وضعِ حَلٍّ لهذه المُعْضِلَة، ووَضَعَ عِدَّةَ مَعَايِيرَ يُمْكِنُ وَفْقَها اخْتِبَارُ أَيِّ حَرَكَةٍ وتَحْدِيدِ ما إِذَا كَانَتْ ثَوْرَةً أو فِتْنَةً، فقَالَ: "إِنَّ الثَّوْرَةَ هي حَرْبُ الكُلِّ على الجُزْءِ، بَيْنَما الفِتْنَةُ هي حَرْبُ الجُزْءِ على الكُلِّ... الفِتْنَةُ مَصْدَرُها أَلَمُ المَعِدَةِ الفَرْدِيِّ، بَيْنَما الثَّوْرَةُ مَصْدَرُها أَلَمُ العَقْلِ الجَمَاعِيِّ"(2)؛ وبِإِسْقَاطِ هذا المِعْيَارِ على حَرَاكِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ نَجِدُ أَنَّ هذا الحَرَاكَ هُوَ ثَوْرَةٌ بِالمُطْلَق، فهو خُرُوجٌ لِلْكُلِّ المُتَمَثِّلِ بالشَّبَابِ العَرَبِيِّ ومن خَلْفِه المُجْتَمَعُ العَرَبِيُّ على الجُزْءِ المُتَمَثِّلِ بالنُّظُمِ الحَاكِمَةِ والمُسْتَفِيدِينَ من هذه النُّظُم، وهُوَ نِتَاجُ أَلَمٍ عَقْلِيٍّ نَتِيجَةَ الجُمُودِ الفِكْرِيِّ والثَّقَافِيِّ والاقْتِصَادِيِّ والدِّيمُقْرَاطِيِّ الَّذِي سَادَ في غَالِبِيَّةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ ولِعُقُودٍ طَوِيلَةٍ.

الأَزْمَةُ والصَّدْمَةُ.. حَقَائِقُ ثَوْرَةٍ وشَهادَاتُ جِيلٍ

"في الأَحْيَاءِ، الثَّانَوِيَّات، الجَامِعَات، وأَيْضًا وراءَ مَفاتيحِ الحَواسِيب، الشَّبَابُ يُنَاضِلُ.. يَقُولُونَ عنهم إِنَّهُمْ أَقَلُّ التِزَامًا من سَابِقِيهِمْ، وأَنَّهُمْ صَارُوا يَمِيلُونَ إلى العُزْلَةِ، أَنَانِيِّينَ،

1. **فِكْتُور هُوجُو:** (1802-1885م)، أَدِيبٌ وشَاعِرٌ ورِوَائِيٌّ فَرَنْسِيٌّ، يُعْتَبَرُ من أَبْرَزِ أُدَبَاءِ فَرَنْسَا في الحِقْبَةِ الرُّومَانْسِيَّة، وتُرْجِمَتْ أَعْمَالُهُ إلى أَغْلَبِ اللُّغَاتِ المَنْطُوقَة، وهو مَشْهُورٌ في فَرَنْسَا بِاعْتِبَارِهِ شَاعِرًا في المَقَامِ الأَوَّلِ ثُمَّ رَاوِيًا، وقد أَلَّفَ العَدِيدَ من الدَّوَاوِينِ لَعَلَّ أَشْهَرَهَا دِيوَانُ تَأَمُّلاتLes Contemplations وديوَانُ أُسْطُورَةِ العُصُورِ La L é gende des si è cles، أَمَّا خَارِجَ فَرَنْسَا، فَهُوَ مَشْهُورٌ لِكَوْنِه كَاتِبًا ورَاوِيًا أَكْثَرَ من كَوْنِه شَاعِر، وأَبْرَزُ أَعْمَالِه الرِّوَائِيَّةِ هي رِوَايَةُ البُؤَسَاءِ وأَحْدَبِ نُوتْرِدَام، كما اشْتُهِرَ في حِقْبَتِه بِكَوْنِه نَاشِطًا اجْتِمَاعِيًّا حَيْثُ كَانَ يَدْعُو لإِلْغَاءِ حُكْمِ الإِعْدَام، في كِتَابِه الشَّهِيرِ Le dernier jour d ' un condamn é كما كَانَ مُؤَيِّدًا لِنِظَامِ الجُمْهُورِيَّةِ في الحُكْم، وأَعْمَالُهُ تَمَسُّ القَضَايَا الاجْتِمَاعِيَّةَ والسِّيَاسِيَّةَ في وقْتِه، لِلْمَزِيدِ: مَوْقِعُ ويكِيبِيدِيا المَوْسُوعَةِ الحُرَّةِ، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/On9W5
2. هُوجُو، فِكْتُور. **البُؤَسَاء.** تَرْجَمَةُ مُنِيرِ البَعْلَبَكِيّ. بَيْرُوت: دَارُ العِلْمِ لِلمَلَايِين، 1979م.

مُلْتَصِقِينَ بِالهَواتِفِ الذَّكِيَّةِ والشَّاشَــاتِ، ومع ذلك لا يَتَرَدَّدُونَ في دَعْوةِ أَنْفُسِــهم إلى النِّقَاشِ، دَوْمًا وفي المَكَانِ الَّذِي لا نَتَوقَّعُ تَواجُدَهُم فيه"، بل والنُّزُولَ إلى الشَّارِعِ لِلدِّفاعِ عَمَّا يَرَوْنَهُ حُقُوقًا مَشْرُوعَةً.

فالتَّواجُــدُ في فترَةٍ انْتِقَالِيَّةٍ بين الطُّفُولَةِ وسِــنِّ النُّضْجِ، يَمْنَحُ الشَّــبَابَ تلك الحَيَوِيَّةَ والمَيْلَ إلى التَّجْدِيدِ، من حيث هي مَرْحَلَةٌ حَاسِــمَةٌ في حَيَاةِ الفرْدِ مَطْبُوعَةٌ بِالبَحْث عن الحُرِّيَّــةِ والتَّفوُّق عن الآخَرِينَ، إضَافةً إلى القَابِلِيَّةِ لِلتَّكَيُّفِ والانْفِتَاحِ إلى أَبْعَدِ الحُدُودِ، لَكِنَّهُ وللأَسَــفِ يَصْطَدِمُ بلا مُبَالاةِ وجَهْلِ الطَّبَقَةِ السِّيَاسِــيَّةِ المُحْتَكِرَةِ لِلسُّلْطَةِ والمُصَادِرَةِ لِحَــقِّ التَّعْبِيرِ المُعَارِضِ، ممَّا يُعَبِّدُ الطَّرِيــقَ أَمَامَ إِنْتَاجٍ غَزِيرٍ للأَضْدَادِ: التَّمَرُّدِ والانْغِلاقِ والإِحْبَاطِ، فالشَّبَابُ ك" زَمَنٍ" و"مَسَارِ تَحَوُّلٍ" يُصْبِحُ مُرَشَّحًا لِرُكُوبِ مَوْجَةِ "الأَزْمَةِ" في تَهْدِيدٍ مُبَاشِرٍ لأَمْنِ النِّظَامِ قَبْلَ المُجْتَمَعِ.

وجَاءَ ظُهُورُ الإِنْتَرْنِت وبَاقِي تَطْبِيقَاتِهِ الاجْتِمَاعِيَّةِ "الثَّوْرِيَّة"، الَّتِي تَدْخُلُ في إِطَارِ "دَمَقْرَطَةِ" الحُصُــولِ على المَعْلُومَةِ وفتْحِ آفَاقٍ جَدِيدَةٍ أَمَامَ حُرِّيَّةِ التَّعْبِيرِ ونَشْرِ قِيَمِ الثَّقَافةِ الشَّــبَابِيَّةِ "المُضَادَّةِ"، لِيُؤَدِّيَ ذلك إلى نَشْرِ مَشَــاكِلِ وأَمْرَاضِ الشَّــبَابِ بِحِدَّةٍ وجُرْأَةٍ غَيْرِ مَعْهُودَتَيْنِ، تَحَوَّلَتْ أَمَامَ واقعِ السُّلْطَوِيَّةِ القَمْعِيَّةِ والتَّهْمِيشِ المَقْصُودِ إلى احْتِجَاجَاتٍ "افْتِرَاضِيَّةٍ" من نَوْعٍ جَدِيدٍ، كَثِيرًا ما غَذَّتْ نَظِيرَتَها المُتَعَلِّقَةَ بِالشَّارِعِ في شَكْلِ دَعَواتٍ مُنَظَّمَةٍ أو مُشَارَكَاتٍ عَفْوِيَّةٍ. وهذا ما دَعَا بَعْضَ البَاحِثِينَ إلى القَوْلِ بِأَنَّ "وسَــائِلَ الاتِّصَالِ الرَّقْمِيَّةِ قد أَعَادَتِ النَّظَرَ في الاحْتِجَاجَــاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ على عِدَّةِ أَوْجُهٍ مُتَعَــدِّدَةٍ"(1)، بل وتَجَاوزَتْ هذه الأَخِيرَةُ في صِيغَتِها المَحْدُودَةِ إلى صِيغَةٍ أَكْثَرَ اتِّسَــاعًا وجُرْأَةً عَبْرَ مَطَالِبِ إِسْقَاطِ الأَنْظِمَةِ وبِنَاءِ دَوْلَةٍ جَدِيدَةٍ وتَفْعِيلِ المُؤَسَّسَــاتِ، وهذا من خِلالِ إِسْقَاطِ الدَّوْلَةِ الحَالِيَّةِ بِالكَامِلِ كَوْنَها مَبْنِيَّةً على أَسَاسٍ خَاطِئٍ، كُلُّ هذا مَدْعُومٌ ومُسْتَنِدٌ على مَطَالِبَ مَشْرُوعَةٍ، تُجِيدُ اسْتِعْمَالَ

1. العجاتي، محمد& عمر سمير."**مُشَــارَكَةُ الشَّــبَابِ العَرَبِيِّ بين الهُمُومِ الوطَنِيَّةِ والطُّمُوحَاتِ الإِقْلِيمِيَّةِ.** لُبْنَان، بَيْرُوت: مَرْكَزُ دِرَاسَاتِ الوَحْدَةِ العَرَبِيَّةِ، الطبعة الأولى 2013م.

الصَّوْتِ والصُّورَةِ وحَشْـــدِ الجَمَاهِيرِ الغَاضِبَةِ عَبْرَ الإِنْتَرْنِت، كَما في انْتِفاضَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ الَّتِي انْطَلَقَتْ في تُونِس، وتَحَوَّلَتْ من مُجَرَّدِ اسْـــتِثْمَارِ حَدَثٍ عَابِرٍ في الشَّارِعِ(1) إلى ثَوْرَةٍ عَارِمَةٍ ومَطَالِبَ سِيَاسِيَّةٍ، تَحْتَ مُسَمَّى "اليَاسَمِينِ" الَّذِي صار فيما بَعْدُ أَشْوَاكًا سِيَاسِيَّةً واقْتِصَادِيَّةً واجْتِمَاعِيَّةً حَادَّةً، وصَدْمَةً لصَانِعِيها والمُؤَمِّلِينَ من ورَائِها بِنَاءَ مُجْتَمَعٍ جَدِيدٍ ووطَنٍ يَسَعُ أَحْلامَ الجَمِيعِ.

تُثْبِتُ تَقَارِيرُ عِدَّةٌ واسْـــتِطْلاعَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ أَنَّ الشَّبَابَ العَرَبِيَّ لَمْ يَجْنِ من ثَوْرَاتِهِ ما مَنَّى النَّفْسَ بِهِ، فبَعْدَ سَـــنَوَاتٍ من بَدْءِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ وكَجَرْدٍ للحِسَـــابَاتِ يَجِدُ الشَّبَابُ أَنَّ ما خَسِرَهُ أَكْبَرَ مِمَّا كَسَبَهُ، وأَنَّ مَغَارِمَ ثَوْرَتِهِ تَفُوقُ مَغَانِمَها، فَبَقَايَا الأَنْظِمَةِ السَّابِقَةِ وأَنْصَارُهُم من مُؤَيِّدِي الثَّوْرَةِ المُضَادَّةِ نَجَحُوا بِإِفْرَاغِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ من كُلِّ مَكَاسِبِهِ، ولَكِنْ وإِنْ كَانَ الشَّـــبَابُ قَدْ خَسِرُوا هذه الجَوْلَةَ فَإِنَّ هذا الرَّبِيعَ حَقَّقَ مَكَاسِـــبَ عِدَّةً لا يُمْكِنُ انْتِزَاعُها أَبَدًا، فَبِإِمْكَانِ الثَّوْرَةِ المُضَادَّةِ التَّأْثِيرُ اقْتِصَادِيًّا وسِيَاسِـــيًّا على تَطَوُّرَاتِ الأَحْدَاثِ -وهذا ما حَصَلَ- إِلَّا أَنَّها لَنْ تَسْـــتَطِيعَ التَّأْثِيرَ على الوَعْيِ الجَمْعِيِّ الَّذِي أَفْرَزَتْهُ ثَوْرَاتُ الشَّبَابِ العَـــرَبِيِّ، فَكَسَرَتْ هَيْمَنَـــةَ النُّظُمِ الحَاكِمَةِ وكَسَرَتْ هَيْبَتَها، فَلِعُقُـــودٍ طَوِيلَةٍ كَانَ الوَعْيُ الجَمْعِيُّ يَقُودُ المُجْتَمَـــعَ العَرَبِيَّ إلى نَتِيجَةٍ مُفَادُها أَنَّ النُّظُمَ العَرَبِيَّةَ الدِّكْتَاتُورِيَّةَ عَصِيَّةٌ على الزَّوَالِ، وأَنَّها سَتَبْقَى إلى مَا لا نِهايَةَ جَاثِمَةً على صُدُورِ الشَّبَابِ، وهذا بِالتَّحْدِيدِ ما نَجَحَ الرَّبِيعُ العَرَبِيُّ بِتَحْطِيمِهِ، فَإِذَا قَارَنَّا اسْتِطْلاعَاتِ رَأْيِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ مُنْذُ انْطِلاقَةِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ وحَتَّى وقْتِنَا الحَالِيِّ نَجِدُ أَنَّ الانْكِسَـــارَاتِ المُتَتَالِيَةَ لِأَحْلامِ وأَمَانِيِّ الشَّبَابِ لَـــمْ تُلِنْ عَزِيمَتَـــهُ، ففي مَطْلَعِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ كَانَ من البَدِيهِيَّاتِ أَنَّ لِلشَّـــبَابِ ثِقَةً تَامَّةً بِقُدْرَتِهِ على الانْتِصَارِ وإِلَّا لما خَرَجَ على أَنْظِمَتِهِ، وبَعْدَ عِدَّةِ سَـــنَوَاتٍ لا سِيَّما بَعْدَما بَدَأَت

1. الصَّفْعَةُ الشَّهِيرَةُ الَّتِي أَدَّتْ إلى حَرْقِ البَائِعِ المُتَجَوِّلِ "البُوعَزِيزِيّ" لِنَفْسِهِ في الشَّارِعِ العَامِّ، لِتَنْطَلِق بَعْدَها ثَوْرَةُ "اليَاسَـــمِينِ" التُّونِسِـــيَّةِ في 17 دِيسِـــمْبرَ 2010م، ورَحِيلُ الرَّئِيسِ السَّابِقِ زَيْنُ العَابِدِين بن عَلِيّ عن قَصْرِ قَرْطَاج وتُونِس كَكُلٍّ إلى المَنْفَى.

الكفَّةُ تميلُ لِصَالِحِ الثَّوْرَةِ المُضَادَّةِ وأَنْصَارِها نَجِد أَنَّ هذه التَّغَيُّرَاتِ المَيْدَانيَّةِ لَمْ تُؤَثِّرْ على عَزِيمَةِ الشَّبَابِ، فَفي اسْتِطْلاعٍ للرَّأْيِ أَجْراهُ مَرْكَزُ الجَزِيرَةِ للدِّرَاسَاتِ(1) عَامَ 2013م، أَظْهَرَتِ النَّتَائِجُ ثِقَةَ الشَّبَابِ بمُسْتَقْبَلِ الثَّوْرَةِ بالرَّغْمِ من التَّحَدِّيَاتِ الكَبِيرَةِ والمَخَاطِرِ الجَمَّةِ الَّتي تُحِيطُ بالثَّوْرَةِ والثُّوَّارِ(2)؛ وحَتَّى بَعْدَ تُعَمِّقِ انْتِصَارِ الثَّوْرَةِ المُضَادَّةِ لم يَتَغَيَّرْ واقعُ ثِقَةِ الشَّبَابِ برَبِيعِهِمْ وبقُدْرَتِهِمْ على تَجَاوُزِ الظُّرُوفِ المَرْحَلِيَّةِ، فَثَوْرَاتُ الرَّبيعِ العَرَبيِّ لم تَمُتْ وإِنْ ذَبُلَتْ شَوْكَتُها، ولا يُعْجِزُ مَن يُدَقِّقُ النَّظَرَ في رَصْدِ بَعْضِ ما تَتَشَقَّقُ عَنْهُ أَرْضُ بُلْدَانِ الرَّبيعِ العَرَبيِّ، بل الوَطَنِ العَرَبيِّ كُلِّهِ، من إِرْهاصَاتٍ لما هُوَ قَادِمٌ(3)؛ ولعَلَّ المَوْجَةَ الأَخِيرَةَ من ثَوْرَاتِ الرَّبيعِ العَرَبيِّ الَّتي حَصَلَتْ في كُلٍّ من العِرَاقِ ولُبْنَانَ والسُّودَانِ أَظْهَرَتْ اسْتِفَادَةَ الشَّبَابِ من دُرُوسِ المَوْجَاتِ السَّابِقَةِ، فَاتَّسَمَتِ الثَّوْرَاتُ الجَدِيدَةُ بالتَّظَاهُرِ السِّلْمِيِّ وإِصْرَارِ المُحْتَجِّينَ على تَفْوِيتِ الفُرْصَةِ على الحُكُومَاتِ في اسْتِخْدَامِها القُوَّةَ ضِدَّهُمْ وجَرِّهِمْ إلى صِرَاعٍ مُسَلَّحٍ سَتَكُونُ الغَلَبَةُ فِيهِ للأَجْهِزَةِ الأَمْنِيَّةِ، وبالتَّالي إِجْهاضُ أَهْدَافِ المُحْتَجِّينَ(4).

الرَّبيعُ العَرَبيُّ والدَّوْلَةُ العَمِيقَةُ

يُعْتَبَرُ مُصْطَلَحُ الدَّوْلَةِ العَمِيقَةِ من المُصْطَلَحَاتِ السِّيَاسِيَّةِ المُسْتَحْدَثَةِ، فَتَعُودُ بِدَايَةُ ظُهُورِهِ إلى تُرْكِيَا وبالتَّحْدِيدِ في تِسْعِينِيَّاتِ القَرْنِ المَاضِي، عِنْدَما ظَهَرَتْ شَبَكَاتٌ من الضُّبَّاطِ

1. **مَرْكَزُ الجَزِيرَةِ للدِّرَاسَاتِ:** مُؤَسَّسَةٌ بَحْثِيَّةٌ مُسْتَقِلَّةٌ تَأَسَّسَتْ عَامَ 2006م في دَوْلَةِ قَطَرَ، وهي تَتْبَعُ لِشَبَكَةِ الجَزِيرَةِ، تُعْنَى بتَعْمِيقِ مُقَوِّمَاتِ البَحْثِ العِلْمِيِّ وإِشَاعَةِ المَعْرِفَةِ عَبْرَ وَسَائِلِ الإِعْلامِ وتِكْنُولُوجْيَا الاتِّصَالِ، مُسَاهَمَةً منها في الارْتِقَاءِ بمُسْتَوَى المَعْرِفَةِ وإِغْنَاءِ المَشْهَدِ الثَّقَافيِّ والإِعْلاميِّ وإِثْرَاءِ التَّفْكِيرِ الاسْتِرَاتِيجِيِّ في العَالَمِ العَرَبيِّ. للمَزِيدِ: المَوْقِعُ الرَّسْمِيُّ للمَرْكَزِ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/iQQls
2. **نَتَائِجُ اسْتِطْلاعِ رَأْيِ الشَّبَابِ في ثَوْرَاتِ الرَّبيعِ العَرَبيِّ**. مَرْكَزُ الجَزِيرَةِ للدِّرَاسَاتِ. 28 يُولْيُو 2013م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/VDKaV
3. الشَّيْخُ، أَحْمَد. "**الرَّبيعُ العَرَبيُّ ذَبُلَ ولم يَمُتْ**". الجَزِيرَةُ نت، 13 يناير 2016م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/ndstb
4. "**أَحْدَثُها بَيْرُوت.. خَمْسُ مَحَطَّاتٍ مَرَّتْ بها المَوْجَةُ الثَّانِيَةُ للرَّبيعِ العَرَبيِّ**". الجَزِيرَةُ نت، 25 أكتوبر 2019م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/Fwn8d

والقَادَةِ العَسْكَرِيِّينَ الَّذِينَ أَخَذُوا على عَاتِقِهِمْ حِمَايَةَ عَلْمَانِيَّةِ الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ الَّتِي وضَعَ أُسُسَـــها كَمَالُ أَتَاتُــورْك(1)، وانْتَشَرَ مُنْذُ ذَلِكَ الحِينِ هذا المُصْطَلَحُ لِيَشْـــمَلَ العَدِيدَ من الـــدُّوَلِ في العَالَمِ كَالوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّـــةِ والَّتِي تَتَمَثَّلُ الدَّوْلَةُ العَمِيقَةُ بها بِوِكَالَةِ الاسْـــتِخْبَارَاتِ المَرْكَزِيَّةِ بالإِضَافَةِ إلى السُّـــلْطَةِ الاقْتِصَادِيَّةِ والمَالِيَّةِ في وول ستريت(2) والَّتِـــي تَعْمَلُ على حِمَايَةِ مَجْمُوعَةِ مَصَالِحَ مُحَدَّدَةٍ(3)، ويُشِـــيرُ هذا المُصْطَلَحُ بالتَّحْدِيدِ إلى دَوْلَةٍ دَاخِلَ دَوْلَةٍ أو إلى أَجْهِزَةِ حُكْمٍ غَيْرِ ظَاهِرَةٍ وغَيْرِ رَسْمِيَّةٍ تَتَحَكَّمُ بِمَصِيرِ الدَّوْلَةِ (كَالجَيْشِ أو المُؤَسَّسَـــاتِ البِيرُوقْرَاطِيَّةِ المَدَنِيَّةِ أو الأَمْنِيَّةِ أو الأَحْزَابِ الحَاكِمَةِ)، يُفْتَرَضُ بِأَنَّ لِلدَّوْلَةِ العَمِيقَةِ عَنَاصِرَ مَوْجُودَةً في مُؤَسَّسَـــاتِ ومَفَاصِلِ الدَّوْلَةِ المَدَنِيَّةِ والعَسْكَرِيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ والإِعْلامِيَّةِ والأَمْنِيَّةِ، وتَتَمَكَّنُ هذه العَنَاصِرُ الَّتِي تَعْمَلُ صَوْبَ أَهْدَافٍ مُشْتَرَكَةٍ من التَّأْثِيرِ وتَوْجِيهِ مُؤَسَّسَـــاتِ الدَّوْلَةِ الرَّسْـــمِيَّةِ وقَرَارَاتِها السِّيَاسِيَّةِ، بِحَيْثُ تَكُونُ هي مَصْدَرَ القَرَارِ السِّيَاسِيِّ والاقْتِصَادِيِّ الحَقِيقِيِّ(4).

---

1. **مُصْطَفَى كَمَال أَتَاتُورْك:** (1938-1881م)، رَئِيسُ الجُمْهُورِيَّةِ التُّرْكِيَّةِ (1923م1938-م)، وَيُعْتَبَرُ مُؤَسِّسَ تُرْكِيَا الحَدِيثَةِ، وَقَائِدَ الحَرَكَةِ التُّرْكِيَّةِ الوَطَنِيَّةِ الَّتِي حَدَثَتْ في أَعْقَابِ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الأُولَى، الَّذِي أَوْقَعَ الْهَزِيمَةَ فِي جَيْشِ اليُونَانِيِّينَ في الحَرْبِ التُّرْكِيَّةِ اليُونَانِيَّةِ عَامَ 1922م، وَبَعْدَ انْسِحَابِ قُوَّاتِ الحُلَفَاءِ من الأَرَاضِي التُّرْكِيَّةِ جَعَلَ عَاصِمَتَهُ مَدِينَةَ أَنْقَرَة، وَأَسَّـسَ جُمْهُورِيَّةَ تُرْكِيَا الحَدِيثَةِ، فَأَلْغَى الخِلافَةَ الإِسْـلَامِيَّةَ وَأَعْلَنَ عَلْمَانِيَّةَ الدَّوْلَةِ، كَانَ عَلْمَانِيًّا وَقَوْمِيًّا، وَأَصْبَحَتْ سِيَاسَـاتُهُ وَنَظَرِيَّاتُهُ مَعْرُوفَةً باسْـمِ الْكَمَالِيَّةِ، أُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْـمُ أَتَاتُورْك (أَيْ: أَبُو الأَتْرَاك) وَذَلِكَ لِلْبَصْمَةِ الوَاضِحَةِ الَّتِي تَرَكَهَا عَسْـكَرِيًّا في الحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى وَمَا بَعْدَهَا وَسِيَاسِيًّا بَعْدَ ذَلِكَ، وحَتَّى الآنَ في بِنَاءِ نِظَامِ جُمْهُورِيَّةِ تُرْكِيَا الحَدِيثَةِ، لِلْمَزِيدِ: ويكيبيديا المَوْسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ: https://cutt.us/gWMP9
2. **وُول سـتريت:** أو شَـارِعُ المَالِ، أَحَدُ شَوَارِعِ مَانْهَاتِن السُّفْلَى، في مَدِينَةِ نِيُويُورك، وَيُعَدُّ الوَاجِهَةَ الرَّئِيسَةَ لِلسُّوقِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، حَيْثُ تُوجَدُ فِيهِ بُورْصَةُ نِيُويُورك والكَثِيرُ من الشَّرِكَاتِ المَالِيَّةِ الأَمْرِيكِيَّةِ الضَّخْمَةِ كجي بي مُورْجَان، وكذلك مَقَرُّ (أميريكان ستوك ايكستشاينج) أو بُورْصَةِ أَمْرِيكا، وَيُعْتَبَرُ أَهَمَّ سُوقٍ لِلْمَالِ في العَالَمِ أَجْمَعَ، لِلمَزِيدِ: ويكيبيديا المَوْسُوعَةُ الْحُرَّةُ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/ZzazM
3. فَيْصَـل، تُوجَـان. "**الدَّوْلَةُ العَمِيقَةُ**". الجَزِيرَةُ نِتْ، 30 مَـارِس 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/1sM0X
4. "**ما الدَّوْلَةُ العَمِيقَةُ**". **مَرْكَزُ الرَّوَابِطِ لِلْبُحُوثِ والدِّرَاسَاتِ الإِسْتِرَاتِيجِيَّةِ**، 2 أُغُسْطُس 2015م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/d4hrY

إنَّ أَنْظِمَـــةَ الحُكْمِ العَرَبِيَّةِ تمَكَّنَتْ خِلالَ عُقُودٍ مـــن بِنَاءِ أَنْظِمَةِ حُكْمٍ خَفِيَّةٍ مُوَزَّعَةٍ على مَفَاصِلِ الدَّوْلَةِ الرَّئِيسَـــةِ بحَيْثُ تَضْمَنُ مَصَالِحَ هذه الأَنْظِمَـــةِ، ومع تَنَامِي قُوَّةٍ ونُفُوذِ هـــذه الدَّوْلَةِ العَمِيقَةِ غَدَتْ هي المُتَحَكِّـــمُ بقَرَارَاتِ النُّظُمِ العَرَبِيَّةِ وهي المُوَجِّهَةُ لهم بما يَخْدِمُ مَصَالِحَها، وبالتَّالي فَإِنَّ إِسْـــقَاطَ نُظُمِ الحُكْمِ العَرَبِيَّةِ الظَّاهِرَةِ والمُمَثَّلَةِ بالرَّئِيسِ أو الحُكُومَةِ دُونَ إِسْقَاطِ رُمُوزِ الدَّوْلَةِ العَمِيقَةِ من شَأْنِهِ إِفْسَاحُ المَجَالِ لإِعَادَةِ إِنْتَاجِ نُظُمٍ دِكْتَاتُورِيَّةٍ أُخْرَى بَدِيلَةٍ عن السَّابِقَةِ، وهذا ما حَصَلَ في بَعْضِ بُلْدَانِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ كَمِصْرَ مَثَلًا، فَالدَّوْلَةُ العَمِيقَةُ المِصْرِيَّةُ تمَكَّنَتْ من إِعَادَةِ إِنْتَاجِ نِظَامٍ جَدِيدٍ يُحَقِّقُ مَصَالِحَها.

فَشَبَابُ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ تمَكَّنُوا من إِسْقَاطِ غَالِبِيَّةِ النُّظُمِ الحَاكِمَةِ في العَالَمِ العَرَبِيِّ، إِلَّا أَنَّ الدُّوَلَ العَمِيقَةَ في هذه النُّظُمِ لم تَسْقُطْ، وعَمِلَتْ هذه الدُّوَلُ على تَقْوِيَةِ الثَّوْرَاتِ المُضَادَّةِ وعلى جَرِّ البِلادِ لِحُرُوبٍ واقْتِتَالٍ وأَزَمَاتٍ اقْتِصَادِيَّةٍ تُدَمِّرُ المُجْتَمَعَاتِ العَرَبِيَّةَ لَكِنَّها تَحَقِّقُ مَصَالِحَ رُمُوزِ هذه الدُّوَلِ، وفي ذَاتِ الوَقْتِ تَقُومُ بتَحْمِيلِ شَبَابِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ المَسْؤُولِيَّةَ السِّيَاسِـــيَّةَ والاجْتِمَاعِيَّةَ والاقْتِصَادِيَّةَ والأَخْلاقِيَّةَ عن التَّدَهْوُرِ الحَاصِلِ، فهي من جِهَةٍ تَضْمَنُ بَقَاءَها واسْـــتِمْرَارَ مَصَالِحِها، ومن جِهَةٍ أُخْرَى تَحْمِلُ مَسْؤُولِيَّةَ الخَرَابِ لِشَبَابِ الثَّوْرَةِ كَمُحَاوَلَةٍ لِوَأْدِ أَيِّ حِرَاكٍ مُسْتَقْبَلِيٍّ جَدِيدٍ.

فالنُّظُمَ الدِّكتاتوريَّةَ قد سَـــقَطَتْ في بَعْضِ دُوَلِ الرَّبِيعِ العَـــرَبِيِّ، إِلَّا أَنَّ الدَّوْلَةَ العَمِيقَةَ لَمْ تَسْـــقُطْ، وهَذِه الدُّوَلُ العَمِيقَةُ هي الحَاكِمُ الفِعْلِيُّ، وما الأَنْظِمَةُ السَّـــابِقَةُ إِلَّا البِنْيَةُ الظَّاهِرِيَّـــةُ لهذه الدُّوَلِ، فالحَرَكَاتُ الَّتِي أَعْقَبَـــت الرَّبِيعَ العَرَبِيَّ أو تَزَامَنَتْ معه والَّتِي سُـــمِّيَتْ بالثَّوْرَاتِ المُضَادَّةِ والَّتِي قَادَتْها الدَّوْلَةُ العَمِيقَةُ -بتَحَالُفَاتِها الإِقْلِيمِيَّةِ والدَّوْلِيَّةِ المُخْتَلِفَـــةِ- في العَالَمِ العَرَبِيِّ نَجَحَتْ في القَضَاءِ على رَبِيعِ الشَّـــبَابِ، بتَمْوِيلٍ ودَعْمٍ من أَنْظِمَةٍ أُخْرَى تَرَى في ثَوْرَاتِ الشَّـــبَابِ تَهدِيدًا لمَصالِحِها[1]؛ فَالدَّوْلَةُ العَمِيقَةُ في العَالَمِ العَرَبِيِّ هِي ولِيدَةُ انْسِجامِ رُؤُوسِ الأَمْوَالِ السَّوْدَاءِ مَع السُّلْطَاتِ السِّيَاسِيَّةِ والَّتِي أَفْرَزَتْ

1. المَرْزُوقِيّ، المُنْصِفُ. "**الوَضْعُ العَرَبِيُّ مُتَأَزِّمٌ والشُّعُوب تَتوقُ للحُرِّيَّة**". مَوْقع الخَليج أون لاين، 18 مارس 2019م، تَاريخُ الزِّيَارَة 8 يونيو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/nZ6CP

عَلاقاتٍ عُصَبِّيَةً على الكَسْرِ، تُدَعِّمُها تَشابُكَاتٌ إِقْلِيمِيَّةٌ ودَوْلِيَّةٌ، وبالتَّأْكِيدِ فالخَاسِرُ الأَكْبَرُ من هذه الدَّوْلَةِ وعَلاقَاتِها هُم الشَّبَابُ العَرَبِيُّ وحَرَاكُهُم النَّهْضَوِيُّ.

فمن تُونِسَ مُرُورًا بِمِصْر ولِيبْيَا وسُورْيَا واليَمَنِ وغَيْرِها من الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ والَّتِي اسْتَقْبَلَتْ رِيَاحَ التَّغْيِيرِ الَّتِي حَمَلَها الرَّبِيعُ العَرَبِيُّ بِالكَادِ نَجِدُ نَتَائِجَ إِيجَابِيَّةً لهذا الرَّبِيعِ لا سِـيَّما فيما يَخُصُّ الشَّبَابَ، فالدَّوْلَةُ العَمِيقَةُ نَجَحَتْ في إِعَادَةِ عَقَارِبِ السَّاعَةِ إلى الوَرَاءِ، فعَادَت الحَيَاةُ في بَعْضِ الدُّوَلِ إلى سَابِقِ عَهْدِها حَامِلَةً مَعَها ذَاتَ القَضَايَا الَّتِي ثَارَ لأَجْلِ تَغْيِيرِها الشَّبَابُ، نَاهِيكَ عن دَمَارٍ وحَرْبٍ ونَارٍ أَنْهَكَتْ دُوَلًا أُخْرَى وأَدْخَلَتْها في دَوَّامَةٍ من العُنْفِ لَمَّا تَظْهَرُ مَفاعِيلُ نِهايَتِها حَتَّى الآنَ؛ ولا نُبَالِغُ هنا إِنْ قُلْنَا: إِنَّ الدَّوْلَةَ العَمِيقَةَ في الأَنْظِمَةِ العَرَبِيَّـةِ مع تَحَالُفَاتِها مع بَعْضِ الأَنْظِمَةِ العَرَبِيَّةِ الأُخْرَى ومع بَعْضِ القُوَى العَالَمِيَّةِ هي المَسْؤُولُ المُبَاشِرُ عن كُلِّ هذا الخَرَابِ.

وبما أَنَّ الأَحْلامَ الكَبِيرَةَ الَّتِي بَنَاها شَـبَابُ الانْتِفاضَاتِ الدَّامِيَةِ والاحْتِجَاجَاتِ السِّلْمِيَّةِ، بَـدَأَ أَغْلَبُها يَتَحَطَّمُ على صُخُورِ الواقِعِ الَّذِي تُمَثِّلُه سُـلُطَاتٌ عَنِيدَةٌ، مُتَلَوِّنَةٌ وغَيْرُ قَابِلَةٍ لِلتَّفْكِيكِ في العُمْقِ، فإِنَّ تَدَاعِيَاتِ ما بَعْدَ "الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ" والإِصْرَارِ على اسْـتِمْرَارِ مَبْدَأِ "التَّظَاهُرِ" في الشَّـارِعِ و"العِصْيَانِ المَدَنِيِّ"، أَفْرَزَتْ نَفْسِـيَّاتٍ مُحْبَطَةً بَاتَتْ تَشْعُرُ أَكْثَرَ فأَكْثَرَ بِاليَأْسِ من أَيِّ تَغْيِيرٍ جِدِّيٍّ وجَذْرِيٍّ، بِقُوَّةِ الأَرْقَامِ وواقِعِ الإِحْصَاءَاتِ.

وَلَعَلَّ هذا ما سَـعَتْ إِلَيْهِ الدَّوْلَةُ العَمِيقَـةُ في الأَنْظِمَةِ العَرَبِيَّةِ فَهِي حَاوَلَتْ جَاهِدَةً زَرْعَ اليَأْسِ في قُلُوبِ الشَّـبَابِ العَرَبِيِّ من أَيِّ نَجَاحٍ مُسْتَقْبَلِيٍّ مُمْكِنٍ، كَضَمَانٍ لاسْتِمْرَارِيَّتِها، فعند اليَأْسِ من أَيِّ تَغْيِيرٍ مُسْـتَقْبَلِيٍّ مُحْتَمَلٍ سَيَسْتَكِينُ الشَّـبَابُ وبالتَّالِي سَتَعُودُ هذه الأَنْظِمَةُ مع دُوَلِها العَمِيقَةِ إلى الاطْمِئْنَانِ على مُسْتَقْبَلِها ومَصَالِحِها، وخَاصَّةً أَنَّ مَوْجَاتِ العُنْفِ الَّتِي اجْتَاحَتْ بَعْضَ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ مع مَنْظَرِ الدِّمَاءِ وصُوَرِ الأَشْـلاءِ أَثَّرَتْ بِشَكْلٍ سَـلْبِيٍّ ووَاضِحٍ على نَفْسِيَّةِ الشَّـبَابِ العَرَبِيِّ، وهذا ما يُسَمَّى في عِلْمِ النَّفْسِ آثَارَ ما بَعْدَ الصَّدْمَةِ، فَعلى سَبِيلِ المِثَالِ ارْتَفَعَتْ نِسْبَةُ الاكْتِئَابِ في الجَزَائِرِ عَقِبَ العَشْرِيَّةِ السَّوْدَاءِ في تِسْـعِينِيَّاتِ القَرْنِ المَاضِي، ووَصَلَتْ إلى نِسْبَةِ 6 % من الجَزَائِرِيِّينَ أَيْ بِما يُقَدَّرُ بِمِلْيُونَيْ

مُوَاطِنٍ يُعَانُونَ من الاكْتِئَاب[1]؛ وفي اليَمَنِ تَمَّ تَسْـــجِيلُ 144 حَالَةَ انْتِحَارٍ نَتِيجَةَ الكَآبَةِ خِلالَ سِـــتَّةِ أَشْهُرٍ، وذَلِكَ نَتِيجَةً لانْتِشَـــارِ مَظَاهِرِ العُنْفِ والقَتْلِ[2]؛ إلَّا أَنَّهُ يَجِبُ التَّمْيِيزُ بين الاكْتِئَاب وبَـــين اليَأْس، فَالوَاقِعُ العَرَبِيُّ الحَالِيُّ المَأْزُوم قد يَقُودُ إلى الاكْتِئَاب وهو أَمْرٌ مُبَرَّرٌ، إلَّا أَنَّ اليَأْسَ لم يَعْرِفْ طَرِيقًا لِقُلُوبِ الشَّبَاب، فَقَدْ تَذْبُلُ زُهْرَةُ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ لكنها لَنْ تَمُوتَ، فَالثُّلُوجُ قَدْ تَقْتُلُ الزَّهْرَةَ لكنها لا تُمِيتُ بِذْرَتَهَا.

وإذَا كَانَ الشَّـــبَابُ قد تَمَّ اخْتِزَالُهُ منذ عُهُودِ التَّارِيخِ المُظْلِمَةِ في قَوَالِبَ حَجَرِيَّةٍ ومَعْدِنِيَّةٍ أو رُخَامِيَّـــةٍ، تُمَثِّلُ آلِهَةَ الخِصْبِ والجَمَالِ والحُبِّ[3] فإنَّ جَمَالَها وتَنَاسُـــقَ أَعْضَائِها لَمْ يُغَيِّرْ شَيْئًا من حَقِيقَتِها الجَامِدَةِ والبَارِدَة، وهذه الصُّورَةُ الرَّمْزِيَّةُ قد تُلَخِّصُ مَجَازًا حَالَ شَرِيحَةٍ واسِعَةٍ من شَبَابِ الوطَنِ العَرَبِيِّ، يَمْتَلِكُ مُقَوِّمَاتِ الخِصْبِ الإبْدَاعِيِّ والعُنْفُوانِ الجُسْـــمَانِيِّ في مُقَابِلِ التَّوَاجُدِ على أَرْضٍ قَاحِلَةٍ لا تُسَاعِدُ على الإنْبَاتِ والإِنْتَاجِ مَعًا، مع وُجُودِ الفارِقِ طَبْعًا بين دُوَلٍ بَدَأَتْ تَسْلُكُ، نَوْعًا ما، الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ مع شَبَابِها، وأُخْرَى لا تَزَالُ مُصِرَّةً على التَّعَامُلِ بِمَنْطِقِ المَاضِي والسُّـــلْطَةِ (الأَبَوِيَّةِ /الدِّينِيَّةِ /الأَيْدِيُولُوجِيَّةِ) العَمْيَاءِ، رَغْمَ هُبُوبِ رِيَاحِ الحَدَاثَةِ الهَوْجَاءِ.

الشَّبَابُ... بِنْيَةُ الغِيَابِ والحُضُورِ

من المُحِيطِ إلى الخَلِيجِ تَنْتَشِرُ صُوَرٌ اسْـــتِثْنَائِيَّةٌ لِشَـــبَابٍ يَتِمُّ الحَدِيثُ عَنْهُ بإسْهابٍ ولَكِنْ قَلَّما يَتِمُّ الاسْـــتِمَاعُ إِلَيْهِ، شَـــبَابٌ يُقَدَّرُ بأَكْثَرَ من نِصْفِ عَدَدِ سُكَّانِ المِنْطَقَةِ العَرَبِيَّةِ، فهو حَاضِرٌ بِقُوَّةٍ في الخُطَبِ الرَّسْمِيَّةِ والعَنَاوِينِ الرَّئِيسَةِ المُوجَّهَةِ لِلاسْتِهْلاكِ الدَّاخِلِيِّ، ومن

---

1. سَـــماتي، آمِنَـــة. "أَكْثَرُ من مِلْيُونَيْ جَزَائِرِيٍّ يُعَانُونَ من اكْتِئَابٍ حَـــادٍّ". مَوْقِعُ الحُوَار، 28 يناير 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/30U1x
2. "144 حَالَـــةُ انْتِحَـــارٍ خِلَالَ نِصْفِ عَـــامٍ في اليَمَنِ". عَدَن الغَد، 3 ســـبتمبر 2013م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/CCzoX
3. عشـــتار، إيزيـــس، فينوس وإيروس.. إلـــخ، في مِيثُولُوجِيَّاتِ البَابِلِيِّينَ وقُدَمَـــاءِ المِصْرِيِّينَ والرُّومانِيِّينَ والإِغْرِيق، لِلمَزِيدِ: مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيَا المَوْسُوعَةُ الحُرَّة، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/fCRxf

جِهَةٍ أُخْرَى، هو وسيلَةٌ لإِرْضَاءِ الضُّغُوطِ الخَارجيَّةِ في مَجَالِ الالتِزَامِ بِحُقُوقِ الإِنْسَانِ[1]، ممَّا يُؤَسِّسُ لِخطَابِ نَوايَا مُسْتَقْبَلِيَّةٍ وأُسْطُوانَةِ وُعُودٍ مُكَرَّرَةٍ إلى حَدِّ المَلَلِ واليَأْسِ، تَجْعَلُ من شَبَابِنَا مُجَرَّدَ عُنْصُرِ "إِضَاءَةٍ" خَلْفِيَّةٍ أو ذلك الضَّميرُ الغَائِبُ الَّذي يُؤَثِّثُ الفضَاءَ السَّرْدِيَّ[2]، ولا يَمْلِكُ أَيَّ سُلْطَةٍ في تَغْيِيرِ أَحْدَاثِهِ أو صُنْعِ جُزْءٍ مِنْها، فالشَّبَابُ حَاضِرٌ حُضُورًا واضِحًا من خِلالِ الضَّمَانَاتِ الدُّسْتُورِيَّةِ والقَانُونيَّةِ، والَّتِي تَجْعَلُ منه شَرِيكًا وحَتَّى مَسْؤُولًا عن تَدْبِيرِ قَضَايَاهُ وقَضَايَا بَلَدِه، إِلَّا أَنَّهُ غَائِبٌ غِيَابًا شِبْهَ تَامٍّ في السَّاحَةِ العَمَلِيَّةِ، فلَمْ تَعُدْ هذه القَوانِينُ أَنْ تَكُونَ مِنْبَرًا لِلتَّفَاخُرِ بِدَوْرٍ مَنُوطٍ بِالشَّبَابِ، ولَكِنَّهُ مُكَبَّلٌ بِأَغْلالِ السِّيَاسَةِ والعُقَدِ الاجْتِمَاعِيَّةِ.

وفي سِيرَةِ الغِيَابِ والحُضُورِ دَائِمًا، وهذه المَرَّةُ على صَعِيدِ الإِنْجَازَاتِ المَأْمُولَةِ ومُسْتَوى نَظِيرَتِها المُحَقَّقَةِ على أَرْضِ الواقعِ، قِيَاسًا إلى حَجْمِ الحَرَاكِ والتَّضْحِيَاتِ المَبْذُولَةِ، تَبْدُو الصُّورَةُ أَكْثَرَ قَتَامَةً على مُسْتَوى تَحْسِينِ وضْعِيَّةِ الشَّبَابِ في سُوقِ العَمَلِ على سَبِيلِ المِثَالِ، ففي عَامِ 2010م، عَشِيَّةَ انْدِلاعِ ثَوْرَاتِ رَبِيعِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ والحُرِّيَّاتِ في الوطَنِ العَرَبِيِّ، كَانَ مُعَدَّلُ بَطَالَةِ الشَّبَابِ كَبِيرًا أَكْثَرَ من أَيِّ مِنْطَقَةٍ أُخْرَى في العَالَمِ بِنِسْبَةِ 10 %، بَيْنَمَا ولِلْمُفَارَقَةِ وصَلَ هذا المُعَدَّلُ بَعْدَ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ إلى مُسْتَوَيَاتٍ قِيَاسِيَّةٍ بَلَغَتْ 27 %[3].

ولَعَلَّ حَالَ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ اليَوْمَ عَبْرَ شَاعِرِيَّةِ الغِيَابِ والحُضُورِ يَتَلَخَّصُ في جُمْلَةِ اسْتِخْلاصَاتٍ مُفَادُها: "لا أَسْتَطِيعُ الحُضُورَ، لَكِنَّنِي قَادِرٌ على الغِيَابِ، نَعَمْ، أَسْتَطِيعُ

---

1. تَهْدِئَةُ الجَبْهَةِ الدَّاخِلِيَّةِ وتَلْمِيعُ الصُّورَةِ الخَارجيَّةِ وتَسْوِيقُ دِيمُقْرَاطِيَّةٍ مُفَصَّلَةٍ على المَقَاسِ مع تَفاوُتَاتٍ مَلْحُوظَةٍ في الإِدْمَاجِ السِّيَاسِيِّ والاجْتِمَاعِيِّ لِلشَّبَابِ بين الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ حَسَبَ أَنْظِمَتِها الَّتِي تَتَرَاوحُ بين دِيمُقْرَاطِيَّاتٍ غَيْرِ مُفَعَّلَةٍ كُلِّيًّا أو سُلُطَاتٍ مَفْرُوضَةٍ بِقُوَّةِ العَسْكَرِ، الأَيْدِيُولُوجِيَّاتُ البَائِدَةُ أو واقِعُ الفَوْضَى والفُرْقَةِ القَائِمَةِ بِفِعْلِ نَتَائِجِ رَبِيعٍ عَرَبِيٍّ مَلْغُومٍ.
2. بلـوافي، محمد. "**لُعْبَةُ الضَّمَائِرِ والسَّرْدِ**". القَلَمُ النَّقْدِيُّ، مَجَلَّةُ أَقْلامِ الثَّقافيَّةِ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: goo.gl/7J2Usc
3. فتحي، نازيلا. "**تَحَيُّزَاتٌ وحَوَاجِزُ**". مجلة التَّمْوِيلِ والتَّنْمِيَةِ، صندوق النقد الدولي، 2017، المجلد 54، العدد 4، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/g6KHM

الغِيَابَ بمَهارَةٍ عَالِيَةٍ، وقد أَصْبَحْتُ مُحْتَرِفًا في الآوِنَةِ الأَخِيرَةِ، وصَارَ لي أَجِنْدَةٌ أُرَتِّبُ فِيها مَواعِيدَ غِيَابي، وصَارَ لي ذِكْرَيَاتٌ لَمْ تَقَعْ بَعْدُ، أَسْتَطِيعُ الغِيَابَ، كما لو أَنَّني لم أَكُنْ، كما لو أَنَّني عَدَمٌ لا أَستَطِيعُ الحُضُورَ، فأَنَا الآنَ مَشْغُولٌ بالحَرْبِ البَارِدَةِ الَّتي أَخُوضُها يَوْمِيًّا مع العُزْلَةِ، بِحَواجِزِ التَّفْتِيشِ الَّتي تَقِفُ بَيْني وبين الصَّيْفِ، بالبيرُوقْرَاطِيَّةِ بسَبَبِ فصْلِ السُّلُطَاتِ التَّشْرِيعِيَّةِ والتَّنْفِيذِيَّةِ، بالرُّوتِينِ في دَائِرَةِ الضَّرِيبَةِ، بالاكْتِئَابِ المُمَنْهَجِ وغَارَاتِ الوحْدَةِ، لقد حَدَّثْتَني طَوِيلًا عن الحَرْبِ، دَعْني أُحَدِّثُكَ قَلِيلًا عن السَّلامِ الَّذي أَنْعَمُ به هنا في الشَّمَالِ، عن الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ الَّتي تَقِفُ دَائِمًا في صَالِحِ الأَغْنِيَاءِ"(1).

1. المدهون، غياث. **"لا أَسْتَطِيعُ الحُضُورَ"**. القُدْسُ العَرَبِيُّ، 31 يوليو 2013م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 4 يونيو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/0sXgC

المبحث الثَّاني

ما بَعْدَ الرَّبِيعِ العَرَبيّ

إذا كانت 2011م سَنَةَ الثَّورَاتِ بامْتِيَازٍ، تَحْتَ مُسَمَّى "الرَّبيع العَرَبيّ" وبكُلِّ أَحْلام التَّجْدِيدِ والأَمَلِ في غَدٍ أَفْضَلَ، فإنَّ السَّنَواتِ التَّاليَةَ اتَّخَذَتْ مَنْحَى الفشَلِ والإِحْبَاطِ والانْتِكَاسَة، صَدْمَت شَبَاب آمَنُوا بالتَّغْيير عن طَريق التَّظَاهُرِ العَنِيفِ والاحْتِجَاج السِّلْميِّ الكَثِيف، لِيُعَاينُوا مَكَاسِبَ مَواسِمَ مُتَلاحِقَةٍ من النِّضَالِ وقَوْلِ "لا" لأَنْظِمَةٍ عَرَبِيَّةٍ هَرِمَةٍ مُتَسَلِّطَةٍ تَتَسَاقَطُ تِبَاعًا إلى غَايَةِ اخْتِفاءِ مَعَالِمِ مَعْرَكَةٍ نَبِيلَةٍ لأَجْلِ الحُرِّيَّة.

بَعْدَ عَشْرَةِ مَواسِمَ رَبِيعٍ، إذَنْ، الحَصِيلَةُ مُخَيِّبَةٌ للآمَالِ والأَحْلامِ، والعَوْدَةُ القَوِيَّةُ لِمُمَارَسَاتِ الأَنْظِمَةِ القَدِيمَةِ، مع التَّرَاجُعِ المَنْهَجِيِّ المَدْرُوسِ عن جُلِّ المُكْتَسَبَاتِ المُنْتَزَعَةِ بالعَرَقِ والدَّمِ، تُحَوِّلُ هَدِيرَ الشَّبَابِ وصُمُودَهُمُ التَّارِيخِيَّ في الشَّوارعِ والمَيَادِينِ العَامَّةِ بالعَواصِمِ والحَواضِرِ العَرَبِيَّةِ إلى صَمْتٍ جَاثِمٍ على الأَنْفاسِ وانْشِغَالٍ بالواقِعِ الفرْدِيِّ اليَوْمِيِّ والبَحْثِ عن سُبُلِ العَيْشِ الكَرِيمِ، واسْتَحَالَتِ الأَحْلامُ والمَطَالِبُ إلى كَوابِيسَ ومُسْتَقْبَلٍ بِلا أُفُقٍ بِفِعْلِ عَدَمِ الثِّقَةِ في التَّغْيِيرِ، والأَخْطَرُ من هذا ارْتِمَاءُ شَرِيحَةٍ واسِعَةٍ من الشَّبَابِ العَرَبيِّ في أَحْضَانِ الإِرْهَابِ والتَّطَرُّفِ بِفِعْلِ البَطَالَةِ والحِقْدِ على الأَنْظِمَةِ وفِقْدَانِ بُوصَلَةِ الاتِّجَاهِ والانْتِمَاءِ أَيْضًا.

وفي ذَاتِ السِّيَاقِ نَجِدُ انْتِشَارًا واسِعًا لِمُحْبَطِي الثَّوْرَةِ بين الشَّبَابِ، وبالأَخَصِّ من أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا في طَلِيعَةِ المُظَاهَرَاتِ مِمَّنْ تَحَدَّوْا رَصَاصَ الشُّرْطَةِ وواجَهُوا القَمْعَ في الشَّوارِعِ، إنَّ هذه الحَالَةَ النَّفْسِيَّةَ الرَّاهِنَةَ لِشَبَابِ الثَّوْرَةِ بِإِمْكَانِها وضْعُنَا أَمَامَ تَشْخِيصٍ كَامِلٍ للأَوْضَاعِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ لِمَرْحَلَةِ ما بَعْدَ أَحْدَاثِ الرَّبِيعِ العَرَبيِّ في الدُّوَلِ الَّتِي شَهِدَتِ الحَرَاكَ، ويَتَعَلَّقُ الأَمْرُ بِشَبَابِ دُوَلٍ بَدَأَ شَرَارَةَ إِشْعَالِ الثَّوْرَةِ، ونَجَحَ في إِسْقَاطِ دِيكْتَاتُورِيَّاتٍ مُتَجَذِّرَةٍ (تُونس، مِصْر، لِيبْيَا) لِمَصْلَحَةِ انْتِهازِيِّي الثَّوْرَةِ المُحْتَرِفِينَ في اسْتِلابِ السُّلْطَةِ، مُرُورًا بِدُوَلٍ قَامَتْ بِاحْتِواءِ الحُلْمِ الثَّوْرِيِّ في مَرْحَلَتِهِ الأُولَى (المَغْرِب، الجَزَائِر)، وانْتِهاءً بِأُخْرَى تَمَّ فِيها تَهْيِئَةُ كُلِّ عَوامِلِ إِشْعَالِ فَتِيلِ الطَّائِفِيَّةِ والتَّعَصُّبِ الدِّينِيِّ على جُثَثِ آلافِ القَتْلَى ومَلايِينَ النَّازِحِينَ (سُورْيَا).

شَبَابُ الأَزْمَة.. نَمَاذِجُ من بُلْدَانِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ

- **الشَّبَابُ التُّونسيُّ بين الفَشَلِ والالتزام بالمُشَارَكَة:**

يَبْقَى العُنْوانُ العَرِيضُ لِمَرْحَلَةِ ما بَعْدَ "ثَوْرَةِ اليَاسَمِين" المُرْتَبِطَةِ من جِهَةٍ بِتَحَقُّقِ بَعْضِ المَطَالِبِ المُرْتَبِطَةِ بِالحُرِّيَّاتِ العَامَّةِ ومُشَارَكَةِ الشَّبَابِ في تَدْبِيرِ شُؤُونِ البِلادِ، ومن جِهَةٍ أُخْرَى، مُقَاوَمَةِ جُيُوبِ الفسَادِ والتَّسَلُّطِ والمَحْسُوبِيَّةِ لِكُلِّ إِصْلاحٍ أو تَغْيِيرٍ، تَدَهْوُرٌ سَرِيعٌ لِلاقْتِصَادِ والسِّيَاحَةِ، بِسَبَبِ عُنْفِ الضَّرَبَاتِ الإِرْهَابِيَّةِ وهَيْمَنَةِ اللَّاسْتِقْرَارَ في الجَانِبِ الأَمْنِيِّ، وبِالتَّالِي تَفَشِّي البَطَالَةِ وارْتِفاعِ تَكْلِفَةِ المَعِيشَةِ إلى مُسْتَوِيَاتٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ.

إِضَافةً إلى شُرُوطِ المُؤَسَّسَاتِ الدَّوْلِيَّةِ الدَّائِنَةِ والدَّاعِمَةِ الَّتِي تَضْغَطُ في اتِّجَاهِ تَخْفِيضِ الأُجُورِ والتَّقْلِيصِ من المُخَصَّصَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، جَعَلَتِ المَكَاسِبَ المُحَقَّقَةَ في مَجَالِ الحُرِّيَّاتِ العَامَّةِ مع مُمَارَسَاتِ "الدَّوْلَةِ البُولِيسِيَّةِ" تَبْدُو رَاهِنًا آخِرَ هُمُومِ التُّونِسِيِّينَ. إِلَّا أَنَّ ثَوْرَةَ الشَّبَابِ التُّونُسِيِّ وبِالرَّغْمِ من بَعْضِ الأزمَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي مَرَّتْ بها تُونُس عَقِبَ الإطاحة بِنِظَامِ الرَّئِيسِ المَخْلُوعِ زَيْنِ العَابِدِينَ بْن عَلِيٍّ[1] تَبْقَى الأَنْجَحَ بَيْنَ الثَّوْرَاتِ العَرَبِيَّةِ، وبالرَّغْمِ من وُصُولِ بَعْضِ رِجَالِ حُكْمِ بُورقِيبَة[2] وبْن عَلِيٍّ إلى سُدَّةِ

1. **زَيْنُ العَابِدِينَ بْنُ عَلِيَ:** (1936-2019م)، رَئِيسُ تُونُسَ الأَسْبَقُ، وهُوَ الرَّئِيسُ الثَّانِي لِتُونُسَ بَعْدَ اسْتِقْلالِها، وأَوَّلُ رَئِيسٍ تُونِسِيٍّ يَتِمُّ خَلْعُهُ من مَنْصِبِهِ إِثْرَ احْتِجَاجَات شَعْبِيَّةٍ ضِدَّ نِظَامِه القَمْعِيِّ، عُيِّنَ رَئِيسًا لِلْوُزَرَاءِ في أُكْتُوبرَ 1987م ثُمَّ تَوَلَّى الرِّئَاسَةَ بَعْدَهَا بِشَهْرٍ في نُوفَمْبِرَ 1987م في انْقِلابٍ غَيْرِ دَمَوِيٍّ حَيْثُ أَعْلَنَ أَنَّ الرَّئِيسَ بُورَقِيبَة عَاجِزٌ عن تَوَلِّي الرِّئَاسَة، حَكَمَ تُونُسَ بِقَبْضَةٍ من حَدِيدٍ لِما يَزِيدُ عن 23 سَنَةً مُتَتَالِيَةً تَخَلَّلَتْهَا عَدِيدٌ من الانْتِهاكَاتِ لِحُقُوقِ الإِنْسَانِ وقَمْعِ حُرِّيَّةِ التَّعْبِيرِ وسِجْنِ المُعَارِضِينَ السِّيَاسِيِّينَ، والقِيَامِ بِتَعْذِيبِهِم بِالإِضَافَةِ إلى انْتِشَارِ الفَسَادِ واسْتِشْرَائِه في مَفَاصِلِ الدَّوْلَةِ مع تَمْكِينِ عَائِلَتِه من مَزَايَا تَحَكُّمٍ في الاقْتِصَادِ التُّونِسِيِّ، هَرَبَ من تُونسَ إلى السُّعُودِيَّةِ عَقِبَ ثَوْرَةِ الشَّبَابِ التُّونِسِيِّ في أَوَاخِرِ عَامِ 2010م، لِلْمَزِيدِ: مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا المَوْسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/97yYi
2. **الحَبِيبُ بُورقِيبَة:** (1903-2000م) أَوَّلُ رَئِيسٍ لِلجُمْهُورِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ، حَكَمَ البِلادَ لِمُدَّةِ ثَلاثِينَ سَنَةً (1957-1987م)، قَبْلَ أَنْ يَنْقَلِبَ عَلَيْهِ رَئِيسُ وُزَرَائِهِ زَيْن العَابِدِين بْن عَلِيّ، حيث عَزَلَهُ بَعْدَ مَرَضِه وكِبَرِ سِنِّه، ووضَعَهُ قَيْدَ الإِقَامَةِ الجَبْرِيَّةِ إلى أَنْ وافَتْهُ المَنِيَّةُ في 6 أَبْرِيلَ عَامَ 2000م، يُعْتَبَرُ من قَادَةِ النِّضَالِ ضِدَّ الاسْتِعْمَارِ الفرَنْسِيِّ لِتُونسَ، حيث لُوحِقَ وسُجِنَ ونُفِيَ، للمَزِيدِ: مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا المَوْسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/5Bijz

الرِّيَاسَــةِ في فَتَرَاتٍ سَابِقَةٍ كالرئيس السَّابِق البَاجِي قَائِدِ السِّبْسِي[1] ورَئِيسِ البَرْلَمَانِ مُحَمَّــد النَّاصِرِ[2] الذِي تَوَلَّى الرِّيَاسَــةَ المُؤَقَّتَةَ عَقِبَ فِرَارِ بْــنِ عَلِيٍّ، إلَى أَنَّها حَقَّقَت مَكَاسِــبَ لا يُسْــتَهانُ بها؛ فالثَّوْرَةُ المُضَادَّةُ في تُونُسَ حَاوَلَتِ العَوْدَةَ بالتُّونسِيِّينَ إلَى ما قَبْلَ ثوْرَتِهم، وهذا ما أَكَّدَ عَلَيْه الرَّئِيسُ الحَالِيُّ لتُونس قَيْس سَعيد[3] الَّذِي أَكَّدَ أَنَّ أَنْصَارَ الثَّوْرَةِ المُضَادَّةِ ومَنْ يَحِنُّونَ إلى المَاضِي أَنَّ ما يَأْمُلُونَهُ مُجَرَّدُ أَضْغاثِ أَحْلامٍ[4]؛ فالثَّوْرَاتُ

1. **البَاجِي قَائِد السِّبْسِي:** واسْمُهُ الكَامِلُ مُحَمَّد البَاجِي بْن حَسُّونَة قَائِدُ السِّبْسِي (29 نُوفمْبِر 1926م - 25 يُولْيُو 2019م)؛ سِــيَاسِيٌّ ومُحَامٍ تُونِسِيٌّ، والرَّئِيسُ الرَّابِعُ في تَارِيخِ الجُمْهُورِيَّةِ التُّونِسِــيَّةِ للفتْرَةِ من 31 دِيسِمْبِر 2014م إلى 25 يُولْيُو 2019م، تَــرَأَّسَ حِــزْبَ نِدَاءِ تُونِــسَ، تَقَلَّدَ العَدِيدَ من المَنَاصِــبِ الوِزَارِيَّةِ في عَهْدِ الحَبِيب بُورْقِيبَة، ثُمَّ عَادَ لِلسَّــاحَةِ السِّيَاسِيَّةِ بَعْدَ الثَّوْرَةِ التُّونِسِيَّةِ، وتَرَشَّحَ لِلانْتِخَابَاتِ الرِّئَاسِيَّةِ في 2014م أَمَامَ الرَّئِيسِ المُنْتَهِيَةِ ولايَتُهُ المُنْصِف المَرْزُوقِي وانْتُخِبَ بِنِسْــبَةِ 55,68 % رَئِيسًــا سَادِسًــا للبِلادِ، وتَسَلَّمَ مَهامَّ مَنْصِبِه رَسْــمِيًّا في الحَادِي والثَّلاثِينَ من دِيسِمْبِرَ عَامَ 2014م، وفي يُونْيُو 2019م أُصِيبَ بِوعْكَةٍ صِحِّيَّةٍ فنُقِلَ إلى العِنَايَةِ المُرَكَّزَةِ بِالمُسْتَشْــفى العَسْــكَرِيِّ بِالعَاصِمَةِ التُّونِسِيَّةِ، وفي 25 من يُولْيُو أَعْلَنَتِ الرِّئَاسَــةُ التُّونِسِــيَّةُ عن وفاتِهِ عن عُمْرٍ يُنَاهِزُ 92 عَامًا، للمَزِيدِ: مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا المَوْسُــوعَةِ الحُرَّةِ، مُتَاح على الرَّابِطِ: https://cutt.us/ghzVM
2. **محمد الناصر:** (21 مارس 1934م)، سِــيَاسِيٌّ تُونِسِيٌّ، شَــغَلَ مَنْصِبَ الرَّئِيسِ المُؤَقَّتِ للجُمْهُورِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ خِلالَ عَامِ 2019م بَعْدَ وفاةِ الرَّئِيسِ الأَسْبَقِ البَاجِي قَايِد السِّبْسِي، فِيما نُصِّبَ سَابِقًا رَئِيسًا لِمَجْلِسِ النُّوَّابِ التُّونِسِيِّ مُنْذُ 4 دِيسِمْبِرَ 2014م إلى 25 يُولْيُو 2019م، وشَغَلَ وِزَارَةَ الشُّؤُونِ الاجْتِمَاعِيَّةِ أَكْثَرَ من مَرَّةٍ في عَهْدِ الرَّئِيسِ الرَّاحِلِ الحَبِيب بُورْقِيبَة، وشَــغَلَ نَفْسَ المَنْصِبِ في حُكُومَةِ البَاجِي قَائِدِ السِّــبْسِي في فبْرَايِرَ 2011م، للمَزِيدِ: مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا المَوْسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاح على الرَّابِطِ: https://cutt.us/yeWHj
3. **قَيْس سَــعِيد:** 1985م، رَئِيسُ الجُمْهُورِيَّةِ التُّونِسِــيَّةِ السَّــابِعُ، سِــياسِيٌّ وأُسْــتَاذٌ جَامِعِيٌّ تُونِسِيٌّ، مُخْتَصٌّ في القَانُونِ الدُّسْــتُورِيّ، اشْــتُهِرَ بمُدَاخَلاتِهِ الأَكَادِيمِيَّةِ المُمَيَّزَةِ لِلْفَصْلِ في الإِشْــكالياتِ القَانُونِيَّةِ المُتَعَلِّقَةِ بِكِتَابَةِ الدُّسْتُورِ التُّونُسِيِّ بَعْدَ الثَّوْرَةِ، تَرَشَّــحَ لِلانْتِخَابَاتِ الرِّئَاسِــيَّةِ التُّونِسِــيَّةِ 2019م، وانْتَقَل على إِثْرِها لِيَخُوضَ الدَّوْرَ الثَّانِيَ لِلانْتِخَابَاتِ إلَى جَانِــبِ نَبِيــل القَــرَوِيِّ فِيما عُرِفَ في تُونُس "بِالزِّلْزالِ الانتخابيّ"، الجَدِيرُ بِالذِّكْــرِ أَنَّ وُصُولَ قَيْسٍ إلى الدَّوْرِ الثَّانِي يُعَدُّ إنجازًا اســتثنائِيًّا لِدُخُوله غِمَارَ الانْتِخَابَاتِ بتمويلٍ ذَاتِيٍّ بَسِــيطٍ رافضًا المِنْحَةَ المُقَدَّمَةَ من الدَّوْلَةِ لِلْقِيَامِ بِالحَمْلَةِ الانْتِخابِيَّةِ بِحُجَّةِ أَنَّهُ مَالُ الشَّعْبِ، فِيما اسْتَنَدَ في حَمْلَتِهِ إلى مَجْمُوعَةٍ من المُتَطَوِّعِينَ الشَّبَابِ من حَوْله، وفَازَ بالأَغْلَبِيَّةِ السَّــاحِقَةِ في الدَّوْرِ الثَّانِي مِن الانْتِخَابَاتِ الرِّئَاسِــيَّةِ الَّتِي دَارَت بتَارِيخ 13 أُكْتُوبَر 2019م، بَدَأَت عُهْدَتُهُ رســمِيًّا في 23 أُكْتُوبَرَ 2019م، يُعَدُّ قَيْسُ سَــعِيد مِن العَائِلَةِ السِّيَاسِــيَّةِ الثَّوْرِيَّةِ في تُونُسَ بما أَنَّ شِــعَارَ حَمْلَتِه كَان "الشَّعْبُ يُرِيدُ" واسْتَطَاع بِهَذِه الحَمْلَةِ البَسِيطَةِ أَنْ يكْسِبَ صَوْتَ ما يَقْرُبُ 700,000 ناخِبٍ تُونِسِيٍّ وقَدْ فَسَّرَ بَعْضُ الشُّرَّاحِ نَجَاحَه بِأَنَّها خَيْبَةُ أَمَلِ المُجْتَمَعِ في الطَّبَقَةِ السِّيَاسِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ لِلْبَلَدِ وتَفْضِيلُها لِوُجُوهٍ جَدِيدَةٍ قَدْ تُحَقِّقُ ما لَمْ يَسْتَطِعْ مَنْ سَبَقَهُم أَنْ يُحَقِّقَها. وكما كان مُتَوَقَّعًا فَقَدْ فَازَ قَيْسُ سَعِيد في الدَّوْرِ الثَّانِي من الانْتِخَابَاتِ الرِّئَاسِيَّةِ الَّتِي دَارَت يَوْمَ 13 أُكْتُوبَر 2019م بَعْد تَحْقِيقِه أَغْلَبِيَّةَ أَصْوَاتِ النَّاخِبِينَ التُّونِسِيِّينَ وخَاصَّةً من فِيهِ الشَّبَابُ الَّذِي حَضَرَ بِقُوَّةٍ في مَكَاتِبِ الاقْتِرَاعِ، لِلْمَزِيد، مَوْقِعُ ويكيبيديا الموسُوعَة الحُرَّةُ، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/T7ajF
4. **"كَيْفَ تَصَدَّى الرَّئِيسُ التُّونُسِيُّ لِمُحاوَلاتِ اسْــتِغْلالِ الخِلافَاتِ بَيْنَ القَوْمِيِّينَ والإِسْــلامِيِّينَ لإِشْعالِ ثَوْرَةٍ مُضَادَّةٍ".** مَوْقِع عَرَبِي بوست، 24 مايو 2020م، تاريخُ الزِّيارَةِ 8 يونيو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/bEKo6

المُضَادَّةُ ومُؤَيِّدُوها في العَالَمِ العَرَبيِّ ومِنْه تُونُسُ ما فَتِئَتْ تُحَاوِلُ إرْجَاعَ عَقَارِبِ السَّاعَةِ إلى الوَرَاءِ، كَوْنُ هذه الثَّوْرَات قَد جَرَّدَتْهُم مِنَ المَكَاسِبِ المَالِيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ الَّتِي اسْتَأْثَرُوا بها لعُقُودٍ طَوِيلَةٍ على حِسَابِ الشُّعُوب العَرَبِيَّةِ ومنها الشَّعْبُ التُّونُسِيُّ.

- **الشَّبَابُ المِصْرِيّ والطَّرِيقُ المَسْدُودُ:**

رُبَّمَا يُلَخِّصُ هذا العُنْوَانُ الواقِعَ الحَالِيَّ لِمِصْرَ، فبَدَأَ من واقعٍ سَـــوْدَاوِيٍّ عَاشَهُ المِصْرِيُّونَ لا سِيَّما الشَّبَابُ منهم قُبَيْلَ انْدِلاعِ ثَوْرَتِهِمْ في عَامِ 2011م، وخَاصَّةً أَنَّ المَرْحَلَةَ الَّتِي سَبَقَتِ الثَّوْرَةَ اتَّسَمَتْ بِغِيَابٍ تَامٍّ لِمُشَارَكَةِ الشَّبَابِ في الحَيَاةِ العَامَّةِ المِصْرِيَّةِ لا ســـيَّما الجَانِبُ السِّـــيَاسِيُّ منها، وتَمَّ إِعْطَاءُ الأَوْلَوِيَّةِ في هذه المَرْحَلَةِ لِتَقْوِيَةِ وتَدْعِيمِ القُدُرَاتِ الأَمْنِيَّةِ على حِسَابِ نَظِيرَاتِها الاجْتِمَاعِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ، والَّتِي أَدَّتْ لِمُعَدَّلاتٍ غيرِ مَسْبُوقَةٍ في البَطَالَةِ والتَّضَخُّمِ وانْخِفاضِ مُسْتَوى الدَّخْلِ، فقَامَتْ ثَوْرَةُ الشَّبَابِ المِصْرِيِّ لِتَغْيِيرِ هذا الواقعِ الأَلِيمِ ونَجَحَتْ وفي فترَةٍ قِيَاسِيَّةٍ في إِسْـــقَاطِ دِكْتَاتُورِيَّةٍ واقْتِلاعِها من جُذُورِها، إِلَّا أَنَّ واقعَ الثَّوْرَةِ ومُفْرَزَاتِها لم يَسْتَمِرَّ لِمَرْحَلَةٍ تَسْمَحُ للمُنْتَصِرِينَ بِتَلَذُّذِ نَشْوةِ النَّصْرِ، فسُرْعَانَ ما تَبَدَّلَتِ الأَحْوالُ وانْقَلَبَتِ المَوازِينُ وتَغَيَّرَتِ الشِّعَارَاتُ، لِيَتَبَدَّلَ الرَّبِيعُ المِصْرِيُّ بِخَرِيفٍ مَرِيرٍ.

رَبِيعُ شَـــبَابِ مِصْرَ إِذَنْ، حَالَةٌ ثَوْرِيَّةٌ في نُسْخَتَيْنِ؛ نُسْـــخَةُ 25 يَنَايِرَ للإِطَاحَةِ بِنِظَامِ حُسْـــنِي مُبَارَك(1)، ومُقَابِلَتُهَا المُضَادَّةُ 30 يُونْيُو الَّتِي أَسْـــقَطَتْ حُكْمَ الرَّئِيسِ مُحَمَّد

1. **مُحَمَّـد حُسْـنِي مُبَارَك:** (2020-1928م)، الرَّئِيسُ المِصْرِيُّ الأَسْـبَقُ، من مَوالِيـدِ مَايُو 1928م في قَرْيَةِ كَفْرِ المُصِيلحَة في مُحَافظَةِ المُنُوفِيَّةِ، شَمَالِيَّ القَاهِرَةِ، حَصَلَ على البَكَالُورْيُوس في العُلُومِ العَسْكَرِيَّةِ عَامَ 1948م، ثُمَّ حَصَلَ على دَرَجَةِ البَكَالُورْيُوس في العُلُومِ الجَوِّيَّةِ عَامَ 1950م من الكُلِّيَّةِ الجَوِّيَّةِ، تَدَرَّجَ في سُـلَّمِ القِيَادَةِ العَسْكَرِيَّةِ حَتَّى عُيِّنَ رَئِيسًا لأَرْكَانِ حَرْبِ القُوَّاتِ الجَوِّيَّةِ المِصْرِيَّةِ، ثُمَّ قَائِدًا للقُوَّاتِ الجَوِّيَّةِ ونَائِبًا لوزيرِ الدِّفاعِ عَامَ 1972م، شَارَكَ في التَّخْطِيطِ لحَرْبِ 6 أُكْتُوبَرَ 1973م، ثُمَّ حَصَلَ على رُتْبَةِ فريقٍ في عَامِ 1974 م، قَبْلَ أَنْ يَخْتَارَهُ الرَّئِيسُ المِصْرِيُّ الأَسْبَقُ أَنْوَر السَّادَات نَائِبًا لَهُ في عَامِ 1975م، وفي 14 أُكْتُوبَرَ 1981م أَدَّى مُحَمَّد حُسْـنِي مُبَارَك اليَمِينَ الدُّسْـتُورِيَّةَ كَرَئِيسٍ للبِلادِ واسْتَمَرَّ في هذا المَنْصِبِ لِمُدَّةِ ثَلاثَةِ عُقُودٍ حَتَّى تَنَحَّى عَقِبَ ثَوْرَةِ يَنَايِرَ 2011م، للمَزِيدِ: مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا المَوْسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاح على الرَّابِط: https://cutt.us/3UCG3

مُرْسِي(1) عَبْرَ انْقِلابٍ عَسْكَرِيٍّ قَادَهُ الفريقُ عَبْدالفتَّاح السِّيسِي(2) من مَوْقِعِه كَوزِيرٍ للدِّفاعِ، فالشَّـــبَابُ المِصْرِيُّ وبطَرْفَةِ عَيْنٍ خَسِرَ مكاسِبَ ثَوْرَتِه، وعَادَ إلَى ذَاتِ النِّظَامِ ولَكِنْ بأَسْمَاءَ جَدِيدَةٍ، وإلى ذَاتِ الوَاقِعِ ولَكِن بعَنَاوِينَ أُخْرَى، فالثَّوْرَةُ المُضَادَّةُ نَجَحَتْ في إفْرَاغِ رَبِيعِ مِصْرَ من كُلِّ مَضَامِينِه، وجَرَّدَتْ ثُوَّارَهُ من جُلِّ مُكْتَسباتِهم.

وهنا بالتَّأْكِيدِ لَسْـــنَا أَمَامَ سَرْدٍ تَارِيخِيٍّ لِتَسَلْسُلِ الأَحْدَاثِ الدِّرَامَاتِيكِيِّ في مِصْرَ عَقِـــبَ ثَوْرَةِ 2011م، ولَكِنْ لا بُدَّ من مَعْرِفَةِ الواقِعِ الحَقِيقِيِّ بَعْدَ كُلِّ هذا الحَرَاكِ السِّـــيَاسِيِّ، وبَعْدَ ثَوْرَةٍ أَطَاحَتْ بأَعْتَى النُّظُمِ الدِّيكْتَاتُورِيَّةِ في العَالَمِ العَرَبِيِّ، هَلْ

---

1. **مُحَمَّـــد مُرْسِي**: (2019-1951م)، الرَّئِيسُ السَّـــابِقُ لِجُمْهُورِيَّةِ مِصْرَ العَرَبِيَّةِ، وهُـــو الرَّئِيسُ الخَامِسُ لِمِصْرَ، أَوَّلُ رَئِيسٍ مَدَنِيٍّ مُنْتَخَبٍ بَعْد ثَوْرَةِ 25 يَنَايِر 2011م، وُلِدَ بقَرْيَةِ العُدْوَة مَرْكَز ههْيَا بمُحَافظَةِ الشَّرْقِيَّةِ، تَخَرَّجَ في كُلِّيَّـــةِ الهَنْدَسَـــةِ جَامِعَةِ القَاهِـــرَةِ، عَامَ 1975م، بتَقْدِيرِ مُمْتَازٍ مع مَرْتَبَةِ الشَّرَفِ، وعُيِّنَ مُعِيدًا بها، سَـــافَرَ إلى الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ عَامَ 1978م للعَمَلِ وإكْمَالِ الدِّرَاسَـــةِ وحَصَلَ على المَاجِسْـــتِير في الطَّاقَةِ الشَّمْسِـــيَّةِ عَامَ 1978م، ثُمَّ حَصَلَ على الدُّكْتُوراه عَامَ 1982م في حِمَايَةِ مُحَرِّكَاتِ مَرْكَبَاتِ الفضَاءِ، فازَ برِئَاسَـــةِ مِصْرَ في عَامِ 2012م بنَتِيجَةِ الانْتِخَابَاتِ آنَذَاكَ وبنِسْـــبَةِ 51,73 %، لَمْ يَسْـــتَمِرَّ حُكْمُهُ أَكْثَرَ من عَامٍ واحِدٍ، أُزِيحَ عن الرِّئَاسَةِ بانْقِلابٍ عَسْكَرِيٍّ إِثْرَ المُظَاهَرَاتِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي خَرَجَتْ في 30 يُونْيُو 2013م، وبَقِيَ مُعْتَقَلًا مُنْذُ عَزْلِه وحَتَّى وفاتِه عَامَ 2019م، تُوُفِّيَ أَثْنَاءَ مُثُولِه للمُحَاكَمَةِ في "قَضِيَّةِ التَّخَابُرِ مع قَطَر"، وعَقِبَ رَفْعِ الجَلْسَةِ أُغْمِيَ عَلَيْه، وتُوُفِّيَ على إِثْرِ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أُصِيبَ بنَوْبَةٍ قَلْبِيَّةٍ حَادَّةٍ، وطَالَبَتِ الأُمَمُ المُتَّحِدَةُ وجِهاتٌ حُقُوقِيَّةٌ بالتَّحْقِيقِ في ظُرُوفِ اعْتِقَالِه ووفاتِه، حيث اتَّهَمَتْ أُسْرَتُهُ ورِفاقُهُ السُّـــلُطَاتِ أَنَّها تَعَمَّدَتْ إِهْمَالَ حَالَتِه الطِّبِّيَّةِ، وتَرَكَتْهُ طَرِيحًا على الأَرْضِ بَعْدَ أَنْ أُغْمِيَ عَلَيْهِ لِمُدَّةِ ثُلْثِ سَاعَةٍ، للمَزِيدِ: مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا المَوْسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/Cbc7A

2. **عَبْدُالفَتَّاح سَـــعِيد حُسَـــين خَلِيل السِّيسِي** (19 نوفمبر 1954م)، الرَّئِيسُ السَّـــادِسُ والحَالِيُّ لِجُمْهُورِيَّةِ مِصْرَ العَرَبِيَّةِ، والقَائِدُ الأَعْلَى للقُوَّاتِ المُسَـــلَّحَةِ المِصْرِيَّةِ، تَمَّ انْتِخَابُهُ سَـــنَةَ 2014م لِمُدَّةِ 4 سَـــنَوَاتٍ بَعْدَ نَجَاحِه في الانْتِخَابَاتِ الرِّئَاسِيَّةِ 2014م، ذَلِكَ بَعْدَ إِطَاحَتِه بالرَّئِيسِ مُحَمَّدْ مُرْسِي في 3 يُولْيُو 2013م بَعْدَ سَنَةٍ من تَوَلِّيهِ مَقَالِيدَ الحُكْمِ عَقِبَ مُظَاهَرَاتٍ طَالَبَتْ برَحِيلِه، تَخَرَّجَ في الكُلِّيَّةِ الحَرْبِيَّةِ عَامَ 1977م، وخَدَمَ في سِلاحِ المُشَاةِ، وعُيِّنَ قَائِدًا للمِنْطَقَةِ الشَّمَالِيَّةِ العَسْكَرِيَّةِ، وتَوَلَّى مَنْصِبَ مُدِيرِ إِدَارَةِ المُخَابَرَاتِ الحَرْبِيَّةِ والاسْتِطْلاعِ، ثُمَّ شَغَلَ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْصِبَ القَائِدِ العَامِّ للقُوَّاتِ المُسَلَّحَةِ المِصْرِيَّةِ ووزيرَ الدِّفاعِ الرَّابِعِ والأَرْبَعِينَ مُنْذُ 12 أُغُسْطُسَ 2012م حَتَّى اسْتِقَالَتِه في 26 مَارِسَ 2014 م للتَّرَشُّحِ للرِّئَاسَةِ، أَدَّى اليَمِينَ الدُّسْتُورِيَّةَ لوِلايَتِه الرِّئَاسِيَّةِ الأُولَى لِمُدَّةِ أَرْبَعِ سَـــنَوَاتٍ أَمَامَ المَحْكَمَةِ الدُّسْـــتُورِيَّةِ في 8 يُونْيُو 2014م، بَيْنَمَا أَدَّى اليَمِينَ الدُّسْتُورِيَّةَ لوِلايَتِه الثَّانِيَةِ أَمَامَ مَجْلِـــسِ النُّـــوَّابِ في 2 يُونْيُو 2018م، للمَزِيدِ: مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا المَوْسُـــوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاح على الرَّابِطِ: https://cutt.us/kSBta

حَصَدَ الشَّبَابُ المِصْريُّ نِتَاجَ ثَوْرَتِهِمْ؟ وهنا نَعُودُ مَرَّةً أُخْرَى لِمَصَالِح السِّيَاسِيِّينَ والعَسْكَرِيِّينَ ورجَالِ المَال الأَسْوَدِ الَّذِينَ هَدَّدَت الثَّوْرَةُ مَكَاسِبَهُم، فمَوَّلُوا ودَعَّمُوا ثَوْرَةَ مِصْرَ المُضَادَّةَ والَّتِي حَظِيتْ بدَعْمٍ قَوِيٍّ إعْلامِيٍّ ومَالِيٍّ وسِياسِيٍّ مِن أنْظِمَةٍ عَرَبِيَّةٍ وأُخْرَى لَمْ تَرَ في ثُوَّارِ الرَّبِيع العَرَبِيِّ ما يَخْدُمُ مَصَالِحَها.

- **الاسْتِثْنَاءَاتُ الوهميَّةُ وتَوَازُنُ الخَوْف:**

تُعْتَبَرُ الجَزَائِرُ من البُلْدَانِ العَرَبِيَّةِ القَلِيلَةِ الَّتِي رَوَّجَتْ لِمَنَاعَتِها السِّيَاسِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ من أَعْرَاضِ التَّغْيِيرِ الَّتِي انْتَشَرَتْ مع قُدُومِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ، لِتَجِدَ نَفْسَها أَخِيرًا واقِفةً على رِمَالٍ مُتَحَرِّكَةٍ، بِسَبَبِ المُظَاهَرَاتِ والاحْتِجَاجَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي اجْتَاحَتْ شَمَالَ وجَنُوبَ البِلادِ، خُصُوصًا بَعْدَ مَنْحِ العَسْكَرِيِّينَ المُتَحَكِّمِينَ الحَقِيقِيِّينَ في أُمُورِ البِلادِ، عُهْدَةً رِئَاسِيَّةً رَابِعَةً لِلرَّئِيسِ عَبْدالعَزِيز بُوتَفْلِيقَة(1)، المُصَابِ بِشَلَلٍ شِبْهِ كُلِّيٍّ والفائِزِ في حَمْلَةٍ انْتِخَابِيَّةٍ أَقْرَبَ إلى السُّورْيَالِيَّةِ(2) منها إلى حَمْلَةٍ تَسْتَوْفِي الشُّرُوطَ الدُّسْتُورِيَّةَ والدِّيمُقْرَاطِيَّةَ.

تَفَادِي امْتِدَادِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ في الجَزَائِرِ كَانَ مُؤَقَّتًا بِفِعْلِ البُحْبُوحَةِ المَالِيَّةِ النِّفْطِيَّةِ وتَهْدِئَةِ جَبَهاتِ المُطَالَبَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وأَيْضًا إِشْهارُ فزَّاعَةِ عَشْرِيَّةِ

1. عَبْدالعَزِيز بُوتَفْلِيقَة: (2 مارس 1937م)، الرَّئِيسُ العَاشِرُ للجَزَائِر، في يَنَايِرَ 2005م عَيَّنَهُ المُؤْتَمَرُ الثَّامِنُ رَئِيسًا لِحِزْبِ جَبْهَةِ التَّحْرِيرِ الوطَنِيِّ، وُلِدَ بِمَدِينَةِ وجْدَةَ المَغْرِبِيَّةِ، وهُو من أُصُولٍ أَمَازِيغِيَّةٍ، التَحَقَ بَعْدَ نِهايَةِ دِرَاسَتِه الثَّانَوِيَّةِ بِصُفُوفِ جَيْشِ التَّحْرِيرِ الوطَنِيِّ الجَزَائِرِيِّ وهُو في 19 من عُمْرِه في عَامِ 1956م، في نُوفمْبرَ 2012 تَجَاوَزَ في مُدَّةِ حُكْمِه مُدَّةَ حُكْمِ الرَّئِيسِ هَوَّارِي بُومَدْيَنْ لِيُصْبِحَ أَطْولَ رُؤَسَاءِ الجَزَائِرِ حُكْمًا، اسْتَقَالَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ 2 أَبْرِيل 2019م قَبْلَ أَسَابِيعَ قَلِيلَةٍ من نِهايَةِ عُهْدَتِه في 28 أَبْرِيل، بَعْدَ مُظَاهَرَاتٍ شَعْبِيَّةٍ عُرِفَتْ بِالحِرَاكِ خَرَجَتْ خِلالَ سِتَّةِ أَسَابِيعَ في كُلِّ جُمْعَةٍ رَافِضَةً لِسُلْطَتِه ومُنَاهِضَةً لِمُقْتَرَحِ التَّمْدِيدِ أو التَّأْجِيل، للمزيد: مَوْقِعُ ويكِيبِيدِيَا المَوْسُوعَةُ الحُرَّة، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/wAT97
2. مَشْهَدُ مُدِيرِ حَمْلَةِ بُوتَفْلِيقَة سَابِقًا ورَئِيسُ الحُكُومَةِ الجَزَائِرِيَّةِ حَالِيًّا، عَبْدالمَالِك سلال، وهُو يَحْمِلُ اللَّابْ تُوب أَمَامَ المُنَاصِرِينَ لِيُرِيَهُمْ صُورَةَ الرَّئِيسِ الغَائِبِ بِسَبَبِ شَلَلِه وهُو يُخَاطِبُهُمْ مُبَاشَرَةً عَبْرَ تِقْنِيَةِ الدَّرْدَشَةِ بالفيدْيُو "سْكَايْبْ" إِضَافَةً إلى رَفْعِ شِعَارَاتٍ وأَلْقَابٍ غَرِيبَةٍ من قَبِيلِ: "الرَّبُّ في السَّمَاءِ وبُوتَفْلِيقَة في الأَرْضِ"، "سَيِّدُ الأَسْيَادِ"، و" أَبُو الجَزَائِرِ" (حَمْلَةُ بُوتَفْلِيقَة: عُرْسٌ بِدُونِ عَرِيس، فرَانْس 24 بتَارِيخ 13 / 04 / 2014 م).

الإرْهابِ السَّــوْدَاءِ(1) في تِسْــعِينِيَّاتِ القَرْنِ المَاضِي عَقِبَ إِلْغَاءِ نَتَائِجِ انْتِخَابَاتٍ تَشْرِيعِيَّةٍ صَبَّتْ نَتَائِجُها في صَالِحِ الإِسْلامِيِّينَ بِأَغْلَبِيَّةٍ سَاحِقَةٍ سَنَةَ 1991م، والَّتِي رَاحَ ضَحِيَّتَهَـــا ما يُنَاهِزُ الرُّبْعَ مِلْيُون جَزَائِرِيٍّ، أَغْلَبُهُمْ من الشَّـــبَابِ في مَجَازِرَ وحَواجِزَ أَمْنِيَّةٍ مُزَيَّفَةٍ نُسِبَتْ وقْتَها إلى جَمَاعَاتٍ إِسْلامِيَّةٍ مُتَطَرِّفَةٍ، وفي اسْتِغْلالٍ بَشِــعٍ للحَاجَةِ إلى الأَمْنِ والاسْتِقْرَارِ، تَحْتَ شِــعَارِ: إِمَّا النِّظَامُ العَسْكَرِيُّ الحَالِيُّ بِلُبُوسٍ مَدَنِيَّةٍ أو مِقْصَلَةُ الإرْهابِ الوحْشِيِّ.

ومع إعْلانِ الرَّئِيسِ عَبْدالعَزِيز بُوتَفْلِيقة تَرَشُّحِه لوِلايَةٍ رِئَاسِيَّةٍ خَامِسَةٍ انْدَلَعَتْ تَظَاهُرَاتٌ في عُمُومِ الجَزَائِرِ كَانَ الشَّـــبَابُ عِمَادَها، وانْتَهَتْ باسْتِقَالَةِ الرَّئِيسِ وتَسْلِيمِ الرِّئَاسَةِ لِرَئِيـــسِ مَجْلِسِ الأُمَّةِ عَبْدالقَادِر بْن صَالِح(2) لِمُدَّةِ ثَلاثَةِ شُــهُورٍ، وأُجْرِيَتْ فِيما بَعْدُ

1. **الحَرْبُ الأَهلِيَّةُ الجَزَائِرِيَّةُ:** أو العَشْرِيَّةِ السَّــوْدَاءِ في الجَزَائِرِ، صِراعٌ مُسَــلَّحٌ قَامَ بين النِّظَامِ الجَزَائِرِيِّ وفصَائِلَ مُتَعَدِّدَةٍ تَتَبَنَّى أَفْكَارًا مُوالِيَةً للجَبْهَةِ الإِسْلامِيَّةِ للإِنْقَاذِ والإِسْلامِ السِّيَاسِيِّ، بَدَأَ الصِّرَاعُ في يَنَايِرَ عَامَ 1992 م عَقِبَ إِلْغَاءِ نَتَائِجِ الانْتِخَابَاتِ البَرْلَمَانِيَّةِ لِعَامِ 1991م في الجَزَائِرِ والَّتِي حَقَّقَتْ فِيها الجَبْهَةُ الإِسْــلامِيَّةُ للإِنْقَــاذِ فوْزًا مُؤَكَّدًا ممَّا حَــدَا بالجَيْشِ الجَزَائِرِيِّ التَّدَخُّلَ لإِلْغَــاءِ الانْتِخَابَاتِ البَرْلَمَانِيَّةِ في البِلادِ مَخَافَةً من فوْزِ الإِسْلامِيِّينَ فِيها. وبَدَأَ الصِّرَاعُ في دِيسَمْبَرَ عَامَ 1991م، عِنْدَما اسْتَطَاعَتِ الجَبْهَةُ الإِسْلامِيَّةُ للإِنْقَاذِ هَزِيمَةَ الحِزْبِ الحَاكِمِ جَبْهَةَ التَّحْرِيرِ الوطَنِيِّ في الانْتِخَابَاتِ البَرْلَمَانِيَّةِ الوطَنِيَّةِ. أُلْغِيَتِ الانْتِخَابَاتُ بَعْدَ الجَوْلَةِ الأُولَى وتَدَخَّلَ الجَيْشُ للسَّــيْطَرَةِ على البِلادِ، وتَمَّ حَظْرُ الجَبْهَةِ الإِسْــلامِيَّةِ للإِنْقَاذِ واعْتُقِلَ الآلافُ من أَعْضَائِها، وشَنَّت بَعْضُ الجَمَاعَاتِ المُسَلَّحَةِ حَمَلاتٍ ضِدَّ الحُكُومَةِ ومُؤَيِّدِيها، واتَّخَذَتْ من الجِبَالِ قَاعِدَةً لَها، وأَعْلَنَت الحَرْبَ على الجَبْهَةِ الإِسْــلامِيَّةِ للإِنْقَاذِ في عَامِ 1994م، ووقَعَتْ سِلْسِــلَةٌ من المَذَابِحِ اسْــتَهْدَفتِ الأَحْيَاءَ أو القُرَى بِأَكْمَلِها بَلَغَ ذُرْوتَهُ في عَامِ 1997م، وأَدَّتْ تلْكَ المَجَازِرُ وارْتِفاعُ عَــدَدِ الضَّحَايَــا إلى وقْفِ إطْلاقِ النَّارِ من جَانِبٍ واحِدٍ مــعَ الحُكُومَةِ في عَامِ 1997م. وفي هذه الأَثْنَاءِ فازَ الطَّرَفُ المُؤَيِّدُ للجَيْشِ بالانْتِخَابَاتِ البَرْلَمَانِيَّةِ. وفي عَامِ 1999م تَمَّ انْتِخَابُ رَئِيسٍ جَدِيدٍ للبِلادِ، وبَدَأَ عَدَدٌ كَبِيرٌ من المُقَاتِلِينَ الانْسِحَابَ والاسْتِفادَةَ من قَانُونِ العَفْوِ الجَدِيدِ، وبَدَأَت الجَمَاعَاتُ تَنْحَلُّ وتَخْتَفِي جُزْئِيًّا بِحُلُولِ عَامِ 2002م وتَوقَّفَتْ عَمَلِيَّاتُ القِتَالِ، باسْــتِثْنَاءِ مَجْمُوعَةٍ مُنْشَــقَّةٍ انْضَمَّتْ لاحِقًا إلى تَنْظِيمِ القَاعِدَةِ في أُكْتُوبَرَ 2003م، للمَزِيدِ: مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيَا المَوْسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/jqR5H

2. **عَبْدالقَادِر بْن صالح:** (24 نوفمبر 1941م)، دِبْلُومَاسِيٌّ وسِــيَاسِيٌّ جَزَائِرِيٌّ، شَــغَلَ مَنْصِبَ الرِّئَاسَــةِ في الجَزَائِرِ بِشَكْلٍ مُؤَقَّتٍ عَقِبَ اسْتِقَالَةِ بُوتَفْلِيقة، كَما شَغَلَ سَابِقًا عِدَّةَ مَنَاصِبَ سِيَاسِيَّةٍ مِنْها سَفِيرُ الجَزَائِرِ في مِصْرَ وفي المَغْرِبِ، وشَــغَلَ مَنْصِبَ رَئِيسِ المَجْلِسِ الشَّــعْبِيِّ الوطَنِيِّ الجَزَائِرِيِّ، للمَزِيدِ: مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا المَوْسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاح على الرَّابِطِ: https://cutt.us/0kcLF

انْتِخَابَاتٌ رِئَاسِـــيَّةٌ فازَ بِمُوجِبِها عَبْدالمَجيد تبُّون[1] برِئَاسَةِ الجَزَائِر، وللعِلْم فهو شَغَلَ مَنْصِبَ رِئَاسَةِ الحُكُومَة ما قَبْلَ الأَخِيرَة في عَهْدِ الرَّئِيس بُوتَفْلِيقَة، نَأْمُلُ أَنْ تَكُونَ ثَوْرَةُ الشَّبَابِ الجَزَائِرِيِّ قد أَفْضَت لِما فِيهِ خَيْرُ الشَّبَاب ومِن خَلْفِهِ الشَّعْبُ الجَزَائِرِيُّ، وأَنْ تَكُونَ بَوَّابَةً له للحَيَاةِ بِمُسْـــتَوى اقْتِصَادِيٍّ وسِيَاسِيٍّ واجْتِمَاعِيٍّ وقَبْلَ كُلِّ ذلك إِنْسَانِيٌّ يَتَنَاسَبُ مع واقِعِ هذا الشَّعْبِ ومع تَارِيخِهِ، ونَأْمُلُ أَلَّا تَكُونَ مَمَرًّا ومَعْبَرًا لِتَغْيِيرِ أَسْمَاءٍ ووُجُوهٍ وبَقَاءِ نَهْجٍ وأُسْلُوبٍ، كَما حَدَثَ في بَاقِي ثَوْرَاتِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ.

وتَجْدُرُ الإِشَارَةُ إلى أَنَّ حَرَكَةَ "بَرَكَات"[2] (كَفى بِاللَّهْجَةِ الجَزَائِرِيَّة)، كانت قد نَصَّبَتْ نَفْسَـــها مُعَارَضَةً مَدَنِيَّةً ضِدَّ تَوْلِيَةِ بُوتَفْلِيقَة لِوِلايَةٍ رِئَاسِيَّةٍ رَابِعَة، وشَكَّلَتْ صَرْخَةَ شَبَابٍ حَانِقٍ خَرَجَ لِلاحْتِجَاج سِـــلْمِيًّا على الأَوْضَاعِ السِّيَاسِيَّة والاقْتِصَادِيَّة السَّائِدَة في عَهْدِ الرَّئِيس بُوتَفْلِيقَة، فقُوبِلَ بِقَمْعٍ شَـــدِيدٍ ومُمَنْهَجٍ لِخَنْقِ أَيِّ حَرَكَةِ احْتِجَاجٍ أو مُطَالَبَاتٍ مُسْـــتَقْبَلِيَّة، ولَكِنَّ رِيَاحَ المُطَالَبَةِ بِالتَّغْيِيرِ والحُرِّيَّةِ والكَرَامَةِ الاجْتِمَاعِيَّة كانت أَقْوى، خُصُوصًا مع الانْهِيَارِ السَّرِيعِ والمُتَوَاصِلِ لأَسْعَارِ النِّفْطِ في السَّنَوَاتِ الأَخِيرَة، مِمَّا جَعَلَ قُدْرَةَ النِّظَامِ على الاسْتِمْرَارِ في شِرَاءِ الصَّمْتِ والسِّلْمِ الاجْتِمَاعِيِّ مَهَمَّةً شِبْهَ مُسْتَحِيلَة. نَفْسُ الأَمْرِ يَنْطَبِقُ على بِدَايَةِ حَرَكَةِ "كِفَايَة"[3]، (تَوَقَّفْ بِاللَّهْجَةِ المَحَلِّيَّةِ المِصْرِيَّة)، الَّتِي عَارَضَتْ بِشِدَّةٍ اسْتِمْرَارِيَّةَ حُسْنِي مُبَارَك في تَجْدِيدِ وِلايَاتِهِ الرِّئَاسِيَّة منذ سَنَةِ 2007م،

1. **عَبْدالمَجيد تبون:** (17 نوفمبر 1945م)، سِـيَاسِيٌّ جَزَائِرِيٌّ ورَئِيسُ الجُمْهُورِيَّةِ الجَزَائِرِيَّةِ الثَّامِن، كَانَ رَئِيسَ وُزَرَاءِ الجَزَائِرِ الأَسْـبَق في حُكُومَةِ 2017م للفترَةِ من 25 مَايُو 2017م إلى 15 أُغُسْـطُس 2017م في عَهْدِ الرَّئِيسْ بُوتَفْلِيقَة ووزيرًا لِلسَّكَنِ والعُمْرَانِ في عِدَّةِ حُكُومَاتٍ جَزَائِرِيَّةٍ ووزيرًا لِلاتِّصَالِ وتَبَوَّأَ مَنَاصِبَ مُخْتَلِفَةً في الدَّوْلَةِ، كَانَ في صُفُوفِ حِزْبِ جَبْهَةِ التَّحْرِيرِ الوطَنِيِّ، لَكِنَّهُ رَشَّـحَ نَفْسَـهُ كَمُسْتَقِلٍّ في انْتِخَابَاتِ الرِّئَاسَةِ الَّتِي فازَ فِيها، للمَزِيد: مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا المَوْسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاح على الرَّابِط:https://cutt.us/ilHRQ
2. موفـق، هشـام. **"بَرَكَات".. حَرَكَةٌ لِرَفْضِ عُهْدَةِ بُوتَفْلِيقَـة الرَّابِعَة"**. الجَزِيرَة. نت، 8 مارس 2014م، مُتَاحٌ على الرَّابِط: goo.gl/s6vZ8W
3. للتَّعْرِيـفِ بالحَرَكَـة، انْظُـرْ: **حَرَكَة كِفَايَة**، الجَزِيـرَة. نت، 29 نُوفَمْبر 2015م، مُتَاحٌ عـلى الرَّابِط: goo.gl/XgUk2c

بل وظُهُورِ شَائِعَاتِ تَوْرِيثِ الحُكْمِ لابْنِهِ جَمَالٍ. أَيْضًا، لَقد مَهَّدَتْ هذه الحَرَكَةُ وغَيْرُهَا الطَّرِيـــقَ إلى انْتِفاضَـــاتِ رَبيع 2011م، بِدَايَةً عَبْرَ مُدَوِّني ما قد يُسَـــمَّى بالعِصْيَانِ "السِّيبْرَانِي"(1) بالفضَاءِ الإلِكْتِرُونيِّ والنَّاشِطِينَ الشَّبَابِ بمَواقعِ التَّواصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ على شَبَكَةِ الإِنْتَرْنِت.

- **سُورْيَا.. لِيبيَا.. اليَمَنُ وأَتُونُ النَّارِ**

تُشَكِّلُ ثَوْراتُ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ في سُوريا وليبيا واليَمَنِ حَالاتٍ فَرِيدَةً، فالثَّوْرَاتُ المُضَادَّةُ لَم تَكْتَفِ بإِجْهَاضِ الحُلْمِ الثَّوْرِيِّ لِلشَّـــبَابِ فَحَسْبُ، بَل حَوَّلَتْ رَبِيعَ هذه البُلْدَانِ إلَى شِتَاءٍ كالحٍ، مَصْبُوغٍ بِحُمْرَةِ الدَّمِ ومَنْعِيٍّ بِصُرَاخِ الأَيَامَى واليَتَامَى، والشَّبَابُ في هذه البُلْـــدَانِ تَقَاذَفَتْهُمْ رِيَاحُ التَّشَرُّدِ، فمَنْ لَمْ يَنْغَمِسْ مِنْهُـــمْ في تَنُّورِ النَّارِ قَذَفَتْهُ رِيَاحُ اللُّجُوءِ إلى ما وراءَ البِحَارِ، حيث لا وطَنَ، وبَاتَتْ قَضِيَّةُ هذه البُلْدَانِ من الشُّهْرَةِ بحيث لا يَنْفعُ مَعَها سَرْدٌ لِتَطَوُّرِ الأَحْدَاثِ وتَفاعُلِها، فالشَّبَابُ هنا خَاسِرٌ لا مَحَالَةَ، ولَمْ يَعُدْ من المُجْدِي الحَدِيثُ عن أَيِّ شَكْلٍ من أَشْكَالِ الرِّبْحِ، بل بَاتَ الهَمُّ الوحِيدُ تَقْلِيلُ الخَسَارَةِ، فلَسْنَا مُغَالِينَ إنْ قُلْنَا: إنَّ الشَّبَابَ في هذه البُلْدَانِ خَسِرُوا حَاضِرَهُمْ ومُسْتَقْبَلَهُمْ، فبَعْدَ سَنَواتٍ عِجَافٍ من الحَرْبِ والدَّمَارِ لا يَلُوحُ في الأُفُقِ السِّيَاسِيِّ أَيُّ بَارِقَةِ أَمَلٍ تَشِي بِحَلٍّ يُخْرِجُ هذا الشَّبَابَ البَائِسَ من مُسْتَنْقَعِهِ الَّذي غَرِقَ بِهِ، أو أُغْرِقَ بِهِ.

فَفِي سُـــوريا نَجَحَ النِّظَامُ نجاحًا تَامًّا في تَحْويـــلِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ إلَى صِرَاعٍ طَائِفِيٍّ أَتَى على الحَجَرِ والبَشَرِ، كما نَجَحَتْ في تَقْسِـــيمِ المُعَارَضَةِ السُّـــورِيَّةِ إلى مُعَارَضَاتٍ مُتَنَاحِرَةٍ، فالنِّظَامُ تَعَامَلَ مَع ثَوْرَةِ الشَّـــبَابِ السُّـــورِيِّ بطَرِيقَتَيْنِ مُتَوازِيَتَيْنِ، الأُولَى عَسْـــكَرِيَّةٌ والثَّانِيَةُ سِيَاسِيَّةٌ من خِلالِ مُحَاوَلَةِ تَشْوِيهِ صُورَةِ الثُّوارِ؛ ويُمْكِنُ القَوْلُ بأَنَّ

1. السِّـــيبْرَانِي: مُصْطَلَـــحٌ مَأْخُوذٌ عن الإِنْجِلِيزِيَّةِ، مُشْـــتَقٌّ مِـــن كَلِمَةِ Cyber، والَّتِي تُشِـــيرُ إلى الفضَاءِ الرَّقْمِيِّ الإلِكْـــتِرُونِيِّ، الَّذي يَجْمَعُ بين أَجْهِزَةِ الكُمْبِيُوتَرِ، وشَـــبَكَةِ الإِنْتَرْنِت، والواقعِ الافْتِرَاضِيِّ، وشَـــبَكَاتِ التَّواصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ، ونَحْوِ ذَلِكَ، والمَقْصُودُ بالعِصْيَانِ "السِّـــيبْرَانِي" تَوْظِيفُ التِّقْنِيَّاتِ السَّابِقَةِ في الاحْتِجَاجِ السِّيَاسِيِّ والتَّعْبِيرِ عن الرَّفْضِ الاجْتِمَاعِيِّ لِلنُّظُمِ السِّيَاسِـــيَّةِ الحَاكِمَةِ، للمَزِيدِ، مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيَا المَوْسُـــوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/v3l6c

رَبيعَ سُـــوريا أُجْهِضَ في سَنَواتِهِ الأُولَى، لتَتَحَوَّلَ سُورِيا إلَى سَاحَةٍ للصِّرَاعَاتِ الدَّوْلِيَّةِ والإقْلِيمِيَّة، ولتَغْدُو بَؤْرَةَ التَّطَرُّفِ الأَبْرَز عَالَمِيًّا، وممَّا لا شَكَّ به أَنَّ الخَاسِرَ الأَكْبَرَ من هذا كُلِّه هُمُ السُّوريُّونَ بشَتَّى فِئَاتِهم؛ وحَالُ لِيبيا واليَمَنِ ليس بأَفْضَلَ، فالثَّوْرَةُ المُضَادَّةُ في لِيبِيا واليَمَـــنِ نَجَحَتْ في الالتِفَافِ على الثَّوْرَةِ والقَضَاءِ عليها وإدْخَالِ البلادِ في حُرُوبٍ وصِرَاعَات لا تَنْتَهِي.

وبِنَاءً على ما سَـــبَقَ من تَجَارِبَ لِلشَّبَابِ العَرَبيِّ مع الرَّبِيعِ العَرَبيِّ، فإنَّ الاحْتِجَاجَاتِ الشَّـــعْبِيَّةَ الَّتِي انْدَلَعَتْ سَنَةَ 2011م، وضَعَتْ فقط مَوْضِعَ الشَّكِّ سُلْطَةَ الدِّيكْتَاتُورِيَّاتِ السَّائِدَةِ وكانت نَاجِعَةً فقط في إسْقَاطِ بَعْضِ الأَنْظِمَةِ المَعْنِيَّة، أَمَّا على صَعِيدِ دَمَقْرَطَةِ المُجْتَمَعِ والسِّيَاسَـــةِ وتَحْقِيقِ تَطَوُّرَاتٍ اجْتِمَاعِيَّـــةٍ تَدْرِيجِيَّة، فلا يَزَالُ ذلك الأَمْرُ بَعِيدَ المَنَالِ في أَغْلَبِ الحَالاتِ، ولَوْ مِـــن بَابِ الإصْلاحَاتِ الجُزْئِيَّة، فالمَطْلَبُ الدِّيمُقْرَاطِيُّ لِلشَّـــبَابِ العَرَبيِّ لا يُمْكِنُ اخْتِزَالُهُ بِإجْرَاءِ انْتِخَابَاتٍ تَشْرِيعِيَّةٍ أو رِئَاسِـــيَّةٍ، وإنَّما يُمَثِّلُ تَغْيِيرًا بُنْيَوِيًّا وهَيْكَلِيًّا في النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ العَرَبيِّ برُمَّتِه.

الثَّابِتُ والمُتَغَيِّرُ في أَحْوَالِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ

من الشَّائعِ تَصْوِيرُ مَرْحَلَةِ الشَّبَابِ من زَوَايَا زَاهِيَةِ الأَحَاسِيسِ؛ الفَرَحِ، المَرَحِ، والنَّشْوةِ، وأَيْضًا صَلَبَةِ البُنْيَانِ؛ النَّشَاطُ، القُوَّةُ والإصْرَارُ على مُواجَهَةِ الصِّعَابِ، أو على النَّقِيضِ مِـــن ذَلِكَ، من خِلالِ صُورِ الحُرِّيَّةِ المُفْرِطَةِ، تَحَـــدِّي التَّقَالِيدِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، واخْتِلاطُ مَفاهِيمِ المُغَامَرَةِ والحُبِّ، إلى حَدِّ وصْفِ الشَّـــبَابِ ب"سِنَّ الحَمَاقَاتِ"، ورَغْمَ كُلِّ ذلك يَبْقَى الشَّـــبَابُ قَـــادِرًا على مَنْحِ الفردِ ما يُمْكِنُ وصْفُهُ بمَرْحَلَـــةِ ابْتِكَارِ هُوِيَّةٍ جَدِيدَةٍ واخْتِبَارِ دُرُوبِ تَجْرِبَةٍ مُغَايِرَةٍ.

إنَّها الفترَةُ الحَاسِمَةُ الَّتِي تُؤَدِّي إلى القِيَامِ بخِيَارِ إعْطَاءِ قِيمَةٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ للذَّاتِ أو التِّيهِ وسَطَ شَخْصِيَّةٍ دُونَ مَلامِحَ ولا تَوازُنٍ، هي إذَنْ، فترَةٌ من أَخْصَبِ فترَاتِ تَواجُدِ الإنْسَانِ في هـــذه الحَيَاةِ، ولا أَدَلَّ على ذلك من تَنْصِيبِ "الشَّـــبَابِ" كَقِيمَةٍ مِعْيَارِيَّةٍ تَفْضِيلِيَّةٍ،

لِلتَّدْلِيلِ على الاحْتِفاظِ بِالقُدُرَاتِ الذِّهْنِيَّةِ والعَاطِفِيَّةِ رَغْمَ التَّواجُدِ في خَرِيفِ العُمْرِ أَيْ سِـــنٍّ مُتَقَدِّمَةٍ، والتَّارِيخُ الإِنْسَانِيُّ يُورِدُ شَواهِدَ وأَمْثِلَةً كَثِيرَةً سَاطِعَةً لِإِنْجَازَاتِ الشَّبَابِ العِلْمِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ بما يُفِيدُ "الإِمْكَانِيَّاتِ غَيْرَ المَحْدُودَةِ لِلشَّبَابِ في صُنْعِ الحَضَارَةِ"(1). أَضِفْ إلى هذا أَنَّ المُجْتَمَعَاتِ ذَاتَ البِنْيَّةِ السَّكَّانِيَّةِ الشَّابَّةِ تَمْتَلِكُ مَفاتِيحَ قُوَّةِ الاسْتِمْرَارِ والتَّجَدُّدِ، بما لها من سَواعِدَ وطَاقَاتٍ فِكْرِيَّةٍ، شَرْطَ عَدَمِ اعْتِبَارِ هذه الشَّرِيحَةِ الحَيَوِيَّةِ عِبْئًا اجْتِمَاعِيًّا ثَقِيلًا بِتَكَالِيفِهِ التَّرْبَوِيَّةِ والتَّكْوِينِيَّةِ وهاجِسًا أَمْنِيًّا يَتَطَلَّبُ ضَبْطَ تَحَرُّكَاتِهِ ولَجْمَ انْفِلاتَاتِهِ، على قَوْلِ الشَّاعِرِ: "ولَقَد رَأَيْتُ الشَّرَّ بَينَ الحَيِّ يَبْدَؤُهُ صِغَارُهُ"(2) وهو ما يَحْصُلُ ولِلأَسَفِ في وطَنِنَا العَرَبِيِّ الكَبِيرِ، حيث يُشَكِّلُ الشَّبَابُ غَالِبِيَّةَ السُّكَّانِ.

وبِنْيَـــةُ الثَّبَاتِ هنا تَخُصُّ الرُّؤْيَـــةَ الضَّيِّقَةَ وتَعَامُلَ الأَنْظِمَةِ مـــع قَضَايَا وطُمُوحَاتِ الشَّـــبَابِ العَرَبِيِّ، كما لا تَمُتُّ بِصِلَةٍ لِسُـــلُوكِيَّاتِ وتَقَالِيدَ شَبَابِيَّةٍ تَدُورُ في نَفْسِ الحَلْقَةِ المُفْرَغَةِ المُكَرَّرَةِ، ولا تُضِيفُ لِأُفُقِ انْتِظَارِهِمْ سِوى المَزِيدِ من الإِحْبَاطِ واليَأْسِ وفِقْدَانِ العَلامَاتِ الدَّالَّةِ على الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، بل وتَمْنَحُ السُّـــلْطَةَ المُسْتَبِدَّةَ أو المُعَمِّرَةَ (الَّتِي عَمَّـــرَتْ طَوِيلًا) هِبَةً مَجَّانِيَّةً وذَرِيعَةً لِتَأْبِيدِ وإِعْلاءِ حِكْمَةِ وأَبَوِيَّةِ الشُّـــيُوخِ، في مُقَابِلِ تَغْيِيرٍ مَنْشُـــودٍ ومَلْمُوسٍ يُمَثِّلُه ثُلَّةٌ من الشَّبَابِ مَارَسُوا التَّغْيِيرَ في جَانِبِهِ الإِيجَابِيِّ عَبْرَ مُؤَسَّسَاتِ المُجْتَمَعِ المَدَنِيِّ أو مَشَارِيعَ ذَاتِيَّةٍ، وحَتَّى في مَنَاصِبِ المَسْؤُولِيَّةِ.

إِنَّهُمْ شَـــبَابٌ نَاضِجٌ من الجِهاتِ الأَرْبَعِ للوطَنِ العَـــرَبِيِّ: المَغْرِبُ، تُونس، لِيبْيَا، مِصْرُ واليَمَنُ، أَثْبَتُوا أَنَّ البَدِيلَ مَوْجُودٌ في شَـــبَابٍ مُلْتَزِمٍ ومَسْؤُولٍ يَتُوقُ إلى الحُرِّيَّةِ وإِثْبَاتِ الذَّاتِ بِاتِّخَاذِهِمْ قَرَارَ تَجَاوُزِ العَوامِلِ المُحْبِطَةِ والانْطِلاقِ في مَشَـــارِيعَ طَمُوحَةٍ في

1. البَشِـــير، عِصَام. "الشَّـــبَابُ وصِنَاعَةُ المُسْـــتَقبَل.. مَآزِق وآفَاق". مَجَلَّةُ حِراء، عدد 37، السَّنَة الثَّامِنَة، يوليو-أغسطس 2013م.
2. من قَولِ الشَّـــاعِرِ الأُمَوِيِّ مِسْـــكِين الدَّارِمِيّ، رَبِيعَة بن عَامِرْ التَّمِيمِيّ، بِمَعْنى أَنَّ صِغَارَ السِّـــنِّ مَنْبَعُ المَشَاكِلِ ومُبْتَدَأُ النِّزَاعَات، ذَكَرَهُ أَبو هِلالٍ العَسْكَرِيُّ في جَمْهَرَةِ الأَمْثَالِ، لِلمَزِيدِ يُنْظَرُ مَجْمَعُ الأَمْثَال ج1 ص2-1.

مَجَالِ الصِّحَّةِ والتَّعْلِيمِ والتَّنْمِيَةِ المُسْتَدَامَةِ، إِضَافةً إلى حُقُوقِ المَرْأَةِ والأَقَلِّيَّاتِ، كَفاعِلِينَ حَقِيقِيِّينَ في تَغْيِيرٍ إِيجَابِيٍّ وبَنَّاءٍ.

كَثِيرٌ هُمُ الشَّــبَابُ الَّذِينَ طَوَوْا صَفْحَةَ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ بِآمَالِها المُعَلَّقَة وآلامِها المُسْتَمِرَّة، مِمَّنْ يمَتَلِكُونَ أَفْكَارًا رَائِعَةً ولا يُرِيدُونَ جَعْلَ البَطَالَةِ المُتَمَكِّنَةِ مَنْفًى لِقُدُرَاتِهِمْ وشَمَّاعَةً لِتَعْلِيقِ فشَلِهِمْ وكَسَلِهِمْ، وبالتَّالِي يَرْفُضُونَ إِهْدَارَ وقْتِهِمْ وطَاقَتِهِمْ في البَحْثِ عن عَمَلٍ بِرَاتِبٍ وأُفُقٍ مَحْدُودٍ بَدَلَ تَأْسِيسِ مَشْرُوعٍ خَاصٍّ، طَمُوحٍ ومُنْتِجٍ للقِيمَةِ المَعْنَوِيَّةِ والرِّبْحِ المَادِّيِّ والاعْتِبَارِيِّ.

المبحث الثَّالِث

وُجُوهٌ أُخْرَى لِلرَّبِيعِ العَرَبِيِّ

إنَّ الثَّوْراتِ الكَبِيرةَ لا تمرُّ مُرُورَ الكِرَام على حَيَاةِ الشُّعُوب، وتَأْثيرُها لا يَنْحَصِرُ بنطَاقِهَا الزَّمنيِّ والمَكَانيِّ، فهو يَنْتَشِرُ جُغْرافيًّا ليَطالَ البَعيدَ من الدُّوَل، ويمْتَدُّ زمنيًّا ليَحْكُمَ فتَرَاتٍ زَمَنيَّةً قد تَطُولُ أو تقْصُرُ، ولَسْنَا نُبالِغُ إذَا قلنا بأَنَّهُ بالإمْكَان تَشْبيهُ ثوراتِ الرَّبِيعِ العَرَبيِّ بالثَّوْرةِ الفِرَنْسيَّةِ أو الثَّوْرَةِ البِلْشِفيَّة(1)، فكِلا الثَّوْرَتيْن تَتَشَابَهانِ مع الرَّبيعِ العَرَبيِّ لِنَاحيَةِ الظُّرُوفِ الَّتي سَبَقَتْ انْدلاعَه، كما تَتَشابَهان معه في الخَاتمَةِ الَّتي انْتَهَى إليْها، فمِن نَاحيَةٍ أُولى مَثَّلَت الثَّوْرَتَانِ المَذْكُورَتَان لا سِيَّما الفِرَنْسيَّةُ حدَثًا تَاريخيًّا فَصَلَ بين حِقْبَتَيْنِ مُتمايزَتَيْن، كما حَمَلَت الثَّوْرَةُ الفرَنْسيَّةُ قِيمًا إنْسَانيةً ورُوحيَّةً وقَوْميَّةً شَكَّلتْ نَوَاةَ تَغَيُّرٍ جَديدٍ في الحَيَاةِ الاجْتِمَاعيَّةِ والاقْتِصَاديَّةِ والسِّيَاسيَّةِ والثَّقَافيَّة، ومَهَّدَتْ لظُهُورِ نَظَريَّةِ العَقْدِ الاجْتمَاعيِّ(2) الَّتي غيَّرَت النَّظَرَ للْعَلاقَةِ بين الحَاكِمِ والمَحْكُوم، إلَّا أَنَّ الثَّوْرَةَ الفرَنْسيَّةَ سُرْعَانَ ما سَقَطَتْ أمامَ الثَّوْرَةِ المُضَادَّةِ وهُوَ حَالُ الرَّبيعِ العَرَبيِّ، كما أَنَّ الثَّوْرَتَيْنِ الفرَنْسيَّةَ

1. **الثَّوْرَةُ البِلْشِفيَّةُ**: أو ثَوْرَةُ أُكْتُوبَر، 1917م، قَادَها البَلاشِفَة تَحْت إمْرَة فَلاديمير لِينين وقَائِد الجَيْش الأَحْمَر ليون تروتسكي وكَامِل الحِزْب البَلْشَفيِّ والجَماهير العُمَّاليَّة بناءً على أفْكَار كَارْل مَارْكس وتَطْوير فلاديمير لِينين؛ لإقَامَة دَوْلَة اشْتراكيَّة وإسْقَاط الحُكُومَة المُؤَقَّتَة. وتُعَدُّ أوَّلَ ثَوْرَةٍ شُيُوعيَّةٍ في القَرْن العِشْرينَ، أَسْفَرَت الثَّوْرَةُ عن قِيَام الاتِّحَاد السُّوفيِّتيّ الَّذي أَصْبَحَ لاحقًا إحْدَى القُوَى العُظْمَى في العَالَم بجَانِب الوِلايَات المُتَّحِدَة، للْمَزيد: مَوْقع ويكيبيديا الموسُوعَة الحُرَّة، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/Iffpk
2. **العَقْدُ الاجْتمَاعيُّ**: مُصْطَلَحٌ سيَاسيٌّ واجْتمَاعيٌّ يَعُودُ إلى القَرْن الثَّامِن عَشَر، وهُوَ مُسْتَمَدٌّ من كِتَاب لِجَانْ جَاك رُوسُّو يَحْمِلُ عُنْوَانَ العَقْد الاجْتمَاعيِّ، هُوَ نَظَريَّةٌ أو نَمُوذَجٌ تَبَلْوَرَ في عَصْر التَّنْوير، ويَهْتَمُّ عَادَةً بمَدَى شَرْعيَّة سُلْطَة الدَّوْلَة على الأَفْرَاد، تُنَادي نَظَريَّةُ العَقْد الاجْتمَاعيِّ بالتَّحْديد بأَنَّ الأَفْرَادَ يَقْبَلُونَ بشَكْلٍ ضِمْنيٍّ أو صَريحٍ أَنْ يَتَخَلَّوْا عن بَعْض حُرِّيَّاتِهِمْ ويَخْضَعُوا لسُلْطَة الحَاكِم (أو لِقَرَار الأَغْلَبيَّة) مُقَابِلَ حِمَايَة بَقيَّة حُقُوقِهِمْ، ومن ثَمَّ فَإنَّ العَلاقَةَ بين الحُقُوق الطَّبيعيَّة والشَّرْعيَّة هي في العَادَة مَبْحَثٌ من مَبَاحِث نَظَريَّة العَقْد الاجْتمَاعيِّ، للْمَزيد: مَوْقعُ ويكيبيديا المَوْسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/T4yCQ

والبِلْشفيَّة شَكَّلَتَا بيئَةً خَصبَةً للانْتهازيِّينَ والمُتَسَلِّقينَ وهذا أيضًا حَالُ الرَّبيع العَرَبيِّ إذ شَكَّلَ فُرْصَةً للانْتهازيِّينَ الدَّاخليِّينَ لخَطْفِ الثَّوْرَةِ وتَحْقيق مَصَالِحِهِم الخَاصَّة على حِسَاب الثَّوْرَةِ والثُّوَّار، وللانْتهازيِّينَ الخَارِجيِّينَ الَّذينَ اسْتَغَلُّوا الرَّبيعَ العَرَبيَّ لِتَنْفيذِ أَجِنْدَاتٍ مَشْبُوهَةٍ دمَّرت العَالَمَ العَرَبيَّ وحاولوا إلْقَاء تَبِعَات هذا الدَّمَار والخَرَاب على الشَّبَابِ الثّائر.

فَالرَّبيعُ العَرَبيُّ كَحَالَةٍ سِيَاسِيَّةٍ وفِكريَّةٍ ونَهْضويَّةٍ شَكَّلَ فِرْصَةً لحُكُوماتٍ غَرْبيَّةٍ ولجِهاتٍ دَاخِلِيَّةٍ لاسْتِثْمَارِ تَضْحيَاتِ الثُّوارِ في تَنْفيذِ بَرامِجَ مُحَدَّدَة، فَبَرَزَتْ مَشاريعُ التَّقْسيمِ والتَّهْجيرِ والتَّغْييرِ الدِّيمُغْرَافيِّ والحُرُوبِ الطَّائفيّة وجَميعُ هذه المَشَاريع نُفِّذَتْ باسْمِ الرَّبيعِ العَرَبيِّ وثُوَّاره، وهُم مِنْها بَرَاءٌ، وهنا لا نَسْعَى لإسباغِ صِفَةِ الخَيْرِ المَحْضِ على الرَّبيعِ العَرَبيِّ، ولا نُحَاوِلُ تَجَاهُلَ بَعْضِ الثَّغْرَاتِ والعَثَرَاتِ الَّتي رَافَقَتْهُ، فهو كأيِّ ثَوْرَةٍ تُضَمُّ الملايين من الشَّبَابِ الثّائرِ لا بُدَّ أَنْ تَشْتَمِلَ على بَعْضِ المُخَرِّبينَ إلَّا أَنَّـهُ لا يُمْكِنُ إضْفاءُ صِفَةِ القِلَّة على الكَثْرَة، فَالخَطأُ هنا أو هناك ليس مُبَرِّرًا لإضفاءِ صِفَةِ الخَطِيئَةِ على الثَّوْرَةِ كَكُلٍّ، فالثَّوْرَةُ الفَرَنْسِيَّةُ على سَبيلِ المِثَالِ تَسَبَّبَتْ بمَقْتَلِ عَدَدٍ من عُلَمَاءِ فَرَنْسَا وعلى رَأْسِهم عَالِمُ الكِيمْيَاء الأَشْهَرِ في العَالَم لافوازييه(1)، وبالرَّغْم من فَداحَةِ هذا الفِعْلِ وسَلْبِيَّته المُطْلَقَةِ هل من المُمْكِنِ القَوْلُ بسَلْبِيَّةِ الثَّوْرَةِ الفَرَنْسِيَّة، وهي الَّتي أيْقَظَتْ شُعُورَ التَّحَرُّرِ لَدَى شُعُوبِ الأَرْضِ قَاطِبَةً.

فالرَّبيعُ العَرَبيُّ تَرَافَق بظُهُورِ نَزَعاتٍ طائِفيَّةٍ ودَعَواتِ انْفِصاليَّةٍ وأزماتٍ سِيَاسِيَّةٍ واقْتِصَادِيَّةٍ وبَعْضُها أَخْلاقِيَّة، وجُلُّ هذه القَضَايَا كَانَت نِتَاجَ اسْتِغْلالِ بَعْضِ الحُكُومَاتِ

1. **لافوازييه:** (1794-1743م)، أَحَدُ النُّبلاءِ الفَرَنْسِيِّينَ ذُو صيت في تَاريخِ الكيمْيَاءِ والتَّمْويلِ والإِحْيَاءِ والاقْتِصَاد، أَوَّلُ مَنْ صاغ قَانُونَ حِفْظِ المَادَّة، وتعرَّفَ على الأُوكْسجين وقَامَ بِتَسْمِيَتِه، وفنَّد نَظَرِيَّةَ الفلوجستون، وسَاعَدَ في تَشْكيلِ نِظَامِ التَّسْمِيَةِ الكيمْيَائيّ، وعادةً يُشَارُ إليْهِ بأَنَّهُ أَبُو الكيمْيَاءِ الحَديثَة، تَمَّ إعْدَامُه بَعْدَ قِيَامِ الثَّوْرَةِ الفَرَنْسِيَّة، وبالرَّغْمِ من عَدَمِ إثْبَاتِ أَيٍّ من التُّهَمِ المُوَجَّهَةِ إليْهِ إلَّا أَنْ حُكْمَ الإعْدامِ نُفِّذَ بِحَقِّهِ، لِلْمَزِيدِ: مَوْقِع ويكيبيديا الموسُوعَةُ الحُرَّة، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/yByZg

الغَرْبيَّة والأنْظِمَةِ العَرَبِيَّة لحَرَاكِ الشَّبَابِ العَرَبيّ، لذلك سنُحَاوِلُ في هذا المَبْحَث تَسْليطَ الضَّوْءِ على بَعْضِ القَضَايَا الَّتِي صَاحَبْتِ الرَّبِيعَ العَرَبيَّ وتَزَامَنَتْ مَعَهُ، وسنَدْرُسُ الحَرَاكَ العَرَبيَّ من مَنْظُورٍ عَقْلانيٍّ مَوْضُوعِيٍّ، فقلَّما نَجِدُ طَرْحًا مَوْضُوعِيًّا تَنَاوَلَ هذا الحَرَاكَ، فإمَّا مُتَحَمِّسٌ لهذا الرَّبِيعِ أَعْمَى بَصَرَهُ وبَصِيرَتَهُ عن عُيُوبِهِ وثُغُرَاتِهِ، أو مُتَعَصِّبٌ ضِدَّهُ حَمَّلَهُ ما لا يحْتَمِلُ من تَبِعَاتِ الدَّمَارِ والخَرَابِ الَّتِي أَعْقَبَتْهُ؛ ففي هذا المَبْحَثِ سَنُحَاوِلُ قِرَاءَةَ مُخْتَلِفِ وُجُوهِ الرَّبِيعِ العَرَبيِّ.

الرَّبِيعُ العَرَبيُّ بين العَفْوِيَّة والتَّخْطِيط

تَشِي غَالِبِيَّةُ أَحْدَاثِ الرَّبِيعِ العَرَبيِّ بِأَنَّهَا رَدَّاتُ فِعْلٍ عَفْوِيَّةٍ على واقعٍ سِيَاسيٍّ واقْتِصَاديٍّ واجْتِمَاعِيٍّ سَادَ لِعُقُودٍ في غَالِبِيَّةِ الدُّولِ العَرَبِيَّة، سَلَبَ معه أَبْسَطَ الحُقُوقِ الإنْسَانِيَّةِ لِلشَّبَابِ العَرَبِيِّ ومن خَلْفِهِ المُجْتَمَعُ العَرَبِيُّ، فالحَدَثُ الأَوَّلُ والَّذِي اعْتُبِرَ شَرَارَةَ انْطِلاقِ هذا الرَّبِيعِ والمُتَمَثِّلِ بِإِحْرَاقِ البُوعَزِيزِيِّ لِنَفْسِهِ في الشَّارِعِ العَامِّ يُمَثِّلُ حَدَثًا عَفْوِيًّا بامْتِيَازٍ لا يُمْكِنُ لأَحَدِ الادِّعَاءُ بِغَيْرِ ذلك؛ ولَكِنْ هل بَقِيَت الأَحْدَاثُ الَّتِي أَعْقَبَتْ هذا الحَدَثَ على ذَاتِ الدَّرَجَةِ من العَفْوِيَّةِ؟ أَمْ أَنَّ أَيَادٍ خَفِيَّةً بَدَأَتْ تَلْعَبُ بالأَحْدَاثِ لِتُحِيلَهَا عن مَجْرَاهَا الطَّبِيعِيِّ.

وهنا نَقِفُ أَمَامَ طَرْحَيْنِ مُتَبَايِنَيْنِ ومُتَنَاقِضَيْنِ، الأَوَّلُ يَرَى في الرَّبِيعِ العَرَبيِّ ثَوْرَاتٍ تِلْقَائِيَّةً عَفْوِيَّةً ويَسْتَدِلُّ على هذا الطَّرْحِ بِأَنَّ عُقُودَ القَمْعِ والاسْتِبْدَادِ لا بُدَّ أَنْ تَنْتَهِي بانْتِفَاضِ المَظْلُومِ، ويُبَرْهِنُ على طَرْحِهِ أَيْضًا بِجُمْلَةٍ من الدِّرَاسَاتِ والإِحْصَائِيَّاتِ الَّتِي تُؤَكِّدُ بُؤْسَ الحَالَةِ السِّيَاسِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي عَاشَهَا الشَّبَابُ العَرَبِيُّ، كَتَقْرِيرِ البَنْكِ الدَّوْلِيِّ لِعَامِ 2015م، والَّذِي يَقُولُ: إِنَّ الدُّولَ العَرَبِيَّةَ الَّتِي شَهِدَت الرَّبِيعَ العَرَبيَّ كَانَ سُكَّانُهَا عَشِيَّةَ هذا الحَرَاكِ من أَقَلِّ شُعُوبِ الأَرْضِ سَعَادَةً(1)، فكُلُّ هذه الأَوْضَاعِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ تُفْضِي إلى أَنَّ الثَّوْرَةَ هي أَمْرٌ حَتْمِيٌّ وبالتَّالِي فإِنَّ الرَّبِيعَ العَرَبيَّ كَانَ عَفْوِيًّا.

1. "إحْبَاطَاتُ الطَّبَقَةِ المُتَوسِّطَة أجَّجَت ثَوَراتِ الرَّبِيعِ العَرَبيِّ". البَنْكُ الدَّوْليُّ، 21 أكتوبر 2015م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/ns60W

والطَّرْحُ الثَّاني يَرَى أَنَّ الرَّبِيعَ العَرَبيَّ كَانَ عَفْويًّا في بِدَايَتِهِ إِلَّا أَنَّهُ اخْتُطِفَ وفي مَرَاحِلَ مُبَكِّرَةٍ من عُمْرِهِ، وأَنَّهُ سَرْعَانَ ما تَحَوَّلَ لِتَنْفِيذِ أَجِنْدَاتٍ غَرْبِيَّةٍ تَسْعَى لِتَقْسِيمِ العَالَمِ العَرَبيِّ، وأَنَّ الشَّبَابَ لَمْ يكُنْ إِلَّا أَدَاةً لِتَنْفِيذِ هذه الأَجِنْدَاتِ، فالحَرَاكُ العَرَبيُّ كان مُخَطَّطًا له لَكِنَّ تَوْقِيتَ البَدْءِ بِهِ كَانَ تِلْقَائِيًّا، ويَسْتَدِلُّ أَصْحَابُ هذا الطَّرْحِ على جُمْلَةِ تَحْلِيلاتٍ وأَحْدَاثٍ ومُقَارَبَاتٍ مَنْطِقيَّةٍ في بُرْهانهم على صِحَّةِ ادِّعَائِهِمْ، ومن البَرَاهِينِ والحُجَجِ المَنْطِقِيَّةِ الَّتِي يَسْتَنِدُ عليها أَنْصَارُ هذا الطَّرْحِ أَنَّهُ وبالرَّغْمِ من الوضْعِ الاجْتِمَاعِيِّ والاقْتِصَادِيِّ والسِّيَاسِيِّ السَّيِّئِ لِلشَّبَابِ العَرَبِيِّ، إِلَّا أَنَّ الوعْيَ السِّيَاسِيَّ الجَمْعِيَّ لم يَصِلْ لِمَرْحَلَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ تَسْمَحُ له بِتَنْظِيمِ ثَوْرَاتٍ، وهذا لَيْسَ عَيْبًا بِحَقِّ الشَّبَابِ، فمَسْؤُولِيَّةُ تَرَاجُعِ الوعْيِ السِّيَاسِيِّ تَتَحَمَّلُ مَسْؤُولِيَّتَهُ النُّظُمُ الحَاكِمَةُ والَّتِي يَبْدُو أَنَّهُ تَرَاجُعٌ مَقْصُودٌ؛ ومن الحُجَجِ الأُخْرَى هي وُقُوفُ الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ ومن ورَائِها الدُّولُ الغَرْبِيَّةُ مع ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ، ومَدُّ بَعْضِها بالمَالِ والسِّلاحِ كَحَالَةِ سُورْيَا ولِيبْيَا، مع أَنَّ الوعْيَ الجَمْعِيَّ العَرَبِيَّ لا يَرَى في هذه الدُّولِ إِلَّا عَدُوًّا لِلشُّعُوبِ العَرَبِيَّةِ، فكَيْفَ وفي طَرْفَةِ عَيْنٍ تَتَحَوَّلُ هذه الدُّولُ لِمُدَافِعٍ عن هذه الشُّعُوبِ، وخَاصَّةً أَنَّ دِمَاءَ ضَحَايَا حَرْبِها لَمَّا تَجِفَّ بَعْدُ في العِرَاقِ؛ وهذا الطَّرْحُ يَتَنَاسَبُ مَعَ مُؤَيِّدِي الثَّوْرَةِ المُضَادَّةِ ودَاعِمِيها، فَهُمْ يَسُوقُون الحُجَجَ والبَرَاهِينَ لإِثْبَاتِ أَنَّ الرَّبِيعَ العَرَبِيَّ لم يكُنْ إِلَّا مُؤَامَرَةً أَو حَرَاكًا فَوْضَوِيًّا عَبَثِيًّا مَأْجُورًا، مُرْتَهِنًا بالخَارِجِ، وتَعْمَلُ مُؤَسَّساتٌ إِعْلامِيَّةٌ عَدِيدَةٌ في العَالَمِ العَرَبيِّ لتسويق هذا الطَّرْحِ، وهُو بِالتَّأْكِيدِ يُجَافِي الحَقِيقَةَ، وإِنْ كَانَ في بَعْضِ الأَحْيَانِ يَسْتَنِدُ إِلَى مُعْطَيَاتٍ ومَعْلُومَاتٍ صَحِيحَةٍ فَإِنَّ تَحْلِيلَ هذه المَعْلُومَاتِ مَغْلُوطٌ، فالنَّتَائِجُ مُعَدَّةٌ مُسْبقًا فِيما تَبْقَى المُحَاوَلَةُ لِلْبَحْثِ عن دَلائِلَ وقَرَائِنَ تُؤَيِّدُها.

وهنا يُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ الرَّبِيعَ العَرَبِيَّ في انْطِلاقَتِه كَان عَفْويًّا ولاحقًا تَمَّ الانْقِلابُ عَلَيْهِ إِمَّا بِإِدْخَالِ فِئَاتٍ حَاوَلَت تَخْرِيبَهُ وتَشْوِيهَ صُورَةِ ثُوَّارِه، أو بَدَعْمِ الثَّوْراتِ المُضَادَّةِ الَّتِي أَفْرَغَتْهُ من نَتَائِجِه، فالطَّرْحُ القَائِلُ بِأَنَّ الرَّبِيعَ العَرَبِيَّ هُوَ مُخَطَّطٌ غَرْبِيٌّ يُشَكِّلُ انْتِقَاصًا من قِيمَةِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ بِالكَامِلِ وشَكًّا صَرِيحًا بوَطَنِيَّتِهِ وقُدْرَتِهِ على المُحَاكَمَةِ العَقْلِيَّةِ، فَقَدْ يَكُونُ من المُمْكِنِ فيه إِغْرَاءُ مَجْمُوعَةٍ هنا أو هناك، ولَكِنْ من غَيْرِ المَنْطِقِيِّ إِغْرَاءُ

شَـــبَابِ أُمَّةٍ بِالكَامِلِ، فغَالِبِيَّةُ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ خَرَجَ للثَّوْرَة، وجُلُّهُم رَفَع شِعَاراتٍ مُؤَيِّدَةً لقَضَايا العَرَبِ الرَّئِيسَة.

الرَّبِيعُ العَرَبيُّ وتَقْسِيمُ المُقَسَّم

رُبمَّا بَاتَ بِإِمْكَانِنَا دِرَاسَةُ أَثَرِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ كَظَاهِرَةٍ سِيَاسِيَّةٍ مُنْتَهِيَة، فالجَمِيعُ الآنَ يُحَاوِلُ لَمْلَمَةَ آثَارِ هذا الرَّبِيعِ، وإِحْصَاءَ خَسَــائِرِهِ وأَرْبَاحِه، ابْتِدَاءً من الشَّبَابِ وانْتِهاءً بِأَنْظِمَةِ الحُكْمِ، والحَالاتُ المُسْتَمِرَّةُ الآنَ لا يُمْكِنُ اعْتِبَارُها اسْتِمْرَارًا للرَّبِيعِ العَرَبِيِّ، كَسُورْيَا ولِيبْيَا واليَمَنِ، بل لَمْ تَعُدْ قَضَايَا عَرَبِيَّةً بِقَدْرِ ما غَدَتْ قَضَايَا إِقْلِيمِيَّةً ودَوْلِيَّةً؛ فالآنَ وبَعْدَ انْتِهاءِ هــذا الحَرَاكِ وبِمُرَاجَعَةٍ سَرِيعَةٍ لآثَارِهِ على العَالَمِ العَرَبِيِّ، نَجِدُ أَنَّهُ انْتَهَى بِنَتَائِجَ كارِثِيَّةٍ على غالِبِيَّةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ اقتصاديًّا وأمنيًّا واجْتِماعيًّا، وهُنَا بِالتَّأْكِيدِ لا نُحَمِّلُه وِزْرَ هذه التَّبِعَات، فهو الآخَرُ ضَحِيَّةٌ لتَجاذُباتٍ وتَحالفُاتٍ مَحَلِّيَّةٍ وإقليميَّةٍ وعالميَّةٍ.

فَمَــع انْطِلاقِ شَرَارَةِ الرَّبِيعِ العَــرَبِيِّ في تُونُسَ بَدَأَتْ مُحَاوَلات بَعْضِ الدُّوَلِ الغَرْبِيَّةِ في تَفْعِيلِ مُخَطَّطَاتها القَدِيمَةِ الجَدِيدَةِ لتَقْسِيمِ المِنْطَقَة، ولَعَلَّ أَبْرَزَ هذه المخططات مُخَطَّط بِرْنَارد لُويس(1) الَّذي يَنُصُّ على ضَرُورَةِ تَفْكِيكِ الوَحْدَةِ الدُّسْــتُورِيَّةِ للدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ من خِلالِ تَقْسِيمِها على أَسَاسٍ عِرْقِيٍّ ومَذْهَبِيٍّ وطَائِفيٍّ(2)، وهُوَ ما بَدَا فعليًّا في بَعْضِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ كسُــوريا الَّتِي اشْــتَدَّت بها الحَرْبُ الطَّائِفيّةُ ويُتِمُّ إِذكَاءُ هَذه الحَرْبِ من خِلالِ اسْتِقْطابِ كُلِّ طَرَفٍ فِيها لأَنْصَارٍ خَارِجِيِّينَ يَدُورُونَ في فَلَكِ انْتِماءٍ دِينِيٍّ وطَائِفِيٍّ مُحَدَّد،

1. **برنــارد لويــس:** (2018-1916م)، دُكْتُور جَامِعِيٌّ يَهُــودِيُّ الأَصْلِ مُتَعَدِّدُ الاخْتِصَاصَــات، دَرَسَ التَّارِيخَ والقَانُونَ واللُّغَات والسِّيَاسَةَ، وتَخَصَّصَ في تَارِيخِ الإِسْلَامِ والتَّفاعُلِ بين الإِسْلامِ والغَرْبِ وتَشْتَهِرُ خُصُوصًا أَعْمَالُهُ حَوْلَ تَارِيخِ الدَّوْلَةِ العُثْمَانِيَّة، وهُو أَحَدُ أَهَمِّ عُلَمَاءِ الشَّرْقِ الأَوْسَــطِ الغَرْبِيِّينَ الَّذي طَالَمَا سَــعَى صُنَّاعُ السِّيَاسَــةِ من المُحَافِظِينَ الجُدُدِ مِثْلُ إِدَارَةِ الرَّئِيسِ الأَمْرِيكِيِّ جورج دبليو بوش إلى الحُصُولِ على اسْتِشَارَتِهِمْ، لَهُ تَأْثِيرٌ واضِحٌ على السِّيَاسِيِّينَ الأَمْرِيكِيِّينَ، للمَزِيد، مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا المَوْسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاحٌ على الرَّابط:https://cutt.us/chzXu
2. **"مُخَطَّط "برنارد لويس" لتَفْتِيتِ العَالَمِ الإِسْلامِيّ"**. مَوقِعُ المَعْرِفَة، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/9h8s3

وكما في اليَمَنِ إذ يَبْدُو الصِّرَاعُ المَذْهَبيُّ على أَشُدِّهِ، والصِّرَاعُ القَبَلِيُّ في لِيبيا، كُلُّها إحْدَاثٌ تُؤَكِّدُ أَنَّ مَشارِيعَ التَّقْسِيمِ حَاضِرَةٌ في أَجِنْدَاتٍ وبَرَامِجِ الدُّوَلِ الغَرْبيَّةِ.

الرَّبيعُ العَرَبيُّ في مِيزَانِ الرِّبْحِ والخَسَارَةِ

بَاتَتِ الأَسْــبَابُ الَّتِي قَادَتِ الشَّبَابَ لِلانْتِفاضَةِ في نِهايَةِ عَامِ 2010م وبِدَايَةِ 2011م مَعْرُوفَةً، وهي أَسْبَابٌ مُحِقَّةٌ، ولَكِنْ هل أَفْضَى هذا الحَرَاكُ إلى مُعَالَجَةِ هذه الأَسْبَابِ، إِنَّ مُقَارَنَةَ السَّبَبِ بِالنَّتِيجَةِ يَضَعُنَا أَمَامَ مُفارَقَةٍ صَارِخَةٍ، فالأَسْبَابُ الَّتِي انْتَفَضَ لأَجْلِها الشَّبَابُ لَمْ تُعَالَجْ، والأَعْجَبُ أَنَّها ازْدَادَتْ حِدَّةً وانْتِشَارًا، فمُعَدَّلاتُ الفقْرِ والبَطَالَةِ كانت مُرْتَفِعَةً عَشِــيَّةَ بَدْءِ الحَرَاكِ، إِلَّا أَنَّها ازْدَادَتْ وبِأَضْعَافٍ بَعْدَ سَنَواتٍ من بَدْءِ الحَرَاكِ، فالاقْتِصَادُ اللِّيبيُّ انْكَمَشَ بِنِسْــبَةِ 60 % عَقِبَ إِسْقَاطِ القَذَّافي[1]، وتَحَوَّلَتْ لِيبْيَا من دَوْلَةٍ ذَاتِ مُسْتَوى دَخْلٍ مُرْتَفِعٍ لِدَوْلَةٍ عَاجِزَةٍ اقْتِصَادِيًّا، واليَمَنُ مُهَدَّدٌ بِمَجَاعَةٍ حَقِيقِيَّةٍ قد تطَالُ غَالِبيَّةَ سُــكَّانِه لا سِــيَّما الأَطْفالُ منهم، وبِحَسَبِ تَقَارِيرِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ فإِنَّ حَواليَ مِلْيُونَي امْرَأَةٍ حَامِلٍ ومُرْضِعٍ مُهَدَّدَاتٍ بِخَطَرِ المَوْتِ نَتِيجَةَ سُــوءِ التَّغْذِيَةِ الحَادِّ والَّذِي سَبَّبَتْهُ الحَرْبُ الدَّائِرَةُ هناك[2]، وفي سُورْيَا قد لا يَكُونُ الوضْعُ بِحَاجَةٍ لأَرْقَامٍ ودِرَاسَــاتٍ، فالفقْرُ والتَّشَرُّدُ والبَطَالَةُ تَبْلُغُ مَبْلَغَها من السُّــورِيِّينَ؛ وبِحَسَبِ التَّقْرِيرِ العَرَبيِّ حَوْلَ الفَقْرِ المُتَعَدِّدِ الأَبْعَادِ فإِنَّ أَكْثَرَ من 44 % من الأَطْفالِ العَرَبِ يَعِيشُــونَ تَحْتَ خَطِّ الفقْرِ بِعَدَدٍ يُقَارِبُ 55 مِلْيُون طِفْلٍ، وأَكْثَرَ من 24 % من الأَطْفالِ يَعِيشُــونَ في فَقْرٍ مُدْقِعٍ ويُقَارِبُونَ 30 مِلْيُون طِفْلٍ[3].

---

1. "المَرْصَدُ الاقْتِصَاديَ للشَّرْقِ الأَوْسَــطِ وشَــمَال أفْرِيقيَا". بَيَانَاتُ البَنْكِ الــدَّوْليِّ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/J1Wva
2. "المَجَاعَةُ في اليَمَن قد تكون أَسْوَأَ كَارِثَةٍ يَصْنَعُها الإِنْسَانُ في التَّارِيخِ الحَدِيثِ". مَوْقِعُ أَخْبَارِ الأُمَمِ المُتَّحِدَة، 1 نوفمبر 2018م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/MPIXB
3. "التَّقْرِيــرُ العَرَبيُّ حَــوْلَ الفقْرِ المُتَعَدِّدِ الأَبْعَــادِ". اللَّجْنَةُ الاقْتِصَاديَّةُ والاجْتِمَاعِيَّةُ لِغَرْبيّ آســيا، مُنَظَّمَةُ الأُمَمِ المتَّحِدَة، 2018م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/CPMTN

إنَّ هذه الأَوْضَاعَ المأْسَــــاوِيَّةَ الاقْتِصَادِيَّةَ والاجْتِمَاعِيَّةَ وضَعَتِ الشَّبَابَ في تَحَدِّيَاتٍ قد يَصْعُبُ تَجَاوُزُها، فهذه التَّحَدِّيَاتُ تَفُوقُ بتأْثيرِها وصُعُوبَتِها التَّحَدِّيَاتِ والعَقَبَاتِ الَّتِي صَاحَبَتِ المُجْتَمعَ العَرَبيَّ قُبَيْلَ ثَوْرَتِهِ، وهنا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ إنَّ الرَّبيعَ العَرَبيَّ في مِيزَانِ الرِّبْحِ والخَسَــــارَةِ لَمْ يُحَقِّقْ نَفْعًا واضِحًا، وقد تَبْدُو الصُّورَةُ قَاتِمَةً للغَايَةِ، وهنا يَجِبُ القَــــوْلُ بأَنَّ فِكْرَةَ الرَّبِيعِ العَرَبيِّ كانت نَقِيَّـــةً وحَضَارِيَّةً، لَكِنَّ دُخُولَ الثَّوْرَاتِ المُضَادَّةِ ودَاعِمِيهم على مَســـارِ الرَّبِيعِ العَرَبيِّ أَفْضَى إلَى هذه الكَـــوَارِث، خَاصَّةً أَنَّ مُؤَيِّدِي هذه الثَّوْرات وُضِعُوا بين خِيارَيْنِ، إمَّا التَّسْـــلِيمُ بانْتِصارِ الشَّبَابِ العَرَبيِّ أو بالتَّدْمِيرِ المُمَنْهَجِ، وللأَسَفِ فالتَّدْميرُ كَانَ خِيَارَهُم.

إنَّ الثَّوْراتِ المُضَادَّةَ أَدْمَتِ الرَّبيعَ العَرَبيَّ وأَصَابَتْ شَبَابَهُ بالإِحْبَاطِ خَاصَّةً مع رُؤْيَتِهِم لأَحَلامِهِم تَتَبَخَّرُ ولبُلْدانِهِم تُدَمَّـــرُ؛ إنَّ إجْهاضَ ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبيِّ قُنْبُلَةٌ تَارِيخِيَّةٌ طَوِيلَةُ المَدَى والانْفِجَارِ، لَن تَتَوَقَّفَ مَفاعِيلُها قريبًا، ولَن تَسْتَطِيعَ قُوَّةٌ حَصْرُها، ولَيْس صُعُودُ مُوَجِّهِ التَّطَرُّفِ والإِرْهابِ إلَّا الجُزْءُ البَسِيطُ البَارِزُ من جَبَلِ الإِحْبَاطِ والخَوْفِ والبُؤْسِ الَّذي يَقْبَعُ على قَلْبِ المُجْتَمَعاتِ المُحطَّمَةِ والمَتْرُوكَةِ من دُونِ أَمَلٍ، ولا مُسْتَقْبَلٍ، ولا أَوْهامٍ، يَضَعُ إجْهاضَ هَذِهِ الثورات، كما لَمْ يَحْصُلْ من قَبْلُ، مَوْضِعَ السُّـــؤَالِ من جَدِيـــدٍ، بِنَاءُ الدُّوَلِ والانْتِقَالِ التَّارِيخيِّ المُعَاقِ للمُجْتَمَعاتِ نَحْوَ الحَدَاثَةِ والتَّصَالُحِ مع العَالَمِ، ويُجَدِّدُ التَّفْكِيرَ في نَقْدِ الأُسُـــسِ الَّتِي أَقَامَ عَلَيْها النِّظَامُ العَالَمِيُّ اسْـــتِقْرَارَه خِلالَ القَرْنِ الماضِي، ويَكْشِفُ عن الزَّوَايَا المَيِّتَةِ الَّتِي تَرَكَها من حَوْلِه، ودَفَعَت ولا تَزَالُ إلَى تَهْمِيـــشِ ثُلُثَي البَشَرِيَّةِ(1)؛ وهنا بالتَّأْكِيدِ فَإِنَّنَا لا نُحَمِّلُ الثَّوْرَةَ المُضَادَّةَ وأَنْصَارَها المَسْؤُولِيَّةَ الوَحِيدَةَ لِفَشَلِ ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبيِّ، فَهذه الثَّوْرَاتُ عَانَتْ من أَخْطَاءٍ بَعْضُها مَوْضُوعِـــيٌّ والآخَرُ ذَاتِيٌّ، وفِيما يَلِي سَـــنُبَيِّنُ أَهَمَّ هذه الأَخْطَاءِ، مع تِبْيَانِ أَثَرِها على حَرَكَةِ ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ.

1. غليون، برهان. **"ثَوْرَاتُ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ.. بَيْنَ تَحَرُّرِ الشُّـعُوبِ وسُـقُوطِ الـدُّوَلِ"**. صحيفة الوطن، 12 فبراير 2018م، تاريخ الزيارة 8 يونيو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/dMDhm

أَسْبَابُ فَشَلِ ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ

تَنَاوَلْنَا في مَوَاضِعَ مُخْتَلِفَةٍ من هذا الفَصْلِ تَأْثِيرَ الثَّوْرَةِ المُضَادَّةِ والدَّوْلَةِ العَمِيقَةِ على الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ ودَوْرِها الهامِّ في إيقَافِ زَخَمِه، وهنا سَنُسَلِّطُ الضَّوْءَ على أَسْبَابٍ أُخْرَى قَادَتْ لِتَرَاجُعِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ ولِتَوَاضُعِ إِنْجَازَاتِه.

وَهي الَّتِي تَتَعَلَّقُ بالشَّبَابِ الثَّائِرِ نَفْسِه، وبالبِيئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الحَاضِنَةِ لَهُ، فَالمَوْضُوعِيَّةُ تَقْتَضِي الاعْتِرَافَ بِأَنَّ لِلثُّوَّارِ الشَّبَابِ ولِلْمُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ بِشَكْلٍ عَامٍّ مَسْؤُولِيَّةً مُحَدَّدَةً عن مَآلِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ، وهي بِالتَّأْكِيدِ لَيْسَتْ مَسْؤُولِيَّةً كَامِلَةً، وإِنَّما جُزْئِيَّةٌ، وفِيما يَلِي أَهَمُّ هذه الأَسْبَابِ:

- **انْكِفَاءُ النُّخَبِ الفِكْرِيَّةِ العَرَبِيَّةِ وتَرَاجُعُ دَوْرِها:**

فَالمُفَكِّرُونَ وعَبْرَ التَّارِيخِ كَانَ لَهُمْ أَثَرٌ واضِحٌ في إِنْجَاحِ أَيِّ ثَوْرَةٍ، فَالمُفَكِّرُ الفَرَنْسِيُّ جَانْ جَاكْ رُوسُّو لُقِّبَ بِعَرَّابِ الثَّوْرَةِ الفَرَنْسِيَّةِ[1]، كَوْنُهُ أَسْهَمَ بِكِتَابَاتِه وخَاصَّةً في كِتَابِ العَقْدِ الاجْتِمَاعِيِّ[2] في تَكْوِينِ وَعْيٍ سِيَاسِيٍّ واجْتِمَاعِيٍّ جَمْعِيٍّ قَادَ الشَّبَابَ الفَرَنْسِيَّ لِإِدْرَاكِ حُقُوقِه؛ إِلَّا أَنَّ الرَّبِيعَ العَرَبِيَّ شَهِدَ تَرَاجُعًا واضِحًا لِعَلاقَةِ النُّخَبِ الفِكْرِيَّةِ بِالشَّبَابِ العَرَبِيِّ والوُصُولِ لِدَرَجَةِ الانْعِزَالِ عن قَضَايَاهُ[3]، فَفِي كُلِّ

1. أبوبكر، خَالِد. "**الثَّوْرَةُ الفَرَنْسِيَّةُ في المِيزَانِ**". إِسْلَام أُون لايْنْ، 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/sEWJQ
2. **كِتَابُ العَقْدِ الاجْتِمَاعِيِّ:** أو مَبَادِئُ الحَقِّ السِّيَاسِيِّ، كِتَابٌ من تَأْلِيفِ جَانْ جَاكْ رُوسُّو حَيْثُ وضَعَ نَظَرِيَّتَهُ حَوْلَ أَفْضَلِ طَرِيقَةٍ لإِقَامَةِ المُجْتَمَعِ السِّيَاسِيِّ في مُوَاجَهَةِ مَشَاكِلِ المُجْتَمَع، حَيْثُ كَانَ الكِتَابُ مَصْدَرَ إِلْهَامٍ لِبَعْضِ الإِصْلاحَاتِ السِّيَاسِيَّةِ أو الثَّوْرَاتِ في أُورُوبَّا وخَاصَّةً في فَرَنْسَا، فَبَعْدَ سُقُوطِ الشَّرْعِيَّةِ المَلَكِيَّةِ والدِّينِيَّةِ كَأَسَاسٍ لِلْحُكْمِ في أُورُوبَّا، أَصْبَحَ من الضَّرُورِيِّ البَحْثُ عن شَرْعِيَّةٍ بَدِيلَةٍ يَقُومُ عَلَيْها الحُكْمُ السِّيَاسِيُّ وتَتَحَدَّدُ على أَسَاسِها مَسْؤُولِيَّاتُ الحَاكِمِ والمَحْكُومِ، والوَاجِبَاتُ والحُقُوقُ المُتَرَتِّبَةُ على كُلٍّ مِنْهُمْ، لِذَلِكَ ظَهَرَ العَدِيدُ من المُفَكِّرِينَ والفَلاسِفَةِ الَّذِينَ عَمِلُوا على إِيجَادِ مِيثَاقٍ شَرْعِيٍّ جَدِيدٍ يَحْكُمُ العَلاقَةَ بين الطَّرَفَيْنِ، وكَانَ من بَيْنِ هَؤُلاءِ المُفَكِّرِينَ الَّذِينَ سَعَوْا لإِيجَادِ هذا المِيثَاقِ جَانْ جَاكْ رُوسُّو الَّذِي طَرَحَ فِكْرَةَ العَقْدِ الاجْتِمَاعِيِّ إلى جَانِبِ مَجْمُوعَةٍ أُخْرَى من المُفَكِّرِينَ التَّنْوِيرِيِّينَ أَمْثَالِ تُومَاس هُوبْزْ وجُونْ لُوكْ، لِلْمَزِيد: مَوْقِعُ وِيكِيبِيدِيا المَوْسُوعَةُ الحُرَّةُ، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/IMHgW
3. النَّفِيسِي، عَبْدالله. "**مَوْجَةٌ ثَوْرِيَّةٌ جَدِيدَةٌ سَتُدَاهِمُ أَنْظِمَةَ الثَّوْرَاتِ المضادَّةِ**". جَرِيدَة الشَّرْق، 3 يناير 2017م، تاريخُ الزيارةِ 8 يونيو 2020، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/nzB9R

الحَرَاكِ العَرَبيِّ من بِدَايَتِه لِنِهايَتِه كَانَ تَأْثِيرُ المفَكِّرينَ العَرَبَ مَحْدودًا لا يَتَنَاسَبُ مَع مِحْوَرِيَّـــةِ الحَدَثِ وأَهمِّيَّتِه؛ إِنَّ بَعْضَ المُثَقَّفِينَ العَرَبَ لَمْ يَكْتَفُوا بالانْكِفَاءِ عن الرَّبِيعِ العَرَبيِّ واسْـــتِحْقَاقَاتِه، بَلْ وصَلَ البَعْضُ مِنْهُمْ إلى التَّبَرُّؤِ مِنْهُ، فَتَحَفَّظُوا على تَسْـــمِيَةِ حَرَاكِ الشَّبَابِ بِالرَّبِيعِ كَوْنَ هذا المُصْطَلَحِ يُوحِي بالإِيجَابِيَّةِ واكْتَفَوْا بِتَسْـــمِيَتِهِ بالانْتِفَاضَةِ أو بِغَيْرِها من التَّسْمِيَاتِ، كما أَسْـــبَغُوا على شَبَابِها بَعْضَ الصِّفَاتِ السَّـــلْبِيَّةِ كَالفَوْضَى وغِيَابِ الأُفُقِ والهَدَفِ والتَّبَعِيَّةِ لِلْخَارِجِ(1)، وهذا ما اسْـــتَطَاعَت الثَّوْرَةُ المُضَادَّةُ الاسْتِثْمَارَ بِه، من خِلالِ الادِّعَاءِ بِأَنَّ الاتِّجَاهَ الثَّقَافِيَّ العَامَّ يُعَارِضُ الرَّبِيعَ العَرَبِيَّ، وهذا الأَمْرُ أَثَّرَ سَـــلْبًا وبِشَكْلٍ واضِحٍ على نَتَائِجِ ثَوْرَةِ الشَّـــبَابِ، وهنا بِالتَّأْكِيدِ فَإِنَّنَا لا نَدَّعِي أَنَّ هذا حَالُ جَمِيعِ المُثَقَّفِينَ والمُفَكِّرِينَ، إِلَّا أَنَّ حَدَثًـــا هامًّا ومِحْوَرِيًّا كَالرَّبِيعِ العَرَبِيِّ بِحَاجَةٍ لِتَضَافُرِ جَمِيعِ جُهُودِ المُفَكِّرِينَ، وهذا ما افْتَقَدَهُ الرَّبِيعُ العَرَبِيُّ.

- **غِيَابُ البِيئَةِ الحِزْبِيَّةِ:**

فَالتَّصَحُّرُ السِّـــيَاسِيُّ الَّذِي فَرَضَتْهُ الأَنْظِمَةُ العَرَبِيَّةُ الاسْتِبْدَادِيَّةُ تَرَكَ أَثَرًا واضِحًا على حَرَاكِ الشَّـــبَابِ السِّـــيَاسِيِّ، فَبَعْدَ عُقُودٍ طَوِيلَةٍ من غِيَابِ الحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ لا يُمْكِنُ أَنْ يُظْهِرَ الشَّـــبَابُ حُنْكَةً وخِبْرَةً سِيَاسِـــيَّةً، وفي ذَاتِ الوَقْتِ فَإِنَّ تَسَارُعَ الأَحْدَاثِ لَمْ يَتْرُكْ فُرْصَةً لِتَشْـــكِيلِ أَحْزَابٍ سِيَاسِيَّةٍ تَضُمُّ الشَّبَابَ وتُوَحِّدُ رُؤَاهُمْ، فَغِيَابُ التَّأْطِيرِ الحِزْبِيِّ من شَـــأْنِهِ إِفْقَادُ الحِرَاكِ أَثَـــرَهُ العَامَّ وتَحْوِيلَهُ إلى أَثَرٍ جُزْئِيٍّ سُرْعَانَ ما يَتَلاشَى، فَالتَّنْظِيمُ الحِزْبِيُّ والمُؤَسَّسَاتِيُّ من شَأْنِهِ الحِفَاظُ على المَكَاسِبِ الَّتِي يُحَقِّقُها الشَّبَابُ، وهذا بِالتَّحْدِيدِ ما افْتَقَدَهُ الشَّبَابُ، فَبَعْدَ الانْتِصَارِ في عِدَّةِ ثَوْرَاتٍ لَمْ يَتَمَكَّنْ هَؤُلاءِ الشَّبَابُ من بِنَاءِ وتَشْكِيلِ أَحْزَابٍ مُهِمَّتُها الحِفَاظُ على مَكَاسِبِهِمْ.

1. مَجْمُوعَةٌ من المُؤَلِّفِينَ. دَوْرُ المُثَقَّفِ في التَّحَوُّلاتِ التَّارِيخِيَّةِ. الدَّوْحَةَ: المَرْكَزُ العَرَبِيُّ للأَبْحَاثِ ودِرَاسَةِ السِّيَاسَاتِ، 2017م.

- **ضَعْفُ التَّنْظِيم:**

ففي دُوَلِ الرَّبِيعِ العَرَبيِّ كَانَتْ تَخْرُجُ مُظَاهَرَاتٌ في غَالِبِيَّةِ المُدُنِ وفي ذَاتِ اللَّحْظَةِ، ولَكِنَّ قَلَّمَا كَانَ يَتِمُّ التَّنْسِيقُ بين هذه المُظَاهَرَاتِ، وهذا ما انْعَكَسَ في بَعْضِ الحَالاتِ فَوْضَى في عَلاقَةِ الثُّوَّارِ بَعْضِهِـــمْ بِبَعْضٍ، مِمَّا أَدَّى إلى انْخِفَاضِ الفَاعِلِيَّةِ وضَيَاعِ الجُهُودِ، كما أَدَّى ضَعْفُ التَّنْظِيمِ إلى نُشُـــوءِ نَزْعَـــةٍ مَنَاطِقيَّةٍ في بَعْضِ الثَّوْرَاتِ، كَالثَّوْرَةِ السُّورِيَّةِ، والَّتِي شَهِدَتْ انْقِسَامًا حَادًّا بين فَصَائِلِ المُعَارَضَةِ وصَلَتْ في كَثِيرٍ من الأَحْيَانِ إلى الاقْتِتَالِ بِالسِّلاحِ، وهذا ما أَجَادَ النِّظَامُ اسْتِثْمَارَهُ.

- **ضَعْفُ التَّنْسِيق بين القِيَادَةِ والثَّوْرَة:**

ففي لِيبْيَا وسُورْيَا تَمَّ تَشْـــكِيلُ مَجَالِسَ وطَنِيَّةٍ في الخَارِجِ مُهِمَّتُها تَنْسِيقُ الجُهُودِ وإِدَارَةُ الثَّوْرَةِ وتَنْسِـــيقُ العَلاقَةِ مع القُوَى الخَارِجيَّةِ، وبالمُقَابِلِ كَانَ دَوْرُ الشَّبَابِ في الدَّاخِلِ العَمَلَ على إِسْـــقَاطِ النِّظَامِ، إِلَّا أَنَّ الدَّوْرَ الَّذِي لَعِبَتْهُ القِيَادَةُ المُمَثَّلَةُ بِالمَجَالِسِ الوَطَنِيَّةِ لَمْ يَرْقَ لِلدَّوْرِ الكَبِيرِ الَّذِي لَعِبَهُ الشَّـــبَابُ والتَّضْحِيَاتُ الكَبِيرَةُ الَّتِي قَدَّمُوها، مِمَّا أَضَاعَ جُهْدَ الثُّوَّارِ، فَدَوْرُ القِيَادَةِ السِّيَاسِيِّ كَانَ مُتَوَاضِعًا لِلْغَايَةِ أَمَامَ دَوْرِ الثُّوَّارِ.

- **غَلَبَةُ التَّيَّارَاتِ الإِسْلامِيَّةِ على المَدَنِيَّة:**

فَالتَّيَّارَاتُ الإِسْـــلامِيَّةُ وبَعْدَ أَشْهُرٍ قَلِيلَةٍ من بَدْءِ الرَّبِيعِ العَرَبيِّ فَرَضَتْ سَيْطَرَتَها شِـــبْهَ الكَامِلَةِ على الثُّوَّارِ، مِمَّا أَظْهَرَ الرَّبِيعَ العَرَبيَّ بِأَنَّهُ ثَوْرَةٌ دِينِيَّةٌ تَهْدِفُ لِتَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ الإِسْلامِيَّةِ وحَسْـــبُ، وأَنَّ خِلافَهَا مع الأَنْظِمَةِ هُوَ خِلافٌ عَقَائِدِيٌّ ولَيْسَ دِيمُقْرَاطِيٌّ، ودَعَّمَ هذا الأَمْرَ بِتَسْـــمِيَةِ بَعْضِ جُمُعَاتِ الاحْتِجَاجِ ولاحِقًا الفَصَائِلَ المُقَاتِلَةَ بِتَسْـــمِيَاتٍ إِسْلامِيَّةٍ، مِمَّا أَثَارَ بَعْضَ الشُّكُوكِ في تَوَجُّهِ الثَّوْرَةِ العَامِّ، وهُنَا كَانَ مِـــنَ الوَاضِحِ أَثَرُ غِيَابِ المُفَكِّرِيـــنَ العَرَبِ، فَالثَّوْرَةُ أَخَذَتْ في بَعْضِ المَرَاحِلِ صِبْغَةَ الحَرَكَةِ الدِّينِيَّةِ، فَالمُفَكِّـــرُونَ كَانَ مُنَاطًا بِهِم الحِفَاظُ على الدَّفَّةِ وتَحْقِيقِ التَّوَازُنِ بين التَّيَّارِ الإِسْلامِيِّ والمَدَنِيِّ.

- **سَيْطَرَةُ المَالِ السِّيَاسِيِّ:**
فَالدَّعْـــمُ المَاليُّ الَّـــذِي قُدِّمَ لِلثَّوْرَةِ أَخَذَ صِفَةَ المَالِ السِّـــيَاسِيِّ، الَّذِي فَرَضَ على الثُّوَّارِ تَوَجُّهاتٍ مُحَدَّدَةً، اشْـــتُرِطَ الالتِزَامُ بِها لاسْتِمْرَارِ التَّمْوِيلِ، وكَانَ هذا الأَمْرُ ظَاهِرًا بَعْدَ تَحَوُّلِ بَعْضِ الثَّوْرَاتِ العَرَبِيَّةِ إلى العَمَلِ المُسَلَّحِ كَالثَّوْرَةِ السُّورِيَّةِ واللِّيبِيَّةِ واليَمَنِيَّةِ، فَدَعْمُ الفَصَائِلِ المُقَاتِلَةِ بِالمَالِ والسِّـــلاحِ كَانَ مَرْهُونًا بِالتِزَامِ الفَصَائِلِ بِتَوَجُّهاتِ المُمَوِّلِ السِّيَاسِيَّةِ، مِمَّا أَدَّى لانْقِسَامِ تَوَجُّهاتِ الثَّوْرَةِ وتَبَايُنِها تَبَعًا لِتَبَايُنِ تَوَجُّهاتِ المُمَوِّلِينَ.

- **غِيَابُ رِجَالِ الأَعْمَالِ:**
فَلُجُوءُ الشَّـــبَابِ إلى التَّمْوِيلِ الخَارِجِيِّ كَانَ سَبَبُهُ الرَّئِيسُ انْعِدَامَ أو قِلَّةَ التَّمْوِيلِ الذَّاتيِّ الدَّاخِلِيِّ المُتَمَثِّلِ بِرِجَالِ الأَعْمَالِ، فَغَالِبِيَّةُ رِجَالِ الأَعْمَالِ أَقْصَوْا أَنْفُسَـــهُمْ عن الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ وعن اسْـــتِحْقَاقَاتِهِ، وهذا مـــا دَفَعَ الثُّوَّارَ ومن خَلْفِهِم الثَّوْرَةُ بِالكَامِلِ لِقَبُولِ بَعْضِ التَّنَازُلاتِ في سَبِيلِ اسْتِمْرَارِ التَّمْوِيلِ.

وأخيراً، فإِنَّهُ إذا كان الواقِعُ العَرَبيُّ يُؤَكِّدُ أَنَّ الشَّـــبَابَ هم مَن لَعِبَ دَوْرًا رَئِيسًـــا، إنْ لم يكن الدَّوْرَ الوحِيدَ، في الانْتِفاضَاتِ والحَـــرَكَاتِ الاحْتِجَاجِيَّةِ خِلالَ حِقْبَةِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ، سَـــواءٌ عَبْرَ التَّخْطِيطِ أو الدَّعْوةِ أو التَّعْبِئَةِ والحَشْدِ أو التَّنْظِيمِ والاتِّصَالِ من خِلالِ ثَوْرَةِ تِكْنُولُوجْيَا المَعْلُومَاتِ والاتِّصَالاتِ أو المُشَـــارَكَةِ فِيها أو حَتَّى التَّضْحِيَةِ من أَجْلِها، فإِنَّ ذلك قد جَاءَ كَنَتِيجَةٍ مَنْطِقِيَّةٍ لِما عَانَاهُ الشَّـــبَابُ العَرَبِيُّ من اغْتِرَابٍ في وطَنِهِ، وتَهْمِيشٍ لِدَوْرِهِ في المُجْتَمَعِ على مَدَى عُقُودٍ طَوِيلَةٍ خَلَتْ.

وإِذَا كَانَ لا بُـــدَّ من الخُرُوجِ بِنَتِيجَةٍ تُوضِّحُ واقِعَ الشَّـــبَابِ العَرَبِيِّ بَعْد ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ، فهذه النَّتِيجَةُ تُحِيلُ إلى مَزِيدٍ من الشُّـــعُورِ بالاغْتِرَابِ والتَّهْمِيشِ؛ حيث وصَلَ الشَّبَابُ العَرَبِيُّ إلى خُلاصَةٍ مُفادُها أَنَّهُ وبَعْد خِبْرَةِ سَنَواتِ الرَّبِيعِ وما بَعْدَها، فإِنَّ أَمَلَ التَّمْكِينِ الَّذِي سَعَى إِلَيْهِ قد تَوارَى بِالدَّرَجَةِ الَّتِي يَرَى فِيها أَنَّ الآمَالَ الَّتي كان يَسْعَى لِتَحْقِيقِها لأَوْطَانِهِ خِلالَ الحَرَاكِ الثَّوْرِيِّ أَضْحَتْ سَرَابًا، بل إِنَّها جَاءَتْ بِآثَارٍ عَكْسِـــيَّةٍ،

الأَمْرُ الَّذي يُضَاعِفُ من الإِحْبَاطِ المَوْجُودِ أَصْلًا في صُفُوفِ هذا الشَّبَاب بِسَبَبِ ما يَرَاهُ من عَجْزٍ عَرَبيٍّ، رَسْميٍّ ومُجْتَمَعِيٍّ، عن تَحْقيقِ الأَهْدَافِ الَّتي طَالَما حَلُمَ بها على مَدَارِ السَّنَواتِ القَليلَةِ المَاضِيَةِ.

وإِجْمَالًا، فحَرَكَاتُ التَّمَرُّدِ بحَنَاجِرِ وانْدِفاعَاتِ الشَّبَابِ، بِغَضِّ النَّظَرِ عن عَوامِلِ الأَيَادِي الخَارِجِيَّةِ وأَدْوارِ الطَّابُورِ الخَامِسِ، جَاءَتْ نَتيجَةَ الشُّعُورِ بالظُّلْمِ والذُّلِّ والإِحْبَاطِ، وأَيْضًا التَّمْييزُ الصَّارِخُ في الاسْتِفادَةِ من الخُطَطِ والإِمْكَانَاتِ الاقْتِصَاديَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ، في شَكْلِ طُمُوحٍ جَارِفٍ إلى التَّحَوُّلِ الدِّيمُقْرَاطِيِّ والإِصْلاحِ الحَقيقِيِّ من أَجْلِ الكَرَامَةِ والحُرِّيَّةِ والعَدَالَةِ.

وأَخْوفُ ما يُخَافُ منه، أَنْ يَتَحَوَّلَ هذا الهُدُوءُ المَرْحَليُّ إلى سُكُونٍ يَسْبِقُ العَاصِفَةَ، وهذه الانْتِكَاسَةُ الظَّرْفِيَّةُ إلى مُرَاجَعَةٍ مَوْضُوعِيَّةٍ واسْتِرَاحَةِ مُحَارِبٍ، ولنا في أَحْدَاثِ السِّتينِيَّاتِ الَّتي هَزَّتْ جُدْرَانَ المَجَالِ الشُّيُوعِيِّ وتَمَّ قَمْعُها بقَسْوةٍ شَديدَةٍ، قِيلَ بَعْدَها أَنَّهُ لن تَقُومَ لِلدِّيمُقْرَاطِيِّينَ والتَّوَّاقينَ إلى الحُرِّيَّةِ قَائِمَةٌ[1]، لكنَّ سَنَواتِ أَوَاخِرِ الثمانينيَّاتِ وما بعدها أَكَّدَتِ العَكْسَ، وأَفْرَزَتِ الاحْتِجَاجَاتِ والاضْطِرَابَات سُقُوطَ أَعْتَى الأَنْظِمَةِ الشُّمُولِيَّةِ، ومَعَها الدُّبَّ السوفييتيَّ بعَظَمَتِه وسَطْوَتِه.

1. إيهاب، حَازم. "**من الهَزيمَةِ إلى النَّكْسَةِ: 5 يونيو 1967م بين الهُوِيَّةِ والذِّكْرَى**". مَوْقعُ إضَاءاتٍ، 6 يونيو 2017م، تَاريخُ الزِّيارَةِ 25 سبتمبر 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: http://cutt.us/7RODz

الخَاتِمة

مَنْ أَرَادَ النَّظَرَ للمُسْـــتَقبَلِ عَلَيْهِ النَّظَرُ إلَى الشَّـــبَاب، فَهُم عُنْوَانُ الحَاضِرِ وعِمَادُ المُسْتَقْبَلِ، وهُم الاسْتِثْمَارُ الأَنْجَحُ، فَكُلُّ اسْتِثْمَارٍ قَائِمٌ على احتماليَّةِ الرِّبْحِ والخَسَارَةِ، إلَّا الاسْتِثْمَارَ في الإنْسَانِ لا سِيَّما في الشَّبَابِ، فهو رِبْحٌ حَقِيقِيٌّ لا خَسَارَةَ فيه، وانطلاقًا من هذا الطَّرْحِ، ومِن أَهَمِّيَّةِ دَوْرِ الشَّـــبَابِ في تَحْسِـــينِ واقعِ المُجْتَمَعِ العَرَبيّ وبِنَاءِ مُسْـــتَقْبَلِهِ جاءَ هذا الكِتَابُ لِيَكُونَ مِرْآةً حَقِيقِيَّةً لِوَاقِعِ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ، واسْتِشْرَاقًا لمُسْـــتَقْبَلِه، نَاظِرًا بِعَيْنِ الأَمَلِ لِقُدْرَةِ هذا الشَّبَابِ على العَمَلِ والبِنَاءِ، وبِعَيْنِ الأَلَمِ لما يُعَانِيهِ من ظُرُوفٍ مَوْضُوعِيَّةٍ تُقَيِّدُ طَاقَاتِه وتُحِدُّ خِيَارَاتِه.

وانْتِقَالًا مِـــن التَّعْمِيمِ إلَى التَّخْصِيصِ يُمْكِنُ القَوْلُ بِأَنَّ هـــذا الكِتَابَ تَنَاوَلَ بِالشَّرْحِ والتَّحْلِيلِ قَضَايَا الشَّـــبَابِ العَرَبِيِّ وارْتِبَاطِ هذه القَضَايَا بِبَعْضِها وتَأْثِيرِها على واقعِ ومُسْـــتَقْبَلِ الشَّبَابِ، بَدَأً من تَحْدِيدٍ دَقِيقٍ سَـــيْكُولُوجِيٍّ واصْطِلاحِيٍّ لِمَفْهُومِ الشَّبَابِ ومَعْنَاهُ وتَمْيِيزِهِ عُمْرِيًّا وسُـــلُوكِيًّا عن بَاقِي الشَّرَائِحِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وتَنَاوَلَ الكِتَابُ الدَّوْرَ المَنُوطَ بِالشَّبَابِ في بِنَاءِ المُجْتَمَعِ، وآثَارَ تَغْيِيبِهِمْ عن هذا الدَّوْرِ، واسْتَعْرَضَ الكِتَابُ أَبْرَزَ العَقَبَاتِ والمَشَاكِلِ الَّتِي تُواجِهُ هذا الشَّبَابَ من قَضَايَا الفَقْرِ والبَطَالَةِ مُرُورًا بِالقَضَايَا الاجْتِمَاعِيَّةِ والسِّيَاسِـــيَّةِ، كَما عَرَّجَ على أَهَمِّ التَّحَدِّيَاتِ الَّتِي تُواجِهُهُ في سَعْيِهِ لِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهِ وإِثْبَاتِ ذَاتِه.

كَـــما تَنَاوَلَ الكِتَابُ أَزْمَةَ الهُوِيَّةِ لَدَى الشَّـــبَابِ العَرَبِيِّ، وأَبْعَـــادَ هذه الهُوِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ، والتَّحَدِّيَاتِ المُرْتَبِطَةَ بِها، من مَعْرِفِيَّةٍ وثَقَافِيَّةٍ وسِيَاسِـــيَّةٍ، مع دِرَاسَةِ أَثَرِ أَزْمَةِ الهُوِيَّةِ على مُخْتَلِفِ جَوَانِبِ حَيَاةِ الشَّبَابِ، مُوَضِّحًا العَوَامِلَ المُسَبِّبَةَ لهذه الأَزْمَةِ، مع التَّرْكِيزِ على أَثَرِ هذه الأَزْمَةِ على انْتِمَاءِ الشَّـــبَابِ للمُجْتَمَعِ والأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ، إِضَافَةً لِدِرَاسَةِ آثَارِ تَرَاجُعِ انْتِمَاءِ الشَّبَابِ لِقَضَايَاهُ وعَلاقَةِ أَزْمَةِ الهُوِيَّةِ بهذا التَّرَاجُعِ.

كَــما تَطَرَّقَ الكِتَابُ لِظَاهِرَةِ صِرَاعِ الأَجْيَــالِ، مُبَيِّنًا المَفاهِيمَ المُرْتَبِطَةَ بهذه الظَّاهِرَةِ، ومُوضِّحًا أَسْــبَابَه من وُجهاتِ نَظَرٍ مُتَعَدِّدَةٍ ثَقَافِيَّةٍ واقْتِصَادِيَّةٍ واجْتِمَاعِيَّةٍ وسِيَاسِيَّةٍ، ومُنَوِّهًــا بِآثَارِهِ ونَتَائِجِه على البِيئَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، مُتَنَاوِلًا أَثَرَ هذا الصِّرَاعِ على الشَّبَابِ وعلى عَلاقَتِهِ بِمُجْتَمَعِهِ بِشَكْلٍ عَامٍّ.

وعَرَّجَ الكِتَابُ على مَوْضُوعِ الوعْيِ لَدَى الشَّــبَابِ بِشِــقَّيْهِ الفرْدِيِّ والجَمْعِيِّ، لا سِيَّما السِّــيَاسِيُّ منه، دَارِسًــا الحَاضِنَةَ الثَّقَافِيَّةَ والاجْتِمَاعِيَّةَ المُوَلِّدَةَ لهذا الوعْيِ، ومُوضِّحًا للعَلاقَةِ بين الوعْيِ السِّيَاسِيِّ والمُشَارَكَةِ السِّيَاسِيَّةِ، ومُنَوِّهًا بالآثَارِ السَّلْبِيَّةِ المُرَافِقَةِ لِتَرَاجُعِ الوعْيِ الجَمْعِيِّ السِّيَاسِيِّ العَرَبِيِّ؛ ومُوَضِّحًا للأَسْبَابِ المُؤَدِّيَةِ لتَرَاجُعِ هذا الوَعْيِ.

كَما تَطَرَّقَ الكِتَــابُ لِظَاهِرَةِ هِجْرَةِ الكَفاءَاتِ العَرَبِيَّةِ، مُحَلِّلًا هذه الظَّاهِرَةَ تَارِيخِيًّا، بِحيث يكُونُ هذا التَّحْلِيلُ مَدْخَلًا لِدِرَاسَــتِها في الوقْــتِ الرَّاهِنِ، مُمَيِّزًا بين أَنْمَاطٍ وأَشْــكَالٍ عِدَّةٍ لِهذه الظَّاهِرَةِ، مُبَيِّنًا بالأَرْقَامِ والحَقَائِقِ حَجْمَها وآثَارَها على الاقْتِصَادِ العَرَبِيِّ وعلى واقعِ ومُسْتَقْبَلِ الشَّبَابِ، ومُنَوِّهًا لأَسْبَابِها المُخْتَلِفةِ، ومُقْتَرِحًا إِسْتِرَاتِيجِيَّاتٍ مُوجَّهَةً لِمُعَالَجَةِ هذه الظَّاهِرَةِ والتَّخْفِيفِ من حِدَّتِها.

كَما تَنَاوَلَ الكِتَابُ قَضِيَّةَ تَمْكِينِ الشَّبَابِ بَعِيدًا عن سَفْسَطَاتٍ عَقِيمَةٍ تَعْتَبِرُها نَوْعًا من الــتَّرَفِ النَّظَرِيِّ أو الجِدَالِ الفِكْرِيِّ، مُؤَكِّدًا على أَنَّها مَهَمَّةٌ عَاجِلَةٌ وأَوْلَوِيَّةٌ لازِمَةٌ، من قِبَلِ الحُكُومَاتِ والنُّخَبِ والمُجْتَمَعَاتِ على حَدٍّ سَواءٍ، وذلك بِالنَّظَرِ إلى حَجْمِ المَخَاطِرِ والتَّحَدِّيَاتِ الَّتِي تُواجِهُها الدُّوَلُ والمُجْتَمَعَاتُ العَرَبِيَّةُ حَاضِرًا، وتلك المُتَوقَّعِ أَنْ تُواجِهَها مُسْتَقْبَلًا، ولأَنَّ الشَّبَابَ هُمْ حَاضِرُ الأُمَّةِ ومُسْتَقْبَلُها فإِنَّهُمْ نُقْطَةُ البَدْءِ الرَّئِيسَةِ والمُرْتَكَزُ الأَسَــاسُ لأَيِّ إِسْتِرَاتِيجِيَّاتٍ تَنْمَوِيَّةٍ لِبِنَاءِ غَدٍ أَفْضَلَ لأُمَّتِنَا يَتَواءَمُ مع تَارِيخِها النَّاصِعِ وحَضَارَتِهــا الغَرَّاءِ، وتَنَاوَلَ الاتِّجَاهاتِ العَالَمِيَّةَ السَّــائِدَةَ في هذا المَجَالِ، ومُتَطَرِّقًا للأَبْعَادِ المُخْتَلِفةِ لِلتَّمْكِينِ، ومُبَيِّنًا لِأُسُــسِ ورَكَائِزِ أَيِّ بَرْنَامَجٍ يَسْتَهْدِفُ تَمْكِينَ الشَّبَابِ، ومُتَنَاوِلًا عَدَدًا من التَّجَارِبِ العَالَمِيَّةِ النَّاجِحَةِ في هذا المَجَالِ عَلَّها تَكُونُ مَرْجِعًا إِجْرَائِيًّا لأَيِّ بَرَامِجِ تَمْكِينٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ.

ولَمْ يَفُتِ الكِتَابَ أَنْ يَبْحَثَ تَأْثِيرَ ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ على واقعِ الشَّبَابِ في المِنْطَقَةِ العَرَبِيَّةِ، من خِلالِ رَصْدِ الآلامِ الَّتِي تَحَمَّلَهَا الشَّبَابُ العَرَبِيُّ المُطَالِبُ بالتَّغْيِيرِ، ومِن ثَمَّ الآمَالُ الَّتِي عَاشَهَا أولئك الشَّبَابُ حينما لاحَتْ بَوادِرُ أُفُقٍ جَدِيدٍ، قَبْلَ أَنْ تَتَنَازَعَهُمْ أَنْواءُ الإِحْبَاطِ بَعْدَ أُفُولِ مَوْجَتِهِم الثَّوْرِيَّةِ، وما آلَتْ إِلَيْهِ من إِخْفاقَاتٍ دَفعَ ضَرِيبَتَها الشَّبَابُ أَنْفُسُهُمْ، ومُوَضِّحًا لِلْأَسْبَابِ الذَّاتِيَّةِ والمَوْضُوعِيَّةِ لإِخْفَاقَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ، مُنَوِّهًا لِدَوْرِ الثَّوْرَاتِ المُضَادَّةِ والدَّوْلَةِ العَمِيقَةِ في وَأْدِ حَرَاكِ الشَّبَابِ، مُقَارِنًا الرَّبِيعَ العَرَبِيَّ كَحَرَكَةٍ تَارِيخِيَّةٍ مع بَعْضِ الحَرَكَاتِ العَالَمِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ البَارِزَةِ كَالثَّوْرَةِ الفَرَنْسِيَّةِ والثَّوْرَةِ البَلْشِفِيَّةِ.

خُلاصَةٌ واسْتِنْتَاجَاتٌ

خَلَصَتْ هذه الدِّرَاسَةُ وبِنَتِيجَةِ البَحْثِ والتَّحْلِيلِ إلى جُمْلَةِ استنتاجات مُسْتَنِدَةٍ على مُقَارَبَةٍ عِلْمِيَّةٍ للواقعِ الحَالِيِّ لِلشَّبَابِ العَرَبِيِّ، وهادِفةٍ لإِحْدَاثِ تَغْيِيرٍ جَوْهَرِيٍّ وعَمِيقٍ في هذا الواقعِ، عَلَّ هذه الاسْتِنْتَاجَاتِ تَكُونُ نُقْطَةَ انْطِلاقٍ نَحْوَ مُسْتَقْبَلٍ أَفْضَلَ لِلشَّبَابِ ومِن خَلْفِهِم المُجْتَمَعُ العَرَبِيُّ بِالكَامِلِ، **وفِيما يَلِي نُورِدُ أَهَمَّ وأَبْرَزَ الاسْتِنْتَاجَاتِ الَّتِي توصَّلَت إِليها هذه الدِّرَاسَةُ:**

- إِنَّ الفَهْمَ الأَعْمَقَ والأَكْثَرَ دِقَّةً لِلشَّبَابِ يَنْطَلِقُ من المُقَارَبَةِ السَّيْكُولُوجِيَّةِ، فَهَذِه المُقَارَبَةُ أَكْثَرُ دِقَّةً مِن العُمْرِيَّةِ، فَالنَّظَرُ إِلَى الشَّبَابِ وفقًا للمِعْيارِ السَّيْكُولُوجِيِّ يُتِيحُ إِمْكانِيَّةَ مُعَالَجَةِ مُشْكِلاتِهِم بِدِقَّةٍ أَعْلَى من النَّظَرِ إِليهم كشَرِيحَةٍ مُحَدَّدَةٍ بمَجَالٍ عُمْرِيٍّ فَقَط.
- يُعْتَبَرُ إِشْرَاكُ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ في أَيِّ مَشَارِيعَ تَنْمَوِيَّةٍ لا سِيَّما المُسْتَدَامَةُ منْها شَرْطًا رَئِيسًا لإِنْجاحِها، وأَيُّ إِقْصَاءٍ لَهُمْ عَنْها يُشَكِّلُ قُصُورًا تَزْدَادُ حِدَّتُه طَرْدًا مَع دَرَجَةِ الإِقْصاءِ؛ والتَّشَارُكِيَّةُ هنا لا يُقْصَدُ بها التَّنْفِيذِيَّةُ فَقَط، بَلْ يَجِبُ إِدْخَالُهُمْ بفاعِلِيَّةٍ من خِلالِ عَمَلِيَّاتِ التَّخْطِيطِ لمشاريعِ التَّنْمِيَةِ، فالاشْتِرَاطُ بمشاريعِ التَّنْمِيَةِ بِقَنَاعَةٍ مُنْخَفِضَةٍ لا تَخْتَلِفُ من نَاحِيَةِ النَّتِيجَةِ عَنِ الإِقْصَاءِ.

- تَتَعدَّدُ العَقَبَاتُ والتَّحَديَاتُ الَّتِي تَوَاجِهُ الشَّبَابَ العَرَبيَّ، وممَّا يُمَيِّزُ هذه العَقَبَاتِ والتَّحَدِيَــاتِ أَنَّها مُتَدَاخِلَةٌ مع بَعْضِها، بحَيْثُ لا يُمْكِنُ فَصْلُها عن بَعْضٍ إلَّا ضَمْنَ الإطَارِ النَّظَرِيِّ، ولِسُــهُولَةِ الدِّرَاسَــةِ، أَمَّا تَطبيقِيًّا فالعَقَبَــاتُ الاقْتِصَادِيَّةُ تُؤَثِّرُ بنَظِيرَتِها الاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي تُؤَثِّرُ بدَوْرِها بالسِّيَاسِــيَّةِ وهكذا لتُشَكِّلَ بمُجْمَلِها حَلْقَةً مُتَكَامِلَةً لا يُمْكِــنُ كَسْرُها، لذلك فَأَيُّ مُعَالَجَةٍ لهذه العَقَبَاتِ لا بُدَّ وأَنْ تَأْخُذَ هذا التَّدَاخُلَ بعَيْنِ الاعْتِبارِ، فَلا يُمْكِنُ بِنَاءُ بَرامِجَ تَسْــتهدِفُ حَلَّ العَقَبَاتِ الاقْتِصَادِيَّةِ أَوَّلًا ثُــمَّ الانْتِقَالُ إلَى الاجْتِمَاعِيَّةِ أَو العَكْسُ، ولَكِنْ يَجِبُ التَّوَجُّهُ بِسَلْسَــلَةِ حُلُولٍ مُتَكَامِلَةٍ تَشْمَلُ جَمِيعَ العَقَبَاتِ في بَرامِجَ مُتَدَاخِلَةٍ هي الأُخْرَى.
- تُعَــانِي الهُوِيَّةُ الثَّقَافِيَّةُ العَرَبِيَّةُ لَدَى الشَّــبَابِ مِن تَرَاجُعٍ مَلْحُوظٍ، وتَلْعَبُ العَوْلَمَةُ وضَعْــفُ الانْتِماءِ الاجْتِمَاعِيِّ الدَّوْرَ الأَبْرَزَ في هذا التَّرَاجُعِ، لِذَلِكَ فَإِنَّ أَيَّ تَوَجُّهٍ لتَعْزِيــزِ هذه الهُوِيَّةِ يَجِبُ أَنْ يَأْخُذَ بعَــيْنِ الاعْتِبارِ دَوْرَ العَوْلَمَةِ وضَعْفَ الانْتِماءِ كَوْنُهُما المُسَبِّبَانِ الرَّئِيسَانِ، وفِيما يَخُصُّ ضَعْفَ الانْتِماءِ الاجْتِمَاعِيِّ والوَطَنِيِّ فهو الآخَرُ يَتَأَثَّرُ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ بِالحُقُوقِ المُكْتَسَبَةِ، فانْخِفاضُ مُسْتَوَى الحُقُوقِ المُكْتَسَبَةِ لِلشَّبَابِ يَقُودُ لانْخِفَاضِ انْتِمَائِهم الوَطَنِيِّ والاجْتِمَاعِيِّ.
- لا يُمْكِنُ رَبْطُ مُشَارَكَةِ الشَّــبَابِ في الحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ بتَسْلِيمِهم حَقِيبَةً وِزَارِيَّةً أو مَنْصِبًا هنا أو هناك، فَالعِبْرَةُ لَيْسَتْ بعَدَدِ الحَقَائِبِ أو بمَن يَتَسَلَّمُ هذه الحَقَائِبَ، ولَكِن العِبْرَةَ في كَيْفِيَّةِ التَّعْيِين، فالمُشَــارَكَةُ الحَقِيقِيَّــةُ تَتَمَثَّلُ بامْتِلاكِ شَرِيحَةِ الشَّبَابِ بِالكَامِلِ بدَوْرٍ في انْتِخَابِ مُمثِّلِيها.
- تُعْتَــبَرُ ظَاهِرَةُ صِرَاعِ الأَجْيَالِ ظَاهِرَةً طَبِيعِيَّــةً تُفْرِزُها تَطوُّرَاتُ الحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، وتَرْتَبِطُ هذه الظَّاهِرَةُ في العَالَمِ العَرَبِيِّ ببُعْدَيْنِ، الأَوَّل فَرْدِيٌّ يَنْحَصِرُ تَأْثِيرُهُ في نِطَاقِ الأَسرَّةِ، والثَّانِي جَمَاعِيٌّ على نِطَاقِ المُجْتَمَعِ العَرَبيّ كَكُلٍّ، ويَتَمَثَّلُ بِالاخْتِلافِ الثَّقَافِيِّ والأَيْدِيولُوجِيِّ بين جِيلِ الشَّــبَابِ وجِيلِ الكِبَارِ، وهذا البُعْدُ الجَمَاعِيُّ ذُو تَأْثِيرٍ أَكْبَرَ وأَخْطَرَ في حَالِ لَمْ تَتِمَّ إدَارَتُهُ بالشَّــكْلِ السَّــلِيمِ، وبشَكْلٍ عَامٍّ تُعْتَبَرُ ظَاهِرَةُ صِرَاعِ الأَجْيَالِ مُحَرِّكٌ حَقِيقِيٌّ لِلتَّقَدُّمِ الاجتِمَاعِيِّ في حَالِ حَسُنَت إدَارَتُهُ.

- يُعَاني الوَعْيُ الجِمْعِيُّ العَرَبِيُّ السِّياسِيُّ مِن تَرَاجُعٍ واضِحٍ، وكَان تَأْثِيرُ أَحْدَاثِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ على هذا الوَعْي متواضعًا، كَوْن الوَعْي الجَمْعِيِّ العَرَبِيِّ مُنْشَغِلًا بالقَضَايَا المَعِيشِيَّةِ والأَمْنِيِّ وخَاصَّةً بَعْد اسْتِغْلالِ ثَورَاتِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ وتَحْوِيلِها عَن مَسَارِها من قِبَلِ الثَّوْرَاتِ المُضَادَّة.
- هناك تَطَوُّرٌ واضِحٌ في البِنْيَةِ النَّظَرِيَّةِ لبرَامِجِ التَّمْكِينِ المُوَجَّهَةِ لِلشَّبَابِ العَرَبِيِّ، إلَّا أَنَّ هذا التَّطَوُّرَ لم يَنْعَكِسْ على النَّاحِيَةِ العَمَلِيَّة، فالفَجْوَةُ واضِحَةٌ بَيْنَ النَّظَرِيَّة والتَّطْبِيقِ في هذه البَرَامِجِ، وغَالِبًا ما تَعْكِسُ هذه البَرَامِجُ قَنَاعَةَ القَائِمِينَ عليها دُونَ الأَخْذِ بِعَيْنِ الاعْتِبارِ رَأْيَ وقَنَاعَةَ المُمَكَّنِ لَهُمْ وهُم الشَّبَابُ.
- أَتَتْ نَتَائِجُ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ على المُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ عُمومًا وعلى الشَّبَابِ خُصوصًا بِنَتَائِجَ سَلْبِيَّةٍ لِلْغَايَةِ زَادَتْ من حِدَّةِ مُعانَاتِه، وذلك كنَتِيجة حَتْمِيَّةٍ للثَّوْرَاتِ المُضَادَّةِ الَّتِي أَجْهَضَتْ وِلادَةَ هذا الرَّبِيعِ في بِدَايَاتِه، وخَاصَّةً أَنَّهُ في الدُّوَلِ الَّتِي نَجَحَتْ بِها ثَوْرَاتُ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ تَمَّ إِسْقَاطُ الحُكُومَاتِ الظَّاهِرِيَّةِ وبَقِيَت الدَّوْلَةُ العَمِيقَةُ الَّتِي أَعَادَت إِنْتَاجَ أَنْظِمَةٍ تُماثِلُ تِلْكَ الَّتِي تَمَّ إِسْقَاطُها، وبِالتَّالِي فَإِنَّ الشَّبَابَ العَرَبِيَّ وفي أَيِّ حَرَاكٍ جَدِيدٍ لا بُدَّ وأَنْ يَأْخُذَ قَضِيَّةَ الدَّوْلَةِ العَمِيقَةِ بِالحُسْبَانِ خَاصَّةً أَنَّها المُنْتِجُ الحَقِيقِيُّ والخَفِيُّ للحُكُومَاتِ والأَنْظِمَةِ الَّتِي تُعْتَبَرُ جِهَةً تَنْفِيذِيَّةً فقط لهذه الدَّوْلَةِ العَمِيقَةِ، وبِالتَّالِي فَالقَضِيَّةُ أَعْمَقُ من إِسْقَاطِ أَنْظِمَةٍ ظَاهِرَةٍ بِرُمُوزٍ مُحَدَّدَةٍ.

المَصَادِرُ و المَرَاجِعُ

أَوَّلًا: المَرَاجِعُ العَرَبِيَّةُ

الكُتُب:

1. أَبْيض، مَلَكة. الثَّقَافَةُ وقِيَمُ الشَّبَابِ: دِرَاسَاتٌ مَيْدَانيَّةٌ. دِمَشْقُ: وِزَارَةُ الثَّقَافَةِ والإِرْشَادِ القَوْمِيِّ، 1984م، ص220.
2. أَحْمَد، سَمِير نَعِيم. النَّظرِيَّةُ في عِلْمِ الاجتِماعِ. مِصْر، القَاهِرَة: مَكْتَبَةُ الأَنْجُلو المِصْرِيَّةُ، الطَّبْعَةُ العَاشِرَةُ، 2006م، ص189.
3. الأَنْصَارِيّ، ابْنُ مَنْظُورٍ. لِسَانُ العَرَبِ. لُبْنَانُ، بَيْرُوتُ: دَارُ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ، 2005م، ص181.
4. الجَابِريُّ، محمَّد عَابِد. إِشْكالِيَّاتُ الفِكْرِ الْعَرَبِيِّ المُعَاصِرِ. لُبْنَان، بَيْرُوت: مَرْكَزُ دِرَاسَاتِ الوَحْدةِ العَرَبيَّة، 1989م، ص 19.
5. الزَّايِدِيّ، منجي. الدُّخُولُ إلى الحَيَاةِ: الشَّبَابُ والثَّقَافَةُ والتَّحَوُّلاتُ الاجْتِمَاعِيَّةُ. تُونُس: مَنْشُوراتُ تِبْرِ الزَّمَانِ، 2005م، ص 61.
6. السَّيِّد، عَبْدالعَزِيز. مُعْجَمُ عِلْمِ النَّفْسِ والتَّرْبِيَةِ. مِصْر، القَاهِرةُ: الهَيْئَةُ العَامَّةُ لِشُؤُونِ المَطَابِعِ الأَميريَّة، 1994م، الجُزْءُ الأَوَّلُ، ص32.
7. الشَّرِيف، عَبْدالعَزِيزِ خَالِد. الإِعْلَامُ والتَّرْبِيَةُ. الأُرْدُنّ، عَمَّان: دَارُ يافا للنَّشْرِ والتَّوْزِيع.
8. الصَّيْرفِيّ، مُحَمَّد. المَسْؤوليَّةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ للإِدَارَةِ. مِصْرُ، الإِسْكَنْدَرِيَّة: دَارُ الوَفَاء لِدُنْيَا الطِّبَاعَةِ والنَّشْرِ، 2007م، ص 15.
9. الطَّنْطَاوِيّ، عَلِيّ. المَثَلُ الأعلى للشَّبَابِ المُسْلِم. القَاهِرَة: دَارُ ابْنِ حَزْمٍ للطِّبَاعَةِ والنَّشْرِ والتَّوزِيعِ، 2004م.

10. العَجاتي، مُحَمَّد& عُمَر سَــمْير. "مُشَارَكَةُ الشَّــبَابِ العَرَبيِّ بين الهُمُومِ الوطَنِيَّةِ والطُّمُوحَــاتِ الإقْلِيميَّةِ. لُبْنَان، بَيْرُوت: مَرْكَزُ دِرَاسَــاتِ الوَحْدَةِ العَرَبيَّةِ، الطَّبْعَةُ الأُولَى 2013م.
11. العَرَبيّ، أَشْرَف. نَحْوَ بيئةٍ جَاذِبَةٍ لرَأْسِ المالِ البَشَريِّ في ظِلِّ اقتصادِ المَعْرِفَة. مِصْرُ، القَاهِرَة: مَرْكَزُ بُحُوثِ ودِرَاسَاتِ الدُّوَلِ النَّامِيَة، 2006م، ص186.
12. المُعْجَمُ الوَسِيطُ. القَاهِرة: مَكْتَبَةُ الشُّروقِ الدَّوْلِيَّةُ، الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ، 2004م، ص470.
13. ابْنُ خَلْدُونَ، عَبْدالرَّحْمَنِ. المُقَدِّمَةُ. لُبْنَانُ، بَيْرُوتُ: دَارُ صَادِر، الطَّبْعةُ الخَامِسَــةُ، 1984م، ص120.
14. بَنِي عَايِش، مُحَمَّد سَعِيد أَحْمَد. الانْقِلابَاتُ العَسْكَرِيَّةُ في العِرَاقِ من 1969-1958م. الأُرْدُنّ: دَارُ الكِتَابِ الثَّقَافيّ، ط1، 1999م، ص18.
15. تَاج السرِّ، أَمير. ضَغْطُ الكِتَابة وَسُكَّرُها، كِتَاباتٌ في الثَّقَافةِ والحَيَاةِ. مِصْر، القَاهِرة: دَارُ العَيْنِ للنَّشْرِ، الطَّبْعةُ الأُولَى، 2013م.
16. جُبْرَان، جُبْرَان خَليل. النَّبيُّ. تَرْجَمةُ سَــامِي الخُوري، دَارُ الجيلِ للطِّباعَةِ والنَّشْرِ والتَّوْزيعِ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ، 2004م.
17. جَمَاعَةٌ من المؤلِّفِينَ. المُعْجَمُ الوَسِيطُ. ج1، ط2.
18. حامد، محمــود. قَضايَا اقْتِصَاديَّة مُعاصِرة. مصر، القَاهِــرَة: دار حميثرا للنَّشْرِ والتَرْجَمة، الطَّبْعَة الأُولَى، 2017م، ص327.
19. حِجَازي، مُصْطَفَى. الإنْسَانُ المَهْدُورُ، دِرَاسةٌ تحليليَّةٌ نَفْسيَّةٌ اجتماعيَّةٌ. المَغْرِبُ، الدَّارُ البَيْضاءُ: المَرْكزُ الثَّقَافيُّ العَرَبيُّ. 2005م،ص227.
20. حِجِّي، عَبْدالرَّؤُوفِ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ. سَعِيد حِجِّي، فَجْرُ الصَّحَافَةِ الوطنيَّةِ المَغْرِبيَّةِ. النَّاشِرُ: كيبور ورلد لبنفن، 2003م، ص 126-125
21. خَاطِر، مُحَمَّد إبراهيم. الشَّبَابُ ودَوْرُهم في التَّغْيير والإِصْلَاح. مِصْر، الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطِّبَاعة والنَّشْر الطَّبْعَة الأُولَى، 2014م، ص 15.
22. دراز، مُحَمَّد عَبْدالله. الدِّين: بُحُوثٌ مُمَهِّدَةٌ لدِرَاسةِ تَارِيخِ الأَدْيَانِ. مِصْر، القَاهِرَة: مُؤَسَّسَةُ هِنْداوي للتَّعْليمِ والثَّقَافَةِ، الطَّبْعَةُ الأُولى، 2012م.

23. دونللي، جاك حُقُوقُ الإِنْسَـــانِ العَالمِيَّةُ بين النَّظرِيَّةِ والتَّطبيقِ، تَرْجمَةُ مُبَارك عَلِيّ عُثْمَان. مِصْرُ، القَاهِرَةُ: مَكْتَبَةُ الأُسْرَةِ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ، 2006م، ص29.

24. ديكارت، رينيه. مَبَادِئُ الفَلْسَفةِ، تَرْجَمةُ وتَحْقِيقُ: عُثْمَان أَمِين. الأُرْدُنّ، عَمَّان: دَارُ الثَّقَافةِ للنَّشْرِ والتَّوْزِيعِ، الطَّبْعَةُ الأُولى، 1999م، ص48.

25. رَشْـــوَان، حُسَـــيْن عَبْدالحَمِيد أَحْمَد. عِلْمُ الاجْتِمَاعِ النَّفْـــسيُّ / المجْتَمَعُ والثَّقَافَةُ الشَّخصيَّةُ. مِصْرُ، الإِسْكَنْدَرِيَّةُ: مُؤَسَّسةُ شَبَابِ الجَامِعَةِ، 2005م، ص 214-213.

26. زَاهِر، ضِيَاءُ الدِّين. اللُّغَةُ ومُسْـــتَقْبَلُ الهُوِيَّةِ. مِصْرُ: مَكْتَبَةُ الإِسْـــكَنْدَرِيَّةِ، 2017م، ص27.

27. سَرْحَان، وَلِيد. مُحَاضَراتٌ نَفْســـيَّةٌ. الأُرْدُنّ، عَمَّانُ: دَارُ مَجْدُلَاوي للنَّشْرِ والتَّوْزيعِ، 2011م، ص276.

28. سَرْحَان، فَتحِي. نزِيفُ الأَدْمِغَةِ العَرَبِيَّةِ المُهَاجِرةِ وإِدَارةِ استِثْمارَاتِها. مِصْرُ، القَاهِرَةُ: مَكْتَبَةُ الشَّرِيفِ ماس للنَّشْرِ والتَّوزيعِ، الطَّبْعَةُ الأُولَى، 2011م، ص53.

29. سَعْدُ الدِّينِ، عَدْنَان. الإِخْوَانُ المُسْلِمُونَ في سُورْيَا. القَاهِرَةُ: مَكْتَبَةُ مَدْبُولِي، الطَّبْعَةُ الأُولَى، 2010م.

30. سميث، شـــارلوت ســـيمور. مَوسُـــوعةُ عِلْمِ الإِنْسَـــانِ، المَفَاهِيمُ والمُصْطَلَحَاتُ الأَنثْروبُولوجيَّـــةُ، تَرْجَمَةُ: نُخْبةٍ مِن المُخْتَّصين. مِـــصْرُ، القَاهِرَةُ: المَرْكزُ القَوميُّ للتَّرْجَمَةِ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ، 2009م، ص369.

31. شَـــاهِين، أُسَـــامَة. الثِّقَةُ بِالنَّفْسِ وتَطْوِيرُ الذَّاتِ. مِصْرُ، القَاهِرَةُ: شَـــمْس للنَّشْرِ والإِعْلَامِ، الطَّبْعَةُ الأُولَى، 2018م، ص53.

32. شُـــكْراني، الحُسَيْن. حُقُوقُ الأَجْيَالِ المقبلَةِ بالإِشَـــارَةِ إلى الأَوْضَاعِ العَرَبِيَّةِ. قَطَر، الدَّوْحَة: المَرْكَزُ العَرَبِيُّ للأَبْحَاثِ ودِرَاســـةِ السِّياسَـــاتِ، الطَّبعةُ الأُولَى، 2018م، ص91.

33. شـــيبتولين. الفَلْسفةُ اللِّينِينِيَّةُ المَارِكسِيَّةُ، تَرْجَمةُ لُويس إسكاروس. مِصْرُ، القَاهِرةُ: دَارُ الثَّقَافةِ الجَدِيدَةِ، 1982م، ص287.

34. صَالح، هَيْثَم. إشكاليَّةُ الدَّوْلةِ في العَالَمِ العَرَبيِّ وتحوُّلُ السُّلْطةِ على أبوابِ الألفيَّةِ الثَّالِثةِ. الدَّوْحَةُ، قَطَرُ: المَرْكَزُ العَرَبيُّ للأَبْحاثِ ودِراسةِ السِّياسَاتِ، 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/lStqZ
35. صليبا، جميل. المُعْجَمُ الفَلْسَفِيُّ. بَيْرُوتُ، لُبْنَانُ: دَارُ الكِتَابِ اللُّبْنَانيِّ، الطَّبْعَةُ الأُولَى، 1973م، الجُزْءُ الثَّاني، ص530.
36. طَاهِر، سَمَر. الإِعْلَامِ في عَصْرِ العَوْلَمةِ والهَيْمَنَةِ الأمْرِيكِيَّةِ. مِصْرُ، القَاهِرَةُ: دَارُ نَهْضَةِ مِصْرَ، 2011م، ص 77.
37. عَبْدالرَّحْمَنِ، خَلِيل. عِلْمُ النَّفْسِ الاجْتِمَاعِيُّ. الأُرْدُنّ، عَمَّانُ: دَارُ الفِكْرةِ، الطَّبْعَةُ الثَّالِثةُ، 2010م، ص198
38. عَبْدالسَّتَّارِ، رِضَا. التَّمْكِينُ السِّياسِيُّ للمَرْأَةِ العَرَبِيَّةِ بين الفَقْرِ والتَّعْليمِ. مِصْرُ، القَاهِرَةُ: دَارُ الفِكْرِ العَرَبيِّ، 2007م، ص584.
39. عَبْداللَّهِ، عَادِل مُحَمَّد. إسْتراتِيجِيَّةُ التَّمْكِينِ المُتَسَلْسِلِ مَدْخَلُ البِنَاءِ المُتَسَلْسِلِ لقُدُراتِ المَوْرِدِ البَشَرِيِّ المُشَارِكِ في صِنَاعَةِ القَرارَاتِ. الأُرْدُنّ، عَمَّانُ: دَارُ اليَازُورِيِّ العِلْميَّةِ للنَّشْرِ والتَّوْزِيع، 2018م، ص51.
40. عَبْدالوَهَّابِ، طَارِق مُحَمَّد. سَيْكُولُوجيَّةُ المُشَارَكةِ السِّيَاسيَّةِ: مع دِرَاسةٍ في عِلْمِ النَّفْسِ السِّيَاسِيِّ في البيئةِ العَرَبيَّة. مِصْرُ، القَاهِرَةُ: دار غَرِيبٍ للطِّبَاعةِ والنَّشْرِ، 1999م، ص13.
41. عليوة، السَّيِّد& مُنَى مَحْمُود. مَفْهُومُ المشَارَكةِ السِّيَاسِيَّةِ. دِمَشْقُ: مَرْكَزُ دِمَشْقَ للدِّرَاساتِ النَّظريَّةِ والحُقُوقِ المَدَنِيَّةِ، ص46.
42. عمَّار، حَمَادَة. الوَعْيُ والتَّحْلِيلُ السِّياسيُّ. بَيروتُ: دَارُ الهَادِي للنَّشْرِ والتَّوزِيعِ، الطَّبْعَةُ الأُولَى، 2005م.
43. غَانِم، مُحمَّد حَسَن. الشَّبَابُ المُعاصِرُ وأَزَمَاتُه. القَاهِرَةُ: مَكْتَبَةُ دَارِ العَرَبيَّةِ، 2009م.
44. غَانِم، عَبْدالكَرِيم. الوَعْيُ السِّياسِيُّ في المجتَمعِ اليَمَنِيّ. قَطَرُ، الدَّوْحَةُ: المَرْكَزُ العَرَبيُّ للأَبْحَاثِ ودِرَاسةِ السِّيَاسَاتِ، 2016م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/xaHBt

45. فارينـــي، جان بيير. عَوْلَمَةُ الثَّقَافَةِ، تَرْجَمَةُ عَبْداللَّه الأَزْدِيّ. مِصْرُ، القَاهِرَةُ: الدَّارُ المِصْرِيَّةُ اللُّبْنانيَّةُ، 2003م، ص 7.
46. فَهْمِي، مُصْطَفَى. سَـــيْكُولُوجيَّةُ الطُّفُولَةِ والمُرَاهَقَةِ. القَاهِرَةُ: مَكْتَبَةُ مِصْرَ، 1998م، ص162.
47. فيرو، مَارْك وآخَرُونَ. الاســـتِعْمارُ الكِتَابُ الأَسْوَدُ. تَحْقيقُ: مُحَمَّد صُبْح وزِيَاد مُنَى. سُورِيا، دِمَشْقُ: دَارُ قَدْمَس للنَّشْرِ والتَّوْزِيعِ، الطَّبْعَةُ الأُولَى، 2008م، ص 150.
48. كانـــت، إيمانويل. نَقْدُ العَقْلِ المَحْضِ، تَرْجَمةُ مُـــوسَى وَهْبَة. لُبْنَانُ، بَيْرُوتُ: مَرْكَزُ الإِنْماءِ القَومِيّ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ، ص49.
49. مَجْمُوعةٌ مِن المؤَلِّفينَ. الشَّـــبابُ والانتِقالُ الدِّيمُقراطيُّ في البُلْدانِ العَرَبيَّةِ. قَطَرُ، الدَّوْحَةُ: المَرْكزُ العَرَبيُّ للأَبْحَاثِ ودِرَاسةِ السِّياسَاتِ، الطَبْعةُ الأُولَى، 2019م، ص219.
50. مُجْمُوعةٌ من المؤلِّفين. النُّموّ الاقتِصاديُّ والتَّنميَة المُسْـــتدامَة في الدُّوَل العَرَبِيَّة - سياســـاتُ التّنْمية وفُرَص العَمَل. قَطَر، الدَّوْحَة: المَرْكز العَرَبيّ للأَبْحَاث ودراسةِ السِّياسات، الطَّبْعَة الأولى، 2013م، ص156.
51. مَجْمُوعَةٌ من المُؤَلِّفِينَ. دَوْرُ المُثَقَّفِ في التَّحَوُّلاتِ التَّاريخِيَّة. الدَوْحَة: المَرْكَزُ العَرَبيُّ للأَبْحَاثِ ودِرَاسَةِ السِّيَاسَاتِ، 2017م.
52. مَحْجُوب، عَبَّاس. مُشْكِلاتُ الشَّـــبَابِ.. الحُلُولُ المَطْرُوحَةُ والحَلُّ الإِسْلاميِّ. قَطَر، الدَّوْحَة: وَزَارَةُ الأَوْقَافِ والشُّؤونِ الإسلاميَّةِ، 1406ه / 1986م.
53. مُحَمَّـــد، مُحَمَّد عَلِيّ & عَلِيّ عَبْدالمعْطِي مُحَمَّد. السِّياسَـــةُ بين النَّظريَّةِ والتَّطْبِيقِ. لُبْنَان، بَيْرُوتُ، دَارُ النَّهْضَةِ العربيَّةِ للطِّباعةِ والنَّشْرِ، 1985م، ص 60.
54. مَسْـــعُود، أَحْمَد طَاهِر. المَدْخَلُ إلى عِلْمِ الاجْتِمَاعِ العَامِّ. الأُرْدُنُّ، عَمَّانُ: دَارُ جَلِيسِ الزَّمَانِ للنَّشْرِ والتَّوْزيعِ، 2011م، ص102.
55. مُصْطَفَى، عَبْدالمُعْطِي. أَبْحاث في عِلْم الاجتِماع: نَظَريَّاتٌ ونَقْدٌ. دِمَشْقُ: مَنْشُورَاتُ دَارِ هَادِي، الطَّبْعَةُ الأُولَى، 2002م، ص 191.
56. نَدوِي، مُحْسِـــن. الشَّـــبَابُ والتَّنْمِيَةُ.. رُؤْيَةٌ تنمويَّةٌ لمُنَاصَرَةِ حُقُوقِ الشَّبَابِ المَغْرِبيّ والعَرَبي. طَنْجَةُ المَغْرِبُ، 2007م.

57. هِلَال، عَلِيّ الدِّين. مُحْسِن يُوسُف. الشَّبَابُ وثَقَافَةُ الإِصْلَاحِ، تَقْدِيمُ إِسْمَاعِيلَ سِرَاجِ الدِّين. مِصْرُ: مَكْتَبَةُ الإِسْكَنْدَرِيَّة، 2008م.
58. هُوجُو، فِكْتُور. البُؤَسَاءُ. تَرْجَمَةُ مُنِيرِ البَعْلَبَكِيِّ. بَيْرُوتُ: دَارُ العِلْمِ للمَلَايِينِ، 1979م.

الدَّوْرِيَّاتُ

1. "إِحْبَاطُ الرَّبِيعِ الْعَرَبِيِّ يَقُودُ عَدَدًا كبيرًا من الشَّبَابِ إلى الانْتِحَارِ". جَرِيدَةُ العَرَبِ الدَّوْلِيَّة، العَدَدُ: (10392)، ص 7، 10 سِبْتمبر 2016م.
2. "إِحْبَاطُ الرَّبِيعِ العربيِّ يَقُودُ عَدَدًا كَبِيرًا من الشَّبَابِ إلى الانْتِحَارِ". جَرِيدَةُ العَرَب الدَّوْلِيَّةُ، العَدَدُ (10392)، ص7، 10 سِبْتمبر 2016م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 25 أَبْرِيلُ 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/4Nzbj
3. "العالَمُ الْعَرَبِيُّ يَشْكُو من أُمِّيَّةٍ أَبْجديَّةٍ في العَصْرِ الرَّقْمِيِّ". صَحِيفَةُ العَرَبِ اللَّنْدَنِيَّةُ، 8 العَدَدُ (10,032)، ص7، سِبْتمبر 2015م، تَارِيخُ الزِّيارَةِ 27 أَبْرِيل 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/9qd3w
4. أبو الخَيْرِ، خَالِد. "سِلْسِلَةُ الوَعْيِ: مُقارَباتٌ فَلْسَفِيَّةٌ ونَظْرَةٌ تطوُّرِيَّةٌ لأَصْلِ الوَعْيِ". مَجَلَّةُ المَحَطَّة، 6 أبريل 2019م، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/rJkzf
5. أحرشاو، الغَالِي. "مَظَاهِرُ الثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ وشُرُوطُ تَحْدِيثِها". شُؤُونٌ عَرَبِيَّةٌ. عَدَد78، حُزَيْرانُ، 1994م، ص95-78.
6. البريدِيّ، عَبْدُاللَّه بن عَبْدالرَّحْمن & نورة بِنْت مُحَمَّد الرَّشِيد. "مُسْتَوياتُ ومُعَوِّقَاتُ التَّمْكِين". دَوْرِيَّةُ الإِدَارَةِ العَامَّة، المُجَلَّدُ الثَّاني والخَمْسُونَ، العَدَدُ الثَّاني، مَارس 2012م، ص167، مُتاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/wWD6m
7. البَشِيرُ، عِصَام. "الشَّبَابُ وصِنَاعَةُ المُسْتَقبَلِ.. مَآزَقُ وآفَاقٌ". مَجَلَّةُ حِرَاءَ، عَدَد 37، السَّنَةُ الثَّامِنَةُ، يُولْيو - أَغُسْطُس 2013م.
8. البكر، مُحَمَّد عَبْداللَّه. "أَثَرُ البَطَالَةِ في البِنَاءِ الاجْتِمَاعِيِّ، دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ للبَطَالَةِ وأَثَرِها في المَمْلَكةِ العَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ". مَجَلَّةُ العُلُومِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، المُجَلَّد 32، العدد 2، 2004م، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/Jgpov

9. البَيـــاتيّ، يَاس خُضَير. "الفَضَائِيَّـــاتُ والثَّقَافَةُ الوَافِدَةُ وسُـــلْطَةُ الصُّورةِ". مَجَلَّةُ المُسْـــتَقْبَلِ العَرَبِيّ، مَرْكَزُ دِرَاســـاتِ الوَحْدَةِ العَرَبِيَّةِ، العَدَدُ 267، طَرَابلس، ليبيا، 2001م، ص113.
10. الرّبداوِيّ، قَاسِـــم. "مُشكِلةُ السَّكَنِ العَشْـــوَائيِّ في المُدُنِ العَرَبِيَّةِ الكُبْرى". مَجَلَّةُ جَامِعَةِ دِمَشْـــقَ، المُجَلَّدُ 28، العَدَدُ 12، ص 461، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/PFylJ
11. العَامِريّ، سَـــلْوَى حُسْني. "الثَّقَافَةُ السِّيَاسِـــيَّةُ في مِصْرَ بين التَّغْيِيرِ والاسْتِقْرَار". مَرْكَزُ البُحوثِ والدِّراسَـــاتِ السِّيَاسِـــيَّةِ، كلِّيَّةُ الاقْتِصادِ والعُلُومِ السِّياسِيَّةِ، جَامِعَةُ القَاهِرَةِ، المُجَلَّدُ الثَّاني، ص1358.
12. الفَال، مُحَمَّد المُخْتَار. "تمَكْينُ الشَّبَابِ مَاذَا يَعْنِي؟". جَرِيدَةُ الوَطَنِ، 13 مايو 2012م، تَاريخُ الزِّيارَةِ 31 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابط: https://cutt.us/s8HbI
13. الكَعْبيّ، دَاوُد سَـــلْمَان. "اللَّاأَدْرِيَّةُ (الفَصْلُ الأَوَّلُ): جُـــذُورُ اللَّاأَدْرِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ". الحِـــوَارُ المتمدِّنُ، العَدَدُ: 5594، 28 يُولْيو 2017م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 11 مَايو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/9dvzM
14. بَدْر، عَبْدالمُنْعِم مُحَمَّد. "الاغْتِرَابُ وانْحِرَافُ الشَّبَابِ العَرَبِيِّ". المجَلَّة العَرَبِيَّة للدِّرَاسَات الأَمْنِيَّة، العَدَدُ 18، 1993م، ص86، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/N6yx1
15. بلْقَاسِـــم، زَغْدود & سَعْدي وَحِيدَة. "الإِعْلَامُ الجَدِيدُ كمُحَرِّكٍ لِلْوَعْي السِّيَاسِيِّ لَدَى الشَّـــبَاب". مَجَلَّةُ آفَاقٍ للعُلُومِ، المُجَلَّدُ الثَّاني، العَدَدُ الثَّالِثُ، 2017م، ص351، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/lcTWh
16. بَنْ دريدِيّ، فَوْزي. "الشَّبَابُ والعُنُوسَةُ في الوَطَنِ العَرَبِيِّ". مَجَلَّةُ الشَّبَابِ والمُشْكِلاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، العَـــدَدُ الأوَّلُ، السَّـــنَةُ الأُولَى، 2013م، ص144، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/Y2XH5
17. حَمُّود، فِرْيال. "مُسْـــتَوَياتُ تَشَكُّلِ الهُوِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وعَلَاقَتُها بالمَجَالَّاتِ الأَسَاسِيَّةِ المُكَوِّنَةِ لَهَا". مَجَلَّةُ جَامِعَةِ دِمَشْـــقَ. المُجَلَّدُ 27، 2011م، ص 564، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/8SDYf

18. شَاهِين، إِيمَانُ فَوْزِي. "الخَصَائِصُ السِّـيكُومُتَرِيَّة لِمِقْيَاسِ الفَرَاغِ الوُجُودِيِّ لَدَى شَبَابِ الجَامِعَةِ". مَجَلَّةُ الإِرْشَادِ النَّفْسِيِّ، العَدَدُ 50، 2017م، ص 498.

19. عِيد، عَبْدالرَّزَاق. "مُسْـتَقْبَلُ التَّنْوِيرِ فِي بُلْدَانِ الرَّبِيعِ العَرَبِيِّ سُـورْيَا نَمُوذَجًا". مَجَلَّةُ أَوْرَاقٍ فِلَسْـطِينِيَّةٍ، العَدَدُ الثَّانِي، أُكْتُوبَرُ 2016م، ص127، مُتَاحٌ على الرَّابِط: https://cutt.us/f5yVX

20. غَانِم، بَسَّـام عُمَر & عَوْدَة عَبْدالجَوَّاد أَبُو سِنِينَة. "دَوْرُ الشَّبَابِ فِي التَّنْمِيَةِ الشَّامِلَةِ فِي المُجْتَمَـعِ". مَجَلَّةُ جَامِعَةِ القُدْسِ المَفْتُوحَةِ لِلدِّرَاسَـاتِ وَالأَبْحَاثِ، العَدَدُ الرَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ، أُكْتُوبَرُ 2014 م، ص 62، مُتَاحٌ على الرَّابِط:https://cutt.us/feKSI

21. فَتْحِي، نازيلا. "تَحَيُّزَاتٌ وَحَوَاجِزُ". مَجَلَّةُ التَّمْوِيلِ وَالتَّنْمِيَةِ، صُنْدُوقُ النَّقْدِ الدَّوْلِيِّ، 2017، المُجَلَّدُ 54، العَدَدُ 4، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/g6KHM

22. كردمين، وَفَاء. "الشَّـبَابُ وَالتَّنْمِيَةُ المَفَاهِيم وَالإِشْـكَالِيَّاتُ". المَعْهَدُ العَالِي لِلْعُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ. مَرْكَزُ جِيلِ الدِّرَاسَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالعَلاقَاتِ الدَّوْلِيَّةِ، العَدَدُ الحَادِي عَشَرَ، ص 128، 9 دِيسِمْبِرُ 2017 م، مُتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ: https://cutt.us/wD8PP

23. كَرَم، أنطونيوس. "العَرَبُ أَمَامَ تَحَدِّيَاتِ التِّكْنُولُوجْيَا". الكُوَيْتُ، سِلْسِلَةُ عَالَمِ المَعْرِفَةِ، العَدَدُ 59، نُوفَمْبِر،1982م، ص164.

24. مَجْمُوعَةُ سـتانفورد للفَلْسَـفَةِ. الوَعْيُ، تَرْجَمَةُ أَحْمَد عَمْرو شَرِيف. مَجَلَّةُ حِكْمَةِ الفَلْسَفَةِ، ص10، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/kEWRB

25. مَجِيد، سَوْسَن شَاكِر. "الاحْتِرَاقُ النَّفْسِيُّ، أَعْرَاضُهُ وَمَصَادِرُهُ"، مَجَلَّةُ الحِوَارِ المُتَمَدِّنِ، العَدَدُ 3723، 2012 م، مُتَاح عَلَى الرَّابِطِ: https://cutt.us/sADHH

26. مُحَمَّد، مشـحن زَيْد. " الحُرِّيَّةُ السِّيَاسِيَّةُ مَفْهُومُهَا، أُسُسُها، حُدُودُها ومُعَوِّقَاتُها". مَجَلَّةُ مَدَارِكَ، مُتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ:goo.gl/SxfQRO

27. مِرْدَاوِي، كَمَال & حَبِيبَة شُعُور. "الإِطَارُ التَّحْلِيلِيُّ لِلتَّنْمِيَةِ المُسْتَدَامَةِ وَتَطْبِيقَاتِهِ عَلَى الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ". مَجَلَّةُ العُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ، العَدَدُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثُونَ، 2010 م، ص 292، مُتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ: https://cutt.us/mPu90

28. نُور الدِّين، تُوَاتي. "ماكلوهان مارشـــال قِــرَاءَةٌ في نَظَرِيَّاتِهِ بين الأَمْسِ وَاليَوْمِ"، مَجَلَّةُ العُلُومِ الإِنْسَـــانِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ. العَدَدُ 10، مَارِسُ 2013، ص 2 - 3، مُتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ: https://cutt.us/PX3x6

أُخْرَى

1. "144 حَالَةُ انْتِحَارٍ خِلالَ نِصْفِ عَامٍ في اليَمَنِ". عَدَنُ الغَدِ، 3 سِبْتمبر 2013م، مُتَاحٌ على الرَّابطِ: https://cutt.us/CCzoX
2. "إِجْمَاليّ الدَّخْلِ القَوْمِيِّ"، بَيَانَاتُ البَنْكِ الدَّوْلِيّ، مُتَاحٌ على الرَّابطِ: https://cutt.us/RTwG0
3. "إِحْبَاطَاتُ الطَّبَقَةِ المُتَوَسِّـــطَة أَجَّجَت ثَوْراتِ الرَّبِيـــعِ العَرَبيِّ". البَنْكُ الدَّوْليُّ، 21 أكتوبر 2015م، مُتَاحٌ على الرَّابطِ:
4. "إِحْبَاطَـــاتُ الطَّبَقَةِ المُتَوَسِّـــطَةِ أَجَّجَتْ ثَوْرَاتِ الرَّبِيعِ العَـــرَبيِّ". مَجْمُوعَةُ البَنْكِ الدَّوْليِّ، مُتَاح عَلَى
5. الرَّابِطِ: https//bit.ly/3ekOlGY
6. "أَحْدَثُها بَيْرُوتُ.. خَمْسُ مَحَطَّاتٍ مَرَّتْ بها المَوْجَةُ الثَّانِيَةُ للرَّبِيعِ العَرَبِيّ". الجَزِيرَةُ نت، 25 أُكْتُوبَر 2019م، مُتَاحٌ على الرَّابطِ: https://cutt.us/Fwn8d
7. "الأَدْمِغَةُ العَرَبِيَّةُ المُهَاجِرَةُ، خَرَجَ ولمْ يَعُدْ!". مُؤَسَّسَةُ الفِكْرِ العَرَبيِّ، 2019م، تَاريخُ الزِّيارَةِ 20 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرّابطِ: https://cutt.us/YYaCO
8. "الأَدْمِغَةُ العَرَبِيَّةُ.. كَفَـــاءَاتٌ تَنْهَلُ من مُدَّخَراتِ المَجْمُوعةِ الوَطَنِيَّةِ وتَجْنِي ثمارَها الدُّوَلُ الغَرْبِيَّةُ". مَوْقِعُ وَكَالةِ تُونُس للأَنْبَاءِ، 3 مَارِس 2019م، تَاريخُ الزِّيَارَةِ 20 مايو 2020م، مُتاحٌ على الرَّابطِ: https://cutt.us/8SbU6
9. "الاسْـــتِعمارُ الكِتَابُ الأَسْـــوَدُ". مَوْقِعُ البَيَانِ، 26 يَنايِر 2003م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/RddTB
10. "الإِلْحَادُ بَيْنَ الشَّـــبَابِ أَحَدُ نَتَائِجِ قُصُورِ الخِطَابِ الدِّينِيِّ وَتَهْمِيشِ العَقْلِ". صَحِيفَةُ العَـــرَبِ، 18 فَبْرَايِـــر 2018م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 8 مَايُـــو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/quyxP

11. "الإِنْفَاقُ عَلَى البَحْثِ والتَّطْوِيرِ (% مِن إِجْمَالِيّ النَّاتِجِ المَحَلِّيّ)". المَوقِعُ الرَّسْـــمِيُّ للبنكِ الدَّوْليّ، مُتاحٌ على الرَّابطِ: https://cutt.us/ZxjGP
12. "البَطَالَةُ وأَنْوَاعُها". وِيكِيبِيدْيَا، المُوسُـــوعَةُ الحُرَّةُ، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 31 يوليو 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: http://cutt.us/GwzwI
13. "التَّجْرِبَةُ التَّنْمَوِيَّةُ الكُورِيَّةُ وخَفَايَا قِصَّةِ نَجَاحٍ". مَرْكَزُ الدِّرَاسَـــاتِ الإِسْـــتِرَاتِيجِيَّةِ والدِّبْلُومَاسِيَّةِ، 12 سبتمبر 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/8gHGn
14. "التَّجْرِبَةُ المَالِيزِيَّةُ في التَّنْمِيَةِ المُسْـــتَدَامَةِ: اسْـــتِثْمَارٌ في الفَرْدِ وتَوْفِيرٌ للقُدُرَاتِ". المَرْكَزُ الدِّيمُقْرَاطِيُّ العَرَبِيُّ للدِّرَاسَـــاتِ الإِسْتِرَاتِيجِيَّةِ والاقْتِصَادِيَّةِ والسِّيَاسِيَّة، 25 مايو 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/VYfWz
15. "التَّقْرِيرُ العَـــرَبِيُّ حَوْلَ الفَقْرِ المُتَعَدِّدِ الأَبْعَادِ". اللَّجْنَـــةُ الاقْتِصَادِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة لغَرْبيّ آسْـــيَا، مُنَظَّمَةُ الأُمَمِ المتَّحِدة، 2018م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/CPMTN
16. "الحَدَائِقُ التِّكْنُولُوجِيَّـــةُ التُّرْكِيَّةُ". مَوقعُ الاقْتِصَادِ التُّرْكِيِّ، 2 يَنَايِر 2020م، تَارِيخُ الزِّيارَةِ 5 يُونْيو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/fv36Z
17. "الدُّوَلُ العربيَّةُ تَحتَلُّ المَراتِبَ الأَخِيرَة في مُؤَشِّرِ الحُرِّيَّةِ.. وإِسْرَائِيلُ تَتَصَدَّرُ مِنْطَقَةَ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ". سي إن إن بالعَرَبِيَّةِ، 30 أُغُسْطس 2015م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: goo.gl/bl5Kbj
18. "أَلْمَانِيـــا البَلَدُ الأَكْثَرُ فُرَصًا للشَّـــبَابِ عَالَمِيًّا.. والبَحْرَيْنِ عَرَبِيًّا". دويتش فيله، 21 أُكْتُوبَر 2016م، تَارِيخُ الزِّيارَةِ 6 فَبْرَايِر 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: goo.gl/q12JlI
19. "أَلْمَانِيـــا البَلَدُ الأَكْثَرُ فُرَصًا للشَّـــبَابِ عَالَمِيًّا.. والبَحْرَيْنِ عَرَبِيًّا". دويتش فيله، 21 أُكْتُوبَر 2016م، تَارِيخُ الزِّيارَةِ 6 فَبْرَايِر 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: goo.gl/q12JlI
20. "المَجَاعَةُ في اليَمَنِ قَدْ تَكُونُ أَسْـــوَأَ كَارِثَةٍ يَصْنَعُها الإِنْسَـــانُ في التَّارِيخِ الحَدِيثِ". مَوْقِعُ أَخبَارِ الأُمَمِ
21. المُتَّحِدَةِ، 1 نُوفَمْبر 2018م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/MPIXB
22. "المَرْصَدُ الاقْتِصَادِيُّ للشَّرْقِ الأَوْسَطِ وشَمَالِ أَفْرِيقيَا". بَيَانَاتُ البَنْكِ الدَّوْليِّ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/J1Wva

23. "المُــؤَشِّرُ العَدَدِيُّ لِخَطِّ الفَقْرِ". بيَانَاتُ البَنْكِ الدَّوْلِيّ، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/18MJ8
24. "المُؤَشِّرُ العَرَبِيُّ 2018م". المَرْكزُ العَرَبيُّ للأبْحَاثِ ودِراسَــةِ السِّياسَــاتِ، قَطَرُ، الدَّوْحَةُ، ص43، مُتَاحٌ على الرَّابطِ: https://cutt.us/298Xf
25. "المُؤَشِّرُ العَرَبِيُّ 2018م". المَرْكزُ العَرَبيُّ للأبْحَاثِ ودِرَاســةِ السِّياسَاتِ، ص243، مُتَاحٌ على الرَّابطِ: https://cutt.us/298Xf
26. "المَوْقِعُ الرَّسْــمِيُّ للاتِّحَادِ الوَطَنِيِّ لنَوَادِي المُزَارِعِينَ الشَّبَابِ". مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/n7QlC
27. "المَوْقِعُ الرَّسْــمِيّ لمُنَظَّمَةِ تَنْمِيَةِ الشَّبَابِ الأُسْتُرَالِيِّينَ المَحْدُودَةِ". مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/IoTKl
28. "انْتِحَارُ الشَّــابِ السُّوريِّ حَسَــن رَابِح رَاقِصُ فِرْقَةِ (SIMA) في بَيْرُوتَ". مَوْقِع أَبْــوَابٍ، 15 فَبْرَاير 2016م، تَاريخُ الزِّيــارَةِ 25 أَبْرِيل 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/zw5cL
29. "انتِحَارُ شَــابٍّ أَلْقَى بِنَفْسِــه من كُوبْرِي وادِي لَبَنٍ بالرِّياضِ". مَوْقِعُ أَخْبَارِ 24، 2 أُكْتُوبر 2012م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 25 أبريل 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/rk0AN
30. "انْتِهَاءُ المَرْحَلَةِ الأُولَى مِنْ مَرْكَزِ وادِي السِّــيلِيكُون التُّرْكِيِّ". ترك برس، 5 سِبْتَمبر 2019م، تَارِيــخُ الزِّيارَةِ 5 يُونْيو 2020م، مُتاحٌ عــلى الرَّابِطِ: https://cutt.us/RVu4w
31. "بَرْنَامِــجُ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ الإنْمائيُّ، إِسْــترِاتِيجِيَّةُ بَرْنَامِجِ الأُمَــمِ المُتَّحِدَةِ الإنْمَائيِّ للمُسَاوَاةِ بين الجِنْسَيْنِ للفَتْرَةِ 2017-2014م". نِيُويُورك، 2014م، ص 9.
32. "بَرْنَامَــجُ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ الإنْمَائيّ، تَقْريرُ التَّنْمِيَةِ الإنْسَــانِيَّةِ العَرَبِيَّةِ لِعَامِ 2016م، الشَّبَابُ والتَّنْمِيَةُ الإنْسَانِيَّةُ في البُلْدَانِ العربيَّة.. تَحَدِّيَاتُ مَرْحَلةِ التَّحَوُّلِ". 2016م، ص 22.

33. "بَرْنَامِجُ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ الإِنْمَائِيُّ، تَقْرِيرُ التَّنْمِيَةِ الإِنْسَـــانِيَّةِ العَرَبِيَّةِ للعَامِ 2016م: الشَّـــبَابُ وآفَاقُ التَّنْمِيَةِ الإِنْسَـــانِيَّةِ في واقعٍ مُتَغَيِّرٍ". 2016م، ص 131، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/0YWcC

34. "بَيَانُ الألكسو بمُنَاسَبَةِ اليَوْمِ العَرَبيِّ لِمَحْوِ الأُمِّيَّةِ/القِرَائِيَّةِ 8 يَنَايِرُ 2019م". المَوْقِعُ الرَّسْـــمِيُّ للمُنَظَّمَةِ العَرَبيَّةِ للتَّربِيَةِ والثَّقَافَـــةِ والعُلُومِ، 7 يَنَاير 2019م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/0ETNX

35. "تُرْكِيَا نَحْوَ إِطْلاقِ أَوَّلِ قَمَرٍ صِنَاعِيٍّ للرَّصْدِ والمُرَاقَبَةِ". وكَالَةُ الأَنْبَاءِ التُّرْكِيَّةِ، 4 يونيو 2020م، تَاريـــخُ الزِّيارةِ 5 يُونْيو 2020م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://tr.agency/news-101246

36. "تَفاصِيـــلُ قَضَايا مَقْتَلِ 730 عَالِـــمًا عِرَاقِيًّا على يدِ المُوسَـــادِ". دُنْيَا الوَطَنِ، 17 أُغُسْـــطُس 2012م، تَارِيخُ الزِّيارةِ 21 مَايُـــو 2020م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/5gguw

37. "تَقْرِيرُ البَرْنَامَـــجِ العَالَمِيِّ لِمُكافَحَةِ المُخَدِّرَاتِ والجَرِيمَـــةِ لِعَام 2019م". المَوْقِعُ الرَّسْمِيُّ للبَرْنَامَجِ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/rwnYL

38. "تَقْرِيرُ السَّعَادَةِ العَالَمِيُّ 2019م". مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://worldhappiness.report/ed/2019/#read

39. "تَقْرِيرٌ أُمَمِيٌّ: رَغْمَ تَرَاجُعِ البَطَالَةِ، ما زَالَتْ ظُرُوفُ التَّوْظِيفِ السَّـــيِّئَةُ تَحَدِّيًا مَاثِلًا على مُسْـــتَوَى العَالَمِ". أَخْبَارُ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ، 13 فَبْرَاير 2019م مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/Usa5C

40. "تَقْرِيرُ مُنَظَّمَةِ العَمَلِ الدَّوْلِيَّةِ لعَامِ 2018م". المَوْقِعُ الرَّسْمِيُّ لِمُنَظَّمَةِ العَمَلِ الدَّوْلِيَّةِ، 22 يَنَاير 2018م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/fxYod

41. "دِراسَةُ مَرْكزِ دِمَشْقَ للأَبْحَاثِ والدِّرَاسَاتِ "مِدَاد" حَوْلَ هِجْرَةِ العُقُولِ في سُورْيَا". مَوْقِعُ صَحِيفَةِ الاقْتِصَادِيَّةُ، 17 دِيسَـــمْبر 2018م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 20 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: http://cutt.us/9B4LI

42. "شَـــبَابٌ مُمَكَّن، مُسْتَقْبَلٌ مُسْتَدَامٌ"، إِسْــــتِرَاتِيجِيَّةُ بَرْنَامَجِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ الإِنْمَائِيُّ لِلْمُسَاوَاةِ بين الجِنْسَيْنِ 2017-2014م، المَوْقِعُ الرَّسْمِيُّ لِمُنَظَّمَةِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/rtPj5
43. "شَرِكَاتُ التِّكْنُولُوجْيَــا الأَكْثَرُ إِنْفَاقًا على البَحْــثِ والتَّطْوِيرِ خِلالَ عَامِ 2018م". البوَّابةُ العَرَبِيَّةُ للأَخْبَارِ التِّقْنِيةِ، 18 مَارِس 2019م، تَارِيخُ الزِّيَارةِ 21 مايو 2020م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/mlcMF
44. "عُنْفُ الشَّـــبَابِ". مُنَظَّمَةُ الصِّحَّةِ العَالَمِيَّةِ، 30 سِبْتَمبر 2016م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/pZymY
45. "قَائِمَةُ الأَحْزَابِ السِّيَاسِــيَّةِ في لُبْنانَ". مَوْقِعُ المَعْرِفَةِ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/BhRG2
46. "كَيْــف تَصَدَّى الرَّئِيسُ التُّونُسِيُّ لِمُحاوَلاتِ اسْــتِغْلالِ الخِلافَــاتِ بين القَوْمِيِّينَ والإِسْلامِيِّينَ لإِشْــعالِ ثَوْرَةٍ مُضَادَّةٍ". مَوْقِعُ عَرَبِيّ بُوسْت، 24 مايو 2020م، تاريخُ الزِّيارةِ 8 يُونْيو 2020م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/bEKo6
47. "ما الدَّوْلَةُ العَمِيقَةُ". مَرْكَزُ الرَّوَابِطِ لِلْبُحُوثِ والدِّرَاسَاتِ الإِسْتِرَاتِيجِيَّةِ، 2 أُغُسْطُسُ 2015م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/d4hrY
48. "مُحَمَّــد البُوعَزِيزِيّ.. شَرَارَةٌ أَطْلَقَتِ الرَّبِيعَ العَرَبِيَّ". الجَزِيرَةُ. نِتْ، 17 دِيسَـــمْبر 2015م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: goo.gl/O9UHfx
49. "مُخَطَّطُ "برنارد لويس" لتَفْتِيتِ العَالَمِ الإِسْلامِيِّ". مَوقِعُ المَعْرِفَةِ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/9h8s3
50. "مُذَكِّــرَةٌ إِخْبَارِيَّةٌ للمَنْدُوبِيَّةِ السَّــامِيَةِ للتَّخْطِيطِ حَــوْلَ البِطَالَةِ لعَامِ (2019م)". المَنْدُوبِيَّةُ السَّــامِيَةُ للتَّخْطِيطِ، المَمْلَكَةُ المَغْرِبِيَّةُ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/cWXtL
51. "مُسْــتقبَلِيَّةُ العِمارةِ في مِصْرَ". مَوْقِعُ كابس مِصْرَ، 2018م، تَارِيخُ الزِّيارةِ 20 مَايُو 2020م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/ovKX1

52. "مَشْرُوعُ تُرْكِيا الفَاتِحُ، هَلْ هُوَ خُطَّةٌ للتَّغَلُّبِ على الفَجْوَةِ الرَّقْمِيَّةِ أَمْ حَمَاسَةٌ بِدَافِعِ الإيمَانِ بِالتِّكْنُولُوجْيَا". مَعْهَدُ مُثَلَّثِ الأَبْحَاثِ الدَّوْلِيُّ، 2015م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/8eaY8

53. "مُعَدَّلُ البِّطَالَةِ 2019م". الهَيْئَةُ العَامَّةُ للإِحْصَاءِ، المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/hVbJF

54. "مُعَدَّلُ البِّطَالَةِ السَّنَوِيِّ 2019م". الجِهَازُ المَرْكَزِيُّ للتَّعْبِئَةِ والإِحْصَاءِ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/qucsf\

55. "مَنِ اخْتَرَعَ القِطَارَ". مَوْقِعُ schkola4kotovo، 4 مَارِس 2020م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 4 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/CS6vc

56. "مِنْ هِجْرَةِ الأَدْمِغَةِ إلى كَسْبِ الأَدْمِغَةِ". مُنظَّمَةُ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ للتَّرْبِيَةِ والعِلْمِ والثَّقَافَةِ (يُونسكو)، 2006م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/Iqh4k

57. "مُؤَشِّرُ مُدْرَكاتِ الفَسَادِ 2019م". المَوْقِعُ الرَّسْمِيُّ للمؤشِّر، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/OMyaZ

58. "مَيْسَاءُ شُرُوف التُّونُسِيَّةُ الَّتِي انْتَحَرَتْ غَضَبًا من المُجْتَمَعِ الذُّكُورِيِّ". مَوْقِعُ رَامَ اللَّه، 2 يوليو 2016م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 25 أبريل 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/Q5DdT

59. "نَصِيبُ الفَرْدِ من إجْمَاليِّ الدَّخْلِ القَوْمِيِّ". بَيَانَاتُ البَنْكِ الدَّوْليّ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/00SCa

60. "نَصِيبُ الفَرْدِ مِنْ إِجْمَالي الدَّخْلِ القَوْمِيِّ، وَفْقًا لتَعَادُلِ القُوَّةِ الشِّرَائِيَّةِ". بَيَانَاتُ البَنْكِ الدَّوْلي، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/67Odr

61. . "تَارِيخُ كُورْيَا". مَوْقِعُ كُورْيَا نِتْ الحُكُومِيُّ، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/3xiRz

62. "إِنْفُوجْرَاف أَعْلَى وأَدْنَى مُعَدَّلاتِ البَطَالَةِ في العَالَمِ العَرَبِيِّ". تَقْرِيرُ مُنَظَّمَةِ العَمَلِ الدَّوْلِيَّةِ والبَنْكِ الدَّوْليّ، يوليو 2018م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/ehGea

63. . الأُمَمُ المُتَّحِدَةُ، تَقْرِيرُ اللَّجْنةِ الاقْتِصَاديَّةِ والاجْتِمَاعيَّةِ لِغَرْبيّ آسْيَا (الأسكوا) حَوْلَ دَوْرِ التربيَّـــةِ والتَّنْمِيَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والاقْتِصَاديَّةِ في مُواجَهَةِ التَّحَدِّيَاتِ وفي تَطْويرِ قُدُراتِ الجيلِ العَرَبيِّ الشَّابِّ، اجْتِمَاعُ الخُبَراءِ 2010م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/2bqYT
64. . السَّرْحَان، مَحْمُود قظام. "الشَّبَابُ في البادِيَةِ الأُرْدُنِّيَّةِ". مَرْكَزُ الثُّرَيَّا للدِّراساتِ، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 2 فَبْراير 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: http://www.thoriacenter.org/projects.asp?id=10
65. . سَماتي، آمِنَة. "أَكْثَرُ مِن مِلْيُونيَ جَزائِرِيٍّ يُعَانُونَ من اكْتِئَابٍ حَادٍّ". مَوْقِعُ الحُوَارِ، 28 يناير 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/30U1x
66. "اســـتِطْلَاعُ "أَصْدَاءَ" لِلرَّأْيِ: وَاقِعُ الشَّبَابِ العَرَبيِّ في 10نقَاطٍ". مَوْقِعُ رَضِيف، 22 أَبْرِيل 2015م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 3 أُغُسْطُس 2017م. مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: http://cutt.us/jG4Sw
67. إبْرَاهِيم، حَافِظ. كَمْ ذَا يُكابِدُ عاشِـــقٌ ويُلاقِي. مَوْقِعُ الدِّيوانِ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/hWxmc
68. إَبْرَاهِيم، عَبْدالعَزِيز. "الانْتِحَارُ.. أرقامٌ مُخِيفَةٌ وأســـبابٌ مُتَعَدِّدَةٌ وحالاتٌ شَهِيرَةٌ". مَوقِعُ العَرَبِيَّة نِتْ، 11 ســـبتمبر 2018م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 3 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/sXCg8
69. أبو دَاوُدَ، سَـــيِّد. "صِناعَةُ الوعْيِ السِّيَاسِيِّ مَسْؤوليَّةُ مَنْ؟". الإسلامُ اليَوْمَ، 10 يونيو 2003م، تَارِيخُ الزِّيارَةِ 14 يناير 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: goo.gl/eQye2o
70. أَبُو زَيْد، جِيهَان. "الشَّـــبَابُ والأَهْدَافُ التَّنْمَويَّةُ للألفيَّةِ في الوَطَنِ العَرَبِيِّ"، وَرَقَةٌ مُقَدَّمَةٌ إلى وَرْشةِ عَمَلٍ: الشَّبَابُ العَرَبِيُّ والعَوْلَمَةُ، صَنْعَاءُ 23-22 يونيو 2007م.
71. أبوبَكْر، خَالِد. "الثَّوْرَةُ الفَرَنْسِـــيَّةُ في المِيزَانِ". إِسْلَام أُونْ لايَنْ، 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/sEWJQ
72. أبوبَكْر، خَالِد. "الثَّوْرَةُ الفَرَنْسِـــيَّةُ في المِيزَانِ". إِسْلام أُون لايَنْ، 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/sEWJQ

73. أحمد، سَمِير عَبْدالحَمِيد القُطْب. "دِرَاسَةُ ظَاهِرَةِ عُنْفِ الشَّبَابِ في المُجْتَمَعِ العَرَبيّ: أَسْبَابُها وسُبُلُ عِلاجِها مِن مَنْظُورٍ تَرْبَويٍّ". كُلِّيَّةُ التَّرْبِيَةِ في مِصْرَ، مَرْكَزُ مَعْلُوماتِ المَرْأَةِ والطِّفْلِ، 2013م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/1Dc8y

74. البَدَويّ، حُسَيْن. "قِصَّةُ انتِحَارِ النَّاشِطَةِ نُورْهَان حَمُّود تَشْغَلُ الرَّأْيَ العَامَّ اللُّبْنَانيّ". مَوقعُ القِيَادِيِّ، 31 أُغسْطُس 2016م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 25 أَبْرِيل 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/MLSjx

75. البَنْكُ الدَّوْليُّ. "نَصيبُ الفَرْدِ من إِجْمَاليِّ الدَّخْلِ القَوْميِّ". المَوقعُ الرَّسميُّ للبَنْكِ، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/Qlxua

76. الجَميلُ، سيّارُ. "تَكْوينُ العِرَاقِ الحَديثِ ونَظَرِيَّةُ الأَجْيَالِ". مُؤَسَّسَةُ الحِوارِ الإِنْسَانيّ، 17 أُكْتُوبَر 2018م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 16 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/VPR3c

77. الحُوتَان، رَنَا فَهْد. "مَشْرُوعُ تَمْكِينِ المَرْأَةِ". كُليَّةُ التَّربِيَةِ، جَامِعَةُ الأَمِيرة نُورَة، 2012م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/XfG8u

78. الرَّصَافيُّ، مَعرُوفٌ. "يا قَومُ لا تتكَلَّمُوا". مَوْقِعُ الدِّيوَانِ، مُتَاحٌ عَلَى الرَّابِطِ: https://cutt.us/S2XJA

79. الزُّغْبيُّ، خَيَّام مُحَمَّد. "وَاقعُ الشَّبَابِ العَرَبيِّ: بَيْنَ التَّطَلُّعَاتِ والتَّحَدِّيَاتِ". مَوْقِعُ الحِوَارِ المُتَمَدِّنِ، 10 نُوفَمْبر 2013م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 31 يوليو 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: http://cutt.us/pkQgr

80. السُّلَيْميّ، مُنْصِف. "العَرَبُ.. مَوْجَةُ هِجْرَةٍ جديدةٍ". مَوقعُ أَلْمانيا بالعَرَبيِّ DW، 5 دِيسَمْبر 2019م، تَاريخُ الزِّيارةِ 20 مايو 2020م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/ACDE9

81. السَّهْليّ، مُحَمَّدُ بْنُ عَليِّ بْنِ عَبْدِاللَّه. "عَلَاقَةُ البَطَالَةِ بالجَرَائِمِ المَالِيَّةِ، دِرَاسَةٌ مَسْحِيَّةٌ عَلى نُزَلاءِ إصلاحيَّةِ الحَائِرِ"، أَكَادِيمِيَّةُ نَايِف للعُلُومِ الأَمْنِيَّةِ، 2002م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/vZbHH

82. الشَّيْخُ، أَحْمَد. "الرَّبِيعُ العَربِيُّ ذَبُلَ ولم يَمُتْ". الجَزِيرَةُ نت، 13 يناير 2016م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/ndstb
83. الصَّاوِي، عَلِيٌّ. "الشَّبَابُ والحُكْمُ الجَيِّدُ والحُرِّيَّاتُ"، وَرَقَةٌ بحثيَّةٌ مُقَدَّمَةٌ إلى وَرْشَةِ العَمَلِ الإقليميَّةِ الثَّالثةِ، برِعايَـــةِ بَرْنَامَجِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ الإِنْمَائِيّ، الرِّباطُ، المَغْرِبُ. 2005م.
84. الطُّوَيْسِيّ، بَاسِـــم. "هَلْ هي نِهَايَة الاتِّصالِ الجَمَاهِيرِيِّ؟". صَحِيفَةُ الغَدِ، 25 يوليو 2011م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 27 أبريـــل 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/Frnqh
85. العَوْهَلِيُّ، البَرَّاءُ. "لماذا يُلْحِدُ بَعْضُ شَبَابِنَا؟ مُحاوَلَةٌ لِفَهْمٍ ومُقارَبةِ ظاهِرَةِ الإِلْحَادِ". مَوقِعُ مَقَال، 12 فَبْراير 2012م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 12 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/1gHhf
86. العِيد، وارِم. "البُعْدُ الثَّقَافِيُّ للعَوْلَمَةِ وأَثَرُهُ على الهُوِيَّةِ الثقافيَّةِ للشَّـــبَابِ العَربِيّ". جامِعَةُ البَشَيرِ الإِبْرَاهِيمِي. الجَزائِرُ، 2014م.
87. القَيْسِيّ، لَيْث سُـــعُود. "التَّحَدِّيَاتُ المُعَاصِرَةُ وآثَارُها على سُلُوكِ الشَّبَابِ الدَّعَوِيِّ". مَوْقِعُ الإِسْلَام اليَوْم، 4 مَارِس 2015م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ: 18 مَارِس 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: goo.gl/NSx8fu
88. المَدْهُون، غِيَاث. "لا أَسْـــتَطِيعُ الحُضُورَ". القُدْسُ العَرَبِيِّ، 31 يوليو 2013م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 4 يونيو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/0sXgC
89. المَرْزُوقِيُّ، المُنْصِفُ. "الوَضْعُ العَرَبِيُّ مُتَأَزِّمٌ والشُّـــعُوب تَتوقُ للحُرِّيَّةِ". مَوْقِعُ الخَلِيجِ أُونْ لَايْـــن، 18 مَارِس 2019م، تَارِيـــخُ الزِّيَارَةِ 8 يونيو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/nZ6CP
90. المَطَرِيّ، وَلِيد. "سِيسْـــيُولُوجْيَا الأَجْيَالِ". مَوْقِعُ إِضَاءَاتٍ، 23 أُكْتُوبَر 2016م، تَارِيخُ الزِّيارَة 9 مايو 2020م، مُتَاح على الرَّابِطِ: goo.gl/INd7Ji
91. المُؤَشِّرُ العَرَبِيُّ 2018م، المَرْكزُ العَرَبِيُّ للأَبْحَاثِ ودراسَةِ السِّيَاسَاتِ، ص243، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/298Xf

92. المَوْقع الرَّسْــــمِيّ لِمُنَظَّمَة الأمم المُتَّحِدَة. "أهداف التَّنْمِيَة المُسْــــتَدَامَة". مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: goo.gl/Lc7V5V

93. المَوْقعُ الرَّسْــــمِيُّ لِمُؤَشِّرِ الجَرِيمَةِ العَالَمِيِّ، مُتَــــاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/Ld2ug

94. النَّدويّ، مُحمَّد إِقْبَال النَّائطيّ. "مَنْهَجُ الإِسْــــلامِ في تَرْبِيَةِ الشَّبَابِ". شَبَكَةُ الأَلُوكَةِ، 12 يوليو 2012م.

95. النَّشَّــــار، مُصْطَفَى "جَدَلُ الهُوِيَّةِ والاخْتِلافِ في الفَلْسَــــفَةِ الهيلِينِيَّةِ". مُؤْمِنُونَ بِلا حُدُودٍ للدِّرَاسَــــاتِ والأَبْحَاثِ، 2 مايــــو 2016م، ص4، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/v4KTW

96. النَّفِيسيُّ، عَبْداللَّهِ. "مَوْجَةٌ ثَوْرِيَّةٌ جَديدةٌ ستُدَاهِمُ أَنْظِمَةَ الثَّوْراتِ المضادَّةِ". جَرِيدَةُ الشَّرْقِ، 3 يَنايرُ 2017م، تاريخُ الزِّيَارَةِ 8 يونيو 2020، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/nzB9R

97. النَّمِر، نَهْلَة. "الأَدِيبُ النَّاشِئُ عَبْدُالظَّاهِرِ مكَّاوي يُلْقِي بنَفْسِهِ من الدَّوْرِ الرَّابعِ بَعْدَ أَنْ أَصَابَهُ الاكتِئَابُ". صَحِيفَةُ الوَفْدِ المِصْرِيَّةُ، 4 سِبْتَمْبر 2016م،تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 25 أبريل 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: goo.gl/kRd5Lj

98. الــــوَّزانيّ، الطيِّــــبُ بن المُخْتَار. "ظَاهِــــرَةُ الهَيْمَنَةِ الغَرْبيَّةِ عــــلى العَالَمِ: جُذُورُها ومُرْتَكَزَاتُها"، شَــــبَكةُ الأَلُوكةِ، 13 أَبْريل 2011م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 27 أبريل 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/b3xYy

99. اليازْجيّ، إِبْرَاهِيم. "تَنَبَّهُوا وَاستَفِيقُوا أَيُّها العَرَبُ". مَوقعُ بَوَّابةِ الشُّعَراءِ، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/Zsmwe

100. أَمِينَة، كَارِي نَادِيَة. "العَامِلُ الجَزَائِرِيُّ بين الهُوِيَّة المهنِّيةِ وثَقَافَةِ المُجتَمَعِ". كُلِّيَّةُ العُلُومِ الإنسانيَّةِ والعُلُومِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، جَامِعَةُ أبو بَكْرٍ بَالْقِيد، الجَزَائِرُ، 2012م، ص 48 إلى 50

101. إِيهَاب، حَازِم. "مِن الهَزِيمَةِ إلى النَّكْسَةِ: 5 يونيو 1967م بين الهُوِيَّة والذِّكْرَى". مَوْقِــــعُ إِضَاءاتٍ، 6 يونيو 2017م، تَاريخُ الزِّيارَةِ 25 ســــبتمبر 2017م، مُتَاحٌ على

الرَّابِط: http://cutt.us/7RODz

102. بَرْنَامَــجُ الأَمَمِ المُتَّحِدَةِ للتَّنْمِيَةِ، "التَّقْرِيرُ السَّــادسُ ضِمْنَ مَجْموعةِ "التَّنْمِيَةُ العَرَبِيَّــةُ"، المَكْتَبُ الإقْلِيمِيُّ للدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ، 29 نوفمبر 2016م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/PNjuH

103. بِلْغيث، سُلْطَان. "تمَظْهُراتُ أزْمَةِ الهُوِيَّةِ لَدَى الشَّبَاب". جامِعةُ العُلُومِ الاجْتِمَاعيَّةِ والإِنْسَانِيَّةِ، 13 ديسمبر 2011م، تاريخ 1 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/yzhIv

104. بلـــوافي، مُحَمَّد. "لُعْبَةُ الضَّمَائِرِ والسَّرْدِ". القَلَمُ النَّقْدِيُّ، مَجَلَّةُ أَقْلامٍ الثَّقافيَّةُ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: goo.gl/7J2Usc

105. بـــن الصِّمَّة، دُرَيْد. "أَرِثٌ جَديدُ الحَبْلُ مِن أمِّ مَعْبدٍ". مَوقعُ الدِّيوانِ، مُتَاحٌ عَلى الرَّابِطِ: https://cutt.us/R8TIq

106. بن يَحْيى، الحَبِيبُ. "دِراســـةُ أَوْضَاعِ الشَّبابِ المغَاربِيِّ". اتِّحَادُ المَغْرِبِ العَرَبِيِّ، الأَمَانَةُ العَامَّةُ، 2011م،ص29، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/7g1GJ

107. حُسَــيْنات، مُحَمَّد وآخَرُون. "الاغْتِرَابُ الثَّقَافِيُّ عند الشَّبَابِ العَرَبِيِّ في عَصْرِ العَوْلَمَةِ والمَعْلُومَاتِ". جَامِعَةُ الكســـليك، لُبْنَـــان، مايو 2010م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/IeS39

108. حَلِيمة، قَادِري. "اتِّجَاهاتُ الشَّبَابِ نَحْوَ المسؤوليَّةِ الاجتماعيَّةِ". جَامِعَة وَهْرَان2، الجَزَائِرُ، 2016م.

109. رَحَّال، عُمَر. "الشَّـــبَابُ والمُؤَسَّسَاتُ والأُطُرُ والمَشَـــاريعُ والنَّوَادِي الشَّبَابِيَّةُ". بَحْثٌ مُقَدَّمٌ إلى مُنْتَدى شَـــارك الشَّبَابيّ، أبريل 2006م، ص63، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/YcZQb

110. رزيج، فَهِيمَة كَرِيم. "تَمْكِينُ الشَّبَابِ الفُرَصُ والتَّحَدِّياتُ". جَامِعَةُ بَغْدَادَ، كُلِيَّةُ الآدَابِ، قِسْمُ عِلْمِ الاجْتِمَاعِ، 2018م، ص11، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/iixpA

111. زقـــوت، عَدْنَان. "صِرَاعُ الأَجْيَالِ". مَوْقعُ مَقَالٍ، 2018م، تَارِيخُ الزِّيارة 9 مايو

2020م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/xCpbz

112. زَكِيّ، نِهَــاد. "«نَظَرِيَّةُ التَّطَوُّرِ».. هل نَحنُ مُجْــبَرُونَ على الاخْتِيَارِ بَيْنَ العِلْمِ والدِّينِ؟". مَوقعُ سَاسَة بُوسْــت، 28 أُكْتُوبر 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/O1Aps

113. ســالبيرج، باسي. "سِرُّ النَّجَاحِ في فنلنــدا، إِعَدَادُ المُعَلِّمِــينَ". مَرْكَزُ البَيَانِ للدِّرَاسَات والتَّخْطِيطِ، 2016م، ص9، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/66pdg

114. سُــلَيْمَانُ، وَسِيم. "اغتِيَالُ عُلَماءِ العَالَمِ العَربيِّ... من العِراقِ إلى سُورْيَا ومِصْرَ مَنِ المَسْؤولُ؟". وكالَةُ سبوتنيك، 8 أُكْتُوبر 2019م، تَارِيخُ الزِّيارَةِ 21 مايو 2020م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/84H1M

115. سُنُوسِي، شِــيخَاوي. "هِجْرَةُ الكَفَاءَاتِ الوَطَنِيَّةِ وَإِشْكَاليَّةُ التَّنْمِيَةِ في المَغْرِبِ العَرَبيِّ". جَامِعَةُ أبو بَكْرٍ بِلْقَايد، كُلِّيَّةُ الحُقُوقِ والعُلُومِ السِّياسِــيَّةِ، 2011م، ص40، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/SIPcD

116. ســونجي، سوه. "دِرَاسَةُ حَالَةِ التَّجْرِبَةِ الكُورِيَّةِ الجَنُوبيَّةِ للانْتِقَالِ إلى اقْتِصَادٍ مَعْرِفِيٍّ". مَجْمُوعَةُ الأَغَرِّ للدِّرَاسَــات، جِدَّة، المملَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّــعُوديَّةُ، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/E7f7A

117. شَــاهِين، مُحَمَّد. "التَّحَوُّلُ في أَسْــوَاق العَمَــل، ودَوْرُ تِكْنُولُوجيا المَعْلُوماتِ وَالاتِّصَالاتِ في خَلْقِ وَظائِفَ جَديدةٍ". جامِعَةُ القُدْسِ المَفْتُوحَةِ، 2018م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/917iF

118. صالِحُ، هُوَيْدا. "الهُوِيَّةُ الثَّقَافِيَّةُ العَرَبِيَّةُ بين جَدَلِيَّةِ الأَنَا والآخَرِ". مَوقعُ مُؤمِنُون بلا حُدُودٍ للدِّرَاســاتِ والأَبْحَاثِ، 12 سبتمبر 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/mwwnr

119. عامِر، عادل. "دِرَاسَةُ هُمُومِ الشَّبَابِ المِصْرِيِّ بعد ثَوْرَتَيْنِ". مَوقعُ دُنْيا الوَطَنِ، 11 أُكتُوبــر 2014م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 25 أبريل 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: goo.gl/lYbsRr

120. عَبدالعَال، مَحْمُود جَمَال. الانتِخَابَاتُ الرِّئَاسِيَّةُ التُّونسيَّةُ... قِراءَةُ في المُؤَشِّراتِ

ودَلالاتِ التَّصْويتِ. المَرْكَزُ العَرَبيُّ للبُحوثِ والدِّرَاساتِ، 16 سبْتِمْبر 2019م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 11 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/WYgFx

121. عَبْدالعَال، مَحْمُود جمَال. "الانتِخَاباتُ الرِّئَاسيَّةُ التُّونسيَّةُ... قِرَاءةٌ في المُؤَشِّراتِ ودَلَالاتِ التَّصْويتِ". المَرْكزُ العَرَبيُّ للبُحوثِ والدِّراساتِ، 16 سبتمبر 2019م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 11 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/WYgFx

122. عَبْدالَّله، مَحْمُود. "الإِشْـــكَاليَّاتُ والحُلُولُ: نَحْوَ رُؤْيةٍ واقعيَّةٍ لتَمْكينِ الشَّبَابِ". مَرْكزُ الرَّوابِطِ للبُحُوثِ والدِّرَاسَـــاتِ الإِسْتراتيجيَّةِ، 22 فبراير 2016م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: goo.gl/tuewD7

123. عبيـــدات، لارا. "تَطْويرُ الذَّاتِ وبِنَاءُ الشَّـــخصيَّةِ"، مَوقعُ مَوضُوع، 28 مارس 2018م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 26 أبريـــل 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/pSSUy

124. عجلان، مُحَمَّد. "كُلُّ ما تُريدُ مَعرِفَتَهُ عـــن صِدَامِ الحَضَارَاتِ". مَوقع المَكْتَبَةِ العَامَّةِ، 24 نُوفَمْبر 2016م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/4Cu1g

125. عَرِيضة، نَسِـــيب. "كفِّنُوهُ وَادْفِنُوهُ أَسْكِنُوهُ". مَوقعُ دِيوانِي، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/SU8NW

126. عضيبَات، عاطِف. "البُرُوزُ الشَّـــبَابيُّ في المِنْطَقَةِ العَرَبِيَّةِ: الأَوضَاعُ والتَّبِعَاتُ السِّيَاسِـــيَّةُ، وَرَقةٌ مُقَدَّمَةٌ إلى: اجتِمَاعِ الخُبَرَاءِ حَوْلَ تَعْزيزِ الإِنْصَافِ الاجْتِمَاعِيِّ: إدْمَاجُ الشَّـــبَابِ في عمليَّةِ التَّنْمِيَةِ، مُؤَسَّسَةُ التَّنْمِيَةِ الأُسَريَّةِ بأَبُوظَبْي، بالتَّعاوُنِ مع اللَّجْنَةِ الاقْتِصَاديَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ لغَرْبيّ آسْيَا الإسكوا". مارس 2009م.

127. غليون، برهان. "ثَوَراتُ الرَّبيعِ العَرَبيِّ.. بَيْنَ تَحرُّرِ الشُّـــعُوبِ وسُقُوطِ الدُّوَلِ". صَحِيفَـــةُ الوَطَنِ، 12 فبراير 2018م، تَارِيخُ الزِّيَـــارَةِ 8 يونيو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/dMDhm

128. فتيان، رَشَا رَأْفَت. "نَحْوَ أَجِنْدَةٍ جَديدةٍ لتَمْكِينِ الشَّبَابِ". جَامِعَةُ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ، بدَعْمٍ من صُنْدُوقِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ للسُّكانِ، 2018م، ص2، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/4bqyY

129. فَيْصَـــل، تُوجَان. "الدَّوْلَةُ العَمِيقَةُ". الجَزِيرَةُ نِتْ، 30 مَارِس 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/1sM0X

130. قَامُوس المَعَاني. مَادَّة (و ع ي). مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/bVQCx

131. كارل، نامان& توماس هبتوم. "هَلْ أَصْبَحَ الشَّرْقُ الأَوسَطُ وشَمَالُ أَفْرِيقْيَا أقَلَّ تَدَيُّنًا؟". مَوقعُ بارومتر العَـــرَبيّ، 6 أَبْريل 2020م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 8 مايو 2020م، مُتاحٌ على الرابِطِ: https://cutt.us/Jzynl

132. كَرْمي، يُوسُـــف. "شَبَابٌ غُفْلٌ". هسبريس، 04 يناير 2008م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 24 أبريل 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/b6mGt

133. كينت،كريســتوفر جيمس. "مُؤَشِّرُ نيتشر لعَامِ 2019م: الأَدَاءُ العِلْميُّ العَرَبيُّ هذا العامُ بالأَرْقَام". بَنْكُ المَعْرفةِ المِصْريُّ، 14 ســبتمبر 2019م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/zv3l9

134. مَجَلَّةُ التَّمْويلِ والتَّنْمِيَةِ، صُنْـــدُوقُ النَّقْدِ الدَّوْليُّ، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/g6KHM

135. مَحْمُود، عَلِيّ. "مَفْهُـــومُ البَطَالَةِ". مَوْقعُ مَنَاراتٍ إفريقيَّةٍ، 29 مارس 2011م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 31 يوليو 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: http://cutt.us/rBJr

136. مَحْمُود،لورا. "أبولودور... المِعْمَاريُّ الدِمَشْقيُّ الأهمُّ في تَارِيخِ رُوما". صَحِيفَةُ البِنَاءِ، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 20 مَايُو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/SIlN9

137. مدياني، مُحَمَّد. "وَاقعُ قِطَاعِ التَّعلِيمِ العَالي والبَحْثُ العِلْميُّ في الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ". جَامِعَةُ أدرار، الجَزَائِر، يَنَاير 2018م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/ns8pe

138. مَعْنَى تمَكْينٍ، مُعْجَمِ المَعَاني الجَامِـــعِ، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/LTZ5n

139. مَعْنَى مُصْطَلَحِ Empowerment، قَامُوس Merriam – Webster، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/UZYuu

140. مَلاعِب، نَاجي. "البَحْثُ العِلْميُّ في إِسْرَائِيلَ ومُقَارَنَتُهُ في بِلادِ العَرَبِ". مَرْكَزُ سِيتا للبَحْثِ العِلميِّ، 21 أغسطس 2019م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/

KGx47

141. مَنْصُور، وَليد. "الجَامِعَةُ العَرَبِيَّةُ تؤيِّدُ مُبَادَرَةَ مِصْرَ لإِعْلَانِ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ خَالِيًا من الأَسْلِحَةِ النَّوَوِيَّة". مَوْقِعُ الفَتْحِ، 15 يناير 2014م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 27 أبريل 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/DgMR7

142. مُنَظَّمَةُ الأَغْذِيَةِ والزِّرَاعةِ للأُمَمِ المُتَّحِدَة. "الأُمَمُ المُتَّحِدَةُ تُطْلِقُ حَمْلَةً مُنَسَّقَةً من أَجْلِ سِياسَاتٍ فَعَّالَةٍ لمُوَاجَهَةِ الجَفَافِ". جنيف، 7 مارس 2013م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/mJQfC

143. مُنَظَّمَةُ الأُمَمِ المُتَّحِدَة. "العَهْدُ الدَّوليُّ الخَاصُّ بالحُقُوقِ الاقْتِصَادِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ والثَّقَافِيَّة"، 16 ديسمبر 1966م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/eSmUb

144. مُنَظَّمَةُ الأُمَمِ المُتَّحِدَة. الجَمْعِيَّةُ العَامَّةُ الدَّوْرَةُ الرَّابِعَةُ والخَمْسُونَ، الجِلْسَةُ العَامَّةُ السَّادِسَةُ والعِشْرُونَ. 5 أكتوبر 1999م.

145. مُنَظَّمَةُ الصِّحَّةِ العَالَمِيَّةِ. "عُنْفُ الشَّبابِ". الموقِعُ الرَّسْمِيُّ للمُنظَّمَةِ، 30 سبتمبر 2016م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 10 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/z2Wbm

146. مُنظَّمة العَدْلِ الدَّوْليَّة. "اللَّامُبَالاةُ العَالَمِيَّةُ إزاءَ انْتِهاكَاتِ حُقُوقِ الإِنْسَانِ في مِنْطَقَةِ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ وشَمَالِ أَفْرِيقْيَا تُؤَجِّجُ ارتِكابَ الفظائِعِ والإِفْلاتَ من العِقَابِ". المَوقِعُ الرَّسْمِيُّ لمنظمةِ العَدْلِ الدَّوْليَّة، 26 فبراير 2019م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/mFbtK

147. مُنَظَّمَةُ العَمَلِ الدَّوْلِيَّةُ. "الاتِّفَاقِيَّةُ الخَاصَّةُ بسِيَاسَةِ العَمَالَةِ رقم 122". 9 يوليو 1964م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/viavc

148. "بَرْنَامَجُ الشَّرَاكَةِ الدَّانمارْكِيَّةِ الشَّرْقِ أَوْسَطِيَّة". أَخْبَارُ مُبَادَرَةِ ActionAid للمِنْطَقَةِ العَرَبِيَّةِ، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/zigCL

149. مُنَظَّمَةُ العَمَلِ الدَّوْلِيَّةُ. "البِّطَالَةُ والنَّقْصُ في العَمَلِ اللَّائِقِ سَيَظَلَّانِ مُرْتَفِعَانِ في عَامِ 2018م". المَكْتَبُ الإِقْلِيمِيُّ للدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ، 22 يناير 2018م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/qsWDT

150. مورقـــا، فليكس. "دَلِيلٌ تَدْرِيبِـــيٌّ لِدُعَاةِ الحُقُوقِ الاقْتِصَادِيَّـــةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ والثَّقَافِيَّةِ". جَامِعَةُ منيســـوتا، ص191-190، مُتَاحٌ عـــلى الرَّابِطِ: https://cutt.us/41nsf

151. موسى، ســـناء نبيه. "بَرَامِجُ تَطْوِيرِ الشَّبَابِ في المُنَظَّمَاتِ والمَرَاكِزِ والمُؤَسَّسَاتِ الشَّـــبَابِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ". مَرْكَزُ شَبَابِ المُسْتَقْبَلِ للدِّرَاسَـــاتِ والبُحُوثِ والتَّطْوِيرِ، مَرْكَزُ 2015م، ص9، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/3bzOi

152. .مُوفَّق، هِشَام. "بَرَكَات".. حَرَكَةٌ لِرَفْضِ عُهْدَةِ بُوتَفْلِيقَةَ الرَّابِعَةِ". الجَزِيرَةُ. نت، 8 مارس 2014م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: goo.gl/s6vZ8W

153. مَوْقِعُ مُؤَسَّسَـــةِ الشَّبَابِ الأُسْـــتَرَالِيِّين. مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/VaFE9

154. نَدوي، مُحْسِن. الشَّبَابُ والتَّنْمِيَةُ.. رُؤْيَةٌ تنمويَّةٌ لِمُنَاصَرَةِ حُقُوقِ الشَّبَابِ المَغْرِبيّ والعَرَبي. طَنْجَةُ المَغْرِبُ، 2007م.

155. نَقول، عَدْنَـــان. "البِدَاياتُ الأُولَى للهِجْرَةِ العَرَبِيَّـــةِ إلى الأَمْرِيكِيَّتَيْنِ". مَوْقِعُ رَأْيِ اليَـــوْمِ، 8 أُكْتُوبر 2017م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 20 مايو 2020م، مُتَاحٌ على الرابط: https://cutt.us/PyToL

156. هَيْبَـــةُ، عَمْرُو. "الهِجْرَةُ قَدْرُ الكَفَاءَاتِ السُّـــورِيَّة قَبْلَ الحَرَبِ وبعدها". مَوْقِعُ جَرِيـــدةِ السَّـــفِيرِ، 16 يوليو 2019م، تاريخُ الزِّيـــارَةِ 20 مايو 2020م، مُتاحٌ على الرَّابِطِ: https://cutt.us/NqumT

157. وَطْفة، عَلِيّ أَسْعَدُ. "إِشْكَالِيَّةُ الهُوِيَّةِ وَالانْتِمَاءِ في المُجْتَمَعَاتِ العَرَبِيَّةِ المُعَاصِرَةِ". مَجَلَّةُ نَقْدٍ وتَنْوِير، 2 يناير 2015م، تَارِيخُ الزِّيَارَةِ 3 أغســـطس 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: http://cutt.us/4jUt0

158. آل طويرش، موسى مُحَمَّد. "الوَعْي السِّـــيَاسِي". مَرْكَز العِرَاق الجَديد للإِعْلام والدِّراسَات،

159. 28 فبرايـــر 2012م، تَارِيـــخُ الزِّيَارَةِ 14 ينايـــر 2017م، مُتَاحٌ على الرَّابِطِ: https://bit.ly/2YsKYbu

ثانيًا: المراجع الأجنبيَّة

1. Oxford Learners Pocket Dictionary, Fourth edition 2008, p. 518
2. Academic Ranking of world university, 2019, last visit on 25 April 2020, on site: https://cutt.us/mASBc
3. Nye, Joseph S. Is The American Century Over?. 1st ed., Polity, 2015.

الفِهْرس

الْفَصْل العَاشِر



مَنْ أرادَ النَّظَرَ للمُستَقبَلِ عَلَيْهِ النَّظَرُ إلى الشَّبابِ، فَهُمْ عُنْوانُ الحاضِرِ وعِمادُ المُسْتَقبَلِ، وهُمُ الاسْتِثْمارُ الأَنْجَحُ، فَكُلُّ اسْتِثْمارٍ قائِمٌ على احْتِمالِيَّةِ الرِّبْحِ والخَسارةِ، إلَّا الاسْتِثْمارَ في الإنْسانِ لا سِيَّما في الشَّبابِ، فَهو رِبْحٌ حَقيقِيٌّ لا خَسارةَ فِيهِ، لِذلك فالحَديثُ عَنِ اسْتِثْمارِ الشَّبابِ وطاقاتِهِمْ وتَمْكينِهِمْ سِياسِيًّا واجْتِماعِيًّا واقْتِصادِيًّا لَمْ يَعُدْ مِنَ التَّرَفِ الفِكْرِيِّ أَوِ الرَّفاهِيةِ النَّظَرِيَّةِ، بَلْ باتَ مِنَ الأَوْلَوِيّاتِ الضَّرُورِيَّةِ المُلِحَّةِ؛ نَظَرًا لِما يَشْهَدُهُ العَصْرُ الحالِيُّ مِن تَغَيُّراتٍ مُتَسارِعةٍ في جَمِيعِ جَوانِبِ الحَياةِ، فَلا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ للشَّبابِ العَرَبِيِّ على أنَّ قَضاياهُمْ قَضايا أَمْنٍ قَوْمِيٍّ، يَرْتَبِطُ بِها حاضِرُ الأُمَّةِ ومُسْتَقبَلُها، فَبِقَدْرِ ما نَهْتَمُّ بِالشَّبابِ وبِمُشْكِلاتِهِمْ بِقَدْرِ ما نُهَيِّئُ لَبِنَةً راسِخَةً لِلْمُسْتَقبَلِ ونُؤَسِّسُ لِحَضارةٍ عِمادُها سَواعِدُ الشَّبابِ ونِتاجُ أَفْكارِهِمْ.

ISBN 978-625-7297-17-2

